بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

(فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)

(الزمر)

كتاب

نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية

من ومتى وكيف

دراسة تحليلية في القران والسنة والتوراة والإنجيل

حقوق النشر متاحة للجميع

خالد عبد الواحد

الجزء الأول

الفصل الأول :

البداية

الفصل الثاني :

زوال إسرائيل قبل ظهور المهدي

الفصل الثالث :

مختصر لمجمل أقوال المفسرين

الفصل الرابع :

وكل شيء فصّلناه تفصيلا

الفصل الخامس :

تاريخ وجغرافيا بني إسرائيل في القران

الفصل السادس :

تاريخ اليهود في التوراة والتلمود

الفصل السابع :

فلسطين عبر التاريخ

البداية

قبل عـدة سـنوات ، كنت قد قـرأت كتـاب (أحجـار على رقعة الشـطرنج) للأدمـيرال الكندي (وليام كار) ، حيث يؤكد المؤلف في هذا الكتـاب بالشـواهد والأدلة ، سـيطرة اليهود على واقعنا المعاصر . بعد قراءتي لهذا الكتـاب ، وبـالنظر لما يجـري على أرض الواقع ، تملكتني حالة من اليـأس والقنـوط . فأحلامنا وأمانينا ، إذا ما سـار النـاس من حولنا ، على هدي ما يُخطّطه وينفذه اليهود – وهم سائرون وما زالـوا – أصـبحت هبـاءً منثورا ، وستسير الأمور إلى الأسوأ يوما بعد يوم ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لم أكن أعلم آنــذاك ، أن بعد كل هــذا الكفر والظلم والفســاد ، الــذي اسـتفحل في الأرض ، وأخذ ينتشر في أرض الإسـلام والعروبة ، انتشـار النـار في الهشـيم ، بعد أن مُحيت آثار العيب والحـرام ، من مفـردات قـاموس أهلها ، سـتظهر في آخر الزمـان ، خلافة راشدة على منهاج النبوة ، تُعيد هذه الأمة للحياة من جديد ، فأحاديث الفتن وما يكــون بين يــديّ الســاعة ، لم تكن معروفة للعامة قبل ســنوات قليلة ، ولم تلق أي اهتمام كون الساعة بعيدة عنا – حسبما نحب أن تكون – كل البعد . ومؤخرا بـدأ كثـير من الدارسـين والبـاحثين ، يخوضـون غمـار ما جـاء فيها من أحـاديث ، منبّهين لظهـور الكثير من أشراطها الصغرى ، ومحذّرين من قرب أشراطها الكبرى .

معرفتي بوجود تلك الخلافة ، التي ستقطع الطريق ، على أصـحاب المـؤامرة اليهودية العالمية ، وتلغي أحلامهم بسيادة العالم ، من القدس ، كانت لي بمثابة الضوء في آخر النفق ، تلك المعرفة الجديـدة أعـادت لي الأمل ، بعـدما تملكـني الكثـير من اليـأس والقنوط ، من أحوال أمتي العجيبة . اعترتني حالة من الفضـول ، أردت معرفة المزيد ، حيث سـاعدني حـبي القـديم للمطالعة ، فعـدّت لمطالعة كل ما يقع بين يـديّ ، من كتب على مختلف مواضـيعها ، من عقيـدة وفقه وسـيرة وتـاريخ ، فضلا عن القـرآن العظيم وتفسـيره ، فتـبين لي أن العلم والمعرفة ، يهتكـان الكثـير من أسـتار الجهل بـأمور الحيـاة الأخـرى ، ويـزداد المـرء بهما إيمانا ويقينا وصـلة بربه ، وثباتا على دينه ، فازددت حبا للمعرفة والمتابعة .

شملت مطالعاتي في تلك الأثناء ، بعض الكتب التي تناولت سـيرة المهـدي ، وأكـثر ما حاز على اهتمامي من هذه الأحـاديث ، ما يتعلق بالمهـدي وظهـوره ، والمعـارك الـتي سيخوضها . وبعد تحليلي لتلك الأحاديث ، ومحاولة الربط فيما بينها ، تبين لي بأن دولة إسرائيل الحالية ، لن تكون موجودة عند ظهور أمره ، وأن المهدي سـيدخل القـدس ، وبلاد الشام ككل بلا حرب ، فتبادر إلى ذهني بعض التساؤلات ، التي كـان لا بد لي من الإجابة عليها ، بـدافع الفضـول في البداية ، وأهمها كيف اختفت إسـرائيل قبل ظهـور المهدي ؟ ومن الذي كان سببا في اختفائها ؟

كنت سابقا أعتقد – كما كان وما زال – يعتقد عامة المسلمين اليــوم ، أن الطريق إلى تحرير القدس ، ستكون بالوحدة العربية ، وهذا بلا شك ضرب من الخيـال . أو بـالعودة إلى الإسـلام وقيـام الخلافة الإسـلامية ، وهـذا أيضا أمر بعيد المنـال ، والواقع لا ينـبئ بذلك ، واليهود الآن يسيطرون على مجريـات الأمـور ، أكـثر مما نسـيطر على زوجاتنا وأولادنا ، فهم يراقبون ويُحاربون ، أي جسم مسلم أو عربي ، تحول من حالة السكون إلى الحركة ، وكل المحاولات الإسلامية والقومية العربية النهضـوية ، وُئـدت واشـتُريت وبيعت في سوق النخاسة ، فلا أمل في المنظـور القـريب ، حسب ما نـراه على أرض الواقع .

وأما إسرائيل فعلى ما يبـدو ، أنها سـتبقى جاثمة فـوق صـدورنا ، تمتص دماءنا ، وتعـدّ علينا أنفاسـنا ونبضـات قلوبنا ، لتثبت للعـالم أننا ما زلنا أحيـاء ؟! والعـالم يـأتي وينظر ويهزّ رأسه موافقا ، ويمضي مطمئنا ، نعم إنهم ما زالـوا أحيـاء . وكـأن العـالم ، ينتظر منا أن نموت أو نفنى ، فيستيقظ يوما ما ، فلا فلسـطين ولا فلسـطينيون ، ليرتـاح من تلك المهمة الثقيلة والمضنية ، التي رُميت على كاهله – وكأنه بلا خطيئة اقترفتها يــداه – كي يرتاح من مراقبة طويلة ، لعملية احتضار شـعب أُدخل إلى قسم العناية الحثيثة ، منذ أكثر من50 عاما ، وما زال حيا .

وبالنظر إلى الواقع – قبل ثلاث سـنوات – ولغاية هـذه اللحظة ، فإنك تـراه يقـول بـأن إسـرائيل سـتبقى . ولكن الأحـاديث النبوية الشـريفة ، تـرفض ما يقوله الواقع وتؤكد زوالها ، قبل ظهـــور المهـــدي والخلافة الإســـلامية ، ولكن كيف ؟ ومن ؟ ومـــتى ؟ ، وللإجابة على هذه الأسئلة كان لا بد من البحث . ومن هناك ، وقبل ثلاث سنوات تقريبا ، كانت البداية .

ما يملكه عامّة المســلمين في بلادنا من معتقــدات ، فيما يتعلّق بتحرير فلســطين ، يتمحــور حــول ثلاثة عبـارات تقريبا ، هي : أولا ؛ عبـارة " شـرقي النهر وهم غربيه " المشهورة لدينا ، بين فلسطينيي الشتات ، وثانيا ؛ عبارة " عبادا لنا " ، وثالثا ؛ عبارة " وليـدخلوا المسـجد " . والتفسـيرات المعاصـرة لهـذه العبـارات في مجملها ، حصـرت التحرير بقيام الخلافة الإسلامية ، حتى أصبحت من الأمـور العقائدية ، ويـؤمن بصـحتها الكثير من الناس ، إن لم يكن الأغلبية العظمى .

أما حديث لا تقوم الساعة حـتى تقـاتلوا اليهـود ، ويا مسـلم يا عبد الله ، الـذي غالبا ما نتدواله ، فهو يتحدث عن مسلمين حقيقـيين ، لن يتـوفروا في ظل هـذه الأجـواء على المدى القريب ، أو يتحدّث عن خلافة إسلامية ، ومما أعلمه أن الخلافة الإسـلامية ، لن تكـون إلا بظهـور المهـدي ، وخلاف ذلك لم أجد في السـنة النبوية ، من الأحـاديث ما يشير إلى هذه الفترة ، فهي مغيبة تقريبا ، إلا من حديث هنا ، أو هناك .

في النصف الثاني من عام 1998م ، ومن خلال البحث الأولي في العديد من المصـادر ، أمسكت ببعض الخيـوط ، الـتي قـادتني بـدورها إلى الآيـات ، الـتي تحكي قصة العلو والإفســاد اليهــودي في ســورة الإســراء ، فطفقت أســبر معــاني ألفاظها وعباراتها وتركيباتها اللغوية ، فتحصـلّت على فهم جديد لآيـات هـذه السـورة ، يختلف تماما عن معظم ما تم طرحه ســابقا ، ومن خلال هـــذا الفهم اســـتطعت الإجابة على معظم تساؤلاتي ، وتساؤلات أخرى كانت تـرد في ذهـني ، بين حين وآخر ، أثنـاء كتـابتي لهـذا البحث .

عادة ما كنت أطرح ما توصلت إليه ، شفاها أمام الآخـرين ، وغالبا ما كـانت أفكـاري ، تُجابه بالمعارضة أحيانا بعلم ، وأحيانا من غـير علم ، وغالبا ما كـان النقـاش يأخذ وقتا طويلا ، وكان هناك الكثير ممن يرغبون بالمعرفة ، كل حسب دوافعه وأســبابه الخاصة ، وكانت الأغلبية تفاجأ بما أطرحه من أفكار ، فالقناعـات الراسـخة لـدى الأغلبية ، مما سـمعوه من النـاس أو وجـدوه في الكتب ، والواقع الـذي يرونه بـأم أعينهم ، يخـالف بصريح العبارة ما أذهب إليه .

والمشكلة أن الأمر جدّ خطير ، فالواقع الجديد والمفـاجئ ، الـذي سـيفرض نفسه بعد عــدة شـهور ، عنـدما يـأتي أمر الله ، ولا ينطق الحجر والشـجر بشـيء ! كما كـانوا يعتقـدون ، سـيوقع النـاس في الحـيرة والارتبـاك . وتتلاطم الأفكـار والتسـاؤلات في الأذهان تلاطم الموج في يوم عاصف ؛ ما الـذي جـرى ؟ وما الـذي يجـري ؟ وما الـذي سيجري ؟

لذلك وجدت نفسي ملزما بإطلاع النـاس ، على ما تحصّـلت عليه ، وعلى نطـاق أوسع من دائرة الزملاء والأقارب . وبالرغم من محدودية قدراتي وتواضـعها ، إلا أني حـاولت جاهدا ، أن أصهر كل ما توصلت إليه ، مما علّمني ربي ، في بوتقة واحدة . تمثّلت في هذا الكتاب ، الذي بين أيديكم ، في أول محاولة لي للكتابة ، كمساهمة متواضعة ، في الـدعوة إلى الله ، ونصـرة لكتابه الكـريم ، قبل أن يوضع على المحك ، عنـدما يتحقّق أحد أعظم الأنباء المستقبلية ، بشكل مخالف ، لما اعتادوا أن يسـمعوه ويقـرءوه ، من آراء وتفسيرات ، كثرت في الآونة الأخيرة ، تتنـاول ما تُخـبر عنه سـورة الإسـراء ، من إفساديّ بني إسرائيل .

كما وحـاولت جاهـدا أن أقـدم هـذا الكتـاب ، في أسـرع وقت ممكن ، بعد أن تـأخرت سنتين وأكثر ، شغلتني فيها مشاكل الحياة الدنيا ومصائبها ، عن إخراج هذا الكتاب إلى حيّز الوجود ، ومن ثم لأسعى لإيصاله ، إلى أكبر عدد من أمة الإسـلام ، لعله يجد فيهم من يلق السمع وهو شهيد ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا الكتاب سيكون بإذن الله ، متوافرا باستمرار ، ضمن موقع خـاص به ، على شـبكة الإنـترنت ، وإن تعـذّر الـدخول إليه ، لسـبب أو لآخر ، فبالإمكـان الوصـول إليه ، عن طريق محرك بحث جوجل (www.google.com) بكتابة عنوان الكتـاب كـاملا ، أو أحد العبارات الموجودة على صفحة الغلاف ، حيث تستطيع من خلال هذا الموقع :

1. الحصول على أحدث نسخة من الكتاب .
2. إبداء أي ملاحظة أو استفسار .
3. متابعة أطروحات جديدة ، قد تصدر للمؤلف مستقبلا .

20 / 7 / 2001م _ 29 / 4 / 1422هـ

المؤلف

تعقيب

من خلال ردود الأفعال الأولية لبعض الأخوة ، سواء من قرأ أو من لم يقرأ الكتاب ، وجدنا أن الكثير من الناس ، تخلط ما بين أمرين ؛ الأمر الأول : هو كشف الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وهو ما لا ندعيه في كتابنا هذا ، ونعوذ بالله من أن ندعيه ؛ والأمر الثاني : هو قراءة وبيان وتفصيل ، ما هو مكشوف أصلا في القرآن والسنة ، من علم الغيب ، مما أوحى سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام .

يقول سبحانه وتعالى (**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، ...** (59 الأنعام) ، ويقول (**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** (65 النمل) ، وقد جاء أسلوب النفي ومن ثم الإثبات في هذين الموضعين ليفيد الحصر ، أي حصر علم الغيب بالله دون غيره ممن في السموات والأرض ، وهذا ما يعلمه عامة الناس ويرددونه عن ظهر قلب ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هل هذا الحصر مطلق ؟

فإن كانت الإجابة بنعم ، فما القول في الإستثناء الذي جاء في قوله تعالى (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** (179 آل عمران) ، وفي قوله (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** (26)۔ **إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ، ...** (27 الجن) ، حيث استثنى سبحانه وتعالى الرسل عليهم السلام من تلك القاعدة ، إذ يقول (**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** (49 هود) ،ويقول (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (52 الشورى) . ليتبين لنا ، أن الله سبحانه وتعالى أطلع على غيبه من شاء من رسله ، وبذلك لم يحجب علم الغيب بالكلية عن البشر ، والإتيان بالحصر ثم الاستثناء ، يفيد بأن مرد العلم بالغيب أولا وأخيرا هو علام الغيوب ، وكذب وخاب من استقى علمه بالغيب من غيره .

أما ما كُشف للرسل فهو بعض من علم الله ، بما كان وما هو كائن وما سيكون ، مما اقتضت الحكمة الإلهية كشفه للناس عن طريق الوحي ، وكثير من هذا الغيب ، مخطوط فيما ورثته البشرية من كتب الأنبياء ، وفضلا عما جاء في القرآن من أنباء الغيب ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام بالكثير من أنباء الغيب ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وأفاضت الأحاديث النبوية في ذكر ما سيقع في مستقبل الأمة من فتوحات وفتن وابتلاءات ومحن وأشراط وأمارات للساعة .

وأما قوله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم (**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** (50 الأنعام) ، وقوله : (**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (188 الأعراف) ، لا ينفي علمه عليه الصلاة والسلام لبعض الغيب ، وما قيل له ذلك إلا ليجيب من يسأله عما لم يعلم من أنباء الغيب ، أو ما لا حكمة في الإخبار عنه مما علم .

تميزت النصوص النبوية التي تتحدث عن أحداث المستقبل ، سواء في القرآن والسنة أو في التوراة والإنجيل ، بالتلميح لا بالتصريح ، فهي غالبا ما تصف الشخوص والأزمان

والأماكن والظـروف والنتـائج ، باسـتخدام عـدة أسـاليب لغوية ، كالاسـتعارة والتشـبيه والالتفات والاعتراض وما إلى ذلك ، مما هو غـير مـألوف لأنـاس هـذا الزمـان ، وخـير مثال على ذلك هو ذكر اسم رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في التــوراة والإنجيل ، (أحمد) بـــالمعنى لا باللفظ ، وأحمد لغة هي اسم التفضـــيل من (حمد) ، ومعناها أحمد النــاس أو أكــثر النــاس حمــدا ، مع أن اســمه - محمد - في الواقع جــاء بنفس المعنى مع اختلاف اللفظ .

والحكمة التي قد لا يدركها الكثير من النـاس ، من عـدم وضـوح النصـوص النبوية ، هو بقاء نسبة ضئيلة من الشك ، لحرمان الناس ذوي العلاقة من الـدافع لتعطيل مجريـات الأمــور ، إذ لا بد للأســباب والمسـببات أن تأخذ مجراها ، من حيث الزمــان والمكــان والشخوص ، حتى تتحقق النبوءات كما تم الإخبار عنها .

ولنا في قصة فرعون مع موسى عليه السلام خـير مثـال على ما قد يفعله المجرمـون لتعطيل أمر الله ، عندما أمر بـذبح مواليد بـني إسـرائيل كافة ، لمجـرد رؤيا منـام علم من تأويلها ، بأن واحدا منهم سـيكون سـببا في تقـويض أركـان ملكه ، ورغم ما اتخـذه من إجراءات وتدبيرات احترازية لحرمان هذا الطفل من الحيـاة ، إلا أن مكر الله كـان أعظم وأكــبر ، وبــالرغم من قدرته سـبحانه على منع فرعــون من إيذائه دون تــدخل بشـري ، إلا أنه أوحى لأم موسى بـأن تتخذ من الأسـباب ، ما هو كفيل بتحقيق المـراد الإلهي .

هذا ما كان من أحد المجرمين والعتاة لمجرد رؤيا منام ، فماذا لو أتاه نص صـريح بـأن الذي سيقوض أركان ملكه ، هو ذلك الطفل الذي سيأتي به اليم إلى قصره ، فهل كان فرعون سيتخذه ربيبا ، أم ماذا سيفعل به ؟

وللنـاس من أمر النبـوءات الـواردة في القـرآن والسـنة مواقف شـتى ، فمنهم من لا يـــرغب بـــالفهم ، ومنهم من ليس لديه القــدرة على الفهم ، ومنهم من يعتقد بـــأن لا جدوى من البحث في أمرها ، ومنهم من يحاكمها بنـاء على أهـواءه وأحلامه ، فيأخذ ما اتفق وينكر ما اختلف . ولذلك تجد بعض النـاس ، عند الحـديث عن المسـتقبل ، يقـول مستنكرا لا يعلم الغيب إلا الله .

ونحن كمسلمين مطلوب منا أن نؤمن بالغيب المخبر عنه في القـرآن والسـنة ، لقوله تعالى (**الم** (1)ـ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيـهِ هُـدًى لِلْمُتَّقِينَ** (2) **الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُـونَ** (3 البقـرة) ، وأعظم الغيب هو وجـــود الله ، ونحن وآباؤنا لم نعلم بوجـــود الله ولم نعرفه حق المعرفة ، ولم نعلم باليوم الآخر وما سيجري فيه من بعث وحسـاب وثـواب وعقـاب ، إلا من خلال القـرآن الموحى به من عند الله جل وعلا إلى محمد عليه الصلاة والســلام ، وما دمنا آمنا بالله وبـاليوم الآخر من خلال كتابه ، فما لنا لا نـؤمن بما سـواها من أخبـار الغيب مما حـواه هذا القرآن العظيم بين جنباته .

يقــول سـبحانه وتعـالى (**كَمَا أَرْسَـلْنَا فِيكُمْ رَسُـولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ، وَيُـزَكِّيكُمْ ، وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ ، وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُـوا تَعْلَمُـونَ** (151 البقرة) ، لم يُبعث عليه الصلاة والسـلام فقط ليتلو علينا القـرآن ، بل بُعث أيضا ليُزكينا وليعلمنا الكتاب والحكمة ، وليعلمنا ما لم نكن نعلم من قبل ، لنخلص من هــذه الآية وغيرها من الآيات التي جاءت بنفس النص ، أن هناك شيء اسـمه الحكمة ، يـراد لنا أن نتعلمه من القــرآن والســنة ، لكل ما ورد فيها من تشــريعات وحــدود وأوامر ونــواهي وأخبــار الماضي والمسـتقبل ، قررها سـبحانه في أواخر الآيــات وفي نهاية القصص ، كل حسب موضوعه .

ومن مجمل الآيات الـتي ورد فيها نبـوءات مسـتقبلية ، تـبين لنا وحسب ما تقـرره تلك الآيات أن هنـاك حِكما إلهية من الإخبـار عنها ، وقد حُصـرت هـذه الحِكم الإلهية عموما في أمرين :

أولا : أن معرفة الخبر قبل تحققه من القرآن أو السنة ، هي بمثابة زف البشرى للذين آمنوا ، ونذير للذين كفروا ، من الذين يعايشون ظروف الحدث المخبر عنه . وهـذا مما يملأ نفــوس المؤمــنين بالأمل ، ويعطيهم الــدافع للعمل ، دون كلل أو ملل ، ويلهمهم الصبر على ما أصابهم من الأسقام والعلل ، ويملأ نفـوس الكفـرة والمنكـرين الخـوف والترقب والحذر ، ويزيدهم تحديا وطغيانا وكفرا ، لدرجة أن يتحـدّوا الله ليـنزل بهم ما يعدهم من العذاب ، كما هي عادة الجبابرة والظلمة والمفسدين في الأرض .

ثانيا : أن معاينة الحــــدث عند تحققه على أرض الواقع تماما كما ورد في القــــرآن أو السنة ، سـيكون بالضـرورة سـبب لزيـادة إيمـان المؤمـنين بـربهم وكتبه ، وزيـادة في اجتهــادهم بعبادته ، وأما للــذين كفــروا فهو زيــادة في قهــرهم وإذلالهم ، رغم كل ما أخذوه من إجراءات احترازية درءا ومنعا لأمر الله .

أما من يدّعي بأن لا حكمة ولا فائدة من الإخبار عنها ، وأن معرفتها على حقيقتها يبعث في النفس اليــأس والقنــوط والتواكل ، فأولئك يقولــون على الله ما لا يعلمــون ، لمخـالفتهم لما اقتضـته الحكمة الإلهية من الإخبـار عنها ، ويـدّعون بـأنهم أكـثر حكمة وعلما من أحكم الحاكمين وأعلم العالمين .

وخلاصة القول : أننا لم نكشف شيئا من الغيب ، وما قمنا به لم يتعدى حـدود القـراءة والتفكر والتدبر ، فيما أنزل رب العزة على رسله وأنبيائه من أخبـار الغيب ، وبـذلنا ما وفقنا الله إلى بذله ، من جهد في فهمها واسـتيعابها وتفصـيلها وتبسـيطها وتقـديمها للناس بلغة يفهمونا ، وما لنا في ذلك من فضل ، إن الفضل إلا لله .

وفي نهاية الأمر ، وبعد مخاض عسير ، كان هذا الكتاب ، الذي نعرضه مجانا ، ونحــاول جهدنا إيصاله للناس في شتى بقاع الأرض ، ونشكر كل من سـاهم في نشـره ، وغايتنا سواء أصبنا أو أخطانا ، هي نفع الناس في دينهم ودنياهم ، وإنما الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى .

وبضاعتنا في هذا الكتاب مستقاة ، من كتـاب الله وسـنة رسـوله ، والنـاس أحـرار في شرائها أو الإعراض ، فصانعها بشري متهم ، حيث لا وحي يوحى ، بعد وفاة المصطفى عليه الصـلاة والسـلام ، ولا نفرضـها على أحد ، ولكن لا عليك إن اطلعت عليها ، فهي إن لم تنفعك ، فلن تضرك في شـيء ، مع يقيننا الشخصي ، بأنها لا تخلو من الفائـدة ، بل فيها الكثير ، كما أجمع معظم من حظي بقـراءة هـذا الكتـاب ، وتـذكر أنك حر فيما اعتقدت بشأن هذه البضاعة .

أما بالنســبة لمسـألة تحديد موعد من خلال العد ، فهو نتيجة لعملية عــدّ في كلام الله ومن كتاب الله ، وما هو بقـراءة في فنجـان ، أو نظر في النجـوم ، وما طرحنا الفصل الخاص بهذه المسألة ، والـتي قد تصـيب وقد تخطئ ، إلا بعد أن تولـدت لـدينا قناعة ، بصــــرف النظر عن المواعيد المطروحة في ذلك الفصل ، تقـــول بـــأن نهاية كل من إسرائيل وأمريكا ، قريبة جدا جـدا ، ومجريـات الأمـور سـتأخذ منحى مغـايرا لما عليه الحــال الآن ، وسـيكون التغـير سـريعا ومفاجئا ومضــطردا ، بحيث تأخذ النـاس حالة مستمرة من الخوف والترقب ربما تدوم لعدة سنين .

أما ما نـود قوله لقـرّاء هـذا الكتـاب ، هو أن يأخـذوا بأحسن ما في هـذا الكتـاب ، وأن يتركوا ما هو دونه ، تماشيا مع ما أخبر به أتباع رسله الكـرام ، في حق ما أنزله عليهم

من الهـدي ، قـال تعـالى (**فَبَشِّرْ عِبَـادِ ، الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ ، فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ ، وأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** (18 الزمر) .

هذا ما قاله رب العزة في حق كتبه ، وما أنـزل فيها من الهـدي على رسـله ، فما بالك بقولنا في حق كتـاب ، أنجـزه عبد من عبـاد الله ، لا ولن يصل إلى حد الكمـال ، مهما بذل من جهد ، والعقل البشري له حدود وطاقات ، مهما بلغ من إبداع ، فإن أصاب في شيء أخطأ في أشياء ، وكل إنسـان في نهاية المطـاف لدية قـدر من الحكمة ، ليمـيز الغث من السمين فيما قرأ أو سمع .

ونسأل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل

أُضيف هذا التعقيب بتاريخ

15 / 3 / 2002م – 1 / 1 / 1423هـ

المؤلف

زوال إسرائيل قبل ظهور المهدي

استفاضت كثير من المؤلفات لكبار العلماء والأئمة ، في ذكر المهدي وسيرته ، وأكدت على حتمية خروجه آخر الزمـان ، ومن هـؤلاء على سـبيل المثـال لا الحصر ، ابن حجر والشوكاني والسيوطي والصابوني وغيرهم ، وهناك من أفرد له بابا ، أو كـان له مقـالا في كتـاب ، كالـذهبي وابن تيميه وابن القيم والقرطـبي والـبرزنجي وغـيرهم . وهنـاك الكثير من الكتب المتخصصة الحديثة ، جمعت أقوال أولئك العلماء والأئمة في المهدي وأحداث آخر الزمـان ، فمن رغب بالاسـتزادة فلـيرجع إليها ، فهي متـوافرة بكـثرة في المكتبات هذه الأيام ، والإلمام المسبق بالأحاديث الواردة في المهدي ، سيساعد كثيرا في فهم ما استخلصته من أفكار في هذا الفصل .

وأما من ينكر أحاديث المهدي ، فلا التفات لقوله ، فالأحاديث الصريحة وغـير الصـريحة ، الـتي أتت على ذكر أخبـار المهـدي ، بلغت حد التـواتر المعنـوي ، وقد ورد فيها ما يُقارب الأربعين حـديثا . وما سـنتناوله منها ، هو ما يخص موضـوع هـذا الكتـاب فقط . وأود أن أشير إلى أن ذكر المهدي قد جاء في التوراة ، حيث أن الترجمة العربية للنص التـوراتي ، تُسـمّيه (بالقـدّوس) في موضع (وبالغصن) في موضع آخر ، وهـذا النص موجود مع التعليق ، في فصل النبوءات التوراتية . وقد تنبأ بظهوره (نوسـتراداموس) مفسّر النبوءات التوراتية ، وأشار إليه بألفاظ صريحة ، سنوردها في فصل لاحق .

وللحقيقة ، ومن خلال اطلاعي على الكثـير ، من دراسـات وأبحـاث الغربـيين ، الـتي تتنـاول النبـوءات التوراتية والإنجيلية ، الخاصة بأحـداث النهاية ، تـبيّن لي بـأن اليهـود والنصارى ، أكثر إيمانا ويقينا ، من عامة المسلمين ، بحتمية ظهور المهدي ، وانتصـاره في كافة حروبه ، واتخـاذه للقـدس عاصـمة لملكه ، وامتـداده لمسـاحات شاسـعة من الأراضي . ولأنهم يعلمون بأن النهاية قد اقتربت ، ويعتقدون بأنه سيقود تحالفا عسكريا ضد الغـرب ، ينجم عنه دمـار الحضـارة الغربية برمتها ، فهم يتوقعـون ظهـوره في أي لحظة ، ويخشـون أن يظهر وأن تقـوى شـوكته ، وهم في غفلة من أمـرهم ، فلـذلك تجدهم يُحاولون تجنيد العالم بأسـره ، ضد ما يُسـمّونه بالإرهـاب الإسـلامي ، خوفا من ذلك المصير المشؤوم الذي ينتظرهم ، عند ظهور أمره .

غربة الإسلام :

عَنْ ثَوْبَـانَ ، قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : (**يُوشِـكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ ، كَمَا تَـدَاعَى الْأَكَلَـةُ إِلَى قَصْـعَتِهَا ،** فَقَـالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِـيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَـاءٌ كَغُثَـاءِ السَّـيْلِ ، وَلَيَنْـزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْـوَهْنَ ،** فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : **حُبُّ الـدُّنْيَا وَكَرَاهِيَـةُ الْمَـوْتِ**) رواه أبو داود وأخرجه أحمد ، وصحّحه الألباني .

عَنْ ابْنِ عُمَـرَ عَنْ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ : (**إِنَّ الْإِسْـلَامَ بَـدَأَ غَرِيبًا ، وَسَـيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَـدَأَ ، وَهُـوَ يَـأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْـجِدَيْنِ كَمَا تَـأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**) رواه مسـلم ، وأخرجه الترمـذي وابن ماجه وأحمد والـدارمي ، وصـححه الألباني .

قبل ظهور المهدي ستشـهد الأمة الإسـلامية ، عصـرا حالك السـواد ، من كـثرة الظلم والجور والفساد ، يتميز بوجود قلة مؤمنة صابرة متمسكة بدينها ، لا حول لها ولا قوة ،

تنتظر حتى يأتي الله بأمر من عنده ، وكثرة طاغية فاسدة ومفسدة متمسكة بــدنياها ، هم غثاء كغثاء السيل .

جيش يغزو الكعبة بداية ظهور أمر المهدي :

عَنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، (قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : **يَغْـزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْـدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ ، يُخْسَـفُ بِـأَوَّلِهِمْ وَآخِـرِهِمْ** ، : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، وَفِيهِمْ أَسْـوَاقُهُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَـالَ : **يُخْسَفُ بِـأَوَّلِهِمْ وَآخِـرِهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُـونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**) رواه البخـاري ، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِـهِ ، (فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِـكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُـهُ ، فَقَـالَ : **الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ الْبَيْتِ ، <u>بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَـأَ بِـالْبَيْتِ</u> ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ** ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ ، قَالَ **: نَعَمْ فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُـورُ وَابْنُ السَّـبِيلِ ، يَهْلِكُـونَ مَهْلَكًا وَاحِـدًا ، وَيَصْدُرُونَ مَصَـادِرَ شَـتَّى ، يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**) ، رواه مسـلم ، وأخرجه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد ، وصححه الألباني .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَـالَتْ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : (**جَيْشٌ مِنْ أُمَّتِي يَجِيئُونَ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، يَؤُمُّونَ الْبَيْتَ لِرَجُـلٍ يَمْنَعُـهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَـةِ خُسِـفَ بِهِمْ ، وَمَصَـادِرُهُمْ شَـتَّى** ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِهِمْ جَمِيعًا وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى ، فَقَالَ : **إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ ثَلَاثًا**) رواه أحمد بهـذا النص ، ورواته ثقـات ، إلا واحـدا وثقه البعض وضعفه آخرون .

بداية ظهـور المهـدي سـتكون في مكة بـإذن الله ، وفـور معرفته تسـارع قلة من تلك القلة ، لمبايعته على الإمـارة ، فيلجأ إلى الحـرم تهرّبا ويعتصم به . ويظهر أمـره شـيئا فشيئا ، فيُبعث إليه بجيش يغزو الكعبة ، فيخسف به في الصحراء ما بين المدينة ومكة .

هذه الأحـاديث الثلاثة متوافقة من حيث النص والمضـمون ، غـير أن الحـديث الثـالث ، أضــاف عبــارة توضّــح مخــرج ذلك الجيش . ومع أن أحد الــرواة ضــعفه ، إلا أن تلك الإضافة (من قبل الشام) تتفق والتفسـير المنطقي ، للأحـداث الموصـوفة في جملة أحاديث هذا الفصل .

لنخلص إلى ما يلي :

1. أن جيشا سيغزو مكة .
2. وهذا الجيش من أمة محمد عليه الصلاة والسـلام ، ويعجب رسـول الله ويحق له العجب ، فما آل إليه أمر أمة الإسـلام هــذه الأيــام ، يثــير ما هو أكــثر من العجب والشفقة ، حتى في نفوس أعدائنا .
3. ومقصد هـذا الجيش رجل من قــريش يلجأ إلى الحــرم ، وغايته وأد بــؤرة الخلافة الإسلامية في مهدها ، خوفا من أن تزلزل أركان عبدة الحياة الدنيا .
4. يُخسف بهذا الجيش في الصحراء قبل وصوله إلى مكة .
5. ومخرج هذا الجيش من قبل الشام ؟!

عمران بيت المقدس يعقبه خراب المدينة المنورة :

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ** ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا ، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ يَعْنِي مُعَاذًا) . رواه أبو داود ، وأخرجه أحمد ، وصححه الألباني .

تعمر بيت المقدس في آخر الزمان ، برجوعها إلى الحكم العربي ، واتخاذها عاصمة للحكم ، فيرسل حاكمها جيش إلى الكعبة ، عند ظهور أمر المهدي ، فيخرب المدينة المنوّرة في طريقه إلى مكة ، ومن ثم يُخسف بجيشه ، قبل أن يصلها بالقرب من ذي الحليفة ، وهي ميقات إحرام أهل المدينة ، بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، وبينها وبين مكة مسيرة عشرة أيام .

المهدي لا يغزو العراق وبلاد الشام :

عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ ، قال : قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ نَافِعٌ : يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ**) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد ، وصححه الألباني .

وتجمع جزيرة العرب لقتال المهدي وصحبه ، فيغزونها فيفتحها الله فتدين لهم ، ومن ثم يخرجون إلى إيران فيفتحها الله فتدين لهم ، ومن ثم يغزون الروم فيفتحها الله ، ومن ثم يخرج الدجال ، فيغزونه بمعية عيسى عليه السلام ، فيفتحه الله .

ولو تدبرت هذا الحديث ، ستجد أن البلدان التي سيغزوها المهدي ، عندما يمسك بزمام الأمور ، هي بالترتيب ؛ أولا : **جَزِيرَةَ الْعَرَبِ** ثانيا : **فَارِسَ** أي إيران ، ثالثا : **الرُّومَ** أي روسيا وأوروبا الشرقية ، رابعا : **الدَّجَّالَ ،** والملاحظ في هذا الحديث ، عدم ورود ذكر فتح بلاد الشام والعراق ، التي لا بد للمهدي من المرور بها ، عند خروجه لفتح فارس ، ولفتح الروم الذين سيُلاقونه بالقرب من مدينة دمشق .

فلو كانت دولة إسرائيل قائمة في فلسطين ، أليس من الأحرى بالمهدي ومن معه تحريرها ، فور خروجه من جزيرة العرب ؟!

يظهر بوضوح في هذا الحديث ، أن كل واحد من هذه الأمور ، أمارة لوقوع ما بعده ، كما هو الحال في الحديث السابق ، وكل منهما يتقاطع مع الآخر في نقطتين ، هما ؛ أولا : غزو الروم ويقابلها خروج الملحمة ، وثانيا : غزو الدجال ويقابلها خروج الدجال ، ويضيف الحديث الأول ثلاثة أحداث ، هي عمران بيت المقدس ، وخراب يثرب ، وفتح القسطنطينية .

حتمية نزول الخلافة في بيت المقدس :

عن ابْنُ حَوَالَةَ عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ ، مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**) رواه أحمد ، وأخرجه أبو داود والحاكم ، وصححه الألباني .

عند خـروج المهـدي إلى بلاد الشـام ، سـيتخذ القـدس عاصـمة لخلافته ، تنعم الأمة الإسـلامية خلال سـنوات حكمه ، بإقامة الحق والعـدل ورفع الظلم والجـور عن أمة الإسلام .

نستخلص من هذا الحديث ما يلي :

1. لا بد للخلافة من النزول في بيت المقدس آخر الزمان .
2. ونزولها هنـاك يعـني بـدء ظهـور الفتن والكـوارث الطبيعية ، ومن ثم علامـات الساعة الكـبرى ، بداية بظهـور الـدجال ، ونـزول عيسى عليه السـلام ، في نهاية حكم المهدي .
3. وهنا لا بد لنا من أن نشير ، إلى أن عبارة (نـزول الخلافة) ، ربما تشـمل الحكم العربي للقدس ، الذي تكثر فيه الفتن والحروب والاقتتال ، والموصوف بالظلم والجور ، قبل ظهور المهدي .

نطق الحجر والشجر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ، قَـالَ : (**لَا تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى يُقَاتِــلَ الْمُسْــلِمُونَ الْيَهُــودَ ، فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْــلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّـجَرُ : يَا مُسْـلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَـذَا يَهُـودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَـالَ فَاقْتُلْـهُ ، إِلَّا الْغَرْقَـدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَـجَرِ الْيَهُـودِ**) . رواه مسـلم وأحمد بنفس النص ، وصـححه الألبـاني ، وأخرجه البخـاري والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه ، بنصوص أخرى .

هذا الحديث روي بعـدة نصـوص ، وهـذا النص أشـهرها وأكثرها تـداولا بين العامة ، أما نطق الحجر والشجر ، فهو أمر خـارج عن المـألوف والعـادة ، ولا يُعقل أن تحصل تلك المعجزة في آخر الزمان ، قبل بدء ظهور أشـراط السـاعة الكـبرى على الأقل ، حـتى بظهور المهدي . فنطق الحجر والشجر ، أكثر إعجازا من نطق عيسى عليه السلام في المهد صـبيا . فمن المنطقي ألا يحـدث هـذا الأمر ، قبل ظهـور الأحـداث غـير المألوفة للناس ، كأشـراط السـاعة الكـبرى . ومن الأرجح أن يـتزامن هـذا الحـدث ، مع وجـود عيسى عليه السلام ، لكي يستقيم الأمر ، فالمعجزات غالبا ما تأتي على أيـدي الرسل ، وهذا ما تؤيده سورة الإسراء .

أما عبارة (شرقيّ النهر وهم غربيه) فلا أساس لها من الصـحة ، إذ لم أجد لها أصلا ، في أي من كتب الحـديث على اختلافها وكثرتها ، لا في صـحيحها ولا في ضـعيفها . ولا تعـدو أكـثر من كونها ، عبـارة أضـيفت إلى الحـديث من قبل العامة ، بعد قيـام دولة إسرائيل المعاصرة غربيّ النهر . وبالرغم من ذلك ، يُصرّ البعض على أنها موجودة في الأحاديث الضـعيفة . أما الـزمن الفعلي المتوقع لتحقق هـذه النبـوءة ، هو وقت نـزول عيسى عليه السلام ، وهـرب الـدجال ومن معه من اليهـود إلى فلسـطين ، حيث يُقتل على أبواب القدس .

خلاصة القول :

وبناءا على ما تقدم ، نقول أن زوال دولة إسـرائيل أمر حتمي ، يتبعه زوال حلفائها من الغـرب بالضـرورة ، قبل ظهـور خلافة المهـدي ، وأن من سـيقوم بتحريرها هو جيش عربي ، وأن صاحب هذا الجيش سيتخذ مدينة القدس عاصمة لملكه ، ومن ثم تدين له بلاد الشـام والعـراق ، وأن فـترة حكمه أو حكم من يخلفه ، سـتكون حافلة بـالظلم

والجـور ، وعند ظهـور أمر المهـدي في مكة ، يبعث حـاكم مدينة القـدس جيشا إلى الجزيرة ، لا قبل للمهدي وجماعته به ، فيُخرب المدينة المنورة ، لدى مروره بها متجها إلى مكة ، فيخسف الله بهم الأرض .

وآنذاك يظهر أمر المهدي ، فيهب إلى قتاله من رضوا بالحياة الدنيا واطمـأنوا بها ، من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، خوفا من عودة دين أكل الزمان عليه وشرب ، يدعوا إلى إخراجهم من غيّهم وضلالهم ، وحرمانهم مما يتلذّذون به من الشهوات والحرمـات ، الـتي اسـتحلّوها واسـتباحوها في هـذا العصر ، فاسـتعبدتهم فلا فكـاك لهم منها ، ولا يرضون عنها بديلا .

فتكون أولى مواجهات المهدي ، مع جيش آخر ، يُجمع له من جزيـرة العـرب ، فينتصر عليهم حربا ، وبعد أن يستتب له أمر الجزيرة يخـرج إلى أهل الشـام . فيتسـلم مقاليد الحكم فيها تسليما عن طيب خـاطر ، أو استسـلاما خوفا ورهبة ، ويتّخذ مدينة القـدس عاصمة لخلافته ، ومن ثم يخرج إلى إيران فيفتحها ، ويعود إلى بلاد الشام .

ومن ثم تكـون الـروم (نصـارى الشـرق) قد جمعت جيشا عرمرما ، قوامه قرابة المليون نفر ، فيخرج لملاقاتها ، فتقع الملحمة الكـبرى الفاصـلة بين الحق والباطل ، بـالقرب من دمشق ، فيكـون النصر في النهاية ، حليف المهـدي ومن معه من المسلمين . ومن ثم يخرج إلى القسطنطينية (اسـتنبول) ، فيفتحها بالتهليل والتكبـير من غير قتال ، وقريبا من نهاية حكمه يخرج الدجال ، فيعيث في الأرض فتنة وفسادا ، ويُحصر المهدي وصحبه في الشام ، فينزل عيسى عليه السلام ، فيهـرب الـدجال ومن تبعه من اليهـود إلى القـدس ، وهنـاك يلحقـون به فيقتله عليه السـلام ، ويتـولى المسلمون أمر البقية الباقية من اليهود ، فينطق الحجر والشجر ، فيبيدوهم عن بكـرة أبيهم ، بإذن الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والله أعلم .

هذا ما سيكون من أمر المهدي ، بإذن الله ، قدّمناه بشكل مختصر وموجز ، تناولنا فيه بعضا من سـيرة المهـدي ، الـتي تعرضت لفتوحاته آخر الزمـان ، مسـتندين إلى ما أوردناه من أحاديث صحيحة ، آخذين بعين الاعتبار ، أحاديث صـحيحة أخـرى ، لم يتسع المقام لإيرادها .

أما موضوع هذا الكتاب ، فهو يبحث إجمالا ، في حدثين عظيمين مفاجئين ، قبل ظهور المهدي ، وفي وقت قريب جـدا جـدا ، وهما ؛ أولا : نهاية الدولة اليهودية واختفائها إلى الأبد ، ثانيا : انهيار الحضارة الغربية العملاقة ومظاهرها المختلفة واختفائها إلى الأبد .

ما ستجده في ثنايا هذا الكتاب :

ـ الإجابة على التساؤلات المطروحة على صفحة الغلاف ، فيما يتعلق بالدولة اليهودية ، ومصيرها ومصير اليهود .

ـ الإجابة على كثـير من التسـاؤلات الـتي تـدور في أذهـان النـاس ، وتوضـيح كثـير من القضـايا الخلافية التاريخية ، فيما يخص تـاريخ وجغرافيا بـني إسـرائيل ، منذ نشـأتهم الأولى حتى قيام الساعة ، وخاصة فيما يتعلق بتواجدهم في فلسطين .

ـ استقراء وتحليل ما جرى ويجري على أرض الواقع ، في منطقتنا والعالم من حولنا .

ـ فهم حقيقة الصراع الدائر بين الغرب والشرق ، وحقيقة العـداء الغـربي للأمة العربية والإسلامية ، والذي بلغ أشدّه في العقود الأخيرة .

ـ تفسيرات منطقية للأحداث المستقبلية ، مدعّمة بالشواهد والأدلة من القرآن والسنة والتوراة والإنجيل والواقع ، ووضعها ضمن سياق زمني منطقي .

مختصر لمجمل أقوال المفسرين

قبل أن نبدأ في الإبحار ، في معاني ومقاصد آيات سورة الإسراء ، سنتجول قليلا ، في بعض كتب قدماء المفسّرين ، لنستعرض مجمل تفسيراتهم ، لهذه الآيـات ، ومجمل ما أوروده من روايـات وآثـار ، عن الإفسـاد والعلو في الأرض ، ووعـديّ الأولى والآخـرة ، ومن هؤلاء المفسرين : القرطبي وابن كثير والطبري والبيضـاوي ، والبغـوي والنحـاس والثعالبي ، وأبي السعود والشوكاني وابن الجوزي ، والسيوطي والنسفي والألوسي .

تعريف بسورة الإسراء :

قـال الألوسي في تفسـيره : " سـورة بـني إسـرائيل ، (وهو الإسم التـوقيفي لها) وتسـمى الإسـراء وسـبحان أيضا ، وهي كما أخـرج ابن مردويه عن ابن عبـاس وابن الزبير ، رضي الله تعالى عنهم مكية ، وكونها كذلك بتمامها قول الجمهـور . وقد أخـرج ابن جرير عن ابن عبـاس رضي الله تعـالى عنهما ، أنه قـال : ((إن التـوراة كلها في خمس عشرة آية ، من سورة بني إسـرائيل ، وذكر تعـالى فيها عصـيانهم وإفسـادهم ، وتخريب مسجدهم واستفزازهم النـبي ، وإرادتهم إخراجه من المدينة ، وسـؤالهم إيـاه عن الـروح ، ثم ختمها جل شـأنه ، بآيــات موسى عليه السـلام التسع ، وخطابه مع فرعـون ، وأخـبر تعـالى أن فرعـون أراد أن يسـتفزهم من الأرض ، فأهلك وورث بنو إسرائيل من بعده ، وفي ذلك تعريض بهم ، أنهم سينالهم ما نال فرعـون ، حيث أرادوا بـالنبي ، ما أراد فرعـون بموسى عليه السـلام وأصـحابه ، ولما كـانت هـذه السـورة ، مصدرة بقصة تخريب المسجد الأقصى ، افتتحت بذكر إسراء المصـطفى تشـريفا له – أي المسجد الأقصى - بحلول ركابه الشريف فيه ، جبرا لما وقع من تخريبه)) " .

الآيات :

قال تعـالى (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْـرائِيلَ فِي الْكِتَـــابِ لَتُفْسِـدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** (4) **فَإِذَا جَاءَ وَعْـدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَـادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَـدِيدٍ فَجَاسُـوا خِلَالَ الـدِّيَارِ وَكَـانَ وَعْـدًا مَفْعُـولًا** (5) **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِـأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـاكُمْ أَكْثَـرَ نَفِـيرًا** (6) **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** (7) **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** (8) **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُـونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** (9) **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (10) **وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا** (11) **... وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَـيْءٍ فَصَّـلْنَاهُ تَفْصِـيلًا** (12 **الإسراء)**

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَـرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ : وأوحينا إليهم في التـوراة ، وحيا مقضـيا مبتوتا .

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ : لتفسدن في الأرض ، جواب قسم محذوف ، والمراد بالأرض الجنس ، أو أرض الشام وبيت المقدس ، ومرتين إفسادتين .

وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا : ولتستكبرن عن طاعة الله ، من قوله أن فرعون علا في الأرض ، والمراد به البغي والظلم والغلبة ، لتستكبرن عن طاعة الله تعالى ، أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان ، وتفرطن في ذلك إفراطا مجاوزا للحد ، وأصل معنى العلو الارتفاع ، وهو ضد السفل وتجوّز به عن التكبر ، والاستيلاء على وجه الظلم .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5)

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا : والوعد بمعنى الموعود ، مراد به العقاب ، وفي الكلام تقدير ، أي فإذا حان وقت حلول العقاب الموعود ، وقيل الوعد بمعنى الوعيد ، وفيه تقدير أيضا ، وقيل بمعنى الوعد الذي يراد به الوقت ، أي فإذا حان موعد عقاب أولى الإفسادتين .

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا : البعث بالتخلية وعدم المنع (البيضاوي) ، وقال الزمخشري : " خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم وفيه دسيسة اعتزال " ، وقال ابن عطية : " يحتمل أن يكون الله تعالى ، أرسل إلى ملك أولئك العباد رسولا ، يأمره بغزو بني إسرائيل ، فتكون البعثة بأمر منه تعالى " .

أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ : ذوي قوة وبطش في الحروب ، والبأس والبأساء في النكاية ، ومن هنا قيل ، إن وصف البأس بالشديد مبالغة .

فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ : قال الجوهري " الجوس مصدر ، وقولك جاسوا خلال الديار ، أى تخللوها كما يجوس الرجل للأخبار أى يطلبها " ، أي عاثوا وافسدوا وقتلوا وتخللوا الأزقة بلغة جذام ، بمعنى الغلبة والدخول قهرا ، وقال الزجاج : " طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي احد لم يقتلوه "، والجوس طلب الشيء باستقصاء ، وقال الألوسي : " والجمهور على أن في هذه البعثة ، خرب هؤلاء العباد بيت المقدس ، ووقع القتل الذريع والجلاء والأسر في بني إسرائيل ، وحرقت التوراة " .

وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا : قضاء كائنا لا خلف فيه ، وكان وعد عقابهم لا بد أن يفعل ، أي لا بد من كونه ، مقضيا أي مفروغ منه .

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ : ثم للعطف ، وتفيد التراخي في الزمن ، يقول الألوسي " جعل رَدَدَنا ، موضع نَرُدُّ ، فعبر عن المستقبل بالماضي " ، ويُضيف في تفسير قوله تعالى (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**) ، أي رددنا الإنسان أسفل سافلين من النار ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون بعد البعث والجزاء " ، وهذه الكرة بعد الجلوة الأولى ، أي الرجعة والدولة والغلبة ، على الذين بُعثوا عليكم .

وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ : أعطاهم الله الأموال والأولاد .

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا : والنفير أي القوم الذين يجتمعون ، ليصيروا إلى أعدائهم فيحاربوهم ، وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو ، أي أكثر رجالا من عدوكم ، والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرته .

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا : وهذا الخطاب قيل أنه لبني إسرائيل الملابثين ، لما ذكر فى هذه الآيات ، وقيل لبني إسرائيل الكائنين في زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعناه إعلامهم ما حل بسلفهم فليرتقبوا مثل ذلك ، وأن إحسان الأعمال وإساءتها مختص بهم ، والآية تضمنت ذلك ، وفيها من الترغيب بالإحسان ، والترهيب من الإساءة ، ما لا يخفى فتأمل .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : أى حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الآخرة ، وجواب إذا محذوف تقديره بعثناهم لدلالة جواب إذا الأولى عليه ، فالظاهر فإذا جاء وإذا جاء للدلالة ، على أن مجيء وعد عقاب المرة الآخرة ، لم يتراخ عن كثرتهم واجتماعهم ، دلالة على شدة شكيمتهم في كفران النعم ، وأنهم كلما ازدادوا عددا وعدة ، زادوا عدوانا وعزة ، إلى أن تكاملت أسباب الثروة والكثرة ، فاجأهم الله عز وجل على الغرّة ، نعوذ بالله سبحانه من مباغتة عذابه .

لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ : اللام لام كي ، وليسوءوا متعلق بفعل حُذف لدلالة ما سبق عليه ، وهو جواب إذا ، أي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ، أي ليجعل العباد المبعوثون ، آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم ، إشارة إلى أنه جمع عليهم ألم النفس والبدن .

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ : اللام لام كي ، والضمير للعباد أولى البأس الشديد ، والمسجد مسجد بيت المقدس ، قال الألوسي : " فإن المراد به بيت المقدس ، وداود عليه السلام ابتدأ بنيانه ، بعد قتل جالوت وإيتائه النبوة ، ولم يتمّه ، وأتمّه سليمان عليه السلام ، فلم يكن قبل داود عليه السلام مسجد حتى يدخلوه أول مرة ، ودفع بأن حقيقة المسجد الأرض لا البناء ، أو يحمل قوله تعالى دخلوه على الاستخدام ، والحق أن المسجد كان موجودا ، قبل داود عليه السلام كما قدمنا " .

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ : كما دخلوه أي دخولا كائنا ، كدخولهم إياه أول مرة ، قال الألوسي: " والمراد من التشبيه أنهم يدخلونه بالسيف والقهر والغلبة والإذلال ، وفيه أيضا أن هذا يبعد قول ، من ذهب إلى أن أولى المرتين ، لم يكن فيها قتال ولا قتل ولا نهب " .

وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا : أي ليدمروا ويخربوا والتبار الهلاك ، وليتبروا أي يدمّروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم ، أو مدة علوهم ، أي ما علوا عليه من الأقطار وملكوه من البلاد ، وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد ، تتبيرا أي تدميرا ، ذُكرَ المصدر إزالة للشك وتحقيقا للخبر ، ما علوا مفعول لتبروا ، أي ليُهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ، أو بمعنى مدة علوهم .

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ : لبقية بني إسرائيل عسى ربكم ، إن أطعتم في أنفسكم واستقمتم أن يرحمكم ، وهذه العودة ليست برجوع دولة ، وإنما هي بأن يرحم المطيع منهم ، وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما السلام .

(ذلك لأن المتقدمين من المفسرين اعتبروا أن تحصّل المرتين ، كان قبل بعثهما عليهما السلام) .

وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا : وإن عدتم للإفساد بعد الذي تقدم ، عدنا عليكم بالعقوبة فعاقبناكم في الدنيا ، بمثل ما عاقبناكم به في المرتين .

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا : أي محبوسون في جهنم لا يتخلصون منها .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ : أي إلى الطريقة التي هي أصوب ، وقيل الكلمة التي هي أعدل .

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا : أي يُبشّر بما اشتمل عليه من الوعد بالخير ، آجلا وعاجلا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ويراد بالتبشير مطلق الإخبار ، أو يكون المراد منه معناه الحقيقي ، ويكون الكلام مشتملا على تبشير المؤمنين ببشارتين ، الأولى ما لهم من الثواب ، والثانية ما لأعدائهم من العقاب .

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)

وهو عذاب جهنم ، أي أعددنا وهيأنا لهم ، فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة ، عذابا مؤلما وهو أبلغ من الزجر ، لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وأفجع ، ولعل أهل الكتاب داخلون في هذا الحكم ، لأنهم لا يقولون بالجزاء الجسماني ، ويعتقدون في الآخرة أشياء لا أصل لها ، فلم يؤمنوا بالآخرة وأحكامها المشروحة ، في هذا القرآن حقيقة الإيمان ، والعطف على أن لهم أجرا كبيرا ، فيكون إعداد العذاب الأليم ، للذين لا يؤمنون بالآخرة مبشرا به ، كثبوت الأجر الكبير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ومصيبة العدو سرور يُبشّر به ، فكأنه قيل يبشر المؤمنين بثوابهم وعقاب أعدائهم ، ويجوز أن تكون البشارة مجازا مرسلا ، بمعنى مطلق الأخبار الشامل للأخبار بما فيه سرور للمؤمنين .

وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا (11)

وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ : ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه بالشر ، فيقول عند الغضب : اللهم العنه وأهلكه ونحوهما .

دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ : أي كدعائه ربه بالخير ، أن يهب له النعمة والعافية ، ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ، ولكن الله لا يستجيب بفضله .

وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا : بالدعاء على ما يكره أن يُستجاب له فيه ، قاله جماعة من أهل التفسير ، وقال ابن عباس : ضجرا لا صبر له على السراء والضراء .

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) :

أي كل ما تفتقرون إليه فى أمر دينكم ودنياكم ، فصلناه تفصيلا : بيناه تبينا لا يلتبس معه بغيره ، أي بيناه بيانا غير ملتبس ، فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا .

أقوال المفسرين في المبعوثين أولا وثانيا

من تفسير القرطبي :

" بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد ، هم أهل بابل ، وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى ، حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه ، قاله ابن عباس وغيره ، وقال قتادة : أرسل عليهم جالوت فقتلهم ، فهو وقومه أولوا بأس شديد ، وقال مجاهد : جاءهم جند من فارس ، يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصر ، فوعى حديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال ، وهذا في المرة الأولى فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل ، ذكره القشيري أبو نصر ، وذكر المهدوي : عن مجاهد أنه جاءهم بختنصر ، فهزمه بنو إسرائيل ثم جاءهم ثانية ، فقتلهم ودمرهم تدميرا ، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس ، وقال محمد بن إسحاق في خبر فيه طول : إن المهزوم سنحاريب ملك بابل ، جاء ومعه ستمائة ألف راية تحت كل راية ألف فارس ، فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى ، فرجعوا إلى بابل ، ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين ، واستخلف بختنصر وعظمت الأحداث في بني إسرائيل ، واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا ، فجاءهم بختنصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وقال ابن عباس وابن مسعود : أول الفساد قتل زكريا ، وقال ابن إسحاق : فسادهم في المرة الأولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة ، وذكر ابن إسحاق : أن بعض العلماء ، أخبره أن زكريا مات موتا ، ولم يقتل وإنما المقتول شعيا ، وقال سعيد بن جبير : في قوله تعالى (ثم بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل ، وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق ، فالله أعلم وقيل : إنهم العمالقة وكانوا كفارا قاله الحسن .

من تفسير ابن كثير :

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف ، في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ، فعن ابن عباس وقتادة : أنه جالوت الجزري وجنوده ، سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ، ولهذا قال (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) الآية ، وعن سعيد بن جبير : أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده ، وعنه أيضا وعن غيره : أنه بختنصر ملك بابل ، وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية ، لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن في غنية عنها ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية ، عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم ، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا ، وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء ، وقد روى ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب ، يقول : ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى

دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا ، فسألهم ما هذا الدم ؟ فقالوا أدركنا آباءنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ، قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم ، فسكن وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب ، وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم ، حتى أنه لم يبق من يحفظ التوراة ، وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم ، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه ، لجاز كتابته وروايته والله أعلم .

من تفسير الطبري :

فكان أول الفسادين قتل زكريا ، فبعث الله عليهم ملك النبط ، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم ، ثم إن بني إسرائيل تجهزوا فغزوا النبط ، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم ، قال ابن زيد : كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين ، قتل زكريا ويحيى بن زكريا ، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ، ملكا من ملوك النبط في الأولى ، وسلط عليهم بختنصر في الثانية .

عن حذيفة بن اليمان ، يقول : قال رسول الله : إن بني إسرائيل لما إعتدوا وعلوا وقتلوا الأنبياء ، بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر ، وكان الله قد ملّكه سبع مئة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها وفتحها ، وقتل علي دم زكريا سبعين ألفا ، ثم سبى أهلها وبني الأنبياء ، وسلب حليّ بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفا ومئة ألف عجلة من حليّ ، حتى أورده بابل ، قال حذيفة : فقلت يا رسول الله ، لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله ، قال : أجل بناه سليمان بن داود ، من ذهب ودر وياقوت وزبرجد ، وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وعمده ذهبا ، أعطاه الله ذلك ، وسخر له الشياطين ، يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين ، فسار بختنصر بهذه الأشياء ، حتى نزل بها بابل ، فأقام بنوا إسرائيل في يديه مئة سنة ، تعذبهم المجوس وأبناء المجوس ، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم ، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له كورش وكان مؤمنا ، أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم ، فسار كورش ببني إسرائيل وحلي بيت المقدس ، حتى رده إليه فأقام بنوا إسرائيل مطيعين لله مئة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي ، فسلط الله عليهم ابطيانحوس ، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر ، فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس ، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم يا بني إسرائيل ، إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء ، فعادوا في المعاصي ، فسيّر الله عليهم السباء الثالث ملك رومية ، يقال له قاقس بن إسبايوس ، فغزاهم في البر والبحر ، فسباهم وسبى حلي بيت المقدس ، وأحرق بيت المقدس بالنيران ، فقال رسول الله : هذا من صنعة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف سفينة وسبع مئة سفينة ، يرسى بها على يافا ، حتى تنقل إلى بيت المقدس ، وبها يجمع الله الأولين والآخرين " .

ثم اختلف أهل التأويل ، في الذين عنى الله بقوله أولي بأس شديد ، فيما كان من فعلهم ، في المرة الأولى في بني إسرائيل ، حين بعثوا عليهم ، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة ، وما كان من صنعهم بهم ، فقال بعضهم : كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة ، وفيما روي عن ابن عباس قوله : بعث الله عليهم جالوت ، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج والذل ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا ، يقاتلون في سبيل الله فبعث الله طالوت ، فقاتلوا جالوت فنصر الله بني إسرائيل ، وقتل جالوت بيدي داود ، ورجع الله إلى بني إسرائيل مُلكهم ، وقال آخرون : بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، وفيما روي عن

سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ، وقال آخرون : يعني بذلك قوما من أهل فارس ، قالوا : ولم يكن في المرة الأولى قتال ، (ثم رددنا لكم ...) وفي قول ابن عباس ، الذي رواه عطية عنه ، هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه ، وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى ، بعث عليهم بختنصر ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وأعانه على خرابه الروم ، فلما خربه ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزاريا وميشائيل ، وهؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء .

وفيما روي عن سعيد بن جبير ، قال : بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، قال : فردّ الله لهم الكرة عليهم كما أخبر ، قال : ثم عصوا ربهم ، وعادوا لما نهوا عنه ، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وأخذ ما وجد من الأموال ، ودخلوا بيت المقدس ، كما قال الله عز وجل ، ودخلوه فتبّروه وخرّبوه ، فرحمهم فردّ إليهم ملكهم ، وخلّص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل ، وعن مجاهد قال : بعث الله ملك فارس ببابل جيشا ، وأمر عليهم بختنصر ، فأتوا بني إسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها . وعن قتادة قوله : فبعث الله عليهم في الآخرة ، بختنصر المجوسي البابلي ، أبغض خلق الله إليه ، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب ، وفيما روي عن ابن عباس قال : فلما أفسدوا ، بعث الله عليهم في المرة الآخرة ، بختنصر فخرب المساجد " .

من تفسير البغوي :

قال قتادة : إفسادهم في المرة الأولى ، ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم ، وقال ابن إسحاق : إفسادهم في المرة الأولى قتل إشعياء في الشجرة وارتكابهم المعاصي ، (بعثنا عليكم عبادا لنا) ، قال قتادة : يعني جالوت الجزري وجنوده ، وهو الذي قتله داود ، وقال سعيد بن جبير : يعني سنحاريب من أهل نينوى ، وقال ابن إسحاق : بختنصر البابلي وأصحابه ، وهو الأظهر ، (فإذا جاء وعد الآخرة) وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام ، حين رفع ، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فسلط عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس ، حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم .

من تفسير الشوكاني :

والمرة الأولى ، قتل شعياء ، أو حبس أرمياء ، أو مخالفة أحكام التوراة ، والثانية قتل يحيى بن زكريا ، والعزم على قتل عيسى ، (عبادا لنا) قيل هو بختنصر وجنوده ، وقيل جالوت ، وقيل جند من فارس ، وقيل جند من بابل ، والمرة الآخرة ، هى قتلهم يحيى ابن زكريا ، (وإن عدتم) قال أهل السير ، ثم إنهم عادوا إلى ما لا ينبغي ، وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكتمان ما ورد من بعثه فى التوراة والإنجيل ، فعاد الله إلى عقوبتهم على أيدي العرب ، فجرى على بني قريظة والنضير وبني قينقاع وخيبر ، ما جرى من القتل والسبي ، والإجلاء وضرب الجزية ، على من بقي منهم ، وضرب الذلة والمسكنة .

من تفسير الألوسي :

واختلف في تعيين هؤلاء العباد في إفسادهم الأول ، فعن ابن عباس وقتادة ، هم جالوت الجزري وجنوده ، وقال ابن جبير وابن إسحاق هم سنحاريب ملك بابل وجنوده

، وقيل هم العمالقة ، وفي الأعلام للسهيلي ، هم بختنصر عامل لهراسف ، أحد ملوك الفرس الكيانية ، على بابل والروم وجنوده ، بعثوا عليهم حين كذبوا أرميا وجرحوه وحبسوه ، قيل وهو الحق .

واختلف في تعيين هؤلاء العباد المبعوثين ، بعد أن ذكروا قتل يحيى عليه السلام في إفسادهم الأخير ، فقال غير واحد إنهم بختنصر وجنوده ، وتعقبه السهيلي وقال بأنه لا يصح ، لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى عليهما السلام ، وبختنصر كان قبل عيسى عليه السلام بزمن طويل ، وقيل الاسكندر وجنوده ، وتعقبه أيضا وقال : بأن بين الاسكندر وعيسى عليه السلام نحوا من ثلاثمائة سنة ، ثم قال لكنه إذا قيل إن إفسادهم في المرة الأخيرة بقتل شعيا ، جاز أن يكون المبعوث عليهم بختنصر ومن معه ، لأنه كان حينئذ حيا ، والذي ذهب إليه اليهود ، أن المبعوث أولا بختنصر ، وكان في زمن آرميا عليه السلام ، وقد أنذرهم مجيئه صريحا ، بعد أن نهاهم عن الفساد وعبادة الأصنام ، كما نطق به كتابه ، فحبسوه في بئر وجرحوه ، وكان تخريبه لبيت المقدس ، في السنة التاسعة عشر من حكمه ، وبين ذلك وهبوط آدم ثلاثة آلاف وثلثمائة وثماني وثلاثين سنة ، وبقي خرابا سبعين سنة ، ثم إن أسبيانوس قيصر الروم ، وجّه وزيره طيطوس إلى خرابه ، فخربه سنة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين ، فيكون بين البعثين عندهم أربعمائة وتسعون سنة ، وتفصيل الكلام في ذلك في كتبهم ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وقال الألوسي : " ونعم ما قيل إن معرفة الأقوام المبعوثين ، بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه ، مما لا يتعلق به كبير غرض ، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم ، سلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى ، **وظاهر الآيات يقتضي اتحاد المبعوثين أولا وثانيا** "

ونقول : نتفق مع الألوسي في بعض ما ذهب إليه ، ونختلف معه في التقليل من شأن المبعوثين ، التي ما أخبر بها سبحانه ، في كتابه العزيز إلّا لكبير غرض ، وهو إثبات أن هذا القران من لدن علّام الغيوب ، لمن هم في شك يلعبون من المسلمين وغيرهم ، فهذه النبوءة تحكي واقعا نعاصره الآن ، بكل تفاصيله (**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**) ومعرفة وتحديد المرتين ، أمر في غاية الأهمية . مع أن عبارته الأخيرة – رحمه الله - في النص السابق ، التي أكد فيها " **اتحاد المبعوثين أولا وثانيا** " ، وهو المفسّر الوحيد من القدماء ، الذي أشار صراحة إلى هذا الأمر ، أعطتني دفعة كبيرة للمضي قدما في هذا البحث ، حيث كنت قد تتبعت الضمائر الواردة في الآيات ، وتأكدت من هذا الأمر في بداية البحث ، فقد أيّدت هذه العبارة ، جانبا من الأفكار التي كنت أحملها ، فيما يتعلق بهذه النبوءة ، بعدما تبيّن لي من خلال الأحاديث النبوية ، التي ذكرتها في بداية البحث ، أنّ فناء دولة إسرائيل ، سيكون قبل قيام الخلافة الإسلامية ، التي ما زال عامة المسلمين ، ينتظرون ويأملون قيامها ، للقضاء عليهم وإنهاء وجودهم . وبما أن المبعوثين عليهم أولا وثانيا متحدين ، فذلك يعني أن معرفتنا لمن بُعث عليهم أولا ، ستقودنا بالضرورة لمعرفة من سيبعث عليهم ثانيا ، وثالثا للكشف عن الكثير مما أحاط هذه النبوءة من غموض ، كان سببا في كثير من التفسيرات المغلوطة ، التي أوقعت أناس هذا العصر ، في الحيرة والارتباك .

كان هذا عرضا لمجمل ما قاله المفسرين ، أجلّهم الله ورحمهم جميعا ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أحدا منهم ، لم يعاصر قيام دولة اليهود للمرة الثانية ، وكان أكثرهم حداثة ، هو الألوسي الذي توفي سنة 1227 هجري ، والملاحظ من أقوالهم ، أنهم أجمعوا على أن تحقّق المرتين ، كان قبل الإسلام ، ونسبة إحدى المرتين ، إلى البابليين

وبقيادة بختنصر (نبوخذ نصر) على الأغلب ، وهو الحدث المشهور تاريخيا بما يُسمّى (السبي البابلي) .

ومعظم ما تقدّم من روايات هي أخبار موقوفة ، على أصحابها ، وأصلها أهل التوراة ، حيث أنها المصدر الوحيد لمثل هذه الروايات ، ، والتي امتلأت التفاسير منها ، وهي ليست مما يُرجع إليه من الأحكام ، التي يجب بها العمل ، فتُتحرى في صحتها أو كذبها ، لذلك تساهل كثير من المفسرون في نقلها ، وهي في بعض منها أقرب إلى الخرافة .

أمّا المعاصرين من المفسّرين ، فقد أعاد أغلبهم نسخ أقوال القدماء بشكل مختصر ، وأضافوها إلى كتبهم ، ولم يأتوا بجديد إلا واحدا ، هو الشيخ سعيد حوى رحمه الله ، حيث أعلمني أحد الزملاء بذلك ، عندما عرضت عليه بعض نتائج هذا البحث ، فقال لي بأن إحدى النتائج التي خرجت بها ، كان الشيخ قد أوردها في تفسيره ، وقد اطّلعت على تفسيره لهذه الآيات مؤخرا ، فوجدت بأن الشيخ ، قدّمها كاحتمال موسوم بالشك ، ولكنا نطرحها على وجه اليقين ، الذي لا يُخالطه شك ، بإذن الله .

أما أناس هذه الأيام ، ممن علم أو لم يعلم ، فقد جاءوا بتفسيرات وأقوال شتى في هذه الآيات ، منها ما وافق تفسيرات القدماء وأقوالهم من جانب ، وخالفها في جوانب أخرى ، ومنها ما خالفها جملة وتفصيلا .

بعض من أسباب الاضطراب والارتباك ، في تفسير آيات سورة الإسراء ؟

1. هجر القرآن

القرآن في العادة ، لا يُقرأ من قبل عامّة المسلمين ، هذه الأيام ، إلا ما رحم ربي ، وإن قُرء ، فهي قراءة بلا تفكّر أو تدبّر ، حتى أصبحنا إذا سمعناه ، يصدر من أحد البيوت ، في حيّ أو شارع قريب ، تساءلنا فيما إذا كان أحدهم قد مات ، قال تعالى (**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** (27) **يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** (28) **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا** (29) **وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** (30 الفرقان) . وهجر القرآن نبوءة ، وقد تحققت في زماننا هذا ، وأنّى لنا هذا ، فالتفكر والتدبر في أمور الحياة الدنيا ، أشغلنا وأغنانا عن الآخرة ، التي ما خلا من القرآن موضع ، إلا وذكّرنا بها ، وهذا أخشى ما نخشاه ، لأننا لا نريد أن نتذكّر ، لكيلا نتألّم من المصير المرعب ، الذي نسجناه بأيدينا ، والذي إن تذكّرناه ، لم يغمض لنا جفن ، ولم ترقأ لنا عين .

2. تجميد القرآن وتعطيله وفصله عن الواقع ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا

يذهب كثير من الناس ، من علماء وعامّة ، إلى أن فهم القرآن واكتشاف مكنوناته ، مقصور على فئة معينة من الناس دون غيرهم ، أو في زمان أو مكان دون آخر . بالرغم من أن هناك الكثير من التفسيرات الخاطئة ، والروايات المضلّلة أحيانا ، في كتب التفسير القديمة ، والتي لم تصحّح لغاية الآن . ونحن باعتمادنا بشكل كلّي على تفسيرات القدماء ، حرمنا أنفسنا من فهم كثير من الآيات ، ذات الصلة بواقعنا المعاصر ، والتي ما كان لأحد من المفسرين قديما ، القدرة على تفسيرها ، في زمن يسبق زماننا هذا ، ولا نقصد هنا التعريض بأي حال من الأحوال ، بأي من المفسرين أجلّهم الله ، فكل له عذره وأسبابه ، ولكن نريد أن نؤكد من خلال هذا الكتاب أن

القرآن ما زال حيّا ، وما زالت لديه القدرة ، على الإتيان بجديد حتى قيام الساعة ، ولم يكن فهم القرآن يوما ، ولن يكون محصورا ، بزمان أو مكان ، أو أشخاص دون غيرهم .

3. الغموض والإبهام في نصوص النبوءات المستقبلية

عادة لا تُستخدم النصوص الصريحة ، في الكتب السماوية ، وفي السنة النبوية ، كأسلوب للإخبار عن مضامين النبوءات ، فعادة ما يُستعمل الوصف والتشبيه والتمثيل . وهذا هو حال مجمل النبوءات المستقبلية ، تبقى بعض نصوصها عصية على الفهم ، حتى تتمكن من تجسيد نفسها على أرض الواقع ، لتفسّر نفسها بنفسها . فلاكتمال معالمها ، أسباب ومسببات ، لا بد لها من أخذ مجراها الطبيعي . وعادة ما تكون في جانب منها مبهمة ، خاصة للطرف صاحب الدور الأكبر ، بترجمة أحداثها على أرض الواقع .

وفي المقابل تبقى بعض نصوصها سهلة للهضم والفهم ، لمن جاءت في كتبهم ، إذا عاصروها ، ولكن بالقَدْرِ الذي لا يسمح لهم ، بالتدخل في مجرياتها ، أو تعطيل الأسباب والمسببات المؤدية لتحقّقها . ولتبقى قدرتهم على التدخل مقيّدة ، بما لم يعرفوه يقينا ، مما أُبهم عليهم من نصوص النبوءة . ومثال ذلك ما جاء في كتب اليهود والنصارى ، من نصوص تبشّر بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وبالرغم من كثرة النصوص التي أخبرت عنه ، لم يستطع اليهود الاستدلال عليه يقينا ، قبل ظهور أمره ، وإلا لقتلوه . وصاحب النبوة لم يكن يعلم ، بأنه المقصود بنبوءات أهل الكتاب ، قبل أن يتنزّل عليه الوحي ، وحتى اسمه (محمد) عليه الصلاة والسلام ، جاء مغايرا لاسمه (أحمد) الموجود في كتبهم ، حيث جاء بالمعنى وليس باللفظ . وبعدما بُعث ، ومع مرور الزمن ، بدأ الواقع يُفسّر جميع النصوص التي كانت بحوزتهم شيئا فشيئا . أما قريش فما كانت تُصدّق من نبوءات أهل الكتاب شيئا .

وحتى لو كُشفت مضامين النبوءات ، عند اكتمال معالم القدر ، وقبل تحقق الفصل الأخير منها ، كان من الصعب على ذوي العلاقة ، إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، من أجل التأثير على مجريات أحداثها ، أو منع تحقّقها ، وخاصة أن معظم النبوءات إذا فُسرّت ، وكان واقع الحال لا يتطابق مع التفسير ، وهذا أمر طبيعي جدا ، فعادة ما يُجابه التفسير بالإنكار والتكذيب ، أو التشكيك حتى ممن يعنيهم الأمر ، أو الظن أن بالإمكان منعها ، كما هو الحال عند بني إسرائيل ، الذين يعلمون هذه النبوءة علم اليقين ، ويُحاولون جهدهم منع تحقّقها ، كما حاولوا جهدهم البحث ، عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، لمنع بعثه وظهور أمره . وكما سيكون الحال مع كثير من الناس ، الذين سيقرأون هذا الكتاب ، الذي نكشف فيه ملابسات تحقّق وعد الآخرة ، كما لم تكن من قبل ، بعد أن تشابكت خيوطها ، واتصلت بإحكام منذ سنين عدة ، ولكن الناس كانوا عنها غافلين .

4. فهم الألفاظ ومدلولاتها

في كثير من الأحيان نفهم ألفاظ القرآن ، بالمعنى الذي نستخدمه به في حياتنا المعاصرة ، وربما يكون هذا الاستخدام مختلف أو مخالف تماما ، لاستخدام العرب القدماء - الذين نزل القرآن بلغتهم - لنفس اللفظ ، مما يتسبّب في سوء التفسير أو الفهم . فعلى سبيل المثال ، لنأخذ كلمة (فَصَلَ) ، فنحن نستخدم هذا اللفظ تقريبا بمعنى واحد ؛ قَطعَ التيار ، فَرّقَ ما بين شيئين بشيء ثالث ، طرده من الوظيفة . أما

العرب القدماء فقد كانوا يستخدمونها بمعان شتى ، تفهم عادة من السياق ، منها ؛ قَطعَ وفَرَّقَ وخَرَجَ ، ومن هذه المعاني تستطيع تفسير قوله تعالى (**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ** (249 البقرة) ، على أن طالوت خرج بالجنود .

وفي كثير من الأحيان ، يحمل اللفظ الواحد في القرآن ، مفهوما عاما عريضا ، ويندرج تحته عدة مفاهيم خاصة ، يُعرّفها ويُفصّلها القرآن في مواضع عديدة . ومن هذه الألفاظ على سبيل المثال ؛ الإفساد والعلو والفاحشة والظلم ، وهذه كلها مفاهيم عامة ، يختلف تحديد مواصفاتها ومقاييسها ، باختلاف فهم الشخص على سبيل المثال لماهيّة اللفظ . وإذا تركنا الإجابة للناس ، كلٌ حسب رأيه ، ستجد أن هناك تعاريف عديدة ومتباينة ، أما القرآن فله تعريفه الخاص .

فلنأخذ لفظ الظلم ، يقول سبحانه وتعالى (**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** (59 القصص) ، فما هي ماهية هذا الظلم ، الذي يتحتم عليه إهلاك القرى ؟ وكيف تستطيع القرى أن تسلم من الهلاك ، بما أن الظلم هو المقياس لذلك ، كما أخبر رب العزة ؟ ولفهم دلالة هذا اللفظ ، يتحتم عليك أن تُلمّ بكل مُتعلّقاته ، في جميع الآيات القرآنية ، التي ورد فيها ذكره ، لتخرج في النهاية بما يُشبه المقياس ، الذي من خلاله تستطيع تعريف هذا المفهوم ، بالمقياس الإلهي له ، وليس بالمقاييس الشخصية للناس .

5. الإيجاز الشديد

مثل قوله تعالى (فجاسوا خلال الديار) ، حيث وصف سبحانه ،كل ما فعله أولئك العباد ، في المرة الأولى بثلاث كلمات فقط ، أو بالأحرى كلمة واحدة هي (فجاسوا) ، وبالرغم من ذلك ، فإن هذه الكلمة ، وعند الاطلاع معانيها في المعجم ، ستجد أنها تصوّر مشهدا سينمائيا كاملا ، وبدون الاطلاع على تلك المعاني ، لن تمتلك القدرة على تخيّل ذلك المشهد .

6. الحذف وتقدير المحذوف

حذف كلمة أو عبارة من السياق ، لسبق الدلالة عليها فيما تقدم من نصوص ، مثل حذف جواب شرط إذا الخاص بوعد الآخرة ، وتقديره (بعثناهم عليكم) في الآية (7) ، لدلالة قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم) في الآية (5) .

7. الالتفات

الحديث عن الغائب ، ومن ثم الانتقال لتوجيه الخطاب إلى الحاضر ، والعكس بالعكس ، بين حين وآخر ، مثل (وقضينا إلى – الحديث هنا عن الغائب (السابقين من بني إسرائيل) ...لتفسدنّ في – الخطاب هنا إلى الحاضر (المعاصرين من بني إسرائيل) ..) . عادة ما يستخدم هذا الأسلوب ، في إخبار المستمع الحاضر عن حدث وقع في الماضي . والهدف من إنزال هذه النبوءة في كتاب موسى ، وإعادة نسخها في القرآن ، هو كشف للغيب الذي لا يعلمه إلا من أخبر عنه ، فيما أنزله من كتب على رُسله ، لعل الناس المعاصرين بربهم يؤمنون ، عند تحقق هذه النبوءة بكل تفاصيلها ، كما جاءت في الكتب السماوية . لذلك جاء الإخبار في القرآن للناس كافة ، وجاء الخطاب لبي إسرائيل خاصّة ، لأن الأمر يعنيهم أكثر من غيرهم ، فلعلّهم إلى ربهم يرجعون .

لقد أخبر سبحانه في الآية (2) أنه آتى موسى الكتاب ، وفي الآية (4) أخبر بأنه أنزل في ذلك الكتاب نص هذه النبوءة ، التي سيشرع فيما يلي بالإخبار عنها بكل تفاصيلها ، كما جاءت في كتاب موسى ، حيث جاء النص آنذاك مخاطبا لبني إسرائيل . وإتيان النص بأسلوب المخاطبة لبني إسرائيل في القرآن ، يفيد أن هناك جزء من هذه النبوءة سيتحقق مستقبلا بعد نزول هذه الآيات ، وأعيد النص لتذكير بني إسرائيل وتنبيههم وتحذيرهم ، من مغبة الإفساد في الأرض في المرة لثانية ، مما يترتب عليه نفاذ الوعد الثاني ، كما نفذ الوعد الأول .

ومع أن المخاطَب في هذه الآيات ، هم بنوا إسرائيل (المعاصرين) ، ولكن يجب ألا ننسى ، أن هناك من يقرأ ويسمع خطابه تعالى – لبني إسرائيل – من خلال القرآن ، ممن هم من غير بني إسرائيل ، ولا يعلمون من أمر هذه النبوءة شيئا ، فيما إذا كانت قد أنزلت عليهم في كتابهم أم لا ، فابتدأ عز وجل القصة بالإخبار عن وجودها في كتابهم ، لمن لا يعلم من الجمهور بذلك ، من مستمع وقارئ لهذه القصة . ليُعيد الجمهور إلى الأجواء التي أنزلت فيها هذه النبوءة ، ليسهُل فهمها من قبلهم . وليصبحوا مساوين لبني إسرائيل في معايشة تلك الأجواء ، التي يعرفونها كما يعرفون أبنائهم ، من خلال ما لديهم من كتب . لذلك تجده سبحانه أحيانا يتوجه بالخطاب إلى الجمهور ، تاركا (خطاب بني إسرائيل) ، ليضيف إليهم خبرا أو تعقيبا ، على جزء معين من هذه النبوءة ، أو إيضاحا أو تفصيلا ،لم يرد في النص الأصلي للنبوءة ، التي سبق أن أنزلت عليهم ، أو تحقق بعد نزولها ، لزم إخبار الجمهور عنه في هذه الآيات . فالحكمة من الإخبار بهذه النبوءة والكشف عنها للبشر ، هي تحصّل الإيمان بالقرآن ومن أنزله ومن أرسل به ، كما عقّب سبحانه بقوله في نهاية السورة (**قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا** (107 الإسراء) . وسنبين إن شاء الله كل موضع ، حصل فيه التفات ، لتصبح نصوص النبوءة أكثر وضوحا وأسهل للفهم . وعدم معرفة ماهية الالتفات ومواضعه - أحد أوجه البلاغة في لغة العرب – سيجعل من الصعوبة بما كان ، أن يفهم الناس النصوص القرآنية بشكل صحيح ، وربما يقلب المعنى بشكل مخالف تماما .

8. الضمائر

متابعة الضمائر في هذه الآيات ، بأنواعها الثلاثة ، المتكلِّم والمخاطَب والغائب ، وتحديد على من يعود كل منها . وهنا لا بد أن نوضح ونؤكد ، على أنّ كل الضمائر الواردة في الآيات (4-8) ، ما عدا ضمائر المتكلِّم التي تعود عليه سبحانه ، تعود على أولئك العباد أولي البأس الشديد أنفسهم في مواضع ، وعلى بني إسرائيل في مواضع أخرى ، وهي محصورة فيهم على الإطلاق ، إذ لم يضف النص طرفا ثالثا .

9. الاعتراض

وهو إضافة جملة إلى السياق ، كتعقيب على خبر قد سبق ذكره ، زيادة في الإيضاح والإبانة ، وهو أحد أوجه البلاغة أيضا . وعدم وجود هذا التعقيب ، ربما يُثير التساؤل في ذهن المستمع ، فيُضيف الراوي من تلقاء نفسه خبرا جديدا ، ليدفع الحيرة عنه ، ومنعا لتوارد الاجتهادات والتفسيرات الخاطئة في مخيلته ، وليُغني المستمع الحاجة إلى السؤال . فعادة ما تأتي الجملة المعترضة كإضافة ، لإزالة الغموض واللبس ، الذي قد ينجم عن سوء تقدير المستمع ، ولزوم هذا التعقيب يعود لتقدير الراوي .

وقد وقع الاعتراض في نصوص النبوءة في موضعين ، في قوله تعالى " وكان وعدا مفعولا " ، للتعقيب على الوعد الأول ، لبيان أن هذا كان قد أنجز أم لم يُنجز . وفي قوله تعالى " وليتبّروا ما علوا تتبيرا " للتعقيب على العلو الكبير الخاص ببني إسرائيل ، لبيان وتأكيد أن هذا العلو ستتم إزالته مستقبلا لا محالة .

10. الهوى والعاطفة

نحن كمسلمين مرتبطون عاطفيا بالمسجد الأقصى ، ومرتبطون عاطفيا بالبطولات الإسلامية وأبطالها ، ومرتبطون عاطفيا بالخلافة الإسلامية وخلفائها ، لأنها توفّر لنا شعورا بالعزة والكرامة طالما افتقدناه ، ونحن بأمس الحاجة إليه هذه الأيام . وفي المقابل نحن أبعد ما نكون عن الإسلام ، في حياتنا العملية ، ولو نظرنا في أعماق أعماقنا ، لوجدنا أننا نرفض الإسلام كأسلوب للحياة ، لأن الإسلام بكل بساطة يرفض كل مظاهر الحياة الدنيا ، التي يتمسّك بها الآن معظم المسلمين ، ويسعون لإبقائها ويحرصون على إدامتها والاستزادة منها ما أمكنهم ذلك .

نص هذه النبوءة موجود في كتب اليهود ، فما الذي قام به زعماؤهم العلمانيون والمتدينون ، عندما أرادوا أن يقيموا لهم دولة ؟ أخذوا من النبوءة الجزء الخاص بالعودة من الشتات ورد السبي ، وفسّروها على أن الله أراد لهم ذلك ، بغض النظر عن فسادهم وإفسادهم ، وأخفوا النصوص التي تُحذّر من العقوبة التي تنتظرهم ، ليُضفوا على عودتهم إلى فلسطين ، بعدا دينيا توراتيا ، وبالتالي استطاعوا كسب التأييد والدعم المادي والمعنوي ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، من اليهود والنصارى على حد سواء .

نحن أيضا نملك نص النبوءة نفسها ، وملزمون بتحرير الأقصى ، ولأننا نشعر بالعجز وقصر ذات اليد ، قمنا بإضفاء البعد الديني على عملية التحرير ، بحصرها بخلافة إسلامية غير منظورة على المدى القريب ، واستبعدنا احتمالية أن يتم هذا الأمر ، خارج هذا الإطار العاطفي . وبعد أن تقوقعنا داخل هذا الإطار ، بدأنا نُفسّر المعطيات حسب ما يتوافق مع هذا التوجّه . حتى بلغ بنا الأمر ، إلى أن نُحمّل النصوص القرآنية ما لا تحتمله ، لتوافق رغباتنا وأهوائنا وتطلّعاتنا كمنتسبين للإسلام . فأخذنا عبارة (عبادا لنا) ، وعبارة (وليدخلوا المسجد) وعبارة (كما دخلوه أول مرة) ، وسلخناها عن جلدها ، وقمنا بالإسهاب في تفسير وتفصيل هذه العبارات ، وأهملنا بعض العبارات الأخرى ، وفسّرنا بعضها الآخر بشكل يُناقض فحواها ، فعزلنا العبارات عن آياتها ، وعزلنا الآيات عن بعضها ، وعزلنا مجموعة الآيات عن السورة ، وعزلنا السورة عن القرآن ، وعزلنا القرآن عن كل شيء . فخرجنا باستنتاجات وتحليلات وأصدرنا أحكام ، حرمت الكثير من الناس من المعرفة الحقيقة ، التي تكتنفها نصوص هذه النبوءة ، التي تم تفسيرها ، بتغليب من الهوى والعاطفة ، على النصوص القرآنية والسنة ، وعلى العقل والمنطق والواقع والتاريخ والجغرافيا .

وبذلك أزاحت بعض التفسيرات ، التي حصرت تحرير الأقصى ، بالخلافة الإسلامية عن غير قصد ، عن كاهل هذا الجيل عبء فكرة التحرير ، وأبعدت عن أذهان الناس شبح حرب قادمة ، مما ساهم بشكل غير مباشر ، في تخدير أمة الإسلام لسنين طويلة ، لينعُم الناس بحياة آمنة مطمئنة ، ولكن للأسف بعيدا عن الدين . فالخلافة الإسلامية على المدى القريب صعبة التحقق ، لأن مقومات قيامها ضمن الظروف الراهنة معدومة . والأمة بحاجة لمن يُنبّهها لا لمن يُخدّرها ... وقبل طرح هذه الفكرة الخطرة عن تحرير المسجد الأقصى ... ونسبها إلى كتاب الله ... وأن الله أراد ذلك ... كان

على روّاد هذه الفكرة ... أن يتجرّدوا من عواطفهم وأهوائهم كليا عند تفسير آيات الله ... فالقرآن يطلب العقل سبيلا للفهم لا العاطفة والهوى ... لدرجة أنه جعل (القلب) موطنا للعقل بـدلا من العاطفة ... وأن يُفكّـروا مليّا قبل أن يُقـدّموها للنـاس ... فنحن بحاجة لبناء مسـاجد في نفـوس النـاس ... فـإن اسـتطعنا القيـام بـذلك ... فلن نحـرّر المسجد الأقصى فقط ... بل سنحرّر العالم بأسره ... وإن لم نسـتطع فـالأحرى بنا ... أن نعتزل ونفرّ إلى رؤوس الجبال ... بـأطلال المسـاجد المتبقية في نفوسـنا ... حـتى يأتي الله بأمره ... !!!

هذا الطـرح الخطِر والبعيد جـدا ، عما جـاء في النصـوص القرآنية ، سـيؤدي بالنـاس لا محالة ، إلى الوقوع في الحيرة والارتباك ، ونشوء كثير من علامات الاسـتفهام ، حـول من قدّم هذه التفسيرات ، وحول مصداقية كتاب الله نفسه ، من قبل ضـعاف الإيمـان والعقل والقلب ، عندما تتحقّق النبوءة بشكل مغاير لتلك التفسيرات .

ربما يُصرّ الكثير من الواقعيون ، على أن الواقع يُناقض مما يطرحه هذا الكتـاب . غـير أن هذا الواقع سيتغير بالتـدريج ، أو بين عشـية وضـحاها ليتوافق مع أمر الله . وإن لم يتوافق ، فأمر الله فـوق الواقع ، وكثـيرا ما يـأتي بغتة . وبـالرغم من ذلك ، أعتقد بـأن كثـير من المتغـيرات ، على المسـتوى الإقليمي والعـالمي ، سـتلوح في الأفق ، قبل مجيء أمر الله ، وسيلحظها كل ذي بصيرة .

وكل شيء فصّلناه تفصيلا

قال تعالى (**إِنَّ هَذَا الْقُـرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْـرَائِيلَ أَكْثَـرَ الَّذِي هُمْ فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ** (76 النمل) ، هذه الآية الكريمة تؤكد أن هـذا القـرآن ، فضلا عن مخاطبته لكافة البشر ، جاء ليقصّ على بني إسرائيل ، أي ليُخاطبهم ويوضّح لهم بشكل خـاص ، كثيرا مما اختلفوا فيه ، من أمور الدين والدنيا والآخرة . فهو يحكي تاريخهم ، ويعــرض مواقفهم من أنبيـائهم ، ومشـاهد من كفـرهم وعصيانهم وعـدوانهم ، والعـذابات الـتي أنزلها الله بهم ، ، ويكشف طبـائعهم ، ويفضح سـرائرهم ، ويُفنّد أقــوالهم ، ويُحـذّرهم ويُحذّر منهم ، ويُبيّن لهم حقيقة ما جاء به رسلهم وأنبيائهم من وحي ، بعد أن طمسـته وشوّهت معالمه أقلام أحبارهم .

ويقول سبحانه في الآية (12) من سورة الإسراء ، (**وَكُلَّ شَـيْءٍ فَصَّـلْنَاهُ تَفْصِـيلًا**) ، أي أن كلّ شيّ مما سبق هـذا القـول من آيـات ، قـدّ بيّنه سـبحانه ، بيانا واضـحا لا لُبس فيه . وهذا القول البليغ ، عندما تقرأه مـرارا وتكـرارا ، تجد أن له وقعا خاصا في نفسك ، والآيات الـتي تسـبق هـذا القـول ، تخبرنا عن أمر يتعلق ببـني إسـرائيل ، من حيث إفسـادهم وعلـوهم وعقـابهم . وقد جـاء هـذا القـول (بالفعل ومفعوله المطلق للمبالغة في التأكيد) مرة واحدة في القرآن ، في هذا الموضع بالذات ، تعقيبا على ما مجمل ما جـاء قبله من آيـات ، ولم يـأتِ عامّا كما في قوله تعـالى (**كِتَـابٌ فُصِّـلَتْ ءَايَاتُـهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ** (3 فصـلت) ، أو في قوله تعـالى (**وَلَقَـدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (52 الأعراف) .

وإن دلّ هذا على شيء ، فإنما يدّل على أن ما تتحدّث عنه هـذه الآيـات ، أمر غاية في الأهمية ، ولذلك فصّله سبحانه تفصيلا ، وأبانه بيانا لا يختمره شـكّ أو تقـوّل ، وأن هـذا التفصيل جاء لعِظم هـذا الأمر ، وأن معرفته بكل دقائقه وتفاصـيله ، لا بد إلا أن يكـون فيه الكثير ، من النفع والفائدة ، لمن يُخاطبهم القـرآن ، وما كـان بيانه وتفصـيله عبثا . وما كان هذا الفصل ، إلا للتعريف بهذه الـدقائق والتفاصـيل ، وما جـاء هـذا الكتـاب إلا لتعميم الفائدة على الناس ، والله من وراء القصد .

لو أمعنت النظر في مجمل سورة الإسراء ، لوجدت أنها تناوبت ما بين أسلوبي الإخبار والمخاطبة ، ولو أمعنت النظر في مقدمة الســورة ، ســتجد أنها جــاءت إخبارية ومُخاطِبة للمسلمين ، بصفة عامّة ، وإخبارية ومُخاطِبة لبني إسرائيل ، بصفة خاصّة .

والسؤال الأول : لماذا أُعيد نص النبوءة بأسـلوب المخاطبة ، لبـني إسـرائيل في عصر أمة الإسلام ؟

مقدمة السـورة (الآيـات 1-3) جـاءت كتمهيد ، فهي تـذكر المسـجد الأقصى ، وتـبين قدسيّته عند الله وبالتالي عند المسلمين ، وتـذكُر كتـاب موسى عليه السـلام ، وتـذّكِر بني إسرائيل بما جاء فيه ، وبالذات عدم الشـرك بالله ، واتّخـاذ وكلاء من دونه ، ويمنّ اللهّ عليهم ويذكرهم بنجاة أسلافهم من الطوفان ، وبنفس الوقت يحـذّرهم من الهلاك ، من خلال ذكر نـوح عليه السـلام ، وأنّه ما كـان لنـوح ومن معه النجـاة ، لـولا إقـراره بالعبودية لله (عبداً) أولاً ، وقيامه بالعبادة لله (وشكوراً ثانياً) .

السؤال الثاني : لماذا التمهيد ، وبهذا الشكل المرعب لبني إسرائيل ؟

هناك قول بأن كلتا المرتين وقعتا قبل الإسلام ، فلو كان هذا الأمر صحيحا ، لتوجب أن يكون نص النبوءة كاملا بأسلوب الإخبار ، ولما كان هناك داعي لوجوده أصلا ، فقد أخبرنا سبحانه في مواضع أخرى في القرآن ، بأنه غضب عليهم ، ولعنهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وتوعدهم بأن يبعث عليهم ، من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ، وقطّعهم في الأرض أمما .

السؤال الثالث : ما هو الأمر الذي خرج عن كل ما تقدّم ، فأراد سبحانه لفت أنظارنا إليه ، مبينا أهميته ، ومنبها إليها ؟

بما أن المرتين متشابهتين تماما ، فلو فرضنا جدلا أن القول السابق صحيح ، لكان من الأحرى ، أن يأتي النص في الحديث عن المرتين مجملا ، على سبيل المثال ، على النحو التالي ، (... لتفسدن ... مرتين ولتعلن علوا كبيرا ... فإذا جاء وعد كل منهما ، بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد ... فأساءوا وجوهكم ودخلوا المسجد ... وكان كلٌّ من الوعدين مفعولا ... وتبّروا ما علوا تتبيرا) .

السؤال الرابع : لماذا فَصَلت وفَصَّلت الآيات ، كلّ مرة على حدة ؟

الآية الرابعة ، أجملت ثلاثة شروط من شروط المرتين ، وهي الأرض (المقدّسة) والعلو والإفساد ، والآية الخامسة أفردت وأوجزت الحديث عن الوعد (العقاب) الأول ، فذكرت البعث والجوس وصفة العباد ، وجاءت الأفعال كلها بصيغة الماضي . والآية السادسة فصّلت مظاهر العلو الثاني ، من لحظة النشوء حتى اكتمال مقوماته ، من حيث القدرة العسكرية والبشرية والاقتصادية ، وجاءت الأفعال كلها بصيغة الماضي ، مع حملها لصفة الاستقبال .

السؤال الخامس : لماذا جاءت أفعال وعد الأولى بصيغة الماضي ، ولماذا جاءت أفعال وعد الآخرة بصيغة الاستقبال ؟

السؤال السادس : لماذا جاء التخيير ما بين الإحسان أو الإساءة ، بعد اكتمال مظاهر العلو الثاني ، وقبل الحديث عن عقاب وعد الآخرة ، ولم يأتِ عند الحديث عن وعد الأولى ؟

السؤال السابع : لماذا أُخرجت كيفية مجيئهم ، عند مجيء وعد الآخرة من نص النبوءة ، ولماذا أُفردت في نهاية السورة ؟

السؤال الثامن : لماذا أُعيد ذكر بني إسرائيل وقصّتهم مع فرعون في نهاية السورة ، الآيات (101 – 104) ؟

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

تُشير هذه الآية ، بذكر المسجد الحرام ، إلى نقطة البداية ، لانتشار رسالة الإسلام ، التي أنعم الله وأكرم بها نبيه ، محمد عليه الصلاة والسلام . وبذكر المسجد الأقصى ، تُشير من طرف خفي ، إلى ما ورد في الحديث الصحيح ، إلى أن مسك الختام لهذه الرسالة ، آخر الزمان ، سيكون بنزول الخلافة الراشدة ، وأميرها المهدي في بيت المقدس ، بإذن الله . وهذا مما يوحي بأن قيام دولة إسرائيل ، هو أحد أشراط الساعة ، وأن نهايتها ، علامة لقرب ظهور المهدي ونزول الخلافة فيها ، والله أعلم . وأهم ما جاءت به الآية هو تعريف المسجد ، بوصفه بالأقصى أي الأبعد ، وبالذي باركنا حوله ، وهو المسجد الذي سيكون موضوع ما يلي هذه الآية من آيات .

(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2)

في هذه الآية ، يحذّر الله بني إسرائيل ، من الاتّكال على غيره (**لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .. وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ** (28 آل عمران) ويختم سبحانه السورة ، بقوله (.. **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ** ..) أي لم يتخذ له حليفا لضعف أو لذلّة ، وهذا تعريض بالعلو الحالي لبني إسرائيل ، حيث كانوا أذلّاء مضطهدين ، وبموالاة الغرب أصبحوا سادة .

ويذكّرهم فيها بما أنزله عليهم من الهدى ، ليكون لهم نورا يهتدون به ، ومن ضمنه هذه النبوءة ، التي أعادها إلى أذهانهم مخاطبا إياهم بمضمونها ، وكما وردت في الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام ، ويحذّرهم من اتّخاذ أولياء من دونه ، من الإنس والجنّ على حدّ سواء .

فاختاروا الولاء لغير الله ، وتمسكنوا ، وحقّقوا مآربهم منذ البداية بالفساد والإفساد ، بما خطّطوا له بمكرهم ودهائهم ، ونفذّه غيرهم ، من فتن وحروب سبقت وهيّأت الظروف ، وتسبّبت في قيام دولتهم في فلسطين . ولما تمكنوا استعلوا واستكبروا فيها ، استمروا بالفساد والإفساد ، وساموا أهلها سوء العذاب ، فاستحقّوا غضب الله واستوجبوا العقاب ، فتوافق أمرهم مع ذهب إليه النص القرآني ، بذِكر إفسادهم في الأرض بمجملها أولا ، ومن ثم جاء ذِكر علوهم الكبير الذي نشهده هذه الأيام ، في قوله تعالى **(لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**) .

(ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)

يقول ابن كثير : " تقديره يا ذريّة من حملنا مع نوح ، فيه تهييج وتنبيه على المنة " وهذا النداء موجّه لبني إسرائيل ، وبالإضافة لما قاله ابن كثير ، نلمس تهديدا وتحذيرا خفيا لبني إسرائيل ، من وراء ذكر نوح عليه السلام ، فعادة ما كان سبحانه وتعالى ، يمنّ عليهم بتذكيرهم بنعمة النجاة من فرعون وقومه ، (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ** (50 البقرة) إلا في هذا الموضع ، وهي المرة الوحيدة في القرآن التي يمنُّ عليهم فيها ، بأنهم سلالة من حمل مع نوح عليه السلام ، أي من الذين أنجاهم الله من الطوفان ، حثا لهم على الإيمان به ، والعبادة والشكر له كما كان يفعل نوح والذين حملهم معه ، وأنّ فِعل هؤلاء هو الذي أنجاهم من الهلاك ، فإن لم يفعلوا كما فعلوا ، حلّ بهم ما حلّ بقوم نوح . وذِكْرُ نوح في هذا الموضع وتكرار ذكره ، في الآية (17 الإسراء) (**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**) دفعني إلى إلقاء نظرة على سورة نوح .

ومنها قوله تعالى (... **أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (1) ... **إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ** ... (4) ... **فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا** (6) ... **جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** (7) ... **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** (12) **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** (13) ... **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا** (22) .. **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا** ... (24) ... **رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26)** ... **وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** (28 نوح)

اقرأ هذه الآيات وتفكّر وتدبّر (.. أولا إنذار .. ولا تـأخير .. فـرار .. إصـرار واسـتكبار .. إمداد بأموال وأولاد .. وجنـات وأنهـار .. اسـتهزاء وسـخرية .. عصـيان .. عبـادة القـوة والمال .. المكر الكبير .. الإضلال .. الكفر .. وأخيرا تبار ..)

وهذا هو حال بني إسرائيل .. وهذا هو الإفساد في الأرض .. وردُّ الله عليه أوله إنذار .. فإن كان هناك استكبار وإصرار .. كان هناك تبار . يقول سـبحانه (**مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** (15 الإسراء) .

والرسول قد بُعث ، منذ ألف وأربعمائة وإحـدى وثلاثـون عاما ، وقد أتـاهم بالإنـذار في كتـاب ربه ، (**وصـحيفة الإنـذار**) الموجهة لتلك الأفـاعي في الجحر الأبيض ، وتلك الطفيّليات في منتجعات المال العالمية ، التي تمتص بنهم دماء الكـرة الأرضـية ، وتلك الفئران المستأسدة في قـدس الأقـداس ، هي (**سورة بـني إسـرائيل**) ومن أول حـرف فيها وحـتى آخر حـرف ، حيث قـال فيها (**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا** ..) وقد سـاد دولة الكفر ويسـودها ، قطـاع الطـرق واللصـوص والقتلة ، وأسافل مجرميها (**.. فَفَسَقُوا فِيهَا** ..) فاغتالوا أصالتها ، وقدسيّة أرضـها ، ووقـار شـيخوختها ، وسـكينة عبّادها ، وحيـاء حرائرها ، وأحلام طفولتها ، وحـتى طهـارة مسـاجدها (.. **فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ** ..) ، وهـذا هو (**قـول**) رب العـزة ، (**... لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ...**) ، وهذا هو (**فعله**) (.. **فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** (16 الإسـراء) وهذا هو (**تعقيبه**) (**... وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** (17 الإسراء) وهـذه هي (**خاتمته**) (**وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** (111 الإسراء) .

اقتصرت مقدمة السـورة على ثلاث آيـات فقط ، حملت من المعـاني ما يشـحذ الفكر والوجدان ، ويعمل على تهييج العقل وتنبيهه من غفلته ، لاستقبال واستيعاب ما سيأتي من عرض ، لنبوءة ستغير مجرى التاريخ في يوم أو بضعة أيام . وهذه النبوءة تعني كل من سـمع برسـالات السـماء ، وتمسّـهم في صـميم معتقـداتهم ، وأكـثرهم تـأثّرا هم أصـحاب الـديانات الثلاث ، والـذي يمتلك كل منهم مخزونا عقائـديا ، فيما يخصّ عـودة اليهـود إلى الأرض المقدسة ، يلتقي مع أحـدها ويتعـارض مع الآخر في التفاصـيل والأحداث .

(وَقضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ ، لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)

وَقضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ :

ورد جذر الفعل قضى في القرآن (63) مرة ، ومشتقات هذا الفعل حملت عدة معاني ، وعادة ما يأتي هـذا الفعل ، ليفيد تمـام العمل الـوارد نصا في السـياق ، أو المفهـوم ضمنا ، كما في قوله تعالى (**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ** (200 البقرة) ، بمعنى أنجزتم مناسـككم وانتهيتم منها ، وقوله تعـالى في شـأن لـوط وقومه (**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ، أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ** (66 الحجر) ، أي أخبرناه بـالأمر ، على وجه الانتهاء منه ، إذ لا رجعة عنه ، فلا نقاش ولا جدال فيه ، (**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** (114 طه) ، أي من قبل أن تُخـبر بوحيه ، على وجه التمام .

وقوله تعالى (**وَقضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ**) أي أنّا كنّا قد أخبرنا بني إسرائيل في كتابهم - أي أن مضمون هذا الخبر موجود في كتابهم نصا حتى هذه اللحظة - بما سيأتي تفصيله فيما يلي ، من شأن إفسادهم وعلوهم في الأرض ، وهذا الخطاب ، في هذه العبارة ، موجّه في الحقيقة لمن هم من غير بني إسرائيل ، ممن ليس لديهم ، علم أو اطلاع على هذا الأمر ، ليطلعهم الله على هذا الأمر ، وما كان الله ليُخبر عنه إلا لعظيم شأن ، وذلك من سابق علم علام الغيوب ، بما سيكون منهم مستقبلا ، وليس ما قضاه عليهم بمعنى الأمر أو الحكم ، فحاشا لله أن يأمر بالإفساد في الأرض أو أن يقضي به .

والكتاب المقصود هنا هو كتاب موسى عليه السلام ، المنصوص عليه في الآية الثانية أعلاه ، وليس التوراة ، فكتاب موسى شيء والتوراة شيء آخر . والذي قادني إلى معرفة تلك الحقيقة ، هو تساؤلي ، أولا : عن سبب عدم ذكر التوراة بدلا من الكتاب ، وثانيا : رغبتي بالاطلاع على نص النبوءة في التوراة نفسها ، فيما لو وجد . وبعد أن استخرجت كافة الآيات القرآنية ، التي ذُكر فيها موسى ، والتي ذُكرت فيها التوراة ، تبين لي أن ذكر التوراة ، لم يرتبط بذكر موسى على الإطلاق ، وعدم الربط بينهما لا بد له من سبب ، وبيان ذلك ، والنص التوراتي للنبوءة في الترجمات العربية للتوراة اللاتينية ، سيأتي في فصل قادم ، إن شاء الله .

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا :

هنا حصل التفات من الحديث عن الغائب ، وهم بني إسرائيل ككل ، في قوله تعالى (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ**) ، ومن ثم عاد سبحانه ، لتوجيه الحديث إلى الحاضر المُخاطَب ، وهم بني إسرائيل (المعاصرين) لرسالة الإسلام ، وذلك بسرد النبوءة ، بنفس الأسلوب والعبارات ، التي أنزلت عليهم في كتابهم ، قبل 3 آلاف ، زمن موسى عليه السلام . فجاءت نصوصها مخاطبة لبني إسرائيل ، ولكن بألفاظ عربية جزلة موجزة ، كما وأضيف إليها تعقيبات ، لتبين وتؤكد بعض ما تحقّق منها ، قبل إنزالها في سورة الإسراء مرة أخرى ، على محمد عليه الصلاة والسلام . فبدأت بقوله تعالى (**لَتُفْسِدُنَّ ... وَلَتَعْلُنَّ ...**) .

في هذا الموضع قَرَنَ سبحانه ، ما بين الإفساد والعلو في المرتين ، في قوله (**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** (4 الإسراء) ولم يوضح التفاصيل ، ولتكون لدينا القدرة ، على معرفة شكل هذا الإفساد وهذا العلو ، دعنا نمعن النظر في الآيات التالية ، حيث اقترن فيها الأمرين معا ، في مواضع أخرى من القران الكريم ، كقوله تعالى (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ .. إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ** (4 القصص) ، وقوله (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** (14 النمل) ، حيث جاءت هذه الآية ، تعقيبا على فرعون وقومه لما علو وأفسدوا ، وجحدوا بآيات الله ، فكان جزاءهم الهلاك غرقا .

وقوله (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** (83 القصص) توضح هذه الآية ، بأنّ جزاء من لم يُرد العلو والإفساد ، سواء كان قادرا على ذلك أم لم يكن ، هو أن يكون لهم حسن ثواب الدنيا والآخرة ، والعاقبة للمتقين بإذن الله ، وذلك تعقيبا على قارون وصنيعه وما حلّ به وبكنوزه ، حيث قال تعالى فيما آتاه ، من المال والقوة (**وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** (76) ، فجحد نعم الله ونسبها إلى نفسه

(**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا** (78)ـ ، فعلا واستكبر (**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ (79)ـ** ، فأهلكه الله **(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ** (81 القصص) ، ليجعله عبرة لغيره .

والملفت للنظر ، أن اقــتران العلو بالإفســاد ، جــاء في أربع آيــات فقط من مجمل القرآن ، وكلها ذات علاقة ببني إسرائيل ، وقد تقدم ذكرها أعلاه .

والقرآن كما نعلم أُنزل للنـاس كافة ، منذ اليـوم الأول لبعثة نبينا ، عليه أفضل الصـلاة وأتم التسليم ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن ضـمن هـؤلاء بـني إسـرائيل ، الذين عاصـروا هـذه الرسـالة وهـذا القـرآن ، وقد ذكّـرهم الله وما زال يُـذّكرهم ، في معجزته الخالـدة بمـا حصل لفرعـون وقـارون ، وهم أشـدّ النـاس قربا لهم ، لما علـوا وأفســدوا في الأرض ، وأنّهم إن أصـرّوا على الإفســاد في الأرض ، مضت فيهم سـنة الأولين (**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تحْوِيلًا** (43 فاطر) ، وقال في سورة الإسراء (**سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** (77) لينـالهم ما نـال سـابقيهم ، من العذاب في الدنيا والآخرة ، وأنّ لا مناص لهم للنجاة من سـخطه وغضـبة ، إلّا بـالعودة إليه والإنابة له ، ولكن هيهات لمن قيل في أسلافهم (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** (74 البقرة) .

علوّ بني إسرائيل في المرة الأولى ، لم تتضح تفاصيله في سورة الإسـراء ، لكنها جليّة واضـحة في مواضع أخـرى من القـران ، وسـيأتي الحـديث عنها في حينه ، أما ما نحن بصـدده الآن ، هو توضـيح مفهـوم العلـوّ ، ولـدينا مثـالين هما فرعـون وقومه وقـارون وكنوزه ، وبما أنّ العلوّ المقصود هنا ، هو علوّهم كأمّة وليس كأفراد ، فالخيار يقع على علوّ فرعون وقومه ، وهذه آيات تعرضت لبعض من مظاهر هـذا العلو ومقوماته ، قـال تعالى (**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (51 الزخـرف) وعلى لسـان مـؤمن آل فرعون (**يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ** (29 غـافر) ، وقـال (**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (88 يونس) ، وقال (**وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24)كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25)ـ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26)ـ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** (27 الدخان) وبالقليل من التدبر في الآيات السابقة .

نجد أنّ مقومات علو فرعون وملأه ، وهم علية القـوم ، ويمثلهم في زماننا ، رجـال الحكم والقضاء والدولة ، ورجال السياسة والمال والإقتصاد ، والوجهاء ورؤوس الناس ، تتمثل فيما يلي : ملك مصر والســيادة على أهلها ، والقـــوة والمنعة والظهـــور في الأرض ، وامتلاك الزينة والأمــوال ، والجنــات والعيــون ، والأنهــار الجارية ، والــزرع والمقام الكريم ، والنعم المختلفة .

ـ مفهـوم العلو : هو مظهر من مظـاهر الحيـاة ، بمعـنى الاسـتعلاء والارتفـاع والتكبّر والتجبّر ، من خلال امتلاك مقومات مادية ، كالأرض والمال والقوة ، مما يُمكّن الظلمة والمفسدون من سيادة الناس وسياستهم ، والتحكم في تصـريف شـؤونهم ، على وجه من الظلم والبغي .

أما مفهـوم الإفسـاد ؛ فهو يتمثّل في بعض ما قيل من آيـات في فرعـون وملئه ، قـال تعـالى (**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْمُسْرِفِينَ** (83 يـونس) ،

وقال (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** (4 القصص) ، وقال (**إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ** (46 المؤمنون) ، وقال (**إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** (12 النمل) ، وقال (**فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى** (20) **فَكَذَّبَ وَعَصَى** (21) **ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى** (22) **فَحَشَرَ فَنَادَى** (23) **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** (24 النازعات) ، وقال (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** (38 القصص) (**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** (54 الزخرف) (**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** (79 طه) .

ومظاهر إفساده تتمثل فيما يلي : جعْلُ أهل مصر فرقا وطوائف متنابذة ، واستضعاف طائفة منهم (بني إسرائيل) ، بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم ، والإسراف في كل أمره ، والاستكبار والفسق ، وتكذيب الرسل ، ومعصية الله وجحود آياته ، وادّعاء الربوبية والألوهية ، واستخفاف الناس وإضلالهم .

ـ مفهوم الإفساد : استضعاف الناس وتفريقهم وتصنيفهم ، وإثارة الفتن فيما بينهم ، والقتل وسفك الدماء ، وتكذيب الرسل ، وتكذيب آيات الله وجحودها ، ومعصية الله ورسله ، واستخفاف عقول الناس وتضليلهم وإضلالهم ، وإنكار ربوبية الله ، وإنكار أحقيته في العبادة دون غيره .

وخلاصة القول : هذا هو مفهوم العلو ، وهذا هو مفهوم الإفساد ، الذي تتحدث عنهما سورة الإسراء ، لذلك عند أي محاولة لتعيين أيٍّ من المرتين ، يجب أن تكون الحالة موضوع البحث ، مطابقة تماما لما كان عليه فرعون ومَلَئه ، وكأنّ علو وإفساد بني إسرائيل ، صورة في مرآة لعلو وإفساد فرعون ومَلَئِه ، وما علينا إلّا أن نبحث ، في ماضي بني إسرائيل وحاضرهم ، عن أيّ حالة ترافق فيها مثل هذا العلو ومثل هذا الإفساد ، كما هو الحال بالنسبة لفرعون وقومه . ولن نذهب بعيدا ، فإحداهما موصوفة في القران الكريم وبالتفصيل أيضا . والأخرى نشاهدها بأم أعيننا على أرض الواقع ، منذ أكثر من خمسين عاما .

فِي الْأَرْضِ :

قرن سبحانه وتعالى ، بين الإفساد والعلوّ لكلتا المرتين بالأرض ، ولفظ الأرض هنا اسم جنس ، وجاءت كذلك لتشمل الجزء والكل والخاص والعام ، حيث قال في الآية (4) ـ (**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**) ولم يحدّد مكانا بعينه ، وعاد سبحانه وحدّد موقع العقاب في المرتين ، حين قال في الآية (7) ـ (**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ، كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**) حيث ربط ما بين العقاب والمسجد ، لنفهم من ذلك أن العقاب الموعود به بنو إسرائيل والمقصود هنا ، سينفذ فيهم في المرتين ، خلال تواجدهم في فلسطين (الأرض المقدسة) ، وذُكر المسجد للإشارة إلى المكان . وهذا المسجد تم تعريفه ، في بداية سورة الإسراء ، في قوله تعالى (**الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** (1) وقوله الذي باركنا حوله ، أي ما يليه من الأرض ، ولم يقل باركنا فيه ، أي لم تُحصر البركة في المسجد فقط ، بل شملت ما حوله من الأرض .

والملاحظ أن ذكر الإفساد حُصر في المرتين ، وأن ذكر الإفساد سبق ذكر العلوّ ، وأن العلو لم يُحصر في المرتين ، بل أُفرد ووصف بالكبير . وبما أن التركيز هنا على المرة الثانية ، فذلك يوحي بأن الإفساد في المرتين متطابق ، وبأن تحصيلهم للعلو ، على

الأقل في المرة الثانية ، سيتأتى عن طريق الإفساد ، وأن العلو الثاني أكبر من الأول ، لذلك تأخر ذكر العلو وصفته ، عن كلمة مرتين للاختلاف . ذلك لأن إفساد بني إسرائيل المُتأتّي عن العلوّ ، اقتصر على حدود دولتهم ، في فلسطين في المـرة الأولى ، وهـذا ما يُثبته القرآن والتوراة . وأمّا إفسادهم وعلوّهم الأخير في فلسـطين ، والـذي نعيشه الآن ، سبقه ورافقه إفساد وعلو ، شمل مشارق الأرض ومغاربها . والله أعلم .

وبما أنّ العقاب سيحل بهم في الأرض المقدسة ، يترتب على ذلك ، حتمية سبق وقوع الإفساد والعلوّ فيها ، حتى ولو سـبق منهم ، الإفسـاد والعلو في الأرض على عمومها ، أو تزامن مع إفسادهم وعلوهم ، في الأرض المقدسة ، لـذلك جـاء الحـديث مجملا في الآية (4)ـ ، وهي الآية الأولى من قصة الإفسادتين ، فـذُكر الإفسـاد والعلو ، لاشـتراط وقوعهما في المرتين ، ولم يأتي بأي تفاصيل لأيّ من المرتين فيها .

وخلاصة القول : أن الأرض التي سيتم فيها ، علو بني إسرائيل وإفسادهم ، هي الأرض على عمومها في المرة الثانية ، وفلسطين بشكل خاص في المرتين . وأن عقابهم في المرتين ، سـيكون في الأرض المقدسة خاصة ، وزوال علـوهم في المـرة الثانية ، من الأرض على عمومها ، والله أعلم .

مَرَّتَيْنِ :

المـرة ، هي الفعلة الواحـدة ، من شـيء يُمكن تكـراره ، والجمع مِـرار ، واعتـدنا أن نجمعها على مرّات . وقد أوضح سبحانه بما لا يدع مجـالا للشك ، أنهما مرّتـان بصـريح اللفظ . ولا يصحّ أن نُضيف ثالثة ، ومن أفتى بثالثة ، فقد أفتى بغير علم .

وعندما تقول : مـرة ، ومرتـان ، وثلاث مـرات ، فـأنت في الواقع ، تَعـدُّ فعلة واحـدة تتكرّر ، ولها صفة الاستمرار ، كالعمرة والحج مثلا ، لتقـول اعتمـرت مـرة ، ومرتـان ، وثلاث ، والعمــرة لها شــروط ومناسك خاصة بها ، تميّزها عن غيرها كــالحج مثلا ، ولا يصحّ أن تَعدَّ أفعالا مختلفة على أنها مرّات ، كأن تقول مثلا ، عندما تعتمر مـرة ، وتحجّ مــرة ، اعتمــرت مــرتين أو حججت مــرتين . ولا يصــحّ أن تُســمّي فعلة غــير مكتملة الشروط والمواصفات ، على أنها مرة ، كعمرة بلا طواف أو سعي .

وخلاصة القول : أنّ المرتين تكرار لفعلة واحدة ، تمتلك نفس الشروط والمواصفات ، وبما أن إفساد بني إسرائيل في الأرض ، بدأ منذ نشأتهم ، قبل حوالي (3) آلاف سنة ، واســتمر لغاية هــذه اللحظة ، كــان من الضــروري لنا ، أن نســتنبط من هــذه الآيــات شــروطا ومواصــفات ، تجعل من الســهولة بما كــان ، تحديد المــرتين وبدقة متناهية ، وتحديد موقعهما من حيث الزمــان والمكــان ، وأول شــرط من الشــروط هو الإفســاد المقترن بالعلو ، والشرط الثاني أن يكون في الأرض المقدّسة دون غيرها .

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَـأْسٍ شَـدِيدٍ فَجَاسُـوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5)

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا :

جاء أي مجيء الوقت المعين أو الموعد المحدّد ، والوعد أي الموعودين به من العقاب والهلاك ، والمعنى إجمالا هو مجيء زمن الاسـتحقاق ، لنفـاذ الوعد بالعقـاب والهلاك ، ومجيء الوعد متعلّق بتحقق الشروط الثلاثة في الآية السابقة ، ويتوضّح هذا المعـنى ، في قوله تعــالى (**وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِـدًا** (59 الكهف) ، أي ربط الهلاك بموعد

معين ، لا يتأخر ولا يتقدّم ، كما في قوله تعالى (**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**(34 الأعراف) . وسرعة مجيء موعد الهلاك وإبطاءه ، تعتمد على درجة الظلم ، وتجد ذلك في قوله تعالى (**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ...** (59 الكهف) ، وقوله (**... وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** (59 القصص) ، والظلم المقصود هنا هو الظلم الأممي ، مع توافر الإصرار . إذ كلما زادت درجة الظلم ، وزادت وتيرة اقترافه ، كلما أسرع إلى الأمم قدرها المحتوم ، لتمضي فيها سنن الله ، التي لا تتحول ولا تتبدل .

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ :

قال تعالى (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ** (2 الجمعة) ، وقال (**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (56 البقرة)، وقال (**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ** (31 المائدة) ، (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا** (5 الإسراء) ، ومن خلال التدبر في الآيات السابقة ، نجد أن المبعوث من قبله سبحانه ، ليس له القدرة على بعث نفسه ، وذلك على حالين :

الأولى : هي وجود الإرادة الإلهية وانعدام الإرادة البشرية ، فالرسل عليهم السلام بتلقي الرسالة عن طريق الوحي ، ينتقلون من حال الغفلة والسكون إلى حال الهداية والدعوة ، والموتى ينتقلون بنفخ الروح فيهم من حال الموت إلى حال الحياة . وفي هذه الحالة يكون التدخل الإلهي ظاهرا ، بإحداث البعث عن طريق إرسال الروح والوحي ، سواء كانت وسيلة البعث مادية أو معنوية .

والثانية : هي وجود كلتا الإرادتين ، مع تعليق الإرادة الثانية بالأولى ، فالأحياء يملكون الإرادة في بعث أنفسهم ، لتصريف أمورهم الدنيوية ، ولكنّها إرادة معلقة بالمشيئة أو الإرادة الإلهية ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإن توافقت الإرادة البشرية للقيام بأمر ما ، مع الإرادة الإلهية ، وقع ذلك الأمر وإن لم تتوافق لم يقع ، قال تعالى (**وَمَا تَشَاءُونَ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** (30 الإنسان) . وفي هذه الحالة يكون التدخل الإلهي غير ظاهر ، حيث أنه يتم عن طريق التمكين ، بإزالة المعوقات والمثبّطات وإيجاد التسهيلات والمحفّزات ، سواء كانت الوسائل مادية أو معنوية .

وفي كلتا الحالين يكون البعث من عند الله ، ولذلك نسب سبحانه بعث أولئك العباد إلى نفسه ، لأن الله سيُمكّن لهم الأسباب والسبل عند خروجهم ، لتحقيق وعده في بني إسرائيل . وأما هؤلاء العباد فسيخرجون من تلقاء أنفسهم ، ورغبة منهم في ذلك ، بدفع من أسبابهم الخاصة .

ونجد ذلك في قوله تعالى (**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ، وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** (46 التوبة)

أي لو أرادوا الخروج ، لأعدّوا عدة الخروج ، ولكنهم لم يُعدّوا العدّة ، لأن رغبة الخروج لديهم معدومة أصلا . وبما أن إرادتهم معدومة ، كره الله انبعاثهم ، فثبّطهم كي لا يخرجوا مكرهين حياءً أو رياءً ، خشية تأثيرهم السلبي على الخارجين . وفي المقابل ، فإنّ من وُجد لديه الإرادة والرغبة في الخروج ، كان الأولى بإزالة المُثبّطات ، وإحاطته بالمُحفّزات لتمكينه من الانبعاث والخروج .

ـ مفهوم البعث : هو انتقال ، أو انقلاب ، أو تحول ، أو تغير من حالة إلى أخرى ، نتيجة مُسبِّب خارجي ، مادي أو معنوي .

وخلاصة القـول : أنّ عملية البعث هنا ، معلّقة بالمشـيئة الإلهية ، وموعد البعث منـوط بهذه المشيئة ، وأن هؤلاء المبعوثين ولو تولدت فيهم الإرادة ، ومهما حاولوا الانقضاض ، مرارا وتكرارا على بني إسـرائيل ، للقضـاء عليهم وإفنـائهم ، فلن يتمكنـوا من ذلك ، حتى مجيء ذلك الموعد .

عِبَادًا لَنَا :

معظم الناس هذه الأيام ، يعتقدون اعتقادا جازما لا شك فيه ، بأن هؤلاء العباد المُشار إليهم ، في هذه العبارة ، هم عباد مؤمنين ، بل من أولياء الله المخلصين . ولبيان خطأ هـذا المعتقد ، سـنناقش هـذا الأمر من عـدة وجـوه ، وبما أن هـذه العبـارة ، أحد أهم مرتكزات الفهم الخاطئ ، للنبـوءة الـتي جـاءت بها آيـات سـورة الإسـراء ، سـنتاولها بالشرح والتفصيل ، بما يتناسب مع حجم المساحة ، التي احتلتها في أذهان الناس :

أولا : رأي المفسرين القدماء

هذه العبارة ،لم يكن فهم معناها ومغزاها ، مشكلة للمفسرين القـدماء ، وهم الأكـثر قربا وفهما ، لألفــاظ العربية وتركيباتها اللغوية ، ولو طــالعت تفســيراتهم للعبــارة ، وآرائهم في أصحاب البعث الأول والثاني ، التي أجملناها في الفصل السابق ، لوجـدت أنّهم بلا استثناء ،لم يعيروها أدنى انتبـاه ، وبما أنّ أنّهم ، جزمـوا بـأنّ تحقق الوعـدين ، قد تمّ قبل الإســلام ، فهم على الأقل ،لم يثبتــوا لهم صــفة الإيمــان ، حيث أن بــني إسرائيل آنذاك ، كانوا من أهل الكتاب ، وكل من حولهم كـانوا من عبـدة الأوثـان . بل على العكس من ذلك ، نجد أنهم بلا استثناء ، كانوا قد أثبتوا لهم صفة الكفر .

ثانيا : كلمة عباد نكـرة ، وإضـافتها للجـار والمجـرور ، لم تعرّفها ، وبالتـالي لم توضح ماهية المعتقد

وردت هـذه عبـارة (عبـادا لنا) في القـرآن مـرة واحـدة فقط ، ولو أمعنّا النظر في تركيبتها ، لوجدنا أنّه سـبحانه نكّر هـؤلاء العبـاد ، ولم ينسـبهم إلى نفسه حـتى بضـمير متصل ، كأن يقول عبادنا ، وأضافها إلى الجـارّ والمجـرور (لنا) ، لنفهم أنّ تنكـيرهم ، كان غاية بحدّ ذاته ، والإضافة للجارّ والمجرور ، جـاءت هنا لتفيد ملكية الله لهم فقط ، وليس لها علاقة ببيـان ماهية المعتقد . وذلك ليعلم بـني إسـرائيل ، أن هـذا البعث من عند الله ، وبتمكين منه سبحانه ، فكل ما يجري على الأرض بخيره وشرّه ، لا يكون إلا بمشيئة الله جل وعلا وتقدير منه .

ثالثا : الفرق بين العبودية والعبادة

لنعلم أن أصل العبودية الخضــوع والــذل ، كرها أكــثر منها طواعية ، وأصل العبــادة الطاعة والولاء ، طواعية ورغبة لا كراهية فيها .

وتجب العبودية لله على الخلائق ، بـدافع الربوبية أي المُلكية ، بأحقية الخلق والإيجـاد ، واقرأ سورة الملك إن شئت فهي تفصل الأمر ، ونجدها في قوله تعالى (**قُـلْ أَغَيْـرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** (164 الأنعام) أي صاحب كل شـيء ، وقوله (**وَلِلَّهِ مُلْـكُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** (17 المائــدة) أي مالك للســموات والأرض ، وقوله **(خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ** (102 الأنعـام) مما يعقل ولا يعقل ، والخلق هو المــوجب لحقــوق الربوبية والملكية ، ولــذلك قــال جل شــأنه (**إِنْ كُـلُّ مَنْ فِي**

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93 مريم) من الملائكة حتى الذرّة من التراب ، رغما عن أنوفهم لا خيار لهم ، بأحقية ما سبق من خلقه إياهم .

ويندرج تحت العبودية ، عبودية الرقّ بدافع الشراء أو ما شابه ، التي توجب الملكية وحق التصرف بكل شؤون العبد ، ومن هنا جاءت تسمية الرقيق بالعبد ، كما في قوله تعالى (**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** (50 يوسف) والملك هو ملك مصر ، وهو ربّ الرسول أي صاحبه وسيّده ، والرسول هو نفس الفتى الذي ، قال : (**إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**) ، وربوبية المَلِك لهذا الفتى جاءت بدافع ملكية الملك للفتى .

أما العبادة ، فهي تقديم فروض الطاعة والتقديس والولاء ، لإله أو لآلهة ، ولا جبرية فيها فالخيار للمخلوق ، فهو يعبد ما يشاء ، والآلهة التي اتخذها الناس للعبادة كثيرة ومتنوعة ، قال تعالى (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا ، لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (31 التوبة) ، أما الغاية من خلق الجنّ والإنس فهي عبادة الله ، لقوله تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (56 الذاريات) .

وكلّ الناس يمارسون طقوسا العبادة ، سواء كانوا من أهل الكتب السماوية أو وثنيون أو ملحدون ، أما المؤمنون بالله فهم من نُسبت عبادتهم لله ، وليس من نُسبوا بذواتهم فقط ، قال تعالى (**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** (138 البقرة) .

ونجد أنه سبحانه ، يدعو إلى الإقرار بالربوبية ووحدانية الألوهية ، بأحقية الخلق لكل شيء أولا ، ومن ثم يأمر بالخضوع له ، وإفراده سبحانه بالعبادة والاتكال عليه ، في قوله (**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** (102 الأنعام) . فلا تستقيم العبادة إلا بإقرار الربوبية لله أولا ، ولا يستقيم الحال بإقرار الربوبية لله وحدها دون القيام بمقتضيات العبادة . وهذا ما كان عليه كفار قريش ، حيث أنهم أقرّوا بربوبية الله لهم ، ولكنهم أشركوا بالعبادة ، قال تعالى (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** (87 الزخرف) ، بينما عبادتهم للأصنام قالوا فيها (**... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ...** (3 الزمر) .

قال تعالى (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** (11 فُصّلت) ، طوعا من قبيل العبادة ، ولو لم تأتيا طوعا ، لكان ذلك كرها من قبيل العبودية ، حيث قال تعالى (**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** (44 الإسراء) .

ومن ذلك يُسمّى من يرزح تحت العبودية كرها عبدا ، فلا خيار في ألا يكون ، فهو مرغم ، ويُسمى من يقوم بواجبات العبادة طواعية عابدا ، فالخيار في أن يكون أو لا يكون ، عائد إليه ، وأشدّ الكفر ، هو ما أنكر فيه العبودية والعبادة لله معا ، وشتان ما بين المسمّيين ، مع أن أصليهما واحد ، وهو كلمة (عَبَدَ) .

رابعا : الإفراد والجمع

عباد وعبيد كلمتان مترادفتان ، ومفردهما (عَبْد) ، والعبد لغة نقيض الُحرّ ، فكلمتيّ (عباد) و (عبيد) هي صيغة الجمع من كلمة (عبد) ، وذلك بدلالة النص القرآني في قوله تعالى (**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** (65 الكهف) ، ولو قال (عابدا من عبادا) لاختلف الأمر ، وتدبرّ قوله تعالى (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** (3 الإسراء) ، نجد أنه سبحانه يُخبر أن نوح عليه السلام ، كان عبدا أولا من العبودية ، وعابدا بالشكر لله ثانيا من العبادة .

أما كلمة (عابد) ، وهو القائم بالعبادة ، فصيغة الجمع منها هي (عابدون) ، وذلك بدلالة قوله تعالى (**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ** (4) **وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** (5 الكافرون)

خامسا : ترادف كلمتي عباد وعبيد في المعنى والاستخدام .

وقد أطلق سبحانه لفظ عباد على العبيد بمعنى رقيق ، ونجد ذلك في قوله تعالى (**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** (32 النور) ، نجد أن الضمير المتصل (كم) في كلمة (عبادكم) يعود على المؤمنين المخاطبين بالنص ، ومما لا يُعقل ، أو من المستحيل أن نقول بأن كلمة (عباد) جاءت لغة من العبادة ، فهي لا تحمل هذا المعنى على الإطلاق ، ولو بدلالة هذه الآية فقط .

وأما الترادف في الاستخدام ، فقد جاء في قوله (**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ** (31 غافر) وقوله (**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** (46 فصلت) وقوله (**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** (48 غافر) ، نجد أن المعنى المستفاد من عباد وعبيد ، هو جملة خلق الله ، مؤمنهم وكافرهم على السواء .

سادسا : كلمة عباد نكرة ، ولا يُعرّفها إلا ما يأتي بعدها من سياق .

تشمل العبودية ، كل من في السماوات والأرض ، وما بينهما من الخلائق ، وتشمل العبادة ، كل من يملك العقل والإرادة من خلقه ، ومنهم على سبيل المثال الملائكة والإنس والجن ، وهم المطالبون والمكلفون ، بإفراده جل وعلا بالألوهية والعبادة ، والمحاسبون عليها ، فإن جاءت كلمتي عباد أو عبيد ، معرّفة أو غير معرّفة بأل التعريف ، أو بالإضافة ، فهي تفيد جملة الخلق ، كقوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** (48 غافر) . ولا تفيد أي معنى آخر على الإطلاق ، إلاّ إذا أضيف إليها ما يفيد ذلك :

كقوله تعالى (**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** (81 الصافات) ليُبرز فيهم سبحانه صفة الأيمان ، فهم عباده المؤمنين ، وفيها حثّ على الإيمان به . أو دل السياق على غير ذلك ، من نفي أو إثبات لصفة دون غيرها ، لتناسب الموقف ، كقوله تعالى (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** (28 فاطر) ليُبرز فيهم صفة العلم ، وحصر خشية الله بمن يتصف بالعلم ، فهم عباده العلماء ، وفيها حثّ على طلب العلم ، وقوله (**أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ** (17 الفرقان) دل السياق على ضلالهم ، فهم عباده الضالين ، وفيها تحذير من الضلال ، وقوله (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ** (53 الزمر) دل السياق على إسرافهم ، فهم عباده

المسرفين ، وفيها تنفير من الإسراف ، وكلّهم نسـبهم الله إلى نفسه ، بإضـافة ضـمير متصل يعود عليه سبحانه .

سابعا : التركيب اللغوي للعبارة ، جيء به لتخصـيص جـزء من كل بصـفة معينة ، وهي المراد إبرازها أصلا .

ولتوضـــيح ذلك ، لاحظ الفـــرق بين أن تقـــول (هـــذا بيتنا) وذاك (بيتٌ لنا) ، يفهم المستمع من العبارة الأولى ؛ أنّ هذا الـبيت مُلك لكم وخاصـتُكم وأنّكم مُقيمـون فيه ، وأمّا الثانية ؛ فيفهم منها المستمع أنّ ذلك البيت ، مُلك لكم ، وأنّكم غـير مقيمين فيه ، وربما يكون فارغا أو مؤجّرا . ومن هنا نجد أن عبارة (بيت لنا) ، تعني أنّ بيتكم هـذا ، هو واحد من جملة بيوت تملكونها ، ولا تعني شيئا آخر على الإطلاق ، وأنّك زدته تنكيرا بمثل هذا اللفظ . وأنك لو قلت (ذاك بيت لنا ذو غرف كثيرة) ، نفهم أنك أبـرزت فيه صــفة معينة ، اختص بها دون غــيره ، من الــبيوت الــتي تملكونها ، وهي احتوائه على غرف كثيرة ، وميّزته عن باقي بيـوتكم ، الـتي في معظمها ذات غـرف قليلة . وكـذلك الأمر بالنسبة لعبارة (عبادا لنا) ، التي جاءت منكّرة أيضا لإبراز صفتهم ، (أولي بأس شديد) ، التي يتمـيزون بها عن غـيرهم ، من جملة عبـاد الله مـؤمنهم وكـافرهم ، ولم يأتي السياق بتصريح أو تلميح عن ماهية معتقدهم .

ولتوضيح ذلك أكثر فأكثر ، نطرح هذا المثال ، فيه أربعة أقوال لرجل ، يُجيب رجلا آخرا ، يريد عمالا لمزرعته :

1- سأرسل لك (أولادي) غدا ، للعمل في مزرعتك .

2- سأرسل لك (أولادا لي) غدا ، للعمل في مزرعتك .

3- سأرسل لك (أولادي ، أولي المهـــارة والخـــبرة في الفلاحة) غـــدا ، للعمل في مزرعتك .

4- سأرسل لك (أولادا لي ، أولي مهـــارة وخـــبرة في الفلاحة) غـــدا ، للعمل في مزرعتك .

فما المعنى الذي أفادته كل عبارة أعلاه ؟

1- أنه سيرسل جميع أولاده ، مع عدم توضيحه لصفتهم أو ماهيتهم .

2- أنه سيرسل بعضا من أولاده ، مع عدم توضيحه لصفتهم أو ماهيتهم أيضا .

3- أنه سيرسل جميع أولاده ، وأن جميع أولاده لديهم مهارة وخبرة في الفلاحة .

4- أنه سيرسل بعضا من أولاده ، وأن هـــذا البعض من أولاده فقط ، هو الـــذي يملك المهارة والخبرة في الفلاحة ، أما البقية فلا .

وأخيرا تدبرّ هذه الآيات :

(**وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** (118 النسـاء) (أي أن من جملة العباد المنسوبين إلى الله هناك نصيب لإبليس)

(**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** (42 الحجر) (أي أن سـلطان إبليس محصـور فقط على أتباعه من الغـاوين ، الـذين هم من جملة العباد المنسوبين إلى الله)

(**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (194 الأعراف) (أي أنتم وهم ، أي العابد والمعبود ، سواء في كونكم عباد)

(**قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا** (31 إبراهيم) (أي أن الخطاب لعبادي الذين آمنوا ، دون عبادي الذين كفروا)

(**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا** (63 مريم) (أي وأن النار لمن لم يكن تقيا من عبادنا)

(**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** (109 المؤمنون) (أي وكان هناك فريق من عبادي ، يقولون غير ذلك)

(**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** (85 غافر) (أي في مجمل عباده ، والخاسرون منهم ، هم الكافرون دون المؤمنين)

(**نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (52 الشورى) (أي وهناك من لم نهدي من عبادنا)

(**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (93 مريم) (مؤمنهم وكافرهم بلا استثناء)

وفي الحديث الصحيح الطويل ، الذي رواه مسلم وأخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد ، جاء ما نصه " ... **إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى ، إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ** (جبال القدس) ، **وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ... " يرد نفس التركيب اللغوي لعبارة (عبادا لنا) ، وهو (عبادا لي) والمقصودين به هم قبيلتي يأجوج ومأجوج ، الذين قال فيهم سبحانه (**قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ ، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** (94 الكهف) .

وخلاصة القول : أن كلمة (عبادا) ، جاءت نكرة ، و كلمة (لنا) لم تعرّفها ، وإنما جاءت هنا لتأكيد الملكية فقط ، وكل الخلق ملك لله ، ليؤكد سبحانه لبني إسرائيل ، أن هذا البعث سيكون من عنده ، وبما أن هؤلاء العباد ملكه ، فهم رهن إشارته وطوع بنانه ، ويملك حق التصرف بشؤونهم ، فإن شاء بعث وإن شاء أمسك . وأكثر المعاني دقة لهذه العبارة (عبادا لنا) ، هو أنهم (طائفة من خلقنا) لا أكثر من ذلك ولا أقل ، وأهم ما يميّز هؤلاء الخلق عن غيرهم ، أنهم (أولي بأس شديد) فقط لا غير .

وأن ورود لفظ (عباد) في القرآن ، لم يقتصر على أولياء الله وأحباؤه ، وإنما جاء هذا اللفظ في الخطاب القرآني ، منّا على العباد بنعمة خلقه إياهم ، ورفقه ولطفه بهم ، مطيعهم وعاصيهم ، والكلمات (عبادي ، عبادنا ، وعباده) عادة ما تأتي كتهيئة ، لما سيأتي بعدها ، من صفة مميزة ، أو سياق يدل على صفة ، وهي المراد إبرازها أصلا ، فإن كانت صفة محمودة ، كالإيمان والعلم فقد أبرزت تحببا بها ، وإن كانت صفة مذمومة ، كالضلال والإسراف ، فقد أبرزت تنفيرا منها .

وأما صفة البأس الشديد ، فقد أُبرزت تهديدا وتحذيرا وتخويفا لبني إسرائيل ، من سوء عاقبتهم ، بوقوعهم بين أيدي مثل أولئك الخلق ، الذين لن يرقبوا فيهم إلّا ولا ذمة ،

لعلهم ينتهـون ويرجعـون ويرتـدعون ، عمّا هم عليه من فسـاد وإفسـاد واسـتعلاء في الأرض .

أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ :

وصف الله هؤلاء العباد ، بأولي البأس الشديد ، والبأس كما قدمه معظم المفسـرون ، هو القـوة والبطش في الحـروب ، والشـدّة جـاءت زيـادة في المبالغة ، قـال تعـالى (**<u>وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ</u>** (25 الحديد) ، فـانظر وتفكر في معدن الحديد ، فهو يحمل في جـوهره صـفتان ، قلما تجـدهما في معـدن آخر . وهما ؛
<u>أولّا</u> : أنّه يحافظ على طبيعته ، مهما عظم عليه الطرق واشتدّ ، ولا يحـترق أي يتحـول إلى مادة أخرى ، مهما ازدادت شدة النيران عليه ، وإن انصـهر عـاد إلى سـابق عهـده عند البرودة ، وهذه الصفة إن وجدت في البشر ، فهي الجلد والصبر عند وقوع البلاء .
<u>وثانيا</u> : أنّه عند تشكيله وشحذه ، فهو قوي قاتل وقاطع ، لذلك قيل " لا يفل الحديد إلّا الحديد " ، وهــذه الصــفة إن وجــدت في البشر ، فهي القــوة والبطش عند مواجهة الأعداء .

وفي قوله تعالى (**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا** (84 النسـاء) نجد أنّه سـبحانه قد وصف نفسه بـذات الصـفة ، وبما أنّ البـأس الشـديد تعـني القـوة والبطش ، فـأين تستعمل هذه القوة وهذا البطش من قبله سبحانه ؟ وفي أي المواقع والمواقف يصف رب العزة نفسه بهاتين الصفتين ؛ القوة والبطش ؟ دعنا نتتبع هـذه الصـفات والعلاقة ما بينها ، في الآيـات التالية (**<u>إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ</u>** (12 الـبروج) (**<u>يَـوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُـونَ</u>** (16 الـدخان) نجد أنّ الشـدة ارتبطت بـالبطش ، والبطش بالانتقام .

(**<u>إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ</u>** (52 الأنفال) (**<u>إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ</u>** (40 الحج) (**<u>فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ</u>** (42 القمر) (**<u>وَكَـذَلِكَ أَخْـذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَـذَ الْقُـرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ</u>** (102 هود) (**<u>لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ</u>** (4 آل عمران) ، ونجد أنّ الشدة ارتبطت بالقوة ، والقوة بالعزة ، والعزة بالأخذ ، والأخذ بالشدة ، والشدة بالعزة ، والعزة بالانتقام .

ومما تقدم نجد أن الموقف ، الذي يستدعيه جل وعلا لإظهار بأسه الشديد ، هو موقف الانتقام ، وأن الانتقام لا يتأتى إلا ممن هو قوي وعزيز .

وخلاصة القـول : أنّ هـؤلاء العبـاد ، المبعـوثين من قبله سـبحانه على بـني إسـرائيل ، اختـارهم الله لتنفيذ مهمة ، وهي إنـزال أبشع انتقـام إلهي ممكن في بـني إسـرائيل ، لذلك تطلب الأمر أن يكونوا أولي بأس شـديد ، ويتمتعـون بـالقوة والعـزة ، ذوي صـبر وجلد عند وقوع البلاء ، وقوة وبطش عند اللقاء ، بغض النظر عن إيمانهم أو كفـرهم ، زيادة في التنكيل وإمعانا في الإذلال لبني إسرائيل ، وما عدا ذلك من صفات العباد ، لا تصلح لتنفيذ هذه المهمة . والفتوحات التي اتخذت الطابع الإسلامي قديما وحـديثا ، لم تحمل الطابع الانتقامي بإهلاك الحرث والنسل ، الذي سـيكون عليه الأمر الـذي تصـفة الآيات .

فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ :

لم ترد كلمة (جاسوا) ، أو أي من مشتقات مصـدرها (جـوس) في مجمل القـرآن ، إلّا مرة واحدة فقط في هذا الموضع ، لذلك لجأت إلى معجم لسان العرب ، وهذا مما

قيل فيها : " الجوس هو مصدر جاس جوسا ، وجوسان تردد ، فجاسوا خلال الديار : ترددوا بينها للغارة والجوسان ؛ أي قتلوكم بين بيوتكم ؛ بمعنى يذهبون ويجيئون ؛ فطافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه ؛ تخللوها فطلبوا ما فيها ، والجوسان : الطوفان بالليل ، ورجل جوّاس أي يجوس كل شيء يدوسه ، والجوس : طلب الشيء باستقصاء ، وكل موضع خالطته ووطئته ، فقد جسته " .

ولو جمعنا كل ما قيل فيها من معاني ، وأعدنا تشكيل هذه المعاني وصياغتها ، لخرجنا بالمشهد التالي :

(أغاروا عليكم – ليلا على الأرجح – ودخلوا دياركم ، ووطئوا أرضكم ليقتلوكم وينكّلوا بكم ، وتردّدوا فيها ذهابا وإيابا ، وطافوا خلالها شرقا وغربا ، وتخلّلوا أزقتكم واقتحموا بيوتكم ، بحثا وتقصيّا ، لعلّهم يجدوا منهم ، من بقي حيا ليقتلوه) .

نلاحظ هنا أنّ الله جلّت قدرته ، أوجز في وصف فعل هؤلاء العباد أيّما إيجاز ، ليصف كل ما فعلوه في كلمة واحدة فقط ، هي كلمة (جاسوا) لتصف مشهدا كاملا ، ولم تكن الإضافة (خلال الديار) إلّا لتوضيح ما كان قد جيس . وهذا يُشبه مشهد الإغارات الوحشية ، التي كان يقوم بها ، الأمريكي المدجّج بالسلاح الناري ، على قرى الهنود الحمر شبه العُزّل ، وما يُخلفه وراءه من دمار ومآسي ، مشهد طالما حفلت به أفلام الغرب الأمريكي .

والعبارة جاءت لتصف ما قام به عباد البعث الأول عند بعثهم ، قال تعالى (فجاسوا) بصيغة الماضي ، أي أن الجوس ، قد وقع في الماضي ، ولم يقل (ليجوسوا) بصيغة الاستقبال ، كما هو الحال في أفعال البعث الثاني ، التي ستقع في المستقبل .

وخلاصة القول : أن هذا الجوس قد وقع في الماضي ، وكان غاية في البشاعة ، واستباح فيه هؤلاء العباد حُرُماتهم جميعها ، من أرض ومال وعرض ، فوقع فيهم القتل والنهب والسبي .

وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا :

هذا الخبر جاء كتعقيب على الوعد الأول ، ليؤكد سبحانه تحقق المرة الأولى ، بعلوها وإفسادها وبعثها ، قبل نزول هذه الآيات . حيث جاءت صيغة اسم المفعول (مَفْعُولا) من الفعل (فَعَلَ) ، للدلالة على تمام الفعل ، بمعنى وكان وعدا (قد فُعِلْ) فيما مضى من الزمان . ولم تأتي بأي حال من الأحوال بمعنى (مقضيا) ، كما قدّمه معظم المفسرين القدماء ، ومنهم القرطبي أجلّه الله ، حيث قال فيها " وكان وعدا مفعولا ، أي قضاء كائنا لا خلف فيه " ، على اعتبار أن نفاذ الوعدين كان قبل الإسلام .

وقد جاءت هذه العبارة ، كجملة معترضة ، بحيث لو قمت بإسقاطها من السياق ، ومن ثم قرأت الآيتين (4و5) ، كما يلي : (... بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار . ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم ...) لوجدت أن السياق لم يتأثر بحذفها ، فخبر نفاذ الوعد الأول ، انتهى عند ذكر الجوس ، أي أن الجوس قد وقع بعد البعث . وجاء التعقيب على الوعد ، بالجملة المعترضة (وكان وعدا مفعولا) لبيان وتأكيد ، أن الوعد بالبعث الذي تقدّم ذِكره ، قد تحقّق فعلا ، وكانت نتيجته هي الجوس ، ومن ثم يبدأ النص بالإخبار عن الوعد الثاني .

قال تعالى (**وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** (163) .... **فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ،**

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166 الأعـراف) وهـذه الحادثة كما نعلم ، وقعت في بني إسـرائيل قبل مئـات السـنين ، والآن انظر قوله تعـالى (**يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ ءَامِنُـوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَـدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّـبْتِ ، وَكَـانَ أَمْـرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ..** (48 النساء)

جاءت الجملة المعترضة (وكـان أمر الله مفعـولا) زيـادة للإيضـاح ، ولتؤكد بما لا يـدع مجالا للشك أو الظن ، لبني إسرائيل المعاصرين لرسالة الإسلام ، والمتشـكّكين منهم والذين خانتهم ذاكرتهم ، وغير المصدّقين بصحة هـذا الأمر ، الـذي كـان الله قد أجـراه في أسلافهم ، أن هذا الأمر وهو المسخ ، قد مضى في أسـلافهم حقيقة ، فجـاء تعقيبه تعالى على ما تقدم ، من لعن ومسخ لأسلافهم ، بقوله (وكان أمر الله مفعولا) لإزالة الشك ، ولتأكيد أنّ الله قادر على تكرار ذلك الأمر ، إن لم يؤمنوا بما أنزل من القـرآن على وجه التهديد والتحذير .

وخلاصة القول : أن الوعد الأول بالبعث ، كان قد مضى وانقضى قبل نزول هذه الآيات ، وأنّ تعقيبه عز وجل بقوله (وكـان وعـدا مفعـولا) ، جـاء لتـذكير اليهـود الحـاليين وتحذيرهم ، وإنباء المسلمين غير العالمين ، بوقوع ذلك في بني إسرائيل ، بأنه قد وقع فعلا ، وبشـرى لهم بـأن الوعد الثـاني ، سـيتحقق كما تحقّق الوعد الأول ، وأن الله لا يخلف الميعاد ، وما عليهم إلا الصبر والاستمرار في كفاحهم ضد اليهود ، وحسن الظن بالله وبوعده – وعد الآخـرة – قـال تعـالى (**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَـرُوا تُصِـيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ، أَوْ تَحُـلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ ، حَتَّى يَـأْتِيَ وَعْـدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** (31 الرعد) .

(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَـرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْـدَدْنَاكُمْ بِـأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـاكُمْ أَكْثَـرَ نَفِيرًا (6)

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ :

قال تعالى (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**) أي ثم رددنا الإنسـان أسـفل سـافلين من النار ، وهـذا لا يتحصل إلا بعد البعث والحسـاب ، بدلالة الاسـتثناء في تكملة السـياق ، في قوله تعالى (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (6 الـتين) ، وبالتـالي تكـون (ثم رددنـاه) بالماضي ، جـاءت بمعـنى أيضا (ثم نـردّه) بالمستقبل .

وجاءت كلمة (رددنا) بمعنى أعدنا من إعادة ، (والكَـرّة) مصـدرها كَـرَرَ وفعلها كَـرَّ ، والكَرُّ والفرُّ تقنية عسكرية ، ويقولون " الحـرب كـرٌّ وفـرٌّ " وهي تعـني الفعل المضـاد للفعل السـابق ، فالغلبة كـانت للعبـاد والهزيمة لبـني إسـرائيل ، وردّ الكـرة لهم هو العكس تماما ، كالصورة في المـرآة ، أي الغلبة والتفـوق العسـكري لبـني لإسـرائيل . وليس المقصود بالكرّة العودة إلى فلسطين ، وانتصار اليهـود في حـروبهم ضد الـدول العربية ، لقوله ، (الكرّة عليهم) أي الغلبة العسكرية على العباد أنفسهم دون غـيرهم . فالضـمير المتصل (هم) في (عليهم) ، يعـود على العبـاد المبعـوثين عليهم ، الـذين سبق ذكرهم ، وجميع الضمائر المتصلة (كم) في هذه الآية ، تعود على بني إسـرائيل .

قال تعالى ، على لسان الكافر حين يرى العذاب (**لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ** (58 الزمر) ، فالفعل الذي سبق ، هو مجيئه من الدنيا إلى الآخرة ، فتمنى الكرة ، وهي العودة من الآخرة إلى الحياة الدنيا ، ليكون من المحسنين .

وخلاصة القول : أن المقصود هو أن يُوقع اليهود بأولئك العباد ، ما كان أولئك العباد قد ، أوقعوه في أسلافهم من قبل ، من استباحة للأرض والمال والعرض ، بعد استكمال مظاهر العلو الثاني ، بالاستقواء على أولئك العباد والاعتداء عليهم .

وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا :

وأمددنا في (لسان العرب) " مصدرها مدد ؛ ومدّه غيره وأمدّه ؛ وأمددناهم بغيرنا ؛ والمدد هم العساكر التي تلحق بالمغازي ، والإمداد أن يرسل الرجل للرجل مددا ، تقول أمددنا فلانا بجيش ، قال تعالى (**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ** (125 آل عمران) " وفي المجمل تعني الزيادة والكثرة ، في المساعدة العسكرية المقدمة من قبل الغير ، من مال وأفراد وعتاد أثناء الحرب . عندما يكون الجيش أقرب للهزيمة منه إلى النصر .

والنفير هم القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال ، ومنه قوله تعالى (**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** (41 التوبة) .

جاء في (كتاب النبوءة والسياسة) ، للكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) : " لقد أغرقنا إسرائيل بالأسلحة : جعلنا من دولة الثلاثة ملايين يهودي ، ماردا عسكريا أكبر من أي دولة منفردة ، مثل ألمانيا أو إنكلترا أو فرنسا ، وأقوى من 21 دولة عربية مجتمعة ، عدد سكانها 150 مليون نسمة "

" أن إسرائيل .. هي المستفيد الأول بلا منازع من برنامج مساعداتنا .. تحصل على ثلث مجمل المساعدات الأمريكية الخارجية "

وتقول الكاتبة تعقيبا على انتصار إسرائيل في حرب 1967 ، " لم يعطِ أحد أي فضل للولايات المتحدة ، لأنها زودت إسرائيل بالأسلحة والتكنولوجيا والدولارات ، وحتى بالعناصر العسكرية الأمريكية التي ساعدت الإسرائيليين ، في تلك الحرب . لقد ربحت إسرائيل لأن الولايات المتحدة كانت تؤيدها بلا حدود "

وتقول أيضا " أن نسبة العسكريين إلى المدنيين في إسرائيل ، هي (1 عسكري من كل 22 مدني) وهي أعلى نسبة في العالم "

وتقول أيضا على لسان الأستاذ في الجامعة العبرية (إسرائيل شاهاك) " إن دافع الضرائب الأمريكي أرسل إلى إسرائيل ، في عام 1985 خمسة مليارات دولار " واستمرت أمريكا بدفع هذه القيمة سنويا لغاية الآن ، فضلا عن المساعدات المادية والعينية الأخرى " ، انتهى .

وفي قوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا) ثلاثة أفعال ، جاءت جميعها بصيغة الماضي ، وهي (رددنا لكم ، أمددناكم ، جعلناكم) وحُمّلت جميعها أيضا صفة الاستقبال ، بمعنى (ونردُّ لكم ، ونمدُّكم ، ونجعلكم) ولكن باختلاف الزمان ، فهذه الأفعال جاءت لتأخذ صفة الاستقبال ، قبل قيام دولة إسرائيل ، فتفيد معنى (ونردُّ لكم ، ونمدُّكم ، ونجعلكم) ، ولتأخذ بعد قيام دولة إسرائيل صفة الماضي ، (رددنا لكم ، وأمددناكم ، وجعلناكم) .

كان المفسرين القدماء أكثر قربا منا ، وأكثر فهما لمفردات اللغة العربية ، ومع ذلك لم يعطوا هذه الآيات حقها من التفسير والتفصيل ، مما ساهم في إخفاء هذا الأمر العظيم حتى هذه الأيام ، ومردّ ذلك أنهم لم يعاصروا الدولة الحالية لليهود . ولو فُسّرت هذه الآيات تفسيرا دقيقا كما الآن ، لكشفت هذه النبوءة للمسلمين ، الكثير من الوقائع ، ولكان ضرّ هذا الكشف عنها للمسلمين أكثر من نفعه ، ولكن لم يشأ الله ذلك رحمة بالمسلمين ، حتى لا يتملكهم اليأس والقنوط والتسليم بالأمر الواقع ، بما أنّ الله قد أخبر بذلك ، وهو الحقّ وقوله حقّ .

ولو حصل أن علم المسلمون بتفاصيل هذه النبوءة مسبقا ، فربما ترك معظم الفلسطينيون بلادهم ، مع إطلاق أول رصاصة من قبل برابرة هذا العصر ، إلا من أوتي الحكمة ورَحِمَ ربي ، ولَحُرِمَ المسلمون شرف الشهادة ، ونيل الأذى في سبيل الله ، لقوله تعالى (**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ، فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** (140آل عمران) ولقوله (**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ، لَا يُصِيبُهُمْ ، ظَمَأٌ ، وَلَا نَصَبٌ ، وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا ، إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ ، عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (120التوبة) . ولكن عدم معرفة الفلسطينيون ، آنذاك بحتمية قيام الدولة اليهودية ، أبقى الأمل بإمكانية منع إقامتها ، حيّا في نفوس أهلها ، فبقي الكثير منهم فيها ، واستمر باب الجهاد في سبيل الله ، مشرعا على مصراعيه ، وبقي سجل شرف الشهادة في سبيل الله ، مفتوحا إلى يوم القيامة ، لمن يرغب منهم في تدوين اسمه ، ولتكون منهم بإذن الله تلك الطائفة ، التي أخبر عنها رسول الحق عليه الصلاة والسلام .

أما بالنسبة لليهود ، فهل كُشفت لهم هذه النبوءة ؟ أقول : نعم بلا شك ، ألم يقل سبحانه (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ**) وكشفت لهم أيضا نبوءات أخرى ، ويعرفون تفاصيلها كما يعرفون أبناءهم ، قال تعالى (**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ، وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ، لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** (154 الأنعام) (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ، وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ، سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ** (145 الأعراف) وقد كشفها الله لهم ليعلم ما سيكون منهم ، فعلم العقلاء يزيدهم تواضعا وخضوعا وامتثالا ، وعلم الذين لا يعقلون (اليهود) زادهم جهلا واستكبارا وطغيانا وعصيانا وعدوانا ، وسنوضح لاحقا ما كان منهم ، بناءا على معرفتهم لما جاء في كتبهم من نبوءات ، بإذن الله .

أما لماذا كُشفت الآن ، نقول : أن لا جدوى من إخفاءها الآن ، فقد اكتملت معالم القدر من ظروف وملابسات ، وفسّر الواقع جزءا كبيرا من نصوصها ، وكل شيء أصبح واضحا للعيان ، (**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** (115 الأنعام) وعلم سبحانه ما أراد أن يعلم ؛ مما كان من المسلمين ، واتخذ وسيتخذ منهم ما أراد أن يتخذ ، وما كان من اليهود وسيأخذ منهم ، ما شاء أن يأخذ حطبا لنار جهنم ، وبئس المصير (**وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8 الإسراء)** . والكشف عن أسئلة الامتحان والبلاء ، لن يُغيّر شيئا ، فقوائم النتائج والشهادات ، تُعلن من على شاشات التلفاز ، فقد نجح الكثير من طلاب الآخرة في امتحان ربهم ، على (**درجة شهيد بامتياز مع مرتبة الشرف**) ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ونحن الآن بانتظار أن يُصدر رب العزة ، نتائج أولئك الأوغاد السفلة ، بعد أن يمهرها بتوقيعه المبارك ، وكأنّي أتخيّل الملائكة يُعدّونها ، في عجلة من أمر ربهم ، لتكون جاهزة عند موعد التسليم ، فتدبّر في قوله (**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ، كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** (110 ... **وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَلِيَرْضَوْهُ ، وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ،** (113 ... **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (115 الأنعام) ، وموعدهم قريب ، وعند مجيئه سيكون الباب مشرعا لأولئك العباد بأمر ربهم ، لينقضوا عليهم ويزلزلوا أركانهم ، ويكسروا شوكتهم ويقتلعوها من جذورها ، والبعبع الأمريكي يغطّ في سبات عميق ، ولن يمنعهم من أمر الله أحد كان .

ونقول : أنّ عودة اليهود إلى فلسطين حقّ ، فالذي أخبر عن ذلك هو الحقّ ، وأنّ إخراج أهلها منها حقّ ، بعد أن منّ الله عليهم بالاستضعاف بالأرض ، كما استضعف الذين من قبلهم ، فأورثوا الأرض من بعد ، فقد أخرج رسوله من قبل بالحقّ ، (**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** (5 الأنفال) وفي إحدى سننه الكونية لمن يُخرج الناس من ديارهم قال الحقّ (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ <u>لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ</u>** (13 إبراهيم) .

وهذه رسالة رب العزة ، إلى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن سورة (محمد) : (**فَلَا تَهِنُوا ، وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** (35) ... **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** (38) ، وإن لم نكن نستحق الانتساب لأمّة (محمد) عليه أفضل الصلاة والتسليم ، قولا وعملا ، فسنّة الاستبدال واقعة بنا لا محالة ، ومن المؤسف أنها على وشك .

وخلاصة القول : أنه وبعد نفاذ الوعد الأول فيكم ، من قبل هؤلاء العباد ، وقتلِهم وقهرِهم لكم ، وزوال دولتكم ، وتشتتكم في الأرض بمدة من الزمن ، طالت أو قصرت - تفيدها ثمّ - سنأذن لكم بالعودة إلى الأرض المقدسة ، وتهزموهم كما هزموا أسلافكم ، وتعود لكم السطوة عليهم ، وتلحقوا بهم ما ألحقوه بأسلافكم ، ونُمدّكم بالأفراد المدربين على القتال والمساعدات المالية والعسكرية ، ونجعلكم أكثر عددا وعتادا . وهذا من قبيل (**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بيْنَ النَّاسِ**) بإجراء القضاء والقدر ، وليس من قبيل المكافأة ، لبني إسرائيل على إحسانهم ونيلهم رضاه سبحانه ، كما يدّعون في توراتهم ، وكما ذهب إلى ذلك بعض المفسّرين .

(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا :

وهذا على سبيل التخيير ، ولنفي الجبرية على من يملك العقل والإرادة ، ولدفع الظلم عن نفسه جلّ وعلا ، حيث قال (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا <u>وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ</u>** (46 فصلت) ، وجاءت في ظاهرها ، تحمل الكثير من الترغيب ، والكثير من الترهيب ، وفي باطنها التهديد والتحذير مما يليها ، لكيلا يكون

لهم على الله حجة ، بأنه لم يحذّرهم وينذرهم ، قبل إنـزال عقـاب وعد الآخـرة فيهم . أما دفع تهمة الإفسـاد عن النفس ، فليست بالأمـاني ومعسـول الكلام ، ولكن بـالنظر إلى ما اقترفته الأيـادي ، حيث قـال سـبحانه (**لَيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ وَلَا أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِـهِ وَلَا يَجِـدْ لَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِـيرًا** (123 النساء) .

والتغيير من الإفساد إلى الإصلاح ، ومن الإساءة إلى الإحسان ، لا يـأتي عبثا بل يحتـاج إلى الكثير من الجهد والعمل ، فالبداية تكـون بتحصـيل العلم والمعرفة بالله ، بـالتفكّر والتدبّر في ملكوت السـماوات والأرض ، ومن ثم الأيمـان بوجـوده وقدرته على الخلق والإيجاد ، ومن ثم ردّ الجميل لصاحب الفضل والمنّة ، بإقرار ربوبيته وملكيته لنا ، ومن ثم الطاعة والتسليم والانصياع ، ومن ثم تحصيل المعرفة بمراده من الخلق ، كما جـاء في كتابه (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ** (56 الـذاريات) ، وبالتـالي البحث الحثيث لمعرفة ما يُنـال به الرضا ويُـدفع به الغضب ، ومن ثم العمل بما تعلم ، فـإن لم يكن حبا في ملك الملـوك ، ليكن ولاءً لسـبق الفضل ، وإن لم يكن طمعا في الجنة فخوفا من النار .

فـانظر بربك إلى ربك ما أعدله ، أنعم عليك وأوجـدك أولا ، وسـيدخلك الجنة إلى الأبد ثانيا ، لتكون ممن قالوا (**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْـدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** (74 الزمر) ، لا من الذين قالوا (**يَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** (97 الأنبياء) .

قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** (11 الرعد) ، فالتغيير يبـدأ من العبد وينتهي عنده ، قال تعالى (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُـؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُـوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُـوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** (5 الصف) ، حيث سـبق الزيغ منهم فـأزاغ الله قلـوبهم ، أفلا يستحق الأمر شيئا من العناء ... ؟! فلنسارع بتغيير أنفسـنا ، قبل أن تتغـير جلودنا مرارا وتكرارا ، في نار جهنم .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ :

فيما روي عنه عليه الصـلاة والسـلام ، مما قـال في دعـاءه " أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء " ، والآخِر والآخِـرة نقيض المتقـدم والمتقدمة ، ومن معجم مختار الصحاح : الآخِر بكسر الخاء بعد الأول وهو صـفة ، تقـول جـاء آخِـرا أي أخيرا ، وتقديره فاعل ، والأنثى آخِرة والجمع أواخر .

وخلاصة القول : أنها المرة الثانية في الترتيب ، والأخـيرة في عـدد المـرات ، ولا ثالثة بعدها ، وإنما هنـاك أخـرى ، ولكنها تختلف في أنها ليست مـرة ، ولا يصـحّ أن نسـميها مرة ثالثة ، فهي لا تمتلك شروط المرتين السابقتين .

بعثناهم عليكم :

هذه العبـارة ، غـير موجـودة أصلا في نص الآية ، وهي جـواب شـرط إذا الخـاص بوعد الآخرة ، وقد حُـذفت ، لدلالة جـواب شـرط إذا الخـاص بوعد أولاهما . ولتوضـيح عمل (إذا) وما يعنيه شـرطها وجوابها ، نقـول نسـتعمل (إذا) عـادة ، إذا أردنا تعليق فعل معين (ويسـمى جـواب شـرط إذا) ، بفعل آخر (ويسـمى شـرط إذا) ، كـأن تقـول

لزوجتك على سبيل المثال : " إذا حصلت على ترقية في نهاية الشهر ، اشتريت لك ذلك الخاتم " ، فالذي ذهبت إليه في الواقع ، هو أنك علّقت عملية شراء الخاتم ، الذي رغبت فيه زوجتك ، بعملية حصولك على الترقية الموعود بها آخر الشهر ، فإن لم تكن هناك ترقية ، فلن تحصل زوجتك المسكينة على الخاتم . فشرط (إذا) هو (الحصول على الترقية) ، وجواب الشرط هو (شراء الخاتم) . وبعبارة أخرى نقول أن حصول زوجتك على الخاتم متعلّق بالحصول على الترقية .

وبإعادة عبارة (بعثناهم عليكم) المحذوفة ، يصبح النص كما يلي (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ** – <u>بعثناهم عليكم</u> – **لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**) . وعبارة (وليسوءوا وجوهكم) ليست جوابا للشرط ، لارتباطها بلام كي ، حيث جاءت العبارة لتعليل البعث وتوضيح الغاية منه . وضمير الغائب (هم) في (بعثناهم) يعود على العباد أنفسهم ، وضمير المخاطب (كم) في (عليكم) ، يعود على بني إسرائيل .

وخلاصة القول : أن هذه المرة هي الأخيرة من المرتين ، وأن تحقّق البعث متعلّق بمجيء الموعد المحدّد ، وبما أن الضمير في كلمة (بعثناهم) يعود على نفس العباد ، فإن عباد البعث الثاني ، هم نفس عباد البعث الأول .

لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ :

إساءة الوجه ، أن يُفعِلَ بِالإنسان ما يَكْرَه ، وأساءه نقيض سَرّه . وفي الواقع أن فِعل الإساءة ، لن يقع على الوجوه بشكل مباشر ، وإنما على المظاهر والمقومات المادية ، التي مكّنتهم من العلو والاستكبار والاستعلاء على الناس ، ليُحرموا هذه الميزة بتبادل الأدوار مع أولئك العباد . ويكسبوا ميزة جديدة ، هي الاستضعاف والذل والانخفاض ، بتبادل الأدوار مع الفلسطينيين ، ومن ثم ليقع فيهم ، ما أنزلوه بالفلسطينيين طيلة مدة علوهم ، من قتل وأسر وتعذيب وسلب للأراضي والممتلكات ، وإتلاف وهدم ، على قاعدة الجزاء من جنس العمل ، (**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** (14 التوبة) . وضمير الغائب (واو الجماعة) في (ليسوءوا) ، يعود على نفس العباد ، وضمير المخاطب (كم) في (وجوهكم) ، يعود على بني إسرائيل .

والذي سيظهر على الوجه ، هو تعابير الاستياء ، التي تنتج في الغالب ، عن مشاعر تجيش بها النفس البشرية ، كالألم والحسرة والغيظ والخزي والذل ، عندما تتعرض للأذى النفسي ، الذي غالبا ما يكون ناتج ، عن فقدان مادي لما هو جيد ، أو كسب ما هو سيئ ، أو كلاهما ، وتعتمد درجة الاستياء على درجة الفقد أو الكسب ، والذي سيفقده اليهود ، هو السيادة والغنى والقوة .

ونجد وصف لتعابير وجه ، يشعر صاحبه بسوء ألمّ به ، لحرمانه من الذكر ، بولادة الأنثى ، التي ستجلب له العارِ مستقبلا ، في قوله تعالى (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى <u>ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ</u>** (58) **<u>يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ</u> ...** (59 النحل) ، ونجد وصف آخر لتعابير وجوه الذين اقترفوا السيئات ، عندما استيقنوا أن لا مفر ولا عاصم من أمر الله ، وأنهم سينالون جزاء سيئاتهم ، فتملكّتهم مشاعر اليأس والقنوط من النجاة ، في قوله تعالى (**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ <u>كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا</u> أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (27 يونس)

توحي عبارة (ليسوءوا وجوهكم) ، أن ما سينزل بهم من عقاب ، على أيدي هؤلاء العباد ، شديد الوقع ، وبالغ الأثر والتأثير في نفوسهم ، مما سيعكس بالضرورة آثار

المساءة على وجوههم . لدرجة أنه سبحانه ، أورد نفس التعبير ، في وصفه لحال الكفار عند رؤيتهم لعذاب جهنم ، في قوله تعالى (**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ** (27 الملك) . فالعقاب الذي سيحلّ باليهود قريبا ، ليس له نظير ، ولا يُمكن أن يتأتى هذا العقاب ، إلا من قبل أناس يملؤهم الحقد والكراهية ، ولديهم رغبة شديدة وملحة للانتقام ، من بني إسرائيل لسبب أو لآخر .

قال تعالى (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** (32) **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، أَنْ يُقَتَّلُوا ، أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (33 المائدة)

تبين الآية الأولى ، عظم مكانة النفس البشرية عند الله ، إذ ليس لأحد كان ، إزهاق أرواح الناس سوى خالقها ، فهو الذي يحيي ويميت ، ومن أزهق روحا بغير نفس أي قصاصا ، أو لمنع الفساد في الأرض ، كإقامة الحدود الموجبة للقتل ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن قام بهذا الأمر ، خارج نطاق ما تقدّم من موجبات القتل ، فقد أعلن حربه على الله . وأن من أعلن حربه على الله ، في الآية الثانية ، حُصر جزاءه من قبل رب العزة ، بأربعة خيارات ، تنفّذ فيه في الحياة الدنيا ، من قبل من أوكله الله بذلك ، حسبما يرتأيه منفذ الحكم ، إذ لا جناح عليه فيما أُنزل به من عقوبة .

والملاحظ أن هذا البيان جاء عامّا ، ولكنه ارتبط ببني إسرائيل بشكل خاص ، مما يوحي أن عقابهم في المرتين ، شمل وسيشمل على ما يبدو هذه الخيارات مجتمعه ، بالقتل والصلب والتنكيل والسبي ، وبما أن النتيجة النهائية لهذا العقاب ، هي زوال علوهم في فلسطين ، فهذا يعني رحيل من بقي حيّا فرارا ، عن فلسطين نهائيا ، يجرّ أذيال الخيبة والهزيمة . وستفيض قلوب كل اليهود في كافة أرجاء العالم ، بمشاعر الذل والخزي والعار والهوان ، ، مما يدعو القاصي والداني ، للشماتة بهم وبمن يشدّ على أيديهم . وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة ، بأن جزاءهم سيكون من جنس عملهم .

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ :

يعتقد الكثير من المسلمين هذه الأيام ، أن ذكر المسجد في هذا الموضع ، يترتب عليه أن من سيدخله ، وأن تحريره مقصورا على حملة لواء الإسلام ، أو بتعبير أدق أولياء الله وخاصته ، يوحدهم ويقودهم خليفة يفوقهم ولاءً لله ولدينه ، وفي الأذهان صورة ابن الخطاب ، رضي الله وأرضاه عنه ، وصلاح الدين رحمه الله ، ومن منا لا يتمنى ذلك .

ولكن يحضرني هنا قول الشاعر : " ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن " ، فلو عدنا بالذاكرة ، إلى دخوليّ عمر وصلاح الدين ، ستجد أنهما لا يتفقّان مع ما جاء في سورة الإسراء ، لسببين ، الأول ؛ كان الدخول على النصارى في المرتين ، والثاني ؛ أن الجوس للديار لم يقع فيهما ، وكذلك الإساءة لوجوه اليهود . بالإضافة إلى أن الدخول في المرتين ، كان فتحا وليس عقابا لأحد .

ويبدو وكأنّ المسألة ، هي لفظ المسجد الذي أورده تعالى ، للتعريف والتأكيد ، على أن الأرض التي ذُكرت في الآية (4) ، هي الأرض التي تحوي المسجد أي مدينة القدس .

والسؤال هنا هل المساجد خاصة بالمسلمين فقط ؟ بكل تأكيد نعم ، ولكن لفظ المسجد لا ! نحن نعلم أن حادثة الإسراء كانت في مكة ، وأن سورة الإسراء أنزلت فيها أيضا ، وأن الله سبحانه وتعالى لمّا سمّاه بالمسجد الأقصى ،لم يكن للمسلمين فيه ناقة ولا بعير ، ولم يكن قائما أصلا . وعبادة السجود لله كانت قد سبقت ، منذ آدم عليه السلام ، إلى يومنا هذا ، فاقرأ قوله تعالى (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** (58 مريم) وقوله تعالى (**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** (113 آل عمران) وكل مكان اتخذوه للسجود ، سمّاه الله في القرآن مسجدا ، والمقصود المكان وليس البناء .

انظر قوله تعالى (**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا** (21 الكهف) . ومع أن أصحاب الكهف ، كانوا من أتباع عيسى عليه السلام ، فإن الذين غلبوا على أمرهم في الواقع ، أقاموا عليهم مكانا للعبادة . وجاءت تسمية القرآن له بالمسجد ، على اعتبارهم له ، والقصد من بنائه ، أما أنه مسجد خاص بالمسلمين فلا ، والصلاة بالنسبة للمسلمين في هذا المسجد ، منهيٌ عنها ، وبالرغم من ذلك سّماه القرآن مسجدا ، لأنهم اتخّذوه مكانا للعبادة ، التي أحد أركانها السجود . وضمير الغائب (واو الجماعة) في (وليدخلوا) ، يعود على المبعوثين .

وخلاصة القول : أن هؤلاء المبعوثين لم يتبين ، بنص صريح ولا بتلميح بأنهم من خاصة عباد الله . وأن الله نكّرهم وقصد تنكيرهم ، لأمر اقتضته الحكمة الإلهية ، التي وضحنا جانبا منها فيما سبق . وأن معتقدهم غير واضح من حيث الإيمان أو الكفر ، وما زالت كل الاحتمالات قائمة ، فربما يكونوا مؤمنين أو مسلمين أو وثنيين أو ملحدين . ومن قال بعكس ذلك فقد جانبه الصواب ، بلا أدنى شك . والأمر الأكثر وضوحا ، هو اتحاد المبعوثين أولا وثانيا ، أي خروجهم من نفس الأرض في المرتين ، مهما طال الزمن أو قصر وتعاقبت عليها الأجيال ، بمعنى أن أصحاب البعث الثاني ، هم ورثة الأرض من أصحاب البعث الأول . وأنهم أولي قوة وبطش في الحروب . وأن عبارة (وليدخلوا المسجد) جاءت لتؤكد دخولهم ، لقلب الأرض المقدسة ، وسيطرتهم عليها بالكامل .

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ :

قوله تعالى (**كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**) ، هو تشبيه للدخول الثاني بالأول ، وفي العادة عندما يروي شخص لآخر ، قصة وقع فيها ذِكرُ حدثٍ يحتاج إلى وصف ، سواء كان هذا الحدث ، قد وقع ولم يشهده المستمع ، أو سيقع في المستقبل ، فبدلا من أن يستغرق الراوي ، في وصف هذا الحدث وسرد حيثياته ، على حساب مجمل أحداث القصة ، يعمد الراوي إلى تشبيه الحدث المراد وصفه ، بحدث آخر مألوف ومعروف من الماضي أو الحاضر ، لتقريب صفة الحدث موضوع الخطاب لذهن المستمع ، ومن ثم يكمل سرد بقية الأحداث .

قال تعالى (**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا ، كَمَا ، يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ** (275 البقرة) حيث شبه سبحانه قيام آكل الربا يوم القيامة ،

مجهول الصفة بالنسبة لنا ، وهو حدث سيقع مستقبلا ، بقيام الممسوس أي المجنون ، وهو حدث ومشهد قد رأيناه ونـراه في الماضي والحاضر ، مـرارا وتكـرارا ، ومعـروف ومألوف لذهن المستمع ، ونستطيع استرجاع ذلك المشهد من الذاكرة ، لـنرى مشـهدا مؤلما ومخزيا ، لآكل الربا عند بعثه ، يتمـيز به عن غـيره ، فيقـوم مفزوعا متحفـزا مشوشا ، لا يهدأ له بال ، ولا تستكين له حال .

ولتوضـيح الأمر أكـثر ، فلو أن زوج مـدح زوجته - على سـبيل المثـال - مُبـديا إعجابه بجمالها قائلا : (وجهك كالمريخ) ، فهل ستكون الزوجة قادرة ، على معرفة مدى حبه لها ، في حال ، لم تكن عالمة بماهية المريخ وصـفته ، من حيث الجمـال والقبح . وهل أبان هـذا التشـبيه ، بغـير المـألوف والمعـروف للزوجة ، وظيفته في تعبـير الـزوج عن مدى حبه لها ، أم أنه زادها حيرة واضطرابا وشكّا . لذلك يُشـبّهون جمـال النسـاء ، إذا أريد المدح ، بـالقول : (وجهك كالبـدر ليلة تمامه) وهي صـورة معروفة ومألوفة لكل البشر ، تستطيع النساء استرجاعها من الذاكرة وتخيّلها واستيعابها ، ومعرفة مدى حب زوجها لها .

واستخدام التشبيه في الآية (7) أفاد أمرين :

أولا ؛ أنّ دخول المسجد أي بيت المقدس حاصل في المرتين ، وهذا يـدحض قـول من ذهب ، إلى أن أيّ من المرتين ، كانت أو ستكون في غير بيت المقدس .

وثانيا ؛ تشابه صفة الدخول في المرتين الأولى والآخرة بالـدخول عنـوة . لقوله تعـالى في وصف الدخول الأول (فجاسوا خلال الديار) وهذا يدحض قـول من ذهب ، إلى أن المرة الأولى كانت للمسلمين ، كون دخولهم إليها ،لم يحمل صفة الجوس .

ولكي يستقيم فهم هذه العبـارة ، نـود أن نُشـير إلى أن الخطـاب لبـني إسـرائيل ، لم ينقطع ، بل ما زال موّجها إليهم ، فالمُخاطَب في قوله تعالى (كما دخلـوه أول مـرة) هم بنو إسرائيل. واقـرأ هـذه الصـياغة للنص ، (**فَإِذَا جَـاءَ وَعْـدُ الْآخِـرَةِ** – بعثنـاهم عليكم – **لِيَسُـوءُوا وُجُـوهَكُمْ ، وَلِيَـدْخُلُوا** – عليكم – **الْمَسْـجِدَ** ، **كَمَا دَخَلُـوهُ** – عليكم – **أَوَّلَ مَـرَّةٍ** / انقطـاع الخطـاب والعـودة إلى الجمهـور / **وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَـوْا تَتْبِيرًا**) .

وهذا يعني أن المعرفة ، بصفة الـدخول الأول ، محصـورة ببـني إسـرائيل فقط ، وهـذا يقودنا إلى أن معرفة اليهود المعاصرين المخاطبين ، لصـفة هـذا الـدخول بالضـرورة ، تحصّلت لهم مما لديهم من كتب تحكي تـاريخهم ، ومجمل تـاريخهم القـديم موثق في التوراة ، ويعلم سبحانه أن آباءهم القدماء ، قد وثّقوا صفة الدخول في كتبهم ، فلـذلك شبه الدخول الثاني لهم بما يعرفـون . وإن أردت معرفة صـفته كمسـلم ، لا بد لك من الرجوع إلى كتبهم ، وهذا الفهم يقودنا إلى مراجعة تاريخهم كاملا ، لنتعرّف على صـفة الدخول الأول ، كما وردت في الآية (5) ، وهذا ما سنفعله في الفصول القادمة .

والحقيقة أن هـذا الحـدث المفجع والـرهيب الـذي نـزل بهم ، كـان له بـالغ الأثر في نفوسهم ، حيث شكّل لهم الكثير من العقد ، فضلا عما كان لديهم في السابق . جعلت منهم شعبا مجرما حاقدا ، على البشرية جمعاء ، وعلى أولئك العباد ، الـذين سـاموهم سوء العذاب في المرة الأولى . وما جاء التشبيه هنا ، إلا لتذكيرهم بحدث يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ، ومن لم يعرفه منهم ، أو خانته ذاكرته ، يستطيع الرجوع إلى تـوراتهم ، قـال تعـالى (**الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمْ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُـونَ** (146 البقـرة) ، وجـاء هـذا التشـبيه

والتذكير ، لإنذارهم وتحذيرهم من مغبة العودة إلى العلو والإفساد ، وما ينتظرهم من خزي عذاب الدنيا ، وهول عذاب الآخرة .

والعجيب في الأمر ، أنّ الباحثين في هذا الموضوع حديثا من المسلمين ، كانوا قد أهملوا أكبر وأعظم موسوعة تاريخية سماوية ، موجودة بين أيدينا ، أقصد القرآن الكريم الذي (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** (42 فصلت) ، ولم يرجع إليها أحد ، مع أنه كاد ألا يترك سورة من سوره ، إلاّ وأرّخ فيها لبني إسرائيل ، فعلوهم الأول ونشأته وإفسادهم في الأرض المقدسة ، ظاهر ماثل للعيان بما لا يترك مجالا ، للتقوّل أو الاجتهاد . وأما فيما يخص عقاب الوعد الأول ، فقد وردت إشارات كافية في هذه الآيات ، وفي مواضع أخرى في القرآن ، تدلّ على تحقّقه قبل الإسلام .

وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا :

في المُعجم : " قال ابن جني : لا يقال له تِبْر ، حتى يكون في تراب معدنه ، أو مكسورا ، قال الزجّاج : والتبار الهلاك ، وتبّره تتبيرا أي كسّره وأهلكه ، وتبّره أي كسّره وأذهبه ، وفي التنزيل العزيز (**وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** (28 نوح) قال الزجاج : معناه إلا هلاكا ، ولذلك سمي كل مُكسَّر تِبرا ، وفي قوله عز وجل (**وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا** (38) **وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا** (39 الفرقان) قال : التتبير التدمير ، وكل شيء كسّرته وفتّته فقد تبّرته " .

والمعنى العام للعبارة ، هو (وليُدمّروا ما علوا تدميرا) . وقد جاءت صيغة المفعول المطلق (تتبيرا) ، زيادة في المبالغة ، وتأكيدا للفعل (وليتبروا) . وسواء كانت (ما) ظرفية ، أو اسم موصول ، بمعنى (الذي) ، لتشمل المكان والزمان والكم .

وكما أشرنا في تفسير العبارة السابقة ، فقد حصل انقطاع في الخطاب الموجه لبني إسرائيل ، ليصبح الحديث موجها للجمهور ، مضيفا تعقيبا حول مصير علو بني إسرائيل ، بدلالة ضمير الغائب المتصل ، واو الجماعة في كلمتي (وليتبروا) و (علوا) العائد على بني إسرائيل أنفسهم . والعبارة (وليتبّروا ما علوا تتبيرا) جاءت للتعقيب على ما فعله بني إسرائيل أنفسهم ، بمقومات هذا العلو ، مما كان سببا في زواله . ليُصبح المراد هو أن علو بني إسرائيل ، حمل في أحشائه بذرة دماره منذ نشأته ، بعدم الولاء لله ، وعدم اكتراثهم ، بِحثِّه لهم على الإحسان وتحذيره لهم من الإساءة . بل اعتمدوا على غير الله ، في تحصيل هذا العلو ، وإدامته وحمايته من الزوال ، بالفساد والإفساد والإثم والعدوان .

ليتبيّن لنا أن الحديث عن الوعد الثاني ، انتهى بقوله (كما دخلوه أول مرة) . وأن عبارة (وليتبّروا ما علوا تتبيرا) جاءت تعقيبا على قوله تعالى في بداية القصة (ولتعلن علوا كبيرا) في الآية (4) ، ليؤكد بما لا يدع مجالا للشك ، أن هذا العلو الموصوف بالكبير في الأرض ، والذي تحصّل عليه بني إسرائيل ببعدهم عن الله ، سيصبح هباءً منثورا بما كسبته أيديهم .

ومن تعريفنا السابق لمفهوم العلو ، نجد أن العلو مظهر من مظاهر الحياة ، كما الغنى الذي يتحصّل بامتلاك المال الوفير ، وكما الفقر الذي يتحصّل بامتلاك المال القليل ، ويتم تحصيله من خلال امتلاك مقومات مادية ، تتمثّل في السيادة على الأرض وأهلها ، وسياستهم والتحكّم في مختلف شؤونهم ، والقدرة بامتلاك القوة ، والغنى بامتلاك المال والموارد المادية الأخرى . والحقيقة أن اليهود في هذا العصر ، لم يقتصر علوهم

على فلسطين فحسب ، بل شمل أمريكا وبريطانيا والكثير من الدول الغربية . فَهُما شكل من أشكال الإفساد اليهودي في الأرض ، وأداة للعدوان على الشعوب ، بأيدي اليهودية العالمية .

وبما أن العلو مظهر ، والمظاهر لا تُدمّر تدميرا ، وإنما تزول زوالا بفقدان أسبابها ومقوماتها ، كما أزيل علو فرعون ، بتدمير ما امتلك من مقومات علوه ، في قوله تعالى (**وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** (137 الأعراف) . ونلاحظ أن الله تبارك وتعالى لم يأت بالمصدر (علوهم) ، ليقول (وليتبروا علوهم تتبيرا) ، وإنما قال (وليتبروا ما) . لأن المقصود تدميره هنا ، ليس العلو بحدّ ذاته ، وإنما تدمير (ما) علا عليه أو به أو فيه ، بنوا إسرائيل بامتلاكه والسيطرة عليه ، مما مكّنهم من الإفساد في الأرض ، أي تدمير كل ما يقع تحت كلمة (ما) ، مما يمتلكونه من مقومات لعلوهم . لتشمل المكان والزمان والكم لهذا العلو ، الموصوفة بالتفصيل في الآيتين (4و6) ، والتي تتلخص فيما يلي :

- تدمير القوة العسكرية المتطورة ، والتي مكنتهم من العلو واستمراريته ، ورد الكرة على أعدائهم .
- ذهاب الأموال والبنين والإمداد ، الذي كان يتوفر لهم في حروبهم السابقة .
- استلاب وتدمير الأمكنة ، التي يتمتعون فيها بالعلو ، في شتى بقاع الأرض .

لذلك جاء التعقيب ، بعد نهاية ذكر عقاب وعد الآخرة بإساءة الوجه ، وبدخول المسجد . وجاء هذا التعقيب مُتأخرا عنهما ، لأن زوال العلو بشكل نهائي ، سيكون كعاقبة أو نتيجة ، لنفاذ وعد الآخرة فيهم ، ويبدوا لي أن زوال العلو اليهودي في العالم ، سيأتي على مراحل ، ليبدأ في فلسطين ، ومن ثم يمتد لأمريكا وبريطانيا وفرنسا والغرب إجمالا ، بإذن الله .

وربما يذهب البعض إلى أن هذه العبارة ، جاءت للتعقيب على ما فعله هؤلاء العباد ، بعلو بني إسرائيل في وعد الآخرة ، على اعتبار أن الضمير واو الجماعة في (وليتبّروا) عائد على العباد . ولكن هذا غير صحيح ، لأن ذلك يعني استمرارية الخطاب ، فلو أن الخطاب لبني إسرائيل استمر ، لجاءت العبارة على النحو التالي (وليتبّروا ـ ما علوتم ـ تتبيرا) ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر ، لم يُذكر في التعقيب شيء يخص وعد الآخرة ، بذكر كلمة وعد مثلا ، كما جاء في التعقيب على الوعد الأولى ، بقوله (وكان وعدا مفعولا) ، وإنما جاء التعقيب الأخير ، على بني إسرائيل ، المذكورين بالاسم في الآية الرابعة ، لعود ضمير الغائب واو الجماعة عليهم ، في كلمة (وليتبروا) ، وكذلك على علوهم الكبير ، الموصوف في الآية الرابعة أيضا ، لاتصال ضمير الغائب العائد عليهم (واو) ، في كلمة (علوا) .

ولو فرضنا جدلا استمرارية الخطاب ، فهل يُعقل أن يُدمّر المسلمون ، ما تحصّلوا عليه من مقومات العلو الصهيوني ، بعد أن يكونوا قد أوقعوا فيهم ، القتل والتنكيل والسبي والنفي ، وتمّت لهم السيطرة الكاملة على الأرض بدخول القدس ؟! طبعا لا . بل على العكس تماما ، سيكونون بأمس الحاجة ، لما تحصّلوا عليه سالما من مال وعتاد ، لاستخدامه في المواجهة الحقيقة المقبلة مع الغرب .

وخلاصة القول : أن كل ما علا بنو إسرائيل عليه أو به أو فيه ، سيصله الدمار لا محالة ، لعموم لفظ العلو ، حتى علوهم في الغرب ، إذ أن الذي أبقى علوهم قائما ومستمرا في فلسطين ، هو علوهم في الغرب . ولذلك يصبح دمار الدول الغربية أمر

محتما ، ليزول علو بني إسرائيل فيها أيضا بشكل نهائي ، وبذلك تنتفي تماما قدرتهم على العلو مرة أخرى ، إذ أن هذا العلو ، هو علوهم الأخير في الأرض وأن أفعالهم ستكون سببا في زوال علوهم هذا ، وستجد مزيد من تفصيل هذه العبارة ، في الجزء الثالث من الكتاب .

خاتمة السورة :

والآن لننتقل إلى خاتمة سورة الإسراء ، حيث ذُكر وعد الآخرة مرة أخرى . أما سبب مجيء هذه الآيات في آخر السورة فهو لسببين : أولا ؛ إظهار الإعجاز العددي في القرآن ، الذي سنظهره بإذن الله لاحقا ، ثانيا ؛ للتعقيب على الوعد الثاني في بني إسرائيل بعد نفاذه ، وما سيكون ممن علموا بتفاصيل هذا الوعد قبل نفاذه ، وما سيكون منهم بعد نفاذه ، تماما كما جاء به القرآن .

(**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** (104)ـ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** (105) **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** (106)ـ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** (107)ـ **وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا** (108) **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** (109)

مختصر ما قيل في هذه الآيات ، في تفسير الألوسي :

" (جئنا بكم لفيفا) ؛ أي مختلطين ، وفسره ابن عباس (جميعا) ، وبكم ؛ جاءت لتغليب المخاطبين على الغائبين ، (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ؛ عود إلى شرح حال القرآن الكريم ، فهو مرتبط بقوله تعالى ، (لئن اجتمعت الإنس والجن) ، وهكذا طريقة العرب في كلامها تأخذ في شيء ، وتستطرد منه إلى آخر ، ثم إلى آخر ثم إلى آخر ، ثم تعود إلى ما ذكرته أولا ، والحديث شجون ، فضمير الغائب للقرآن ، وقد حمله بعضهم على هذا ، أو للوعد المذكور آنفا ، أي وعد الآخرة الذي ذُكر في الآية السابقة .

<u>والمراد بالحق الأول</u> ؛ على ما قيل الحكمة الإلهية المقتضية لإنزاله ، <u>وبالثاني</u> ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ونحوها ، أي <u>ما أنزلناه إلا ملتبسا بالحق المقتضى لإنزاله</u> ، <u>وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه</u> ، وقيل الحق في الموضعين الأمر المحفوظ الثابت ، (وما أرسلناك إلا مبشرا) ؛ للمطيع بالثواب (ونذيرا) ؛ وللعاصي من العقاب ، فلا عليك إلا التبشير والإنذار لا هداية الكفرة المقترحين .

(وقرءانا فرقناه) ؛ أي أنزلناه منجما مفرّقا (على مكث) ؛ أي تؤدة وتأنّ ، فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم ، (ونزلناه تنزيلا) ؛ على حسب الحوادث والمصالح ، قل للذين كفروا (آمنوا به) أي بالقرآن ، (أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله) ؛ أي العلماء الذين قرءوا الكتب السالفة ، من قبل تَنزُّل القرآن وعرفوا حقيقة الوحي ، وأمارات النبوة ، وتمكنوا من تمييز الحق والباطل ، والمُحقّ والمُبطل ، أو رأوا نعتك ونعت ما أنزل إليك .

(إذا يتلى) أي القرآن ، (عليهم يخرون للأذقان) ؛ يسقطون بسرعة على وجوههم (سجدا) تعظيما لأمر الله تعالى ، أو شكرا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك ، وقال صاحب الفرائد ، المراد المبالغة في التحامل على الجبهة والأنف ، حتى كأنهم

يلصقون الأذقان بالأرض ، وهو وجه حسن جدا ، أي يقعــون على الأرض عند التحقيق ، والمراد تصوير تلك الحالة .

(ويقولون) ؛ أي في سجودهم أو مطلقا : (سـبحان ربنا) عن خلف وعـده ، أو عما يفعل الكفرة من التكذيب ، (إن كان وعد ربنا لمفعولا) ، (ويخرون للأذقان يبكون) ؛ كـرَّرَ الخـرور للأذقـان لاختلاف السـبب ، فـإن الأول لتعظيم أمر الله تعـالى أو الشـكر لإنجاز الوعد ، والثاني لما أثّر فيهم من مواعظ القرآن ، أي ساجدين باكين من خشــية الله تعالى ، ولما كان البكـاء ناشـئا ، من الخشـية الناشـئة من التفكّر ، الـذي يتجـدّد ، جيء بالجملة الفعلية (يبكون) المفيدة للتجدد ، (ويزيدهم) ؛ القـرآن بسـماعهم له ، (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بأمر الله تعالى ، على ما حصل عنـدهم من الأدلة " . من تفسير الألوسي .

جِئْنَا بِكمْ لَفِيفًا :

هـذا ما قيل في (لسـان العـرب) في كلمة لفيف (مُجتَمِع ملتف من كل مكـان) ، و اللفيف ؛ (القــوم يجتمعــون من قبائل شــتى ليس أصــلهم واحــدا) ، واللفيف ؛ (ما اجتمع من الناس من قبائل شتى) ، واللفيف ؛ (الجَمْع العظيم من أخلاط شــتى فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف) . والملاحظ أن معـاني الكلمة جــاءت بمعــنى جَمْع لا جميع ، والحقيقة أن الــذي تم على أرض الواقع ، هو المجيء والجمع من أمــاكن شــتى . وأن مجــيئهم جميعا لن يتحقق ، لأنهم يتمتّعــون بصــفات طفيلية ، لا تمكّنهم من ترك الدول الغربية الغنية ، والعودة إلى فلسطين .

أما الآيات (104-109) ، وكما عقب سبحانه بعد ذِكره لوعد الآخرة في بداية السورة . جاءت بعد ذِكره تعالى لوعد الآخرة ، في نهاية السـورة ، تعقيبا على إنزاله هـذا الوعد بنصه في القــران ، كما أنــزل في كتــاب موسى عليه السـلام من قبل ، حيث قــال سبحانه (**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** (105) **وَقُرْآنًا فَرَقْنَـاهُ لِتَقْـرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـاهُ تَـنزِيلًا** (106) أي وبالحق الذي أوجبته الحكمة الإلهية ، أنزلنا خبر هذا الوعد في القران ، الذي نزّله على عبده تنزيلا ، وفرّقه ليُقرأ على الناس على مكث ، وبالحقّ والصدق والخبر اليقين جـاء هــذا القــران ، بهــذا الوعد - مما سـيكون من شـأن بــني إســرائيل – بكل تفاصــيله وملابساته ، بما لا يدع مجالا للشك أو التقوّل .

والحكمة الإلهية التي اقتضت إنزاله ، كما جاء من نص الآيات ، هي :

أولا : زفّ البشرى للمؤمنين الصابرين المرابطين المتمسكين بـدينهم المخلصـين له (**وَيُبشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** (9 الإسراء) ، بأن الله لن يخلف وعده الذي وعد ، وأن ما وعدهم الله ، لا محالة واقع ولو بعد حين ، ليحثهم على التمسك بـدينهم والتحلي بالصـبر ، وعـدم الاسـتعجال لأمر الله والركـون لليأس ، فكلما ادلهمت الخطوب بالمؤمنين وضـاقت السـبل – كما هـذه الأيـام – كـان الفـرج ، قـاب قوسـين أو أدنى (**حَتَّى إِذَا اسْـتَيْئَسَ الرُّسُـلُ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَـدْ كُـذِبُوا ، جَـاءَهُمْ نَصْـرُنَا ، فَنُجِّيَ مَنْ نَشَـاءُ ، وَلَا يُـرَدُّ بَأْسُـنَا عَنْ الْقَـوْمِ الْمُجْرِمِينَ** (110 يوسف) .

وثانيا : إنذار لبني إسرائيل (الذين لا يؤمنون بالآخرة) ، والمكذبين والمتشكّكين ممن غرتهم الحياة ، وآمنوا بما يقوله الواقع ، مع عدم قراءتهم له بشكل صـحيح ، أكـثر من إيمانهم بالله ، وما جاء في كتابه الذي أنزل ، من غضب الله عليهم ، وتحــذيرا لهم من

عقابه في الـدنيا والآخـرة (**وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِـالْآخِرَةِ أَعْتَـدْنَا لَهُمْ عَـذَابًا أَلِيمًا** (10 الإسراء) .

وثالثا : تحصّل الإيمان لمن لم يؤمن بعد ، وتجدّد إيمان المؤمنين ، وزيادةً في اطمئنان قلوبهم ، عند نفاذ هذا الوعد ، كما جاءت صفته في القرآن . حيث قال سبحانه للنـاس كافة ، على وجه التبكيت والتهديد شديد اللهجة ، (**قُلْ آمِنُوا بِـهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُـوا ...**) من أمر هذا الوعد وهذا القرآن ، أنّ هـذا الوعد لا محالة واقع ، وإيمـانكم به وبـالقرآن وعدمه سـواء . وأن من كـانوا قد علمـوه ، وسـبق لهم الإيمـان به وتصـديقهم له قبل تحققه ، (**... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ...**) ، لإيمانهم بمن أنزله وصِـدق ما جـاء في كتابه ، سـيكون هــذا حــالهم ، عند تحققه وبعد تحققه (**إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِـرُّونَ لِلْأَذْقَـانِ سُـجَّدًا** (107)ـ **وَيَقُولُـونَ سُـبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَـانَ وَعْـدُ رَبِّنَا لَمَفْعُـولًا** (108)ـ ، أي أنهم إذا تُليَ عليهم ذِكر هـذا الوعد ، عند وبعد تحققه ، خـرّوا للأذقـان سـجدا ، قـائلين : (سـبحان ربنا إن كـان وعد ربنا لمفعـولا) ، وسـيكون هـذا حالهم مرة تلو مرة ، كلما تُليت عليهم آيات هذا الوعد (**وَيَخِـرُّونَ لِلْأَذْقَـانِ يَبْكُـونَ وَيَزِيـدُهُمْ خُشُـوعًا** (109) وما أن يقومـوا ، حـتى لا تكـاد تحملهم أرجلهم ، وتغلب عليهم مشـاعرهم ، من شـدّة التصـديق وشـدّة الإيمـان ، فيعـودوا ليقعـوا سـاجدين خاشعين ، لمن لا يُخلف وعده .

(عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ :

بعد نفاذ الوعد الثاني ، يوجه سبحانه الخطاب ، للبقية الباقية من بني إسرائيل ، الذين نجوا من هذا العذاب ، ولم يطلهم عقاب وعد الآخرة ، لعلّهم يعتـبرون مما حصل ، بعد أن رأوا ما رأوا ، ما حـلّ في بـني قـومهم ، لما علـوا وأفسـدوا في الأرض . فلعلهم يعودون إلى الله ، ويصلحون أمورهم ، فيتوب الله عليهم ويرحمهم . قال تعـالى (**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْـدَ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُـوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ، إِنَّ رَحْمَـةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** (56 الأعراف) ، وعودتهم إلى الله تعني إعتناقهم للإسـلام ، لقوله تعـالى (**وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَـالَ فَاشْـهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّـاهِدِينَ** (81)ـ ...ـ (ـ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِـرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (85)ـ ...ـ (ـ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (89 آل عمران) . وهذا ما لم يفعلوه سابقا ، ولن يفعلوه مستقبلا ، فهم أعلنوا حـربهم على الله ، قبل أن يعلنوها على أي شئ آخر ، وهيهـات أن يتوبـوا ، فقلـوبهم كالحجارة (... **أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ... (74 البقرة) ...

وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا :

لـذلك سيسـتمرون بالإفسـاد ، وسـيعودون إليه مـرة تلو أخـرى ، وهـذا محمـول على الشـرط ، فـإن عـادوا للإفسـاد بعد تحقق الوعد الثـاني ، عـاد الله عليهم بالعقـاب ، وسـتكون هـذه العـودة باتبـاعهم للـدجال ، أكـبر المفسـدين في الأرض ، وهي العـودة النهائية لهم ، ولا تتفق من حيث المواصـفات والشـروط مع كونها مـرة من المـرتين ،

وستكون نهايتهم على مشارف بيت المقدس بباب (لُدّ) ، على يديّ عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين ، عند هروب الدجال إليها ، كما روي في نفس الحديث الصحيح الطويل ، الذي أوردنا بعضا منه في شرحنا لعبارة عبادا لنا ، جاء ما نصه " ... **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ** (أي الدجال) **إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ... فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ...** " . ليعقّب سبحانه على ذلك بقوله (**... وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** (8) ولا أسف ولا رحمة ...

(إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ ... وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ) :

قال تعالى في سورة البقرة (**... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** (61)) ، هذه الآية توضح حكما إلهيا مُلزما ، كان فيما سبق ، قد صدر بحق بني لإسرائيل ، عند كفرهم وقتلهم الأنبياء ، ونلاحظ أن المسكنة عُطفت على الذلة مباشرة ، وأنهما تلازما في الوقوع تحت الضرب ، في قوله تعالى (**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ**) .

وفي سورة آل عمران ، أُعيد نفس النص السابق ، في قوله تعالى (**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ، إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** (112)) ، ولكن بفصل الذلّة عن المسكنة ، مع ضرب كل منهما على حدة أولا ، ومن ثم إضافة الاستثناء التالي (**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ ، وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ**) ، من ضرب الذلّة دون المسكنة ثانيا . ومن هنا نستطيع القول ، بأن الذلّة ستُرفع عنهم في حالتين : الحالة الأولى بحبل من الله ، والحالة الثانية بحبل من الناس ، وأن المسكنة ستبقى ملازمة لهم ، في حال رفعت الذلّة عنهم أم لم تُرفع .

جاء في معجم لسان العرب ، الذُّل نقيض العزّة ، وقوله تعالى (**وذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً**) ، بمعنى سويت عناقيدها ودُلّيت أي خُفّضت ، وتذلّلَ له أي خَضَع له ، وأن المعنى المُستفاد من الذّل هو الصغار والخضوع والانخفاض ، والنقيض لهذة الصفات ، هو الاستكبار والسطوة والارتفاع .

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ : أي أُلزموا الذِّلة والصغار ، فلا منعة لهم ، بمعنى لا قوة لهم لمنع الغير ، من استباحة دمائهم وأموالهم وأهليهم . وثبتت فيهم هذه الصفة ، ولازمتهم على مرّ العصور ، ولا خلاص لهم منها ، والسبب في ضربها عليهم ، هو استحقاقهم لغضب الله عليهم ، لكفرهم بآياته وقتلهم الأنبياء ، بالإضافة لما كان من عصيانهم لأوامره ، واعتدائهم على حدوده .

أَيْنَ مَا ثُقِفُوا : أينما وُجِدوا .

هنا لا بد لنا من وقفة مع هذه العبارة ، حيث يقول سبحانه ، (**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ ، أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ، إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ**) ، فالذلة ملازمة لهم ، أينما أقاموا أو ارتحلوا ، وهذه الذلة ستُرفع عنهم مرتين ، لتُستبدل بالعلو ، أينما أقاموا أو ارتحلوا ، على امتداد سطح كوكب الأرض ، فالعلو اليهودي لمرتين ، حدث عارض في تاريخهم ومصيره إلى الزوال ، أو حالة استثنائية ، سيعيشها عامة الشعب اليهودي لمرتين أينما وُجدوا ، وستزول هذه الحالة عن عامة الشعب اليهودي كذلك ، عندما يأذن رب العزة بزوال علوهم ، في المرة الثانية ، وليعود كل يهود العالم أفرادا

وجماعات ، في شتى بقاع الأرض ، إلى حالة الذلة ، التي هي في الأصل ، الحالة التي يستحقون بمنظور رب العزة .

والسؤال الآن ، لماذا كان هذا الفصل ، وهذا الاستثناء ؟

إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ ، وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ : الاستثناء هنا يفيد رفع حالة الذّلة ، لتصبح حالهم من (الذل والصغار والخضوع والانخفاض) ، إلى العكس تماما ، أي (العز والاستكبار والسطوة والارتفاع) ، وهذا مما يفيد معنى العلو ، وهذا الاستثناء يوضح أن العلو سيكون على حالين ، وأن العلو الأول ، كان بحبل الله ، أي باتكالهم على الله ، في نشأته وتمكينه من خلال الوحي والنبوة ، وأن العلو الثاني ، سيكون بحبل الناس ، أي باتكالهم على الناس ، في نشأته وتمكينه من خلال المساعدات المالية والعسكرية .

وتمعنّ في جمال ودقة التعبير القرآني ، واستخدام كلمة (حبل) في هذا المقام ، فالحبل يُرفع به دلو الماء ، من قعر البئر إلى قمته ، فهو وسيلة لانتشال الشيء ، من أدنى حالاته وإيصاله إلى أعلاها ، ومن قوله عليه الصلاة والسلام ، لصاحب الناقة " اعقل وتوكل " ، نجد أنه وسيلة ربط لإحكام الشيء وإبقاءه على حاله .

وهذا ما تحقق في الواقع ، فقد استطاع اليهود بعد أن كانوا في القاع ، من تسلق الحبل الأمريكي البريطاني ، ليصعدوا إلى قمة تمثال الحرية ، ومن ثم تناولوا الحبل ، وربطوه في قرنيّ التمثال ، وأخذوا طرفه الآخر ، ولفّوه سياجا منعيا حول دولتهم في فلسطين . حتى أصبح عامّة الأمريكيين عبيدا لليهود ، يقدّمون لهم القرابين التي نعلمها ، خشية أن يسحب اليهود ، طرف الحبل الذي يمسكونه بإحكام ، فيهوي رأس التمثال في البحر . وطرف الحبل الآخر ليس ببعيد عن أولئك العباد ، فما زال ينتظرهم ليسحبوه ، ليغرق التمثال وأهله .

نعلم أنّ الله قد حذّرهم من اتخاذ وكلاء غيره ، في افتتاحية السورة قائلا (**أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا** (2) . في العلو الأول لهم ، كانوا قد طلبوا العون من الله ، لإقامة الدولة في الأرض المقدسة ، وكان اتكالهم على الله لإدامة وجودها ، (**إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ** (246 البقرة) ، فآتاهم الله ما طلبوا (**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** (16 الجاثية) فجمع لهم الملك والنبوة ، في داود وسليمان عليهما السلام . وأما في العلو الثاني ، كانوا قد طلبوا العون من (بلفور) لإقامة الدولة ، والاتكال على بريطانيا لإيجادها ، وعلى أمريكا لإدامة وجودها ، فكان لهم ما أرادوا ، (**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** (6 الإسراء) .

ولو لم يأتي هذا الاستثناء في سورة آل عمران ، وبقي على حاله كما هو في سورة البقرة ، لتناقض ذلك مع قوله تعالى في سورة الإسراء ، (**لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ ، مَرَّتَيْنِ ، ولَتَعْلُنِّ عُلُوّاً كَبِيرَاً**) ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ : أي الحاجة للغير والتسول بلا خجل ، فلا كرامة ولا عزة ولا إباء لهم ، فلا يوجد يهودي - وإن كان غنيا - خاليا من زي الفقر والخضوع والمهانة ، (وهكذا تكون الطفيليات) ، بارعون في التسلق على ظهور غيرهم بمكرهم ودهائهم ، لقضاء حاجاتهم الدنيوية الدنيئة .

مجيء اليهود من الشتات :

يظنّ البعض ، بنــاءا على عبــارة جئنا بكم لفيفا ، أن وعد الآخــرة ما زال بعيــدا عن التحقق ، كون تجمّع بني إسرائيل في فلسطين لم يكتمل بعد ، فــالكثير منهم – تقريبا النصف – ما زال في الدول الغربية ، وهذا الظنّ في غير محلّه ، وينمّ عن عدم معرفة بحقيقة الشخصية اليهودية . فاليهود المنتشرون كالجراد ، في شرق العالم وغربه ، لن يهـاجروا إلى فلسـطين ، إلا في حالة واحــدة إذا أُجــبروا على ذلك مُكـرهين ، أو دُمّر العـالم بأسـره ، ولم يبق إلا فلسـطين ليهـاجروا إليها ، وهـذا غـير وارد في المنظـور القـريب ، ودمـار إسـرائيل القـادم ، سـيكون سـابقا ، بل سـببا لانهيـار العـالم الغـربي ودماره .

فاليهود كائنات طفيلية ، لا تستطيع العيش بمعزل عن الآخرين من غير اليهود ، وحــتى الدولة اليهودية تتصف بنفس الصفة ، فهي لا تسـتطيع البقـاء والمحافظة على وجودها وكيانها ، بدون المساعدة الخارجية من الـدول الغربية ، والتسـوّل الـدائم والمسـتمر . وهذه هي المسكنة التي ضربها الله عليهم ، ولازمتهم على مـرّ تـاريخهم الطويل ، في غنـاهم وفقـرهم وفي ذلّهم وعلـوهم . ولا أدلّ على ذلك التسـويق المـذلّ والمخـزي والمســتمر ، للمحرقة النازية المبــالغ فيها ، والــتي جعلــوا منها ، ومن تهمة معــاداة الســامية ، مســمار جحا في حلق الشـعوب الغربية ، لابتزازها ونهب خيراتها وخاصة ألمانيا ، فهم عالة على كل من آواهم ، وهــذا ما يشـهد به تــاريخهم ، وكــان ســببا – بالإضـافة إلى غـدرهم ومكـرهم ومـؤامراتهم - في اضـطهادهم ، من قتل ونهب ونفي وتهجير .

واليهــود هم أول من ابتكر الربا ويعيشــون به وعليه ، والآن هم يملكــون معظم بيــوت المــال العالمية إن لم تكن كلها ، حــتى البنــوك المركزية الأمريكية والبريطانية ، وحق إصـدار النقد فيها ، فهل من المعقـول أن يـتركوا العجل الـذهبي ، ويغـادروا جنّة إلههم بمحض إرادتهم ؟! طبعا لا ، فهذا ضرب من الخيال . لذلك أستطيع الجـزم – لما تقـدم – بأنّ تجمّعهم في فلسطين بكلّهم وكليلهم لن يكــون ، وللعلم فـإن معظم المهـاجرين اليهود ، كـانوا من بلـدان أوروبا الشـرقية المعروفة بفقرها ، وأما الغربيـون فأعـدادهم قليلة جدا .

فضلا عن ذلك ،لم يأتي في مجمل معاني لفيفا ما يُفيد ، تجمّع كل اليهود في فلسطين ، كشــرط لتحقّق وعد الآخــرة ، والمعــنى المســتفاد منها هو الاختلاط في الأصــول ، والجمع من أمــاكن مختلفة ، وهـذا قد تحصّـل ، فالـدول الـتي هـاجروا منها ، شـملت معظم أرجاء المعمورة ، وهي غنيّة عن التعريف ، وهذا هو المراد .

أما فيما يخص السـنن الإلهية في القـرى الظالمة ، فقد وردت في هـذا البحث الكثـير من الآيــات الــتي توضّــحها ، فلا أســرع من الانتقــام الإلهي ليحل بها . وظلم اليهــود وعلـوهم واسـتكبارهم ، وعنجهيّتهم وعنصـريّتهم ، ومحـاربتهم لله ورسـوله وأوليـاؤه ، وقتل الأبرياء العزّل ، وهدم البيوت ، واستلاب الأراضي واقتلاع أشجارها واســتيطانها ، ومنعهم مسـاجد الله أن يُـذكر فيها اسـمه وتدنيسـها ، فـاق كل تصـوّر ، وأوجب عقابه سبحانه لهم منذ زمن بعيد . ولولا أن الحكيم العليم جلّت قدرته وعَظُم شـأنه ، ضـرب لهم موعد لن يُخلفوه ، وأن أرضه المقدسة تزخر بأوليائه الصالحين ، لأنزل الآن عليهم رجزا من السماء ، كما أنزله على أسلافهم ، لمجرد تبديلهم للقـول والهيئة عند دخـول القرية ، لعنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون . ولكنّ عقابهم سيكون مختلفا ، رحمة من ربك بعباده الصالحين هناك ، لكيلا يسوءهم العذاب ، فضلا عمّا أساء لهم أولئك الأوغاد

. فليرتقبوا إنّا مرتقبون (**فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**) ، و (**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** (4 نوح) .

تعني عملية ربط نفاذ وعد الآخرة ، بتجمّع كل اليهود في فلسطين ، أن وعد الآخرة ، لن يتحقق حتى قيام الساعة ، وهذا مخالف لما نراه على أرض الواقع ، حيث وصل الظلم اليهودي أقصى مداه ، ومخالف أيضا لما تحكيه النصوص ، إذ أن هناك عودة أخرى للإفساد ، وهناك عقاب آخر ، سينطق فيه الحجر والشجر ، قبل قيام الساعة ، التي أصبحت أشراطها الكبرى على الأبواب ، والناس في غفلة من أمرهم .

ما تُخبر عنه الآيات في السورة ، ليس وعدا بنصر للمؤمنين ، وإنما وعد استثنائي بعقاب بني إسرائيل :

قال تعالى (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** (167 الأعراف) تقرّر هذه الآية الكريمة ، بأن الله سيبعث على بني إسرائيل ، من يسومهم سوء العذاب إلى قيام الساعة . إذاً هناك استمرارية للبعث ، وهناك استمرارية للعذاب . وقد وقع العذاب فيهم ، على أيدي وثنيون ونصارى ومسلمون ، على مرّ تاريخهم الطويل . مما يؤكد أن العذاب الخاص بوعدي المرتين ، هو حالة استثنائية خاصة مختلفة ، عمّا تقرّره الآية أعلاه ، وأن الذين سيُوقعونه بهم أناس استثنائيون أيضا ، وهذا الاستثناء جاء لما يملكونه من صفات ، على رأسها صفة البأس الشديد ، لأن إفساد بني إسرائيل المقترن بالعلو في كلتا المرتين ، أعظم من أي إفساد سابق أو لاحق ، مما يتطلّب بعث أناس هم أهل ، لما يريده الله لبني إسرائيل ، من العذاب الشديد .

أُنزلت نصوص هذه النبوءة على موسى عليه السلام ، قبل 3 آلاف سنة تقريبا من الآن ، وقبل 1600سنة من مجيء الإسلام تقريبا ، وكُشفت نصوصها لبني إسرائيل ، بعد نكوصهم عن الدخول إلى فلسطين ، وقبل سنوات التحريم والتيه . وهي في الواقع ، تحكي حالتين استثنائيتين من تاريخ بني إسرائيل ، يتحصّل لهم فيهما علو أمميّ في فلسطين ، يشترط فيهما سبحانه ، الإحسان وتجنّب الإساءة ، فإن أحسنوا أحسن إليهم ، وإن أساءوا أزال علوهم ، وعذّبهم في الدنيا والآخرة . ووعدهم بإطالة أمد هذا العلو إليهم ، طالما هم محسنون ، والإساءة إليهم بعقابهم وبإزالة هذا العلو ، طالما هم يُسيئون ويُصرّون على الإساءة .

ولعلمه المسبق بإفسادهم بعد التمكن من العلو فيها في المرتين ، أخبرهم سبحانه بما سيكون منهم مستقبلا ، مؤكدا ذلك بِقَسَم ، تستشعر من خلاله التحدّي الإلهي لهم ، كونهم دائبون على تحدّيه ، بمحاربة رسله وأوليائه وشرائعه . وأنهم كلمّا علوا في الأرض ، سيفسدون فيها ، بالرغم من تحذيرهم هذا ، معلنين حربهم عليه سبحانه . فينالون غضبه وسخطه عليهم ، مما يستوجب العقاب . وعندما يتحصّل ذلك منهم ، وعدهم ربهم بأن يبعث عليهم في كل مرة ، عبادا له أولي بأس شديد ، ليعيدونهم إلى موقعهم الحقيقي من الإعراب بين الأمم .

لنؤكد هنا على أن ما تُخبر عنه سورة الإسراء حصرا ، هو وعد بعقاب وعذاب لليهود لإفسادهم واستعلائهم في الأرض ، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى ، وفي التعقيب على هذا الخبر ، كانت إحدى الحكم الإلهية للإخبار عنه ، هي زفّ البشرى للمؤمنين . أما نصر المؤمنين ، من أهل فلسطين ، الذين نصروا الله بصبرهم ورباطهم وثباتهم ، فالإخبار عنه والوعد به ، جاء في مواضع أخرى من القرآن ، فلا نخلط بين الأمرين .

من هم هؤلاء العباد ، ولماذا هم ، وما الذي يجري في الحقيقة ؟

يؤكد النص القرآني ، في الآيات من (5-7) من سورة الإسراء ، أن العقاب الإلهي لبني إسرائيل ، سيحلّ بهم على أيدي بشر . طائفة من خلقه ، سخّرهم الله جلّت قدرته ، من أجل القيام بهذه المهمة العظيمة ، واختارهم لهذه المهمة لاتصافهم بالبأس الشديد . وطبيعة هذه المهمة هي الانتقام ، وهذا الانتقام إلهي الطابع ، وصفته شديد الوقع والتأثير . وبالتالي من الضرورة بما كان ، أن يمتلك أولئك العباد ، مخزونا هائلا وكمّا ضخما ، من الحقد والكراهية الموجّه لبني إسرائيل لسبب أو لآخر ، مما أوجد لديهم رغبة شديدة وملحة في الانتقام منهم ، حتى يتوافق ذلك مع مقتضى الإرادة الإلهية في الانتقام ، وليتجلى ذلك العذاب في أبشع صوره ، كما لو أنه أنزل عليهم من السماء . وتوحي الآيات بأن هناك علاقة عدائية ، ما بين اليهود وأولئك العباد ، نشأت منذ نهاية علوهم الأول ، وتجدّدت مع بداية علوهم الثاني ، واستمرت وتزايدت مع مرور الزمن ، وأن سبق العداء والاعتداء اليهودي على أولئك العباد ، سيكون السبب في خروج أولئك العباد عليهم . ولتوضيح ما خفي بين السطور ، في هذا النص القرآني الكريم ، سنقوم بطرح مثال قريب إلى أذهاننا .

لنأخذ مثلا ، الإرادة أو الرغبة في الأكل ، وهي عادة لا تأتي عبثا ، وفي الغالب تتحصّل لسببين : الشعور بالجوع ، أو لوجود صفة الشراهة في الإنسان . والإنسان الشَره يأكل في العادة ، دون الحاجة للشعور بالجوع ، ذلك لأنها طبع ملازم له ، فتخيّل أن إنسانا كهذا ، كان جائعا فضلا عن شراهته ، وعند نزوله من إلى الشارع ، مرّ بمطعم ، فشاهد من خلال الواجهة الزجاجية دجاجة مشوية ، فاستثارته بمنظرها وأسالت لعابه ، بالتأكيد ستتولّد لديه رغبة شديدة ، في التهام تلك الدجاجة الشهية على الفور ، للشعور باللذة والمتعة ، أثناء التهامها . وعندما همَّ بالدخول ، تبيّن له أن المطعم مغلق للاستراحة ، وحسب اللافتة الموجودة على الباب ، تبين له أن المطعم لن يُفتح قبل عشر دقائق . والذي حصل مع صاحبنا ، أنه لم يترك الأمر ويمضي في حال سبيله ، بل أخذ الأمر على أنه موضوع شخصي ، كونه ذو طبع شره ، وكأن الدجاجة اعتدت عليه بتعرّضها له في الطريق ، وطعنته في مقتل ، فاتخذ قرارا بالانتقام منها ، لكي يُزيح عن كاهله ، ذلك الوضع وذلك الشعور المزري ، الذي فرضته عليه تلك الدجاجة ، بما سبّبته له من استثارة واستفزاز . ولكن هل يستطيع تنفيذ رغبته في الانتقام من الدجاجة ؟ كلا ! ... إذن لا مناص له إلّا الانتظار ، لحين مجيء الموعد المنتظر ، فقرّر الانتظار ريثما يفتح المطعم ... والآن تخيل سلوك ذلك الإنسان ، لحظة فتح الباب وحتى لحظة وقوع الدجاجة بين يديه ... ! وتخيل ما الذي سيفعله بتلك الدجاجة حتى ينتهي من أمرها ... ! وتخيل ما بقي من حطامها ... ! وتخيل منظر الطاولة لحظة الانتهاء منها ... ! وتخيل منظره لحظة تركه لساحة المعركة ... وهو يشعر بنشوة الانتصار ... الذي حققه وباقتدار ... على تلك الدجاجة المزعجة ... !

أخبر سبحانه بأن عقابه لبني إسرائيل ، سيكون من فعل البشر ، والسلوك البشري في بعض من جوانبه ، هو مجموعة من الحوادث المتكررة . وما نحن بصدده في هذا المقام ، هو القانون الفيزيائي (لكل فعل رد فعل معاكس له بالاتجاه) ، ولكن ليس مساو له بالمقدار ، فرد الفعل في السلوك البشري ، تتدخل فيه عوامل كثيرة ، تغير من مقدار رد الفعل . ومن قراءتنا للنص القرآني وفهمنا له ، نجد أن هذا العقاب الإلهي ، سينفذ في بني إسرائيل على أيدي بشر ، وسيكون غاية ، في البطش والتنكيل والإذلال .

وهذا السلوك البشري ، لا يقوم به إلا من كان يعتمل في صدورهم ، رغبة شـديدة في الانتقام . ورغبة الانتقام لدى البشر ، لا تنشأ عبثا ، فغالبا ما تكون ردّ فعل لفعل سابق . بمعنى أن الرغبة في الانتقام لدى شخص ما ، تنتج عادة لسبق الاعتداء من قبل شخص آخر ، فغالبا ما يتسبب الشخص المعتدِي ، في إيقاع الأذى ، بالشخص المعتدَى عليه ، سواء كان هذا العدوان جسديا أو نفسيا ، مما يُشكل خطرا وتهديدا ، على كيان المعتدَى عليه برمّته ، من حيث الأمن والسلامة النفسية والجسدية ، فيُشكّل هذا العدوان استفزازا واستثارة ، تجعل المعتدى عليه ، يعيش حالة من التوتر والقلق ، تؤدي به أخيرا إلى القيام برد العدوان ، بعدوان أشد قسوة وأكثر إيلاما وتنكيلا ، حتى يتخلّص المعتدَى عليه من تلك الحالة ، بالإضافة إلى رد اعتباره أمام نفسه وأمام الآخرين ، ولدرء خطر تكرار العدوان من قبل المعتدِي نفسه أو من قبل غيره .

وفي كثير من الأحيان ، يتكرر نفس السلوك البشري ، لشخص ما عند تعرضه لنفس المثير ، في أوقات مختلفة . وفي أحيان كثيرة يتشابه سلوك شخص ما ، لدرجة التطابق مع سلوك شخص آخر ، تعرض لنفس الموقف ، وإن اختلف ، فالاختلاف إما أن يكون :

أولا ؛ في درجة الشدة ، للفعل نفسه من (شتم ، أو ضرب ، أو إيذاء بليغ أو قتل) .

ثانيا ؛ في درجة الشدة لرد الفعل من (اكتئاب ، أو امتعاض ، أو شتم أو ضرب أو إيذاء بليغ أو قتل) .

ثالثا ؛ في طبيعة الشخص المعتدى عليه (فإن كان ذليلا ربما يكتئب ، وإن كان جبانا ربما يمتعض ، وإن كان قويا فيه لين ربما يشتم أو يضرب ، وإن كان عزيزا وقويا ربما يؤذي أو يقتل وينكل) .

وبما أن السلوك البشري حدث متكرر ، فهو قابل للدراسة والمقارنة . وسورة الإسراء أعطت صورة من صور هذا السلوك ، لأولئك العباد في التعامل مع بني إسرائيل . وتصوير السلوك البشري ، يظهر في مواضع كثيرة ، أثناء السرد القرآني للقصة ، الذي يعتمد التصوير بإيجاز شديد ، ليلقي على كاهل القارئ ، تخيل بقية تفاصيل القصة ، التي اختفت بسبب الإيجاز ، وما كان المثال السابق إلا لإيضاح الجانب الخفي ، مما تحكيه النصوص من أحداث غير ظاهرة ، تغيب في العادة عن ذهن القارئ ، أثناء التلاوة العادية للآيات .

ما تحصل لدينا من ملامح لسلوك هؤلاء العباد ، ومن أحداث من خلال الآيات ، هو ما يلي :

1. صفة البأس الشديد : اتصاف هؤلاء العباد بالقوة والبطش في الحروب .
2. ردّ الكرّة : قيام بنو إسرائيل بالإعتداء على هؤلاء العباد ، بعد تحصّلهم على العلو الكبير .
3. مجيء الوعد : متعلّق بعِظَم الظلم والإفساد في الأرض ، فكلما ازدادت وتيرته كلما اقترب .
4. البعث : الخروج للغزو والغارة ، يقترب كلما ازدادت وتيرة الاستفزاز والتهديد ، وتناقصت المُعيقات والموانع .
5. دخول المسجد : سلب مقومات العلو اليهودي في فلسطين .

6. إساءة الوجه : عِظَم الانتقام وبشاعته ، بالإيذاء والقتل والتنكيل والتهجير والسبي .

تتبع وقارن ما بين معطيات السلوكين :

(1) صفة الشراهة (2) ← **سبق رؤية الدجاجة تسبب في الاستفزاز والإثارة** (3) ← **تولّد الإرادة والرغبة في الأكل** (4) ← **انتظار مجيء الموعد (الذي حدده مدير المطعم)** (5) ← مجيء الموعد (6) ← الانبعاث : **فتح الباب وتمكين الوصول (موظفو المطعم)** (7) ← دخول المطعم ← (8) التلذذ والاستمتاع بالتهام الدجاجة) .

(1) **صفة البأس الشديد** (2) ← سبق الإيذاء والاعتداء تسبب في الاستفزاز والإثارة (3) ← تولّد الإرادة والرغبة في الانتقام (4) ← انتظار مجيء الموعد (الذي حدّده سبحانه) (5) ← **مجيء الوعد** (6) ← **الانبعاث** : إزالة المعوقات وتمكين الوصول (العلي القدير) (7) ← **دخول المسجد** (8) ← **الانتقام بالتلذذ والاستمتاع بالتنكيل ببني إسرائيل**) .

الملامح الخفية التي ظهرت من خلال المقارنة هي :

1. ضرورة اعتداء بني إسرائيل على أولئك العباد ، بإضرارهم وإيذائهم بشكل بالغ الأثر .
2. تولّد حالة من التوتر والقلق والقهر ، لدى أولئك العباد يُخلّفها ذلك العدوان .
3. تولد الإرادة والرغبة في الانتقام ، لدى أولئك العباد ، بردِّ الصاع صاعين ، لدفع الأذى والضرر ، وردّ الاعتبار .
4. العمل والاستعداد والانتظار ، ريثما تأتي اللحظة المناسبة ، التي تُمكّنهم من الانقضاض .

والآن لنطرح الأسئلة التالية :

1. من الشعب الذي يمتلك صفة الصبر والجلد عند وقوع البلاء ، والقوة والبطش عند مواجهة الأعداء ؟
2. من الشعب الذي هُزم من قبل اليهود عند نشوء دولتهم ، والوحيد الذي استمر اليهود ، في إيذاءه والاعتداء عليه ، بشكل مباشر وغير مباشر ، وما زالوا حتى يومنا هذا ، وسيستمرون في إيذاءه حتى يُجبروه على الخروج عليهم ؟
3. من الشعب الذي يُظهر رغبة شديدة وملحة في الانتقام منهم ، والقضاء عليهم وإنهاء وجودهم ، وما بقي عليه إلا أن يُهيئ الله له ، أسباب الخروج والانبعاث ؟
4. من الشعب الذي بُعث عليهم في المرة الأولى ، ودمّر مملكتهم في فلسطين بالذات ؟ وأين تقع الأرض التي خرج منها الآن ؟
5. من الشعب العزيز والقوي ، الذي لا يقبل الخضوع والذل والهوان ، ولديه القوة والقدرة ، ليفاجئهم ويكيل لهم الصاع صاعين ، وينزل بهم أبشع انتقام إلهي ، وبتجلّ واقتدار ؟

شروط ومواصفات المرة :

والآن لنحاول استنباط الشروط والمواصفات ، التي يجب توافرها في المرة الواحدة ، ليصبح لدينا مقياس ينأى بنا ، عن التخبط والعشوائية والاجتهاد الخاطئ ، نستطيع من خلاله ، تقييم كل حالة من الحالات المعروضة بين أيدينا ، لأجل التحقق وبدقة متناهية ، من كونها إحدى المرتين أم لا :-

أوجه التشابه بين المرتين :

1. المكان : الأرض المقدسة - فلسطين .
2. صفة الإفساد : أممي جماعي - القتل وسفك الدماء ، إخراج الناس من ديارهم ، محاربة الله وما جاء به رسله .
3. العلو : الاستعلاء - امتلاك الأرض والمال والقوة .
4. صفة المبعوثين : أقوياء وأعزاء - يفضلون الموت على الذل والمهانة ، ولا يقبلون بأقل من ردّ الصاع صاعين ، ومخرجهم من نفس الأرض ، في المرتين .
5. صفة العقاب : انتقام إلهي - الدخول بالغلبة قسرا وقهرا ، وهدم مقومات الدولة ، وإفناء شعبها ، والشتات لمن ينجو منهم .

علامات فارقة تميز كل مرة عن الأخرى :

1. النشأة والاستمرارية : تواكلية - إحداهما بالتواكل على الله ، والأخرى بالتواكل على الناس .
2. المجيء : مختلف - دخول فلسطين كأمة في الأولى ، دخولها كجماعات متفرقة من الشتات في الثانية .
3. الوعد : الأول - تحقق قبل نزول سورة الإسراء ، والثاني - سيتحقق في مستقبل الأمة الإسلامية .

هل من المكن أن يبعث الله الكفرة ويُسلّطهم على من شاء من عباده ؟

هذا السؤال كان قد أورده الزمخشري في الكشاف ، حيث قال : " (عبادا لنا) ، وقُرئ عبيدا لنا ، وأكثر ما يُقال عباد الله ، وعبيد الناس ، سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر ... فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة ويُسلّطهم عليهم ؟ قلت : معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم ، على أن الله أسند بعث الكفرة إلى نفسه ، فهو كقوله تعالى (**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (129 الأنعام) " انتهى .

أما الإمام أحمد فقد قال ردا على نفس السؤال : " هذا السؤال إنما يتوجه على قدريّ ، يُوجب على الله تعالى بزعمه ، رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة ، وأما السُنيّ إذا سُئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله : (**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (23 الأنبياء) " انتهى .

ولا ننسى أن الكلام في المسألة أعلاه ، محمول على أن البعثين قد تحصّلا قبل نزول الآيات ، حيث أجمعت كل الروايات على كفر المبعوثين ، فجاء الكلام ردّا ، على من قد ينكر على الله ، بعث الكفرة على فسقة أهل الكتاب ، ويحصر ذلك بالمؤمنين وهما

وظنا واتباعا للهوى ، مُقدّرا بأن في ذلك كل المصلحة والمنفعة ، مُلزما ربّ العزة برأيه .

وبالإضافة لما تقدّم ، نسوق بعض الأدلة من القرآن والسنة ، على تسليط الله الناس بعضهم على البعض ، دون بيان ماهية المعتقد من حيث الإيمان أو الكفر ، وحتى نصرة الدين بالفجار :

قال تعالى (**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** (251 البقرة)

وقال أيضا (**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** (40 الحج)

ومما روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قَالَ في معرض حديثه : (**... وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**) ، وأخرجه مسلم وأحمد والدارمي .

فإذا كان الحكيم العليم ينصر دينه بالفجار ، أفلا يُعذّب الكفار بالكفار ؟!!

أولم يُسلّط الله التتار على فسقة المسلمين قديما ، ويُسلّط الأتراك والنصارى واليهود على فسقة المسلمين حديثا ، أم أن هذا التسليط كان من عند غير الله ؟!!

والسؤال هل هناك منفعة أو مصلحة ، تُرتجى من بعث الريح والحجارة ، أو بعث الطير والضفادع ، على الأقوام السابقة ، طالما أن الغاية هي عقاب الظلمة والمفسدين ؟!!

الخلاصة :

1. أن إفساد بنو إسرائيل وعلوهم سيكون كأمّة ، وبقيام دولة لهم في فلسطين لمرتين فقط ، لا ثالث لهما .
2. أن البعث من عند الله ، وأنه عقاب وعذاب لبني إسرائيل لإفسادهم في الأرض ، في الدرجة الأولى ، بالرغم من كونه نصرا للمستضعفين ، من أهل فلسطين ، الذين انتصروا لربهم ودينهم .
3. أن هذا البعث متعلّق بموعد ، والمؤشر على قرب أجله ، هو ازدياد وتيرة الظلم والإفساد اليهودي .
4. أن غاية هذا البعث ، هي الانتقام من بني إسرائيل في الدرجة الأولى ، وليس مكافأة لصلاح المبعوثين .
5. أن الوعد الأول كان قد أُنجز فيما مضى ، وقبل مجيء الإسلام ، بل قبل عيسى عليه السلام .
6. أن تحقق الوعد الثاني ، اشتُرط فيه قبل تحققّه :

أولا : مجيئهم من الشتات ؛

ثانيا : هزيمة اليهود للمبعوثين وإلحاق الأذى بهم ؛

ثالثا : اعتماد اليهود على المساعدات المادية والبشرية ؛

رابعا : تفوّق اليهود عسكريا على أعدائهم .

7. أن للبعث الثاني سبب ، وهو سبق الاعتداء اليهودي على المبعوثين ، وأن خـروج المبعوثين عليهم ، سيكون لرفع الضرر والانتقام لأنفسهم .
8. أن المبعـوثين عليهم في المـرة الثانية ، هم نفس المبعـوثين عليهم في المـرة الأولى .
9. أن هذا البعث سـيكون مُفاجئا لهم ، وهم في قمة علـوهم وتجـبرهم ، وسـيأتيهم من حيث لا يحتسبوا ، وسـيتم قتل اليهـود والتنكيل بهم ، ومن ثم دخـول فلسـطين والسيطرة عليها ، مع انعدام قدرة اليهود على صدّ المبعوثين .
10. أن الدخول الأول يعرفه اليهـود ، كمعـرفتهم لأولادهم ، وليس للمسـلمين معرفة بصفته ، كونهم لم يُعاصرونه ، إلا من خلال كتب اليهود .
11. أن تـدمير مقومـات علـوهم في مشـارق الأرض ومغاربها ، أمر حتمي ، ولو بعد حين .
12. أن ماهية المعتقد للمبعوثين مُبهمة ، فمن الجائز أن يكونوا كفـرة أو مسـلمين أو مؤمنين أو من أولياء الله المخلصين ، في كلا المرتين ، أو في مـرة دون الأخـرى ، وأن أهمّ ما يُميّزهم في كلا المرتين ، هو اتّصافهم بالبأس الشديد .

تاريخ وجغرافيا بني إسرائيل في القران

بعد مراجعتي لمعظم الآيات القرآنية ، التي تحكي سيرة بني إسرائيل ، تبيّن لي الكثير من الوقـائع المبهمة في تـاريخهم ، والمفـاهيم المغلوطة ، الـتي كنت أحملها ويحملها عامة المسلمين ، والتي سـيرد تفصـيلها في هـذا الفصل إن شـاء الله . كنت سأقتصر بحثي في تاريخ بني إسرائيل ، لإثبات تحقق وعد المرة الأولى من علو وإفساد وعقاب ، ولكن تـبين لي من خلال الأحـاديث العامة ، وعند طـرحي لموضـوع هـذا البحث ، أن كثيرا من الناس ، يجهلون تاريخ بـني إسـرائيل ، وخاصة ماهيّة الأحـداث الـتي حصـلت معهم ، وموقعها من حيث الزمـان والمكـان ، والـتي ذُكـرت متفرقة في القـرآن ، وبلا ترتيب في أغلب الأحيان ، ويجهلون أيضا حتى تـرتيب أنبيـاء بـني إسـرائيل وتعـاقبهم ، لذلك اضطررت لتعقب تاريخهم منذ البداية ، لما فيه من فائدة .

إبراهيم عليه السلام

حسبما ورد عن أهل الكتاب ، أن إبـراهيم عليه السـلام ، كـان مقيما في بلـدة أور في جنوب العراق ، (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (24 العنكبوت) ، (**فَـآمَنَ لَـهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ** (26 العنكبـوت) ، (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَـالَمِينَ** (71 الأنبيـاء) ومن ثم انتقل إبـــراهيم ولـــوط عليهما الســـلام ، وهو الوحيد الـــذي آمن له من قومه ، إلى فلسطين .

وسكن لوط عليه السلام قرية (سدوم وعمـورة) حسب تسـمية التـوراة ، في موضع البحر الميت حاليا ، واستمر إبـراهيم عليه السـلام على الأرجح ، إلى المدينة المسـمّاة باسمه لغاية الآن – وهي الخليل جنوبي القدس - وسكن فيها ، وظاهر النص القـرآني ، يفيد بأنهما لم يكونا متزوجين ، ولو كانا متزوجين ، لذُكِرَ أهلهما عند النجاة ، كما اقترن ذِكْر الأهل مع الأنبياء ، في كل من حالات النجـاة والهجـرة ، الـتي وردت في القـران ، كما في الآية (**وَنُوحًا إِذْ نَـادَى مِنْ قَبْـلُ فَاسْـتَجَبْنَا لَـهُ فَنَجَّيْنَـاهُ وَأَهْلَـهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ** (76 الأنبيـاء) ، والآية (**قَـالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ... لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَـهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَـابِرِينَ** (32 العنكبـوت) ، والآية (**فَلَمَّا قَضَـى مُوسَـى الْأَجَـلَ وَسَـارَ بِأَهْلِـهِ** (29 القصص) ليفيد ذلك أنهما هـاجرا منفـردين وفي مقتبل العمر ، وأن الـزواج حصل بعد الإقامة ، وعلى الأرجح ، من نفس الأقـوام الـتي دخلـوا عليها وعايشوهاكأفراد ، والله أعلم .

قـال تعـالى على لسـان إبـراهيم (**الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لي عَلَى الْكِبَـرِ ، إِسْـمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبِّي لَسَـمِيعُ الـدُّعَاءِ** (39 إبـراهيم) ، ومـرت سـنون طويلة ، وبعد أن تقدم إبراهيم عليه السـلام في العمر ، وهبه الله جـلّ وعلا إسـماعيل أولا من هـاجر ، فأسـكنه وأمه في مكة ، ومن ثم رُزِقَ بإسـحاق في شـيخوخته ، من سارة التي أصبحت عجوزا ، ومن ثم وُلِدَ يعقوب لإسحاق عليهما السلام ، قال تعالى (**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْـحَاقَ يَعْقُـوبَ** (71) **قَالَتْ يَوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَـيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عَجِيبٌ** (72 هود) .

مسألة بناء البيت الحرام والمسجد الأقصى :

قال تعالى (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** (96 آل عمران) .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ؟ قَالَ : **الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ** ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : **ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى** ، قُلْتُ : كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : **أَرْبَعُونَ** ، ثُمَّ قَالَ : **حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ ، وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ**) رواه البخاري ، وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة وأحمد . جاء في شرح السندي ، لنفس المتن عند ابن ماجة ، ما نصه : " قوله (وُضِعَ أول) بالبناء على الضمة ، (قال أربعون عاما) قالوا : ليس المراد بناء إبراهيم للمسجد الحرام ، وبناء سليمان للمسجد الأقصى ، فإن بينهما مدة طويلة بلا ريب ، بل المراد بناؤها قبل هذين البناءين ، والله أعلم " .

ومن معاني (الوضع) ، في لسان العرب " والمواضع معروفة ، وواحدها موضع ، والموضع هو اسم المكان ، وفي الحديث : " ينزل عيسى بن مريم فيَضَعُ الجزية " ، فتوضع الجزية وتسقط ، وفي الحديث : " و يَضَعُ العلم " أي يهدمه ويلصقه بالأرض ، ووَضَعَ الشيء وَضْعَاً أي اختلقه وأوجده ، ووضع الشيء في المكان ، أثبته فيه " .

ولم تأتِ (وُضِعَ) بأي حال من الأحوال بمعنى (بُنِيَ) ، وذلك يفيد بأن الوضع كان للقواعد فقط . وقد رُوي أن آدم عليه السلام ، هو أول من بنى الكعبة ، واتخذت مكاناً لعبادة الله ، ومن ثم تحول الموضع لعبادة الأصنام ، وأزيلت معالم ذلك البناء ، بفعل الطوفان زمن نوح عليه السلام ، واختفت هذه القواعد نتيجة تراكم الأتربة ، على مرّ السنين . وإعراب (وُضِعَ) في كلا الموضعين ، هو فعل ماضٍ مبني للمجهول ، أي أن فاعل الوضع غير معلوم في النص ، وجاءت بمعنى تعيين وتحديد مكان البيت ، وهناك روايات بأن الملائكة كشفت لآدم عن موضعه ، عندما بناه لأول مرة . وبلغة مسّاحي الأراضي ، نستطيع القول أن (وُضع) ، جاءت بمعنى تحديد وإسقاط إحداثيات الموقع على الأرض ، وتثبيت حدوده .

ولا يختلف اثنان ، على أن من أعاد بناء البيت الحرام ، هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، بدلالة قوله تعالى (**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (26 الحج) ، بوّأنا أي كشفنا وأظهرنا له موضعه ومكنّاه منه وأذنا له في بنائه ، ومن ثم كان البناء برفعه فوق القواعد ، في قوله (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** (127 البقرة) ، والغاية من بناءه هو جعله مكانا للعبادة ، بما تشمله من طواف وقيام وركوع وسجود ، لمن يستجيبوا لرسالة الإسلام ، كما ورد في الآية أعلاه ، التي كان يحملها إسماعيل عليه السلام ، المقيم في ذلك المكان (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** (54 مريم) .

يعقوب ويوسف عليهما السلام

قال تعالى (**وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** (58 مريم) ، ويعقوب عليه السلام هو إسرائيل ، والمقصود ببني إسرائيل ، هم نسل يعقوب عليه السلام ، وحسب ما ترويه التوراة ، أنه ترك مقام أبيه إسحاق في فلسطين ، وهاجر إلى خاله في العراق ،

ورعى عنده الغنم عدة سنين ، وتزوج اثنتين من بناته ، وعاد إلى فلسطين مرة أخرى ، وقد رُزق عليه السلام باثني عشر ابنا ، وأبرزهم يوسف عليه السلام ، في قوله تعالى (**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** (4 يوسف) ، وقوله (**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا** (100 يوسف) . أي أجلس أبوه وأمه إلى جواره ، احتراما وتقديرا وتوقيرا ، ومن ثم سجد له أخوته الأحد عشر ، دون أبويه ، ففي الأية (4) كانت الرؤيا الأولى ، للأحد عشر كوكبا والشمس والقمر ، ومن ثم كانت الرؤيا الثانية ، لسجود الأحد عشر كوكبا ، دون الشمس والقمر ، وهذا ما تؤكده الأية (100) ، حيث رُفع الأبوين إلى العرش ، ومن ثم وقع السجود من الأخوة .

أما مكان سكنى يعقوب عليه السلام ، ومن قوله تعالى على لسان يوسف (**وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ** (100 يوسف) ، يتبين لنا أنهم كانوا قد سكنوا الصحراء ، وعاشوا حياة البداوة ، ومن المعروف أن مهنة البدو ، هي تربية المواشي ، وتبادل منتجاتها مع أهل الحضر ، ومن قوله على لسان أخوة يوسف أيضا (**وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** (82 يوسف) والقرية ، هي مكان تواجد يوسف عليه السلام في مصر ، حيث تركوا الأخ الشقيق ليوسف ، وقولهم هذا وتردّدهم لأكثر من مرة على مصر ، يدل على قربهم منها ، وقولهم (**وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**) يدل أنهم ذهبوا إلى مصر ورجعوا في قافلة ، وأفرادها يقطنون معهم أو بالقرب منهم . والأرجح أن تكون هذه الصحراء ، التي كانوا يقيمون فيها قريبة إلى مصر ، وربما تكون صحراء النقب ، جنوب فلسطين ، وفي منطقة بئر السبع بالذات ، حيث سكنى بدو فلسطين ، وهو الأرجح والله أعلم .

الانتقال إلى مصر :

وبعد أن تبوّأ يوسف عليه السلام في مصر منصبا ، يوازي منصب وزير الخزينة ، أو المالية في عصرنا الحالي ، لدى فرعون مصر ، انتقل يعقوب وبنوه ، للحاق به في مصر ، قال تعالى (**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** (99) **..** (100) **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ...** (101 يوسف) ، ودخلوها معزّزين مكرّمين آمنين ، وقوله (آمنين) يوحي بأن ليس كل من دخل مصر آنذاك ، ليقيم فيه من الغرباء والدخلاء ، سيكون آمنا على نفسه ، من الاضطهاد والاستعباد .

بعض مظاهر الحكم المصري :

قصة يوسف عليه السلام أشهر من أن تعرّف ، لذلك سنوردها باختصار ، ونركّز على بعض ما خفي منها . حيث كانت مصر آنذاك إحدى كُبريات الممالك القديمة ، بدلالة قوله تعالى (**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ...** (54 يوسف) ، وعلى لسان مؤمن آل فرعون (**يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ** (29 غافر) ، ونظام الحكم فيها ملكي وراثي ، وكلمة فرعون ربما تكون اسم أو لقب للملك ، ويقال أن الفراعنة لم يكونوا ملوك مصر ، في زمن يوسف عليه السلام ، فسواء كان هذا أو ذاك ، فنحن نصف الأوضاع في مصر بشكل عام .

حيث يبدو أن المجتمع المصري ، كان يتألّف من أربع طبقات :-

الطبقة الأولى : العائلة الملكية ، التي هي في مصاف الآلهة من حيث الحقوق والامتيازات .

الطبقة الثانية : الأشراف من المصريين ، الموكل إليهم الأعمال التنفيذية ، ويتمتعون بامتيازات استثنائية ، من وزراء وما شابه ، وهم علية القوم وسماهم سبحانه ملأ فرعون ، في قوله (**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (88 يونس) . ومنهم العزيز صاحب يوسف عليه السلام ، وهامان الذي كان يشغل ما يشبه ، منصب رئيس الوزراء في عصرنا هذا ، قال تعالى (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ** (36 غافر) .

وانضوى يوسف عليه السلام ضمن هذه الطبقة ، مع أنه كان من الغرباء ، كونهم كانوا بأمسّ الحاجة لعلمه وحكمته ، لإدارة شؤون البلاد الاقتصادية ، في سنين الجفاف ، ، لا لشيء آخر . بعد أن أصبح عليه السلام من المقربين للملك ، (**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** (54 يوسف) حيث كان عبدا مملوكا لذلك العزيز ، الذي قال عنه يوسف عليه السلام ، عندما رُووِدَ عن نفسه للوقوع في الزنا ، بزوجة من أكرمه وأحسن مقامه : (**إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** (23 يوسف) أي لن أظلم نفسي بمعصية الله ، ولن أظلم زوجك بنكران معروفه معي ، إذ قال لها زوجها عند شراءه (**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** (21 يوسف) ، ولفظ ربّ في الآية السابقة جاء بمعنى صاحب أو مالك ، ولفظ العزيز هو لقب يُطلق على الأشراف ، ذوي المناصب الرفيعة ، وقد خُوطب به يوسف عليه السلام ، من قِبَل أخوته في الآية (88) . ويبدو أن المجتمع المصري كان منغلقا على نفسه ، ولا يخالط الغرباء من منظور الفوقية والاستعلاء ، ويخاف الغرباء ويخشاهم وبالتالي كان ينبذهم .

والطبقة الثالثة : عامة المصريين وهم يعملون بالوظائف العامة والخاصة ، وامتيازاتهم عادية ، وشملت هذه الطبقة نسبيا بني إسرائيل ، في زمن يوسف عليه السلام .

والطبقة الرابعة : العبيد عن طريق الشراء وما شابه ، وأغلبهم من غير المصريين ، بلا حقوق وبلا امتيازات ، بل على العكس ليس لهم إلا المهانة والازدراء ، ويعملون بقوتهم اليومي في الزراعة والبناء والخدمة ، ومن ضمنها صاحبيّ السجن ، وشملت بني إسرائيل ، بعد يوسف عليه السلام ، حتى زمن موسى عليه السلام . والمخطئ من هؤلاء العبيد في حق المصريين ، كان مصيره السجن أو العذاب الشديد أو القتل ، وبدون محاكمة على الأرجح ، وخاصة إذا كان خصمه مصريا ، حتى ولو أتهم زورا وبهتانا .

وأما الموقع الجغرافي لعاصمة الملك ، وبدلالة هذه الآيات (**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (51 الزخرف) ، (**وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرَقُونَ (24)كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** (27 الدخان) ، فهو يقع على مجرى نهر النيل ، في أخصب الأراضي المصرية ، أما سكنى فرعون وآله (أي عائلته) كانت خارج المدينة ، بمعزل عن الشعب ، وقصره مقام على ضفاف النيل .

هل كان يوسف داعية إلى الله في مصر ؟ نقول نعم ، وقد بدأ الدعوة في السجن ، عندما قال لصاحبيّ السجن (**يَصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** (39) **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ، مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (40 يوسف) ، واستمرت

دعوته حتى مماته ، قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون (**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** (34 غافر) وهو يعني أهل مصر ، وكان يوسف عليه السلام ، يدعوا إلى الله تعالى بالقسط ، فما أطاعوه تلك الطاعة ، إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ، ولهذا قال مؤمن آل فرعون : (فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك ، قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ، وطال الأمد بقوم فرعون وببني إسرائيل ، فضلّوا إلا قليلا ، وكان منهم مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وعلى لسانه جاءت هذه الآية ، ومنهم أيضا أهل موسى عليه السلام .

أحوال بني إسرائيل في مصر بعد وفاة يوسف عليه السلام وحتى خروجهم منها :

بعد زوال سندهم لدى فرعون ، أصبح حالهم حال العبيد . وربما يكون ذلك في زمن فرعون نفسه ، أو من مَلَك بعده ، بعد وفاة يوسف عليه السلام ، لزوال المصلحة والنفع الذي تأتّى من علم يوسف ، وحكمته في الإدارة والاقتصاد . واستمر حالهم كذلك حتى خروجهم مع موسى عليه السلام ، وحسب ما يُروى أن المدة ، ما بين دخولهم إلى مصر ، وخروجهم منها هي أربعمائة سنة ، والله أعلم ، وحالهم في تلك الفترة الزمنية ، يصفه القرآن بما يلي : (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** (4 القصص) ، (**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** (49 البقرة) ، (**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ** (30 الدخان) ، وازداد العذاب والاضطهاد لهم ، ببعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه .

موسى عليه السلام

والحكمة الإلهية التي أرادها الله من بعث موسى عليه السلام ، هي ما ابتدر به رب العزة سورة القصص ، بقوله (**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ، مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** (6 القصص) والقصة بتمامها ، مفصلة في سورة القصص وسورة طه ، وقصة موسى معروفة ومألوفة لدينا ، حيث وُلد عليه السلام ، وألقته أمه في النيل ، خوفا من ذبحه ، فالتقطه آل فرعون ، واعتنوا به . حتى إذا بلغ أشدّه ، قتل مصريا ، فأتمر به ملأ فرعون ، فغادر مصر متجها إلى مدين ، ولم يكن قد لقي بلاء قبل ذلك ، فقد كان ربيبا منعمّا في آل فرعون ، ولم يكن عليه السلام ، قد أوحيَ إليه بعد ، وإنما كان مسلما ، على دين آبائه إبراهيم إسحاق ويعقوب عليهم السلام .

الموقع الجغرافي لمَدْيَن :

قيل فيها في المعاجم : أنها تقع " قرب بحر القلزم (البحر الأحمر) محاذية لتبوك ، وتقع بين وادي القرى والشام ، وقيل اتجاه تبوك بين المدينة والشام ، وقيل هي كفر سندة من أعمال طبرية ، وقيل بلد بالشام معلوم تلقاء غزة ، وفي (البداية والنهاية

) : " كان أهل مدين قوما عربا ، ومدين هي قرية من أرض معان ، من أطراف الشام ، مما يلي ناحية الحجاز ، قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعد قوم لوط بمدة قريبة " .

والقول الأخير هو أفضل ما قيل فيها ، وهو الأرجح فهي تقع شرقيّ نهر الأردن ، في السفح المطل على فلسطين ، قبالة أريحا ، حيث المكان المسمى بوادي شعيب حاليا ، والذي يقع فيه مقام النبي شعيب عليه السلام ، في جبال محافظة البلقاء الأردنية ، وهي أرض خصبة تصلح لزراعة القثائيّات ، وفيها الأشجار المثمرة ، وعيون الماء ، ويؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى ، على لسان شعيب مخاطبا قومه (**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ** (89 هود) ، والمقصود هنا البعد المكاني ، حيث المسافة بين قرية شعيب والبحر الميت (بحيرة لوط) ، لا تتجاوز (20) كم ، أما البعد الزماني بين لوط وشعيب ، فيُقدّر بمئات السنين ، حيث أن لوط عاصر إبراهيم ، وشعيب عاصر موسى عليهم السلام .

وكما ورد في الروايات ، كان أهل مدين ، يقطعون السبيل ويخيفون المارة ، وهم أصحاب الأيكة أي الأشجار الملتفة والمتشابكة - وهي صفة موجودة أيضا في تلك المنطقة - وكانوا من أسوء الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما ، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ، فآمن بشعيب بعضهم وكفر أكثرهم ، (**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** (189 الشعراء) (**فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** (91 الأعراف) ، ولم تدمر ديارهم بل بقيت على حالها ، ويقال أن ذلك كان في يوم شديد الحر ، فبعث الله ظللا من الغمام ، في بقعة قريبة من مكان سكناهم ، فذهبوا ليستظلوا بها ، فنزل بهم العذاب ، وبقي في القرية من آمن لشعيب عليه السلام من قومه وهم قلة .

مقام موسى في مدين :

(**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ...)** ، خرج موسى من مصر وحيدا ، (**قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** (22 القصص) ، ولم يكن يملك من أمره ، إلا حسن ظنّه بربه عز وجل ، حتى صار إلى مدين . فلبث موسى عليه السلام (8-10) سنين في أهلها ، لقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام (**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ...** (27 القصص) وتزوج فيها ورعى الغنم ، وتعرف إلى أهلها وعرفوه ، وعرف سهولها وجبالها ووديانها ، (**فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ...**) .

العودة إلى مصر :

وبعد أن قضى المدة المطلوبة منه ، (**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ** (29 القصص) غادرها مع أهله وما تحصّل عليه من أغنام ، تسيّره أقدار ربه . وكان خط مسيره ، والله أعلم ، باتجاه الجنوب ، شرقي البحر الميت باتجاه مصر ، حيث انحدر بأهله إلى وادي عربة ، جنوب البحر الميت ، فضلّ الطريق ، وهناك أتاه هاتف السماء ، لذلك قال تعالى (**... ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى** (40 طه) ، إلى موضع الوحي ، في الوقت المقدّر . فأوكله الله بحمل الرسالة إلى فرعون ، وأمره بالتوجه إلى مصر ، ومن هناك سار – بخط شبه مستقيم - مجتازا صحراء النقب جنوب فلسطين ، وصحراء سيناء باتجاه بوابة مصر البرية من الشرق ، ومن ثم سار جنوبا باتجاه القاهرة ، حيث إقامة فرعون وقومه .

تحديد الموقع الجغــرافي ، للمكــان الــذي أوحي فيه ، إلى موسى عليه السلام :

نزل الوحي إلى موسى مرتين ؛ الوحي الأول : هو الذي كُلف به موسى بحمل الرسالة ، وما بعث به إلى فرعــون وبــني إســرائيل ، أثنــاء عودته إلى مصر ، بعد خروجه من مدين ، والوحي الثاني : هو الشريعة الجديدة الـتي كُتبت في الألـواح لبـني إسـرائيل ، بعد خـــــروجهم من مصر ، في الطريق إلى الأرض المقدسة ، ويعتقد الكثـــــيرون أن الوحي نزل على موسى ، على جبل سيناء الواقع في صحراء سـيناء المصـرية ، وهـذا غـير صـحيح ، حيث لم يوجد أي نص في القـرآن يفيد ذلك . والواقع أن هـذه تسـمية الصحراء المصرية بصحراء سيناء ، استندت إلى ما جاء في التوراة ، مع أن التـوراة لم تُحدّد موقع الصحراء أو الجبل .

وتذكر التوراة في سفر الخروج ، أن بني إسرائيل مروا على التوالي ، بثلاثة صـحارى ، هي الـواردة في النص التـالي بـالترتيب : " 15:ـ 22: ثم ارتحل موسى بإسـرائيل من البحر الأحمر ، وتوجّهوا نحو صحراء شـور ، 27: ثم بلغـوا إيليم ... 16:ـ 1: ثمّ انتقلـوا من إيليم حتى أقبلوا على صحراء سين ، الواقعة بين إيليم وسيناء " .

وجاء في نص آخر : " 17:ـ 1: وتنقل بنوا إسرائيل على مراحل ، من صحراء سـين ... إلى أن خيّموا في رفيديم ...19: 2: فقد ارتحل الإسرائيليون من رفيديم إلى أن جاءوا إلى برية سيناء ، فنزلوا مقابل الجبل فصـعد موسى للمثـول أمـام الله ، فنـاداه الـرب من الجبل ... 20 : ونزل الرب على قمة جبل سيناء ... "

وهــذه النصــوص تُشــير إلى أن جبل ســيناء ، هو اسم الجبل الــذي أُوحي بجانبه إلى موسى ، وأن برية ســيناء هي تســمية ، للمكــان الواقع مقابل جبل ســيناء . وأن برية سيناء هي الأبعد عن مصر ، كونها كانت آخر الصحارى التي مرّوا بها ، أثناء مســيرهم ، باتجاه بوابة الأرض المقدّسة شرقي نهر الأردن ، والترجمـات العربية للتـوراة ، لا تُميّز بين القفر ، أي الخلاء غير المأهول بالسكّان ، وبين الصحارى الرملية القاحلة .

وجاء في التوراة " 16:ـ 35: واقتـات الإسـرائيليون بـالمنّ طـوال أربعين سـنة ، حـتى جاءوا إلى تخوم أرض كنعان العامرة بالسكان " . وهذا النص الكاذب والمضلّل ، يقول أن المنّ والسلوى كـانت تـنزّل عليهم طيلة أربعين سـنة ، قبل وصـولهم إلى مشـارف فلســـطين ، أي قبل أن يُطلب منهم الـــدخول إلى الأرض المقدسة ، وقبل أن يحكم عليهم بسنوات التحريم والتيه الأربعين . والصحيح أن المنّ والسلوى كانت تنزّل عليهم خلال مسيرهم في الصحراء ، وهي مدة قصيرة ، أما سنوات التحريم والتيه الأربعين – سنوات الغضب الإلهي - فلم يكن يتنزّل عليهم شيء .

وتسمية الصحراء المصرية بسيناء ، وذكر التوراة أن بني إســرائيل عاشـوا فيها أربعين سنة يأكلون المن والسلوى . ضـلّلت حـتى اليهـود أنفسـهم ، الـذين بحثـوا ونقبـوا فيها طويلا ، عن أي أثر لمقامهم فيها ، ولكن دون جدوى ، مما اضطر بعض الباحثين اليهود مؤخرا ، إلى تكذيب معظم روايات التوراة ، ونشر الكثير من آرائهم ونتائج أبحاثهم في الصحف .

أما كلمة الطور فقد وردت في القرآن (10) مرات ، (8) منها بلفظ (الطــور) معرّفة بأل التعريف ، بمعـنى الجبل ، وواحـدة بلفظ (طـور سـيناء) **(وَشَجَرَةً تَخْـرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ** (20 المؤمنون)، وواحدة بلفظ (طـور سينين) بنفس المعنى السابق ، (**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** (1)ـ **وَطُورِ سِـينِينَ** (2 الـتين) . وسيناء وسنين لغة ، إذا لم تمنع من الصرف ، أي لحقها التنوين جرّاً ونصــباً ، فإنها

تعني كثرة الشجر ، وإذا مُنعت من الصرف ، كما هو الحال هنا فهي اسم ، والكلمات (طور وسيناء وسينين) ألفاظ أعجمية ، ومما تقدم نستطيع القول بأن (طور سيناء) اسم لجبل معروف لبني إسرائيل ، بمعنى (جبل الغابة) ، وهو في الحقيقة ، اسم الجبل الذي أوحيَ بجانبه إلى موسى ، حسب تسمية التوراة له ، وقد عُرّف هذا الجبل من خلال القرآن ، بأنه يُنبت التين والزيتون . والمقصود بكلمة (الطور) المعرّفة بألف ولام ، أينما جاءت في القرآن ، هو طور سيناء أو سينين ، والطور هو سلسلة جبال فلسطين ، التي تربض على تلالها مدينة القدس ، والتي هي في الأصل جبل واحد ، يمتد من مدينة نابلس شمالا إلى مدينة الخليل جنوبا .

قال تعالى (**فَلَمَّا قَضَى موسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ، آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ، إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ، أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ ، لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** (29 القصص) قلنا أن موسى عليه السلام ، كان قد ضلّ طريقه بعد خروجه من مدين باتجاه مصر ، ، لقوله عليه السلام (**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**) فوجد نفسه في أحد الأودية . ودخوله إلى الوادي كان عن طريق انحداره ، بواد فرعي جنوب البحر الميت ، وكان ذلك ليلا ، وفي طقس بارد جدا . وأثناء التخييم هناك ، كان يلتفت يمنة ويسرة ، بحثا عن الدفء والهداية ، فآنس نارا من جانب الجبل ، فاتجه إليها بعد أن استأذن أهله ، ليأتيهم بجذوة منها لأجل الدفء ، أو يجد من يرشده إلى طريقه ، ولكنه لم يجد نارا ، ولم يجد في المكان أحد .

نور لا نار :

(**فَلَمَّا أَتَاهَا ...**) ، أي النار ، وقف تحتها (**فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ الشَّجَرَةِ** (30 القصص) وفي الواقع لم تكن نارا ، بل كانت نور في شجرة ، وهي الشجرة الموصوفة في قوله سبحانه (**شَجَرَةٍ ، مُبَارَكَةٍ ، زَيْتُونِةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** (35 النور) ، وهي (شجرة) ، (وزيتونة) ، (ومباركة) ، أي تقع في بقعة من الأرض ، ينبت فيها شجر الزيتون ، وهي أرض مباركة ، وقوله (لا شرقية ولا غربية) ، أي لا في الجانب الشرقي من وادي عربة ، ولا في الجانب الغربي منه ، فهي في منتصف الوادي تقريبا ، وقوله (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) ، أي لها وهج من نور ، وليس ذلك من اشتعال نار فيها ، فهي مضيئة من تلقاء نفسها ، وقوله (يكاد زيتها يضيء) ، أي أن الإضاءة ناتجة عن زيت الشجرة ، فلا يكون ذلك إلا وهي مثمرة ، فالزيت يوجد في الثمر ، وتشكل الزيت في الثمر ، لا يكون إلا في بداية فصل الشتاء ، ويؤيد ذلك طلب موسى عليه السلام للدفء ، ليتأكد لنا أن دخوله إلى بطن وادي عربة ، كان في فصل الشتاء ، وأن الشجرة التي نوديَ من تحتها في الوادي المقدس ، هي نفس الشجرة الموصوفة في سورة النور ، ولا أدري لماذا يتملكني شعور قوي ، بأن هذه الشجرة قائمة في ذلك المكان إلى اليوم ، في منطقة موحشة ومقفرة وغير مأهولة ، تضيء كلما أثمرت ، في فصل الشتاء .

(**فَلَمَّا أَتَاهَا**) وقف حائرا أمامها ، يتفكّر في أمرها ، حيث أنه لم يجد ما جاء يسعى إليه ، فلا نار ولا ناس يُشعلونها ، وأثناء شروده ، وفي سكون الليل ، (**نُودِي يَمُوسَى** (11 طه) (**مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ** (30 القصص) ، أي من الجانب الأيمن من الوادي ، (**مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ** (52 مريم) ، أي من الجانب الأيمن للجبل ، وليس الأيسر ، (**بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ** (44 القصص) ، أي الجبل الغربيّ ، وهذا تحديد جغرافي بالغ الدقة لمكان الوحي .

أتـاه النـداء باسـمه ممن يعرفه ، وذلك مما آنس موسى ، ليبـدّد سـكون ذلك الليل المـوحش ، ويقطع عليه شـروده وتأمله ، ولا أخاله إلا قد أجفل عليه السـلام ، ولما التفت إلى مصدر النداء ، خاطبه رب العزة قائلا (**إِنِّي أَنا رَبُّكَ**) مطمئنا إياه ومعرّفا بنفسه ، (**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى** (12طه) فأمره بخلع نعليه – إذ هو في حضرة ملك الملوك – ليتجه حافي القدمين ، سائرا في الجـانب المقـدس من الوادي ، صوب الجبل ، قال تعالى **(وَقَرَّبْنَـاهُ نَجِيًّا(52 مـريم)** أي كـان الكلام مناجاة **،** والمناجاة عادة تستدعي القرب .

نحن نعلم أن الأرض المباركة والمقدّسة هي أرض فلسـطين ، وبما أن الـوادي الـذي نزل فيه موسى واد مقدّس ، فلا بد له من يكـون واقعا في الأرض المقدّسة ، وبما أن الشـجرة نبتت في بقعة مباركة ، فلا بد لها من أن تكـون قائمة في الأرض المباركة ، وبما أن شـجرة سـورة النـور زيتونة مباركة ومضـيئة ، فلابد لها من أن تكـون هي الشجرة ، التي رآها موسى فظن نورها نارا ، في بطن وادي عربة ، والله أعلم .

وعندما اقترب موسى ، بما فيه الكفاية لبدء المناجاة ، ناجاه ربه قائلا (**وَأَنا اخْتَرْتُـكَ ، فَاسْتَمِعْ لِمَا يُـوحَى** (13)ـ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُـدْنِي ، وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** (14 طه) فأمره بتوحيده ، وإفـراده بالعبـادة ، وإقامة الصـلاة ، ومن ثم منحه آيتيّ العصا واليد وكلّفه بحمل الرسالة ، والذهاب لدعوة فرعون ودعـوة بـني إسرائيل إلى الله ، (**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** (24 طـه) . وفي الصـباح عـاين موسى عليه السـلام المكـان ، وحفظه عن ظهر قلب ، فهو المكـان الـذي تغيّر فيه مجرى حياته عليه السلام ، ولم كان يعلم عليه السلام ، ما يدبّره رب العـزة من أقـدار ، ستأتي به إلى هذا المكان في قادم الأيـام ، عند خروجه بقومه من مصر ، متجها إلى بوابة الأرض المقدسة ، حيث كان في أرض مدين .

موسى في مصر :

كنت أعتقد وربما يشاركني كثيرون أيضا ، أن مُقـام موسى في مصر ، لا يتجـاوز عـدة أيـام أو عـدة أشـهر على أبعد تقـدير ، ولكن تـبين لي أني كنت مخطئا ، فالأحـداث والوقائع التي مرت مع موسى عليه السلام كثيرة ، وتحتاج إلى سنوات عديدة ، وأظنه مكث هنـاك ما لا يقل عن30 عاما ، يـدعوا فرعـون وقومه وبـني إسـرائيل أيضا ، (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُـوا بُيُـوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ** (87 يونس) فلو تفكرت في الآية الكريمة ، لتبينت أن طلبه سبحانه ببنـاء الـبيوت ، وجعلها باتجـاه بيت المقـدس ، وأمْـره إيـاهم بإقامة الصلاة فيها ، ما كان إلا لطول مُقـام ، ولو كـان مُقـامهم قصـيرا أو عارضا ، لما أمرهم بذلك . والجدل بين موسى عليه السلام وفرعون ، أخذ زمنا طويلا ، بدءا باللقاء الأول الذي عـرض فيه موسى رسـالته ، وما أيّـدها به من آيـات – العصا واليد – ولقـاء يوم الزينة حيث التقى موسى بالسحرة ، وبناء الصرح (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْـرِي فَأَوْقِـدْ لِي يَاهَامَـانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ** (38 القصص) .

بناء الأهرامات :

الصرح هو البنـاء الضـخم والمرتفع ، وأعتقد أن الأهرامـات الثلاثة ، هي ما أُمر هامـان ببنائها ، من قبل فرعـون ، لينظر إلى إله موسى . وفيما بعد اتُّخـذت تلك الصـروح ، مقابر ومدافن .

إذ لو فُحِصت مادة بناء الأهرامات ، لتبين أنها من الطين المشوي ، لدلالة قوله تعالى (**فَأَوْقِدْ لِي يَهَامَانُ عَلَى الطِّينِ**) ، إذ يخبر سبحانه – وما إعلامه لنا بذلك عبثا - بأنهم كانوا يستخدمون الطين في البناء ، وليس الحجارة كما يعتقد علماء الآثار ، الذين حاولوا جاهدين لتفسير الآلية المعقدة والمستحيلة ، في رفع تلك الصخور ذات القطع الكبير ، إلى قمة الهرم حيث لم يكن لديهم رافعات عملاقة . وهذا الخبر يكشف حقيقة ، ربما لم تخطر ببال علماء الآثار من قبل ، ويجعل كيفية البناء غاية السهولة ، حيث كان عبيد فرعون ومنهم بني إسرائيل ، ينقلون الطين – وليس الصخور والحجارة - ويضعوه في قوالب مثبتة على الهرم نفسه ، وكل لبنة في موقعها ، وينتظرون اللَبِن حتى يتماسك ، لينزعوا القوالب ، وكلما أنجزوا مرحلة ، قاموا بتثبيت القوالب مرة أخرى ، على ما تمّ إنجازه ، وبدءوا بنقل الطين ليفرغوه فيها ، وهكذا دواليك ، حتى يكتمل بناء الهرم . ومن الداخل ستجد أن قلب الهرم مفرغ ، وستجد أن هناك سراديب طويلة غير نافذة ، تتوزّع بكافة الاتجاهات ، والغاية منها توزيع الحرارة ، عند إشعال النار في قلب الهرم لشيّ الطين الجاف ، وهي عملية تحتاج إلى وقت طويل نظريا ، ولكن مع كثرة العبيد فالأمر مختلف ، والآلية بسيطة وليست معقدّة ، ولا توحي بأن الفراعنة كانوا جبابرة وأشداء ، فبناة الأهرام هم العبيد وليس الفراعنة أنفسهم ، وربما يكون شيّ الطين قد تم على مراحل ، وليس دفعة واحدة . وهذه الفكرة مطروحة للمختصّين لنفيها أو إثباتها ، وبذلك تكون الأهرامات ، رمزا من رموز الكفر والعصيان والتمرد والتحدي الفرعوني لله ورسوله ، ويكون أبو الهول هو إله المصريين القدماء ، قبل أن يُعلن فرعون ربوبيته ، تحديا لموسى عليه السلام وربه .

وبالإضافة إلى تلك الأحداث ، التي وقعت أثناء تواجد موسى في مصر ، ما وقع في قوم فرعون من البلاء الذي أنزله الله ، وكلما كشف عنهم بلاء أرسل عليهم آخر ، (**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** (133 الأعراف) . وستجد ما مرّ بقوم فرعون من وقائع ، أثناء تواجد موسى في مصر ، قد سُردت بإيجاز في الآيات (103 – 136) من سورة الأعراف ، والآيات (85 – 90) من سورة النمل ، ومواضع أخرى متفرقة في القرآن الكريم .

وفي نهاية المطاف (**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ** <u>**فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**</u> (88 يونس) أي الغرق ، فاستجيبت دعوة موسى ، وهذا بالضبط ما حصل مع فرعون (**حَتَّى إِذَا** <u>**أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**</u> **وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (90 يونس) ولو تمعنت في قوله ، لتبينت أنه لم يؤمن ، لقوله (الذي آمنت به بنو إسرائيل) ، وأغلبية بني إسرائيل لم تكن تؤمن بالله ، ولم يقل الله أو إله موسى تكبرا وعلوا .

فمن أصرّ على المعصية وانتهاك حدود الله بكافة أشكالها ، والكفر بكافة أشكاله ، وعن علم بها وبعقوبتها ، ومنّى النفس بقول (لا إله إلا الله) عند الموت معلنا التوبة ، أنّه لن يوفق بقولها آنذاك ، لأن قولها يُوجب الجنة ، وهي لم تكتب لهؤلاء . ووجوب الجنة يحتاج لدفع الثمن ، وتوفير الثمن اللازم لها ، يحتاج إلى جدّ واجتهاد وصبر لا محدود ، وأن من كانت تلك الكلمة آخر عهده بالدنيا ، كُتبت له الجنة ، وما أصعب تذكّرها وقولها ، أما هؤلاء فإن تذكّروها ، تلعثموا بها فلم تؤد معناها ، فلا توبة مع إصرار ، قال تعالى (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا**

اللَّهَ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135 آل عمران) ، وقال أيضا (**وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ ، لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ ، قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ، أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (18 النساء) .

ومعظم مسلمي هذا العصر ، إلا ما رحم ربي ، وهم قلة يُعدّون على أصابع اليد الواحدة ، في بعض البلدان المسماة بالإسلامية ، سلكوا هذا المنهج الذي حذّر منه رب العزة ، (جماعة كل شيء بحسابه) ، والأغلبية هم غثاء كغثاء السيل ، فلا فائدة فيهم أو تُرتجى منهم ، فإن لم يكفر أحدهم بالله أشرك في عبادته ، ومن لم يستجب ويطع ، تولى وعصى . والأوثان كثيرة هذه الأيام ، واتّخذت أشكالاً عديدة . صحيح أنها ليست من الحجر أو التمر ، ولكنها أدهى وأمرّ ، فنحن حاشى لله أن نعبد الحجارة ، وكل ما نقدّسه فقط ، كرسي ورصيد في البنك وعمارة ، وتلفزيون وستالايت وخلوي ، وشقراء أو سمراء في سيّارة . وناهيك عن المعاصي من أكل ربا ، وسرقة وخيانة وتبرج وزنا ، وقطع رحم ، وأكل لحم ، وشرب خمر ودم ، وشتم وسب وذم .

خروج موسى ببني إسرائيل من مصر :

قال تعالى (**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ، فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ، لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** (77 طه) ، نتبين من ذلك أن خروج موسى بقومه إلى البحر ، كان بوحي من ربه ، وإن لم يخب ظني فقد اتجه صوب البحر الأحمر مباشرة ، أقصى الشمال من خليج السويس ، وبعد أن خرج بقومه من البحر ، اتجه شرقا وشمالا بخط شبه مستقيم ، متجاوزا صحراء سيناء وصحراء النقب ، حيث المدخل الجنوبي لوادي عربة ، وسار شمالا في بطن الوادي ، حتى الجبل المعهود جنوب البحر الميت ، ليستقبل الوحي بناءا على الموعد المسبق ، الذي ضرب بينه وبين ربه ، بعد النجاة من فرعون وقومه ، قال تعالى (**يَبَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ** (80 طه) ، وهذه الآية تدل على عدم مكوثهم لفترة طويلة ، في أي من صحراء سيناء أو النقب ، وأن وجهتهم كانت حيث المكان الموعود ، وكان موسى يستعجل المسير وهم يبطئون ، وبعد تلقيه الوحي ، وما كان منهم معاصي في بطن الوادي ، صعد بقومه إلى المرتفعات الشرقية ، ودخل الأردن عن طريق الوادي الذي نزل به في المرة السابقة ، ملتفا حول مملكة الآدوميين ومملكة الموآبيين شرقي البحر الميت ، ليصل إلى مكان إقامته السابق ، حيث كان سفيرا لبني إسرائيل – ولم يكن يعلم بذلك آنذاك - في مدين قرية شعيب عليه السلام ، ليُمَهّد لهم طيب الإقامة فيها مستقبلا .

ترتيب الأحداث التي مرت بموسى وبني إسرائيل خلال تلك الرحلة الطويلة

الصاعقة والبعث بعد الموت :

رحلته مع بني إسرائيل ، في طريق العودة إلى مدين ، اختلفت كثيرا عن سابقتها ، فقد كانت ترافقه في هذه الرحلة أمّة بأسرها ، بما لها وما عليها ، وأكثرها من غير المؤمنين ، وغير المطيعين لله تعالى وله عليه السلام ، فكان المسير فيها بطيئا وشاقا وطويلا ، قال تعالى (**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ**

مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ (83 يونس) ، وقال أيضا (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى ، لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ، حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ ، وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ** (55)_ **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (56 البقرة) ، وكان قولهم هذا فور نجاتهم وخروجهم من البحر ، بعدما رأوا كل ما أجراه الله ، على يد موسى من معجزات ، تلين لها قلوب الجبال وعقولها ، فأماتهم الله ثم أحياهم ، ولو نظرت إلى قولهم في الآية السابقة ، واستخدام أداة الجزم والتأبيد (لن) ، تجد أن لديهم إصرار عجيب على الكفر ، بما هو غيبيّ ومحجوب عن حواسّهم ، رغم مشاهدتهم للآيات والآثار الدالة على وجوده ، وأنهم لا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس من أشياء مادية ، وهذا ما جعلهم يقعون في فتنة العجل الذهبي بعد هذه الحادثة ، وفي فتنة الدجال مستقبلا ، بما لديه من فتن مادية ظاهرة للعيان ، (**فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ، ثُمَّ ، اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا** (153 النساء) ، وقد وقع هذا منهم ، قبل اتخاذهم للعجل .

تفجير الماء ونزول المنّ والسلوى والتظليل بالسحاب أثناء المسير :

وبناءً على ما سبق ، كان خط مسير الرحلة في معظمه في صحاري قاحلة ، وكل ما كان بحوزتهم من طعام وماء أثناء الخروج ، كانوا قد استنفدوه في أيامهم الأولى ، قال تعالى (**وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ، وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمْ الْغَمَامَ ، وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (160الأعراف) ، ومن هذه الآية الكريمة ، نجد أنهم قُسّموا إلى (12) جماعة ، لتيسير عمليّه القيادة ، ومنّ عليهم ربهم ، سبحانه عما يصفون ، بأن وفّر لهم كل أسباب الراحة ، من ماء وغذاء ، وحتى أنه وقاهم من حر الشمس ، بأن جعل السحاب يظللهم ، أينما حلوا وأينما ارتحلوا ، أثناء مسيرهم باتجاه الأرض المُقدّسة ، وفي تلك الأثناء مرّوا على عبدة الأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم ألهة كما لهؤلاء ألهة (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** (138 الأعراف) .

ولا يغب عن بالنا ، أن رحلة كهذه ، كانت تستوجب ما بين فترة وأخرى ، التخييم والإقامة لبعض الوقت ، ومن ثم متابعة المسير ، وهكذا دواليك ، ولم تتعدى مدد الإقامة في أي من مراحل المسير ، سوى أيام أو أسابيع معدودة ، فهم لم يركنوا إلى مكان معين ، إذ كان هناك مواعدة للقاء في جانب الطور الأيمن ، في وادي عربة ، وكانت هذه المواعدة جماعية لموسى ولبني إسرائيل ، ولكنّ موسى عليه السلام ، وبعد أن قطع شوطا كبيرا في وادي عربة ، استعجل اللقاء ، وعندما اقترب من المكان المحدد ، استخلف أخيه هارون في قومه ، وتركهم ومضى مسرعا رغبةً منه في إرضاء ربه ، واعتذارا عن التأخير الذي تسبّب به قومه ، من جرّاء مماطلتهم وتذّمرهم .

اللقاء الأول لموسى بربه بعد الخروج من مصر ، واتخـاذ العجل في بطن وادي عربة :

قال تعالى (**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى** (83)ـ **قَـالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَـرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** (84) وهناك كان موسى عليه السلام ، مشتاقا ومنـدفعا فطلب رؤية ربه ، وكأنه نسي ما كـان من قومه ، فطلب من ربه ما طلبه قومه منه (**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ، قَـالَ لَنْ تَرَانِي ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَـوْفَ تَـرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُـبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُـؤْمِنِينَ** (143 الأعـراف) فصُعق موسى كما صُعق قومه من قبل ، وبعدما أفاق ، أعطيت له الألواح ، الـتي تحمل في ثناياها الشـريعة الجديـدة لبني إسرائيل ، (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِـيلًا لِكُـلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَـأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِـقِينَ** (145 الأعراف) .

ومن ثم ، أخبره ربه بأن قومه فُتنوا من بعـده ، بعبـادتهم للعجل الـذهبي الـذي ابتدعه السامري ، (**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْـدِكَ وَأَضَـلَّهُمْ السَّـامِرِيُّ** (85 طه) ، وكـانت عقوبة الشـرك بالله غاية في القسـوة ، (**وَإِذْ قَـالَ مُوسَـى لِقَوْمِـهِ ، يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَـاقْتُلُوا أَنفُسَـكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْـرٌ لَكُمْ عِنْـدَ بَـارِئِكُمْ ، فَتَـابَ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ هُـوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (54 البقرة) ، وتـوحي هـذه الآية بـأن الأمر كـان مُلزما ، وقبـول التوبة كـان مشـروطا بقتل النفس ، فمن رغب في التوبة آنـذاك ممن عبـدوا العجل ، قتل نفسه حقيقة وقُبلت توبته ، ومن لم يقتل نفسه ، قـال فيهم سـبحانه ، (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا الْعِجْـلَ سَـيَنَالُهُمْ غَضَـبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَكَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُفْتَرِينَ** (152 الأعراف) .

وبالنظر في قوله تعالى ، على لسان موسى مخاطبا السامريّ (**وَانْظُـرْ إِلَى إِلَهِـكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا** (97 طه) ، نجد أن العجل الذهبي ، قد حُـرّق ورُمي في البحر ، وأقـرب بحر لمقـام بـني إسـرائيل في وادي عربة ، هو البحر الميت .

اللقاء الثاني والرجفة ونتق الجبل :

وبنـاءً على ما كـان منهم ، اختـار موسى (70) رجلا من أفضـلهم ، للاعتـذار عما فعله السـفهاء من قومه (**وَاخْتَـارَ مُوسَــى قَوْمَـهُ سَـبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ ، قَالَ رَبِّ لَوْ شِـئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْـلُ وَإِيَّايَ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَـاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** (155 الأعـراف) فشـهدوا الـوحي بمعية موسى عليه السـلام دون سـماعه ، وشـعروا بوجـود خـالقهم وقدرته ، ومقدار حنقه وغضبه عليهم ، بأن زلزل الأرض من تحت أرجلهم .

أخذ الميثاق ، وإلزام النقباء الاثـنيّ عشر بالسـهر على تطبيقه ، والحكم بما جاء فيه :

وهناك عُرض عليهم الميثاق ليلـتزموا به ، ويلزمـوا أتبـاعهم على القيـام به ، ويتحملـوا مسؤولية نقضه ، فـتردّدوا وأبَـوْا ، فرفع سـبحانه فـوقهم الجبل ، وأجـبرهم على أخـذه بالقوة ، ولو أصرّوا على الرفض لأطبقه عليهم ، فقبلوه على مضض ، وكـان الله أعلم بما يعتمل في صدورهم ، ولكنه غفور رحيم ، حيث قال فيهم ، (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَـوْقَكُمْ الطُّورَ خُـذُوا مَا آتَيْنَـاكُمْ بِقُـوَّةٍ وَاسْـمَعُوا ، قَـالُوا سَـمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْـرِهِمْ ، قُـلْ بِئْسَـمَا يَـأْمُرُكُمْ بِـهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُـؤْمِنِينَ** (93 البقـرة) . فـاختير من السـبعين رجلا (12) نقيبا ، بعدد الأسباط (أي قبائل بني إسرائيل) وهم الذين تُسـميهم التـوراة بالقضـاة . وهـذا نص الميثـاق الـذي ألزمـوا بالعمل على تطبيقه ، بالإضـافة إلى الوصـايا الـواردة في سورة الأنعام (**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَـرَ نَقِيبًا ، وَقَـالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ، لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّـلَاةَ ، وَآتَيْتُمْ الزَّكَـاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُـلِي وَعَزَّرْتُمُـوهُمْ ، وَأَقْرَضْـتُمْ اللَّهَ قَرْضًـا حَسَـنًا ، لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْـدَ ذَلِـكَ مِنْكُمْ ، فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** (12 المائدة) .

رفض المن والسـلوى وطلب القثائيـات ، والحكم عليهم بـالنزول في موطن زراعتها :

كانت مـدة المكث بـادئ الأمر في الصـحراء بسـيطة ، وذلك لتـذمّرهم وعـدم صـبرهم على طعام واحد ، أي المنّ والسلوى ، فحكم عليهم سبحانه بإكمال المسـير ، المقـدّر مسـبقا ، بقوله على لسـان موسى (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَـى لَنْ نَصْـبِرَ عَلَى طَعَـامٍ وَاحِـدٍ فَـادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْـرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْـتَبْدِلُونَ الَّذِي هُـوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُـوَ خَيْـرٌ اهْبِطُـوا مِصْرًا ، فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ** (61 البقرة) ، وحيث أنه قـال (مِصْـراً) منونـةً ، ولم يقل (مِصْرَ) بدون تنوين ، فهي غير مصر التي خرجـوا منها ، وإنما جـاءت هنا بمعـنى (بلداً) نكرة وغير معرّفة ، وقوله (فإنّ لكم ما سألتم) تعني أن هذا البلد يتميّز ، بأن فيه ما سأله بني إسرائيل من نبيهم ، من عدس وبصل وغيره ، ولو تسـاءلنا عن موقع هذا البلد ، القريب من الأرض المقدسة ، الذي يتميز بخصـوبة أراضـيه ، ووفـرة مياهه من ينـابيع وآبـار ، ويصـلح لزراعة القثّائيـات ، بالتأكيد سـتكون الإجابة الأرض الواقعة ، شـرق نهر الأردن ، وفي السـفوح الغربية للجبـال المطلة على فلسـطين ، وبالتحديد قرية مدين التي يعرفها موسى ، ويعرف ميّزاتها وخصائصها ، والله أعلم ، والـتي كـان أهلها قد هلكوا بعذاب يوم الظلّة ، قبل أو بعد خروج موسى منها ، ليرثها بنوا إسـرائيل مع القلة المؤمنة ، من قوم شعيب التي نجت من العذاب .

دخول مدين والمُقام فيها :

قـال تعـالى (**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُـوا هَـذِهِ الْقَرْيَـةَ فَكُلُـوا مِنْهَا حَيْثُ شِـئْتُمْ رَغَـدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِـنِينَ** (58 البقرة) ، وقال في آية أخرى (**وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْـكُنُوا هَـذِهِ الْقَرْيَـةَ وَكُلُـوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَـابَ سُـجَّدًا نَغْفِـرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** (161)۔ **فَبَـدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُـوا مِنْهُمْ قَـوْلًا غَيْـرَ الَّذِي قِيـلَ**

لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُـونَ (162 الأعـراف) ، ولم يكن المقصـود بهـذه القرية ، الأرض المقدسة ، كـونهم دخلوها حربا ، بعد موسى عليه السلام بأربعين عاما على الأقل ، وهذه القرية سُـكنت حقيقة ، بـدخولها بلا قتـال بمعية موسى عليه السلام ، وقد بدّل الذين ظلموا منهم –أي العُصـاة – القـول والهيئة عند الدخول ، فأرسل عليهم سبحانه رجزا من السماء .

وقوله قبل الدخول (**وَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ**) و قوله لهم في النص الآخر (**فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِـئْتُمْ رَغَـدًا**) يـوحي بأنها سـكنى مؤقتة ، ولم يكن لـديهم علم ، بأنه سيكون هنـاك ما بعـدها ، وهو الاسـتعداد والتهيئة لـدخول الأرض المقدسة ، فأفشـلوا أنفســهم في الــدخول الأول لتلك القرية ، فاســتحقوا غضب الله عليهم ، وأفشــلوا أنفسهم عنـدما أُمـروا بالـدخول الثـاني بلا حـرب ، فأفشـلهم الله وأذهب ريحهم . وقد قيلت هذه العبـارة ، لآدم عليه السـلام وزوجه (**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِـئْتُمَا** (35 البقرة) ، قبل دخوله الجنة ، ولم يكن لديهما علم بـأن الإقامة فيها مؤقتة ، وأن هنـاك ما بعدها ، وسيحاطون به علما عند وقوعه ، وفي موعده المقدر المضمر في علم الله ، ولكن بعد فـوات الأوان . وإن لم تكن مـدين ، هي القرية الـتي دخلها بنـوا إسـرائيل وأقاموا فيها ، فهي قرية تقع في نفس المنطقة ، والله أعلم .

الخسف بقارون ، ورحلة موسى والفتى ، وذبح البقرة :

أقام بنو إسرائيل في مدين بمعية موسى - على ما يبدو - سنين عديدة ، واطمــأنوا بها وإليها ، وطـاب لهم المقـام فيها ، حيث الزراعة وتربية المواشي والتجـارة ، وهـذا هو ديدنهم ، ومن الأحداث التي وقعت فيها ، قصة البقرة ، (**وَإِذْ قَالَ مُوسَـى لِقَوْمِـهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَـرَةً قَـالُوا أَتَتَّخِـذُنَا هُـزُوًا قَـالَ أَعُـوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُـونَ مِنْ الْجَـاهِلِينَ** (67 البقــرة) ، وقصة سـفر موسى حيث مجمع البحــرين ، للالتقاء بالعالم ، (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقبًا** (60 الكهف) وقصة قارون المعروفة ، (**إِنَّ قَارُونَ كَـانَ مِنْ قَـوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** (76 القصص) .

الأمر بدخول الأرض المقدّسة وتحريمها عليهم وتيههم شرقي النهر :

وبعد مدة من مكثهم في مدين ، أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة (فلسطين) ، ولم تكن هناك حاجة للقتال آنذاك ، فرفضوا وعصوا ، لقلة وانعـدام إيمـانهم ، وأخلـدوا إلى الأرض ، وتذرّعوا بحجج واهية ليبرّروا اتكاليتهم وعجزهم ، فدعا موسى ربه ليحكم بينه وبينهم ، فاســتجاب له ربه ، (**قَــالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَــةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَــنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَـأْسَ عَلَى الْقَـوْمِ الْفَاسِـقِينَ** (26 المائـدة) ، فكـان تحريم الدخول لمدة أربعين سنة ومن ثم التيه في الأرض .

والتيه لغة الحيرة والضلال ، ورجل تائه وتيّاه ، إذا كان جسورا يركب رأسه في الأمور ، وفي الحديث : إنك امرؤ تائه ، أي متكبر أو ضال متحيّر . والمراد من ذلك أنهم تُركوا على رؤوسهم ، وحُرموا من قيـادة الأنبيـاء ، بـأن الله تخلى عنهم وحـرمهم من رعايته لهم ، ورفع عنهم الوحي وتركهم بلا هداية ، بعد موت موسى عليه السلام ، على مـدى 40 سـنة ، ولم يُقصد بالتيه الضـياع والتشـرّد المكـاني ، في صـحراء سـيناء ، كما كنا نعتقد سـابقا . والصـحيح أنهم حـافظوا على تواجـدهم ، كأمة مكونة من 12 جماعة شرقي نهر الأردن ، وأوكلت قيادة كل جماعة إلى أحد النقباء الاثني عشر ، كل حسب

السبط الذي ينتمي إليه ، بعد انقطاع قيادة الوحي ، وهـذا مما ينفي نبـوة فـتى موسى المسمى بيوشع بن نون . وهنا تتضح الحكمة من جـراء إلقـاء مسـؤولية حفظ الميثـاق وإقامته ، على النقباء الاثني عشر بعد وفـاة موسى وانقطـاع الـوحي والعناية الإلهية . وهذا ما حاول مؤلّفو التـوراة إخفـاءه بتبـديل مواضع الكلم ، فجعلـوا المن والسـلوى ، تتنزّل عليهم لمدة أربعين سنة في الصحراء ، وهي عـدد سـنين التحـريم والتيه ، الـتي كانوا يأكلون فيها البصل والعدس .

ويـدّعي كتبة التـوراة أن بـني إسـرائيل ، أثنـاء قـدومهم إلى الأرض المقدسة ، بمعية موسى عليه السـلام ، قد قـاتلوا أقواما كثـيرة ، شـرق نهر الأردن وانتصـروا عليها ، ويدّعون أيضا أنهم هـاجموا الكنعـانيين بعد موسى ، وهـدموا أسـوار مدينة أريحا بمعية يوشع بن نون ، وأنهم أقاموا زمن القضاة غرب النهر . وهـذا كله محض افـتراء وتلفيق ، فكيف يقاتل من طلب منه مجـرد الـدخول ولم يـدخل ، ولفظ الـدخول في القـرآن يوحي بانتفاء القتال . والحـوار الـذي دار بين موسى وقومه لـدخولها ، تجد نصه كـاملا في الآيات (20 – 27) المائدة .

زمن الإخبار بنص نبوءة الإفساد والعلو في الأرض :

وبعد مدة يسيره من الـزمن من ذلك الحكم ، كشف موسى عليه السـلام النقـاب عن النبوءة موضـوع هـذا الكتـاب ، وأخـبر عنها قبل أن ينتقل إلى جـوار ربه . وتـركهم في غيهم وطغيـانهم يعمهـون ، كما حكم عليهم ربهم ، وأوكل الأمر من بعـده إلى النقبـاء الإثني عشر أصحاب الميثاق ، ليحفظوا التـوراة ، وليحكمـوا بين النـاس بما جـاء فيها ، ومن ذلك اليـوم انتقلت مسـؤولية حفظ التـوراة والشـريعة إلى أنـاس عـاديين ، فبـدأ ظهـور الأحبـار ، قـال تعـالى (**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُـدًى وَنُـورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ، لِلَّذِينَ هَادُوا ، وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** (44 المائدة) .

طلب المُلك لدخول الأرض المقدّسة بعد نهاية سنوات التيه :

(**إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَـالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِـلَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَقَــدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَــالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** (246)

وبعد انقضاء سنون التيه الأربعون ، التي عاشـوا خلالها شـرقي نهر الأردن . بُعث فيهم نبيا ، يدّعون أن اسمه (صمويل) . وربما لتعرضهم لضيق العيش والاضطهاد والغـزو ، من قبل الممالك المجاورة شرقي النهر ، طلبـوا من هـذا النـبي ، أن يبعث لهم ملكا ، قال تعالى (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْـدِ مُوسَـى ، إِذْ قَـالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِـلْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ** (246 البقــرة) بغية دخــول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، فبُعث لهم طالوت ملكا ، وأنزل الله لهم التابوت تحمله الملائكة ، آية لملكه ، كـونهم لا يؤمنـون إلا بما هو محسـوس ، فأعـدّهم ونظّم صفوفهم ، واجتاز بهم نهر الأردن ، فشربوا منه إلا قليلا .

وكانت المواجهة مع الكنعانين – على الأرجح في سـهول أريحا – (**فَهَزَمُـوهُمْ بِـإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ**) وقتل داود - الذي كان من جنـود طـالوت - جـالوت قائد الكنعانيين ، ودخلوا القدس . ومن ثم انتقل المُلك لداود عليه السلام ، بغض النظر عن الكيفية ، (**وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ، وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ** (251 البقـرة) ، ونص

هذه الأحداث كاملا ، تجده في الآيات (246 – 251) البقرة ، وكانت هـذه أول معركة يقاتل فيها بنو إسـرائيل ، وكـان جيشـهم يتـألف من القلة المؤمنة ، الـتي لم تكن قد شربت من النهر (نهر الأردن) ، وكان هذا هو الدخول الأول لبني إسرائيل إلى الأرض المقدسة .

داود عليه السلام يؤسس أول دولة لليهود في القدس :

قال تعالى (**وَلَقَدْ آتَينَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** (16 الجاثية) ، هذه الآية تشير إلى أن هنـاك خمسة أمور اجتمعت لبني إسرائيل ، وهي الكتاب أي الشريعة الـتي تركها لهم موسى عليه السلام ، والحكم أي الملك ، والنبوة أي الوحي ، والسعة في الـرزق ، والتفضـيل باختيـارهم لحمل الرسـالة السـماوية في ذلك الزمـان ، وقد اجتمعت هـذه الأمـور الخمسة في زمن مملكتهم الأولى في الأرض المقدسة ، حيث كـان داود عليه السـلام أول ملوكها .

ملك داود عليه السلام :

معظم الآيـات الـتي أخـبرت عن داود وملكه ، كـانت تركّز على شـخص داود ، حيث اتّصف عليه السلام بالورع والتقوى وكثرة العبادة ، والعلم والقـوة مع شـيء من اللين في المعاملة ، وتـوحي بـأن شـغله الشـاغل ، كـان توطيد أركـان دولته الحديثة ، (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَـابِ** (20 ص) ، وإعـداد ما اسـتطاع من قوة للدفاع عن دولته الصغيرة ، التي كانت محصورة في بيت المقـدس وما حولها ، من هجمـات الأقـوام المجـاورة لها من الكنعـانيين ، ولم يكن يسـعى لتوسـيع رقعة الدولة ، كون الأمة الإسرائيلية آنذاك كانت قليلة - وهي لم تكثر إلا في العصر الحديث ، وبالتحديد بعد الحــرب العالمية الثانية ، حيث رُفع عنهم القتل - ولم تكن تسـتدعي امتلاك مساحة كبيرة من أرض فلسطين .

صفة الجبن الملازمة لليهود ومعالجتها بابتكار داود للدروع الحربية :

قـال تعـالى (**وَعَلَّمْنَـاهُ صَـنْعَةَ لَبُـوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِـنَكُمْ مِنْ بَأْسِـكُمْ فَهَـلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** (80 الأنبياء) ، والضمير (كم) في كلمتي (لكم) و (بأسكم) ، يعود على المخاطبين بالقرآن ، وهـذا خـبر يفيد أن داود عليه السـلام ، هو أول من ابتكر الـدروع الحربية الحديدية ، وأول من اسـتعملها هم بنو إسـرائيل ، وهـذا يكشف طبيعة الجبن فيهم ، والحرص على الحياة ، والخوف من المـوت ، وكـرههم للقتـال ، (**وَلَتَجِـدَنَّهُمْ أَحْـرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَـاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْـرَكُوا** (96 البقـرة) وصـناعة داود لها يدل على معرفته بطـبيعتهم تلك ، فقد قـالوا لموسى من قبل (**إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَـدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَـاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَـاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِـدُونَ** (24 المائـدة) ، فالجبن والتواكل على الغير ، طبيعة متأصّلة في نفوسهم ، وانظر إلى قولهم (وربك) وليس (وربنا) ، فهو رب موسى ، وليس بربهم ، فما كانوا مؤمنين ، لـذلك قـال فيهم موسى عليه السلام (**فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** (25 المائدة) ، وكان أغلبهم فاسقين وعصـاة ومعتـدين ، حـتى في زمن طـالوت وداود وسـليمان وعلى مر العصور ، حيث قال تعـالى (**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَـانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** (78 المائـدة) ، فكما تأذّى موسى عليه السلام ، (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُـؤْذُونَنِي وَقَـدْ**

تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5 الصف) تأذّى منهم داود عليه السلام وهو أول ملوكهم ، وتأذّى منهم عيسى عليه السلام وهو آخر أنبيائهم ، ومن وقع بينهما من الأنبياء .

ولم يكن شُرب أغلبهم من النهر ، عند عبورهم مع طالوت إلى فلسطين عطشا ، وإنما ليستثنيهم طالوت من الخروج في الجيش للقتال ، وما زالوا يفتعلون الحجج للتهرب من القتال حتى في دولتهم الحالية ، فهم يدفعون بأبنائهم إلى المدارس الدينية ، لتجنيبهم الخدمة العسكرية . فابتكر عليه السلام الدروع الحديدية ليلبسوها في حروبهم ، مع الشعوب المجاورة ، التي على ما يبدو كانت تغزوهم باستمرار ، لعلها تدخل شيئا من الاطمئنان إلى تلك القلوب الوجلة ، وتدفعهم إلى الذود عن حمى مملكتهم . ولو نظرت إلى واقعهم المعاصر ، لوجدتهم يلبسون الدروع الواقية من الرصاص ، حتى في مواجهة الحجارة ، وتجدهم يتحصّنون وراء السيارات المصفحة ، أو يقاتلون من وراء جدر من الإسمنت المسلح ، وهذا ما يفضحهم به القرآن في مواضع كثيرة ، (**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ** (14 الحشر) .

سليمان عليه السلام يوطّد أركان الدولة :

نظام الحكم ملكي وراثي :

(**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ** (30 ص) ، (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ** (16 النمل) ، نتبين من الآيتين السابقتين ، أن نظام الحكم في مملكة بني إسرائيل الأولى ، كان ملكيا وراثيا ، في نسل داود عليه السلام . وفي سنين حكم سليمان عليه السلام ، سعى إلى توسيع رقعة مملكته نسبيا ، لتغطي مساحة أكبر من مدينة القدس ، لتشمل ما حولها من المدن والقرى ، من النهر شرقا إلى البحر غربا ، ولكنها على كل الأحوال ، لم تشمل فلسطين كاملة ، فأهل فلسطين الأصليين لم يخرجوا منها ، ولم يّبادوا ، ولكنهم تقهقروا إلى ما بعد حدود مملكة سليمان ، حيث كانت الممالك في تلك العصور ، تقتصر على مدينة – بحجم قرية في العصر الحالي – وما حولها من سهول ومراعي ، ولا أظنهم استكانوا ، وسلمّوا لبني إسرائيل بالأمر الواقع ، وإنما كان هناك ، حروب ومناوشات ، والله أعلم .

حقيقة ملك سليمان :

أما قول سليمان عليه السلام (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** (35 ص) فكان ملكا شخصيا خاصا به ، ولم يكن لبني إسرائيل فيه ، ناقة ولا بعير ، ولم يقصد به امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي ، ومظاهر ملكه اقتصرت على ما وهبه سبحانه إياه ، من الممتلكات والقوة والحكم ، والتي تميّز بها عن كافة ملوك الأرض ممن أتوا بعده ، ومنها ؛ جريان الريح بأمره ، وحكمه للجنّ ، واستعمالهم في البناء والغوص والقتال والصناعة ، والقدرة على إذابة النحاس وتشكيله ، وكثرة جنوده من الجن والإنس والطير ، وكان عليه السلام قويا ورعا تقيا عالما حكيما ، وفيه شيء من الشِدّة ، وكان بنوا إسرائيل يرهبونه ويخافونه ، ولذلك نال قسطا كبيرا من اتهاماتهم المشينة ، بعكس أبيه داود الذي كان لينا معهم ، فقال فيهم سبحانه (**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ...** (

102البقرة) ، وعلى ما يبدو أن الشياطين بعد وفاته عليه السلام ، ادّعت أن سليمان لم يسلطّ عليهم ، وإنما كان تابعا لهم ، يعبدهم ويستعين بهم لقضاء مصالحه . فأشركوا بالله وعبدوا الشياطين وأباحوا السحر والشعوذة ، (**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** (100 الأنعام) .

أكثر ما حيّرني في أمر ملك سليمان ، هو الغاية من تسخير الريح ، فالروايات في كتب التفسير غير منطقية ، حيث تقول أنها كانت تحمل سليمان وملأه وجنوده ، على بساط خشبي عظيم ، وتنقلهم من بلد إلى آخر للقتال والترفيه وغيره ، ولم يرد في تواريخ الأمم التي عاصرت ملك سليمان ، أنهم شاهدوا يوما بساطا خشبيا طائرا ، وسورة النمل تؤكد أن سليمان وجنوده ، كانوا يسيرون على الأقدام أثناء تنقلهم .

وبعد طول تفكير وتمعنّ وتدبّر في الآيات ، التي تتحدث عن الريح وعن ملكه عليه السلام ، تبين لي أنه كان يركب البحر ، منطلقا من الأرض المقدسة ، فتجري الريح بمركبه إلى حيث أراد برفق ولين في الذهاب ، لتسهل عليه عملية البحث والتقصي ، بدلالة قوله تعالى (**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** (36) **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ** (37 ص) ، وبعد انتهاء المهمة ، يستعجل العودة إلى وطنه ، فيأمر الريح لتجري بقوة وسرعة إلى الأرض المباركة ، بدلالة قوله تعالى (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** (81) **وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ** (82 الأنبياء) ، وأما الغاية من القيام بالرحلات البحرية ، فهي السياحة واستخراج كنوز البحر وجلبها لمملكته ، ويؤيد ما ذهبت إليه ، ذكر الغوص ، الذي كانت تقوم به الشياطين ، مباشرة بعد ذكر الريح في الآيات السابقة ، والغوص عادة لا يكون إلا في المياه العميقة ، وكانت مدة كل رحلة من رحلاته شهرين ، شهر في الذهاب وشهر في العودة ، بدلالة قوله تعالى (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ** (12سبأ) ، والله أعلم .

سليمان هو أول من بنى المسجد الأقصى :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**) رواه النسائي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم ، وصححه الألباني .

هذا الحديث يؤكد :

1. أن مملكة داود وسليمان ، أي مملكة بني إسرائيل الأولى ، كانت في فلسطين .
2. أن سليمان عليه السلام ، بنى مدينة بيت المقدس .
3. أن سليمان عليه السلام ، هو أول من بنى المسجد الأقصى .

وأما التسمية بالمسجد فهي التسمية الإسلامية له ، وجاءت بعد حادثة الإسراء ، وأما في عهد سليمان عليه السلام ، فقد جاءت تسميته في القرآن بالصرح ، (**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ**) ، وأما الترجمة العربية للتوراة فأعطته اسم الهيكل ، والمعنى لكلتا

التسميتين واحد ، وهو البناء الضخم المرتفع . وعلى كل الأحوال فإن المسجد الأقصى القائم حاليا ، يجثم في نفس المكان الذي أقيم فيه صرح سليمان ، والغريب أن الكثير من أئمة المسلمين وعامتهم ، ينكرون هذه الحقيقة ، ربما ظنا منهم أن اعترافهم بها ، يعطي الصهاينة حقا في هدم المسجد ، وبناء هيكلهم مكانه ، ويُسقط أحقيّة المسلمين فيه ، ويُضعف موقفهم في الدفاع عنه ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى مخالفة النص القرآني ، وإنكار حتى تواجدهم في الأرض المقدسة جملة وتفصيلا .

قبلة اليهود هي الصخرة المشرّفة :

جاء في البداية والنهاية لابن كثير ، ما نصّه " قال الإمام احمد ، حدثنا اسود بن عامر ، ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم ، وأبي مريم وأبي شعيب : أن عمر بن الخطاب ، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال : قال ابن سلمة ، فحدثني أبو سنان ، عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : " أين ترى أن أصلي " ، قال : " إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك " ، فقال عمر : " ضاهيت اليهودية . لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط ردائه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس . وهذا إسناد جيد ، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي ، في كتابه المستخرج " .

وجاء في تاريخ الطبري في رواية أخرى ، أن عمر أجاب كعب بقوله : " فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنّا أُمرنا بالكعبة " .

ونقول أن مفاد الرواية أن كعب ، لما أشار على عمر بالصلاة خلف الصخرة ، أراد منه أن يجمع القبلتين في صلاته ، فأبى عمر وصلى ، جاعلا وجه تلقاء الكعبة ، والصخرة من وراء ظهره .

الصلاة في الشريعة الموسوية :

لنوضح الأمر ، نحتاج إلى معرفة طبيعة العبادة في شريعة موسى عليه السلام ، فالصلاة لديهم كانت تؤدّى بشكل فردي في البيت أو فيما يُسمّى بالمحراب ، في المعبد المقدس (أي الهيكل) ، (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ ، أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ، وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** (87 يونس) ، والمحراب عبارة عن غرفة صغيرة منعزلة ، مخصّصة للصلاة والدعاء والذكر ، والأغلب أنها كانت تقام مرتفعة عن الأرض ، وهي أشبه ما يكون بالعليّة أو السدّة ، وقد ارتبط ذكر المحراب في القرآن ، بأنبياء بني إسرائيل الأوائل في فلسطين داود وسليمان ، (**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ** (21 ص) ، وبآخر أنبيائهم زكريا ويحيى (**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** (39 آل عمران) .

الصرح أو الهيكل ، كيفية بناءه وصفته وموقعه :

أما الصرح فعلى ما يبدو أنه كان أعجوبة من أعاجيب الزمان ، وأن من قام ببنائه وصناعة محتوياته هم الجن والشياطين ، وأن مادة البناء كانت من النحاس والزجاج ومواد أخرى ما عدا الحجارة ، وأنه اشتمل على المحاريب والتماثيل والأواني النحاسية الصغيرة ، والأحواض أو البرك المائية الضخمة المصنوعة من النحاس ، والجواهر والكنوز من لؤلؤ ومرجان وغيرها ، مما كانت تستخرجه الشياطين من أعماق البحار .

قال تعالى (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** (35)_ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** (36) **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ** (37 ص) وقال أيضا (**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ، وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ** (12)_ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ ، وَتَمَاثِيلَ ، وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ، اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** (13 سبأ) .

وأستطيع وصف هذا الصرح بأنه بناء ضخم ومرتفع ، كانت الصخرة تقع في مركزه ، تحيط بها ساحة واسعة ، أرضيتها من الزجاج المصقول ، يُرى من خلالها ماء يجري أسفل منها ، أو ماء راكد في أحواض مائية ، وضع فيها ما استجلبه سليمان من المناظر والمشاهد البحرية ، مما استخرجته له الشياطين من أعماق البحر ، وعلى أطراف تلك الساحة أقيمت المحاريب العديدة للعبادة من كل جانب . والله أعلم .

وقد سمعت من زميل لي زار المسجد وتجوّل فيه ، أن هناك آبارا وأحواضا مائية ، تحت ساحة المسجد الأقصى مباشرة ، فإذا كان ذلك صحيحا ، ومع علمنا بأن المسجد الأقصى بُني في نفس موقع المسجد السابق ، وأن الصخرة هي القبلة الفعلية لليهود ، فهذا الأمر يُؤكد ، أن الصرح الذي كان قد بُني في عهد سليمان عليه السلام ، هو المسجد الذي دخله أولئك المبعوثين أول مرة ، وخرّبوه ونهبوا محتوياته ، فلم يبق له أثر يُذكر ، وعدم وجود آثار له ، يُؤكد أن هذا الصرح ، لم يتم بناءه بالطرق المألوفة ، سواء بهندسة البناء أو بالمواد المستخدمة ، فبُناته هم الجن والشياطين ، وبالتأكيد طريقتهم في البناء تختلف عن طريقة البشر ، وطبيعة المواد المستخدمة تختلف عما يستخدمه البشر، وربما يكون هذا الصرح الخرافي ، هو ما دفع نبوخذ نصر صاحب حدائق بابل المعلّقة ، للإغارة على بني إسرائيل في المرة الأولى ، لنهب محتوياته .

حكمة سليمان عليه السلام وخرافات ألف ليلة وليلة :

الروايات الموجودة في كتب التفسير ، عن قصة سليمان وحبه لملكة سبأ ، ورغبته في الزواج منها ، وإدخالها إلى الصرح لرؤية ساقيها ، فيما إذا كان عليهما شعر ، أو أن قدميها كحوافر الحمار ، لأن أبوها أو أمها من الجن ... إلى آخره . مما ليس له أصل حتى في التوراة ، جردّت سليمان عليه السلام من حكمته ، في الدعوة إلى الله ، وجعلت منه رجلا مزواجا شهوانيا ، كما أراد له أعداء الله وأعداء أنبياؤه أن يكون .

حكمة الهدهد :

ولكي نفهم ما جرى من حوار وأحداث ، بين سليمان وملكة سبأ ، دعنا نتمعن قليلا في قول الهدهد (**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** (24 النمل) ، يقول الهدهد أنه وجدها هي وقومها ، يعبدون الشمس من دون الله ، ويعلّل ذلك بقوله أن الشيطان زيّن لهم أعمالهم ، بمعنى أن الشيطان فتنهم وأوهمهم ، وزيّن لهم الباطل على أنه الحق ، وعمّى سمعهم وأبصارهم ، فعطّل عقولهم عن تمييز الحقيقة من الوهم ، فحرمهم القدرة على الحكم على معتقداهم ، أهي خطا أم صواب ، فعبدوا الشمس على أنها ربهم ، وبذلك صدّهم عن السبيل ، أي منعهم من الوصول إلى الحقيقة ، وهي أن الله هو ربهم ، فما دامت أبصارهم قد عميت ، ويعتقدون بصوابية عبادة الشمس ، فمن أين لهم الهداية ، وهم على حالهم تلك . والرسالة التي

وجّهها الهدهد لسليمان ، من خلال هذا القول ، هي أنهم بحاجة لمن يهديهم ، ويُزيل الغشاوة عن أبصارهم . فتكفّل سليمان عليه السلام بهدايتهم ، وبإزالة هذه الغشاوة ، لعلهم يُبصرون ومن ثم يهتدون ، بما أوتي من علم وحكمة ، بعد أن شرَّحَ الهدهد ، وشخَّصَ حالتهم المرضية ، وأعطى سليمان مفاتيح الحل ، والآن دعنا نتعلم منه عليه السلام ، هذا الدرس العملي في الدعوة إلى الله .

الدعوة إلى الله :

كان أول خطاب وجهه سليمان لملكة سبأ وقومها ، هو قوله (**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** (31)) ، خطابا حازما واثقا قويا ومزلزلا ، وكانت هذه هي الضربة الأولى ، في جدار معتقداتهم الوثنية المتأصلة في نفوسهم ، فقد كانت هي وقومها يعبدون الشمس ، ولم يكن لديهم علم بوجود إله آخر ، أولى بالعبادة من غيره ، ولكن هل أطاعت ؟ بالطبع لا ، فتغيير معتقدات البشر عملية صعبة جدا ، وتحتاج إلى أكثر من ذلك ، وتحتاج إلى علم وحكمة وصبر – وانظر في سيرة نبي الهدى عليه الصلاة والسلام مع كفار قريش لتحويلهم من عبادة إلى الأصنام إلى عبادة الله - ولكن هل تأثرت بذلك العرض القوي ؟ بالطبع نعم ، فردت بالهدية – وكان بإمكانها عدم الرد – وذلك لتتأكد من جديّة سليمان عليه السلام ، ولتَعرف مع من تتعامل ، فهي ذكية وحكيمة أيضا ، وتعي موقعها وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها ، بعكس ملأها ذوي القوة والبأس الشديد ، ودلالة ذلك (**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (34) **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** (35) فأعاد الهدية ، ووجه لها تهديدا صارما وحازما وأخيرا ، (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** (37)) ، فاستوعبت الرسالة ، وهي أن ما لدى سليمان ، خير مما لديها ، وأن هذا التهديد ، لا يصدر إلا عمّن يعلم حجم قوتها ، ولديه من القوة أضعاف ما تملك ، وأن ما يريده لأجلها شيئا آخر .

الإتيان بالعرش وتنكيره :

لذلك حملت قومها وأتته على جناح من السرعة ، وفي طريقها إليه ، كان عليه السلام يُعدّ لها الضربة الثانية ، فطلب عرشها وأمر بتنكيره ، وعلّة ذلك كانت (**نَنظُرْ أَتَهْتَدِي <u>أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ</u>** (41)) ، لاختبار مدى استعدادها للهداية للدين الجديد ، وليس المقصود هو اهتدائها إلى العرش . كان همّه عليه السلام هدايتها وقومها ، وليس الزواج منها ، كما صوّرته بعض الروايات في كتب التفسير .

وكان جلب العرش بحدّ ذاته ، كفيلا بتحطيم ذلك الجدار الذي تمترست خلفه . وقد تحطّم بداخلها فعلا عندما رأته وعرفته ، لكنها أضمرت ذلك وتمالكت نفسها . ولما سُئلت عنه ، لم تُثبت ولم تَنفِ ، وكان بمقدورها أن تعترف بأنّه عرشها ، وأن تُسلم على الفور ولكنها أجّلت ذلك . والسبب هو ذلك الجدار نفسه (**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) ، أي الغشاوة التي أعمت بصرها وبصيرتها ، وخوفها من قومها أيضا ، فقالت (**كَأَنَّهُ هُوَ**) ، وحتى لو أُجريَ على متاعك ، الكثير من التعديلات ، فستبقى أشياء كثيرة تدلك عليه ، فكانت إجابتها حكيمة وغاية في التعقل ، <u>فلم تثبت</u> وتسلم أسلحتها الواهية من الوهلة الأولى ، محافظة منها على كبريائها كملكة ، <u>ولم تنف</u> ، لأنها تعلم وقومها ويعلم سليمان وقومه علم اليقين ، أنه هو بعينه ، فتدل على كبرياء أجوف وعن بلاهة وغباء ، فإجابتها الموسومة بالشكّ كانت هي الأسلم .

كانت تعلم بحكمتها أن هناك شيئا آخر ينتظرها ، سيأتي أوانه بعد حين ، فكشفت بهذه الإجابة لسليمان عن استعدادها للهداية ، فيما لو عرض عليها برهانا دامغا وقاطعا . ولكن ما الذي فعله سليمان حقيقة في هذا الموقف ؟ كان إحضار عرشها ، لإظهار مدى عظم ملكه الموهوب له من قبل ربه ، وكان تنكير العرش لإيقاظ حاسة البصر فيها ودقة الملاحظة ، وتحفيزا لعقلها وقلبها ، ولما اهتدت إلى إنه عرشها ، أخذتها العزة بالإثم شيئا قليلا ، فكابرت حتى حين .

دخول الصرح :

فكانت الضربة الثالثة والأخيرة ، أي القاضية التي سوّت ذلك الجدار بالأرض ، ولم تترك له أثرا ، (**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ**) ، فما الذي كان في الصرح ؟ كانت أرضية الصرح من زجاج مصقول ، ومن تحت الزجاج ماء ، وعندما شاهدت الماء ، رفعت ثوبها خوفا من البلل ، وهمّت بالمشي فيه ، (**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**) فتبسم سليمان وكأنه خاطبها ضاحكا : لقد كنت واهمة ، فلن يصل الماء إلى ثوبك فأنزليه وتقدمي ، فهذا (**صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**) فأنزلته ودخلت ، ولما لامست قدميها الزجاج تبين لها بطلان ما اعتقدت . وهنا مربط الفرس ، فما كان منها إلا أن خجلت ، من وهمها وانعدام بصيرتها ، وذهاب عقلها وحكمتها وضلالها في تلك اللحظة ، إذ لم تستطع تمييز الزجاج من الماء ، فاستوعبت على الفور ، مضمون الرسالة التي وجهها لها سليمان .

العبرة :

فقد يظنّ الإنسان بجهله أنه على حقّ ، بينما يكون في الحقيقة على باطل ، وهذا هو حالها وقومها بعبادة الشمس من دون الله ، وأنه دعاها إلى الحق عن علم ، فتمسّكت بالباطل عن جهل ، فتبينت بالتجربة والبرهان بطلان معتقدها ، وأن الحقّ مع سليمان ، فاستجابت على الفور لدعوة سليمان الأولى ، قائلة (**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**) باتباع الباطل عن غير علم ، (**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (44 النمل) ، فما كان من قومها إلا أن تبعوها ، وعادت إلى مملكتها لهداية قومها ، وأرجّح أن سليمان لم يتزوجها ، والله أعلم ، ودانت بعد ذلك مملكتها لسليمان دينيا ، وليس عسكريا ، وبقيت العلاقات والمصالح التجارية وغيرها قائمة بين الدولتين ، مرورا بجزيرة العرب ، لفترة طويلة ، حسبما تثبته سورة سبأ (15 ـ 20) ، وفيما بعد كفر قوم سبأ إلا قليل منهم ، ومع تقادم الزمن انقطعت تلك العلاقة .

بنو إسرائيل في عصر سليمان :

أما بني إسرائيل في عصر سليمان ، فلم يختلفوا كثيرا عما كانوا عليه ، في عصر موسى وداود ، حيث كانوا على الدوام فاسدين كأفراد ، إلا من رحم الله ، وما اختلف عليهم في عصر سليمان ، أن سليمان ساسهم بالقوة والسلطان ، وكان يأخذهم إلى القتال ، وهم بطبيعتهم له كارهون ، قال تعالى (**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** (17 النمل) ، وحشر أي جُمع ، ويوزعون أي يساقون بانضباط ، ولاَ يتقدم آخرهم على أولهم .

هل تحقّق العلو الأول لبني إسرائيل في فلسطين ؟

وأما سبق دخولهم للأرض المقدسة ، فقد قال فيه سبحانه ، على لسان موسى عليه السلام ، (**يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** (21 المائدة) أي كُتب لبني إسرائيل دخولها ، وقال سبحانه (**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** (137 الأعراف) أي ملكوها وسكنوها ، وذلك بعد انقضاء سنوات التحريم والتيه الأربعين . والأرض المبارك فيها هي فلسطين ، ومشارقها ومغاربها أي كلها ، من النهر إلى البحر ، وهذه هي حدود الأرض المقدّسة والمباركة ، وحدود مملكة اليهود القديمة . لنخلص إلى أن الأرض المقدّسة والمباركة هي فلسطين فقط ، وليس بلاد الشام عامة . إذ أن موسى عليه السلام ، كان يتواجد وقومه شرقي نهر الأردن ، ولو كان شرق النهر أرضا مقدّسة ، لما قال ادخلوا الأرض المقدسة وهو بداخلها أصلا . وشرق النهر لم يورّث لبني إسرائيل ، وإنما أقاموا فيه فترة الغضب الإلهي عليهم ، ومن ثم تركوها وارتحلوا إلى فلسطين .

وصلنا إلى مرحلة تحقق العلو ، بوحي من الله وقيادة أنبياؤه وملوكه ، وكان هذا هو العلو الأول لبني إسرائيل ، وأما الإفساد فلم يكن قد وقع منهم بعد ، كون الملك اقترن بالنبوة ، وما كان للأنبياء عليهم السلام أن يفسدوا في الأرض ، ونجد أن النبي التالي لسليمان في الذكر ، من أنبياء بني إسرائيل في القرآن ، هو زكريا ومن بعده يحيى ، وكان آخرهم عيسى عليهم السلام جميعا . وقد بعث الثلاثة بالتتابع وعاصر بعضهم بعضا ، وكان ذلك بعد فترة طويلة من وفاة سليمان ، وبعد عيسى لم يُبعث فيهم أنبياء ، ويقدّر المؤرخون بأن المدة ما بين سليمان وعيسى ، بأكثر من 900 سنة .

وما كان بعث عيسى عليه السلام بالإنجيل ، إلا لتجديد الشريعة التي جاء بها موسى ، بعد أن أضاع بنو إسرائيل التوراة واختلفوا في أمرها . قال تعالى (**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** (63 الزخرف) . ويُثبت التاريخ أن بعث عيسى عليه السلام ، كان في زمن الحكم الروماني للمنطقة ، مما يعني أن هذا العلو الذي تحصّل عليه بنو إسرائيل قد زال واندثر . مما يترتب عليه أن الإفساد قد وقع ، وأن البعث قد تحقق ، في الفترة الممتدة ما بين سليمان وعيسى عليهما السلام ، في زمن أقرب إلى حكم سليمان منه إلى بعث عيسى .

المملكة اليهودية بعد سليمان :

وليس من المعقول أن نجزم بأن مملكة سليمان انهارت بموته . وبما أن نظام الحكم ، كان ملكيا وراثيا كما أقرّه القرآن ، فلا بد أن يكون الملك ، قد انتقل إلى أحد أبناء سليمان ، الذين لم يكونوا أنبياء في واقع الحال ، فالنبوة آنذاك خرجت من الملك ، وأصبحت في عامة الشعب ، وهنا تحرّر العصاة والمعتدين من اليهود ، من عبدة المال والسلطة تجارا ومرابين ، من حكم وملك الأنبياء ، حيث كان الوحي يقف سدّا منيعا ، أمام طموحاتهم وأحلامهم ، في نهب ثروات البلاد والعباد ، فهم أبناء الذين قال فيهم تعالى (**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** (79 القصص) .

وعلى مر السنين تغيّرت الأحوال ، وتغلغل المرابين والتجار في أوساط الحكم ، وتبادلوا المصالح والمنافع ، وأصبحوا من علية القوم ، ليفرضوا على الملوك ، ما

شاءوا من سياسات تخدم مصالحهم . ولو راجعت التوراة المؤرخ الوحيد لتلك الفترة ، لوجدت أن عدد الملوك الذين تعاقبوا على الحكم ، على مدى 300 سنة تقريبا ، هو 22 ملكا ، وهو عدد كبير نسبيا ، بمعدل 14 سنة حكم لكل ملك . وذلك لكثرة الاغتيالات ، التي كان يدبّرها ويوقعها فيهم علية القوم ، ومن والاهم من الكهنة والأحبار ، سواء من صلح أو فسد ، من هؤلاء الملوك . والملاحظ أيضا أن معظم ملوكهم ، كانوا صغارا في السن ، وربما كان ذلك هو الغاية من قتل آبائهم ، فوجود ملك صغير السن ، يسهل عليهم السيطرة على شؤون الحكم ، ليكونوا هم خبرائه ومستشاريه ، وهذه هي سياستهم في العصر الحالي ، في شتى بقاع الأرض . وعلى الجانب الآخر كان هناك الأنبياء ، الذين لم ينقطع بعثهم في بني إسرائيل ، ليعيدوا أولئك العصاة إلى حظيرة الإيمان ، بدعوتهم إلى العودة إلى شرع الله ، وتذكيرهم وتحذيرهم بما قضاه الله عليهم إن أفسدوا في الأرض .

تخبرنا كثير من الآيات القرآنية عن إفساد بني إسرائيل ، حيث الشرك بالله ، وتكذيب فريق من الأنبياء ، وقتل فريق آخر ، وقتل أولياء الله من الناس ، وسفك دماء فريقا من قومهم وإخراجهم من ديارهم ، وتحريف الكهنة والأحبار ، لكتاب الله ليوافق أهواء علية القوم ، والاعتداء على حدود الله ، وعصيان أوامره ، وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل ... إلى آخره . ومجمل هذه الآيات تخاطب بني إسرائيل كأمة . فأين ومتى وقع منهم هذا الإفساد الأممي ... ؟!

وهل تحقّق الإفساد الأول ؟

قال تعالى (**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** (87 البقرة) ، والخطاب هنا موجه لمن يملك سلطة القتل ، وهم سادة الحكم وعلية القوم ، فتارة كانوا يكذّبون الأنبياء وأولياء الله ، الذين بُعثوا من قبله سبحانه للإصلاح ، وتارة يقتلونهم ، بدفع من الكهنة والأحبار والتجار ، ، لتعارض ذلك مع رغباتهم وأهوائهم ، (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (21 آل عمران) ، فلا أشدّ وأعظم إفسادا في الأرض عند الله ، من قتل الناس وسفك دمائهم بغير حق ، فما بالك إذا كان القتل في أنبياء الله وأولياءه الصالحين ، فهذا قمّة في الإجرام والإسراف والعصيان والتمرد والعدوان ، ولا أظنّ أن هناك إفساد في الأرض ، يُقارن بهذا الإفساد ، فلم يسبق لقوم من الأقوام السابقين واللاحقين ، أن قتلوا أنبياءهم سوى بني إسرائيل ، وما إفسادهم الحالي في دولتهم الحالية ، إلا صورة طبق الأصل عن الإفساد الأول في دولتهم الأولى ، ولو بُعث فيهم أنبياء في هذا العصر لقتلوهم بلا شك ، فقد قتلوا رئيس وزرائهم (رابين) ، بدفع وتحريض من الحاخامات ، كونه لبس ثوب الصلاح فقط ، بإظهاره شيئا من اللين مع الفلسطينين ، لا لأنه مُصلح .

قال تعالى (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** (84)_ **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** (85 البقرة) . توحي هاتين الآيتين ، أن سادة الحكم كانوا يستضعفون طائفة من قومهم ، ظلما وعلوا بغير وجه حق – وهذا نفس فعل فرعون - فأوقعوا فيهم القتل ، والنهب والسلب ، وأخرجوهم من ديارهم واستولوا عليها . فاضطروا إلى اللجوء إلى أرض أعدائهم ، وعلى ما يبدو أنهم

كانوا يُجبرون على خوض المعارك ، إلى جانب أعداء مملكة بني إسرائيل ، وعند وقوع المعركة ، كان هؤلاء المستضعفين يُحجمون عن قتال بني جلدتهم ، ويقومون بتسليم أنفسهم ، ظنّا منهم بأن أبناء جلدتهم ، سيتركونهم ليعودوا إلى أهليهم بعد انتهاء المعركة ، فما كان من أولئك الظلمة ، إلا أن عاملوهم كأسرى العدو ، فحبسوهم وطالبوا ذويهم بالفدية .

وأما مظاهر الإفساد الأخرى فمنها :

1. الشرك بالله :

(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** (51 النساء)

(**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** (60 المائدة)

(**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (31 التوبة)

2. نقض الميثاق وكتمان كلام الله وإخفائه وتحريفه :

(**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (13 المائدة)

(**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** (187 آل عمران)

3. عبادة الجن والشياطين وتعلم السحر وممارسته :

(**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** (100 الأنعام)

(**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** (102 البقرة)

4. الربا والسرقة والاحتيال :

(**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (161 النساء)

(**وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (62 المائدة)

5. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** (79 المائدة)

6. نقض العهود والمواثيق :

(**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (100)

وهكذا نستطيع القول ، بأن العلو الأول والإفساد الأول لبني إسرائيل ، قد تحقّقا في الأرض المقدّسة . وكانت بداية علوهم بملك داود ، ووصل إلى أقصى مداه ، في عصر سليمان عليه السلام . وأما الإفساد فكانت بدايته بعد وفاة سليمان عليه السلام ... والسؤال الآن هل تبخّر هذا الملك وهذه المملكة في الهواء ... ؟! وهل مرّ ذلك الإفساد دون عقاب ... ؟!

وهل تحقق البعث الأول ؟

قال تعالى (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ** ((**أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ**)) ، **فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** (32)_ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ، ((**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**)) ، **أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (33 المائدة)

وقال أيضا في نفس السورة (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ...** ((**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**)) ، **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (64 المائدة)

وانظر ما كتبه الله عليهم ، في الآية الأولى ، وما عقب به في الآية الثانية ، حيث أعطى أربع خيارات ، لمجازاة من يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا . والذين لهم دأب على محاربة الله ورسوله بأقوالهم وأفعالهم ، والذين يسعون في الأرض فسادا ، هم اليهود لا غيرهم ، وهذا ما تُقرّره الآية الثالثة . وهذا هو الحكم المُسبق الذي أصدره أحكم الحاكمين ، وأوكل أصحاب البعث الأول ، لتنفيذ خياراته الأربعة مجتمعة فيهم ، بإذن الله .

وقال تعالى (**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا** (26 الأحزاب) ، وهذا ما حُكم به على يهود بني قريظة بعد هزيمة الأحزاب ، بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال .

وبما أن الإفساد المقترن بالعلو قد تحصّل ، ومن ثم زال ، فلا بد أن يكون أولئك العباد قد بُعثوا عليهم ، فجاسوا خلال ديارهم وخربوها ، وأوقعوا في حكامهم ورؤسائهم وكهنتهم وأحبارهم القتل والتنكيل ، وهدموا المسجد (الهيكل) ونهبوا محتوياته من كنوز وأموال ، وسبوا نسائهم وأطفالهم ، وأصبحت بيت المقدس أطلالا تعوي فيها الثعالب ، فحل بهم الخزي والذلّ والعار ، بعد أن رفعه الله عنهم بمنّه وكرمه ، فخانوا ميثاق ربهم ونقضوا عهده ، استكبارا وعلوا في الأرض بغير الحق . حيث كان ذلك حكم الله الذي أنجزه في أسلافهم ، على أيدي أولئك العباد ، فيما يُسمى بالسبي البابلي الموصوف بالتوراة بإسهاب ، والذي يؤكد نفاذ هذا الحكم فيهم ، كما جاء في الآية الكريمة أعلاه . لذلك عقّب سبحانه بعد ذكر الوعد الأول ، بقوله **(وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً** (5 الإسراء) **.**

بعض الأحكام التي صدرت في حقهم فيما سبق نزول القرآن :

قال تعالى (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** (167)_ **وَقَطَّعْنَاهُمْ**

فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** (169 الأعراف) .

وقال أيضا (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (64 المائدة) .

وهذه الأحكام هي :

1. استضعافهم واضطهادهم وتعذيبهم من قبل الآخرين ، أينما حلوا وأينما ارتحلوا إلى يوم القيامة . وهذا حكم عامّ ، وأما عقابهم عند مجيء الوعدين ، فهو حكم خاص مستثنى من هذا الحكم .
2. نفيهم من فلسطين وشتاتهم في كافة أرجاء الأرض . مما يؤكد زوال مملكتهم الأولى ، ويهيئ لقيام الدولة الثانية مستقبلا .
3. إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم إلى يوم القيامة . وإطفاء الحروب التي يُشعلوها ، وإفشال مخططاتهم الساعية إلى الإفساد .

وهل دخلوا الأرض المقدّسة ؟

لو عدنا إلى زمن موسى عليه السلام ، بعد أن وصل وقومه إلى مشارف الأرض المقدسة ، حيث قال لقومه (**يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** (21 المائدة) ، والأرض المقدسة هي فلسطين ، ولم تقدّس في القرآن أرض غيرها . وقد وردت هذه العبارة في القرآن مرة واحدة فقط ، وكان بنو إسرائيل آنذاك أمة واحدة ، فامتنعوا عن الدخول إليها ، فحُرموا من دخولها أربعين سنة ، ولم يكن التيه بضياعهم وتشرذمهم في الأرض ، كما قد يتوهم البعض ، وإنما بحرمانهم من الهداية والقيادة برفع النبوة والوحي ، وهذا يؤكد أن موسى عليه السلام ، انتقل إلى جوار ربه قبل أو بداية سنوات التحريم ، ولذلك تجلّت الحكمة الإلهية ، باختيار النقباء الإثني عشر وأخذ الميثاق منهم مسبقا ، لعلمه المسبق بما سيكون منهم . وتُرك أمر بني إسرائيل لأولئك النقباء ، كلٌ حسب السبط الذي ينتمي إليه ، لقيادتهم والفصل بينهم في الأحوال المدنية والشرعية .

وفي نهاية الأربعين سنة ، وصل الله ما كان قد قطعه ، فبعث فيهم نبيا ، (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** (246 البقرة) ، وكلمة (الملأ) تعني علية القوم ، وطلب القتال كان لدخول الأرض المقدسة ، التي كان قد كُتب لهم دخولها ، على لسان موسى في الآية السابقة ، وعندما أذن الله لهم بدخولها ، بعد قتال جالوت وجنوده والانتصار عليهم ، بقتل داود عليه السلام لجالوت ، دخلوها مجتمعين كأمة أيضا ، فأقام لهم داود وسليمان عليهما ، دولتهم الأولى وعلوهم الأول .

حصر الفترة الزمنية للإفساد المُذكور في القرآن :

والآن لننتقل إلى الكريمة التي تقول (**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، ((وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ)) ، وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ . أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ، بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ ، اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** (87 البقرة) ، قلنا أن قمة الإفساد هي قتل الأنفس بغير حق ، وأعظمها قتل الرسل والأنبياء ، ولاحظ قوله سبحانه (تقتلون) حيث تفيد صيغة المضارع ، الاستمرارية والكثرة في القتل ، وقد ذُكر قتلهم للرسل والأنبياء (7) مرات ، في مواضع متفرقة من القرآن ، وقد حُصر وقوع هذا القتل منهم في هذه الآية ، بين موسى وعيسى عليهما السلام ، وإذا علمنا أن بني إسرائيل ، كانوا بحاجة إلى الأنبياء (حبل الله) لدخول الأرض المقدسة ، لإقامة دولتهم فيها ، ولم يكن فيهم أنبياء في سنوات التحريم ، غير ذلك النبي الذي بُعث عند انقضائها ، والذي توجهوا إليه لطلب المساعدة والنصرة من الله ، لتبين لنا أن قتل الأنبياء ، قد تحصّل منهم ، قبل بعث عيسى عليه السلام ، وهو آخر أنبيائهم ، وبعد وفاة سليمان عليه السلام ، آخر الأنبياء الملوك ، حيث لم تعد بهم حاجة للأنبياء ، ليذكّروهم بشرع الله والالتزام به ، بعد أن أمسى لهم الملك والعلو في الأرض ، فأهواء ورغبات وأطماع ، الذين (أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) ، والذين (قست قلوبهم فهي كالحجارة أو شد قسوة) ، لا تتفق وشرع الله .

نهاية المملكة وخروجهم من فلسطين :

ولو نظرنا في قوله تعالى (**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا**) ، أي فرقّناهم ، نجد أنه سبحانه أثبت خروجهم ونفيهم من الأرض المقدسة ، وشتاتهم في الأرض على عمومها ، على الأقل قبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن ، فهل يُعقل أن أمة بأسرها ، تقوم بالتخلي عن مُلكها وترك أرضها من تلقاء نفسها ورغبة عنها ؟!!! أم أن هناك أمر عظيم نزل بها ، فتركت أرضها قسرا وقهرا ، بعد أن أزيل ملكها وأفل نجمها ؟!!! وقد ورد ذكر هذا الحدث في القرآن بصيغة الماضي ، بقوله تعالى (**فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ - وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا** (5 الإسراء) . وبما أن تلك العبارة أثبتت شتاتهم بعد أن كانوا أمة واحدة ، والعبارة (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** (104الإسراء) ، تشترط مجيئهم من الشتات والتجمّع في فلسطين ، ولم يرد نص في القرآن ، يُثبت مجيئهم وتجمّعهم من الشتات قبل الإسلام ، لإقامة علوهم الثاني . نستطيع الجزم بأن وعد الأولى ، بقيام المملكة الأولى وزوالها ، قد تحقق ، وأن المرة الثانية قد تحقّقت بمجيئهم وتجمّعهم من الشتات ، لإقامة دولتهم الحالية .

إثبات تواجد اليهود في بابل :

قال تعالى (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ،** [1]- **نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (101) [2]**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ - (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) -** [3]**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ (بِبَابِلَ) هَارُوتَ وَمَارُوتَ - (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ، حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ، فَلَا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) -** [4]**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا**

يَضُرُّهُمْ ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102 البقرة)

موضوع الحديث ما قبل هاتين الآيتين ، وما بعدهما ، هم اليهود إجمالا . بينما تتعرض الآيتان أعلاه ، لموقف فئة من اليهود المعاصرين لرسالة الإسلام ، من بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، حيث قام هؤلاء وما زالوا يقومون بثلاثة أفعال :

1. عند مجيء رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بصفة مطابقة لما كان بين يديهم من التوراة ، ومجيئه بما يتفق مع ما جاء به أنبياؤهم ، أزاحوا التوراة من عقولهم وقلوبهم وأنكروا ما فيها ، وكتموا ما أخبرت عنه وجاءت به عن الناس ، وأظهروا عدم معرفتهم وعلمهم بأمر هذا النبي ، وعوضا عن اتباعهم لهذا النبي عليه الصلاة والسلام ، كما تأمرهم التوراة :
2. قاموا باتباع ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وحقيقة ما اتبعوه يُبيّنه سبحانه ، بالجملة المعترضة (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**) أي الكفريّات التي ما زالت تتلوها الشياطين على ملك سليمان ، ومجيء الفعل (تتلوا) بصيغة المضارع ، يُفيد بأنهم على اتّصال دائم بالشياطين ، وأن الشياطين ما زالت تتحدّث إليهم ، بكفريّات تنسبها إلى سليمان عليه السلام ، يُبرأه سبحانه منها بقوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ، وعوضا عن تعليم الناس تعاليم التوراة :
3. كانوا وما زالوا ، يُعلمون الناس السحر ، ويعلّمونهم أيضا نوعا آخرا من السحر ، كانوا قد تعلّموه أثناء تواجدهم في بابل ، هو ما أُنزل على الملكين هاروت وماروت ، اللذان لم يُعلّما أحدا من الناس ، إلا وقالا له ، (**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ، فَلَا تَكْفُرْ**) وحقيقة ما كان يتعلّمه الناس من الملكين في بابل ، يُبيّنه سبحانه بالجملة المعترضة (**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**) .
4. ويُعقّب سبحانه على ما قامت به تلك الفئة بقوله (**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ ...** إلى آخر الآية) . وهذا ما يقومون به لغاية الآن ، في محافلهم الماسونية ومدارسهم الدينية ، حيث يُمارسون ويُعلّمون منتسبيهم وتلاميذهم ، طقوس عبادة الشياطين ، وفنون السحر والشعوذة .

عقوبتهم في الجزيرة العربية كانت جلاءً وليس عذابا :

وأما عند مجيء الإسلام ، كان جزء منهم متواجد في الجزيرة العربية ، وأخرجوا منها زمن عمر رضي الله عنه ، قال تعالى (**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ** (2 الحشر) ، والحشر معناه الجمع ، والجمع يختلف عن الجميع ، وقوله (لأول الحشر) أي بداية الجمع ، والجمع يكون عادة بعد التشرّد والشتات ، والمقصود هنا الجمع في الدنيا ، وليس الحشر بعد الموت والبعث ، حيث كانت وجهتهم عند الخروج إلى بلاد الشام ، وأما الجلاء الذي حكم الله به عليهم ، في زمن الرسول عليه السلام وصحبه الكرام ، لم يكن عذابا كالموصوف في سورة الإسراء ، لا في الوعد الأول ، ولا في الوعد الثاني ، فكيفية العقاب في المرتين متطابقة ، كما أوضحنا سابقا ، وهذا ما يقرره سبحانه في الآية التالية (**وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ** (3 الحشر) ، وقوله تعالى (لعذّبهم) ، يفيد بأن الجلاء لم يُعتبر عذابا بمعنى الكلمة ،

أما قتل وسبي يهود بني قريظة ، فهو استثناء حصل لخطورة ما قاموا به من خيانة ، في أحرج لحظة ، في تاريخ الأمة الإسلامية .

وإن لم يكن ما تقدّم مقنعا بما فيه الكفاية ، فانظر إلى قوله تعالى (**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** (7 الإسراء) ، فأي مسجد الذي دخله المسلمون على اليهود آنذاك ، وما هو المسجد المقصود أصلا في هذه الآية ؟! وما صفة العلو الذي كان لهم آنذاك ؟! ، وأما فسادهم وإفسادهم في الجزيرة وغيرها من الأماكن ، فهو مشمول في الآية الكريمة (**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (64 المائدة) ، ولاحظ قوله تعالى (ويسعون) ، حيث تفيد الاستمرارية والمثابرة ، على الإفساد في الأرض على عمومها ، وهذا هو ديدنهم على مر العصور ، لذلك كانوا عرضة للقتل والتنكيل ، أو النهب والسلب ، أو الطرد والنفي ، أينما حلوا وأينما ارتحلوا ، فطافوا معظم أرجاء من المعمورة وتواجدوا في كل قاراتها ، منذ 3 آلاف سنة واستمر حالهم هذا على مر العصور ، وهذا ما لم يقع في أي شعب من شعوب الأرض ، وكان الاستثناء الوحيد ، هو حصولهم على الدولة في القدس مرتين فقط . وبعد شتاتهم في المرة الأولى ، لم يكن لهم علو ، ولم يكن لهم جمع من الشتات ، الذي هو أحد شروط ومواصفات تحقق الوعد الثاني ، إلا ما نُشاهده الآن على أرض الواقع ، من علوا ظاهر مقترن بالفساد والإفساد ، في الأرض المُقدّسة فلسطين .

تاريخ اليهود في التوراة والتلمود

ماهية التوراة :

التوراة في (لسان العرب) : نجد أن هذه الكلمة ذات أصل عربي " ومصـدرها وَرِيَ ، والوراء هو ولد الولد ، والواري هو السمين من كل شيء ، ووَرِيَ المخ يَرِي إذا اكتـنز ، وناقة وارية أي سمينة ، ووَرَيْتُ النار توريةً ، إذا استخرجتها ، قال واسـتوريت فلانا رأيا ، أي سألته أن يستخرج لي رأيا ، ووريت الشيء وواريته أخفيته ، واسـتوريت فلانا رأيا أي طلبت إليه أن ينظر في أمري ، فيسـتخرج رأيا أمضي عليه ، ووريت الخـبر ، أورِيه توريةً ، إذا سترته وأظهرت غيره ، وكأنه مأخوذ من وراء الإنسان ، لأنه إذا قال وَرَيْته ، فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر ، والتورية هي السَتْر " .

ولو تـدبرّنا كل المعـاني السـابقة ، لوجـدنا أن هذ التسـمية (التـوارة ، التورية حسب الرسم القرآني لها) ، جاءت لتصف بدقة وبشمولية ، حال الكتاب الموجـود بين أيـدي اليهـود ، منذ وفـاة زكريا عليه السـلام ، ولغاية الآن ، ولتصف الكيفية الـتي يتعامل بها اليهـود مع هـذا الكتـاب ، فكتـابهم في الواقع مكتـنز وسـمين ، فهو يحـوي بين دفتيه (39) سفرا ، وإحدى نسخه المترجمة ، فيها ما يزيد عن 1128 صـفحة ، بمعـدل 380 كلمة لكل صفحة ، أي ما يفوق القرآن من حيث عدد الكلمات ، بِ (6) مـرات تقريبا ، جُمع فيه ما أُنزل على أنبياء بني إسرائيل المتعاقبين تباعا ، من شرائع وأخبار ونبوءات غيبية ، وتاريخ وأساطير وخرافات ، وعلى فترات متباعدة ومتتالية ، ولمـدة لا تقل عن ألف وخمسمائة سنة .

التوراة لم تنزّل على موسى وكتابه جزء منها :

وحسب النص القرآني ، في الآية (**يَأَهْلَ الْكِتَـابِ لِمَ تُحَـاجُّونَ فِي إِبْـرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُـونَ** (65 آل عمـران) ، والآية (**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَـدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ مِنْ التَّوْرَاةِ** (46 المائـدة) ، نجد أن نـزول التـوراة ، حُصر في الفـترة الزمنية الواقعة بين ، وفـاة إبـراهيم ونبـوّة عيسى عليهما السـلام ، ومن قوله تعـالى (**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُـدًى وَنُـورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْـلَمُوا لِلَّذِينَ هَـادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْـهِ شُـهَدَاءَ** (44 المائـدة) ، نجد أنها أنـزلت كمرجع لبـني إسـرائيل (بـني يعقـوب عليه السـلام) ، لاسـتنباط واستخراج الأحكـام الشـرعية منها ، وفي قوله تعـالى (**يَأَهْلَ الْكِتَـابِ قَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِـيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُـونَ مِنْ الْكِتَـابِ** (15المائـدة) وقوله (**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَـهُ فَنَبَـذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْـتَرُونَ** (187 آل عمـران) نجد وصفا لحـال اليهـود معها وما كـان منهم ، في إخفائها وكتمانها وتحريفها ، وإظهـار غير ما جـاء فيها ، وكل ما قيل فيها من معـاني في المعجم ، ينسـجم مع واقع التـوراة الحـالي ، وليس على كتـاب موسى فقط ، والـذي هو في الأصل جـزء منها ، وما كـان الفصل بينها وبين موسى عليه السلام في القران ، إلا ليؤكد هذه الحقيقة .

ولو تمعنّا في هـذه الآية (**كُـلُّ الطَّعَـامِ كَـانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْـرَائِيلَ - إِلَّا مَا حَـرَّمَ إِسْـرَائِيلُ عَلَى نَفْسِـهِ - مِنْ قَبْـلِ أَنْ تُنَـزَّلَ التَّوْرَاةُ - قُـلْ فَـأْتُوا بِـالتَّوْرَاةِ**

فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93 آل عمـران) ، وانظر قوله تعـالى (تُنَـزَّلَ) ، ولم يقل (تُنْزَلَ) ، والتنزيل غير الإنزال ، فالأول على مراحل ، والثاني لمرة واحدة ، ومن ثم انتقلنا إلى سورة الأنعام ، وتدبرنا الآيات (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... (151) ... (152) ... (153) = ثُمَّ = آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** (154 الأنعام) لوجدنا أن هذه الآيات توضح ، ما كان قد حُرّم عليهم في التـوراة ، وأن مجيء أداة العطف (ثُمَّ) ، بعد ذكر ما جـاء في التـوراة مباشـرة ، والـتي تفيد لغـةً ، الترتيب والتراخي في الزمن ، ومجيء العبارة (**آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**) بعدها ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أمرين ؛ الأول : أن التوراة شيء يختلف عن كتـاب موسى عليه السلام ، والثاني : أنها سبقت كتاب موسى عليه السلام في النزول .

التوراة كتاب يضمّ بين دفتيه جميع ما أُنزل على أنبياء بني إسرائيل :

والأرجح أنها أُنزلت مفرّقة بدءاً من يعقوب أو إسحاق ، وانتهاءً بزكريا عليهم السـلام ، وأنها مجمل ما أنـزل على أنبيـاء بـني إسـرائيل من كتب ، ومن ضـمنها ما أنـزل على يعقـوب ويوسف ، وموسى وداود وسـليمان وزكريا ، وبقية أنبيـائهم ، ممن لم تـذكر أسمائهم ، في القرآن عليهم السلام أجمعين ، قال تعالى (**وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** (136 البقرة) ولاحظ أن ترتيب أسـماء الأنبيـاء ، في هـذه الآية جـاء متعاقبا حسب الـترتيب الزمني ، ولاحظ أيضا أنّ الإنزال ، شمل كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقـوب والأسـباط وتوقف . وأفـرد موسى وعيسى مع أنهم من الأسـباط وخصّـهما بالإيتـاء ، وأفرد النبيين من غير ذرية إبراهيم بالإيتاء أيضا ، والظـاهر أن هنـاك فـرق بين الإنـزال والإيتاء ، وأما ماهية الأسباط فسنبينها في فصل آخر .

ولو اطلعت على مجمل النصـوص القرآنية ، لوجـدت أن ما نُسب إلى موسى عليه السلام بالإيتاء ، هو الكتـاب والفرقـان والهـدى وضـياء وذكر والألـواح والصـحف ، وأن التوراة لم تنسب نصّـا إلى موسى عليه السـلام ، في أي موضع من المواضع ال (18) في القرآن ، وهي (6 مرات في آل عمران ، و7 مرات في المائدة ، ومرة واحدة في كلٍ من ، الأعراف والتوبة والفتح والصف والجمعة) ، وخلاصة القول ، أن ذكر التـوراة في القران ، يُقصد به مجموع ما أنزل على أنبياء بني إسرائيل ، أي الكتاب الـذي كـان بأيدي اليهود زمن نـزول القـرآن ، وحـتى عصـرنا هـذا ، وأن ذكر الكتـاب ، يقصد به ما أنـزل على موسى لوحـده ، والله أعلم . وأما ما يُنسب إلى موسى عليه السـلام في التـوراة الحالية ، فهي الأسـفار الخمسة الأولى من مجمـوع أسـفارها ، وهي أسـفار التكـوين والخـروج واللاويين والعـدد والتثنية ، وعلى الأرجح أن بعض هـذه الأسـفار ، كسفر التكوين ، كان موجودا قبل موسى عليه السـلام ، ومن المحتمل أن يكـون هـذا السفر ، هو مجموع صحف إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام .

حقيقة التوراة على لسان المقدسي :

جـاء في كتـاب (البـدء والتـاريخ) للمقدسـيّ ، ما نصه : " وذلك أن (بختنصر) ، لما خـرب بيت المقـدس وأحـرق التورية ، وسـاق بـني إسـرائيل إلى أرض بابل ، ذهبت التوراة من أيديهم ، حتى جدّدها لهم عزير فيما يحكون ، والمحفـوظ عن أهل المعرفة بـالتواريخ والقصص ، أن عزيـرا (عـزرا الكـاتب) أملى التـوراة في آخر عمـره ، ولم يلبث بعدها أن مات ، ودفعها إلى تلميذ من تلامذته ، وأمره بأن يقرأها على الناس بعد

وفاته ، فعن ذلك التلميذ أخذوها ودونوها ، وزعموا أن التلميذ ، هو الـذي أفسـدها وزاد فيها وحرفها ، فمن ثم وقع التحريف والفساد في الكتاب ، وبُدّلت ألفاظ التوراة ، لأنها من تأليف إنسان بعد موسى ، لأنه يخبر فيها ، عما كان من أمر موسى عليه السـلام ، وكيف كان موته ووصيته إلى يوشع بن نون ، وحزن بني إسرائيل وبكاؤهم عليه ، وغير ذلك مما لا يشكل على عاقل ، أنه ليس من كلام الله عز وجل ، ولا من كلام موسى ، وفي أيدي السامرة توراة ، مخالفة للتوراة التي في أيدي سائر اليهـود ، في التـواريخ والأعيـاد وذكر الأنبيـاء ، وعند النصـارى تـوراة منسـوبة إلى اليونانية ، فيها زيـادة في تواريخ السنين على التورية العبرانية ، بألف وأربع مائة سنة ونيف ، وهذا كله يدل على تحريفهم وتبديلهم ، إذ ليس يجوز وجود التضاد فيها من عند الله " .

أما ما دفعني للبحث في أمر التوراة في البداية ، هو رغبتي في استخراج نص النبـوءة منها ، ومقارنته مع نص سـورة الإسـراء ، واسـتقراء تـاريخهم حسب ما يروونه هم بأنفسهم ، فيما إذا كان هناك ما يفيد تحقق الوعد الأول ، من خلال البحث في التـوراة الحالية ، والموجودة تحت اسم العهد القديم ، في الكتاب المقدس الخاص بالنصارى ، حيث توفرت لديّ نسختين عنه ، باسم (كتاب الحياة / ترجمة تفسيرية / ط2 1988 / جي سي سـنتر القـاهرة) ، وتقع في (1128) صـفحة ، والأخـرى باسم (الكتـاب المقـدس / دار الكتـاب المقـدس في الشـرق الأوسط) وتقع في (1358) صـفحة ، مترجمة عن التوراة اليونانية ، وبما أن عدد الصفحات كبير جدا ، ومن المؤكد أن هـذا النص ، قد اعـتراه الكثـير من التحريف والـتزوير من إضـافة ونقص ، فهو يحتـاج إلى قـراءة مركـزة ومتأنية ، من الألف إلى اليـاء ، مما يتطلب الكثـير من الـوقت والجهد ، فضلا عما تُصاب به من دوار ، كلما حاولت أن تستجمع ما ورد فيها ، من أفكار مشـتتة ومضلِّلة ، ولما فيها من إسهاب وإطالة وتكـرار ، لـذلك كـان لا بد لي ، من تحديد على من أنزلت هذه النبوءة ، وما هو المقصود بقوله سبحانه (في الكتـاب) على وجه الدقة ، وفي أي فترة زمنية أنـزلت ، لتكـون عملية البحث فيها أقل جهـدا ، وعند بحـثي عنها فيما نُسب إلى موسى عليه السلام من أسفار ، وجدتها في سـفر التثنية ، وقد اعتراها الكثير من التشويه من حذف وإضافة ، وفيما يلي بعض من بقايا نصوصها التي توزعت على مدى (18 صفحة) :

سـفر التثنية آخر الأسـفار المنسـوبة لموسى ، ويضم في ثناياه نصوص النبوءة :

ملاحظة : النص مأخوذ من نسخة (كتاب الحياة) حيث أن التركيب اللغوي فيها ، أكثر قـوة وتعبـيرا ، إلا في مواضع نـادرة ، نلجأ فيها للأخذ من النسـخة الأخـرى (الكتـاب المقدس) وهو ما يرد بين [...] ، وما يرد بين (...) فهو تعقيب من المؤلف .

(وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِـذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2 الإسراء)

" إصحاح 26: آية 16: لقد أمركم الرب إلهكم هـذا اليـوم ، أن تعملـوا بهـذه الفـرائض والأحكام ، فأطيعوا واعملوا بها من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم ، 17: ... وأن عليكم طاعة جميع وصاياه ،19: فيجعلكم أسمى من كل الأمم [مستعليا على جميع القبائل] التي خلقها في الثناء والشرف والمجد ، (العلو) ، ... " .

إخبار موسى عليه السلام بنص النبوءة ، كان قبل دخولهم إلى الأرض المقدسة :

27: 9-1: " وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلين : أطيعوا جميع الوصايا التي أنا أمركم بها اليوم . فعندما تجتازون نهر الأردن ، إلى الأرض التي يهبها الرب إلهكم لكم ، تنصبوا لأنفسكم حجارة كبيرة ، ... وتكتبون عليها جميع كلمات هذه الشريعة ، ... ثم قال موسى والكهنة واللاويون لجميع شعب إسرائيل " :

سفر الخروج : " 20 : 2: أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك ، 3: لا يكن لك آلهة أخرى سواي ، 4: لا تنحت لك تمثالا ولا صورة ، ... ، 5: لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، ... ، 7: لا تنطق باسم الرب باطلا ، ... ، 12: أكرم أباك وأمك ، ... ، 13: لا تقتل ، 14: لا تزن ، 15: لا تسرق ، 16: لا تشهد على قريبك شهادة زور ، 17: لا تشته بيت جارك ، ... ، ولا شيئا مما له " .

وهذا ما يُسمّونه بالوصايا العشر ، واخترت النص من سفر الخروج ، كونه أكثر وضوحا ومطابقة للقرآن ، حيث ورد نص الميثاق والوصايا في (البقرة 83 ـ 84) ، (والأنعام 151 – 153) ، (والإسراء 22 – 39) .

(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4 الإسراء)

" 31: 21-16: و قال الرب لموسى : ما إن تموت وتلحق بآبائك (مستقبلا) ... حالما أدخلهم إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا ، ... ، فيأكلون ويشبعون ويسمنون ، فإنهم يسعون وراء آلهة أخرى ، ويعبدونها ويزدرون بي ، وينكثون عهدي . فيحتدم غضبي عليهم في ذلك اليوم ، وأنبذهم وأحجب وجهي عنهم ، فيكونوا فريسة ، ... ،: فمتى حلّت بهم شرور كثيرة ، ومصائب جمّة ، يشهد هذا النشيد عليهم ، لأنه سيظل يتردّد على أفواه ذريّتهم ، إذ أنني عالم بخواطرهم التي تدور بخلدهم الآن ، قبل أن أدخلهم إلى الأرض كما [أقسمت] " .

(إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ (7 الإسراء)

" 28: 13-1: وإن أطعتم صوت الرب طاعة تامة ،حرصا منكم على تنفيذ جميع وصاياه فإن الرب إلهكم يجعلكم أسمى من جميع أمم الأرض . وإذا سمعتم لصوت الرب إلهكم ، فإن جميع هذه البركات تنسكب عليكم وتلازمكم ، ... ، كما تتبارك ذُرّيّتكم ، وغلّات أرضكم ، ونتاج بهائمكم ، ويهزم الرب أمامكم أعدائكم القائمين عليكم ، فيقبلون عليكم في طريق واحدة ، ولكنّهم يُولّون الأدبار في سبع طُرق ، فيفتح الرب كنوز سمائه الصالحة ، فيمطر على أرضكم في مواسمها ، ويُبارك كل ما تنتجه أيديكم ، ... ، فإنّه يجعلكم رؤوسا لا أذنابا ، متسامين دائما (علو) ، ولا يُدرككم انحطاط أبدا (ذلّة) ... " .

(وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (7 الإسراء)

" 28: 15 ولكن إن عصيتم صوت الرب إلهكم ، ولم تحرصوا على العمل بجميع وصاياه وفرائضه ، التي أنا آمركم اليوم بها ، فإن جميع هذه اللعنات تحل بكم وتلازمكم ، ... ، وتحلّ اللعنة بأبنائكم ، وغلّات أرضكم ، ونتاج بهائمكم ، ويصبّ الربّ عليكم اللعنة والفوضى والفشل ، حتى تهلكوا وتفنوا سريعا لسوء أفعالكم ، إذ تركتموني ، ويتفشى بينكم الوباء حتى يُبيدكم ، وتصبح السماء من فوقكم كالنحاس ،

والأرض من تحتكم كالحديد ، 25: ويهزمكم الربُّ أمام أعدائكم ، فتقبلـون عليهم في طريق واحدة ، وتولون الأدبار أمامهم متفرقين في سبع طرق ، وتصبحون عبرة لجميع ممالك الأرض ، 26: وتكون جثتكم طعاما ، لجميع طيور السـماء ووحـوش الأرض ، ولا يطردها أحد [وليس من يزعجها] ، 28: ويبتليكم الـرب بـالجنون والعمى وارتبـاك الفكر [وحيرة القلب] ، 29: فتتحسّسون طـرقكم في الظهر ، كما يتحسّـس الأعمى في الظلام ، وتبوء طرقكم بالإخفاق ، ولا تكونون إلا مظلـومين مغصـوبين كل الأيـام ، 32: يساق أولادكم وبناتكم إلى أمة أخـرى ... وما في أيـديكم حيلة ، ... ، 36: ينفيكم الرب أنتم ومَلِكِكم إلى أمة أخـرى ، لا تعرفونها أنتم ولا آبـاؤكم ، ... ، 37: وتصـبحون مثار دهشة وسـخرية وعـبرة في نظر جميع الشـعوب ، ... ، 43: [الغـريب الـذي في وسطك ، يستعلي عليك متصاعدا ، وأنت تنحط متنازلا] (عـودة الـذل وزوال العلو) ، 44: ... ، وهم يكونون رؤوساً وأنتم تكونون ذنبا " .

النصوص الخاصة بالمرة الأولى :

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَـأْسٍ شَـدِيدٍ فَجَاسُـوا خِلَالَ الدِّيَارِ ... (5 الإسراء)

" 28: 49 ويجلب الـرب عليكم أمة من بعيد ، من أقصى الأرض ، فتنقضّ عليكم كالنسر ، 50:ـ أمّة [جافية الوجه] يثير منظرها الـرعب ، لا تهـاب الشـيخ ولا تـرأف بالطفل ، 51: فتستولي على نتاج بهائمكم ، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا ، ولا تُبـقِ لك قمحا ولا خمرا ولا زيتا ، ... حتى تفنيك ، 52: وتحاصـركم في جميع مـدنكم ، حـتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصـينة ، الـتي وثقتم بمناعتها ، ... ، 58: فـإن لم تحرصـوا على العمل بجميع كلمات هذا الشريعة المكتوبة في هذا الكتاب ، ... ، 59: فإن الرب يجعل الضربات النازلة بكم وبذرّيتكم ، ضربات مخيفة وكوارث رهيبة دائمة ، ... ، 63: وكما سُـرّ الـرب بكم ، فأحسن إليكم وكثّـركم ، فإنه سيُسـرّ بـأن يفـنيكم ويهلككم فتنقرضون [فتستأصلون] من الأرض ، التي أنتم ماضون إلى امتلاكها ، 64: ويشتّتكم [ويبـددكم] الـرب بين جميع الأمم ،من أقصى الأرض الى أقصـاها ، ... ، 65: ولا تجدون بين تلك الأمم اطمئنانا ، ولا مقـرّا لقـدم ، بل يعطيكم الـرب قلبا هلعا ، وعيونا أوهنها الـترقب ، ونفوسا يائسة (الذلة والمسـكنة بين الأمم) ، 66: و تعيشـون حيـاة مفعمة بالتوتر ، مليئة بالرعب ليلا و نهارا .

النبوءة جاءت بِقَسَم ولمرتين (تكرار للنص السابق مع الإسهاب) :

29: 1 وهذه هي نصوص العهد ، الذي أمر الرب موسى ، أن يقطعه مع بني إسـرائيل في سـهول مـوآب ، فضلا عن العهد الـذي قطعه معهم في حـوريب ، 2: ودعا موسى جميع إسرائيل ، ... ، 29: 4 و لكن الرب لم يعطكم حتى الآن ، قلوبا لتعوا [لتفهموا] وعيونا لتبصـروا و أذانا لتسـمعوا ، ... ، 9: فـأطيعوا نصـوص هـذا العهد واعملـوا بها ، [لكي تفلحـوا في كل ما تفعلـون] ، ... ، 14: ولست أقطع هـذا العهد وهـذا القسم معكم وحدكم ، 15:ـ بل ... أبرمه أيضا مع الأجيال القادمة (حيث سيقع منهم الإفسـاد مـرّتين مسـتقبلا) ، ... ، 18: فاحرصـوا أن لا يكـون بينكم ، من تأصّـل فيه الشـرّ ، فيحمل ثمرا علقما سامّا ، 19: فإن سمعَ كلام هذا القَسم يستمطر بركة على نفسه (أي يزكّي نفسه) قائلا : سـأكون آمنا ، حـتى ولو أصـررت على الاسـتمرار في سـلوك طريقي (الإصرار على المعصية) ، إن هذا يُفضي إلى فناء الأخضر واليابس ، على حد سواء ، 20: إن الرب لا يشاء الرفق بمثل هذا الإنسان ، بل يحتدم غضـبه وغيرته عليه

، فتنزل به كل اللعنات المدوّنة في هذا الكتاب ، ويمحو اسمه من تحت السماء ، 22: فيشاهد أبناؤكم من الأجيال القادمة ، والغرباء الوافدون من أرض بعيدة ، بلايا تلك الأرض ، ... ، 23: إذ تصبح جميع الأرض كبريتا محترقة لا زرع فيها ، ... ، كانقلاب سدوم (قوم لوط) ، التي قلبها الرب من جراء غضبه وسخطه ، ... ، 28: واجتثّهم من أرضهم ، بغضبٍ وسخطٍ وغيظٍ عظيم ، وطوّح بهم إلى أرض أخرى (السبي والشتات) ، ... " .

النصوص الخاصة بالمرة الثانية :

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104 الإسراء)

30: 1 وعندما تحلّ بكم هذه البركات واللعنات (تحقق الوعد الأول من علو وإفساد وعقاب) كلها التي وضعتها نُصب أعينكم ، وردّدتموها في قلوبكم بين الأمم ، حيث شتّتكم الرب إلهكم ، 2: ورجعتم إلى الرب إلهكم أنتم وبنوكم ، ... ، 3: فإن الرب إلهكم يردّ سبيكم ويرحمكم ، ويلّم شتاتكم من بين جميع الشعوب ، التي نفاكم الرب إلهكم إليها ، ...

(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6 الإسراء)

30: 5: ويعيدكم إلى الأرض التي امتلكها آباؤكم فتمتلكونها ، ويحسن إليكم ويكثّركم أكثر من آبائكم ، 30: 7: و يُحوّل الرب إلهكم كل هذه اللعنات (العقاب الذي سيكون قد نزل بهم في المرة الأولى) على أعدائكم ، وعلى مبغضيكم الذين طردوكم (الذين أنزلوا بهم العقاب الإلهي في المرة الأولى) ،30: 8 و أما أنتم فتطيعون صوت الرب من جديد (في المرة الثانية) ، وتعملون بجميع وصاياه التي أنا أوصيكم بها اليوم ، 9: فيفيض الرب عليكم خيرا ، في كل عمل ما تنتجه أيدكم ، ويكثّر ثمرة أحشائكم ، ونتاج بهائمكم ، أرضكم ، ... (وكل ما تقدم مشروط بالإحسان)

(إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (7 الإسراء) (تكرار)

30: 10: هذا إن سمعتم لصوت الرب إلهكم ، وحفظتم وصاياه وفرائضه المدوّنة في كتاب الشريعة هذا ، (أي تعاليم شريعة موسى في التوراة ، وليس تعاليم التلمود التي خطّها أحبارهم وكهنتهم) ، وإن رجعتم إلى الرب إلهكم ، من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم ، 11: إن ما أوصيكم به اليوم من وصايا ، ليست متعذّرة عليكم ولا بعيدة المنال ، ... ، 15: انظروا : ها أنا قد وضعت أمامكم اليوم ، الحياة والخير والموت والشر ، 16: ... أوصيتكم اليوم أن تُحبّوا الرب إلهكم ، وأن تسلكوا في طرقه ، وتطيعوا وصاياه وفرائضه وأحكامه ، لكي تحيوا وتنمو ، فيباركم الرب ، في الأرض التي أنتم ماضون إليها لامتلاكها ، 17: ولكن إن تحوّلت قلوبكم ولم تطيعوا ، بل غويتم وسجدتم لآلهة أخرى وعبدتموها ، 18: فإني أنذركم [أنبّئكم] اليوم أنكم لا محالة هالكون ، ولا تطول الأيام على الأرض (أي مقامكم) التي أنت عابر (نهر) الأردن لتدخلها وتمتلكها ...

19: ها أنا أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض ، قد وضعت أمامكم الحياة والموت (أي وضحت لكم طريق النجاة وطريق الهلاك ، واستبدالها بكلمتي الحياة والموت من خلال النقل أو التحريف ، ترتّب عليه إنكار الحياة الآخرة ، واليوم الآخر من بعث

وحساب ، فالجزاء عندهم دنيوي فقط ، فالثواب هو إطالة الحياة ، والعقاب هو قصرها) ، البركة واللعنة (أي الجـزاء في الـدنيا) ، فاختـاروا الحيـاة (أي الشـريعة) لتحيـوا (لتنجـوا من عـذاب الـدنيا والآخـرة) أنتم ونسـلكم ، 20: إذ تحبّـون الـرب إلهكم و تطيعـون صـوته ، وتتمسّـكون به لأنه هو حيـاتكم (أي نجـاتكم) والـذي يُطيل أيـامكم لتستوطنوا [لكي تسكنوا] الأرض التي حلف الرب لآبائك ، إبراهيم وإسحاق ويعقـوب أن يعطيها لكم .

الدخول أول مرة كان بحبل من الله :

31: 1: ومضى موسى يقول لبني إسرائيل : 2: ... وقد قال لي الرب : لن تعبر هـذا الأردن ، 3: ولكن الــرب إلهكم هو عــابر أمــامكم ، وهو يبيد تلك الأمم من قــدّامكم فترثونهم ، ... ، 6: [تشدّدوا] وتشـجّعوا ، لا تخشـونهم ولا تجزعـوا منهم ، لأن الـرب إلهكم سائر معكم ، لا يهملكم ولا يترككم .

حتمية إفسادهم وعقابهم في المرة الثانية :

31: 28 اجمعــوا إليّ جميع شــيوخ أســباطكم و عرفــاءكم (النقبــاء) ، لأتلو على مسامعهم هذه الكلمات ، وأشـهد عليهم السـماء والأرض ، 29: لأنـني واثق أنكم بعد موتي ، تفسـدون وتضـلون عن الطريق الـذي أوصـيتكم بها ، فيصـيبكم الشـرّ في آخر الأيـام (المـرة الثانية تكـون آخر الزمـان) ، لأنكم تقـترفون الشر أمـام الـرب ، حـتى تثــيروا غيظه بما تجنيه أيــديكم ، 30: فتلا موسى في مســامع كل جماعة إســرائيل [بكلمات] هذا النشيد ، ...

(أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2 الإسراء)

32: 3: باسم الـرب أدعو فمجّـدوا عظمة إلهنا ، 4: هو الصـخر (الوكيل) [الكامل صنيعه] ، سبله جميعها عدل ، هو إله أمانة لا يرتكب جورا ، صديق وعادل هو ، 5: لقد اقترفوا الفساد أمامه ، ولم يعـودوا له أبنـاء ، بل لطخة عـار ، إنهم جيل أعـوج وملتو ، 6: أبهذا تكافئون الرب ، أيها الشعب الأحمق الغبيّ ، أليس هو أباكم وخـالقكم ، الـذي عملكم وخلقكم ، 7: اذكروا الأيـام الغـابرة ، وتـأملوا في سـنوات الأجيـال الماضـية ، اسألوا آبائكم فينبئوكم ، وشيوخكم فيخبروكم ، 10: وَجَـدَهم في أرض قفـرٍ وفي خلاء موحش ، فأحـاط بهم ورعـاهم وصـانهم ، 12: ... وحـده قـاد شـعبه ، وليس معه إله غريب (أي آخر) ، 13: أصعدهم على هضاب الأرض ، فأكلوا ثمار الصحراء ، وغـذّاهم بعسل من حجر ، وزيتا من حجر الصوّان ، و ... و ...

الدخول الثاني كان بحبل من الناس ، إذ لا حاجة بهم إلى الله :

15: فسمن بنو إسرائيل ورفسوا ، سمنوا وغلظوا واكتسوا شحما (كناية عن الترف) ، فرفضوا الإله صانعهم وتنكّروا لصخرة خلاصهم ، 16: أثـاروا غيرته بـآلهتهم الغريبة ، وأغـاظوه بأصـنامهم الرجسة ، 17: لآلهة غريبة لم يعرفوها بل ظهـرت حـديثا (المـال والقوة والناس) ، آلهة لم يرهبها آباؤهم من قبل ، 18: لقد نبذتم الصخر الذي أنجبكم ونسيتم الله الذي أنشأكم (وهذا حالهم وحال دولتهم الحالية) .

(لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... (7 الإسـراء)

19: فرأى الرب ذلك ورذلهم ، إذ أثار أبناؤه وبناته غيظه ، 20: وقال : سأحجب وجهي عنهم فأرى ماذا سيكون مصيرهم ؟ إنهم جيل متقلب وأولادُ خونة ، 21: .. ، لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش (أولي بأس شديد) ، وأغيظهم بأمة حمقاء [أمة لا تفهمون لغتها] 22: فها قد أضرم غضبي نارا ، تُحرق حتى الهاوية السفلى ، وتأكل الأرض وغلّاتها ، وتحرق أسس الجبال ، 23: أجمع عليهم شرورا ، وأنفذ سهامي فيهم ، 24: أجعل أنياب الوحوش ، مع حمّة زواحف الأرض تنشب فيهم ، 25: يثكلهم سيف العدو في الطريق ، ويستولي عليهم الرعب داخل الخدور ، فيهلك الفتى مع الفتاة ، والرضيع مع الشيخ ، 26: قلت : أشتّتهم في زوايا الأرض ، وأمحو من بين الناس ذكرهم (أي في المرة الأولى) ، 27: لولا خوفي من تبجح العدو ، إذ يظنون قائلين : إن يدنا قد عَظُمت (أعداء بني إسرائيل) ، وليس ما جرى من فِعل الرب .

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ (7 الإسراء)

32: 28 إن بني إسرائيل أمة غبية ولا بصيرة فيهم (لا يعقلون ولا يفقهون) ، 29: لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأملوا في مصيرهم ، 32: إذ أن كرمتهم من كرمة سدوم ، ومن حقول عمورة ، (تشبيه إفسادهم وإصرارهم ، بإفساد قوم لوط وإصرارهم) وعنبهم ينضح سمّا ، وعناقيدهم تفيض مرارة ، 33: خمرهم حمّة الأفاعي ، وسمُ الثعابين المميت 32: 34 أليس ذلك مدخرا عندي ، مختوما عليه في خزائني ، 35: لي النقمة وأنا أجازي ، في الوقت المعين (مجيء الوعد) ، تزلّ أقدامهم ، فيوم هلاكهم بات وشيكا ، ومصيرهم المحتوم يُسرع إليهم ، (كلما أمعنوا في الإفساد كلما اقترب موعد هلاكهم) .

(عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ... (8 الإسراء)

" 36: لأن الرب يدين شعبه (بني إسرائيل) ويرأف بعبيده ، عندما يرى أن قوّتهم قد اضمحلت (زالت ، بعد المرة الثانية) ... " .

(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56 الإسراء)

" 32: 37 عندئذ يسأل الرب : أين آلهتهم ؟ أين الصخرة التي التجأوا إليها ؟ 38: لتهبّ لمساعدتكم ، وتبسط عليكم حمايتها ، 39: انظروا الآن : إني أنا هو وليس إله معي ، أنا أميت وأحيي ، أسحق وأشفي ، ولا منقذ من يدي ، ... ، 41: إذا سننت سيفي البارق ، وأمسكتْ به يدي للقضاء ، فإني أنتقم من أعدائي وأجازي مبغضيّ ، 42: أسكر سهامي بالدم ويلتهم سيفي لحما ، بدم القتلى والسبايا ، ومن رؤوس قواد العدو (قادة إسرائيل) ، ... " .

موسى عليه السلام يُخبر بنص النبوءة قبل موته :

" 32: 45 وعندما انتهى موسى ، من تلاوة جميع كلمات هذا النشيد على الإسرائيليين ، 46: قال لهم : تأمّلوا بقلوبكم في جميع الكلمات ، التي أنا أشهد عليكم بها اليوم ، لكي توصوا بها أولادكم ، ليحرصوا على العمل بكلمات هذه التوراة كلها ، 47: لأنها

ليست كلمات لا جدوى لكم منها ، إنها حياتكم وبها تعيشون طويلا ، في الأرض التي أنتم عابرون نهر الأردن إليها لترثوها ... 34:ـ 5: فمات موسى عبد الرب ، في أرض موآب [حسب] قول الرب " .

نلاحظ هنا أن النبوءة ، اعتراها بعض التشويه من حذف أو إضافة أو تبديل ، ولكنها حافظت على خطوطها العريضة ، ونلاحظ أيضا أنها فصلت المرتين كل منهما على حدة .

حيثيات نفاذ الوعد الأول في الأسفار الآخرى

التوراة كمرجع تاريخي غير موثوق به :

يرجّح كثير من الناقدين والباحثين الغربيون ، من الذين وضعوا التوراة تحت المجهر ، كونها العهد القديم من كتابهم المقدس ، أنها كتبت بأيدي بشر ، وذلك لما تحفل به من خرافات وأساطير ، ولتناقضها مع العهد الجديد (الإنجيل) ، وتناقضها مع المنطق والواقع ، وتناقضها أيضا ، مع المصادر التاريخية الأخرى في مواضع عديدة ، ويُجمع الكثير منهم أن كتابتها وجمعها ، قد تم بعد السبي البابلي ، وجاء القرآن ليكشف الكثير من أكاذيبها وافتراءاتها ، ومن خلال اطّلاعي عليها ، تبين لي أن من قام بإعادة كتابة التوراة ، هم أشخاص مشبعون بمشاعر الحقد والقهر والنقمة والرغبة في الانتقام ، وكل هذه المشاعر ، موجهة بالترتيب نحو :

1. رب العزة جلّ وعلا ، (يقولون أن يعقوب عليه السلام صرع الله في البرية ، واستطاع الله النجاة بعضّ يعقوب في فخذه ، فسبب له عرق النساء ، ومن أجل ذلك لا يأكل اليهود عرق النساء الذي في الفخذ ، سفر التكوين 32:ـ 24-32 ، ويقولون عنه سبحانه أنه كثير البكاء وكثير الندم على ما أنزله بشعبه المقدس ، ولذلك كانوا وما زالوا يعتقدون ، أن الله سيصلح خطأه معهم ، بإعادتهم إلى وطنهم ، الذي طُردوا منه بلا ذنب أو خطيئة ، فالخطأ منسوب إلى الله ورسله وملائكته والشعوب المجاورة ، أما شعب الله المقدّس ، فليس له خطيئة فهو حمل وديع ، وهذا نوع من الإسقاط النفسي ، لعظم الخطيئة ، وفداحة العقاب الذي وقع منهم وبهم) .
2. الرسل والأنبياء ، (يقولون أن موسى وهارون خانا الرب وسط الشعب التثنية ؛ 32:ـ 50-51 ، وهارون هو الذي صنع العجل الذهبي ، الخروج 32:ـ 1-6 ، وداود ارتكب خطيئة الزنا مع زوجة الجندي ؛ صموئيل الثاني ، 11: 1-27 ، وسليمان عبد آلهة أخرى ، وفعل الشرّ في عيني الرب ، كما فعل أبوه ؛ ملوك أول 11: 1-8) .
3. الكنعانيون القدماء وورثتهم الجدد (الفلسطينيون) ، (سفر التكوين 9:ـ 20-27: واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته ، فشاهد حام أبو الكنعانيين عُريّ أبيه ، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا في الخارج ، فأخذ سام ويافث ، رداءً ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة ، وسترا عورة أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيُبصرا عورته . وعندم أفاق نوح من سكره ، وعلم ما فعله ابنه الصغير ، قال : ليكن كنعان ملعونا ، وليكن عبد العبيد لأخوته ، ثم قال : تبارك الله إله سام ، وليكن كنعان عبدا له ، ليوسع الله ليافث ، وليكن كنعان عبدا له) .

4. الكلدانيون في بابل ، وورثتهم الجدد (العراقيون) ، (وأحقـادهم على بابل وأهلها ، أفرد الحديث عنها في موضع آخر) .
5. جميع شـعوب الأرض ما عـدا اليهـودي الصـرف . (والأمثلة على ذلك موجـودة في أسفار موسى ، ونصوص التلمود) .
6. سبط بنيامين الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام .

وكل مشـــاعر الحقد والرغبة في الانتقــام ممن ذُكــروا أعلاه ، أفرغها الكتبة (الكهنة والحكمـاء) في كتـابهم المقـدس (التـوراة) ، فأعـادوا جمعها ونسـخها ، تحت وطـأة انفعـالات نفسـية رهيبة ، وفبركة جميع أسـفارها ، بما يتناسب مع تلك المشـاعر ، بعد السبي البابلي ، أكبر فاجعة أصيب بها بنو إسرائيل والأكثر إيلاما على مرّ التاريخ .

وتبين لي أن هناك تطويل وتكرار غير مبرر ، لنفس الحدث أو الموضوع ، وأحيانا يكون هـذا التكـرار ، لنفس السـفر كـاملا تحت مسـميين ، مثل أسـفار أخبـار الأيـام وأخبـار الملـوك ، مع اختلاف بسـيط ، وأحيانا لنفس الفقـرة في نفس السـفر ، وهـذا التكـرار يـدل على أن نصـوص التـوراة جُمعت ، على الأقل من مصـدرين مختلفين ، وأُخـذت النصـــوص منهما ، وجُمعت في كتـــاب واحد ، دون تفضـــيل نص على آخر ، فالحـــدث الواحد أحيانا يتكرّر مرتين وثلاثة ، دون وجود فارق جوهري في المضمون .

وبعد أن قمت بمطالعة التوراة بشكل مُتكرّر ، تأكدت من هذه الحقيقة ، الـتي لم يكن قد تنبّه لها البـــاحثون والناقـــدون من قبل ، وهي أن التـــوراة قد جمعت فعلا ، من نسختين مُختلفين ، وأن إحدى النسختين حُرّفت أكـثر من الأخـرى ، وأن لغة كل منهما تختلف عن الأخرى ، فغالبا ما يكون هناك مُسـمّين لنفس الشـخص أو المكـان ، حـتى يخال للقارئ أنها أسماء لشخوص أو أماكن مختلفة ، وكمثال على ذلك إبرام وإبـراهيم ، وساراي وسارة ، وصحراء سين وصـحراء سـيناء ، ومملكة يهـوذا ومملكة إسـرائيل ، والسـبي البـابلي والسـبي الآشـوري . وهـذا الارتبـاك الـذي وقع فيه مؤلفو التـوراة المتأخرون ، أثناء محاولة التوفيق بجمع ما جاء في النسختين ، تسبب في هذا العـرض التأريخي المشوّه للوقائع ، مما أفقد التوراة مصداقيتها حتى للكثير من الباحثين اليهود أنفسـهم ، ولكل من بحث من علمـاء التنقيب والآثـار . ولكنها بقيت المرجع التـاريخي الوحيد لتاريخ بني إسرائيل .

وفي كثير من الأحيان ، تشعر بسخافة كتابها ، من سخافة أفكارها وأخبارها ، وسـخافة تبريرها وتعليلها ، كقصة عـرق النسـاء وصـراع يعقـوب مع الله ، وفبركة قصة نـوح وأولاده أعلاه ، ناهيك عن ألفاظها البذيئة ، التي أحيانا تترفع عن كتابتها حتى الروايـات الهابطة ، ورائحة اللحوم والدماء ، والخمور والمشاوي والهش والنش ... إلى آخـره ، وما يربط التـوراة بـالوحي ، هو ما يظهر في ثناياها من خطـوط عريضة ، هي البقية الباقية التي سلمت من أيديهم ، رغما عن أنوفهم ، وهذا لا يعني ألا نقرأ هـذا الكتـاب ، بل على العكس تماما ، توّجب على المسـلمين قراءته ، وقـراءة التلمـود أيضا منذ أمد بعيد ، وقراءة ما كُتب فيهما من مؤلفات ناقدة ، لمعرفة العقلية التي يفكر بها هـؤلاء ، ولمعرفة ما يطمحـــون إليه ، والحقيقة أني ما كنت لأقرأها ، وأقـــرأ ما كُتب فيها من مؤلفات عديدة ، لولا هذا البحث .

مملكة شمالية ومملكة جنوبية :

تقـول الأسـفار التاريخية في التـوراة ، بـأن مملكة سـليمان ، انقسـمت بعد موته إلى مملكتين ، جنوبية في القدس واسمها يهوذا (القدس) وهي الأصل ، وشمالية واسمها إسرائيل (نابلس) وهي المنشقة .

وصف فساد المملكة الشمالية :

يذكر كتبة التوراة ، أن المملكة الشمالية فسدت وأفسدت ، (ملوك أول :12 :25-33) " وحصّن يربعام (ملك الشمالية) مدينة شكيم (نـابلس) ، في جبل أفـرايم وأقـام فيها ، ... ، وبعد المشاورة سبك الملك عجليّ ذهب ، وقـال للشـعب : إن الـذهاب إلى أورشليم للعبادة ، يعرضّكم لمشقة عظيمة ، فها هي آلهتك يا إسرائيل ، الـتي أخرجتك من ديار مصر " .

وأما إفسادهم حسب ما يروونه هم عن أنفسهم ، فقد جاء في سفر الملوك الثـاني ما نصه ، " 17: 9: وارتكب بنو إسرائيل في الخفاء المعاصي ، في حقّ الرب إلههم ، ... 11: واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب ، عابدين الأصنام التي حذّرهم ونهاهم الربّ عنها ، ... 13: قـائلا : ارجعـوا عن طـرقكم الأثيمة ، وأطيعـوا وصـاياي وفرائضي بمقتضى ، التي أوصيت آبائكم بتطبيقها ، ... على لسان عبيدي الأنبياء ، 14: لكنهم أصمّوا آذانهم ، وأغلظوا قلوبهم كآبـائهم ، ... 16: ونبـذوا جميع وصـايا الـرب ، 17: ... ، وتعـاطوا العرافة والفأل (السحر والكهانة) ، ... 22: ولم يعدل الإسرائيليون عن ارتكاب جميع خطايا يربعـام ، بل أمعنـوا في اقترافها ، 23: فنفى الـرب إسـرائيل من حضـرته ،كما نطق على لسان جميع الأنبياء ، فسبي الإسرائيليون إلى أشور ، إلى هذا اليــوم " (أي اليوم الذي كتبوا فيه هذا النص بعد السبي بمدة طويلة) .

وصف فساد المملكة الجنوبية :

وأما ما يُنسب من إفساد إلى ملـوك المملكة الجنوبية ، فقد جـاء في نفس السـفر ما نصه ، " 21: 2: وارتكب الشرّ في عينيّ الربّ ، مقترفا رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل ، 3: ... ، وأقام مذابح البعل ، ونصب تماثيل عشـتاروت (مدينة بابلية) ، وسـجد لكـواكب السـماء وعبـدها ، 6: ولجأ إلى أصـحاب الجـانّ والعرّافين ، وأوغل في ارتكاب الشرّ ، ... 10: ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبيـاء : لأن منسّى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وأضلّ يهوذا ... ، 12: ... ، ها أنا أجلب شرا على أورشليم ويهوذا ، 13: ... ، وأمسح أورشـليم كما يّمسح الطبق من بقايا الطعام ، 14: وأنبذ شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم ، فيصبحون غنيمة وأسرى لهم ، 15: لأنهم ارتكبوا الشرّ في عيني ، ... 16: وزاد منسّى فسفك دم أبرياء كثيرين ، حتى ملأ أورشليم من أقصاها إلى أقصاها ، فضلا عن خطيئته التي استغوى بها يهـوذا ، ... " .

وتخـبر التـوراة أن الحـروب اسـتمرت بين المملكـتين ، واسـتعانة المغلـوب بـالأقوام المجـاورة على الآخر ، إلى أن جـاء الغـزو الآشـوري ، وسـبى المملكة الشـمالية 721 ق.م .

وتتابعَ الملوك الجنوبيون في ارتكـاب الشـرّ في عيـنيّ الـرب (حسب قـولهم) ، وفي عهد الملك يهويـاقيم ، هـاجم نبوخذ نصر (بختنصر) مملكة يهـوذا وخضـعت له ثلاث سـنوات ، ثم تمـردّ عليه (يهويـاقيم) ، " 24: 2: فأرسل الـرب غـزاة من كلـدانيين

وأراميين وموآبيين وعمّونيين (سكان العراق والأردن القـدماء) ، للإغـارة على مملكة يهوذا وإبادتها ، بموجب ما قضى به الرب ، على لسان عبيده الأنبياء ، 4: وانتقاما للدم البريء الذي سفكه (منسّى) ، إذ أنه ملأ أورشليم بدم الأبرياء ، ... " .

وفي عهد الملك (يهويــاكين) " 24:ــ 10: ... زحف قــادة نبوخذ نصر ملك بابل على أورشــليم ، وحاصــروا المدينة ، ثم جــاء نبوخذ نصر بنفسه وتســلّم زمــام القيــادة ، فاستسـلم (يهويـاكين) ... واسـتولى على جميع ما في خـزائن الهيكل والقصر ، ... ، تماما كما قضى الـرب ، 14: وسـبى نبوخذ نصر أهل أورشـليم ، " (وكما يقولـون أنه ولّى ابن عم الملك خلفا له ، وسـمّاه صـدقيّا ، وبعد سـنوات ارتكب صـدقيّا الشر في عيني الـرب كالعـادة ، وتمـرّد على ملك بابل ، وآنـذاك) ، " 25:ـ 1: زحف نبوخذ نصر ملك بابل ، بكامل جيشه على أورشــليم وحاصــرها ، ... ، 3: تفــاقمت المجاعة في المدينة ، حتى لم يجد أهلها خبزا يأكلونه ، 6: فأسروا الملك (الذي كان ينوي الهرب) واقتـادوه إلى ملك بابل ، ... ، ثمّ قتلـوا أبنـاء صـدقيّا على مـرأى منه ، وقلعـوا عينيه ، وساقوه إلى بابل ، ... ، 9: وأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم ، وسبى نبوزرادان (قائد الحـرس الملكي) بقية الشـعب ... ، 121 ، ولكنه تـرك فيها فقـراء الأرض المساكين . 13: وحطم الكلدانيون أعمدة النحاس وبركة النحاس ... إلى آخره ، (كل محتويـــات الهيكل ونقلوها إلى بابل) ، 18: وســـبى رئيس الحـــرس الملكي (ســرايا رئيس الكهنة وأعوانه وقــادة الجيش ونــدماء الملك ، وفي المجمل هم علية القوم وزمرة الفساد والإفسـاد في الأرض) فقتلهم ملك بابل في المعسـكر في أرض حماة (المدينة السورية) ، وهكذا سُبي شعب يهوذا من أرضه " .

فما أطـول باله هـذا النبوخذ نصر ، حـتى يزحف عليهم مـرارا وتكـرارا . والحقيقة أنه زحف عليهم مرة واحدة ، وبشكل مفاجئ فأباد مملكتهم ، وما هـذا التطويل والتطويل والتكـرار ، إلا من صـنع أيـدي الكتبة ، وما (يهويـاقيم) و(يهويـاكين) ، إلا تسـميتين لنفس الملك الذي حصل في عصره السبي البابلي .

مملكة واحدة وبعث واحد :

ما تقدم من نصوص ، كان من الأسفار ، التي يُسمّونها الأسفار التاريخية ، الـتي أرخّت لعصر الملوك ، ابتداءً من طالوت وداود وسليمان ، وانتهاءً بيهوياكين الذي وقع السـبي البـابلي في عصـره . والحقيقة أنه لم يكن هنـاك مملكـتين ، ولم يكن هنـاك سـبيين ، وإنما مملكة واحدة وسـبي واحد . ولكن نتيجة كتابة التـوراة بتلك الطريقة المزدوجة ، أصبحت المملكة مملكتين ، وأصبح الزحف البابلي زحفين ، ولحل الإشكال قولبـوه في زمانين مختلفين .

أما إدّعاء انقسام المملكة ، فالقرآن أثبت بطلانه في موضعين ، أولا ؛ ذُكر العلو مرتين كأمة في زمـانين مختلفين ، ثانيا ؛ الآية الـتي تتحـدث عن سـفكهم دمـائهم وإخـراجهم أنفسهم ، تؤكد أن ذلك لم يكن انشقاق في الحقيقة ، بل كان ذلك قتل وإخراج وسلب ، لطائفة مستضــعفة من قـــومهم ، وفي الحقيقة ، وقع هــذا الفعل ، في ســبط الأخ الشقيق ليوسف عليه السـلام ، الـذي تُسـميه التـوراة (بنيـامين) ، وما كـان بإمكـان هـؤلاء ، إقامة دولة في أراضي الكنعـانيين المجـاورة ، الـتي لجـأوا إليها ، وما كـانت حروبهم مع المملكة الأم ، إلا ضمن جيوش الكنعانيين وهو الأرجح ، أو كثـوّار لاسـترداد أسلابهم وديارهم .

وربما أن بعضـهم اسـتنجد بالبـابليين ، كنـوع من الانتقـام ، (بأسـهم بينهم شـديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى) فاستجابوا لهم ، وربما كان ذلك طمعا في كنــوز هيكل

سليمان ، والله أعلم . حيث لم يأتي أي ذكر في التاريخ للسبي الآشوري ، لعشرة أسباط (قبائل) من المملكة الشمالية ، حسب ما يدّعي مؤلفو التوراة ، حتى أن بعض الباحثون الذين صدّقوا التوراة ، يتساءلون عن كيفية اختفاء تلك القبائل ، التي سُبيت إلى مدينة أشور برمتها ، ومن المرجّح أن اختراع قصة المملكة الثانية وسبيها ، هو أحد مظاهر الإسقاط النفسي ، لمن عوقبوا ، على الذين لم يُعاقبوا ، من الذين أخرجوا من ديارهم رغم أنوفهم ، تجنبا وتخفيفا للشعور بالألم ، كلما طرأ على مخيلتهم تلك الذكرى الأليمة ، ويحصل هذا عادة على المستوى الشخصي ، فور تعرض الشخص لحادثة مؤلمة ، فيعزو الأخطاء التي تسببت في الحادثة إلى الآخرين .

تحذيرات الأنبياء من الإفساد

جاء التحذير من الاستهانة بنص النبوءة ، ومغبة الإفساد عند العلو ، والتخويف من العقاب ، التي كانت بدايتها نصا في كتاب موسى عليه السلام ، وعلى لسان كل الأنبياء المتعاقبين ، داعين إلى الالتزام بشريعة موسى ، ومحذّرين من تركها ومخالفتها على مدى عمر مملكتهم ، بدءا من سليمان عليه السلام ، وانتهاءً بإشعياء وإرمياء عليهما السلام ، إن كانوا أنبياء .

وهذا هو التحذير الذي جاء على لسان سليمان ، بعد انتهاءه من بناء الهيكل ، الأيام الثاني : " 7: 19: ولكن إن انحرفتم ونبذتم فرائضي التي شرعتها لكم ، وضللتم وراء آلهة أخرى وعبدتموها وسجدتم لها ، 20: فإني أستأصلكم من أرضي التي وهبتها لكم ، وأنبذ هذا الهيكل الذي قدّسته لاسمي (جعلته قائما لذكري) ، وأجعله مثلا ومثار هُزءٍ لجميع الأمم ، 21: ويغدو هذا الهيكل الذي كان شامخا ، عبرة يُثير عجب كل من يمرّ به " .

وبالإضافة إلى ما تقدم ، هذا عرض لجزء يسير ، من النصوص الكثيرة والمطوّلة والمكرّرة ، لما جاء في أسفار بعض أنبيائهم (الكبار) ، اخترناها لتكتمل معالم الصورة من الجانب الآخر .

تحذيرات إشعياء :

إشعياء هو أول الأنبياء الكبار وهم أربعة ، ويُقال أنه بُعث في فترة ، بلغ فيه إفساد بني إسرائيل الذروة ، قبل وقوع السبي البابلي ، حيث أن سفره ، جاء حافلا بالتقريع والتوبيخ والتحذير والإنذار ، والتذكير بنص النبوءة الذي جاء به موسى ، ويروى أنه من الأنبياء الذين قُتلوا (التعريف بأصحاب الأسفار من الأنبياء ، مستقاة من مقدمة المترجم لكل سفر) :

1: 4: ويل للأمة الخاطئة ، الشعب المثقل بالإثم ، ذرية مرتكبي الشرّ ، أبناء الفساد . 10: اسمعوا كلمة الرب يا حكام سدوم (قرية لوط) ، ... 15: عندما تبسطون نحوي أيديكم أحجب وجهي عنكم ، وإن أكثرتم الصلاة لا أستجيب ، لأن أيديكم مملوءة دما ، 16: اغتسلوا ، تطهّروا ، أزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عيني ، كفوا عن اقتراف الإثم ، 17: وتعلّموا الإحسان ، انْشدوا الحقّ ، انصفوا المظلوم ، اقضوا لليتيم ، ودافعوا عن الأرملة ، ... 19: إن شئتم وأطعتم ، تتمتعون بخيرات الأرض ، وإن أبيتم وتمرّدتم فالسيف يلتهمكم ، لأنّ فم الربّ قد تكلّم " (ويستطرد واصفا حال المدينة آنذاك) ، " 21: ... كانت تفيض حقّا ، ويأوي إليها العدل ، فأصبحت وكرا للمجرمين ، 22: صارت فضّتك مزيّفة ، وخمرك مغشوشة بماء ، 23: أصبح رؤساءك عصاة ، وشركاء لصوص

، يُولعون بالرشوة ويسعون وراء الهبات ، لا يدافعون عن اليتيم ، ولا تُرفع إليهم دعوى الأرملة " .

" 3: 8: قد كَبَت (وقعت) أورشليم ، انهارت يهوذا (المملكة) ، لأنهما أساءتا بالقول والفعل إلى الـرب ، وتمرّدتا على سلطانه ، 9: ملامح وجوههم تشهد عليهم ، إذ يجاهرون بخطيئتهم كسدوم ولا يسترونها ، فويل للذين جلبوا على أنفسهم شرّا ، 10: ولكن بشّروا الصدّيقين بالخير ، لأنهم سيتمتعون بثواب أعمالهم ، 11: أمّا الشرّير فويل له وبئس المصير ، 12: ... إن قادتكم يُضلّونكم ويقتادونكم في مسالك منحرفة ... " .

" 4: 11: ويل لمن ... يسعون وراء المُسْكِر ... ، 12: يتلهّون في مآدبهم بالعود والرباب والدف والناي والخمر ، غير مكترثين بأعمال الربّ ، ... 13: لذلك يُسبى شعبي لأنهم لا يعرفون ، ويموت عُظماؤهم جوعا ، وتهلك العامة عطشا ، ... 15: ويُذلّ الإنسان ويُخفض الناس ويُحطّ كل متشامخ فيها ، (الذل بعد العلو) ... 18: ويل لمن يجرّون الإثم بحبال الباطل ، ... 19: ويقولون ليُسرع ويُعجّل بعقابه حتى نراه (انظر الآيات 92،99 الإسراء و58،59 الكهف) ، ليُنفذ مقدّس إسرائيل مآربه فينا ، فندرك حقيقة ما يفعله بنا ، 21: ويل للحكماء في أعين أنفسهم ، والأذكياء في نظر ذواتهم ، ... 25: لذلك احتدم غضب الرب ضدّ شعبه ، فمدّ يده عليهم وضربهم ، فارتعشت الجبال ، وأصبحت جثث موتاهم كالقاذورات في الشوارع ، ومع ذلك لم يرتدّ غضبه ، ولم تبرح يده ممدودة بالعقاب ، 26: فيرفع راية لأمم بعيدة ، ويصفر لمن في أطراف الأرض ، فيقبلون مُسرعين ، 27: دون أن يكلّوا أو يتعثروا أو يعتريهم نُعاس أو نوم ، ... 28: سهامهم مسنونة ، وقسيّهم مشدودة ، حوافر خيلهم كأنها صوّان ، عجلات مركباتهم مندفعة كالإعصار ، 29: زئيرهم كأنه زئير أسد ، يزمجر وينقض على فريسته ، ويحملها وليس من منقذ ، 30: يُزمجرون ... كهدير البحر ، وإن جاس أحدهم في البلاد متفرسا ، لا يرى سوى الظلمة والضيق ، حتى الضوء قد احتجب وراء سحبه .. " .

10: 1: ويل للذين يسنّون شرائع ظلم ، وللكتبة الذين يسجّلون أحكام جور ، 2: ليصدّوا البائسين عن العدل ، ويسلبوا مساكين شعبي حقّهم ، لتكون الأرامل مغنما لهم ، وينهبوا اليتامى ، 3: فماذا تصنعون في يوم العقاب ، عندما تقبل الكارثة من بعيد ! إلى من تلجئون طلبا للعون ؟ وأين تودعون ثروتكم ؟ لم يبقى شيء سوى أن تجثوا بين الأسرى ، وتسقطوا بين القتلى ، ... 21: وترجع بقية ذرية يعقوب إلى الرب القدير ، مع أن شعبك يا إسرائيل ، فإن بقية فقط ترجع ، لأن الله قضى بفنائهم ، وقضاؤه عادل " .

" 46: 8: اذكروا هذا واتعظوا ، انقشوه في آذانكم أيها العصاة ، تذكّروا الأمور الغابرة القديمة ، لأني أنا الله وليس إله آخر ، 10: وقد أنبأت بالنهاية منذ البداية ، وأخبرت منذ القدم ، بأمور لم تكن قد حدثت بعد ، قائلا : مقاصدي لا بد أن تتم ، ومشيئتي لا بد أن تتحقق ، 11: أدعوا من المشرق الطائر الجارح ، ومن الأرض البعيدة برجل مشورتي ، قد نطقت بقضائي ، ولا بد أن أجريه ، ... 12: أصغوا إليّ يا غلاظ القلوب ، أيها البعيدون عن البرّ ، 13: لقد جعلت أوان بِرّي قريبا ، لم يعد بعيدا ، وخلاصي لا يُبطئ ...

30: 15-17: لأنه هكذا قال الرب ، قدّوس إسرائيل : إنّ خلاصكم مرهون بالتوبة والركون إليّ ، وقوّتكم في الطمأنينة والثقة بي ، لكنكم أبيتم ذلك ، وقلتم : لا بل نهرب على الخيل ، أنتم حقّا تهربون ، لهذا فإن مطارديكم يُسرعون في تعقّبكم ،

يهرب منكم ألف من زجـرة واحد ، وتتشـتّتون جميعا من زجـرة خمسة ، حـتى تُـتركوا كسارية على رأس جبل ...

نلاحظ أن إشـعياء يـدعوا إلى التوبة والإصـلاح ، ويصف ما وصل ببـني إسـرائيل من إفساد ، ويذّكرهم ويحذّرهم ، ويعيد إلى أذهانهم ، مضـمون تلك النبـوءة ، الـتي جـاءت في أسفار موسى ، ونصوص إشعياء لم تحمل في طياتها تصريح عن ماهية المبعـوثين ، سوى أن الفقرة الأخـيرة ، ذكـرت جهة مخـرج البعث ، وربما يكـون ذلك إضـافة من مؤلفي التوراة .

تحذيرات ارميا :

ارميا هو ثاني الأنبياء الكبار ، ويُقال أن هذا النبي ، عاش في الفترة ما قبل وما بعد ، التي وقع فيها السبي البابلي ، وكان فحـوى رسـالته : دعـوة قومه إلى التوبة والعـودة إلى الله ، والتخلي عن الأوهام ، وتقدير الله حقّ قدره ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، ولا يـردّ غضبه قوة أو مال أو جاه . وقد وُصف هـذا النـبي (بـالنبي البكّـاء) ، من كـثرة بكـاءه على قومه ، بعد وقوع الكارثة التي طالما حذّرهم منها ، فلم يستجيبوا له .

" 7: 2: اسمعوا كلام الرب ... 3: قوّموا طرقكم وأعمالكم فأُسكنكم في هذا الموضع ، 4: لا تتكلّوا على أقوال الكذب (النفاق) ، 5: لكن إن قوّمتم حقّاً طرقكم وأعمالكم ، وأجريتم قضـاءً عـادلا فيما بينكم ، 6: إن لم تجـوروا على الغـريب واليـتيم والأرملة ، ولم تسـفكوا دما بريئا ... وإن لم تضـلّوا وراء الأوثـان ، 7: عندئذ أُسـكنكم في هـذا الموضع ... إلى الأبد 8: ها أنتم قد اتكلتم على أقـوال الكـذب (نـافقتم) ، ولكن من غير جدوى ، 9: أتسرقون وتقتلون وتزنون ، وتحلفون زورا وتبخّرون للبعل (الصنم) ، 10: ثم تمثلـون في حضـرتي ...هل أصـبح هـذا الهيكل (الـذي أُقيم لـذكري) مغـارة لصوص ؟! ... 20: لذلك يُعلن الرب : ها غضبي وسخطي ينصبّان على هذا الموضع ...

" 8: 7: إن اللقلق في السماء يعرف ميعاد هجرته ، وكذلك ... ، أمّا شعبي فلا يعرف قضاء الرب ! 8: كيف تـدّعون أنكم حكمـاء ، ولـديكم شـريعة الـرب ، بينما حولها قلم الكتبة المخادع إلى أكذوبة ؟! سيلحق الخـزي بالحكمـاء ، ويعـتريهم الفـزع والـذهول ، لأنهم رفضـوا كلمة الـرب ، إذ أي حكمة فيهم ؟! لـذلك أُعطي نسـائهم لآخـرين ، وحقولهم للوارثين القاهرين ، لأنهم جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم مولعون بالربح ، حتى النبي والكاهن يرتكبان الزور في أعمالهما ، ويعالجون جراح شـعبي باسـتخفاف ، قائلين : سلامٌ ، سلامٌ ، في حين لا يوجد سلام ، هل خجلوا عنـدما ارتكبـوا الـرجس ؟! كلّا ! لم يخزوا قـطّ ، ولم يعرفـوا الخجل ، لـذلك سيسـقطون بين السـاقطين ، وحين أُعاقبهم يُطوّح بهم ، يقول الرب " .

" 10: 22: اسمعوا ، ها أخبـار تتـواتر عن جيش عظيم ، مقبل من الشـمال ، ليحـوّل مدن يهوذا ، إلى خرائب ومأوى لبنات آوى " .

" 6: 22: انظروا ، ها شعبٌ زاحف من الشمال ، وأمّة عظيمة تهبّ من أقاصي الأرض ، تسلّحتْ بـالقوس والـرمح ، وهي قاسـية لا تـرحم ، جلبتها كهـدير البحر ، وهي مقبلة على صـهوات الخيل ، قد اصـطفّت كإنسـان واحد ، لمحاربتك يا أورشـليم ، سـمعنا أخبـارهم المرعبة فـدبّ الـوهن في أيـدينا ، وتوّلانا كـرب وألم ، كـألم امـرأة تعـاني المخـاض ، لا تخرجـوا إلى الحقل ، ولا تمشـوا في الطريق ، فللعـدوّ سـيف ، والهـول مُحدّق من كل جهة ، فيا أورشليم ارتدي المسوح ، وتمرّغي في الرماد ، ونـوحي كمن ينـوح على وحيـده ، وانتحـبي نحيبا مـرا ، لأن المُـدمِّر ينقض علينا فجـأة ، إني أقمتك مُمتَحنا للمعدن (إقامة مملكتهم كـان لامتحـانهم) ، وجعلت شـعبي مـادةً خـام ، لكي

تعرف طرقهم وتفحصها ، فكلّهم عصاة متمرّدون ساعون في النميمة ، هم نحاس وحديد ، كلهم فاسدون " .

" 23: 3: وأجمع شتات غنمي من جميع الأراضي ، التي أجليتها إليها ، وأردّها إلى مراعيها ، فتنموا وتتكاثر ، وأُقيم عليها رعاة يتعهّدونها ، فلا يعتريها خوف من بعد ، ولا ترتعد ولا تضل ، ها أيام مقبلة أُقيم فيها لداود ذريّة بِرّ ، ملكا يسود بحكمة ، ويجري في الأرض عدلا وحقّا ، في عهده يتمّ خلاص شعب يهوذا ، ويسكن شعب إسرائيل آمنا " .

" 30: 3: ها أيام مقبلة أردّ فيها سبي شعبي ... ، وأعيدهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم فيرثونها ، (ثم يقول) : سمعنا صراخ رعب ، عم الفزع وانقرض السلام ، ... ، ما أرهب ذلك اليوم ، إذ لا مثيل له ، هو زمن ضيق على ذرية يعقوب ، ولكنها ستنجوا ، في ذلك اليوم ، يقول الرب القدير : أُحطّم أنيار أعناقهم وأقطع رُبطَهم (أي أرفع قيود العبودية والذل عنهم) فلا يستعبدهم غريب فيما بعد ، بل يعبدون الرب إلههم ، وداود ملكهم الذي أُقيمه عليهم (شرك بالله) ، ... فيرجع نسل إسرائيل ، ويطمئنُّ ويستريح ، من غير أن يُضايقه أحد ، ... ، فأبيدُ جميع الأمم التي شتَّتكَ بينها ، أمّ أنت فلا أُفنيك أُودّبك بالحق ، ولا أُبرّئك تبرئة كاملة ، ... ، (الخطاب موجّه لأورشليم) إن جرحك لا شفاء له ، وضربتك لا علاج لها ، إذ لا يوجد من يدافع عن دعواك ، ... ، قد نسيك محبّوك ، وأهملوك إهمالا ، لأني ضربتك كما يَضربُ عدوّ ، وعاقبتكِ عقابَ مبغضٍ قاسٍ ، لأن إثمك عظيمٌ وخطاياك متكاثرة ، ... ، لهذا أوقعتك بالمحن ، ولكن سيأتي يوم يُفترس فيه جميع مُفترسيك ، ويذهب جميع مضايقيك إلى السبي ، ويصبح ناهبيك منهوبين ، لأني أردّ لك عافيتك وأُبرئ جراحك " .

النصوص الأخيرة أعلاه ، من النصوص المضلّلة ، التي شكّلت قناعات ومعتقدات ، عامّة اليهود حكماءً ومغفلين ، وملخصها أنهم في المرة الثانية ، سيقيمون لهم دولة في أرض الميعاد ، ويُبعث لهم ملكا من نسل داود عليه السلام ، يحكم الأرض كلها بالحق والعدل ، وليس فلسطين فقط ، ففلسطين لا تتسع لأحلامهم وأوهامهم وهلاوسهم وأمانيّهم ، وينعم اليهود تحت حكمه ، بالسلام والأمن إلى الأبد (فلا بعثا ولا نشورا) ، ويكون فيها اليهود أسيادا ، وباقي خلق الله عبيدا تحت أقدامهم .

لقد أضاع كتبة التوراة الحقيقة ، وظلموا أجيالهم القادمة من حيث لا يعلمون ، فكذبوا الكذبة وصدّقها أبنائهم ، وأصبحت من صميم معتقداتهم ، فالمعاصرين من اليهود والنصارى ، يتعاملون مع كل نصوص التوراة ، بغثها وسمينها ، على أنها من عند الله ، ولا مجال لتكذيبها .

يقولون أن النص التالي ، هو رسالة من إرمياء إلى المسبيين في بابل ، يُخبرهم فيها أن مقامهم هناك سيكون طويلا ، وينصحهم فيها بأن يُقيموا فيها ويبنوا بيوتا ، ويتزوجوا ويتكاثروا ، وهذا جزء من نصها :

" 29: 10: ولكن بعد انقضاء سبعين سنة عليكم في بابل ، ألتفت إليكم وأفي لكم بوعودي الصالحة ، بردِّكم إلى هذا الموضع ، لأني عرفت ما رسمته لكم ، إنها خطط سلام لا شرّ ، لأمنحكم مستقبلا ورجاء ، ... ، وحين تجدونني ، أردُّ سبيكم ، وأجمعكم من بين جميع الأمم ، ومن جميع الأماكن التي شتّتكم إليها ، ... " .

في الحقيقة أن كتبة التوراة ، كانوا يعتقدون أن عودتهم الجزئية ، من بابل إلى أورشليم ، بعد (70) سنة من السبي ، في عهد كورش الفارسي كما يُروون ، هي العودة الثانية التي سيتحقق فيها ، النصف الثاني من نبوءة موسى وإشعياء وارميا ،

ومنذ ذلك اليـــوم وهم ينتظـــرون ، أن يُبعث فيهم (الملك الإله) ليُقيم لهم دولة في القدس ، فلم يكن لهم ذلك ، ويروى أن الـذين رجعـوا من بابل ، أعـادوا بنـاء الهيكل ، مع معارضة المقيمين . وطال انتظارهم ، وبين عاميّ (37ق.م – 70م) أي مائة سنة تقريبا ، حصـلوا على حكم ذاتي محـدود (المملكة الهيرودية ، وكـان الملك من أصل يهودي آرامي) ، تحت التاج الروماني ، وفي زمانهم تواجد زكريا ويحـيى ، وبُعث إليهم عيسى عليه السلام ، فتآمروا عليه ودفعـوه إلى الرومـان ، لقتله وصـلبه ، حيث كـانت سلطة القتل في أيدي الرومان الوثنيون .

وبعد زوال مملكتهم على يد (نبوخذ نصر) البــابلي عـــام 586م ، وحـــتى تشـــتّتهم النهائي على يد (هادريان) الروماني عام 135م ، أخـرج أغلبية اليهـود منها ، ولم تقم لليهــود في فلســطين قائمة ، وأقصى ما اســتطاعوا الحصــول عليه ، هو ذلك الحكم الذاتي ، في بداية الحكم الروماني لبلاد الشام ، حيث قضى هذا الإمـبراطور ، على أي أمل لهم ، في إعادة إقامة دولتهم الثانية ، فكان إنتشارهم في كافة أرجاء العالم .

(ولنكمل النصــوص من ســفر ارميا) ، " 31:ــ 8: ها آتي بهم من بلاد الشــمال ، وأجمعهم من أقصي أطــراف الأرض ، وفيهم الأعمى والأعــرج ، الحبلى والمــاخض ، فيرجع حشد عظيم إلى هنا "

" 31: 27: ها أيام مقبلة ، يقول الرب ، أُكثّر فيها ذرية إسرائيل ويهوذا ، وأُضاعف نتاج بهائمهم أضعافا ، وكما تربّصت بهم لأستأصل ، وأهـدم وأنقُض وأهلك وأسـيء ، كـذلك أسهر عليكم لأبنيكم وأغرسكم " .

" 31: 33: سأجعل شريعتي في دواخلهم ، ... ، وأكون لهم إلها ويكونون لي شـعبا ، لأني سأصفح عن إثمهم ، ولن أذكر خطاياهم من بعد " .

(وهذا محض افتراء وتحريف ، وتتبع هذه الأكذوبة عبارات مبهمة ، ومن ثم تُفاجأ بهـذه العبارة التي تقـول) : " عندئذ أنبذ ذرية إسـرائيل من أجل كل ما ارتكبـوه " ، (لتفهم أن العبارات المبهمة ، كانت بدلا من عبارات حـذفوها ، وهي عبـارات مفادها اشـتراط الإحسان للثواب والإفساد للعقاب) .

"31: 38: ها أيام مقبلة ، يُعاد فيها بناء هذه المدينة للرب ، ... ، ولن تستأصل أو تُهدم إلى الأبد " .

بالنظر في قولهم هذا ، وخاصة العبارة الأخيرة ، نجد أن مـؤلفي التـوراة ، قضـوا على أي أمل لليهود ، في الصلاح الإصلاح في دولتهم الحالية ، حيث أنه شـرط أساسـيّ في استمرار وجودهم ، فمؤدّى هـذه العبـارة ، أنهم سـيقيمون فيها إلى الأبد ، بغض النظر عن إصلاحهم أو إفسـادهم فيها ، لتصـبح نهاية دولتهم حتمية في الموعد المحـدّد ، وقد لاحظت من خلال تتبعي ، لما جاء في المرة الثانية ، أنهم بعد كل عقاب مأسـاوي يحل بهم ، يبـدءون بـذكر العـودة والجمع من الشـتات ، والبركة والكـثرة ، ويفيضـون فيها وصفا وشرحا ، والنتيجة تكـون على الـدوام هي ، انتصـار ربهم على أعـدائهم ومحقهم عن بكرة أبيهم ، وجعل أرضهم صـحراء قاحلة ، أما هم فيعشـون جنة ونعيما ، ويكـون لهم الملك في الأرض إلى الأبد ، بعد أن رضيَ عنهم ربهم ورضوا عنه .

(وانظر إلى هذه النبوءة في المرة الثانية على لسان الرب) "42: 10: إن أقمتم في هذه الأرض ، فإني أبنيكم ولا أهـدمكم ، وأغرسـكم ولا أستأصـلكم ، لأني أسـفت على الشرّ الذي ألحقته بكم (ربهم يأسف) ، لا تخشوا ملك بابل ، الذي أنتم منه خـائفون ، فإني معكم لأخلصكم وأنجيكم من يده (بلا قيد أو شـرط) ، وأنعم عليكم ، فـيرحمكم ويردّكم إلى أرضكم " ، (فربهم يأسف ، ويحضّهم على عدم الخشية من ملك بابل) .

السبي البابلي :

هذا الحدث المشهور تاريخيا والمعروف (بالسبي البابلي) ، هو أول وأقسى وأفظع حدث ، وقع في تاريخ اليهود كأمة ، أثناء تواجدهم في فلسطين ، من حيث الأذى الجسدي والنفسي ، وكان له أبلغ الأثر ، في وجدان وفكر الشعب اليهودي ، وليس أدل على ذلك ، من أن عدد الصفحات ، التي تتطرّق إلى ذكر متعلّقات هذا الحدث ، وتفصّله من جميع جوانبه ، هو (350 ـ 400) صفحة ، أي ما يُعادل ثلث التوراة . وقد جاء في كتاب (الاختراق الصهيوني للمسيحية) للقس إكرام لمعي ، ونقلا عن كتاب (تاريخ اليهود) للكاتب (بول جونسون) ما نصه : " وفي بابل لم يعامل اليهود معاملة سيئة ، فقد وجدت مخطوطات بجوار عشتاروت – أقدم مدن بابل – وجد فيها قائمة بأسماء المسبيين ، ونشاطهم في بابل ، وكان بها اسم (يهوياكين) ملك يهوذا ، وبعض الأسماء الأخرى ، وموضح بها أن اليهود عملوا بالتجارة ، واكتسبوا أموالا كثيرة ، وكانت لهم أوضاعهم المتميزة إلى حدّ ما " . وأما أشور فيشير نفس الكاتب ، إلى عدم وجود أي دليل من ذكر أو أثر ، يؤكد رواية سبيهم إليها .

رواية التلمود عن تدمير الهيكل :

نص منقول عن كتاب (التلمود تاريخه وتعاليمه) لظفر الإسلام خان :

" عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها ، وفاقت حدود ما يُطيقه الإله العظيم ، وعندما رفضوا أن يُنصتوا لكلمات وتحذيرات ارميا ، ترك النبي أورشليم وسافر إلى بلاد بنيامين ، وطالما كان النبي لا يزال في المدينة المقدّسة ، كان يدعو لها بالرحمة فنجت ، ولكنه عندما هجرها إلى بلاد بنيامين ، دمّر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل ، وحطّم الهيكل المقدّس ، ونهب مجوهراته ، وتركه فريسة للنيران الملتهبة ، وكان نبورذدان الذي آثر البقاء في ريبله (منطقة سورية بالقرب من حماة) ، قد أرسل نبوخذ نصر لتدمير أورشليم " .

" وقبل أن يبدأ نبوخذ نصر حملته العسكرية ، سعى لمعرفة نتائج الحملة ، بواسطة الإشارات نظرا لذهوله ، فرمى من قوسه نحو المغرب ، فسارت باتجاه أورشليم ، ثم رمى مرة أخرى نحو الشرق ، لكن السهم اتجهت نحو أورشليم ، ثم رمى مرة أخرى ، ليتأكد من محل وقوع المدينة المُذنبة ، التي وجب تطهيرها من الأرض ، وللمرة الثالثة إتجهت سهمه نحو أورشليم ، وبعد أن استولى نبوخذ نصر على المدينة ، توجّه مع أمرائه وضباط جيشه ، إلى داخل الهيكل ، وصاح ساخرا مخاطبا إله إسرائيل : وهل أنت الإله العظيم الذي يرتعد أمامه العالم ؟ ها نحن في مدينتك ومعبدك ! " .

" ووجد نبوخذ علامة لرأس سهم ، على أحد جدران الهيكل ، كأن أحدا قُتل أو أُصيب بها ، فسأل : من قُتل هنا ؟ فأجاب الشعب : (زكريا بن يهوياداه) كبير الكهنة ، لقد كان يُحذّرنا في كل ساعة من حساب اعتداءاتنا ، وقد سئمنا من كلماته ، فانتهينا منه . فذبح جنود نبوخذ نصر سكان أورشليم ، كهنتها وشعبها ، كهولها وشبابها ونسائها وأطفالها ، وعندما شاهد كبير الكهنة هذا المنظر ، ألقى بنفسه بالنار ، التي أشعلها نبوخذ نصر في الهيكل ، وتبعه بقية الكهنة مع عودهم وآلاتهم الموسيقية الأخرى ، ثم ضرب جنود نبوخذ نصر السلاسل الحديدية ، في أيدي باقي الإسرائيليين " .

" ورجع ارميا النبي إلى أورشليم ، وصحب إخوانه البؤساء ، الذين خرجوا عرايا ، وعند وصولهم إلى مدينة ، تُسمى بيت كورو ، هيّأ لهم ملابس جيدة ، وتكلّم مع نبوخذ نصر

والكلدانيين ، قائلا لهم : لا تظن ، أنك بقوتك وحدها ، استطعت أن تتغلّب على شعب الرب المُختار ، إنها ذنوبهم الفاجرة ، التي ساقتهم إلى هذا العذاب " .

نجد أن رواية التلمود أكثر وضوحا من رواية التوراة ، حيث أنها لم تذكر مملكتين ، وتؤكد أن اسم المملكة الجنوبية ، المقام فيها الهيكل هو إسرائيل ، وليس يهوذا كما ذُكر في التوراة . وأن من أسقطوا عليهم اسم إسرائيل والمملكة الشمالية ، هم الذين أخرجوا من ديارهم ، ولم يقع فيهم السبي الآشوري المزعوم ، وبقوا على حالهم خارج حدود المملكة ، حيث يذكر النص التلمودي أن ارميا النبي لجأ إليهم " ترك النبي أورشليم وسافر إلى بلاد بنيامين " . وبنيامين حسب التوراة ، هو الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام ، وهذا يوحي أن الحقد القديم بين الأخوة الآباء ، توارثه الأبناء على مرّ العصور ، وبأن الأسباط الأخرى القوية ، أخرجت سبط بنيامين المستضعف ، عندما سيطرت على مقاليد الحكم ، بعد سليمان عليه السلام . وبالتالي يُثبت هذا النص وقوع السبي البابلي ، وينفي وقوع السبي المسمى بالآشوري . وأن أشور وبابل آنذاك ، تسميتان لمملكة واحدة ، عند كتبة التوراة ، وأن أحد مصادر التوراة ذكر على أنه بابلي ، والأخر ذكره على أنه آشوري ، وأما نبوخذ نصر ، فتجده أحيانا ملكا ، وأحيانا وزيرا أو قائدا للجيش ، أو قائدا للحرس .

مقتطفات من رثاء ارميا لشعبه ولأورشيلم بعد السبي البابلي :

(من كتاب مراثي ارميا في نهاية سفره) : " 1: كيف أصبحت المدينة الآهلة بالسكان مهجورة وحيدة ؟! هذه التي كانت عظيمة بين الأمم ، صارت كأرملة ! صارت السيدة بين المدن تحت الجزية ! تبكي في الليل بمرارة ، وتنهمر دموعها على خدّيها ، لا مُعزّي لها بين مُحبيها ، غدر بها جميع خلّانها ، وأصبحوا أعداءً لها ، سُبيت يهوذا إلى المنفى ، ... ، فأقامت شقية بين الأمم ، ... ، تهدّمت جميع أبوابها ، ... ، ارتكبت أورشليم خطيئة نكراء فأصبحت نجسة ، ... ، لم تذكر آخرتها لهذا كان سقوطها رهيبا ، ... ، بدّد الربّ جميع جبابرتي في وسطي ، وألّبَ عليّ حشدا من أعدائي ليسحقوا شُبّاني ، داس الربّ العذراء بنت صهيون ، كما يُداس العنب في المعصرة ، ... ، الربّ عادل حقا ، وقد تمرّدت على أمره ، فاستمعوا يا جميع الشعوب ، واشهدوا وجعي ، قد ذهب عذارايَ وشبّاني إلى السبي ، ... ، فَنِيَ كهنتي وشيوخي في المدينة ، ... ، ها السيف يثكل في الخارج ، ويسود الموت في البيت ... " .

" 2: قد هدم الربّ بلا رحمة ، جميع مساكن يعقوب ، ... ، وألحق العار بالمملكة وحكّامها ، إذ سوّاها بالأرض ، ... ، وتّر قوسه كعدوّ ، نصب يمينه كمُبْغِض ، ذبح بقسوة كلّ عزيز في عيوننا ، ... ، وهدم جميع قصورها ودمّر حصونها ، ... ، جلس شيوخ ابنة صهيون على الأرض صامتين ، عفّروا رؤوسهم بالرماد ، وارتدوا المسوح ، وطأطأت عذارى أورشليم رؤوسهن إلى الأرض ، كلّت عيناي من البكاء ، ... ، نفّذ الرب قضاءه ، وحقق وعيده الذي حكم به منذ الحقب السالفة ، هدم ولم يرأف ، فأشمت بك الخصوم ، وعظّم قوة عدوك ، ... ، انظر يا ربّ وتأمّل ، ... ، قد انطرح الصبيان والشيوخ في غبار الطرقات ، سقط عذارايَ وشُبّاني بالسيف ، قد قتلتهم في يوم غضبك ، ونحرتهم من غير رحمة ... "

" 3: أنا هو الرجل الذي شهد البلية ، التي أنزلها قضيب سخطه ، ... ، ولكن هذا ما أُناجي به نفسي ، لذلك يغمرني الرجاء ، من إحسانات الرب ، أننا لم نفنَ ، لأن مراحمه لا تزول ، ... ، فلماذا يشتكي الإنسان حين يُعاقب على خطاياه ؟ ... ، لنفحص طرقنا ونختبرها ، ونرجع إلى الرب ، لنرفع أيدينا وقلوبنا إلى الله في السماوات ، ... "

" 4: ... ، لأن عقاب إثم ابنة شعبي ، أعظم من عقاب خطيئة سدوم ، التي انقلبت في لحظة ، من غير أن تمتدّ إليها يد إنسان ، كـان نُبلاؤها ، أنقى من الثلج ، وأنصع من اللبن ، أجسادهم أكثر حمرة من المرجان ، وقاماتهم كالياقوت الأزرق ، فأصبحت صورتهم أكثر سوادا من الفحم ، فلم يُعرفوا في الشوارع ، ... ، نفث الربّ كامل سخطه ، وصبّ حموّ غضبه ، وأضرم نارا في صهيون ، فالتهمت أُسسها ، ... ، عقابا لها على خطايا أنبيائها ، وآثام كهنتها ، الذين سفكوا في وسطها دماء الصدّيقين ، ... ، آذنت نهايتنا ، وتمّت أيامنا ، وأزِفت خاتمتنا ، كان مُطاردونا أسرع من نسور السماء ، تعقّبونا على الجبال ، وتربّصوا بنا في الصحراء ، ... "

" 5: اذكر يا ربّ ما أصابنا ، انظر وعاين عارنا ، قد تحوّل ميراثنا إلى الغرباء ، وبيوتنا إلى الأجانب ، أصبحنا أيتاما لا أب لنا ، وأمهاتنا كالأرامل ، ... ، داس مُضطهدونا أعناقنا ، أعيينا ولم نجد راحة ، خضعنا باسطين أيدينا إلى أشور ومصر ، لنشبع خبزا ، ... ، تسلّط علينا عبيد ، وليس من يُنقذنا من أيديهم ، ... ، اغتصبوا النساء في صهيون ، والعذارى في مُدن يهوذا ، عُلّقَ النبلاء من أيديهم ، ولم يوقّروا الشيوخ (كبار القوم) . سخّروا الشُبّان للطحن ، وهوى الصبيان تحت الحطب ، هجر الشيوخ (كبار السن) بوّابات المدينة ، وكفّ الشبّان عن غنائهم ، انقطع فرح قلوبنا ، وتحوّل رقصنا إلى نوح ، تهاوت أكاليل رؤوسنا ، فويل لنا لأننا قد أخطأنا ، لهذا غُشِي على قلوبنا ، وأظلمت عيوننا ، لأن جبل صهيون أصبح أطلالا ، ترتع فيه الثعالب " .

فلسطين عبر التاريخ

منذ نشأة مملكة اليهود الأولى ، وحتى نشأة دولتهم الثانية

تاريخ ما قبل الميلاد :

طالوت (شاول) ملكاً على اليهود . 1020 ق.م

عصر الملك سليمان وبناء الهيكل في القدس . 965 – 928 ق.م

تقسيم دولة إسرائيل الى مملكة إسرائيل (شمالية) ويهودا (جنوبية) . 928 ق.م

فلسطين تحت الحكم الآشوري . 732 ق.م

فتح الآشوريون لمملكة إسرائيل ، ونهاية مملكة إسرائيل (الشمالية) . 721 ق.م

انتصار البابليين بقيادة " نبوخذ نصر" على مملكة يهودا (في القدس) ، وتدمير الهيكل ، وترحيل سكانها إلى بابل . 586 ق.م

الاسكندر يهزم الفرس ، وتصبح فلسطين تحت الحكم اليوناني . 333 ق.م

موت الاسكندر يؤدي لتغيير الحكم الى البطالسة (في مصر) والسالوقيين (في سوريا) . 323 ق.م

بداية حكم البطالسة . 301 ق.م

تمرّد المكابيين (اليهود) ضد الحكم السالوقي ، للعمل على إنشاء دولة يهودية مستقلة . 165 ق.م

فلسطين ضمن الإمبراطورية الرومانية (بعد استيلاء الرومان عليها) . 63 ق.م

استيلاء الفرس على فلسطين . 40 ق.م

عودة الحكم الروماني الوثني للمنطقة . 38 ق.م

القضاء على المكابيين وابتداء حكم الهرادسة في فلسطين . 37 ق.م

تاريخ ما بعد الميلاد :

تدمير الهيكل الثاني على يد الإمبراطور الروماني (تيطس أو تايتوس) . 70م

إخماد ثورة (باركوبا) اليهودي ضد الرومان ، وإبعاد بقية اليهود عن القدس ، على يد الإمبراطور (هادريان) . 132- 135م

فلسطين تحت الحكم البيزنطي (نسبة إلى بيزنطة) . 313 – 638م

(في عام 330م أسّس الإمبراطور قسطنطين ، الذي جعل المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية ، عاصمة جديدة للنصف الشرقي في بيزنطة عُرفت بالقسطنطينية . وفي عام 395م انقسمت الإمبراطورية الرومانية ، إلى قسمين : شرقية عاصمتها بيزنطة (القسطنطينية) وغربية وعاصمتها روما ، ومع اتخاذ المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية ، بدأ عصر الاضطهاد المسيحي لليهود ، واستمرّ حتى منتصف القرن الماضي)

العرب المسلمون يفتحون فلسطين ، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . 638م

فلسطين تحت الحكم الإسلامي (الأمويون ، العباسيون ، الفاطميون ، السلاجقة) . 638 - 1099م

الصليبيون يقيمون المملكة اللاتينية في القدس . 1099 - 1187م

صلاح الدين الأيوبي يهزم الصليبيين في معركة حطين . 1187م

فلسطين تحت حكم المماليك بعد هزيمة المغول فى موقعة عين جالوت . 1220م

فلسطين جزء من الإمبراطورية العثمانية وعاصمتها استنبول (القسطنطينية) . 1516 - 1917م

تاريخ فلسطين الحديث :

إنشاء أول مستوطنة زراعية صهيونية (بتاح تكفا) في فلسطين . 1878م

البارون (ادموند دورتشلد) ، يبدأ دعمه المالي للمستوطنات اليهودية . 1882م

أول موجة من 25 ألف مهاجر صهيوني تدخل فلسطين ، وغالبيتهم من أوروبا الشرقية . 1882 – 1903م

ينعقد المؤتمر الصهيوني الاول " في بال بسويسرا " ويصدر " برنامج بال " الذي يدعو إلى إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين ، ويقرر إنشاء (المنظمة الصهيونية العالمية WZO) ، للعمل من أجل هذا الهدف . 1897م

إنشاء أول كيبوتز على قاعدة العمل اليهودي ، إنشاء قاعدة تل أبيب شمالي يافا . 1909م

بداية الحرب العالمية الأولى . 1914م

المراسلات بين الشريف حسين (شريف مكة وقائد الثورة العربية ضد العثمانيون) ، وبين سير هنري مكماهون (المندوب السامي في مصر) ، تنتهي إلى اتفاق استقلال ووحدة البلاد العربية ، تحت الحكم العربي بعد انتهاء الحرب . 3/1/1916م

اتفاقية (سايكس بيكو) السرية ، لتقسيم البلاد العربية ، التي كانت تحت الحكم العثماني بين بريطانيا وفرنسا . 16/5/1916م

(وقد كشف البلاشفة (الروس) النقاب عنها في تشرين أول 1917م)

الشريف حسين يعلن استقلال العرب ، عن الحكم العثماني ، وبداية الثورة العربية . 1916م

وزير الخارجية البريطاني (بلفور) ، يتعهد بالدعم البريطاني ، لوطن قومي لليهود في فلسطين . 2/11/1917م

قوات الحلفاء بقيادة الجنرال اللنبي البريطاني تحتل فلسطين . -/9/1917م

نهاية الحرب العالمية الأولى . 30/10/1918م

المجلس الأعلى لمؤتمر السلام سان ريمو يعطي بريطانيا الانتداب على فلسطين . 25/4/1920م

المندوب السامي سير هربرت صموئيل السياسي اليهـودي الإنجلـيزي يدشن " الإدارة المدنية البريطانية " . 1/7/1920م

عصبة الأمم تقرّ الانتداب على فلسطين . 24/7/1921م

بداية الحرب العالمية الثانية . 1/9/1938م

اللجنة الأمريكية – الإنجليزية لتقصي الحقائق ، تصل إلى فلسطين . 6/3/1946م

تقرير اللجنة الأمريكية الإنجليزية يقدر حجم القوات المسـلحة اليهودية (61 -ـ 69) ألف فرد ، ويوصي بقبول 100.000 يهودي في فلسطين ، وفلسطين تضرب احتجاجا . (هنا تدخل العناية الأمريكية) . -/5/1946م

لجنة الأمم المتحـــدة الخاصة تقـــترح خطة للتقســـيم ، والجامعة العربية ترفضـــها . 8/9/1947 م

بريطانيا تعلن أنها ستغادر فلسطين خلال ستة شـهور إذا لم يتم التوصل الى تسـوية . 29/10/1947م

الجمعية العامة للأمم المتحدة ، توصي بتقسيم فلسـطين بنسـبة 56.5% لدولة يهودية ، ونسبة 43% للدولة الفلسطينية ، ومنطقة دولية حول القدس . 29/11/1947م

الجامعة العربية تنظم جيش الإنقاذ العربي (قوة متطوعين بقيـادة فـوزي القـاوقجي ، لمساعدة الفلسطينيين في مقاومة التقسيم) . -/12/1947م

بريطانيا توصي الأمم المتحدة ، بإنشاء دولـتين يهودية وفلسـطينية ، بعد أسـبوعين من انتهاء الانتداب . 8/12/1947م

جيش الإنقاذ العربي يشن هجمات ناجحة على المستعمرات الإسرائيلية شمالي بيسان . 16/2/1948م

القـاوقجي يـدخل فلسـطين ويقـود وحـدات جيش الإنقـاذ في مثلث جـنين – نـابلس- طولكرم . 5-7/3/1948م

الرئيس الأمريكي (ترومان) يدعو الى هدنة فورية للقتال . 25/3/1948م

عصابة شتيرن ترتكب مذبحة في دير ياسين بالقرب من القدس تسفر عن مقتل اكـثر من 250 شخصاً . 9/4/1948م

قرار لمجلس الأمن يدعو إلى هدنة . 17/4/1948م

نهاية الانتـــداب البريطـــاني ، وإعلان الدولة الإســـرائيلية من تل أبيب . 15/5/1948م

القوات اللبنانية تعبر الحدود وتستعيد مؤقتا قرى المالكية وقدس من الهاجاناة . 15-17/5/1948م

القوات الأردنية تعبر نهر الأردن ، وتتحرك صوب القدس ، وتسيطر على الشـيخ جـراح والحي اليهودي ، في المدينة القديمة . 15- 28/5/1948م

الوحـدات العراقية تعـبر نهر الأردن ، وتتحـرك نحو مثلث نـابلس ، جـنين ، طـولكرم . 15/5 – 4/6/1948م

القــوات المصــرية تعــبر الحــدود ، وتتحــرك عــبر الســاحل إلى اســدود . 15/5 – 7/6/19489م

تقدم الطوابير السورية عبر الشمال . 16/5- 10/6/1948م

مجلس الأمن الدولي يعين الكـونت (فولك برنـادوت) كوسـيط دولي في فلسـطين . 20/5/1948م

قرار مجلس الأمن الدولي ، بوقف إطلاق النار . 22/5 /1948م

الهدنة الأولى . 11/6- 8/7/1948م

الهدنة الثانية . 18/7- 15/10/1948م

تقرير الوسـيط الـدولي (برنـادوت) يقـترح تقسـيم فلسـطين الى دولـتين ؛ عربية وإســرائيلية ، مع بقــاء القــدس منطقة دولية ، وتُــرفض من العــرب وإســرائيل . 16/9/1948م

اغتيال الوسيط الدولي (برنـادوت) في القـدس ، بواسـطة عصـابة شـتيرن ، ويخلفه نائبه الأمريكي (رالف باتش) .

عام 1949م :

توقيع اتفاقيـات الهدنة من قبل الـدول العربية الـتي شـاركت في حـرب 48 باسـتثناء العراق :

24/2 الهدنة المصرية – الإسرائيلية .

23/3 الهدنة اللبنانية – الإسرائيلية .

3/4 الهدنة الأردنية - الإسرائيلية .

20/5 الهدنة السورية – الإسرائيلية .

المراحل الزمنية في تاريخ اليهود حسب ما جـاءت في سـورة الإسراء

توضح الآيات من (4 ـ 8) من سورة الإسراء ، خمس مراحل زمنية ، من تاريخ بني إسرائيل ، وهي **:**

- المرحلة الأولى : (**وَقَضَـيْنَا إِلَى بَنِي إِسْـرائِيلَ فِي الْكِتَـــابِ لَتُفْسِـدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** (4)

(زمن موسى عليه السلام ، حيث أوحى إليه ربه عز وجل ، فيما أنزل إليه من الكتاب نص هــذه النبــوءة ، والأرجح أنها أنــزلت في بداية فــترة التيه قبل أربعين عاما ، من دخولهم الأول للأرض المقدسة) .

- المرحلة الثانية : (**فَــإِذَا جَــاءَ وَعْــدُ أُولَاهُمَا .... وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا** (5)

(منذ نهاية فترة التيه ... بـدء حـرب الملك طـالوت ، لـدخول الأرض المقدسة ...مُلك ونبوّة داود وسليمان عليهما السـلام ... مُلك مُتـوارث بـدون نبـوّة : فسـاد وإفسـاد ... حتى السبي البابلي سنة 586 قبل الميلاد) .

- المرحلة الثالثة : (... **ثُمَّ** ... (6)

(منذ السبي البابلي ... بعث عيسى عليه السلام ... نـزول سـورة الإسـراء بنص هـذه النبوءة سنة 621م ... إلى ما قبل حرب 1948م) .

- المرحلة الرابعة : (**رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَــرَّةَ عَلَيْهِمْ ... ... وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** (7)

(منذ قيام دولة إسـرائيل (15/5/1948م) ... وانتصـار الجيش إسـرائيلي في حروبه ... ووصول الدولة إلى قمة مجدها ... حتى نهايتها) .

- المرحلة الخامسة : (**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ...** (8)

(منذ نهاية إسرائيل ... قيام الدولة العربية المتحدة في بلاد الشام والعراق ... الحرب العالمية النووية الثالثة ... ظهـور المهـدي ... معـارك المهـدي ... قيـام الإمبراطورية الإسلامية وعاصمتها القدس ... خروج الدجال ... نزول عيسى عليه السلام ... هروب الدجال وأتباعه إلى فلسطين ... قتل الدجال ... نطق الحجر والشـجر ... حـتى الـذبح النهائي لبني إسرائيل على أرض فلسطين) .

[نهاية الجزء الأول]

الجزء الثاني

الفصل الأول :

المؤامرة اليهودية على العالم

الفصل الثاني :

النبوءات التوراتية بين الماضي والمستقبل

الفصل الثالث :

النبوءات الإنجيلية بين الماضي والمستقبل

الفصل الرابع :

الغربيون وهوس النبوءات التوراتية والإنجيلية

الفصل الخامس :

السياسة الأمريكية ونبوءات التوراة والإنجيل

الفصل السادس :

الكتب المقدّسة تأمر اليهود بتدمير أصحاب البعث

المؤامرة اليهودية على العالم

" **ويل للمُتآمرين بالسوء ، الذين يحيكون الشرّ ، وهم في مضاجعهم ، الذين يُنفّذون عند طلوع الفجر ، ما خطّطوا له** (في الليل) **، لأن ذلك في مُتناول أيديهم ، يشتهون حقولا فيغتصبونها ، وبيوتا فيستولون عليها ، يجورون على الرجل ، وعلى بيته ، وعلى الإنسان وميراثه** " (التوراة : سفر ميخا ، 2: 1-2) .

" **قد باد الصالح من الأرض ، واختفى المُستقيم من الناس ، جميعهم يكمنون لسفك الدماء ، وكل واحد منهم يقتنص أخاه . تَجِدُّ أيديهم في ارتكاب الشرّ ، ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة ، ويملي العظيم عليهم أهواء نفسه ، فيتآمرون جميعا على الحقّ . أفضلهم مثل العوسج ، وأكثرهم استقامة مثل سياج الشوك** " (التوراة : سفر ميخا ، 7: 2-3) .

هذه النصوص التي تكشف حقيقة اليهود والعقلية التي يفكّرون ، لم تخطّها قلم كاتب عربي أو غربي حاقد ، على اليهود واليهودية ، من المعادين للسامية اليهودية ، وإنما جاءت في التوراة ، كتاب اليهود والنصارى المقدّس . وبالرغم من ذلك ما زال الكثير ، من مفكري وكتاب العرب في هذا العصر الأغبر ، ينكر أن هناك مؤامرة تُحاك ضد كل ما هو مسلم ، وضد كل ما هو عربي ، بل ضد كل ما هو غير يهودي ، ويتهمون كل من يقول بذلك ، بأنه من مؤيدي نظرية المؤامرة ، التي لا أصل لها من الصحة . أما ما نقوله نحن في هؤلاء أحد أمرين ، إما أن يكونوا شركاء في المؤامرة ، ويعملون ما بوسعهم لتجهيل الناس بعلم ، حتى لا يتنبّهوا لأسلحتها ورموزها فيُقاوموها ، وإما أن يكونوا أناس ، يعيشون على سطح كوكبٍ ، غير الذي نعيش فيه ، يُدلون بدلوهم ليُضلّوا الناس بغير علم .

الديانة اليهودية :

لنعلم أن تسمية القرآن لبني إسرائيل باليهود ، أُطلقت عليهم لقولهم (**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ** (156 الأعراف) ، وذلك بعد اتخاذهم العجل ، بمعنى أنهم أعلنوا التوبة عن فعلهم والرجوع إلى الله ، وفي الحقيقة كان ذلك قولهم بألسنتهم ، وأما قلوبهم فأشربت وشُغفت بعبادة العجل ، حيث قال سبحانه (**قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (93 البقرة) ، وكان هذا حالهم بمعية نبيهم موسى عليه السلام . ولم يختلف حالهم مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، حيث قال فيهم سبحانه (**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ، وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** (46 النساء) .

وأما الديانة اليهودية : فهي معتقد ، اختلط فيه شيء ، من بقايا مشوّهة لكتب أنبيائهم ، مع آراء وتفسيرات أحبارهم ، ومعتقدات وأساطير وخرافات الأقوام ، التي عاشوا فيما بينها ، على مرّ العصور ، ومصدر هذه العقيدة في الأصل هو التوراة ، والتي سبق أن قلنا أنها كُتبت بشكلها النهائي ، في القرن الأول الميلادي ، قبل خروجهم النهائي من فلسطين ، وتشتّتهم في كافة أرجاء الأرض .

وفيما بعد السبي البابلي ، قام كهنتهم وأحبارهم (حكمائهم) ، بتأليف كُتب جمعوا فيها ، معتقداتهم وآرائهم وشروحهم للتوراة ، وقالوا أنها القانون الشفوي ، الذي لم يأتِ به موسى عليه السلام مكتوبا ، والذي تناقلوه شفاها عبر الأجيال ، وجُمعت هذه المؤلفات فيما سُمّي بالتلمود ، والذي يعتبرونه أكثر قُدسية من التوراة نفسها ، ولديهما تلمودان أحدهما جُمع في فلسطين عام 400 م ، وسُميَ تلمود أورشليم ، والآخر جُمع في بابل عام 500 م ، وسُميَ تلمود بابل ، وهو الأشهر ويقع في 36 مُجلّدا . وقد كان التلمود يُعامل بسرية ، فيما بين اليهود ، وقد تم طبعه في أوروبا ، في القرون الوسطى ، وكلّما أُكتشف أمره في الدول الأوربية ، كان يُصادر ويُجمع ويُحرق ، وكان اكتشافه سببا ، في كثير من حالات الاضطهاد والتعذيب والقتل والنفي لليهود . ومن هذا نخلص إلى أن الديانة اليهودية ، هي ما جاء من معتقدات في التلمود أولا وثانيا وثالثا ... ، والتوراة على ما بقي فيها من وحي أخيرا .

ماهية التلمود ومعتقدات اليهود :

قال د. (جوزيف باركلي) أحد الباحثين في التلمود : " وبعض أقوال التلمود مغالٍ (مُبالغ فيه) ، وبعضها كريه ، وبعضها الآخر كفر . ولكنها تشكّل في صورتها المخلوطة ، أثراً غير عادي ، للجهد الإنساني ، وللعقل الإنساني ، وللحماقة الإنسانية " .

ومما جاء في التلمود من تعاليم ، نعرض بعض المقتطفات التالية ، من كتابيّ (تعاليم التلمود) لظفر الإسلام خان ، و(بروتوكولات حكماء صهيون) لعجاج نويهض :

يقول عجاج نويهض : " هذه الكلمات للعلامة (بولس حنا مسعد) ، صاحب كتاب (همجية التعاليم الصهيونية) ، ومما قاله المؤلف في مقدمته : " للمسيحي إنجيله يبشّر به العالم ، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب ، أما الإسرائيلي فله كتابان ؛ كتاب معروف وهو التوراة ، لا يعمل به ، والآخر مجهول لا يعرفه العالم (التلمود) ، يفضّله على الأول ويدرسه خفية ، وهو أساس كل مصيبة . والنصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع ، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين . أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله ، لهم وحدهم ، زد على ذلك ، أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض ، ملك لبني إسرائيل ، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان ، خلقوا عبيدا لهم . هم منحدرون من الله ، كما ينحدر الابن من أبيه ، وشعوب الأرض مشتّقة من الأرواح النجسة ، ولم يُعطوا صورة الإنسانية ، إلا إكراما لبني إسرائيل " .

نظرة التلمود لكافة البشر :

المخلوقات نوعان ؛ علوي وسفلي . العالم يسكنه سبعون شعبا بسبعين لغة . إسرائيل صفوة المخلوقات ، واختاره الله ، لكي تكون له السيادة العليا ، على بني البشر جميعا ، سيادة الإنسان على الحيوان المُدجّن . " إن نفوس اليهود منعّم عليها ، بأن تكون جزءا من الله ، فهي تنبثق من جوهر الله ، كما ينبثق الولد من جوهر أبيه " ، و" هذا السبب يجعل نفس اليهودي ، أكثر قبولا عند الله ، وأعظم شأنا عند الله ، من نفوس سائر الشعوب ، لأن هؤلاء تُشتقّ نفوسهم من الشيطان ، وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد " .

ولهذا يقول التلمود : " أن زرع (نطفة) الرجل غير اليهودي هي زرع حيواني " . و" زرع الأغراب كزرع الحصان " . و" إن غير اليهود كلاب عند اليهود " . و" إن غير اليهودي ، لا يختلف بشيء عن الخنزير البري " . و" إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات " ، و" قد كُتب على شعوب الأرض : لحومكم من لحوم الحمير ، وزرعكم

من زرع الحيوانـات " . و" كما أن ربة الـبيت تعيش من خـيرات زوجها ، هكـذا أبنـاء إسرائيل ، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم ، دون أن يتحمّلوا عناء العمل " .

نظرة التلمود إلى العرب (القدماء) :

أمة مُحتقرة ، من العار الزواج بعربية ، يعبدون الأصنام ، مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم ، صفتهم الغدر وكراهية اليهود ، كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر .

التعامل مع الملل الأخرى :

" إن عبدة الأوثان ، الذين لا يعتنقون الـدين اليهـودي ، والمسـيحيين والمسـلمين ، هم في نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود " . و" يسمح التلمود لأصـدقاء الله وأقاربه ، في أن يُضلّوا الأشرار " . و" ممنوع السلام على الكفار " ، ولكنّ " الرياء مسموح به " . و" يُمكنك أن تغشّ الغريب وتدينه بالربا الفاحش " . و" يجب انـتزاع قلب النصـراني من جسده ، وإهلاك علية القوم منهم " . و" إذا ردّ أحد اليهود إلى الغريب ما أضـاعه ، فالرب لا يغفر له أبدا " . و" أقتل عبدة الأوثان ، ولو كان أكـثر النـاس كمـالا " . و" إذا وقع وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر " . و" من يسـفك دم الكفـار (غـير اليهـود) بيده ، يقدّم قربانا مُرضيا لله " . وإجمالا يقـول التلمـود : أن من ينتهك الوصـايا العشر مع غير اليهود فهو جائز بل واجب .

التجديف على الله :

" اليهود يضعون التلمود فوق التوراة ، والحاخام فوق الله ، والله يقرأ وهو واقف على قدميه ، وما يقوله الحاخام يفعله الله ، إن تعـاليم اللاهوتـيين في التلمـود ، لهي أطيب من كلام الشـــريعة (كلام الله) ، والخطايا المُقترفة ضد التلمـــود ، لهي أعظم من المقترفة ضد التوراة " . و" إن الرباني مناحيم يُطلعنا بالاتفـاق مع كثـير من العلمـاء ، على أن الله يأخذ رأي الربانيين على الأرض ، في المشاكل التي تنشأ في السـماء " . و" إن كلمات الربانيين أشدّ عذوبة من كلمات الأنبياء ... وذلك لأن كلماتهم هي كلمات الله " .

و" إن الله قد تاب عن تركه بني إسرائيل ، يرتطمون في الشقاء ، كمن يتوب عن إثم شخصي ، ... " . و" أن الله عنـدما يُقسم في كل مـرة ، بـدون مُـبرّر معقـول ، فمن اللازم أن يحـلّ قسـمه بقسم آخر نظـيره ، ... " . و" أن الله قد أقسم بغـير عـدل ، وارتكب خطيئة الكـذب ، لكي يلقي السـلام والوئـام ، بين سـارة وإبـراهيم " . و" أن اليهود أحبّ إلى الله من الملائكة ، فالـذي يصـفع اليهـودي ، كمن يصـفع العناية الإلهية سواء بسـواء ، وهـذا يُفسر لنا ، اسـتحقاق الوثـني وغـير اليهـودي المـوت ، إذا ضـرب يهوديا " . و" وإذا أراد الرجل أن يقترف ذنبا ، فعليه أن يذهب إلى مكـان ، هو مجهـول فيه ، لئلا يُهين الله علانية " .

الملائكة :

" إن عمل الملائكة الرئيسي ، سكب النوم على عيـون البشر ، وحراسـتهم في الليل ، أما في النهار فإنهم يُصلّون عن البشر ، ولذلك ، يجب أن نلتجئ إليهم " .

الأنبياء :

" أن إبراهيم أكل 74 رجلا ، وشرب دمائهم دفعة واحدة ، ولذلك كان له قـوة 74 رجلا " . وصفوا عيسى عليه السلام بالأحمق والمجذوم و" غشاش بني إسرائيل " ، واتهموا أمه بالزنا ، وتلاميذه بالملحدين ، والإنجيل بالكتاب المملوء بالإثم .

التنجيم :

يعتقد التلمود اعتقادا جازما ، بأن التنجيم علم يتحكم بحيـاة النـاس ، ومن أقـوالهم : " إن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا ، وبنو إسرائيل تحت تـأثير النجـوم " ، " إن كسـوف الشمس آية سوء للشعوب ، وخسـوف القمر آية سـوء لبـني إسـرائيل ، لأن إسـرائيل تعتمد في بقائها على القمر " .

السحر :

والتلمود مليء بطقوس السحر والشعوذة والعرافة ، وطرق الاتصال بـالجنّ ، وفيه أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات ، من ذرية آدم . وأنهم يطـيرون في كل اتجـاه ، وهم يعرفون أحوال المستقبل ، باستراق السـمع ، وهم يـأكلون ويشـربون ويتكـاثرون مثل الإنسان ، ويجوز للناس استشارة الشيطان ، في آخر أيام الأسبوع .

الروح والبعث والجزاء :

لهم فيها أقوال شتى ، " تنتقل نفس اليهـودي بعد موته إلى جسد آخر ، وعنـدما يلفظ المتقـــدم في السن أنفاسه ، تســـرع نفسه إلى جـــنين في بطن أمه " . ومنها ؛ أن اليهـودي الـذين يقتل يهوديا " تـدخل روحه في الحيوانـات والنباتـات ، ثم تـذهب إلى الجحيم ، وتعـذّب عـذابا أليما ، مـدة اثـنيّ عشر شـهرا ، ثم تعـود ثانية لتـدخل في الجمـادات ، ثم في الحيوانـات ، ثم في الوثنـيين ، حـتى ترجع إلى جسد يهـودي بعد تطهيرها " . ويقولون أن الجنة ، ليس فيها أكل أو شرب ، أو زواج أو تناسل ... ، وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكينة ، ويقولون أن نار جهنم لا سـلطان لها ، على مُـذنبي بني إسرائيل ، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء .

ويقولـون أنه لا حسـاب بعد انفصـال الـروح عن الجسد . ويقولـون " المشـروبات السماوية هي الخمور الفاخرة ، المعتّقة المحفوظة من يوم الخليقة السـادس ، وهـذه الجنّة اللذيذة ، لا يدخلها إلا اليهود الصـالحون ، أما البـاقون فيُزجّـون في نـار جهنم " . و" ... ، ويـأتي المسـلمون بعد النصـارى ، لأنهم لا يغسـلون ، سـوى أيـديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم ، كل هؤلاء ، يُحشرون حشرا في جهنم ، ولا يغادرونها أبدا " .

التطلع الدائم للملك :

" إن المسـيح (الـذي ينتظـرون ظهـوره) يُعيد قضـيب المُلك إلى إسـرائيل ، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك " ، " ولا يأتي ما لم ينقـرض مُلك الشـعوب غـير اليهودية " ، " ذلك أن إسـرائيل إذا كـان صـالحا ، يجب عليه أن يعمل بغـير هـوادة ، في العمل على أن ينبذ المتسـلّطين (الحكـام) على الشـعوب نبذ النـواة ، لأن السـلطة على الشعوب غـير اليهودية ، هي من نصـيب اليهـود فقط ، وفي كل مكـان يدخله اليهـود ، يجب أن يكونـوا هم المتسـلّطين ، وطالما هم بعيـدون ، عن تحقيق هـذه الفكـرة ، فيعتبرون أنفسهم منفيين وغرباء " .

(وهـذا المقتطفـات جـزء يسـير ، مما تحصّـل لـدينا لما جـاء في التلمـود ، من أفكـار وأقوال لحاخامات اليهود) .

قال تعالى (**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** (46) **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** (47) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** (48) **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** (49) **انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا** (50) **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا** (51) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا** (52 النساء) .

المؤامرة اليهودية :

هي شجرة شيطانية ، لا تراها فـوق أنفك ، ولا تـرى رسـمها فـوق السـطور ، بـذورها التـوراة ، وجـذورها التلمـود ، وجـذعها بروتوكـولات الحكمـاء ، وفروعها الهيئـات والمنظمـات الدولية ، وأوراقها كل وسـائل الإعلام المرئية والمسـموعة والمكتوبة ، وثمارها الإلحـاد والانحلال . أنتجت بـذورها في ألمانيا ، ونقلت وزُرعت في بريطانيا وسُـقيت بمـاء الـذهب ، وأضـيف إليها سـماد الشـهوة ، ولما اسـتقام عودها ، نُقلت وغُرست في أمريكا ، ذات الأراضي الخصـبة ، لمثل هـذا النـوع من الأشـجار ، فاشـتدّ عودها وارتفع ، حتى بلغ عنان السماء ، وامتدت جذورها إلى شتى بقاع الأرض ، وبـدأنا نقطف شيئا من بواكير ثمارها ، وعندما ينضب مـاء الـذهب من الأرض ، سـتعلن حربها المدمّرة على العـالم ، لنقطف الفـوج الثـاني من ثمـار الفقر والمجاعة والمـرض ، ولا علاج . آنـذاك يـأتي يـوم الحصـاد ، قيـام مملكة داود الدكتاتورية العالمية الأبدية ، في قدس الأقداس ، ليُنصّب العجل الذهبي ، إله أوحـدا لكل البشر ، على أطلال المسـجد الأقصى .

المؤامرة الأولى في تاريخ بني إسرائيل

قال تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7)

سـورة يوسف وبـالرغم من تسـميتها باسـمه عليه السـلام ، تحكي في الواقع ، قصة أخوة يوسف ، وتروي تفاصيل أول مؤامرة ، حاكها ونفذها بنوا إسرائيل (يعقوب) بدم بـارد ، ضد أبيهم وأخيهم يوسف عليهما السـلام ، أحبّهم إلى قلب أبيه ، وبوحشـية منقطعة النظير ، وقوله تعالى (في يوسف وأخوته آيات للسائلين) ، يؤكد أن موضوع السورة ، هو ما قام به أخوة يوسف من أفعال ، تدلّ على عدم إيمـانهم بالله وما جـاء به أنبياءه ، من علم وموعظة وحكمة ، من آبـائهم إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب ، وأنهم لما كادوا ليوسف ما كادوه ، كانوا قد أغفلوا كليا ، وجود الله سبحانه وتعالى ، وأنكـروا

قدرته على التدخل بمجريات الأمور ، وقلب نتائج ما يُخطّطون له رأسا على عقب ، وأنكروا أيضا نبوة أبيهم يعقوب عليه السلام .

أخوة يوسف ليسوا أنبياء :

جاء في تفسير القرطبي رحمه الله للآية التالية (**قَالَ يَبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (5) ما نصه : " ودل أيضا على أن يعقوب عليه السلام ، كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه ، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم ، خوف أن تغلَّ بذلك صدورهم ، فيعملوا الحيلة في هلاكه ، ومن هذا ، ومن فعلهم بيوسف ، يدل على أنهم كانوا غير أنبياء ، في ذلك الوقت (ولم يكونوا أنبياء في غير ذلك الوقت أيضا) ، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد ، أنهم كانوا أنبياء ، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي ، وعن عقوق الآباء ، وتعريض مؤمن للهلاك ، والتآمر في قتله ، ولا التفات لقول من قال إنهم كانوا أنبياء ، ولا يستحيل في العقل زلة نبي ، إلا أن هذه الزلة قد جمعت أنواعا من الكبائر ، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها ، وإنما اختلفوا في الصغائر " .

لفظ سبط يُطلق على الأحفاد وليس على الأبناء :

وفي لسان العرب " وقيل السبط واحد الأسباط ، وهو ولد الولد ، وقال ابن سيده : السبط ولد الابن والابنة ، وفي الحديث ، الحسن والحسين ، سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضي عنهما ، ومعناه طائفتان وقطعتان منه ، ومنه حديث الضباب ، إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل ، فمسخهم دواب ، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب ، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سُمّي سبطا ، ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق ، وجمعه أسباط . قالوا والصحيح أن الأسباط ، في ولد إسحاق بن إبراهيم ، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهم السلام ، وإنما سمي هؤلاء بالأسباط ، وهؤلاء بالقبائل ، ليفصل بين ولد إسماعيل ، وولد إسحاق عليهما السلام . وجاء أيضا أن السبط لغة ، هو نبات ذو ساق طويلة مفردة عليها أوراق دقيقة ، تعلفه الإبل " .

وبالتالي نستطيع القول ، بأن لفظ الأسباط ، أُطلق على أحفاد يعقوب عليهم السلام ، وليس على أبنائه الاثني عشر، بل يتعدى ذلك إلى كل نسل بني إسرائيل ، حتى يومنا هذا ، وأمّا قوله تعالى (**وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ** (136 البقرة) ، المقصود هنا الأنبياء من الأحفاد على مرّ العصور ، ومنهم يوسف وموسى وداود وسليمان ، وزكريا ويحيى وعيسى ، ومن كُذّب وقُتل من أنبياء بني إسرائيل ، وهم كثير ، ممن لم تُذكر أسمائهم . والوحيد من أبناء يعقوب الاثني عشر ، الذي نصّ القرآن على نبوّته هو يوسف عليه السلام ، بدلالة قوله تعالى (**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** (84 الأنعام) وقوله (**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا** (34 غافر) ، بالإضافة إلى ما جاء من آيات في سورة يوسف .

وانظر في قوله تعالى (**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا** (160 الأعراف) ، وقوله تعالى (أسباطا أمما) أي تم فرزهم حسب انتساب كل فرد منهم ، إلى أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، فنتج بالتالي اثنتي عشرة أمة ، وكل أمة أُطلق عليها لفظ

سبط ، وسُمي كل سـبط باسم أحد أبنـاء يعقـوب ، وعلى ذلك يُطلق لفظ سـبط على مجموعة من الأفراد ، يجمعهم انتسابهم إلى أب واحد ، فيقـال سـبط يوسف أي قبيلة يوسف .

فصول المؤامرة الأولى :

(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ، وَنَحْنُ عُصْـبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ (8)

1. قام أبناء يعقوب بعقد اجتماع سري ، بعيدا عن المعنـيين بـالأمر (يعقـوب ويوسف وأخيه)
2. كانت المشكلة مدار البحث حب أبيهم ليوسف وأخيه ، والـدافع هو الحسد وحب التملّك .
3. كان هناك إقرار بالإجماع ، أنّ أبيهم يعقوب نبيّ الله ضالّ ، وضـلاله واضح لا لُبس فيه .
4. كانوا يؤمنون بالقوة المتحصّلة من الكثرة (فهم عشرة أشقّاء كبـار مقابل اثنان صغار) .
5. جمعتهم وحدة الغاية والمصلحة .

(اقْتُلُـوا يُوسُـفَ ، أَوِ اطْرَحُـوهُ أَرْضًـا ، يَخْـلُ لَكُمْ وَجْـهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُـوا مِنْ بَعْـدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9)

1. الطرح الأول كان القتل أي حتمية الهلاك .
2. الطرح الثاني كان النفي إلى أرض بعيدة مع احتمالية الهلاك .
3. كانت الغاية الاستفراد بحبّ أبيهم .
4. الإقرار بعدم مشروعية عملهم وفساده ، وذلك قبل شروعهم بالتنفيذ .
5. تبييت نية بالتوبة والصلاح ، قبل ارتكـاب الجريمة ، وهـذا منطق أعـوج لا يقبله ربّ ولا عبد .
6. إغفالهم للعناية الإلهية المُدّخرة في علم الغيب ، والتي تتدخل في الـوقت المناسب لتسيير الأمور .

(قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ، لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ، يَلْتَقِطْـهُ بَعْضُ السَّـيَّارَةِ ، إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)

1. كان أصلحهم فاسدا ، حيث وافقهم على فعل المنكر مع تخفيف الضرر .
2. كان هناك إصرار لدى الأغلبية .
3. كان القرار النهائي أخف الضرر : إلقاء يوسف في بئر مع توافر احتمالية الهلاك ، فيما لو لم يلتقطه أحد .
4. عدم الاكتراث بنبوة أبيهم ، وما كان يتنزّل عليه من الوحي .

5. غفلة وعمى بصر وبصيرة واتباع للهوى ، فليس فيهم ذو رأي سديد ، ولا حتى شيطان أخرس .
6. جهل بعواقب الأمور ، كالأثر النفسي والمعنوي البالغ ، على من يطمحون بالاستفراد بحبه ، وبالتالي عدم تحقق مرادهم .
7. تبييت النية للقيام بالفعل عندما تحين الفرصة .

(قَالُوا يَأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ، وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ، وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

1. لم يكن يعقوب في العادة يأمنهم على يوسف وأخوه ، لمعرفته بعدم صلاحهم .
2. لم ينتظروا الفرصة للتنفيذ ، بل سعوا إلى خلقها وإيجادها ، باستخدام الحيلة والمكر والدهاء .
3. تجاهلوا تأكيد أبيهم لهم ، بأن غيبة يوسف عن وجهه ، ولو لفترة بسيطة تسبب له الحزن . فكيف إذا كان ذلك أبديا ؟! وكانت تلك محاولة منه عليه السلام ، لإحياء ضمائرهم لعلّهم يرجعون ، ولكنهم لم يشعروا بذلك فكان كما أخبره سبحانه .
4. كان أبوهم عليه السلام على علم بمخطّطهم قبل التنفيذ ، وقد أخبرهم بما كانوا قد خطّطوه مسبقا بشأن الذئب ، لكن ذلك لم يُثنهم عن عزمهم .
5. قرار التنفيذ اتُخذ بالإجماع .
6. تم إخفاء النوايا الإجرامية اتجاه يوسف ، تحت غطاء من الحرص على ترفيهه ، لإقناع أبيهم بالاستجابة لمطلبهم .

(وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ، وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

1. الاستخفاف بأبيهم واستضعافه لكبر سنّه .
2. التضليل واختلاق وفبركة الشواهد والأدلة ، لتبرئة أنفسهم وإدانة الذئب .
3. الجرأة في الكذب على نبيّ الله مع علمهم بذلك .
4. يقين يعقوب عليه السلام من كذبهم وتجنّيهم على الذئب .
5. ومما أحزنه عليه السلام ، هو ما كان عليه أبناءه من قلة إيمانهم ، وعقوقهم له ، وظلم لأخيهم ، وفسادهم وإفسادهم ، وصفات وطبائع غاية في السوء ، لا تليق بالأنبياء أو بأبناء أنبياء يتنزّل الوحي بين ظهرانيهم ، وفي المقابل لم يملك عليه السلام إلا الصبر والرجاء ، وطلب العون من الله لمجابهتم .

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ **(69)** ...... (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ ، فَقدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ : أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ **(77)**

بعد أن مـرّت سـنين على تلك الحادثة ، وأصـبح يوسف وزيـرا لمالية فرعـون ، وقـدِمَ أخوته إليه في مصر ، احتال عليهم ليـأمن منهم على أخيه ، ويرفع عنه ما كـان قد وقع عليه من ظلم وكيد .

1. كان يوسف عليه السلام على علم ، بما كانوا يكيدون لأخيه ، عن طريق الوحي أو القياس .
2. عدم توبتهم عما فعلوه سابقا ، وبقائهم على نفس الحال .
3. خيانة يوسف بـالغيب ، بعد كل هـذه السـنين ، واتهامه زورا وبهتانا بالسـرقة ، فيوسف من عباد الله المخلصين ، وما كان له أن يسرق .
4. تأكيد يوسف على فسادهم وإفسادهم ، بما حدّث به نفسه ، حيث لم يجهر نـبي الله بقوله (أو بحكمه عليهم) أنهم أسوء حالا ممن يسرق ، (**قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا**) فما فعلوه معه لا يُقارن بخطيئة السـرقة ، الـتي اتهمـوه بها ، والـتي أقـرّوا بأنها أحد أشكال الإفساد في الأرض (**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ** (73 يوسف) .

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ **(84)** قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ **(85)** قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ **(86)** يَبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ **(87)**

1. عدم اكتراثهم بسوء حال يعقوب عليه السلام ، ومدى ما نزل به من أذى نفسي وجسدي .
2. قسوة قلوبهم باستنكارهم حزن أبيهم على يوسف .
3. يعقوب يقطع الرجـاء من أبنائه ، ويشـكو قسـوة أبنائه ، وضـعفه وقلة حيلته في مواجهة أفعالهم إلى الله .
4. لم يعترفوا لأبيهم بحقيقة فعلتهم مع يوسف ، مع علمهم ومعـرفتهم ومعايشـتهم لحال أبيهم ، وما وصلت إليه من سوء .
5. كان يعقوب على يقين من نجاة يوسف ، وكذب أبنائه عليه .

هنا تتضح مفارقة عجيبة ، توضح الكثـير من معـالم الشخصـية اليهودية الإسـرائيلية القديمة الحديثة ، فهم يعلمون علم اليقين ، أن يوسف ذهب إلى غير رجعة ، وأنه قُتل على الأرجح ، ولم يعترفوا لأبيهم بحقيقة ما فعلوا ، وظلّوا مصرّين على حكاية الذئب ، فلا ضـمير يـؤنبهم ، ولا قلب يشـعر مع أبيهم . وأبيهم يعلم علم اليقين من ربه ، أن يوسف على قيد الحيـاة ، وأنه نـبي وسـيكون له شـأن كبـير مسـتقبلا ، إذ كـان عالما بتأويل رؤيا يوسف السـابقة ، وأن أخوته سيسـجدون له لعلو منزلته ، وهـذا ما كـان يُصبّره عليه السلام حين قـال (فصبر جميل) ، أما ما كـان يؤلمه عليه السلام ، هو إصرار أبنائه على ما هم عليه واستمرارهم ، وعدم التوبة والرجوع إلى الله .

(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) ... (وَقَالَ يَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) ... (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)

1. هنا يتضح خلق الأنبياء وأدبهم ، في يوسف عليه السلام ، حيث قابلَ السيئة بالحسنة ، ونسب خطيئة أخوته إلى الشيطان .
2. معطيات المعادلة كانت : جمع واجتماع في الخفاء + قرار بالإجماع + تنفيذ بمكر ودهاء = مؤامرة .
3. أخوة يوسف لم يكونوا أنبياء بأي حال من الأحوال .

انظر إلى الآيتين (102-103) التي جاءت تعقيبا على قصة يوسف عليه السلام وأخوته ، لتقول أن هذا هو حال نبي الله يوسف مع أخوته ، وحال نبي الله يعقوب مع أبنائه ، الذين لم يكونوا على الأقل مؤمنين بنبوة أبيهم ، إن لم يكونوا أصلا غير مؤمنين بالله ، فما بالك في عدم إيمان قومك بنبوتك ودعوتك ، وهم ليسوا بأبنائك ، فلا تكن شديد الحرص ، على من لا أمل في هدايته بعدما أضلّه الله ، ولكن أدعُ الناس ، وفوّض أمر هدايتهم لله ، كما فوّض يعقوب ويوسف عليهما السلام ، أمرهما إلى الله فيما كان من شأن أبنائه . أما من يستنكر فكرة أنهم غير أنبياء ، والله أعلم بحالهم ، فليرجع إلى القرآن وليقرأ قصة نوح عليه السلام مع ابنه ، وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، وقصة أبو لهب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولاحظ أنه سبحانه نسبهم بالأخوة إلى يوسف عليه السلام ، في قوله : (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين) ، ولم ينسبهم إلى يعقوب عليه السلام ، مع أنهم أبنائه .

ما تقدّم من أمر أخوة يوسف عليه السلام ، ليس بحاجة لزيادة أو توضيح أو تعليق ، فهذا ما جاء به القرآن الكريم ، وكان هذا أول فسادهم وإفسادهم في الأرض ، الذي كان موجّها ضد أخيهم وأبيهم . ومنذ ذلك اليوم ، احترف بنو إسرائيل فنون التآمر ، ومارسوه أولا فيما بينهم ، منذ نشأتهم وحتى نهاية مملكتهم الأولى في فلسطين . وبعد السبي البابلي ، وشتاتهم في شتى بقاع الأرض ، أصبح بعضا من تآمرهم ، يُحاك ضد الشعوب التي يقيمون فيما بينها . وكان تطلّعهم دائما وأبدا إلى الملك والقوة والغنى والأفضلية ، وكانت غايتهم على الدوام ، جمع المال بطرق غير مشروعة ، من ربا ونصب واحتيال ، والتقرب من أصحاب السلطة والنفوذ بالإغواء والإغراء ، للتلاعب بهم وتحريكهم من وراء الستار ، لإيقاع الفتن والحروب بين الشعوب ، لضمان السيطرة لتلبية مصالحهم واحتياجاتهم ، ولذلك تجدهم يجتمعون ويُخطّطون في السر والعلن ، ويعملون باستمرار بلا كلل أو ملل ، وتاريخهم قديما وحديثا غني بالأمثلة والشواهد .

اليهود والمُلك المادي

ملك يوسف عليه السلام :

كانت نشأة بني إسرائيل كقبيلة بدوية ، تعيش ضمن قبائل البدو ، في صحراء النقب ، وكان أول عهد لهم بالمُلك ، في زمن يوسف عليه السلام ، تحت التاج الفرعوني في

مصر ، حيث وفّر لهم الُملك آنذاك حياة هانئة رغيدة ، وأزال عنهم بـؤس وشـقاء حيـاة البـدواة ، ولما زال ملك يوسف عليه السـلام بوفاته ، انقلب حـالهم رأسا على عقب ، فقاسوا شتى أنواع العذاب والمهانة ، ومنذ ذلك اليوم ترسخّت لديهم قناعة بأن الملك والغنى يعني السعادة ، وزوالهما يعني الشقاء .

رفض نبوة موسى عليه السلام :

وعندما بعث سبحانه لهم موسى عليه السلام ، لم يسـتجيبوا له ، فهم لا ينتظـرون من يدعوهم إلى الله ، ولا يؤمنون بما هو غيبي وغير محسوس ، دين فيه إله غـير مـرئي ، يمنح جنة غير مرئية ، والحصـول عليها مشـروط بالصـلاح والإصـلاح ، بعد عمر طويل ، وبعد مـــوت وبعث وحســـاب ، وإنما يؤمنـــون بمن يمنحهم ، ملكا مجانيا دنيويا ماديا ، عاجلا لا آجلا ، يكون في متناول اليد ، بلا جهد أو عناء منهم لتحصـيله ، ولا مـانع لـديهم بعد ذلك ، أن يكـون لهم إله ، بشـرط أن يكـون محسوسا ، ويوافق أهـوائهم ، كالعجل الذهبي الذي صنعه لهم السامري ، فسارعوا لعبادته ، لـذلك عـانى منهم عليه السـلام ما عاناه ، في رحلته معهم من مصر ، إلى الأرض المقدّسة .

طلب المُلك بدعوى الرغبة في القتال :

وبعد موته عليه السلام ، وبعد انقضاء سنوات التحـريم الأربعين ، لم يطلبـوا من نـبيهم قيـادتهم للقتـال ، لـدخول الأرض المقدسة ، وإنما طلبـوا منه أن يبعث الله لهم مَلِكا ، وذلك طمعا في المُلْك ، وليس للقتال في سبيل الله كما زعمـوا ، إذ أنهم بعد أن كُتب عليهم القتال ، تولوا إلا قليل منهم ، وبـالرغم من ذلك منّ الله عليهم بالملك ، فكـانت مملكتهم الأولى في الأرض المقدسة ، بقيـادة داود وسـليمان ، الـذين لم يكن لبـني إسـرائيل معهما حـول ولا قـوة ، إذ لم يسـتطع مـترفوهم وفسـقتهم ، من الوصـول والتغلغل والتدخل في شؤون الحكم ، لاجتماع الملك والنبوة فيهما عليهما السلام ، بل لعنهم داود آنذاك ، كما لعنهم عيسى عليه السلام من بعد .

مُلكاً لا نبوة فيه :

وبعد أن توفّى الله سليمان ، وخـرجت النبـوة من الملك ، كـان لهم ما أرادوا – امتحانا لهم وابتلاء منه عـزّ وجـلّ – فأفسـدوا فيها أيّما إفسـاد ، فوقع منهم القتل في الأنبيـاء والصالحين والمستضعفين ، وإخراج بني جلدتهم من أرضهم ، وسلب ونهب ممتلكاتهم ، وعصيان أوامر الله ، والاعتداء على حـدوده ، بمخـالفتهم الوصـايا العشر برمتها ، بما فيها الشرك بالله باتخاذ الأصـنام والشـياطين والملائكة ، أوليـاء من دونه ، فـأزال الله عنهم المُلك عقابا لهم ، على يد نبوخذ نصر البـــابلي وجيوشه ، وكـــان فيهم الســـبي والإخراج من الأرض المقدّسة ، لقسم كبير منهم ، ومع علمهم بفسـادهم وعقـاب الله لهم ببعث البابليين عليهم ، إلا أنهم عاتبون وغاضبون على الله ، لأنه أخطأ في حقهم - حسب اعتقـــادهم – بـــإنزال عقـــاب أولى الإفســـادتين فيهم ، ويعتـــبرون وعـــده لهم برجوعهم من الشـتات للإفسـاد الثـاني ، هو تصـحيح للخطأ الأول . بالإضـافة إلى ذلك تجدهم ، يصبّون جام غضبهم على بابل والبابليين ، وكأن بعث البابليين على شعب الله المختـــار ، كـــان من تلقـــاء أنفســـهم ، ودون وجه حق ، ولم يكن هـــذا البعث من قبله سـبحانه . فقد جـاء في سـفر إشـعياء " 52:ـ 3: قد تمّ بيعكم مجّانا ، ومجّانا من غـير فضة تُفدَوْن (أي يُعادون إلى فلسطين) ، قد نزل شعبي أولا إلى مصر ليتغرّب هنـاك ، ثم جار عليه الآشوريون بلا سبب " .

عيسى عليه السلام لم يوافق أهواءهم :

ومع بقاء بعضـهم في الأرض المقدسة ، من الـذين كـانوا قد أخرجـوا من المملكة من المستضعفين ، وعودة بعض المسـبيين من بابل ، بعد مـدة من الـزمن ، حيث لم يكن لهم فيها من أمــرهم شــيئا ، كــانت أعينهم تتطلع إلى المُلك من جديد ، حيث كــانوا يظنّون أن علوهم الثاني ، سيكون بعد عودتهم من بابل مباشرة ، إذ كانت لـديهم عـدة نبـوءات ، الأولى بعيسى عليه السـلام الـذي سـيُبعث من جبـال سـاعير (القـدس) ، فانتظروه ليقيم لهم ملكهم الثـاني ، وفي فـترة انتظـارهم ، تنـاوب على حكمهم عـدة شعوب ، إلى أن بُعث عيسى في زمن الحكم الرومـاني لفلسـطين ، فـدعاهم للعـودة إلى الله والمحبة والسـلام والتواضع ، وعنـدما تيقنـوا أنه ليس من طلاب الملك على اليهود ، بالرغم من توافق صفته مع ما جاءت به التوراة ، حـاربوه وعـادوه وكـادوا له ، وتآمروا عليه وحرضّوا الرومان الوثنيون على قتله وصلبه .

وملك البرّ لم يوافق أهواءهم :

وقبل بعث عيسى وبعـده ، تعرّضـوا للكثـير من الـذل والهـوان ، من الشـعوب الـتي حكمتهم ، في كل مرة قاموا فيها ، بالتمرد والعصيان للاسـتقلال وإقامة الملك ، وكـان آخرها على يد (هدريان) الرومـاني ، الـذي أخـرجهم منها بشـكل نهـائي ، ففـرّق الله شملهم في شتى بقاع الأرض ، فاتجه قسم كبير منهم إلى الجزيـرة العربية ، وسـكنوا بالقرب من المدينة المنـورة ، مكـان هجـرة الرسـول عليه الصـلاة والسـلام ، صـاحب النبوءة الثانية لديهم ، ملك البرّ ، الـذي سـيُبعث من جبـال فـاران (مكة) ، ويكـون له ولخلفائه ملكا ، يشمل مشارق الأرض ومغاربها .

وكان اليهود يترقّبون أخباره ، ويحسـبون لزمـان مولـده ومبعثه ، مع كـرههم وعـدائهم المسبق له ، كونه من ولد إسماعيل وليس منهم ، وعنـدما بُعث عليه السـلام ، عـاينوا صفته ، وامتحنوه بأسئلتهم بما علموا وما لم يعلموا ، ولما تـبيّنوا صـدق نبوته ، حـاولوا اسـتمالته لجـانبهم بـالإغواء والإغـراء ، مسـتغلين رغبته عليه السـلام في اتبـاعهم له ، كونهم أهل كتاب ، وهم الأقرب لتصديقه ومؤازرته ومناصرته ، وكان مـرادهم منه ، هو اتبـاع ملتهم لتحقيق رغبـاتهم وأهـوائهم ، لإخراجه من الجزيـرة إلى فلسـطين ، لإقامة ملكه عليهم هناك ، ففضحهم رب العزة ، وحذّر رسوله الكريم من الوقوع في حبائلهم وشراكهم ، ولمّا تيقّنوا من عدم رضوخه لهم ، أنكروا نبوته وناصروا المشـركين عليه ، وكادوا له بكل ما أتـوا من مكر ودهـاء وحيلة ، فـآذوه وآذوا أصـحابه ، ولم يـدخّروا في ذلك جهدا ، وحاولوا فتنته وقتله عدة مرّات ، إلى أن تمّ جلائهم وإخـراجهم من جزيـرة العرب .

البحث عن المُلك القـــــاروني ، وانتظـــــار المَلك الإله ، على النمط الفرعوني آخر الزمان :

ومع ظهور الإسلام ، ومعرفتهم بما سيكون من أمـره ، من سـرعة انتشـاره ، واتسـاع دولته لتشمل مناطق شاسعة من العالم ، ومن ضمنها سـيطرته على الأرض المقدّسة ، تلاشت أحلامهم في عودتهم إليها ، لإقامة ملكهم الأممي الثـاني فيها على المسـتوى الفرعوني ، فتخلّوا عن ذلك الطمـوح مؤقتا ، وشـرعوا في تحقيق الملك الفـردي على المسـتوى القـاروني ، بجمع المـال بـالطرق المشـروعة وغـير المشـروعة ، من ربا واحتيال وسرقة والتهـريب وتجـارة الرقيق والـدعارة ، والتمتع بزينة الحيـاة الـدنيا من جــرّاء هــذا الكسب ، واســتمروا على تلك الحــال ، إلى أن تمكنّــوا من إقامة دولتهم

الحالية في فلسطين ، منتظرين حكم العالم أجمع ، من خلال النبوءة الأخيرة ، بالذي يأتي من ربوات القدس (مسيحهم المنتظر) .

وبعد ذلك اتجه أغلبهم إلى الشمال ، وتفرقوا في البلاد العربية الأخرى ، فتواجدوا في العراق وبلاد الشام ومصر والأندلس ، وبالرغم من تعامل الإسلام السمح مع أهل الكتاب ، إلا أنهم كانوا مقيّدين ، بما وضعه الإسلام من قيود ، على أهوائهم ومطامعهم المادية ، ووجود القرآن عدوهم اللدود وثيقة أبدية ، تكشف طبائعهم وحقيقة نواياهم وتحذر منهم . ولكي يستطيع أحدهم من العيش في ظل الحكم الإسلامي ، كان يعمد إلى إظهار إسلامه وإخفاء يهوديته ، أو أن يُرغم نفسه كارها على التخلي ، عن طبائعه وأهوائه في الفساد والإفساد ، وهذا مما لا يوافق طبعهم ، ولا ما يأمرهم به تلمودهم ، ولذلك آثر الكثير منهم الهجرة ، من كل البلاد ، التي كانت تخضع للحكم الإسلامي تباعا ، على مرّ العصور ، ومن ثم استقر بهم المقام في القارة الأوروبية ، حيث وجدوا فيها متنفسا في البداية ، لجهل الأوربيين بطبيعتهم البشعة .

الاضطهاد الأوروبي لليهود ، وفشلهم في تحصيل المُلك القاروني :

وعندما تبين للأوربيين مع مرور الوقت ، أن الكثير من المشاكل والمصائب والكوارث الاجتماعية والاقتصادية ، من فقر ومجاعات وانهيارات اقتصادية ، وانتشار للفساد والرذيلة ، كان سببه اليهود ، وضعوا الكثير من الحلول لمواجهة مشكلتهم ، مثل سن القوانين التي تقيد حركتهم وتعاملاتهم ، فلم تكن تجدي نفعا ، مع ما يملكون من مكر ودهاء . وتم عزلهم في أحياء سكنية خاصة بهم ، فلم يجدي ذلك نفعا ، فكان لا بد من الحل الأخير ، وهو طردهم ونفيهم ، من معظم بلدان أوروبا الغربية ، وكان رجالات الكنيسة آنذاك ، يعملون كمستشارين للملوك في العصور الوسطى ، وكانوا يؤيدون تلك الإجراءات ضد اليهود ، لتحريم المسيحية للزنا والربا ، بالإضافة إلى ما اكتشف من تجديف على المسيح والدته ، وكره وبغض وعداء للمسيحيين ، في تلمودهم السري ، الذي جلب لهم المذابح الجماعية في بعض البلدان الأوربية ، كإسبانيا والبرتغال ، وفي النهاية تم طردهم بالتعاقب وعلى فترات متباعدة ، من فرنسا وسكسونيا وهنغاريا ، وبلجيكا وسلوفاكيا والنمسا ، وهولندا وإسبانيا وليتوانيا ، والبرتغال وإيطاليا وألمانيا ، بدءا من عام 1253م وحتى عام 1551م ، فاضطر اليهود للهجرة ، إلى روسيا وأوروبا الشرقية والإمبراطورية العثمانية .

إذن لا بدّ من التآمر :

آنذاك أصبح لليهود كشعب مشتت همّا مشتركا ، من جرّاء الاضطهاد والتعذيب والطرد ، من قبل الأوروبيين . وأبواب الجنّة الأوربية قد أغلقت من دونهم ، حيث بدأ هناك بعد رحيل أغلب اليهود ، ما يُسمى بالنهضة الأوروبية ، فحيل بينهم وبين تحقيق أحلامهم ، سواء على مستوى الملك الأممي ، أو مستوى الملك الفردي ، وهذا ما لا يستطيعون احتماله أو تقبّله ، وهذه الأجواء تذكّرنا بأجواء المؤامرة الأولى في تاريخهم ، حيث واجه أخوة يوسف همّا مشتركا ، تمثّل في شعورهم بالدونية ، بالمقارنة مع يوسف وأخيه ، وكان دافعهم الحسد ، فاجتمعوا سرا وتآمروا ، وأجمعوا فنفّذوا .

ويحضرني في هذا المقام قول لابن القيم ، إذ يقول في كتاب الفوائد أن أصول المعاصي ، ثلاثة : الكبر والحرص والحسد ، فالكبر جعل إبليس يفسق عن أمر ربه ، والحرص أخرج آدم من الجنة ، والحسد جعل أحد ابنيّ آدم يقتل أخاه ، وبعد التدبر في هذا القول ، ستجد أن الطريق إلى الوقوع في المعصية ، هو الوقوع فريسة للمقارنة

والمفاضلة ، من خلال الاعتماد على الحواس فقط ، وبتغييب العقل والفؤاد ، وبالتـالي فقـدان القـدرة على الاستبصـار ، والحكم على الأمـور ، وقد نهى سـبحانه في مواضع كثيرة من القرآن ، عن المقارنة والمفاضلة ، وحسم الأمر بـأن الفضل من لدنه ، يؤتيه من يشـاء من عبـاده ، أما اليهـود وبعد إطلاعي على ما جـاء في تـوراتهم وتلمـودهم ، فإنهم جمعـوا فيها أصـول المعاصي كلها ، فـالكبر جعلهم أفضل النـاس على الإطلاق ، والحـرص جعلهم يفضّـلون الـدنيا على الآخـرة ، والحسد جعلهم يسـتبيحون ممتلكـات الآخرين ويستحلّونها لأنفسهم .

(لوثر) بإصلاحاته الكنسية في القرن السادس عشر ، يُمكّن اليهـود من احتلال أوروبا اقتصاديا :

وعندما تم تدمير السلطة الكنسية ، التي قام بها الإصلاحيون في أوروبا (بفعل اليهـود أنفسهم) ، وضُمّت التوراة إلى الإنجيل في كتب النصارى المقدسة ، وجد اليهود بعض القبـول في الـدول الأوروبية ، فعـادوا إليها شـيئا فشـيئا ، ونتيجة للاضـطهاد والطـرد الجماعي ، الذي تعرض له اليهود في هذه الدول فيما مضى ، وهم شعب الله المختـار ، أجمع قارونات المال اليهود ، وبدءوا يعقدون اجتماعاتهم السرية ، في نهايات القـرن الثامن عشر (قبل أكثر من مائتي سنة) ، للانتقام وتجنب ذلك المصير المـرعب مـرة أخرى . وبوجود المال اليهودي ، تشكل لديهم مخططا شيطانيا ، للسيطرة على العالم كله وحكمه ، فوضـعوا مخططا مبـدئيا ، كـان موجها في الدرجة الأولى ، ضد ملـوك أوروبا ورجالات الدين المسيحي .

أكبر وأخطر مؤامرة في تاريخ اليهود

المخطط في أطواره الأولى :

ويتلخص مخططهم المبدئي ، مما كُشف من محاضر اجتماعـاتهم ، في كتـاب (أحجـار على رقعة الشطرنج) لمؤلفه (وليام كار) ضـابط الاسـتخبارات في البحرية الكندية ، بما يلي :

الهـدف العـام : تأليه المـادة ونشر المـذاهب الإلحادية ، لتمهيد سـيطرة اليهـود على العـالم ، ومن ثم تتـويج أنفسـهم ملوكا وأسـيادا على الشـعوب . (ونتيجة لـذلك بـرز الكثـيرين من المُفكّـرين اليهـود كفرويد ومـاركس وغـيرهم ، ومن غـير اليهـود من المـأجورين كـداروين وغـيره ، حيث بـدأت الأطروحـات والنظريـات الإلحادية المنكـرة لوجـود الله عـزّ وجـلّ ، فظهـرت الشـيوعية (لا إله) والرأسـمالية (المـال هو الإله) لذلك وضع الصيارفة اليهود عبارة (In God we Trust) على الدولار الأمريكي ، وليس على الصـفحة الأولى من كتـابهم المقـدّس ، وظهـرت الاشـتراكية الـتي جمعت ما بين المبدأين من حيث الكفر) .

فلسفة المخطط : يتم تقسيم الشعوب ، إلى معسكرات متنابـذة ، تتصـارع إلى الأبد ، دونما توقف ، حول عدد من المشاكل ، اقتصادية وسياسـية واجتماعية وعرقية وغيرها ، ومن ثم يتم تسليح هذه المعسكرات ، ثم يجري تدبير حادث ما (فتنة) ، تتسبب في إشعال الحروب بين هذه المعسكرات ، لتُنْهك وتحطّم بعضها بعضا ، وبالتـالي تتسـاقط الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية تباعا .

برنامج العمل :

1. السيطرة على رجالات الحكم ، على مختلف المستويات والمسؤوليات ، بالإغواء المـالي (الرشـوة) والإغـراء الجنسي ، وعند وقـوعهم ، يتم اسـتغلالهم لغايـات تنفيذ المخطط ، وعند تفكـــير أي منهم بالانســـحاب ، يتم تهديـــده بالانطفـــاء السياسي أو الخـراب المـالي ، أو تعريضه لفضـيحة عامة كـبرى تقضي على مسـتقبله ، أو تعريضه للإيذاء الجسدي أو بالتخلص منه بالقتل .

2. دفع معتنقي المـذهب الإلحـادي المـادي ، للعمل كأسـاتذة والجامعـات والمعاهد العلمية وكمفكـرين ، لـترويج فكـرة الأممية العالمية بين الطلاب المتفـوقين ، لإقامة حكومة عالمية واحـدة ، وإقنـاعهم أن الأشـخاص ذوي المـواهب والملكـات العقلية الخاصة ، لهم الحق في السيطرة على من هم أقل منهم كفاءةً وذكـاءً (وذلك كغطـاء لجرهم لاعتناق المذهب الإلحادي) .

3. يتم استخدام الساسة والطلاب (من غير اليهود) ، الذين اعتنقوا هذا المـذهب ، كعملاء خلف الستار ، بعد إحلالهم لدى جميع الحكومات ، بصفة خبراء أو اختصاصيين ، لـدفع كبـار رجـال الدولة ، إلى نهج سياسـات ، من شـأنها في المـدى البعيد ، خدمة المخططات السرية لليهود ، والتوصل إلى التدمير النهائي ، لجميع الأديان والحكومـات ، التي يعملون لأجلها .

4. السيطرة على الصحافة وكل وسائل الإعلام ، لترويج الأخبـار والمعلومـات الـتي تخدم مصالح اليهود ، وتساهم في تحقيق هدفها النهائي .

أما القائمون على المؤامرة ، فهم مجموعة كبيرة منظمة من جنود إبليس ، تضم حفنة من كبـار أثريـاء اليهـود في العـالم ، بالإضـافة إلى حفنة من كبـار حاخامـات الشـرق والغرب ، ومن الأسماء التي أطلقها عليهم الباحثون في مؤلفاتهم ، جماعة النورانيـون ، وحكومة العالم الخفية ، واليهود العالميّون ، يعملون في الخفاء . هدفهم حكم العـالم اقتصـاديا ، ومن ثم سياسـيا ، عن طريق تـدمير الأخلاق والأديـان ، وإشـعال الحـروب الإقليمية والعالمية ، وهم وراء كل جريمة ، ويســيطرون على كثــير من المنظمــات السـرية والعلنية ، اليهودية وغـير اليهودية ، تحت مسـميات عديـدة ، ولهم عملاء ذوي مراكز رفيعة ومرموقة ، في معظم الحكومات الوطنية لدول العالم ، من الـذين بـاعوا شعوبهم وأوطانهم بـأبخس الأثمـان ، وتميّـزوا بـولائهم المطلق للمـؤامرة وأصـحابها ، وفيما يلي سنعرض أهدافهم وسياساتهم .

بروتوكولات حكماء صهيون

يقول (ويليام كار) أن هذه البروتوكولات ، عرضها (ماير روتشـيلد) أحد كبـار أثريـاء اليهود ، أمام اثني عشر من كبار أثرياء اليهود الغربيون ، في فرانكفورت بألمانيا عـام 1773م ، أما كشفها فقد تم بالصدفة عـام 1784م في ألمانيا نفسـها ، حيث أرسـلت نسخ منها إلى كبـــار رجـــال الدولة والكنيسة ، وتم محاربتها ، ومحاربة كل رموزها الظـاهرة في ألمانيا آنـذاك . ولـذلك انتقلت إلى السـرية التامة ، وسـارع معظم يهـود العـــالم إلى التنصل منها ، واســتطاعوا بما لـــديهم من نفـــوذ ، من إرغـــام النـــاس والحكومات على تجاهلها ، ومنذ ذلك اليوم الـذي كُشـفت فيه ، وحـتى منتصف القـرن الماضي ، والكتّاب والباحثون الغربيون يتناولونها بـالبحث والتقصي ، ويؤكـدون مطابقة ما جاء فيها ، مع ما جرى ويجـري على أرض الواقع ، ويحـذّرون حكومـاتهم من الخطر اليهودي المحدّق بأممهم ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، في حكومات تغلغل فيها اليهـود ،

كما تتغلغل بكتيريا التسـوس في الأسـنان ، ومعظم الكتب الـتي حـذّرت - وما زالت - من الخطر اليهودي ، كان مصيرها الاختفاء من الأسواق ، أو الإلقـاء في زوايا النسـيان والإهمال .

أما من يُفكّر اليــوم بمناهضة اليهــود ومعــاداتهم في الغــرب ، فقد ثكلته أمه ، فخذ (هايــدر) مثلا ، زعيم أحد الأحــزاب النمســاوية ، الــذي أطلق يوما عبـارات مناهضة لليهود ، عندما فاز حزبه ديموقراطيا ، بأغلبية في مقاعد البرلمان ، فقـامت الـدنيا ولم تقعد ، ضجّة إعلامية كبرى ، في إسرائيل ، أمريكا ، بريطانيا ، فرنسا ، الأمم المتحدة ، حتى أُرغم الاتحاد الأوروبي على مقاطعة النمسا ، لمنع (هايدر) من الحصول على أي منصب في الحكومة النمساوية .

الصيغة النهائية لمبادئ المخطط الشيطاني :

ـ الذي تربع اليهود من خلاله ، أسيادا على العالم في الخفاء ، منذ خمسين عاما مضت ، وما زالوا :

1. أن قوانين الطبيعة تقضي بأن الحقّ هو القوة . (بمعـنى أن الـذي يملك القـوة ، هو الذي يُحدّد مفاهيم الحق ، ويفرضها على الآخرين ، والقوة تعني امتلاك المال) .
2. أن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة ، ولن تكون حقيقة واقعة . (بمعنى أنك تسـتطيع الإدعـاء ظاهريا ، بأنك ديمــوقراطي وتســمح بحرية الـرأي ، ولكنك في المقابل تقمع الرأي الآخر سرا) .
3. سلطة الذهب (المال) فوق كل السلطات حتى سلطة الـدين . (محاربة الـدين وإسـقاط أنظمة الحكم غـير الموالية ، من خلال تمويل الحركـات الثورية ذات الأفكـار التحررية ، وتمويل المنتصر منها بالقروض) .
4. الغاية تبرّر الوسـيلة . (فالسياسي المـاهر : هو الـذي يلجأ إلى الكـذب والخـداع والتلفيق ، في سبيل الوصول إلى سدة الحكم) .
5. من العـدل أن تكـون السـيادة للأقـوى . (وبالتـالي تحطيم المؤسسـات والعقائد القائمة ، عندما يترك المستسلمون حقوقهم ومسؤولياتهم ، للركض وراء فكرة التحرّر الحمقاء) .
6. ضرورة المحافظة على السرية . (يجب أن تبقى سلطتنا ، الناجمة عن سيطرتنا على المال ، مخفيّة عن أعين الجميع ، لغاية الوصول إلى درجة من القوة ، لا تستطيع أي قوة منعنا من التقدم) .
7. ضرورة العمل على إيجـاد حكـام طغـاة فاسـدين . (لأن الحرية المطلقة تتحـول إلى فوضى ، وتحتـاج إلى قمع ، وذلك لكي يتسـنى لأولئك الحكـام سـرقة شـعوبهم ، وتكبيل بلدانهم بالديون ، ولتصبح الشعوب برسم البيع) .
8. إفساد الأجيال الناشئة لدى الأمم المختلفة . (ترويج ونشر جميع أشكال الانحلال الأخلاقي ، لإفساد الشبيبة ، وتسخير النسـاء للعمل في دور الـدعارة ، وبالتـالي تنتشر الرذيلة حتى بين سيدات المجتمع الراقي ، اقتداءً بفتيات الهوى وتقليدا لهن) .
9. الغزو السلمي التسللي هو الطريق الأسلم ، لكسب المعارك مع الأمم الأخـرى . (الغزو الاقتصادي لاغتصاب ممتلكات وأموال الآخرين ، لتجنب وقوع الخسائر البشرية في الحروب العسكرية المكشوفة) .

10. إحلال نظام مبني على أرستقراطية المال ، بدلا من أرستقراطية النسب ، (لذلك يجب إطلاق شعارات : الحرية والمساواة والإخاء ، بين الشعوب بغية تحطيم النظام السابق ، وكان هذا موجها إلى الأسر الأوروبية ذات الجذور العريقة ، ومن ضمنها الأسر الملكية والإمبراطورية ، ليلقى لصوص هذه المؤامرة بعدها ، شيئا من التقدير والاحترام) .

11. إثارة الحروب ، وخلق الثغرات في كل معاهدات السلام التي تعقد بعدها ، لجعلها مدخلا لإشعال حروب جديدة . (وذلك لحاجة المتحاربين إلى القروض ، وحاجة كل من المنتصر والمغلوب لها بعد الحرب ، لإعادة الإعمار والبناء ، وبالتالي وقوعهم تحت وطأة الديون ، ومسك الحكومات الوطنية من خنّاقها ، وتسيير أمورها حسب ما يقتضيه المخطط من سياسات هدامة) .

12. خلق قادة للشعوب ، من ضعاف الشخصية الذين يتميزون بالخضوع والخنوع ، (وذلك بإبرازهم وتلميع صورهم ، من خلال الترويج الإعلامي لهم ، لترشيحهم للمناصب العامة في الحكومات الوطنية ، ومن ثم التلاعب بهم ، من وراء الستار بواسطة عملاء متخصّصين ، لتنفيذ سياساتنا) .

13. امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها . (لترويج الأكاذيب والإشاعات والفضائح الملفّقة ، التي تخدم المؤامرة) .

14. قلب أنظمة الحكم الوطنية المستقلة بقراراتها ، والتي تعمل من أجل شعوبها ، ولا تستجيب لمتطلبات المؤامرة . (من خلال إثارة الفتن ، وخلق ثورات داخلية فيها ، لتؤدي إلى حالة من الفوضى ، وبالتالي سقوط هذه الأنظمة الحاكمة ، وإلقاء اللوم عليها ، وتنصيب العملاء قادة في نهاية كل ثورة ، وإعدام من يُلصق بهم تهمة الخيانة من النظام السابق) .

15. استخدام الأزمات الاقتصادية للسيطرة على توجهات الشعوب . (التسبب في خلق حالات من البطالة والفقر والجوع ، لتوجيه الشعوب إلى تقديس المال وعبادة أصحابه ، لتصبح لهم الأحقية والأولوية في السيادة ، واتخاذهم قدوة والسير على هديهم ، وبالتالي سقوط أحقية الدين وأنظمة الحكم الوطنية ، والتمرد على كل ما هو مقدّس ، من أجل لقمة العيش) .

16. نشر العقائد الإلحادية المادية . (من خلال تنظيم محافل الشرق الكبرى ، تحت ستار الأعمال الخيرية والإنسانية ، كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز ، التي تحارب في الحقيقة كل ما تمثله الأديان السماوية ، وتساهم أيضا في تحقيق أهداف المخطط الأخرى ، داخل البلدان التي تتواجد فيها) .

17. خداع الجماهير المستمر ، باستعمال الشعارات والخطابات الرنّانة ، والوعود بالحرية والتحرر . (التي تلهب حماس ومشاعر الجماهير لدرجة يمكن معها ، أن تتصرف بما يخالف حتى الأوامر الإلهية ، وقوانين الطبيعة ، وبالتالي بعد الحصول على السيطرة المطلقة على الشعوب ، سنمحو حتى اسم " الله " من معجم الحياة) .

18. ضرورة إظهار القوة لإرهاب الجماهير . (وذلك من خلال افتعال حركات تمرد وهمية ، على أنظمة الحكم ، وقمع عناصرها بالقوة على علم أو مرأى من الجماهير ، بالاعتقال والسجن والتعذيب والقتل إذا لزم الأمر ، لنشر الذعر في قلوب الجماهير ، وتجنُّب أي عصيان مسلح قد يُفكّرون فيه ، عند مخالفة الحكام لمصالح أممهم) .

19. استعمال الدبلوماسية السريّة من خلال العملاء . (للتدخل في أي اتفاقات أو مفاوضات ، وخاصة بعد الحروب ، لتحوير بنودها بما يتفق مع مخططات المؤامرة) .

20. الهدف النهائي لهذا البرنامج هو الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم بأسره . (لذلك سيكون من الضروري ، إنشاء احتكارات عالمية ضخمة ، من جرّاء اتحاد ثروات اليهود جميعها ، بحيث لا يمكن لأي ثروة من ثروات الغرباء مهما عظُمت ، من الصمود أمامها ، مما يؤدي إلى انهيار هذه الثروات والحكومات ، عندما يوجّه اليهود العالميون ، ضربتهم الكبرى في يوم ما) .

21. الاستيلاء والسيطرة على الممتلكات العقارية والتجارية والصناعية للغرباء . (وذلك من خلال ؛ أولا : فرض ضرائب مرتفعة ، ومنافسة غير عادلة للتجار الوطنيين ، وبالتالي تحطيم الثروات والمدخرات الوطنية ، وحصول الانهيارات الاقتصادية بالأمم . ثانيا : السيطرة على المواد الخام ، وإثارة العمال ، للمطالبة بساعات عمل أقل وأجور أعلى ، وهكذا تضطر الشركات الوطنية لرفع الأسعار ، فيؤدي ذلك إلى انهيارها وإفلاسها ، ويجب ألا يتمكن العمال بأي حال من الأحوال ، من الاستفادة من زيادة الأجور) .

22. إطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم المتنازعة ماديا ومعنويا وبشريا . (لكي لا يبقى في النهاية سوى مجموعات من العمال ، تسيطر عليها وتسوسها حفنة من أصحاب الملايين العملاء ، مع عدد قليل من أفراد الشرطة والأمن ، لحماية الاستثمارات اليهودية المختلفة ، بمعنى آخر إلغاء الجيوش النظامية الضخمة حربا أو سلما ، في كافة البلدان) .

23. الحكومة العالمية المستقبلية ، تعتمد الدكتاتورية المطلقة كنظام للحكم . (فرض النظام العالمي الجديد ، يقوم فيه الدكتاتور بتعيين أفراد الحكومة العالمية ، من بين العلماء والاقتصاديين وأصحاب الملايين) .

24. تسلل العملاء إلى كافة المستويات الاجتماعية والحكومية . (من أجل تضليل الشباب وإفساد عقولهم بالنظريات الخاطئة ، حتى تسهل عملية السيطرة عليهم مستقبلا) .

25. ترك القوانين الداخلية والدولية التي سنتها الحكومات والدول كما هي ، وإساءة استعمالها وتطبيقها . (عن طريق تفسير القوانين ، بشكل مناقض لروحها ، يستعمل أولا قناعا لتغطيتها ، ومن ثم يتم طمسها بعد ذلك نهائيا) .

ثم يختم المتحدّث عرضه بالقول : " لعلكم تعتقدون أن الغرباء (غير اليهود) ، لن يسكتوا بعد هذا ، وأنهم سيهبّون للقضاء علينا ، كلا هذا اعتقاد خاطئ . سيكون لنا في الغرب ، منظمة على درجة من القوة والإرهاب ، تجعل أكثر القلوب شجاعة ترتجف أمامها ، تلك هي منظمة الشبكات الخفية تحت الأرض ، وسنعمل على تأسيس منظمات من هذا النوع ، في كل عاصمة ومدينة ، نتوقّع صدور الخطر منها " ، انتهى .

* بتصرّف من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) .

نود أن نُشير إلى أنّ هذا المخطط ، وُضع قبل أكثر من 200 سنة تقريبا ، وأن العمل على تنفيذه بقي جاريا على قدم وساق ، وكان دائم التجدّد والتطوّر من حيث القائمين عليه ، ومن حيث برامجه وأدواته ، ليتوافق مع التطورات المتسارعة التي ظهرت في القرنين الماضيين ، من مُخترعات واكتشافات كوسائل الاتصال ووسائل الحروب على مختلف أنواعها ، سُخرّت كلها لخدمة هذا المُخطّط الشيطاني ، الذي خطّته أيدي أبالسة اليهود على مرّ العصور ، وما كان لبشر من غير اليهود ، أن يجمعوا كل هذا الشرّ في جعبتهم ، ويصهروه بهذا الشكل المُذهل المتعمّق ، في معرفته بدواخل النفس البشرية وأهوائها ، ومكامن ضعفها وقوتها ، اتقانا ربما يعجز إبليس نفسه عن

الإتيان بمثله ، حتى استطاعوا من خلاله ، التحكم بالبشر ، بدءا من الرئيس الأمريكي بعظمته ، وحتى إنسان الغياهب الأفريقية بفقره وقلة حيلته ، الذي لا يدري ما الذي يُحاربه أولا ، الجوع أم الإيدز . وها هم الآن بدءوا يُزيلون أقنعتهم شيئا فشيئا ، فتصريحاتهم من مواقع السياسة الأمريكية ومواقفهم ، تكشف عن مدى قباحة وجوههم وأفعالهم في حقّ الإنسانية .

إسقاط جميع أنظمة الحكم الوراثية العريقة في أوروبا من خلال الثورات التحررية :

وقد استطاع اليهود ، من خلال مواظبتهم على تنفيذ هذه البروتوكولات ، من إسقاط نظام الحكم الملكي في بريطانيا ، لفترة ليست بالقصيرة ، ومن ثم عاد النظام الملكي ، بشكل صوري لا يتمتع بأي سلطة ، كما هو الحال الآن ، كما وقاموا بإسقاط النظام الملكي في فرنسا ، ومن ثم تم تحويلها إلى النظام الجمهوري . وبعد إثارتهم للحرب العالمية الأولى ، استطاعوا إسقاط الحكم القيصري في روسيا ، الذي عاملهم كما عوملوا في أوروبا ، ولكن بدون طرد ، وإدخال الحكم الشيوعي إليها ، واستطاعوا إسقاط الحكم القيصري في ألمانيا أيضا ، وأسقطوا الإمبراطورية العثمانية ، وكان آخر حصادها ، هو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

المخطط في مراحله النهائية ، تحت حماية أمريكا :

ولو أنك نظرت إلى البروتوكول رقم (23) ، ستجد أن النظام الذي كان يُنادي به الرئيس الأمريكي (بوش) في بداية التسعينيات ، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ، موجود تحت نفس الاسم (النظام العالمي الجديد) وهذه العبارة نفسها مكتوبة أيضا ، على الدولار باللغة اللاتينية ، وهذا مؤشر على أن المخطّط أصبح في مراحله الأخيرة ، حيث أن هذا البرتوكول هو الثالث قبل الأخير ، وما بقي عليهم للوصول إلى هدفهم النهائي ، سوى تنفيذ البرتوكولين (24) و (25) ، وهما المتعلقيّن بالعولمة بجانبيها الثقافي والاقتصادي ، والتي سنوضحها لاحقا .

الرؤساء الأمريكيون الأوائل يُحذّرون من الخطر اليهودي

ترجمة النص الكامل للجزء الخاص باليهود من خطاب بنيامين فرانكلين أمام الكونغرس :

" أيها السادة : هنالك خطر كبير يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية ... وهذا الخطر هو اليهود ... ففي أي أرض يحلّ بها اليهود ... يعملون على تدني المستوى الأخلاقي والتجاري فيها ... وعلى مدى تاريخهم الطويل ...ظلّوا متقوقعين على أنفسهم في معزل عن الأمم التي يعيشون فيها ... ولم يندمجوا في حضاراتها ... بل كانوا يعملون دوما على إثارة الأزمات المالية وخنق اقتصادياتها ... كما حصل في البرتغال وإسبانيا .

لأكثر من 1700 سنة ... وهم يبكون على قدرهم ومصيرهم المحزن ... أعني طردهم ونفيهم من وطنهم الأم (فلسطين) ... ولو أن العالم المتحضر (الغرب) أعاد لهم فلسطين الآن ... فإنهم على الفور سيختلقون الكثير من الأسباب والأعذار والحجج الواهية ... ليبرروا عدم رغبتهم في العودة إليها ... لماذا ؟ ... لأنهم كائنات طفيلية ... والطفيليات لا تستطيع أن تتطفل على طفيليات أخرى ... فهم لا يستطيعون العيش مع بعضهم البعض ... مما يستدعي ضرورة تواجدهم بين المسيحيين ... أو بين أناس من غير جنسهم .

وإن لم يُطردوا من الولايات المتحدة بموجب الدستور ... فإنهم وخلال مائة عـام على الأقل من الآن ... سـيتوافدون إلى هـذا البلد بأعـداد كبـيرة ... وبتلك الأعـداد سـوف يحكمونا ويدمّرونا ... من خلال تغيير أنظمة الحكم لدينا ... والتي بذلنا نحن الأمريكيين من أجل توطيـدها على مر السـنين ... الغـالي والنفيس من دمائنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا ... وإن لم يتم طردهم ... وبعد مائتي سنة من الآن ...فإن أحفادنا سـيعملون في الحقول ليل نهـار ... من أجل إشـباع بطـونهم وجيـوبهم ... بينما يجلسـون هم في قصورهم يفركون أيديهم فرحا واغتباطا ... بما حصدوه من غلال وأرباح .

وها أنا أحـذركم أيها السـادة ... إن لم تطـردوا اليهـود من هـذا البلد إلى الأبد ... فـإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم ... ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال ... فإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا ، عما يتحلى به الشعب الأمـريكي من مُثُل ... فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيـير لـون جلـده (عبـارة مقتبسة من التـوراة) ... سـوف يُعرّضـون مؤسساتنا ومقوماتنا الاجتماعية للخطر ... لذلك يجب طردهم بنص من الدستور " .

وكان فرانكلين من الرؤساء الأوائل في أمريكا ، والذي استشـعر الخطر اليهـودي قبل تغلغله في أمريكا ، من خلال دراسته لتوراتهم ولتـاريخهم في أوروبا ، وما أحـدثوه من خراب فيها .

وهذا قسم من خطاب الـرئيس الأمـريكي (لنكـولن) للأمة ، في نهاية مدته الرئاسـية الأولى :

" إنـني أرى في الأفق نُـذر أزمة تقـترب شـيئا فشـيئا ... وهي أزمة تثـيرني وتجعلـني أرتجف على سـلامة بلـدي ... فقد أصـبحت السـيادة للهيئـات والشـركات الكـبرى ... وسـيترتب على ذلك وصـول الفسـاد إلى أعلى المناصب ... إذ أن أصـحاب رؤوس الأموال ، سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة ... مسـتخدمين في ذلك مشـاعر الشـعب وتحزّباته ... وستصـبح ثـروة البلاد بأكملها ، تحت سـيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية " .

وكـان هـذا الخطـاب قبل أكـثر من 130 سـنة ، بعد أن تغلغل اليهـود في أمريكا ، وقد اغتيل هـذا الـرئيس في بداية فـترة الرئاسـية الثانية ، نتيجة خطاباته لأن كل أصـحاب رؤوس المال الأمريكي أصبحوا من اليهود . كما اغتيل الرئيس (جون كندي) ، عنـدما أعلن عن برامجه الإصـلاحية ، وبنـاء أمريكا من الـداخل ، ونهج التعـايش السـلمي مع الخارج ، كروسيا والبلـدان الأخـرى ، وهـذا مما يتعـارض كليا ، مع بروتوكـولات أربـاب المـال اليهـود وحكمـائهم . وتخيل لو أن أربـاب المـال اليهـود يسـحبون أرصـدتهم من أمريكا ، بالتأكيد سينهار الاقتصاد الأمريكي برمّته على الفـور ، وربما تصـبح أمريكا من أفقر بلدان العالم .

بعد اغتيال (كندي) استوعب رؤسـاء أمريكا الـدرس ، وحفظـوه عن ظهر قلب ، فلم يجـرؤ أحـدهم على نهج أي سياسة ، تتعـارض مع طموحـات اليهـود ، وتطلعـاتهم على كافة الأصـعدة ، بل كـانوا فـور انتخـابهم ، يسـارعون لتقـديم فـروض الطاعة والـولاء لأسـيادهم اليهـود . وخـدماتهم لليهـود خلال الأربعين سـنة الماضـية ظـاهرة للعيـان ، وأصـبحت مهمة الـرئيس الأمـريكي ، لا تتعـدى مهمة (كلب الصـيد المـدرّب جيـدا) ، لاصطياد الشعوب وثرواتها وجلبها ، لليهـود في الـداخل والخـارج ، وفي نهاية ولاية كل كلب جيد منهم ، يُعلّق في رقبته وسـاما رفيعا من المـديح اليهـودي ، فيهـزّ ذنبه فرحا ويمضي خارجا من البيت الأبيض ، بعد حصوله على شرف عضوية (نادي كلاب الصـيد) اليهـودي ، وكلنا يـذكر قصة (كلينتـون) عنـدما نسي نفسه ، وحـاول الضـغط على

نتنياهو ، ففجّـروا في بيته الأبيض القنبلة (لوينسـكي) ، الـتي كـانت مُعـدّة منذ لحظة انتخابه ، فأعادته إلى صـوابه ، وإلى موقعه الحقيقي ككلب صـيد لا أكـثر ، فأصـبح في نهاية مدة رئاسته صهيونيا ، أكثر من الصـهاينة أنفسـهم ، يمسح بفـروه الأبيض النـاعم نعال أحذيتهم ، عسى أن يقتات هو وزوجته على فتـات موائـدهم ، في قاعـات مجلس الشيوخ الأمريكي ، بعد خروجهم من البيت الأبيض .

الحرب العالمية الثانية درس من دروس التآمر اليهودي العالمي

الظروف التي سبقت الحرب ، من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) بتصرّف :

ـ معاهدة فرساي المجحفة بحق ألمانيا : الـتي كـان لليهـود وعملائهم اليد الطـولى في صياغتها ، من وراء السـتار ، لتكـون بـؤرة لتوريط ألمانيا في حـرب أخـرى ، إذا تطلب الأمر مستقبلا . حيث أن بنـود هـذه المعاهـدة ، اقتطعت جـزءا من الأراضي الألمانية ، وضــمتها إلى بولنــدا ، وأرغمت ألمانيا على دفع التعويضــات ، للخســائر الناجمة عن الحرب العالمية الأولى ، وأبقت ألمانيا تحت طائلة الديون إلى ما لا نهاية .

ـ وجـود الحركة النازية في ألمانيا : والسـبب في بلـورة أفكارها ، هو معرفة الألمـان بفصول المـؤامرة اليهودية ، حيث أن الصـيغة النهائية لـبرتوكولات حكمـاء المـؤامرة ، التي تدعو لتفوق العرق اليهودي ، والـتي كُشـفت أصلا فيما سـبق في ألمانيا نفسـها ، مما دفع الألماني (كارل ريتر) إلى طرح أفكار ، تـدعو إلى تفـوق العـرق الجرمـاني ، ردا على ما طرحته برتوكـولات حكمــاء اليهــود . ومن أقــوال مؤسس الفكر النــازي (كــارل ريــتر) الــذي نشر أفكــاره عــام 1849م : " لكي يعــود الســلام والحرية الاقتصادية إلى العالم ، يجب أولا القضـاء على الممـولين اليهـود ، وعلى جميع أعضـاء الحركة الثورية العالمية ، الـذين يُوجّهـون الشـيوعية ويسـيطرون عليها " . ومضـمون المعتقدات النازية يقضي بتفوق العرق الجرماني ، والذي يتـوجب عليه إخضـاع العـالم بالقوة العسكرية ، ويجب أن تكون الطاعة فيه لرئيس الدولة الجرمانية ، طاعة عميـاء وبدون نقاش . وعلى ما يبدو أن رجالات الحرب الألمان ، بعد الحرب العالمية الأولى ، وما لحق بألمانيا من إجحاف ، من خلال المؤامرات اليهودية قبل وبعد الحرب ، اقتنعوا بالمذهب النازي واعتنقوا مبادئه ، التي تتقاطع مع المخطط اليهـودي ، للسـيطرة على العالم اقتصاديا ، ومن ثم السيطرة على الحكم سلميا ، فوضعوا مخططهم العسـكري لاكتساح أوروبا وأمريكا ، للقضاء على الممولين اليهود ، واليهود بشكل عام في أماكن تواجدهم ، والاستيلاء على ثرواتهم الطائلة .

ـ مرتكزات السياسة الألمانية : كانت تقوم على وجـوب تحرير ألمانيا ، من الاتفاقيـات الاقتصـادية المفروضة عليها ، من قبل الممــولين والمــرابين الــدوليين ، بعد أن أدرك الزعمـاء الألمـان ، خطر هـذه الاتفاقيـات على اسـتقلال البلاد ، لأن الفوائد المفروضة على القـروض المالية ، بمـوجب هـذه الاتفاقيـات ، سـتؤدي حتما إلى وقـوع البلاد في بـراثن دائنيها ، (بمعـنى ارتهـان القـرار والموقف ، السياسي والاقتصـادي بمصـلحة الـدائنين ، بغض النظر عن مصـلحة الأمة) ، تماما كما وقعت بريطانيا عـام 1694م ، وفرنسا عام 1790م ، وأمريكا عـام 1791م . وبالتـالي سـتكون هـذه القـروض ، دينا واسـتعبادا لكل فـرد من أفـراد الشـعب ، لأن تسـديدها لن يكـون إلا بفـرض مزيد من الضرائب ، يدفعها المواطنون جميعا ، ويكون المستفيد الذي لا يخسر أبدا هو الـدائن ، أي الممول المرابي العالمي . عندئذ صمم القادة الألمان ، على خلق عملة ألمانية ، لا تسـتند إلى القـروض ، بل تعتمد على الـدخل القـومي ، والممتلكـات الوطنية ، وعلى موارد الصناعة والزراعة ، والثروات الطبيعية ، وعلى الطاقة الإنتاجية للأمة .

ـ وصـول هتلر إلى سـدة الحكم : شخصـية هـذا الرجل ، اعتراها الكثـير من التشـويه الإعلامي اليهـودي الغـربي ، وفي الحقيقة لم يكن هتلر داعية حـرب ، ولم يكن معتنقا للمذهب النازي ، بل كان رجلا قوميا ، يسعى لرفع الظلم والإجحاف الذي لحق بأمته ، من جراء معاهدة فرسـاي ، وكـان عـدوًا لـدودا للنـازيين ، والممـولين اليهـود على حد سواء ، وقد جاء في الصفحة الأخيرة من كتابه (كفاحي) الذي كتبه في السـجن عـام 1934م ، قبل أن يتسلّم الزعامة ، ما نصه " وبهذا يقف الحزب الاشـتراكي الوطـني ، موقفا إيجابيا من المسـيحية ، ولكنه لا يـترك أمـور العقيـدة لجماعة من المنحـرفين (النازيين) ، ومن جهة أخرى يحارب ، الـروح المادية اليهودية ، المتغلغلة في نفوسـنا وفي نفـوس الآخـرين " . أما عن معاهـدة فرسـاي فقد كتب يقـول : " إنها لم تكن لمصلحة بريطانيا ، ولكنها كانت أولا وأخيرا ، في صـالح اليهـود لتـدمير ألمانيا " . ونـود أن نضـيف أن السـبب الرئيسي ، في هزيمة ألمانيا في الحـرب العالمية الأولى ، وهي في قمة انتصـاراتها العسـكرية ، هو الثـورات والفتن الـتي أحـدثها الممولـون اليهـود ، بإحيـاء الثـورات الشـيوعية داخل ألمانيا ، والـتي أضـعفت الجبهة الداخلية ، وأضـعفت الروح المعنوية لـدى الجيش الألمـاني ، والـتي تسـببت في تنـازل القيصر عن عرشه ، وتوقيع الهدنة للالتفات إلى الشأن الداخلي ، خوفا من سيطرة الشيوعية على ألمانيا ، كما حصل في روسيا .

ـ نشوء دول المحور : وجد الشعب الألماني بصورة عامة ، أنه يشـارك شـعوب اليابـان وإيطاليا وإسبانيا ، آمالهم وأمانيهم في المستقبل السياسي والاقتصـادي ، فظهر حلف المحور ، ونظرا لديناميكية زعماء تلك الدول ، وما بذلوه من جهود ضخمة ، تمكنّوا من إعادة بناء بلدانهم على كافة المستويات ، الصناعية والزراعية والعسـكرية ، بما يشـبه المعجزات .

كان هتلر يحمل على كاهله أربعة هموم قومية :

1. إعادة بناء الدولة الألمانية .
2. استرجاع الأجزاء المقتطعة من ألمانيا .
3. محاربة أرباب المال اليهود ، والقضـاء على الثـورة الشـيوعية اليهودية في روسـيا ، والتي كانت تموّل الحركات الثورية في بلاده .
4. كبت رغبات لوردات الحرب النازيون ، في احتلال العالم عسكريا .

سيناريو الحرب :

بدأ هتلر عـام 1936م ، محـاولات التحـالف مع بريطانيا ، وجـرت عـدة محادثـات غـير رسمية بين دبلوماسيي البلدين ، وكانت الغاية من هذا التحـالف ، هو رغبة الألمـان في احتلال جميع الـدول الشـيوعية ، وتحرير شـعوبها ، وإعـدام جميع الخونة فيها ، وذلك لقناعة الألمـان بارتبـاط الشـيوعية ، بكبـار أغنيـاء اليهـود ، الـذين يوجّهـون حركتها ويموّلونها ، كما يوجهون ويمولون في نفس الوقت الحركة الصهيونية السياسية ، وكان الـرد البريطـاني على مقترحـات الألمـان سـلبيا ، معـبرا عن عـدم موافقته على هـذه المقترحات ، فاقتنع هتلر بأنه يستحيل على أي أمة بمفردها ، أن تحطم نفوذ المـرابين العالميين ، وخاصة في الدول المسـمّاة بالديموقراطية ، وذلك لتحكّمهم المـالي بهـذه الدول ، وإيقاعهم إياها تحت طائلة الديون .

ولمّا رفض هتلر ، أوامر لوردات الحرب النازيين ، لـردع الشـيوعية وسـتالين منفـردا ، حاولوا اغتياله ، ولما فشلوا ، حـاولوا إضـعاف شـعبيته الـتي حققها بين الألمـان ، فبـدأ النـازيون بنشر الأفكـار النازية الإلحادية بين الشـعب الألمـاني ، واسـتغلت الصـحافة المعادية ذلك ، وألصـقت هـذه التهمة بهتلر ، وبـدأت وسـائل الإعلام حملتها ضد هتلر ، وانقسم الشعب الألمـاني إلى قسـمين ، ووقع هتلر بين فكي كماشة ، رجـال الكنيسة من جهة ، ورجــال النازية من جهة أخــرى ، أما في بريطانيا فكــانت وســائل الإعلام اليهودية ، ماضية في تشويه صـورة هتلر وألمانيا ، لتمنع أي فرصة لأي تقـارب ألمـاني بريطاني .

وعنــدما عرضت ألمانيا مشــروعا مقبــولا ، لمشــكلة الممر البولنــدي ودانزنغ المدينة الألمانية ، الـتي سـببتها معاهـدة فرسـاي الجـائرة ، سـارع أقطـاب المـؤامرة ، لإيجـاد تحالف بريطاني بولندي ، من خلال فبركتهم لإنذار مزوّر ، تنـذر فيه ألمانيا البولنـديين ، بالاستسـلام خلال 48 سـاعة فقط ، تمخّض عن معاهـدة بريطانية ، لحماية البولنـديين من أي عدوان ألماني ، عام 1939م . ومن ثم عملوا على إقناع البولنـديين ، بصـلاحية معاهدة الحماية البريطانية ، وهكذا أهمل البولنديون المذكرة الألمانية أشـهرا عديـدة ، في حين كانت الصـحافة المعادية لهتلر ، تشـنّ عليه الحملات العنيفة المضـادة ، وذلك لسبب واحد هو معاداته لأصحاب المؤامرة العالمية ، واعتمـاده سياسة مسـتقلة داخل الإمبراطورية الألمانية ، بعيدا عن قروضـهم وخططهم الاقتصـادية المـدمرة ، وبشـكل عام كـانت الصـحافة الغربية ، قد هيّـأت الشـعوب هنـاك لتقف موقفا معاديا للألمـان ، ولجميع الــدول الــتي تؤيد سياســتهم ، وبــدأت تفسّــر وتحلّل أقواله وأفعاله ، وتقلب الحقائق وتفبرك الأخبار ، وتحذر من أطماعه التوسعية .

وهكذا بعد التعنت البولندي وتجاهله للمذكرة الألمانية ، ضجر هتلر من انتظـار الـرد ، ومن الحرب المشينة ، التي وجهتها ضده صحافة الحلفاء ، فـأمر جيوشه بـالتحرك نحو بولندا ، لاسترجاع ما استقطع من أراضي ألمانيا بالقوة ، ولم يتعـدّ إلى ما وراءها ، بل توقف عند ذلك الحـدّ . عندئذ أعلنت بريطانيا الحــرب على ألمانيا ، بمــوجب الاتفاقية السابقة ، مع علم الذين أوجدوا هذه الاتفاقية عدم قدرة بريطانيا ، على حماية نفســها في مواجهة القــدرات العســكرية الألمانية . وعنــدما تأكد لهم أن رئيس الــوزراء البريطاني (تشامبرلين) ، غير مُتحمس للدخول في حرب فعلية مع ألمانيا ، أسقطوه وجاءوا (بتشرشل) الذي قام بقصف المدن الألمانية بالطائرات . وهكـذا اضـطر هتلر مرغما لتكملة تلك الحرب المدمرة ، مُستجيبا للوردات الحـرب النـازيون ، الـتي دامت قرابة الخمس سـنوات ، وانتهت بخــروج معظم الــدول الــتي شـاركت فيها ، مثقلة بالديون والخسـائر المادية والبشـرية . وكـان المسـتفيد الوحيد هم المرابـون اليهـود ، الذين موّلوا هذه الحرب في سنواتها الخمس ، وموّلوا عمليات الإعمار بعدها ، بقروض لم تستطع البلدان الأوربية ، تسديدها إلى يومنا هذا .

وأما ألمانيا ومن أجل عدائها المعلن لليهود ، سواء من هتلر أو من قبل النـازيون ، فقد لاقت مصـيرها المحتـوم ، من تقسـيم أراضـيها وتحجيمها قـدراتها ، ونهب مقـدّراتها وثرواتها ، حيث اســتطاع اليهــود العــالميون ، بما يملكونه من أمــوال ، ومن خلال ســيطرتهم على اقتصــاديات الــدول الغربية برمتها ، ومصــادرة قرارها السياسي ، وتجييره لخدمة مخططـاتهم الشـيطانية ، وعلى رأسـها أمريكا وبريطانيا ، من التخلص من الخطر الألمــاني ، الــذي كــان يُهــدّد وجــودهم ، ويقضّ مضـجعهم ويتقــاطع مع مخطّطاتهم لتدمير البشرية .

ويخلص صاحب كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) المسيحي الكندي ، في نهاية حديثه عن الحرب العالمية الثانية ، يوجهه لمن انساق وساهم من ساسة الغرب ، في نجاح المخطط الجهنمي للمرابين اليهود ، طمعا بما يلقونه لهم من فتات وحطام هذه الدنيا الزائلة ، إلى القول :

" أما الحقيقة الأولى : **فهي أن الإنسان ، لن يصحب معه إلى القبر ، شيئا من كنوز الدنيا ، أو شيئا من أكاليل المجد والثناء** ...

والحقيقة الثانية : **هي أن القبر ، ليس النهاية ، بل إنه الطريق الذي لا مناص منه ولا مفرّ ، بعد القبر ، من تقديم الحساب أخيرا ، حيث ليس للمرابين العالميين ، من حول ولا قوة** " .

تأخر موسم الحصاد اليهودي للمحصول العالمي :

كان مخطط المؤامرة ، يقتضي تنفيذ ما جاء في البروتوكولات بحرفتيه ، والغاية من ذلك السيطرة على اقتصاديات دول العالم بأسرها ، وحصر رؤوس الأموال العالمية كلها في أيدي اليهود ، وعندما يحين الموعد المناسب ، يعمد اليهود إلى شراء الذهب من الأسواق العالمية وتكديسه ، ومن ثم يُشعلون نيران الحرب العالمية الثالثة ، والتي حسب تصورهم ، ستكون كارثية بكل معنى الكلمة على العالم بأسره ، وتخلف وراءها قطعانا بشرية جائعة ، ملحدة لا تؤمن إلا بما هو مادي ، ومنحلة لا تبحث إلا عن كل ما يُشبع غرائزها الجسدية ، آنذاك يُعلن ملوك الذهب عن أنفسهم ، ويشترطون لإنقاذ تلك القطعان البشرية من الموت جوعا ، بما أنهم يملكون الذهب ، تنصيبهم ملوكا على الأرض ، ليُقيموا دولتهم العالمية الدكتاتورية وعاصمتها القدس ، فلا تملك تلك القطعان ، إلا أن تدين بالعبودية المطلقة لليهود ، بعد أن جاءها نور الذهب ليُبدد ظلمة الأديان الموحشة .

إذ كان من المفروض أن تقوم الحرب العالمية الثالثة ، حسب مُخططاتهم ، بعد (20 ـ 25) عاما من الحرب العالمية الثانية ، ولكن ما لم يكن في الحسبان ، هو موت لينين نتاج المؤامرة اليهودية ، وانقلاب (ستالين) على مخطّطاتها ومخطّطيها ، وتخلّصه من جميع القادة اليهود في الحزب الشيوعي ، وإقامته لاتحاد سوفييتي قوي ، وامتلاكه للسلاح النووي ، ومقاسمته لأمريكا حكم العالم ، ودخول عصر الحرب الباردة ، الذي حجّم اليهود وطموحاتهم ، بوقوفه ندّا قويا في وجه أمريكا وطموحاتها ، فكان لا بد من تدميره وتفكيكه أولا ، عن طريق الغزو السلمي التسلي ، المطروح في البروتوكول رقم (9) .

فوجدوا في (غورباتشوف) ضالتهم ، الذي أدخل إصلاحاته الهدّامة . ولما أوشك الاتحاد على الانهيار ، أجهزوا عليه بعمليهم الآخر (يلتسين) ، فسيطر على مقاليد الحكم بالقوة ، وأنهى ما يُسمى بحلف وارسو ، وأزاح الحكم الشيوعي المناهض لأمريكا عن روسيا ، وأخذ بنصائح صندوق النقد الدولي ، للإصلاح الاقتصادي من خصخصة وغيرها ، فاستطاع المليارديرات اليهود ك (بيريزوفسكي) من شراء معظم المشاريع الاستثمارية الروسية ، وشراء القرار السياسي والاقتصادي الروسي ، وبالإضافة إلى ما كانت تواجهه روسيا من أوضاع اقتصادية متردّية ، أدخلوها في حرب استنزافية مع الشيشان في أوساط التسعينيات ، وكل ذلك حتى يتسنى لليهود أن يصولوا ويجولوا ، في كافة أرجاء العالم ليُحققوا طموحاتهم ، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط ، وعندما خلت لهم الساحة بانهيار الاتحاد السوفييتي ، وتجيير قرارات روسيا بالأموال اليهودية ، أشعلوا حرب الخليج الثانية ، باستخدام نفس السيناريو

المستخدم في الحرب العالمية الثانية ، والخروج بنفس النتائج ، وشاركت روسيا في الحملة الثلاثينية على العراق ، على استحياء من حليفها السابق ، غير أن الحصار العراقي ، شمل كل مناحي الحياة ، ولم يقتصر على التصنيع العسكري كما هو الحال مع ألمانيا واليابان .

وكان مؤتمر مدريد للسلام ، الذي كان في الأصل ، غاية لمخطّطي ومفكري اليهود التوراتيون في الغرب ، والذي لم يكن يوافق عليه حكام إسرائيل العلمانيون ، وذلك لخلق درع من معاهدات السلام ، لحماية إسرائيل من الأخطار الخارجية ، من دول ما وراء دول الطوق ، ولتحييد طول الطوق نفسها ، ودفعها لخوض الحروب نيابة عن الدولة اليهودية ، في حال فكرت أي دولة بعيدة ، كروسيا والعراق ، العدوين اللدودين حسب النبوءات التوراتية ، بالإضافة إلى مصر والسودان وليبيا ، والأردن وسوريا وإيران وأفغانستان ، وكل هذه الدول مذكورة في التوراة بأسمائها القديمة . ولذلك كانت هناك معاهدة السلام المصرية ، لقطع الطريق على مصر نفسها والسودان وليبيا ، وكانت المعاهدة الأردنية لقطع الطريق على الدول الشرقية ، ولم تتحقق معاهدة السلام السورية ، نتيجة التعنت السوري لاسترجاع هضبة الجولان ، التي لا تستطيع إسرائيل التخلي عنها ، بأي حال من الأحوال ، فكانت هناك معاهدة أمنية بين إسرائيل وتركيا ، بديلا عن المعاهدة السورية مؤقتا ، لقطع الطريق على روسيا ، أما هذه الأيام فالموقف من سوريا قد اختلف ، باختلاف الموقف السوري من إسرائيل ومن العراق ، مما يستدعي أفكارا جديدة ، وأسلوبا جديدا للتعامل مع سوريا .

ميكانيكيات وأدوات العمل المستخدمة لتنفيذ برامج المخطط الشيطاني

مجلس الأمن :

بغض النظر عما يُمثّله من أنظمة وقوانين وقرارات ، تأخذ طابع العدالة والإنصاف ، فالتطبيق في الواقع يختلف كليا ، ويأخذ طابع الجور والظلم ، كما هو الحال مع فلسطين والعراق من جانب ، وإسرائيل من جانب آخر . فالقرارات ملزمة للجانب الأول ، وغير ملزمة للجانب الثاني . وخذ إسرائيل وجنوب إفريقيا من جانب آخر كنظاميين عنصريين ، فالنظام الأول زالت عنه صفة العنصرية ، بقرار من مجلس الأمن مع بقاء النظام العنصري ، والثاني زالت عنه هذه الصفة بزوال النظام ، وهذا لا يُسمّى كما يحلو لبعض الغافلين ، ازدواجية في التعامل ، أو الكيل بمكيالين ، فالحقيقة هي أن مجلس الأمن الخاص بالأمم المتحدة ، هو مجلس أمن يهودي عالمي ، وبالتالي ليس هناك ما يُسمّى بمعيارين أو مكيالين ، بل هو معيار واحد ومكيال واحد ، يقيس كل الأشياء وفق الرؤى اليهودية الإسرائيلية ، فهو الذي أوجد دولة إسرائيل ، وهو الذي حافظ على بقائها وإدامتها .

لنطرح هذه التساؤلات : كم كان عدد الدول ، التي كانت قلقة بمصير اليهود ؟ وما الداعي لوجود دولة لليهود ، بما أن اليهودية ديانة وليست قومية ؟ ومن قال بأن القومية تعطي الشرعية لإقامة دولة ؟ فهناك الأكراد والأرمن وألبان كوسوفو وغيرهم الكثير ، ممن هم متواجدين على أراضيهم ! فلماذا لم يُوجد لهم مجلس الأمن دولا ؟! وبدلا من ذلك يتغاضى عن إبادتهم وقمعهم ، خاصة إذا كانوا مسلمين كالبوسنة وكوسفو والشيشان ، أو أعداءً لدولة حليفة لليهود كأكراد تركيا ، وعندما يتعلّق الأمر بالعراق يُصبح الأكراد في الشمال مسألة إنسانية تُقلق مجلس الأمن . فما مصلحة

أمم العالم قاطبة ومجلس أمنها ، في إنشاء دولة لليهـود ! مع وجـود الأنظمة العلمانية في معظم دول العالم ، حتى في معظم الدول الإسـلامية والعربية ! إلا أن يكـون هـذا المجلس هو مجلس أمن يهودي بحت ، ولكن كيف تحصّل اليهود على ذلك ؟

الجـواب بسـيط جـدا ، من خلال التلاعب من خلف السـتار ، بـالترغيب والـترهيب الاقتصـادي ، للمصـوّتين على القـرارات ، لضـمان الأغلبية لإصـدار أي قـرار يرغبـون بتمريره . بالإضافة إلى إيجاد حق النقض (الفيتو) للـدول دائمة العضـوية ، منها ثلاث دول مؤيدة لإسرائيل بالسيطرة الاقتصادية ، مع أن واحـدة تكفي ، لتعطيل أي قـرار لا يخدم مصالح اليهود والدولة اليهودية ، واثنتان لا يُرتجَ منهما خيرا وهما روسيا والصين ، اللتان غالبا ما كانتا تتماشيان مع الرغبة الأمريكية ، نتيجة الاسترضاء السياسي ، كغض الطرف عن ممارسات هاتين الدولتين ، فيما يخص مثلا حقوق الإنسان في الصين ، أو اضـطهاد الشـعوب المُجـاورة والأقليّـات العرقية أو الدينية في روسـيا ، بالإضـافة إلى الاغراء الاقتصادي ، متعدد الأوجه والخيارات . وفي حال فكّرت إحداهما في اسـتعمال أي منهما ، حق النقض على قرار يخدم إسرائيل ، تصـبح دولة نازية ولا سـامية ، وتبـدأ الآلة الإعلامية اليهودية العالمية بالطبل والزمر ، فـالأمور تصـبح محسـومة مسـبقا ، ومـؤخرا كُشف النقـاب عن هـذه السياسة علنا ، عنـدما هـدّدت أمريكا دولة كولومبيا المستضعفة بفرض مقاطعة اقتصادية ، عندما صوّتت لصالح إرسـال قـوة حماية دولية للفلسطينيين .

ولنأخذ على سبيل المثال ، القرارات الخاصة بـالعراق ، حيث اتُخـذت بالإجمـاع ، بحجة مخالفة العراق للقانون الدولي آنذاك ، وطريقة تـأمين الإجمـاع ، تمت كما هي العـادة بطريقة آلية ، بالنشـاط الملحـوظ للديبلوماسـية اليهودية الأمريكية من وراء السـتار ، ومن أمـام السـتار أحيانا بجـولات مكوكية . فمعظم دول مجلس الأمن ، إمّا أن تكـون حليفة أو صديقة أو مديونة أو منهارة اقتصاديا . وعندما وُضع أول قـرار بـدأت الماكينة اليهودية ، بالـدوران بأقصى سـرعتها وطاقتها ، مدفوعة بأحقادها ومخاوفها التوراتية ، لفرض قرارات جديدة ، ولتأمين تطبيق القرارات وتنفيـذها ، والعـالم كله لا يعلم لغاية الآن ، حقيقة النوايا اليهودية الأمريكية البريطانية الفرنسية ، من وراء تلك الحرب وهذا الحصـار . وفي الحقيقة ما وُضع بقـرار لا يُرفع إلا بقـرار ، وهـذا ينطبق على الحصـار ، ولن يُرفع هـذا الحصـار اليهـودي التـوراتي ، ما دامت أمريكا تملك حق النقض ، إلا أن يتم خرق هذا الحصار بدون قرار رفع ، من جـانب دولة عظمى كروسـيا أو الصـين ، لا يستطيع القانون الدولي اليهودي الأمريكي معاقبتها ، كونها تمتلك سـلاحا نوويا ، قـادرا على أن يمحو أمريكا وحلفائها عن الوجود ، بما فيها من يهود ، وهذا الاحتمال يُعدّ نـوع من المُغـامرة في الظـروف الراهنة ، ومع ذلك بـدأ التمـرد الروسي على أوامر أسـياد العالم يلوح في الأفق .

المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة :

ما الذي تنادي به هذه المنظمات ؟ تنـادي بحرية المـرأة ، وحقـوق الإنسـان ، وحقـوق الطفل ، وتنظيم النسل وتحديده ، وغيرها ، وكل هذه الحريات والحقوق ، عند المناداة بها ، غالبا ما تأخذ الطابع السياسي ، فانظر إلى الدول المتهمة ، بانتهاك هذه الحريات وهذه الحقوق ، هي الدول العربية الإسلامية أولا ، والدول الإسلامية غـير العربية ثانيا ، والدول الشيوعية ، وما عدا ذلك إذا كـان موجـودا ، فهو لـذرّ الرمـاد في العيـون ، فما الـذي يريـدون من وراء ذلك ؟ انظر إلى الحيـاة الاجتماعية في الغـرب ، الـذي سـمح ويسمح بهذه الحريات والحقوق ، تجد أن الإجابة هي ما يلي :

تحرّر الفكر ، فنتج الكفر والإلحاد وعبادة المادة وتقديسها ، تحررت النساء فتنازلن عن دورهن الفطري في الأمومة والتربية ، فنتجت كافة أنواع الإباحية والفجور والدعارة ، وأصبحت لحوم النساء عرضة للكلاب الضالّة . وتحرّرت الطفولة ، فتطاولت على الأباء والأمهات والمعلّمين والمعلّمات ، وتمرّدت عند البلوغ لتترك الأسرة ، وطفقت تبحث عن إشباع الغرائز والشهوات . لنخلص من ذلك إلى أن المطالبة بحماية هذه الحقوق والحريات ، هي في الأصل دعوة للتمرد على الطبيعة البشرية وأبجدياتها ، وعلى القيم الروحية والأخلاقية ، التي قدّمتها الأديان السماوية كمنهج للحياة . تهدف إلى ضرب الأسرة ، اللبنة الأساسية في بناء المجتمعات ، بحرمان الأب من دوره القيادي ، مما يؤدي إلى تفكيك العلاقات ما بين أفرادها ، وضياع الرؤى المشتركة للبقاء والاستمرار . ولو قمت بإحصائية لعدد الغربيون ذوي الولادات الشرعية ! ربما لوجدت أن معظمهم أولاد زنا ، شرّ الخلق عند الله !! أما نحن ... فماضون على الدرب لنواكب مُتطلبات العصر اليهودي ... بجهود الجهابذة من مفكرين وخبراء واختصاصيين ... من دعاة التحرّر والتحرير والإصلاح الاقتصادي والثقافي ... وسنصل ... عمّا قريب ... إن لم يدّاركنا الله برحمته .

البنك الدولي وصندوق النقد الدولي :

مهمة هذه المؤسسة تقديم النصائح ، بما يُسمى ببرامج التصحيح الاقتصادي ، ومن ثم تقديم القروض ، والحصول على ضمانات للسداد ، ولكن هل تكترث هذه المؤسسة بمصير الأموال المقدّمة ، وهل تتابع تنفيذ برامجها التصحيحية ؟ وما هي طبيعة هذه البرامج وماذا تحمل في طياتها ؟ في الحقيقة تذهب معظم الأموال المقدّمة إلى جيوب ، المتنفّذين في الحكم ، وكنفقات للأجهزة الحكومية ، ولا تظهر المتابعة ، إلا عندما تقع الدول المديونة ، في أزمات اقتصادية يكون سببها في الأصل برامج الصندوق نفسها ، تعجز بسببها من سداد استحقاقات الدين ، فيأتي الصندوق بحزمة اقتراحات جديدة ، بديون جديدة وفوائد جديدة ، ومن ثم يتم إعادة جدولة الديون . ومن ضمن الاقتراحات رفع الضرائب والرسوم على كل شيء . وربما يضعوا في بيتك مستقبلا موظفا حكوميا ، ليحصي عليك عدد لقمات الطعام ، التي تأكلها أنت وأبناءك ، أو ما تحرقه عضلاتك من سكّر أثناء الحركة ، بما أنها نوع من الوقود ، ولتُجبى منك نسبة الضريبة على كل لقمة أو غرام من السُكّر ، مما يؤدي إلى رفع الأسعار باستمرار ، ويكون ضحيتها أولا وأخيرا المواطن المسحوق . ويُضاف دين جديد للخروج من الأزمة الاقتصادية ، وتُعاد جدولته مع الديون القديمة مرة أخرى ، ومن ثم تقع أزمة جديدة ، نتيجة الانسياب المستمر لرأس المال الوطني ، في المجتمعات الاستهلاكية وغير المنتجة ، فضلا عن السرقات والاختلاسات ، ومن ثم ديون جديدة ، وهكذا دواليك ... ، فيتضخم أصل الدين القومي ليصل إلى أرقام فلكية ، لا تستطيع الشعوب حتى تسديد قيمة فوائدها السنوية ...

وبالتالي تصادر أو بالأحرى تُشترى القرارات السياسية ، كما اشتُريت قرارات الاتحاد السوفييتي ، في حرب الخليج وما بعدها ، بعد أن اختلس (غورباتشوف) وحاشيته ، ما مجموعه أربعة مليارات دولار ، ثمنا لتدمير الاتحاد السوفييتي ، لكي يتمكن اليهود من التفرّد بحكم العالم ، من خلال نظامهم العالمي الجديد . وبعد أن أزاح الرئيس الروسي (يلتسين) غريمه من الكرملين بقوة المدرعات ، أكمل صفقة البيع ، فاختلس على مدى سنين حكمه ، ما مجموعه سبعة مليارات دولار ، من مساعدات صندوق النقد لدولي . ولما اكُتشف الأمر من قبل الروس ، وصار (يلتسين) قاب قوسين أو أدنى من الملاحقة القضائية ، اشتعلت بقدرة قادر أحداث داغستان ،

والتفجيرات الوهمية في موسكو ، التي لم تُسجّل أي ضحية ، وشُنّت حرب غير مبررة للقضـاء على الإرهـاب في الشيشـان ، وانشـغل الشـعب الروسي فيها ، ونسي اختلاسات (يلتسين) ، الذي قدّم استقالته ، واشترط علنا على خليفته (بوتين) ، عدم ملاحقته قضائيا عند تسلمه للسلطة ، فمن الذي مكّن (يلتسين) من ذلك ؟ وكيف صعد (بوتين) من المجهول ، ليصبح رئيسا لروسيا ؟!

يُصرّح الملياردير اليهودي (سوروس) ، بأن المسؤول عن تدبير ذلك ، هو الملياردير اليهودي الآخر (بيريزوفسكي) ، الذي قدّم التمويل لثوار داغستان الإسلاميين ، وبعد اشتعال النيران وغزو الشيشان ، انقطع التمويل . ويصرح زعيم الإسلاميين (خطّاب) صحفيا ، بعد أن شرب المقلب اليهودي ، وتبخـرّت أحلامه في إقامة دولة إسلامية في داغستان ، بأن الاتفاق مع (بيريزوفسكي) ، لم يتطرّق إلى تدخل الطيران الروسي لقصف الثوار . وبالتالي ذهبت الشعب الشيشاني المسلم ، ضحية لمؤامرة (يلتسين ، بيريزوفسكي ، خطّاب ، بوتين) ، كما حصل مع الشريف حسين في الثورة العربية في الحـرب العالمية بعد أن غُـدر به ، فكـانت نتيجتها الاستعمار والانتـداب وضـياع فلسـطين وتشـرذم الأمة العربية ، وكما حصل مع هتلر في الحـرب العالمية الثانية ، ومع صدام حسين في حربي العراق المُدمّرتين . هل المشكلة في أن العرب ، لا يقرءون التاريخ أو القرآن أو التوراة أو الإنجيل ؟! أم أن العرب لا يقرءون شيئا ، وإن قرءوا لا يفهمون ، وإن فهموا لا يعملون . في الحقيقة هذا ليس من قولي ، وإنما سمعته يوما من أحدهم ، منسوبا إلى أحد زعماء اليهود ربما يكون (بيغن) ، والغريب أن سيناريو المؤامرة هو نفسه بكل حيثياته ، يتكرّر في كل مرة !!!

والسؤال هنا ، من هم أصحاب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الحقيقيون ؟! وإن كانت تملكهما الدول ، فما معنى أن تكون بلدان كأمريكا وبريطانيا وفرنسا واليابان مثلا ، من أكثر دول العالم أرقاما للدين القومي ؟! فالدين القومي الأمريكي المعلن لعام 2000 ، كما نُشر في إحدى الصحف ، يصل إلى 300 ألف مليار دولار ، والدين القومي الياباني يصل إلى 280 ألف مليار دولار ، وهما أكبر اقتصادان في العالم . ولم يكفهم كل ذلك ، وكما أخوة يوسف ، لم ينتظروا الفرصة ولم يتقاعسوا ، بل سارعوا لخلق الفرصة بالمكر والحيلة ، للظفر بأخيهم ، لم تستكن أبالسة الشر ، ولم يهدأ لهم بال ، فهم دائمو الحركة والبحث ، في مطابخ السياسة والاقتصاد هناك في الغرب ، وكل جيل يُكمل ما بـدأه الآخر ، ويضـيف عليه تعديلاته ، ويسـتعجل تنفيذ خطـوات المخطط الشيطاني ، ويحلم كل جيل بـأن يكون مجيء مليكهم المنتظر في زمانه ، وتـأخّر التنفيذ يعني تـأخر المجيء ، وآخر ما تفتّقت عنه أذهانهم ، في حلقات هذا المسلسل الطويل ، هو فكرة العولمة ، التي لا تعدو أكثر من كونها ، وحيا شيطانيا ، لنشر المذهب الشيطاني وفرضه على شعوب العالم .

العولمة :

العولمة : كلفظ مُجرّد مصطلح مُبهم ، ويصبح مفهوما وتضح ماهيته ، عندما تُضاف إليه كلمة أخرى ، كأن نقول عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد . وبما أننا نعلم أن من يُنادي بالعولمة ويدعوا إليها هي أمريكا ، فذلك يعني أولا : تعميم الثقافة الأمريكية ، وثانيا : تعميم النظام الاقتصادي الأمريكي الرأسمالي . وبشكل شمولي هو فرض الحضارة الأمريكية الغربية بكافة جوانبها ، كأسلوب جديد للحياة على كافة شعوب العالم ، ولو قمنا بتقييم بسيط للحضارة الأمريكية ، لوجدنا أن من رسم وشكّل معالم وأبعاد هذه الحضارة ، منذ بدايات القرن الماضي ، هم الأسياد الجدد لأمريكا ، أعني

أرباب المال اليهود ، من خلال سيطرتهم المطلقة ، على كافة أدوات الإنتاج الأمـريكي الاقتصادي والثقافي .

أما ملامح الحضـــارة الأمريكية ، فهي في الواقع ترجمة حيّة لما يحمله اليهـــود ، من عقائد كفرية إلحادية ، لا تؤمن إلا بكل ما هو محسـوس ، تـدعوا إلى تأليه رأس المـال والاقتصاد وعبادة أصـحابه . وتـدعوا إلى أخلاقيـات اجتماعية تلمودية ، سِـمتها الانحلال والإباحية ، والدعوة لممارسة كل رذيلة ، والتحلل من كل فضـيلة . لنخلص إلى القـول إلى أن الغاية من العولمة ، هو نشر العقيـــــــدة اليهودية المادية الدنيوية ، الخاصة بأصحاب البروتوكولات اليهود تمهيدا لضربتهم النهائية .

في أواخر القـرن الماضي ، تمكن اليهـود من نشر هـذه العقيـدة في أمريكا والـدول الغربية ، وبعد أن استحكمت قبضتهم على مواقع صنع القرار فيها ، من خلال امتلاكهم لرؤوس الأموال المحرّكة لاقتصاديات هذه الـدول . ومع انتهـاء الحـرب البـاردة وتفـرّد أمريكا بحكم العالم ، امتلك هؤلاء القوة العظمى والوحيدة في العـالم ، الـتي أصـبحت كـالمعلّم الشـرس بعصـاه الطويلة ، الـذي يسـعى كل التلاميذ لنيل رضـاه ، بالانصـياع لأوامره وترك نواهيه ، وينفذون ما يفرضه عليهم رغبة ورهبة ، حـتى لو أوردهم مـوارد الهلاك . فأصبح لدى هـؤلاء القـدرة أكـثر من أي وقت مضى – حسب تصـورهم - على تنفيذ ما تبقى من خطوات مخططهم الشيطاني .

في الجانب الآخر من العالم ، تقف بشموخ المجتمعات الشـرقية ، من المؤمـنين بالله وحتى الملحدين والوثنيون ، ذوي المعتقدات والقيم الراسـخة ، والـتي غرسـها وحافظ عليها الأنبياء والمفكّرين ورجال الـدين ، قـديما وحـديثا ، فشـكّلت حـواجز منيعة أمـام طموحات اليهودية العالمية ، وكانت آخر القلاع التي يتطلّعون إلى تحطيمها ، وما تبقى من أسوارها في طريقه للانهيار .

ولما أصبحت الرياح مواتية لهم ، جلس أسـياد العـالم وائتمـروا فتفتّقت أذهـانهم ، عن هذه الأفكار الجهنمية الخاصة بمنظمة التجارة العالمية وقوانينها ، ومتطلبات الانتسـاب إليها ، لاخـتراق جميع الحـواجز الاقتصـادية ، الـتي أقامتها الحكومـات لحماية ثرواتها الوطنية ، من الانسـياب التلقـائي إلى جيـوب أربـاب المـال اليهـود . والـتي سـيكون بمقدورهم من خلالها ، إصابة عدة عصافير بحجر واحد .

وسـائلها الثقافية : بـالترتيب هي ، المطبوعـات والراديو والسـينما والتلفـاز والفيـديو والأطباق اللاقطة وأخيرا الإنترنت . وكان ابتكار الإنـترنت بمُشـاركة الأطبـاق اللاقطة ، التي أجبرت الـدول العربية ، على السـماح بـدخولها واقتناها ، قبل 4 إلى 5 سـنوات ، أكبر ضربة لما أقامه هؤلاء من حواجز ، لحماية شـعوبهم من الغـزو الثقـافي الغـربي . وجاءت العولمة الاقتصـادية لـترفع الرسـوم الجمركية عنها ، لتصـبح في متنـاول من لا يملك ثمن رغيف الخبز ، ولتكون بمثابة حصان طروادة ولكن بحلّة جديـدة ، لتصل إلى البـدوي في خيمته ، والمشـرّد في كهفه ، والموظف في مكـان عمله ، والطـالب في جامعته ومدرسته ، وحتى الطفل في مهده .

التحـذير من خطر العقائد والأخلاقيـات اليهودية ، والــتي يسـعون الآن لنشـرها تحت مُسميات عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد ، جاء في بعض أقوال رؤساء الغرب :

(لنكولن) : " ... فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى ... إذ أن أصـحاب رؤوس الأموال ، سيعملون على إبقاء سـيطرتهم على الدولة ... وستصـبح ثـروة البلاد بأكملها ، تحت سيطرة فئة قليلة ... الأمر الذي سيؤدي إلى تحطم الجمهورية " .

(فــرانكلين) : " ومع أنهم يعيشــون بيننا منذ أجيــال ... فــإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا ، عما يتحلى به الشعب الأمريكي من مُثُل ... فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده (عبارة مقتبسة من التوراة) " .

(هتلر) : " ومن جهة أخرى يحارب ، الروح المادية اليهودية ، المتغلغلة في نفوسـنا وفي نفوس الآخرين " .

بعد هذا العرض نستطيع تعريف لفظ العولمة على أنها :

مصطلح مضـلل استـعمل كغطـاء ، للتعبـير عن برنـامج يهـودي أمـريكي لتهويد العـالم بأســره . أدواته الثقافية هي وســائل الاتصــال والإعلام المختلفة ، وأدواته الاقتصــادية صندوق النقد والبنك الدولي والخصخصة ومنظمة التجــارة العالمية . وغايته أولا : خلق ديانة مادية جديـدة ، تحت عنـوان الثقافة والتحضّـر ، وثانيا : نهب ثـروات الشـعوب ، تحت عنوان تحرير التجارة . وذلك لتهيئة الأجواء ، لظهور اليهود كأسياد للعالم بأسره ، عندما يحين الوقت المناسب لذلك .

أخطار العولمة على أرض الواقع :

الخطر الاجتماعي ؛ يتمثّل في ضرب منظومة العقائد والقيم والأخلاق ، لـدى الشـعوب المختلفة في العـالم ، والـتي بـدورها تشـكل الضـمير الإنسـاني للفـرد ، الـذي يُحـاول السـمو بالإنســان إلى مرتبة الملائكة . وأما الهــدف النهــائي المــرتجى من بعــدها الاجتمـاعي ، هو تشـكيل أجيـال جديـدة تبحث بشـتى الوسـائل والسـبل ، عما يُشـبع غرائزها ورغباتها ونزواتها ، لتهبط بالإنسان إلى ما دون مرتبة الحيوان ، وبـذلك يسـهل على مخططي المؤامرة اليهود سياسة هذه الأجيال وتذليلها . وبالتالي لن تكـون هنـاك معارضة ، لمثل هـؤلاء فيما لو حُكمـوا من قبل سـادة العـالم الجـدد ، ملـوك الإلحـاد والإباحية ، وهذا ما تصبوا إليه الأجيال التي هي في طور التشكّل الآن .

وقد بدأنا في السـنوات الأخـيرة ، نـرى نمـاذج من المسـوخ البشـرية ، في العديد من بيوت المسلمين . فتيـان وفتيـات لا يرغبـون في التعلم أو العمل ، والفشل هو السـمة البارزة في أعمالهم وتوجهاتهم ونتائجهم . يجوبون الشـوارع ويرتـادون الأمـاكن العامة ويذهبون إلى الجامعات ، بحثا عن الحب والمجون والخلاعة ، بعد أن أصـبحت جامعاتنا وشوارعنا معارض لدور الأزياء العالمية ، ولا أحد يريد العفـاف والطهر ، لـذلك تجـدهم يعزفون عن الزواج ، وكما قال أحد المتعولمين : " ما دام الحليب موجود في السوق ، فما الداعي لشراء البقر ؟ " .

وأكبر الأثر في تشكيل هذه النماذج ، هي القنوات الفضائية العربية – فضلا عن قنـوات الإباحة الأجنبية – وخاصة التي تضم في طاقمها مقدّمي ومقدّمات البرامج اللبنـانيون ، بعرض الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، اللواتي يتحـدثن بلسـان عـربي مـبين ، مما أعطى المبرر لفتياتنا ، وكسر الحاجز النفسي لديهن ، ليتّخذن منهن قـدوة تُحتـذى ، بمباركة من الأب الذي يُـربّت على كتف ابنته ، أثنـاء مشـاهدته لتلك الغـواني وأولئك المخنّثين ، بعين الرضا والقبول والإعجاب والاستحسان والاستمتاع .

ما تراه اليوم أن رجال أمة الإسلام ، يتحدّون الله وحدوده وحُرماته ، عن سبق إصــرار وترصّــد ، وهم يــدفعون فتيــاتهم بشــكل مباشر لممارسة مهنة عــرض الأزيــاء ، في الشوارع والأماكن العامة والجامعات وأماكن العمل . هدفهن دائما وأبدا الإغواء والفتنة بحركات وأصوات ، لا تقوم بها إلا إنـاث القطط في شـهر شـباط ، ولمـرة واحـدة في السنة ، أمّا رجال بلاد العرب أوطاني ، شيوخا وشبابا ، أصـبحوا كـذكورها ، ولكن على

مـدار السـنة . لينتهي بهن المطـاف في أحضـان الرذيلة ، فلا أحد معصـوم ، والـذباب البشري الجائع يملأ الأجواء ، بحثا عن قطة الحلوى أو كيس للقمامة ، فلا فرق عنـده . وأما الإنترنت فحدّث ولا حرج ، والنساء تتهافت عليها أكثر من الرجال ...

أما أطفال أمة الإسلام ، فهم بين أيدي أمهات صفتهن قد تقـدّمت أعلاه ، لا يفقهن من الزواج شيئا ، ولا يملكن من عاطفة الأمومة واحد بالمليون ، مما تمتلكه وحوش القفر . وتربية الأطفال لديهن ، تقوم على مبادئ تربية الدواجن وتسـمين الخـراف . أطفـال مهملـــون في زوايا الغـــرف ، يحملقـــون في بـــرامج المســـوخ المتحركة ، وأغـــاني ومسلسـلات وأفلام الـدعارة العربية والأجنبية . أما في المدرسة فقد عُمِـدَ إلى تغيـير المناهج المدرسية ، لسلخ الطفل عن هويته الإسلامية العربية ، فحُذفت أمجاد الأبطال والبطولات الإسلامية ، وبـدلا منها تم تصـميم بطـولات وهمية لأبطـال من ورق . وربما يضيفون غدا مناهج التربية الجنسية لتثقيف الأجيال الناشئة ، فالغرائز تحتاج إلى تعلم . وتم تغيير أساليب التربية والتدريس ، بإلغاء عقوبة الضرب ، وإلغـاء عقوبة الرسـوب ، وإدخال لغة العولمة ، كمبحث أساسي في المناهج الدراسية .

وخلاصة القول بـأنهم سـيُهوّدون العـالم ، تحت غطـاء أمـريكي مـدموغ بِـ (made in USA) ، لدرجة أنهم ربما ، يُجبروك على الذهاب لصلاة الجمعة ، في يوم السبت أو الأحد ، بعد إحدى ندوات حوار الأديان .

أما الخطر الاقتصـادي ؛ فيتمثّل في ضـرب قـوانين الحماية ، الـتي وُضـعت للمحافظة على الثروة الوطنية . لتسهيل عملية سلب ثروات الشعوب ، وتكديسها في المصـارف العالمية وإفقارها وتجويعها . إذ لم يكفهم ما يقـــوم به البنك الـــدولي وصـــندوق النقد والخصخصة ، من نهب لثروات الشعوب ، من خلال تغلغل الاســتثمارات اليهودية ، في شـتى أقطـار العـالم ، بعد كل هـزة أو أزمة اقتصـادية مفتعلة ، بشـكل مباشر أو غـير مباشر . فموجة الخصخصة التي هي أحد برامج صندوق النقد الدولي ، أتاحت لـرؤوس الأموال اليهودية ، لدخول الدول العربية ، تحت مُسميات شركات أجنبية عالمية كـبرى ، أو عن طريق شركات محلية بأسماء عربية صورية ، مقابل حفنة من الدولارات .

بل ابتكروا ما هو أخطر بكثير ، الشق الأخر الذي كان (كلينتون) يُـروّج للانضـمام له ، ألا وهو (منظمة التجارة العالمية) ، والتي تدعو لتحرير التجـارة وتحرير رأس المـال . والملاحظ أن كل مبادئهم الهدامّة ، عادة ما تحمل صفة التحرير أو التحرر ، وانظر إلى هذا القول الأعرج الأعوج ، فالشعوب عندما تحمي سلعتها وصنعتها ، تصـبح مُسـتعمِرة لتجارتها ، لـذلك فهي بحاجة إلى التحرير . أما المـراد من وراء ذلك في الحقيقة ، فهو السطو على مكتسبات الدول الغنية والفقيرة ، بطرق شرعية ملتوية ، مغطّاة بـأوراق التغليف البراقّة الملوّنة ، لتسحر أعين الشعوب المسـحوقة ، بما يُشـبه عملية التنـويم المغناطيسي . ولنوضح ما نقصده بذلك ، بأنك تستطيع في البداية على سبيل المثال ، الحصول على سيارة جيدة بثمن زهيد ، نتيجة تخفيض الجمـارك والرسـوم ، ولكن هـذا التخفيض سـيترتب عليه ، عجز كبـير في الموازنة العامة للدولة ، فمن أين سـتغطي الدولة هـــذا العجز برأيك ، إن لم تعتمد على فـــرض رســـوم وضـــرائب بديلة تحت مسميات أخرى ، لتصل في النهاية إلى عدم القدرة ، على شراء الوقود لتلك السـيارة ، لعدم قدرة الراتب على تأمين متطلبات الحياة الأساسية .

فبعد أن تمكّنـــوا من خلق قطعـــان من المســتهلكين ، تنظر بعين القداسة لكل ما هو غربي ومستورد ، من منتجات ثقافية وتكنولوجية استهلاكية الطـابع ، جـاءوا باتفاقيـات هذه المنظمة ، لرفع القيود ، من قـوانين جمركية وضـريبية على السـلع المسـتوردة ، وذلك بغية فتح الأســـواق الوطنية للســـلع الأجنبية ، وبالتـــالي تتهـــافت المجتمعـــات

الاســتهلاكية ، على تلك الســلع ، فتتســرّب العملة الوطنية إلى الخــارج بلا توقف ، ويترتّب على ذلك عجز كبير ، في ميزانيات دول العالم الثالث ، التي لا تملك صـناعات منافسة ، تعـوّض وتعيد جـزء من العملة المفقـودة . لـذلك ستضـطر الحكومـات ، إلى اتخاذ إجراءات علاجية عديـدة ، لسـدّ عجز الموازنة ، الـتي غالبا ما يتكفل بها صـندوق النقد الـدولي ، بزيـادة الضـرائب بكافة الأشـكال والمُسـمّيات ، بمـبررات ومن غـير مبررات أحيانا ، بالإضافة إلى تراكم ديون جديدة ، وزيادة الضرائب تعـني رفع الأسـعار تلقائيا ، وهكذا دواليك ... ، وسيظهر التأثير المدمّر على شـعوب الـدول الـتي انضـمّت لهــذه المنظمة ، خلال فــترة ربما لا تزيد عن ســنة أو ســنتان . وذلك عنــدما تبــدأ المؤسســات والشــركات الوطنية ، بــالإفلاس والانهيــار تباعا ، ومن ثم انتشــار البطالة والفقر والجوع بين مواطنيها ، انتشار النار في الهشيم .

هناك فرق شاسع ، بين فلسـفة الاقتصـاد وفلسـفة الـدمار والخـراب . تقضي فلسـفة الاقتصاد بأن تنفق أقل مما تُنتج ، وتدّخر الفائض لتقلبات الزمن ، وأما فلســفة الــدمار والخراب ، تقضي بأن تنفق أضعاف أضعاف ما تنتج ، لتنتهي في أحضان صـندوق النقد الدولي ، ولا أظن من قال : " على قـدّ لحافك مـدّ رجليك " كـان حاصلا على دكتـوراه في الاقتصاد ، ليصل إلى هذه النتيجة . وأتساءل كيف عاشت البشرية ما يُقارب الستة آلاف سنة ، بدون صندوق النقد الدولي وبرامجه الإصلاحية .

أما الآن ... فـأمعن النظر والفكر والوجــدان ، في كل ما يــدور من حولك ، في بيتك ، في الشارع ، في المدرسة ، في الجامعة ، في وطنك ، بل في العــالم أجمع ... وأجب هن هذا التساؤل ... على أيّ هدي ، يسير هـذا الواقع الـذي نحن عليه الآن ... ؟! على هدي القرآن ... أم على هدي أسياد هذا الزمان !

نبذة بسيطة عن يهود العالم

من حيث المنشأ ، ينقسم الشعب اليهودي إلى ثلاثة أقسام :

ـ اليهـود الغربيـون : وأغلبهم أثريـاء ، اسـتطاعوا التغلغل في أوروبا الغربية في نهاية القرون الوسطى ، وبدايات عصر النهضة (16-17)ـ ، فازدادوا ثـراء فـوق ثـراء ، بما لـديهم من وسـائل وإمكانيـات وأخلاقيـات ، لجمع المـال بطـرق مشـروعة وغالبا غـير مشــروعة ، لم يكن الأوروبيــون والأمريكيــون يُمارســونها أو يتنبّهــوا إليها ، رغم كل تحـذيرات الرؤسـاء والساسة والخـبراء المخلصـين لأممهم ، حـتى " وقع الفـأس في الرأس " ، فتربعوا على عرش الاقتصاد العالمي حاليا .

ـ اليهـود الشـرقيون الإشـكناز : وأغلبهم فقـراء ، وقد بقي حـالهم كـذلك ، في بلـدان أوروبا الشرقية وروسيا الفقـيرة ، وكـانوا مضـطهدين ومنبـوذين ، في أغلب الأحيـان ، ويعيشون فيما يُسمّى بالغيتوهات أو الكيبوتس .

ـ اليهود الشرقيون العرب : وهم الذين عاشوا في البلدان العربية ، كأفراد وجماعات ، يتمتعون بحق المواطنة مثلهم مثل غيرهم ، وكثير منهم أجـبر على الهجـرة إسـرائيل ، من خلال دبّره الموساد الإسرائيلي ، من أزمات لإرغامهم على المغـادرة ، وبقي جــزء منهم في البلدان العربية لغاية الآن .

أما من حيث التوجه فينقسموا إلى ثلاث أقسام :

ـ المتحـرّرون : وأغلبهم من يهـود الغـرب ، ومهمتهم تنفيذ ما جـاء في بروتوكـولات الحكمـاء ، وحكم العـالم اقتصـاديا وسياسـيا ، يكونـون فيه شـيوخ الأمة ، ويضـعون الدستور ، ويرسـمون السياسـية ، ويُنصّـبون مَلِكا من أنفسـهم ، دكتـاتورا مُطلقا على العالم ، يـؤمر فيُطـاع ، ويكـون بمثابة الإله على الأرض ، ولا إله في السـماء ، فيُصـبح اليهود أسيادا وبقية خلق الله ، بلا استثناء عبيدا لهم .

ـ العلمانيون : وأغلبهم من يهود الشـرق الأوروبي ، ومهمتهم هي تنفيذ أهـداف الحركة الصهيونية السياسية ، التي تلفّعت بالدين اليهودي ، من أجل تحقيق أهدافها السياسـية ، بإيجاد " غيتو " قومي لليهود في فلسطين ، لرفع الاضطهاد والذل الذي لازمهم طيلة ، ولإيجاد موطئ قدم لهم ، فنوائب الدهر الغربية غير مضمونه ، فربما ينقلبــون عليهم يوما ما ويطردونهم ، وهم الذين يشكّلون الأحزاب العلمانية في الدولة اليهودية .

ـ المتدينون : وأغلبهم من يهـود الشـرق بما فيهم يهـود البلاد العربية ، وظهـرت منهم حركــات دينية متطرفة كثــيرة ، ومهمتهم هي تنفيذ الوصــايا التوراتية ، الــتي خطّها أحبارهم القدماء على شكل نبوءات ، وتتلخص في استلاب الأراضي ، وتهجير الســكان الوثنيين ، والاستيطان ، وهدم المسجد الأقصى وبنـاء الهيكل ، تمهيـدا للملك اليهـودي الداودي القادم ، الـذي سـيأتي من ربـوات القـدس ، ليحكم العـالم إلى الأبد ، فينتشر الحق والعـدل والسـلام اليهـودي في الأرض ، وهم الـذين يشـكّلون الأحـزاب الدينية المتطرّفة .

وكل هذه الأصناف اليهودية ، في المحصـلة وجـوه عديـدة لعملة واحـدة ، هي التـوراة والتلمـود ، أخطر وثيقـتين على مسـتقبل البشـرية والعـالم ، لـذلك احتل التحـذير من اليهــود واليهودية ، مســاحة شاســعة من قرآننا العظيم . بينما احتل الفكر اليهــودي المادي ، مساحة شاسعة ، من عقـول أمة الإسـلام ، فنسـيت إلهها ، وعبـدت العجـول الذهبية المادية للسامريّون الجدد .

آخر ما نـود قوله ، أن اليهـود قطعـوا شـوطا كبـيرا ، في تنفيذ مخططهم الشـيطاني للسيطرة على العالم ، حتى صاروا (نظريا) قاب قوسين أو أدنى ، من الوصــول إلى هدفهم النهائي في ظرف سنين قليلة ، ونجاحهم اعتمد في الدرجة الأولى ، ليس على ذكائهم ومكرهم ودهائهم فحسب ، بل في العزف على وتر يطرب له جميع الناس ، بلا استثناء إلا من رحم وهدى ربي ، ألا وهو سهولة وقوع النفس البشـرية أسـيرة لأهوائها وأطماعها ، ومن ثم إرغامها على الخلـود إلى الأرض ، لترضى بالحيـاة الـدنيا وتطمئنّ بها ، عندما تنعـدم لـديها القيم الروحية الإيمانية ، المُتحصّـلة من فهم حقيقة العلاقة ما بين السماء والأرض ، والتي توضحها سـورة الإسـراء بكل فصـولها ، فاقرأها إن رغبت في الفهم ، فهي تحكي واقعنا المعاصر بكل فصــوله ، ومن أجل أن تفهم فصــولها ، كان هذا الفصل في هذا الكتاب .

وقد يسأل سائل : ثم مـاذا ؟ نُجيب بقوله تعـالى : (**وَقَدْ مَكَـرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الـدَّارِ** (42 الرعد) وقوله : (**قَـدْ مَكَـرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَـأَتَى اللَّهُ بُنْيَـانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَتَـاهُمُ الْعَـذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ** (26 النحل) .

والعلو اليهودي قائم على قاعدتين ، هما إسرائيل كموطن بما فيها القـدس ، كعاصـمة مستقبلية للدولة اليهودية العالمية الأبدية ، وأمريكا كقوة اقتصـادية عسـكرية ، لتمكين

هذا الحلم اليهـودي . فلا غرابة ولا عجب ، إن أتى الله هـذا البنيـان من القواعد ، فخـرّ على رؤوسـهم وعلى رؤوس من يشـدّ على أيـديهم ، سـقف أحلامهم وطموحـاتهم ، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ونختم هذا الفصل بنص من التوراة ، يؤكد لليهود أن عاقبة أفعالهم ، ستكون مدمرة لا محالة ، وأن الكأس الـتي جرّعوها للشـعوب ، لا بد أن يتجرّعوها في النهاية ، حـتى لو تخندقوا في الحصن الأمريكي البريطاني المنيع ، فـذلك لن يُجـدي نفعا ، ومهما كُـبرت أمريكا وعظمت وتعـالت ، فالله أكـبر وأعظم وأعلى ، وليت عبـدة أمريكا من أمـتي يفقهون ذلك ، لعلهم يرجعون ، قبل فوات الأوان .

" ويل لمن يكوّم لنفسه الأسلاب ، ويثرى على حساب ما نهب ، إنما إلى مـتى ؟ ألا يقـوم عليك دائنـوك بغتة ، أولا يثـورون عليك ويُملأونك رُعبا . فتصبح لهم غنيمة لأنك سلبت أمما كثـيرة ، فـإن بقية الشـعوب ينهبونك ثأرا ، لما سفكت من دماء ، وارتكبت من جور في الأرض ، فدمّرت مُدنا ، وأهلكت السـاكنين فيها . ويل لمن يـدّخر لبنيه مكسب ظلم ، ويُشـيد مسـكنه في مقـام حصـين ، ليكـون في مـأمن من الخطر . لقد لطّخَتْ مؤامرتك بيتك بالعـار ، حين استأصـلت أمما عديـدة ، وجلبت الـدمار على نفسك ، حتى حجارة الجدران تصرخ من شرّك ، فـتردّد الـدعائم الخشـبية أصداءها . ويل لمن يبني مدينة بالدماء ، ويُؤسس قرية بالإثم " . (التـوراة : سفر حبقوق 2: 6-12)

قال تعالى

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ، وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِـيرًا مِنْهُمْ ، مَا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِنْ رَبِّكَ ، طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ ، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64 المائدة)

النبوءات التوراتية بين الماضي والمستقبل

بالرغم من تحريف التوراة ، ونسخها وتأليفها عدة مرات ، وضعف الترجمة إلى العربية وانحيازها . إلا أنها ما زالت تحـوي بقية من كلام الله جـلّ وعلا ، تسـتطيع الاسـتدلال عليها ، من خلال مقابلتها ومقارنتها ، مع ما لـدينا من وحي ، وتسـتطيع أحيانا ملاحظة الأساليب ، التي تم بها كتابة التـوراة ، من إضـافة وحـذف وتبـديل لمواضع العبـارات ، كما أخبر عنها القرآن الكريم . وهـذه البقية هي ما كـان يسـتدل اليهـود من خلالها وما زالوا ، على بعض الأحداث المسـتقبلية ، كبعث عيسى ومحمد عليهما السـلام قـديما ، وما سيقع من أحداث النهاية مستقبلا .

وكما قلنا في الفصل السابق ، أن معرفتهم بما وجد لـديهم من نبـوءات ، كـانت بمثابة القوة الدافعة ، في تحركاتهم لاسـتباق تحقّق هـذه النبـوءات ، على أرض الواقع ، ولم ولن يألوا جهدا ، في استعجالها إن وافقت أهوائهم ، أو في تعطيلها إن خالفتها ،

في هـذا الفصل ، سـنتتبع في البداية ، بعض الأخبـار الـتي وردت في التـوراة ، بشـكل مقتضب وسـريع ، ومن ثم سـنعرض جانبا من النبـوءات التوراتية ، الـتي تحققت في الماضي ، وجانبا من النبـوءات الـتي لم تتحقق بعد ، مما يُسـاعد على اسـتقراء بعض النبوءات المستقبلية لـديهم ، لنتعـرّف على المخـاوف اليهودية ، وتطلعـاتهم وأحلامهم وأمانيّهم ، المتعلّقة بعودتهم إلى فلسطين للمرة الثانية .

ومن خلال هـذا الكشف تسـتطيع التعـرف على حقيقة العقلية ، الـتي يُفكّر بها يهـود ، ومن ثم قـراءة مـواقفهم وسياسـتهم ، على السـاحتين العالمية والإقليمية ، وتسـتطيع أيضا قـراءة سياسـات ومواقف أمريكا ، الـتي يحكمها ويـديرها في الخفـاء ، زعمـاء المؤامرة العالمية ، من الأثرياء والحاخامـات اليهـود ، لتجد أن التـوراة ونبوءاتها هي ما سيّر اليهود في الماضي ، وهي ما يُسيّرهم في الحاضر والمستقبل .

قال تعالى (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** (79 البقرة)

وقال أيضا (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** (89 البقرة)

وقـال أيضا (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ، يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ ، لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ، وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (78 آل عمران)

خبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في سفر التكوين

وعد الله لنسل إبراهيم بامتلاك الأرض :

" تكوين : 15:ـ 18: في ذلك اليوم ، عقد الـرب ميثاقا مع إبـراهيم ، قـائلا : سـأعطي نسلك هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " .

" تكوين : 17:ـ 4-8: ها أنا أقطع لك عهدي ، فتكون أبا لأمم كثـيرة ، وأُصـيّرك مُثمـرا جدا ، يخرج من نسلك ملوك ، فأكون إلها لك ولنسـلك من بعـدك . وأهبك أنت وذريّتك أرض كنعان التي نزلت فيها غريبا ، مُلكاً أبديا " .

ـ تكـرار الوعد لإبـراهيم ، بأرضـين مختلفـتين ، نـاتج عن كـون التـوراة ، جُمعت من مصـدرين مُختلفين كما سـبق وأوضـحنا ، وأحد المصـدرين أقل تطرّفا ومُغـالاة ، في التحريف والكذب من الآخر ، وهذا الوعد بما أنه كان لإبراهيم ونسله ، فهو ليس حكـرا على نسل إسحاق ، بل يشمل نسل إسماعيل أيضا .

وعد الله لهاجر في إسماعيل :

" تكوين : 16: 10 وقال لها ملاك الرب : لأُكثّرنّ نسلك فلا يُعدّ من الكثرة ، هو ذا أنت حامل ، وستلدين ابنا وتدعينه إسماعيل ، ويكون إنسانا وحشـيّاً يُعـادي الجميع والجميع يُعادونه ، [وأمام جميع أخوته يسكن] " .

ـ همجيّ متوّحش وإرهابي ، معاد للبشرية ، هـذه هي صـورة ، إسـماعيل عليه السـلام نبي الله ، جد العرب ، وهي ذاتها صورة الإنسـان العـربي في وسـائل الإعلام الغربية ، من سـينما وتلفزيـون وصـحف ومجلاّت ، ومصـدر هـذه الصـورة هو التـوراة ، والمُنتج المُنفذّ هم اليهود ، المُسيطرون على كافة وسائل الإعلام الغربية . فالرب يقول ذلك ، لا كذبة التوراة ، وإذا كان العرب مستاءون من هذه النظرة لهم ، فليجرؤ أحـدهم على مطالبة اليهـود والنصـارى ، بحـذف كلمـات الـرب هـذه ، من كتـابهم المقـدّس ، كما يُطالبوننا بحذف الآيات التي تحضّ على قتالهم ، من الكتب المدرسية .

وعد الله لإبراهيم في سارة ونسلها :

" تكوين : 17:ـ 15-19: وقال الرب لإبراهيم : أما سـاراي زوجتك ، وأُباركها وأُعطيك منها ابنا ، سأباركها وأجعلها أمّا لشـعوب ، ومنها يتحـدّر ملـوك أمم ، إنّ سـارة زوجتك هي التي تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه ، ومع ذريّته من بعـده إلى الأبد " .

وعد الله لإبراهيم في إسماعيل ونسله :

" تكـوين : 17:ـ 20: وأمّا إسـماعيل فقد اسـتجبت لطلبتك من أجله ، سـأُباركه حقا ، وأجعله مُثمرا ، وأكثّر ذريّته جدا ، فيكون أبا لاثني عشر رئيسا يلد ، ويُصبح أمّة كبيرة " .

هجرة هاجر وإسماعيل إلى صحراء فاران :

" تكـوين : 21:ـ 14-21: فنهض إبـراهيم في الصـباح البـاكر ، وأخذ خـبزا وقربة مـاء ، ودفعهما إلى هاجر ، ووضعهما على كتفيها ، ثم صرفها مع الصبي ، فهامت على وجهها في برية بئر سبع . وعندما فرغ الماء من القربة ، طرحت الصبي تحت إحدى الأشـجار ، ومضت وجلست قبالته ، على بُعد مائة متر ، (تبريرهم : حتى لا تشهد مـوت الصـبي) ، ورفعت صـوتها وبكت . (ناداها ملاك الـرب قـائلا) : " قـومي واحملي الصـبي ، وتشبّثي به لأنّي سأجعله أمّة عظيمة " ، ثم فتحت عينيها ، فأبصرت بئر مـاء ، فـذهبت وملأت القربة وسقت الصبي . وكان الله مع الصبي فكبُر ، وسكن في صحراء فاران ، وبرع في رمي القوس ، واتّخذت له أُمّه زوجة من مصر " .

ـ في هذا النص يُوحي كتبة التوراة ، أن إبراهيم تخلّي عن هاجر وابنها وطردهما طـردا ، ويقولون في بداية النص ، أنه سكن بئر السـبع ، وأن بـئر زمـزم تفجّـرت فيها ، وفي نهاية النص يقولـون بأنه سـكن في صـحراء فـاران ، وهـذا يعـني أن التسـمية العبرية القديمة ، لصحراء الجزيرة العربية هو صحراء فاران ، وجبال فـاران هي جبـال مكة أو الجزيـرة العربية ، ولـذلك كـان اليهـود يعلمـون على وجه التحديد ، أن نبيـاً من نسل إسماعيل ، سيُبعث في جزيرة العرب ، فارتحلوا إليها وسكنوا فيها .

التبشـير بمحمد عليه الصـلاة والسـلام في سـفر التثنية على لسان موسى عليه السلام

" تثنية : 18:ـ 18: فقـال لي الـرب : لهـذا أُقيم لهم نبيا من بين أُخـوتهم مثلك ، وأضع كلامي في فمه، فيُخاطبهم بكل ما آمره به ، وكـلّ من يعصي كلامي ، الـذي يتكلم به باسمي ، فإني أُحاسبه " .

ـ وقول موسى عليه السلام ، نبيا من بين أُخوتهم ، يعني أنه من غير بني إسرائيل ، بل من أُخوتهم ، وأخوتهم كما نعلم هم نسل إسماعيل عليه السلام ، بدلالة التوراة نفسها في النص الوارد أعلاه (16:ـ 12) ، وهذا القول بطبيعة الحال ، لا يُشير إلى عيسى عليه السلام ، كون أُمه من بني إسرائيل . وقوله نبيا مثلك ، يعني يماثله في كل شيء تقريبا ، من لحظة ولادته بما شـمله الله من رعاية وعناية ، وبعثه ورسـالته ومعاناته ، وحتى مماته عليه السلام .

" تثنية : 33:ـ 2 [فقال (موسى عليه السلام) : جاء الـرب من سـيناء ، وأشـرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران ، وأتى من ربـوات القـدس ، وعن يمينه نـار شـريعة لهم] " .

ـ وهذا النص يحمل في ثناياه أربع نبوءات هي :

1. جاء الرب من سيناء . وسيناء هو (طور سـيناء) في وادي عربة ، مكـان الـوحي الذي أُنزلت فيه الألواح ، على موسى عليه السلام .

2. وأشرق لهم من سعير . ، حيث بُعث عيسى عليه السلام بالإنجيل ، قـال تعـالى (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** (16 مريم) وقال (**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَـرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَـةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْـوَةٍ ذَاتِ قَـرَارٍ وَمَعِينٍ** (50 المؤمنون) وسعير على ما يبدو من الآيات الكريمة ، هي منطقة شرقي القـدس ، تقع على تلة ذات أشجار مثمرة وفيها عين ماء جارية .

3. وتلألأ من جبال فاران . جبال فاران هي جبـال الجزيـرة العربية ، حيث تقع مكة ، مكان سُكنى إسماعيل بدلالة التـوراة نفسـها ، حيث بُعث محمد عليه الصلاة والسـلام بـالقرآن (لاحظ هنا الفعل تلألأ) ، دلالة على ما سـيكون للإسـلام من شـأن عظيم . وهـذا دعـاء إبـراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَتِـكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَيُـزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ** (129إبـراهيم) ، وهـذه اسـتجابة دعائهما (**هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (2 الجمعة)

4. وأتى من ربـوات القـدس . وهي النبـوءة الـتي لم تتحقق لغاية الآن ، حيث لا شريعة جديدة ، بل تجديد لشريعة قائمة .

ـ والنبوءة الأخيرة فُسرّت على ثلاثة أقوال :

- المسلمون : ظهور المهدي وعودة الخلافة الإسلامية واتّخاذ القدس عاصمة لها .
- اليهود : ظهور مَلِك اليهود المنتظر ، الذي سينتصر على أعـداء إسـرائيل ، في حرب العالمية النووية الثالثة ، ومن ثم يحكم العالم إلى الأبد .
- النصارى : عـودة عيسى عليه السـلام ، ليخلّص أتباعه بـرفعهم فـوق السـحاب ، عند نشوب تلك الحرب ، ومن ثم يحكم العالم مدة ألف عام .

سفر إشعياء يُخبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام وعن أمته

مما روى البخاري في صحيحه " عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْـرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قُلْتُ : أَخْبِـرْنِي عَنْ صِـفَةِ رَسُـولِ اللَّهِ ، صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ ، قَـالَ : أَجَـلْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُـوفٌ فِي التَّوْرَاةِ ، بِبَعْضِ صِـفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَـاهِدًا وَمُبَشِّـرًا وَنَـذِيرًا**) ، وَحِـرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَـدْفَعُ بِالسَّـيِّئَةِ السَّـيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِـرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَـهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِـهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُـمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا " . وأخرجه أحمد في مسنده .

وقـال تعـالى (**وَاخْتَارَ مُوسَـى قَوْمَـهُ سَـبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ، فَلَمَّا أَخَـذَتْهُمُ الرَّجْفَـةُ ، قَـالَ رَبِّ لَـوْ شِـئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْـلُ وَإِيَّايَ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ، تُضِـلُّ بِهَا مَنْ تَشَـاءُ وَتَهْـدِي مَنْ تَشَـاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** (155) **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ، إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ، قَالَ عَـذَابِي أُصِـيبُ بِـهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُـلَّ شَـيْءٍ ، فَسَـأَكْتُبُهَا ، لِلَّذِينَ يَتَّقُـونَ ، وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُـونَ** (156) **الَّذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ، الَّذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبًا عِنْـدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـلِ ، يَـأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَـاهُمْ عَنِ الْمُنْكَـرِ ، وَيُحِـلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـاتِ ، وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـائِثَ ، وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَـانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ ءَامَنُـوا بِـهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّورَ الَّذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ** (157) **قُـلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَـهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (158) **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** (159 الأعراف)

خاتم النبوة على كتفه واسمه أحمد :

من كتـاب (المنتظم في تـاريخ الملـوك والأمم) لأبي الفـرج " عن حسـان بن ثـابت ، قال : إني لغلام يفعة ، ابن سـبع أو ثمـان ، إذا يهـوديٌ بيـثرب ، يصـرخ ذات غـداة : يا معشر يهود ، فلما قالوا : ما لك ، ويلك ! قال : طلع نجم أحمد ، الذي ولد هذه الليلة ، قال : فأدركه اليهودي ولم يؤمن به " .

من كتاب (المنتظم) " أخبرنا أبو الحسن بن البراء قـالت آمنة : ... وكـان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح ، قال : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم مولود ؟ قالوا : لا نعلمه ، قال : ولد الليلة نبي العـرب ، به شـامة بين منكبيه سـوداء فيها شـعرات ،

فرجع القوم ، فسألوا أهليهم فقيل : ولد الليلة لعبد المطلب غلام ، فلقوه فأخبروه ، فنظر إليه ، فقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، هذا الذي سرّه أحبارهم ، يا معشر قريش ، والله ليسطونّ بكم سطوة ، يخرج نبأها من المشرق إلى المغرب " .

" إشعياء : 9: 2: الشعب السالك في الظلمة أبصر نورا عظيما ، والمقيمون في أرض ظلال الموت ، أضاء عليهم نور عظيم ... 9:ـ 6-7: لأنه يُولد لنا ولد ، ويُعطى لنا ابن يحمل الرياسة على كتفه ، ويُدعى اسمه عجيبا ، مُشيرا ، إلها قديرا ، أبا أبديا ، رئيس السلام ، ولا تكون نهاية لنمو رياسته وللسلام ، اللذَيْن يسودان عرش داود ومملكته ، ليُثبتها بالحق والبرّ ، من الآن وإلى الأبد ، إن غيرة الرب تُتم هذا " .

" إشعياء : 9:ـ 13: إن الشعب لم يرجع تائبا إلى من عاقبه ، ولا طلب الرب القدير . لذلك سيقطع الرب من إسرائيل ، في يوم واحد الرأس والذنب ، النخل والأسل " .

" إشعياء : 10:ـ 33-34: لكن الرب القدير يُحطّم الأغصان بعنفوان ، فكل مُتطاول يُقطع ، وكل مُتشامخ يُذلّ " .

ـ علم اليهود من خلال النص الأول :

1. أن نجما عظيما سيظهر عند مولد أحمد ،
2. ومن النص الثاني أن علامة النبوة ستكون على كتفه ،
3. أما اسمه العجيب في هذا الموضع فوصفته أقلام الكهنة ، بمشير وإله وأب ورئيس سلام .
4. أما رسالته فتشمل مشارق الأرض ومغاربها ، حتى قيام الساعة ،
5. أما إضافة عرش داود ومملكته فهي من أمانيهم وأحلامهم .
6. أما النص الثالث والرابع يؤكد انقطاع النبوة وخروجها من بني إسرائيل بمولد هذا النبي ومبعثه .

ـ ويعود الكهنة ويسمّون هذا الإله بأحمد ، في النص التالي :

" إشعياء : 25:ـ 1-3: يا رب أنت إلهي ، أُعظمّك وأحمد اسمك ، لأنك صنعت عجائب كنت قد قضيت بها منذ القدم ، وهي حق وصدق ... لذلك يُمجّدك شعب قوي ، وتخشاك مدن آهلة بأمم فظة لأنك كنت حصنا للبائس ، وملاذا منيعا للمسكين في ضيقه ، وملجأ له من العاصفة ، وظلّا تقيه وهج الحرّ ... "

هو ملك البرّ ورؤساءه يحكمون بالعدل :

" إشعياء : 32:ـ 1: ها إن ملكا يملك بالبرّ (محمد) ، ورؤساء يحكمون بالعدل (الخلفاء) ، 2: [ويكون إنسان] (أي ليس إلها كما صوّره النص السابق) كملاذ من الريح ، وكملجأ من العاصفة ، أو كجداول مياه في صحراء ، أو كظل صخرة عظيمة في أرض جدباء ، 3: عندئذ تنفتح عيون الناظرين وتصغي آذان السامعين ، 4: فتفهم وتعلم العقول المتهوّرة ، وتنطق بطلاقة الألسنة الثقيلة (الأُميّون) . ... ، حتى تنسكب علينا روح من السماء ، فتتحوّل البرية (الصحراء) إلى مرج خصيب ، ويُحسب المرج غابة ، عندئذ يسكن العدل في الصحراء ، ويُقيم البرُّ في المرج الخصيب ، فيكون ثمر البرّ سلاما ، وفعل البرّ سكينة وطمأنينة إلى الأبد " .

نص آخر " إشعياء : 35: 1: ستفرح الصحراء والقفر الأجرد (جزيرة العرب) ، و تبتهج البرية وتزهر كالورد ، تزهر ازدهارا ، وتبتهج أشدّ بهجة ، ويضفي عليها مجد لبنان

وجلال الكرمل ، ويشهدون مجد الرب وبهاء إلهنا ، ... ، 5: عندئذ تبصر عيــون العمي ، وتنفتح آذان الصــمّ ، 6: [ويقفز] الأعــرج كــالظبي ، ويــترنم لســان الأبكم فرحا ، إذ تنفجر الميـاه في البرية ، وتتـدفق الجـداول في الصـحراء ، 7: و يتحـوّل السـراب إلى واحة ، والأرض الظمأى إلى جـداول ، ... ، حيث كـانت تـأوي بنـات أوى ، ينمو العشب القصب و البرديّ ، ... "

صفة المصطفى عليه الصلاة والسلام :

" إشــعياء : 42:ـ 1: هو ذا عبـدي الـذي أعضـده ، مختـاري الـذي ابتهجت به نفسي ، وضعت روحي عليه ليسوس الأمم بالعدل ، 2: لا يصيح ولا يصرخ ، ولا يرفع صوته في الطريق ، 3: لا يكسر قصبة مرضوضة (أي يُقيمها) ، ولا يطفئ فتيلة [خامدة] (أي يُشعلها) ، إنما بأمانة يُجري عدلا ، (أي أنه لا يسيء إلى النــاس ، بل يُحسن إليهم) ، 4 لا يكلّ ولا تُثبّط له همّة ، حتى يرسّـخ العـدل في الأرض ، وتنتظر الجزائر شـريعته ، 6: أنا الرب قد دعوتك بالبِّر ، أمسكت بيدك وحـافظت عليك ، وجعلتك عهـدا للشـعب ونورا للأمم ، 7: لتفتح عيون العمي ، وتطلق سـراح المأسـورين في السـجن ، وتحـرّر الجالسـين في ظلمة الحبس ، 9: ها النبـوّات السـالفة تتحقق ، وأخـرى جديـدة أعلنُ عنها ، وأنبئُ بها قبل أن تحدث ، ... "

نبي الهدى يُعرّف بنفسه من خلال التوراة :

" 49: 13-1: " أنصتي إليّ أيّتها الجزائر ، وأصغوا يا شعوب الأرض البعيدة ، قد دعاني (سمّاني) الـربّ وأنا ما زلت جنينا ، وذكر اسـمي وأنا ما بـرحت في رحم أمّي ، جعل فمي كسيف قاطع ، وواراني في ظل يديه ، فصنع مني سـهما مسـنونا ، وأخفـاني في جعبته ، وقــال لي : أنت عبــدي إســرائيل الــذي به أتمّجد ، ولكنــني أجبت : لقد تعبت باطلا ، وأفنيت قوّتي سـدى وعبثا ، غـير أنّ حقي محفـوظ عند الـرب ، ومُكافـأتي عند إلهي " .

ـ وحتى يستقيم النص ضع أحمد بدلا من إسرائيل ، واحذف الكلمات ، الــتي تحتها خط ، وأقرأ النص من جديد ، فهي ليست من قول رسولنا الكريم) ، وهــذا قوله (**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ...** (47 سبأ) .

الجزيرة العربية تُشرق بنور ربّها :

"إشعياء : 60:ـ 1: قومي استضيئي (صهيون ، والأصل الجزيرة العربية) ، فإن نــورك قد جـاء ، ومجد الـرب أشـرق عليك ، ... 3: فتقبل الأمم إلى نـورك ، وتتوافد الملـوك في إشراق ضياءك (الحج) ، ... 15: وبعد أن كنت مهجورة وممقوتة ، لا يعبر بك أحد ، سأجعلك بهيّة إلى الأبد ، وفرح كل الأجيال ، ... 18: ولا يسـمع بظلم في أرضك ، ... 21: وشـعبك كلهم أبـرار ، ويرثــون الأرض إلى الأبد ، فهم غصن غرسي وعمل يـدي لأتمجّد ، 22: ويضـحي أقلّهم ألفا ، وأصـغرهم أمة قوية ، أنا الـرب أسـرع في تحقيق ذلك في حينه ، ..." .

رسالة الإسلام وصفة حملتها :

" إشــعياء : 61:ـ 1: روح الســيد الـرب عليّ (الـوحي) لأن الـرب مسـحني لأُبشّــر المسـاكين ، أرسـلني لأضـمّد جـراح منكسـري القلـوب ، لأنـادي للمسـبيين بـالعتق وللمأسورين بالحرية ، 2: لأعلن سنّة الرب المقبولة (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**

19) **وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** آل عمران) ، ... ، 7: وعوضا عن عاركم تنالون ضعفين من الميراث (**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** (53)ـ **أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** ... (54 القصص) ، 8: لأني أنا الرب أحبّ العدل ، وأمقت الإختلاس والظلم ، وأكافئهم بأمانة (**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (97 النحل) ، وأقطع معهم عهدا أبديا ، 9: وتشتهر ذريتهم بين الأمم ، ونسلهم وسط الشعوب ، وكل من يراهم يعرفهم (**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**) ، ويُقرّ أنهم شعب باركه الرب ، ... ، 11: كما تنبت الأرض مزروعاتها ، والحديقة تخرج نباتاتها ، هكذا السيد الرب ينبت البرّ والتسبيح ، ينبتان أمام كل الأمم (**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**) ، 62ـ 1:ـ إكراما لصهيون (هذه إحدى تحريفاتهم ، والأصل إكراما لخير أمة أخرجت للناس) ، لا أصمت ، و... لا أستكين ، [حتى يخرج برّها كضياء ، وخلاصها كمصباح مُتقد] ، 2: فترى الأمم بِرَّكِ وكلّ الملوك مجدك ، وتدعين باسم جديد يطلقه عليك فم الرب (**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** (78 الحج) .

انتشار رسالة الإسلام بين الأمم ، وصفة مجيء حجّاج بيت الله الحرام :

" إشعياء : 66ـ 18-20: ولأني عالم بأعمالهم وأفكارهم ، فأنا مُزمع أن آتي لأجمع كل الأمم والألسنة ، فيتوافدون ويرون مجدي ، وأجعل بينهم آية ، وأبعث بعض الناجين منهم إلى الأمم ، إلى ترشيش وفول ولود ، المهرة في رمي السهام ، وإلى توبال وياوان ، وإلى الجزائر البعيدة ، ممن لم يسمعوا بشهرتي ، أو يروا مجدي ، فيذيعون مجدي بين الأمم . ويُحضرون جميع أخوتكم من سائر الأمم ، تقدمة للرب ، على متون الجياد ، وفي المركبات والهوادج ، وعلى ظهور البغال وأسنمة الجمال ، إلى أورشليم جبل قدسي " .

قال تعالى (**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ، أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (26)ـ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، يَأْتُوكَ رِجَالًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ، يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** (27 الحج)

وهب بن منبه يُجمل ما تفرّق من نصوص التوراة :

وقارن كل ما تقدّم مع ما قاله وهب بن منبه أحد مُسلمي اليهود ، حيث أجمل كل هذه النبوءات في هذا النص من كتاب (المنتظم) لأبي الفرج " قال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى إشعياء ، إني مُبعث نبيا أميّا ، أفتح به آذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، مولده بمكة ومهاجره طيبة (المدينة المنورة) ، وملكه بالشام ، عبدي المتوكل المرفوع الحبيب المجيب ، لا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ويغفر بالمؤمنين ، وليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا متزيّن بالفحش ولا قوّال ، أسدّده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى والحكمة مقولته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، ... به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، أجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، توحيدا لي ، وإيمانا بي ، وإخلاصا لي ، وتصديقا لما جاء به رسلي ، وهم دعاة الشمس (النور) ، طوبى لتلك القلوب " .

اليهود ينكرون نبوّة أحمد عليه الصلاة والسلام حسدا وبغيا :

من كتاب (المنتظم) " عن عاصم بن عمر عن قتـادة عن رجل من قومه ، قـال : إن مما دعانا إلى الإسـلام ، مع رحمة الله إيانا وهـداه ، لما كنا نسـمع من يهـود ، كنا أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تـزال بيننا وبينهم ، فـإذا نلنا منهم بعض ما يكرهـون ، قـالوا لنا : إنه قد تقـارب زمـان نـبي يبعث الآن ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكنا كثيرا ما نسـمع ذلك منهم ، فلما بعثه الله عز وجل ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوّعدونا به ، فبادرناهم إليه ، وآمنا وكفروا ، ففينا وفيهم ، نزلت هذه الآيات (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَـابٌ مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ مُصَـدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَـانُوا مِنْ قَبْـلُ يَسْـتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَـرُوا فَلَمَّا جَـاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** (89 البقرة) " .

من كتاب (المنتظم) " وعن عاصم عن شـيخ من بـني قريظة ، قـال : قـال لي : هل تـدرون عمّا كـان إسـلام ثعلبة بن سـعيد وأسد بن عبيد ، نفر من بـني ذهل أخـوة بـني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، كانوا ساداتهم في الإسلام ، قال : قلت : لا أدري ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام ، يُقال له ابن الهيبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسـنين ، فحـلّ بين أظهرنا ، لا والله ما رجلا قط ، كـان يصـلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنّا إذا قحط عنا المطر ، قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول لا والله ، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة له ، فنقول : كم ؟ فيقـول : صـاعا من تمر أو مُدّين من شعير ، قال : فيُخرج ذلك ، ثم يخـرج بنا إلى حرّتنا ، فيستسـقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه ، حتى يمر السحاب ويسقي ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مـرتين ولا ثلاثا ، قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قـال : يا معشر يهـود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير ، إلى أرض الجوع والبؤس ، قـالوا : قل لنا أنت ، قال : فـإني إنما جئت هـذه البلـدة ، أتوّكف خـروج نـبي قد أظلّكم زمانه ، هـذه البلـدة مهـاجره ، فكنت أرجو أن أدركه فأتبعه ، وقد أظلّكم زمانه ، فلا يسـبقنّكم أحد إليه ، يا معشر اليهـود ، فإنه يُبعث يسـفك ويسـبي الـذراري والنسـاء ممن خالفه ، فلا يمنعنّكم ذلك منه ، فلما بعث الله رسوله ... بـني قريظة ، قـال هـؤلاء الفتية ، وكـانوا شبابا أحداثا ، يا بني قريظة ، والله إنه الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبـان ، قـالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فأسلموا فأحرزوا دمـاءهم وأمـوالهم وأهـاليهم " .

من كتاب (المنتظم) " عن ابن عباس قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيـبر ، يجدون صفة النبي قبيل أن يُبعث ، وأن دار مهـاجره المدينة ، فلما وُلد رسـول الله ، قالت أحبار اليهود ولد أحمد الليلة ، هذا الكـوكب طلع ، فلما تنبّأ ، قـالوا تنبأ أحمد ، قد طلع الكـوكب ، كـانوا يعرفـون ذلك ، ويُقـرّون به ، وما منعهم من اتّباعه ، إلا الحسد والبغي " .

كان هذا عرضا لبعض من نبوءات التـوراة ، الـتي تحقّقت في الماضي ، وعرضا لكيفية فهمهم لإشـاراتها ورموزها وتفسـيرهم لها . وفيما يلي سـنبدأ بعـرض أغلب نبـوءاتهم المستقبلية ، والتفسيرات المعاصرة لها ، من الرواد الغربيـون من اليهـود والنصـارى ، مع التعقيب عليها أحيانا .

نبوءات المرة الأولى والثانية في سفر ارميا

المرة الأولى وما بعدها :

" ارميا : 25:ــ 3: على مــدى ثلاث وعشــرين ســنة ، والــربّ يــوحي إليّ بكلمته ، فخــاطبتكم بها ، ولكنكم لم تســمعوا ، ... 5: وقد قــالوا لكم (الأنبيــاء) : توبــوا الآن لــيرجع كل واحد منكم ، عن طُرقِه الشــرّيرة ، وممارســاته الأثيمة ، ... 6: ولا تضــلوا وراء آلهة أخـرى ... عندئذ لا أُنـزل بكم أذىً ، 7: غـير أنكم لم تسـمعوا لي ، بل أثـرتم غيظي بما جنته أيديكم ، فاستجلبتم على أنفسكم الشرّ ، 8: لذلك يقول الرب القدير : لأنكم عصيتم كلامي ، 9:ـ فها أنا أجنّد جميع قبائل الشمال ، بقيادة نبوخذ نصر عبـدي ، وآتي بها إلى هـــذه الأرض ، فيجتاحونها ويهلكـــون جميع ســـكّانها ، مع ســـائر الأمم المحيطة بها ، وأجعلهم مثـــار دهشة وصـــفير ، وخـــرائب أبدية ، 10: وأُبيد من بينهم أهازيج الفرح والطرب ، ... وضـجيج الـرحى ونـور السـراج ، 11: فتصـبح هـذه الأرض بأسرها قفرا خرابا ، وتُستعبد هذه الأمم لملك بابل ، طـوال سـبعين سـنة ، 12:ـ وفي ختام السـبعين سـنة أُعـاقب ملك بابل وأمّته ، وأرض الكلـدانيين على إثمهم ، وأحولها إلى خراب أبديّ ، يقول الرب ، 13: وأُنفّذ في تلك الأرض ، كل القضاء الذي نطقت به عليها ، كـلّ ما دوّن في هـذا الكتـاب ، وتنبأ به إرميا على جميع الأمم ، 14: إذ أنّ أمما كثيرة وملوكا عظماء يستعبدونهم أيضا ، وهكـذا أُجـازيهم بمقتضى أفعـالهم ، وما جنته أيديهم من أعمال أثيمة " .

ـ نص النبوءة في هذه الفقرة ، بالمقارنة مع نص النبوءة الأصلي في سـفر التثنية ، هو محض افتراء وتزوير ، فالكاتب في الواقع يسرد تاريخا لأحداث بعد وقوعها ، يحـدّد فيه أسماء وأمكنة وأزمنة ، مع أنه يحكيها بصيغة المستقبل ، وفي النهاية يسكب بعضا من حقده الدفين ، على بابل وأهلها ، فاضـحا الأثر النفسي الـذي كـان يعتريه عند كتابتها ، وهـذا يؤكد أنّ هـذا النص ، أُعيـدت كتابته بالإضـافات ، من قبل مـؤلفي التـوراة ، بعد السبي البابلي ، فمثلا سفر إشعياء ، يقول بأن الطـائر الجـارح سـيأتي من المشـرق ، وسفر إرميـاء يقـول أن نبوخذ نصر يـأتي من الشـمال ، وفي الحقيقة ، ربما يكـون كلا الأمرين بناءً على نصوص التوراة صحيح ، ليكون خروج نبوخذ نصر من الشرق (بابل) ، وغزوه لمملكتهم من الشمال (حماة) ، أما جهة المخرج في المــرة الأولى ،لم تكن معروفة إلا بعد تحقق البعث ، فلذلك كانت الفقرة السابقة سردا تاريخيا .

المرة الثانية وما بعدها :

" ارميا : 30:ـ 3: ها أيام مقبلة أردّ فيها سـبي شـعبي ... ، وأعيـدهم إلى الأرض الـتي أعطيتها لآبـائهم فيرثونها ، (ثم يقـول) : سـمعنا صـراخ رعب ، عم الفـزع وانقـرض السلام ، ... ، ما أرهب ذلك اليـوم ، إذ لا مثيل له ، هو زمن ضـيق على ذرية يعقـوب ، ولكنها سـتنجو ، في ذلك اليـوم ، يقـول الـرب القـدير : أحطّم أنيـار أعنـاقهم وأقطع رُبطَهم (أي أرفع قيــود العبودية والــذل عنهم) فلا يســتعبدهم غــريب فيما بعد ، بل يعبــدون الــرب إلههم ، وداود ملكهم الــذي أُقيمه عليهم ، ... فــيرجع نسل إســرائيل ، ويطمئنُّ ويستريح ، من غير أن يُضايقه أحد ، ... ، فأُبيدُ جميع الأمم التي شــتّتكَ بينها ، أمّ أنت فلا أُفنيك أُودّبك بــــالحق ، ولا أُبرّئك تبرئة كاملة ، ... ، (الخطــــاب موجّه لأورشــليم) إن جرحك لا شــفاء له ، وضــربتك لا علاج لها ، إذ لا يوجد من يــدافع عن دعواك ، ... ، قد نسيك محبّـوك ، وأهملـوك إهمـالا ، لأني ضـربتك كما يُضـربُ عـدوّ ، وعاقبتكِ عقابَ مبغضٍ قاسٍ ، لأن إثمكِ عظيمٌ وخطايـاك متكـاثرة ، ... ، لهـذا أوقعتك

بالمحن ، ولكن سيأتي يوم يُفترس فيه جميع مُفترسيك ، ويـذهب جميع مضـايقيك إلى السبي ، ويصبح ناهبيك منهوبين ، لأني أردّ لك عافيتك وأبرئ جراحك " .

ـ هذه الفقرة تتحدث عن المرة الثانية وعقابهم الثاني ، وهذا النص منقـول كـاملا ، مع حذف بعض العبارات الزائدة كعبارة يقول الرب أو ما شابه ، فانظر ماذا أضافوا إليها ، لقد أضـاعوا الحقيقة ، وظلمـوا أجيـالهم القادمة من حيث لا يعلمـون ، فكـذبوا الكذبة وصدّقها أبنائهم ، وأصبحت من صميم معتقداتهم ، فالمعاصرين من اليهود والنصـارى ، يتعاملون مع كل نصـوص التـوراة ، بغثها وسـمينها ، على أنها من عند الله ، ولا مجـال لتكذيبها . وما أضيف إلى هذه النبـوءة المسـتقبلية ، كما يعتبرونها هم ، هو كل ما تحته خط . وأخطر ما في هذه الإضافة ، هو تفسيرهم المعاصر لها .

نبوءات حزقيال المستقبلية

حزقيال هو ثالث الأنبياء الكبـار ، ويقـال أنه أحد الـذين سُـبوا إلى بابل ، ويحتـوي كتابه على كثـير من النبـوءات المسـتقبلية ، فيما يخص عـودة اليهـود الثانية ، وأحـداث آخر الزمان وما سيقع فيها من حروب ، وهذا الكتاب وما يأتي بعده في الـترتيب ، من كتب أنبياء التوراة ، أصبح مادة دسمة للباحثين في القرن الماضي ، فيما يتعلّق بأحداث آخر الزمـــان ، كنهاية اليهـــود ، والحـــرب والعالمية الثالثة ، وظروفها ، ونتائجها ، وعـــودة المسـيح الثانية إلى الأرض ، وفيما يلي عـرض لنبوءاته حسب تسلسـلها في التـوراة ، الذي كما يبدو حافظ عليه كتبة التوراة .

تأكيد الوعد بالعقاب وتبيان أسبابه وغاياته :

" حزقيال : 5:ـ 5: هـذه هي أورشـليم الـتي أقمتها في وسط الشـعوب ... ، فخـالفت أحكـامي بأشـرّ مما خالفتها الأمم ... لـذلك من حيث أنكم تمـرّدتم أكـثر من الأمم المحيطة بكم ، ... ، ها أنا أنقلب عليك يا أورشـليم ، وأجـري عليك قضـاء على مشـهد من الأمم ، فأصــنع بك ما لم أصــنعه من قبل ، وما لم أصــنع مثله من بعد ، عقابا لك على جميع أرجاسك ، ... ، فأنا أيضا أستأصل ، ولا تترأف عليك عيـني ولا أعفو ... ثُلث سُكّانك يموتون بالوبأ والجوع في وسطك ، وثُلث ثانٍ يُقتل حولك بالسيف ، وثُلث أخير أشتّته بين الأمم ، وأتعقبه بسيف مسلول ، وهكذا أنفّس عن غضبي ، ويخمد سخطي ، إذ أكون قد انتقمت ... وأجعلك خرابا وعارا بين الأمم ... أنا الرب قد قضيت " .

ـ هـذا النص يؤكد مقتل ثلـثي اليهـود ، وشـتات ثلث سـيكون عرضة للقتل والتنكيل والاضطهاد .

نزول العقاب ببني إسرائيل في جميع مواطن إقامتهم :

" حزقيال : 6ـ 3: ها أنا أجلب عليكم سيفا وأهدم مرتفعاتكم ، فتصبح مذابحكم أطلالا ، ... ، وأطرح قتلاكم أمام أصنامكم ، وألقي جثث أبناء إسرائيل أمـام أوثـانهم ، وأذري عظامهم حوا مـذابحكم ، وحيثما تُقيمـون تتحـول مُـدنكم إلى أطلال ، ... يمـوت البعيد بالوبأ ، والقريب يصرعه السيف ، والباقي منهم والمُحاصر تقضي عليهم المجاعة ، ... ، وأمدّ يدي عليهم في جميع مواطن إقامتهم " .

ـ هنا يؤكد نـزول العقـاب بهم على اختلاف أمكنة إقـامتهم ، ويؤكد بـأن مـدنهم الـتي يتواجدون فيها ستصبح خرابا .

شدة العقاب وآثاره النفسية على البقية الناجية :

" حزقيال : 7:ـ 15: السيف مُسلّط من الخارج ، والوبأ والجوع من الداخل ... أما الناجون منهم ، فيلوذون بالجبال كحمام الأودية ، يبكي كل واحد منهم على إثمه ، جميع الأيدي مسترخية ، وكلّ الركب مائعة كالمياه ، يتلفعون بالمسوح (الملابس الخشنة) ، ويغشاهم الرعب ، ويكسو العار وجوههم جميعا ، ويطغى القرَع (الصلع) على رؤوسهم . ويطرحون فضّتهم في الشوارع ، ويضحي ذهبهم نجاسة ، وتعجز فضتهم وذهبهم عن إنقاذهم في يوم غضب الرب " .

الوعد بالعودة إلى فلسطين من الشتات :

" حزقيال : 11:ـ 14 ثم أوحى الرب إليّ بكلمته ، قائلا : يا ابن آدم ، قل لأخوتك وأقربائك وسائر شعب إسرائيل ، في الشتات معك ، الذين قال لهم سكان أورشليم : ابتعدوا عن الرب ، لنا قد وهبت هذه الأرض ميراثا . ولكن إن كنت ، قد فرّقتهم بين الأمم ، وشتّتهم بين البلاد ، فإني أكون لهم مَقدِسا صغيرا ، في الأراضي التي تبدّدوا فيها . لذلك قل لهم : سأجمعكم من بين الشعوب ، وأحشدكم من الأراضي التي شتّتكم فيها ، وأهبكم أرض إسرائيل . وعندما يُقبلون إليها ينتزعون منها جميع أوثانها الممقوتة ورجاساتها (أي الإحسان والإصلاح بترك أوثانهم وأرجاسهم ، ولكنهم عملوا ويعملون على انتزاع الفلسطينيين وهدم أوثانهم المقدسة) ، أعطيهم جميعا قلبا واحدا ، وأجعل في دواخلهم روحا جديدا ، وأنزع قلب الحجر من لحمهم ، وأستبدله بقلب من لحم ، لكي يسلكوا في فرائضي ، ويطيعوا أحكامي ويعملوا بها ، ويكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها . يقول السيّد الرب : أمّا الذين ضلّت قلوبهم وراء أوثانهم ورجاساتهم ، فإني أجعلهم يلقَوْن عقاب طُرُقهم على رؤوسهم (فإن أحسنوا فلها وإن أساءوا فعليها) " .

الحث على الإحسان والتوبة والرجوع إلى الله ، لأنها السبيل الوحيد للنجاة :

" حزقيال : 18:ـ 29-32: يقول السيد الرب : ومع ذلك يقول بيت إسرائيل إنّ طريق الرب غير عادلة ، أطرقي غير عادلة يا بيت إسرائيل ؟! أليست طرقكم هي المعوجّة ؟! لذلك أدينكم يا شعب إسرائيل ، كل واحد بمُقتضى طُرُقه . يقول السيد الرب : توبوا وارجعوا عن ذنوبكم كلّها ، فلا يكون لكم الإثم معثرة هلاك . اطرحوا عنكم كل ذنوبكم ، واحصلوا لأنفسكم على قلب جديد وروح جديدة ، فلماذا تموتون يا شعب إسرائيل ؟! إذ لا أسرّ بموت أحد ، فتوبوا واحيوا " .

ـ يؤكد النص على فسادهم على الدوام ، وأنهم لا يعترفون بذلك ، بل يدّعون بأن الرب غير عادل بعقابهم على فسادهم ، كما ويحضّهم النص على التوبة والعودة ، ويُحذّرهم من الهلاك إن لم يفعلوا .

ذكر المرتين وعقابهما بشكل رمزي :

" حزقيال : 19:ـ 1-9: أما أنت فاتلُ مرثاة على رؤساء إسرائيل ، وقل : ماذا كانت أمك ؟! لبؤة ربضت بين الأسود ، وربّت جراءها بين الأشبال ، حتى إذا كبُر أحد جرائها وصار شبلا (الأولى) ، وتعلّم الصيد ، أكل الناس . وعندما بلغ أمره الأمم وقع في حفرتهم ، فأخذوه مسوقا بخزائمه إلى أرض مصر ، وعندما أدركت أثناء انتظارها أن

رجاءها قد هلك ، أخذت جروا آخر وجعلته شبلا (الثانية) ، فتمشى بين الأسود وتعلّم الصيد ، أكل الناس ، وهدم قصورهم وخرّب مدنهم ، فارتعبت الأرض ومن فيها صوت زمجرته ، فاجتمعت عليه الأمم من كل صوب ، وألقوا عليه شبكتهم فوقع في حفرتهم ، فساقوه بخزائم وزجّوه في قفص وأحضروه إلى ملك بابل ، واعتقلوه في القلاع لكيلا تتردّد أصداء صوته بعد ، فوق جبال إسرائيل " .

التحذير المُسبق من الاغترار بالقوة ، ومن الاستهانة بما أنذرهم الله به :

" حزقيال : 21:ـ 6-16:ـ يقول السيد الرب : أمّا أنت يا ابن آدم ، فتنهّد بقلب مُنكسر وحزن ومرارة ، فإن سألوك على ماذا تتنهّد ؟ تجيبهم : على الأخبار الواردة التي تُذيب كل قلب ، فتسترخي الأيدي ويعتري القنوط كل روح ، وتصبح الركب كالماء ، ها هي الأخبار واردة ولا بد أن تتم . وأوحى إليّ بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، تنبّأ وقل : هذا ما يُعلنه الرب : سيفٌ ، سيفٌ قد تم سنّه وصقله ، قد سُنّ للذبح المُبرم ، وصقل ليومض بالبريق ، فهل نبتهج قائلين : عصا ابني (الابن إسرائيل الدولة ، والعصا كناية عن القوة) تحتقر كل قضيب ؟! (بمعنى فهل نسخر من هذا السيف ونستهزئ بجبروته مغترّين بقوتنا) ، وقد أعطي السيف ليصقل ويجرّد بالكف ، وها هو بعد سنّه وصقله يُسلّم ليد القاتل ، اصرخ واعول يا ابن آدم ، لأنه يتسلّط على شعبي ، وعلى كل رؤساء إسرائيل ، يتعرّض شعبي لأهوال من جراء هذا السيف ، لذلك اضرب على صدرك فزعا (ندبا) . يقول السيد الرب : لأنه امتحان (وجود إسرائيل في فلسطين) ، وماذا يحدث إن لم تُقبل العصا المُحتقرة (المزدرية ، غير الآبهة بالعقاب) ؟! (بمعنى ماذا ستكون عاقبتها ، إذا رسبت بالامتحان الإلهي) . أنا الرب قد تكلّمت (قضيت) : فتنبأ يا ابن آدم ، واصفق كفا على كف ، وليضرب السيف مرتّين ، بل ثلاث مرّات ، إنه سيف القتلى ، سيف المجزرة العظيمة المُحدّقة بهم ، لكي تذوب القلوب ، ليتهاوى كثيرون عند كل بواباتهم ، لهذا جرّدت سيفا متقلبا برّاقا مصقولا للذبح . فيا سيف اجرح يمينا ، اجرح شمالا ، اجرح حيثما توجّه حدّك ، وأنا أيضا أصفّق بكفي ، وأسكن غضبي " .

ـ هذا النص يصف الجبن اليهودي وحالة الرعب التي ستصيبهم ، عندما يدخل عليهم هذا السيف الذي يعرفونه جيدا ، والذي مزّق أجسادهم شرّ مُمزق ذات مرّة . ويحذّر النص من الاستهزاء بهذا السيف ، والاغترار بالقوة ، لأنه سيف من صنع الله ، وسيسلّم ليد القاتل في الموعد المُحدّد ، ويؤكد أن الرسوب في الامتحان أي الإفساد ، معناه نفاذ القضاء بوقوع المجزرة .

من أرض واحدة يخرج البعثان :

" حزقيال : 21:ـ 19: وأوحى إليّ الربّ بكلمته قائلا : أمّا أنت يا ابن آدم ، فخطّط طريقين لزحف ملك بابل . من أرض واحدة تخرج الطريقان [وأنت يا ابن آدم ، عيّن لنفسك طريقين ، لمجيء سيف ملك بابل ، من أرض واحدة تخرج الاثنتان] (النص الثاني من النسخة الأخرى) ، ... ، لأنكم ذكّرتم بإثمكم ، إذ انكشف تمردكم ، فتجلّت خطاياكم في كل ما ارتكبتموه من أعمال ، لهذا إذ ذكّرتم بأنفسكم ، يُقبض عليكم باليد ، وأنت أيّها المطعون الأثيم ، ملك إسرائيل ، يا من أزف يومه في ساعة العقاب النهائي ، اخلع العمامة وانزع التاج ، فلن يبقى الحال كسالف العهد به ، ارفع الوضيع ، وضع الرفيع (اجعل الوضيع عاليا ، والعالي وضيعا) ، ها أنا أقلبه ، أقلبه ، أقلبه ، حتى

لا يبقى منه أثر (تاج الملك) إلى أن يأتي صاحب الحكم ، فأعطيه إياه (للذي يأتي من ربوات القدس) " .

ـ هذه النبوءة توضح لهم ، أن أرض الخروج الثاني هي بابل ، بما لا يدع مجالا للشك ، وأن البعث عقاب لهم لإفسادهم ، وأن ملكهم سيزول لا محالة ، وأن تاج المُلك سيُعطى لصاحبه ، عندما يأتي من ربوات القدس ، وهي النبوءة الرابعة والأخيرة ، التي أخبر عنها موسى عليه السلام قبل موته . وبما أنهم لا يفقهون ولا يعلمون ، وعقولهم وقلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة ، فهم لا يتقبّلون فكرة زوال ملكهم ، وذهاب الملك لغير شعب الله المُختار وأبناء الله وأحبائه ، حسب ما علّمهم كهنتهم وأحبارهم ، لذلك فهم سيعملون المستحيل ، للمحافظة على بقائهم في فلسطين ، بغض النظر عن إفسادهم فيها ، ليخرج هذا الملك التوراتي المُنتظر فيهم ، ليحكموا العالم من خلاله إلى الأبد .

وصف الإفساد والعقاب في المرة الثانية :

" حزقيال : 22:ـ 2-17: وأوحى إليّ الربّ بكلمته قائلا : وأنت يا ابن آدم ، أتُدين المدينة السافكة الدماء ؟! إذاً عرفّها بكل رجاساتها (أي بيّن صفة إفسادها) ، وقل : هذا ما يُعلنه السيد الرب : أيّتها المدينة التي تسفك الدماء في وسطها ، لتستجلب العقاب على نفسها ، ... ، قد أثمت بما سفكت من دماء ، وتنجّست بما عملت من أصنامك . قد قرّبتِ يوم دينونتك ، وبلغتِ منتهى أيامك ، لذلك جعلتك عارا عند الأمم ، ومثار سخرية لجميع البلدان ، ... ، أنت يا نجسة ، يا كثيرة الشغب ، هو ذا كل واحد من رؤساء إسرائيل ، ممن كانوا فيك ، انهمك في سفك الدماء على قدر طاقته . فيك استخفّوا بأب وأم ، واضطهدوا اليتيم والأرملة ، احتقرتِ مُقدّساتي ونجّستِ أيام سبوتي . أقام فيك وشاة عملوا على سفك الدم ، وأكلوا أمام الأصنام على الجبال ، وارتكبوا في وسطك الموبقات ، ... ، أخذت الربا ومال الحرام ، وسلبت أقربائك ظُلما ونسيتني " .

" حزقيال : 22:ـ 13-16: ها أنا قد صفّقت بكفي من جرّاء ، ما حصلت عليه من ربح حرام ، وما سُفك من دم في وسطك . فهل يصمد قلبك أو تحتفظ يداك بقوتهما ، في الأيام التي أتعامل معك فيها ؟! أنا الرب قد تكلّمت ، وأتمم ما أنطق به . سأشتتك بين الأمم وأبعثرك بين البلدان ، وأزيل نجاستك منك ، وتتدنّسين بنفسك على مرأى من الأمم ، وتدركين أنّي أنا الرب " .

" حزقيال : 22: 23-31: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، تنبأ وقل لها أنت أرض ، لم تتطهّري ولم يُمطر عليها في يوم الغضب ، ... ، خالف كهنتها شريعتي ، ونجّسوا مقادسي ، لم يُميّزوا بين المُقدّس والرجس ، ولم يعلموا الفرق بين الطاهر والنّجِس ، رؤساؤها فيها كذئاب خاطفة ، تُمزّق فرائسها ، إذ يسفكون دماء الناس ، في سبيل الربح الحرام ، وأنبياؤها (أي المتنبئون الجدد كعوفاديا يوسف) يرَوْن لها رؤى باطلة ، ... ، قائلين : هذا ما يعلنه الرب - مع أن الرب لم يعلن شيئا - : أفرطوا في ظلم شعب الأرض ، فاغتصبوا سالبين ، واضطهدوا الفقير والمسكين ، وظلموا الغريب جورا . فالتمست من بينهم رجلا واحدا ، يبني جدارا (رجلا مُصلحاً) ، ويقف في الثغرة أمامي ، حتى لا أخربها فلم أجد . فصببت سخطي عليهم ، والتهمتهم بنار غضبي ، جازيتهم بحسب طرقهم ، يقول السيد الرب " .

ـ هذه النصوص تصف إفساد دولة اليهـود الحالية ، بدقة متناهية ، وكأنها تُسـجّل وقـائع عاينها الراوي ، وتؤكد أن الهلاك والخـراب واقع بهم لا محالة ، عنـدما تبلغ هـذه الدولة منتهى أيامها .

التعقيب على المرتين وعقابهما بشكل رمزي :

" حزقيـال : 23:ـ 1-35: وأوحى إليّ الـرب بكلمته قـائلا : يا ابن آدم ، كـانت هنـاك امرأتـــان ، ابنتا أم واحـــدة ، ... ، اسم الكــبرى (أهولة أي الســامرة) واسم أختها (أهوليبة أي أورشليم) ، وكانتا لي وأنجبتا أبناء وبنـات ، وزنت أهولة (المملكة الأولى) (أي فســدت وأفســدت) مع أنها كـانت لي ، وتنجّست بكل من عشــقتهم ، وبكل أصنامهم ، ولم تتخل عن زناها منذ أيام مصر (فساد الآباء وعصيانهم) ، لذلك سلمّتها ليد عُشّاقها أبناء أشور ، ففضـحوا عورتها ، وأسـروا أبنائها وبناتها ، وذبحوها بالسـيف ، فصـارت عـبرة للنسـاء ، ونفّـذوا فيها قضـاءً . ومع أن أختها أهوليبة (المملكة الثانية) شهدت هذا ، فإنّها أوغلت أكثر منها في عشقها وزناها ، ... ، فـرأيت أنها قد تنجست ، وسلكتا كلتاهما في ذات الطريق ، ... ، وإذ واظبت على زناها علانية ، وتبـاهت بعـرض عُريّها ، كرهتها كما كـرهت أختها . لـذلك يا أهوليبة : ها أنا أثـير عليك عشّـاقك ، ... ، وآتي بهم عليك من كل ناحية ، أبناء البـابليين ، وسـائر الكلـدانيين ، ومعهم جميع أبنـاء أشور ، من ولاة وقادة ورؤساء ، وكلهم فرسـان خيل ، فيُهاجمونك بأسـلحة ومركبـات وعربــات ، ... ، وأصـــبّ ســخطي عليك ، فيعاملونك بغيظ ، يجــدعون أنفك وأذنيك ، وتُقتل بقيّتك بالسـيف . يأسـرون أبنـاءك وبناتك ، وتلتهم النـار بقيّتك ، ويُجرّدونك من ثيابك ، ويسـتولون على حُليّك . وهكـذا أضع حـدّا لعهـرك وزنـاك ، ... . وهـذا ما يُعلنه السـيد الـرب : ستشـربين كـأس عقـاب أختك العميقة (في القِـدم) ، وتكـونين مثـار ضحك واستهزاء ، لأن الكأس تسع كثيرا ، تمتلئين سُكرا وحزنا ، فكأس أختك السامرة ،كأس الرعب والخراب ، تشربينها وتمتصينها ، ... ، لأنك نسيتني ونبـذتني وراء ظهـرك " .

خراب أمريكا بعد زوال إسرائيل :

في الإصحاحات (26 ، 27 ، 28) ، تجد وصفا تفصيليا لمدينة سمّاها كتبة التوراة (صور : مدينة ساحلية لبنانية) نلخصّه بما يلي :

1. مُسيطرة هي وسُكّانها على البحر .
2. تُرعب جميع جيرانها .
3. تاجرة الشعوب وكاملة الجمال .
4. تقبع في قلب البحار .
5. تأتيها السفن التجارية من كل مكان .
6. شعبها وجيشها خليط من أمم أخرى .
7. تتمتع بكونها مركز للتجارة العالمية .

ـ وهذه الأوصـاف لا تنطبق إلا على أمريكا كدولة ، أو (نيويـورك) كمدينة ، وأما صـفة عقابها فهي كما يلي :

1. دمارها سيتحصل بريح شرقية (أي من الشرق) .

2. اندلاع النيران في وسطها .
3. تحوّلها إلى رماد .
4. مصيرها الغرق ولن يبقى منها أثر .
5. القائمون على خرابها غرباء من أعتى الأمم .

ـ وأما أسباب الغضب الإلهي عليها وعلى ملكها فهي :

1. تنصيب ملكها لنفسه كإله للبشر .
2. تربعه في مجلس الآلهة في قلب البحار .
3. الإدعاء بامتلاكه حكمة الآلهة .
4. الاستحواذ على الذهب والفضة وادّخارها .
5. مضاعفة الثروة بمهارتها في التجارة .
6. التجارة الظالمة .
7. البهاء والجلال والتكبر والاستعلاء لفرط الغنى .

ـ وفي النص التالي تسمية أخرى لها ، هي مصر :

" حزقيال : 29: 3-16: ها أن أنقلب عليك يا فرعون ملك مصر ، أيها التمساح الكامن في وسط أنهاره ، ... وأخرجك قسرا من أنهارك ، وأسماكها ما برحت عالقة بحراشفك ، وأهجرك في البرية ، مع جميع سمك أنهارك ، فتتهاوى على سطح أرض الصحراء ، فلا تُجمع ولا تُلمّ ، بل تكون قوتا لوحوش البرّ وطيور السماء . فيُدرك كل أهل مصر أني أنا الرب ، لأنّهم كانوا عُكّاز قصب هشةً لبني إسرائيل ، ما أن اعتمدوا عليك بأكفهم ، حتى انكسرت ومزّقت أكتافهم ، وعندما توكّأوا عليك ، تحطّمت وقصفت كلّ متونهم . لذلك ها أنا أجلب سيفا ، وأستأصل منك الإنسان والحيوان ، وأجعل ديار مصر ، الأكثر وحشة بين الأراضي المقفرة ، وتظلّ مدنها الأكثر خرابا بين المدن الخربة ... وأجعلهم أقلية لئلا يتسلطوا على الشعوب ، فلا تكون بعد ، موضع اعتماد لبني إسرائيل ، بل تُذكّرهم بإثمهم حين ضلّوا وراءهم ... "

ـ قد يظن القارئ للوهلة الأولى أن هذا النص ، يتنبأ بخراب مصر ، ولكن بعد إمعان النظر في العلاقة ما بين هذا الفرعون وبين اليهود ، الموضّحة بما تحته خط ، ستجد أن المقصود بهذا النص ، هم فراعنة هذا العصر ، أمريكا ومن شايعها ، وعلى ما يبدو أن المقصود بالتمساح هو الأسطول ، والمقصود بالأسماك هو السفن الحربية ، والمقصود بالأنهار هي البحار التي تنتشر فيها القوات البحرية الأمريكية ، وعلى ما يبدو أن الأساطيل الأمريكية ، ستخرج وتجتمع في مكان ما (البحر المتوسط) ، بعد إنهاء الوجود اليهودي في فلسطين ، لتلاقي مصيرها المحتوم الذي يُخبر عنه هذا النص .

ـ وفي نصوص أخرى ، ربما نوردها لاحقا ، ستجد أن هناك تسميات أخرى ، استخدمها كتبة التوراة والإنجيل ، لنفس المدينة كبابل الجديدة ، وبابل العُظمى . كناية عن دولة عظمى ، سيتزامن وجودها مع ظهور الدولة اليهودية في فلسطين .

تحالف أعداء الله ضد اليهود والنصارى :

" حزقيال : 29:ـ 18- : يا ابن آدم : إنّ نبوخذ نصّر ملك بابل ، قد سخّر جيشا أشدّ تسخير ، ضدّ صور فأصبحت كل رأس من رؤوس جنوده صلعاء ، وكل كتف مُجرّدة

من الثيــاب ، ولكن لم يغنم هو ولا جيشه شــيئا من صــور ، رغم ما كابــده من جهد للاسـتيلاء عليها . لـذلك ... ، ها أنا أبـذل ديـار مصر لنبوخذ نصر ملك بابل ، فيسـتولي على ثروتها ، ويسلبها غنائمها وينهبها ، فتكون هذه أجرةً لجيشه " .

" حزقيال : 30:ـ 1-13: وأوحى إليّ الرب بكلمته قـائلا : يا ابن آدم ، تنبّأ ، وقل : ... ، إنّ يوم الربّ بات وشيكا ، ... ، إنّه يوم مُكفهرّ بـالغيوم ، سـاعة دينونة (نهاية) للأمم ، إذ يُجرّد سـيف على مصر ، فيعُمّ الـذعر الشـديد إثيوبيا ، عنـدما يتهـاوى قتلى مصر ، ويستولي على ثروتها ، وتُنقض أسسها . ثم تسقط معهم بالسيف ، إثيوبيا وفوط ولـود ، وشبه الجزيـرة العربية وليبيا ، وشـعوب الأرض المُتحالفة معهم ... فيتهـاوى سُـكّانها من مجدل إلى أسوان ... فتُصبح أكثر الأراضي المُقفرة وحشة ، وتُضـحي مُـدنها أكـثر المُدن خرابا ... في يوم هلاك مصر ، الذي لا بد أن يتحقّق .

لأني سـأفني جمـاهير مصر بيد نبوخذ نصّـر ملك بابل ،إذ يُقبل بجيشه ، أعـتى جيـوش الأمم لخراب ديار مصر ، فيُجرّدون عليها سيوفهم ، ويملئون أرضـها بـالقتلى ، وأُجفّف مجاري نهر النيل ، وأبيع الأرض لقوم أشرار ، وأخرّب البلاد فيها بيد الغرباء ، أنا الـربّ قد قضيت . ثمّ أحطّم الأصنام ، وأزيل الأوثـان من ممفيس ، ولا يبقى بعد ، رئيس في ديار مصر ، وألقي فيها الرعب " .

" 32: 30-18: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، ولول على جند مصر ، ... ، يسقطون صرعى وسط قتلى السيف . قد أسلمت مصر للسـيف ، وأسـروها مع كل حلفائها ، وهنــاك أشــور (ســوريا) وقومه ، ... وحلفــاؤه ، .... وهنــاك أيضا أيلام (أفغانستان) وحلفاؤها ... وهناك أيضا ماشك وتوبال (مدن روسية) ، وكـلّ حلفائهما ، ... وهناك أيضا أدوم (الأردن) وملوكها ورؤسائها ، ... وهنـاك أمـراء الشـمال ، وكل الصيدونيين (اللبنانيين) ، ... أولئك الذين أشاعوا الرعب في أرض الأحياء ، ... ، كلهم قتلى ، وصرعى السيف " .

ـ هذه الفقرات الثلاثة ، مقتطعة من الإصحاحات (30 ، 31 ، 32)ـ ، التي كـرّرت بإسهاب ما جاء في الإصحاح (29) ، وعلى ما يبدو أن محتوى هذه الإصحاحات الثلاثة ، قد تناولته أقلام الكتبة ، بكثـير من التبـديل والتحـوير والإضـافة ، وقد أوردنا هــذه الفقرات لتعيينها بعض الشـعوب والـدول ، الـتي يعتبرها الغـرب أعـداءً لله ، الـذي هو المسـيح عند النصـارى . ويفـترض الكثـير من المفسّـرين الجـدد للتـوراة ، أن الـدول المذكورة في هذه النصـوص ، سـتقوم بالتحـالف مسـتقبلا ، ومن ثم سـتغزو إسـرائيل وتنهي وجودها ، بقيادة مصر أو العراق أو روسيا ، منفردة أو مجتمعة ، مما يتسبب في مواجهة مصيرية كبرى بين الشرق والغرب ، يطلقـون عليها تسـمية ، الحـرب العالمية الثالثة ، ويجزمون بـأن النصر ، سـيكون فيها حليف أحبـاء الله من اليهـود والنصـارى ، على أعداءه من المسلمين وغيرهم ، وحتمية وقوع هذه الحرب المستقبلية ، أصــبحت في السنوات الأخيرة ، حقيقة وعقيدة راسخة ، لدى عامة نصارى الغـرب وساسـتهم ، المهووسون بـالنبوءات التوراتية ، وهـذا مما سـاهم فيه واسـتغلته اليهـود في أمريكا ، لـدفع أمريكا لخـوض هـذه الحـرب الوهمية ، الـتي فيها كل المصـلحة ليهـود الشـرق والغرب ، ضد العرب والمسلمين ، من قبل أن تبدأ .

وقد تكون هـذه النصـوص ، في الحقيقة ، تُخـبر عن الاسـتعمار الغـربي ، لكل البلـدان العربية والبلدان الأخرى المذكورة فيها ، أو تُخبر عن توحيد البلدان المـذكورة بـالقوة ، من قبل ورثة نبوخذ نصر الجدد ، بعد قيامهم بإنهاء الوجود اليهودي في فلسطين .

خراب الأرض بعد خراب إسرائيل :

" حزقيال : 33: 24-29: فأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، إن المقيمين في خرائب أرض إسرائيل ، يقولون : إن إبراهيم كان فردا واحدا ، ومع ذلك ورث الأرض ، وهكذا نحن كثيرون ، وقد وُهبت لنا الأرض ميراثا . لذلك قل لهم أتأكلون اللحم بالدم ، وتتعلّق عيونكم بأصنامكم ، وتسفكون الدّم ، فهل ترثون الأرض ؟! اعتمدتم على سيوفكم ، وارتكبتم الموبقات ، ... ، فهل ترثون الأرض ؟! قل لهم : هذا ما يُعلنه الرب : إن الذين يُقيمون في الخرائب ، يُقتلون بالسيف . والذين يسكنون في العراء ، أبذلهم قوتا للوحوش . والمتمنّعون في الحصون والمغاور يموتون بالوبأ (يُفسّرونه على أنه السلاح النووي والكيماوي) . فأجعل الأرض أطلالا مُقفرة ، ويُذلّ كبريائها وعزّتها ... فيُدركون أنّي أنا الرب ، حين أجعل الأرض خربة مُقفرة (وهذا ما ستُحدثه أسلحة الدمار الشامل التي يرتعبون منها لتوافقها مع ما جاءت به التوراة) ، من جرّاء ما ارتكبوه من رجاسات " .

ـ وهذه النبوءة تؤكد زوال الدولة اليهودية بعد قيامها ، وذبح اليهود وتشريدهم وفنائهم (بالنووي والكيماوي كما يعتقدون) ، وبالإضافة إلى ذلك تؤكد خراب الأرض إجمالا ؟ ولكنهم يرفضون هذه النبوءة جملة وتفصيلا ، ويصرّون على مخالفة ما جاء فيها ، ويبذلون قصارى جهدهم لمنع تحقّقها . ولو طالعت نصوص التوراة بمجملها ، ستجد أنه بعد كل مرة ، تُخبر التوراة بحتمية نفاذ قضاء (الرب) ، في إسرائيل وشعبها عند الإفساد ، يُضيف (كتبة التوراة) نصوصا تفيد بأن ربهم دائما وأبدا ، يعود ويعفوا عنهم ، فيجمعهم من الأرض التي شُتتوا فيها ، من جميع الشعوب ، ويعيدهم إلى أرض الميعاد التي وُهبت لهم ، فيّفسدون فيها ، فيُعذّبون ويُشتتون ، فيجمعهم ويعيدهم إليها ، وهكذا دواليك ، ... (حسب ما يشتهيه كتبة التوراة) ، واليهود حتى بعد زوال دولتهم الحالية لن يستكينوا أو يهدءوا ، إلى أن يتحصّل لهم فيها الملك الأبدي ، الذي يحلمون به ، وهو ما رسم معالمه أقلامهم الكهنة والأحبار ، في النص التالي :

مَلِك القدس المنتظر من نسل محمد ، لا من نسل داود :

" حزقيال : 37:ـ 21-28: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، ... ، وها أنا أحشد أبناء إسرائيل من بين الأمم ، التي تفرّقوا فيها ، وأجمعهم من كل جهة ، وأحضرهم إلى أرضهم ، وأجعلهم أمة واحدة ، ... ، تحت رئاسة ملك واحد ، ... ، ولا ينقسمون إلى مملكتين . ولا يتدنّسون بعد بأصنامهم ورجاساتهم ، ولا بأيّ من معاصيهم ، بل أخلّصهم من مواطن إثمهم ، وأطهّرهم فيكونون لي شعبا ، وأكون لهم إلها . ويُصبح داود عبدي ملكا عليهم ، ... ، فيمارسون أحكامي ويُطيعون فرائضي ويعملون بمقتضاها . ويُقيمون في الأرض التي وهبتها لعبدي يعقوب ، التي سكن فيها آباؤهم ، فيستوطنون فيها، هم وأبناؤهم وأحفادهم إلى الأبد ، ويكون عبدي داود رئيسا عليهم مدى الدهر . وأبرم معهم ميثاق سلام ، فيكون معهم عهدا أبديا ، ... ، فتدرك الأمم أنّي أنا الرب مُقدّس إسرائيل ، حين يكون مقدِسي قائما فيهم (أي العبادة لله ، ولكنهم يُفسّرونها بإقامة الهيكل) إلى الأبد " .

ـ هذه النبوءة المُحرّفة ، هي ما يسير عليه اليهود ، منذ أجيال وما زالوا ، حيث أن كتبة هذا النص ، استخلصوا ما يُوافق أهوائهم وأطماعهم ، من مُجمل النبوءات السابقة واللاحقة ، وصهروها في بوتقة واحدة ، وبات من جاء بعدهم من اليهود ، يحملها ويعتقد بها كحقيقة ، غير قابلة للنقض أو المناقشة ، فهي نُسبت إلى الرب . ومؤدى هذه النبوءة يقول : عند مجيئهم من الشتات (نبوءة العلو والإفساد الثاني مع

استثناء العقاب ، الذي طالما تحدّثت عنه النصوص السابقة) ، سيبعث الله لهم ملكا (وجاءت شخصية هذا الملك من خلال تجميع النبوءات الخاصة برسولنا ، وعيسى ، والدجّال) ، وجعلوه من نسل داود (مَلِكَهم الأول) ، ويكون مُلكه الأبدي هذا ، في فلسطين (يأتي من ربوات القدس) ، وفي زمانه ينتشر الحقّ والعدل (اليهودي طبعا) ، في أرجاء المعمورة . وعلى هذا يعتقد عامة اليهود أن عودتهم الحالية ، هي العودة الأخيرة والنهائية ، والتي ورد ذكرها في سورة الإسراء ، تحت عبارة (وإن عُدّتم عدنا) ، وليست المرة الثانية ، التي سيتحقّق فيها وعد الآخرة ، ولكن هذا الاعتقاد ليس يقينا ، بل هناك نسبة من الشك ، وهذا الشكّ تولّد نتيجة التناقض في النصوص التوراتية ، فهم يعملون على الاحتمال الأول ، مع عدم إغفالهم للاحتمال الثاني . وحقيقة النص أعلاه تُخبر عن مُلك المهدي ، في القدس ، وهو من نسل محمد عليه الصلاة والسلام ، مؤسس دولة الإسلام الأولى .

روسيا وحلفاؤها من نصارى الشرق يُهاجمون دولة الإسلام في زمن المهدي :

" حزقيال : 38: 1-12: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، التفت بوجهك نحو جوج أرض ماجوج ، رئيس روش (روسيا) ماشك (موسكو) وتوبال ، وتنبّأ عليه ، وقل : هذا ما يُعلنه السيّد الرب : ها أنا أنقلب عليك ، يا جوج رئيس روش وماشك وتوبال ، وأقهرك ... ، وأطردك أنت وكل جيشك خيلا وفرسانا ، وجميعهم مُرتدون أفخر ثياب ، جمهورا غفيرا ، كلهم قابض سيف ، وحامل أتراس ومجانّ . ومن جملتهم ، رجال فارس (إيران) ، وإثيوبيا (السودان) وفوط ، ... ، وأيضا جومر (اليمن / أوروبا الشرقية) وكل جيوشه ، وبيت توجرمة (بلاد القوقاز الروسية / الشيشان) من أقاصي الشمال مع كل جيوشه ، جيوش غفيرة اجتمعت إليك (أي لرئيس روش) . إذ بعد أيام كثيرة تُستدعى للقتال ، فتقبل في السنين الأخيرة (آخر الزمان) ، إلى الأرض الناجية من السيف (فلسطين) ، التي تم جمع أهلها من بين شعوب كثيرة ، فتأتي مُندفعا كزوبعة ، ... أفكار سوء تراودك ، ... ، للاستيلاء على الأسلاب ، ونهب الغنائم ، ومهاجمة الخرائب التي أصبحت آهلة ، ولمحاربة الشعب المجتمع من بين الأمم ، ... ، المُستوطن في مركز الأرض " .

ـ هذا النص النبوي ، وقع فيه خلط كبير ، بين نبوءتين ، وحقيقة هذا النص تحكي وقائع الملحمة الكبرى ، التي ستقع مستقبلا بين الروس والعرب ، والتي سنتطرق لذكرها لاحقا ، ولنكمل النص ...

خروج يأجوج ومأجوج ، ونهايتهم عند وصولهم لمشارف مدينة القدس :

"حزقيال : 38:ـ 14-23: لذلك تنبّأ يا ابن آدم وقل لجوج ، هذا ما يُعلنه الرب : في ذلك اليوم عندما يسكن شعبي إسرائيل آمنا ... وتُقبل أنت من مقرّك في أقاصي الشمال ، مع جيوش غفيرة ، تغشى الأرض ، كلّهم راكبو خيل ، ... وتزحف على شعبي إسرائيل ، كسحابة تغطي الأرض ، في الأيام الأخيرة ، أني آتي بك إلى أرضي ، لكي تعرفني الشعوب ، عندما تتجلّى قداستي ، حين أدمّرك يا جوج أمام عيونهم . هذا ما يقوله السيد الرب : ألست أنت الذي ، تحدّثت عنه في الأيام الغابرة ، على ألسنة عبيدي أنبياء إسرائيل ، الذين تنبّأوا في تلك الأيام لسنين كثيرة؟! ... ، وأُسلّط عليه السيف في كل جبالي ، فيكون سيف كلّ رجل ضدّ أخيه . وأُدينه بالوباء وبالدم ، وأُمطر عليه وجيوشه ، وعلى جموع حلفائه الغفيرة ، مطرا جارفا ، وبردا عظيما ، ونارا وكبريتا ، ... فيدركون أني أنا الرب ... فيخرج سكان مُدن إسرائيل (بعد أن

يكونوا قد اعتصموا منهم في جبال القدس) ، ويحرقون الأسلحة والمجانّ ، والأترسة والقسيّ والسهام ، والحراب والرماح ، ويوقدون بها النار سبع سنين ، وينهبون ناهبيهم ، ويسلبون سالبيهم " .

ـ مفاد هذه النبوءة ، والنبوءة السابقة ، كما يُفسّره ويُأولّه الباحثون الجدد حديثا ، من اليهود والنصارى ، أن روسيا (جوج وماجوج) وحلفائها ، ستقوم بغزو أرض إسرائيل ، آنذاك سيقف الرب بجانب إسرائيل وحلفائها ، فيكون النصر حليفهم . والخلط الذي أوجده مؤلفو التوارة ، بتكرار ذكر يأجوج ومأجوج ، في نصين مختلفين ، دفع مفسّري التوراة للاعتقاد ، بأن الروس هم يأجوج ومأجوج ، والحقيقة التي نعلمها نحن كمسلمون أن خروج يأجوج ومأجوج ، سيقع بعد زوال دولة إسرائيل ، بل بعد ذبح اليهود النهائي ، وبعد خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وأما غزو الروس لبلاد الشام ، فسيكون لقتال المسلمين ، في زمن المهدي وقبل خروج الدجال .

مواصفات الهيكل الهندسية :

وعلى مدى 16 صفحة تقريبا ، يُفردها سفر حزقيال ، لتحديد المواصفات الهندسية للهيكل الجديد ، بلغة الكلمات ، من بوابات وساحات ، وحجرات لإعداد الذبائح ، وحجرات للكهنة ، ودعائم الهيكل وجدرانه وغرفه ، ومخادع الكهنة ، ومقاييس المنطقة التي سيقام فيها الهيكل ، ومقاييس المذبح . ويصف مراسيم تقديم القرابين المُقدّسة ، ويوضح شرائع لاستخدام الهيكل . ويُحدّد الأرض الممنوحة للكهنة ، والممنوحة للشعب ، والممنوحة للملك . ومن ثم يصف طريقة تقديم الملك للقربان المُقدّس ، إلى آخره . وبناءً على هذه المواصفات ، قام كثير من اليهود بعمل مخططات ونماذج ، للهيكل الذي يسعون لتشييده مكان المسجد الأقصى ، كما تأمرهم التوراة .

الإطار العام للأحداث المستقبلية حسب الترتيب الزمني لحزقيال :

1. غزو الجيش العراقي لإسرائيل وإنهاء وجود اليهود فيها .
2. توحيد البلدان العربية تحت لواء واحد .
3. خراب الأرض في حرب عالمية نووية مُدمّرة .
4. نزول الخلافة الإسلامية في القدس .
5. روسيا وحلفاؤها من نصارى الشرق يغزون دولة الإسلام في زمن المهدي .
6. خروج يأجوج ومأجوج ، ونهايتهم عند وصولهم لمشارف مدينة القدس .

ـ هذه هي قراءتنا لنبوءات حزقيال ، من خلال معرفتنا بأحداث آخر الزمان ، مما ورد في القرآن والسنة ، أما فهم النصارى واليهود لهذه النبوءات ، هو فهم مرتبك ومضطرب ، إذ أنهم عند تفسيرها ، لا يُعيرون انتباها لترتيبها الزمني ، كما جاءت في سفر حزقيال ، فمعظم تفسيراتهم على اختلافها ، تذهب إلى أن كل هذه الأحداث ، ستتحقق في زمن واحد ، متمثلة في حرب عالمية ثالثة .

رؤى دانيال ونبوءاته

دانيــال هو آخر الأنبيــاء الكبــار ، وأحد الـذين سُـبوا إلى بابل طفلا ، وكتابه في مُعظمه يشـتمل على رؤى نبوية ، تصف ما سـيقع من أحـداث في آخر الزمـان ، وخاصّـة فيما يتعلّق بقيام دولة اليهود الثانية وزوالها ، وعودة المسيح عليه السلام .

غزو العراق لإسرائيل سيُشعل الحرب العالمية الثالثة :

تفسير جبريل لإحدى رؤى النبي دانيال : " دانيال : 8:ـ 19: وقـال : ها أن أُطلعك على ما سيحدث ، في آخر حقبة الغضب ، لأنّ الرؤيا ترتبط بميعاد الانتهاء [وقت المُنتهى] ، أن الكبش ذو القرنين الذي رأيته هو ملوك مادي وفارس (إيران والعراق) ، والتيس الأشعر هو ملك اليونان (الغرب) ، والقرن العظيم النابت بين عينيه ، هو الملك الأول وما أن انكسر ، حتى خلفه أربعة عوضا عنه ، تقاسـموا مملكته ، ولكن لم يُمـاثلوه في قوته . وفي أواخر ملكهم ، عندما تبلغ المعاصي أقصى مـداها (عند اكتمـال الظلم) ، يقوم ملك فظ حاذق وداهية [جـافي الوجه وفـاهم الحيل] (بعض المفسّـرون يـرون بأنه الـرئيس العـراقي) ، فيُعظم شـأنه ، إنما ليس بفضل قوّته (أي بقــدرة الله) . ويُسبّب دمارا رهيبا (نتيجة استخدام أسلحة الدمار الشامل) ، ويفلح في القضاء على الأقوياء (أمريكا والغرب) ، ويقهر شعب الله (اليهود) . وبدهائه ومكـره يُحقّق مآربه ، ويتكبّر في قلبه ، ويُهلك الكثـيرين وهم في طمأنينة ، ويتمـرّد على رئيس الرؤسـاء ، لكنه يتحطّم بغير يد الإنسان (أي يموت موتا طبيعيا) " .

ـ يـرى نوسـتراداموس قـديما ، من خلال هـذا النص ، أن نقطة البداية (الشــرارة) للحــرب العالمية النهائية المـدمّرة ، سـتكون محصـورة في ثلاثة بلــدان هي (إيــران والعراق وفلسطين) ، أما أتباعه الجـدد ، فـيرون أن هـذه النبـوءة تتحـدث عن صـدام حسـين ، وغـزوه لإسـرائيل وتـدميرها ، وإشـعاله لنـار الحـرب العالمية الثالثة ، فتـارة يصـفونه بنبوخذ نصر جديد ، وتـارة يصـفونه بصـلاح الـدين الجديد ، وتـارة بـدجال آخر الزمـان ، الـذي يظهر في إيـران أو العـراق ، وهـذه النبـوءة وتفسـيراتها الحديثة ، مما يُفسر جانبا من العداء الغربي المرضيّ المزمن ، للعراق وللعراقيين ولشخص الرئيس العراقي .

فساد إسرائيل وإفسادها يؤكد حتمية زوالها :

" دانيال : 9:ـ 11: قد تعدّى كلّ شعب إسرائيل على شريعتك ، وانحرفوا فلم يسـمعوا صـوتك ، فسـكبت علينا اللعنة وما أقسـمت أن توقعه بنا ، كما نصّـت عليه شـريعة موسى عبد الله ، لأننا أخطأنا إليك . وقد نفذّت قضـاءك الـذي قضـيت به علينا ، وعلى قضاتنا الذين تولّـوا أمرنا ، جالبا علينا على أورشـليم شـرا عظيما ، لم يحـدث له مثيل تحت السـماء . ... ، ولم [نتضـرّع إلى] وجهك أيها الــرب إلهنا ، تــائبين عن آثامنا ومُتنبّهين لحقك ، فأضـمرت لنا العقـاب ، وأوقعته بنا لأنك إلهنا البـارّ في كل أعمالك ، التي صنعتها لأننا لم نستمع إليك ".

ـ هنا يُخبر دانيـال عن العقـاب على اعتبـار ما سـيكون ، وبأنه قضـاء كـان موسى عليه السلام قد أخبر عنه في كتابه ، وموضحا الأسباب الـتي أوجبت العقـاب ، وأن العقـاب سيُرفع ، لو سبقته التوبة ، ويقرّر أن الله عادل في عقابه لشعبه المختار .

قيام دولة اليهود الثانية :

ـ النص التالي هو تكملة لنصّ متداخل ، على ما يبدو أنه تكرار لنفس نص الرؤيا الأولى أعلاه ، لم أستطع تتبّع بداياته بدقة ، يتحدّث عن حروب وعن ملك ما ، لم أستطع تحديد ماهيته أو مخرجه ، ولكن من قراءة النص اللاحق ، يتبين أنه الذي تسبب في زوال الحكم الإسلامي وقيام دولة إسرائيل في فلسطين . ويصف هذا النص بدقة ، الواقع الحالي لأهل فلسطين وللعرب والمسلمين إجمالا ، ويحمل بشرى لهم ، بالنصر والفرج من عند الله ، عندما يحين موعد نهاية الدولة اليهودية ، وما كان عودة اليهود لفلسطين إلا امتحانا ، ليميز الطيب من الخبيث ، والمؤمن من المنافق .

" دانيال : 11: 31: فتُهاجم بعض قوّاته حصن الهيكل وتنجّسه ، وتزيل المحرقة الدائمة (أي الحكم الإسلامي) ، وتنصب الرجس المُخرّب (أي دولة إسرائيل) . ويُغوي بالمُداهنة المعتدين على عهد الرب (اليهود) ، أمّا الشعب (الفلسطينيون) الذين يعرفون إلههم فإنّهم يصمدون ويُقاومون . والعارفون منهم يُعلّمون كثيرين ، مع أنّهم يُقتلون بالسيف والنار ، ويتعرّضون للأسر والنهب أيّاما (سنين معدودة) ، ولا يتلقون عند سقوطهم (قتلى وجرحى) ، إلا عونا قليلا ، وينضمّ إليهم كثيرون نفاقا (حال العرب) ، ويعثر بعض الحكماء تمحيصا لهم وتنقية ، حتى يأزف وقت النهاية (نهاية إسرائيل) ، في ميقات الله المعيّن (أي عند مجيء وعد الآخرة) " .

حتمية نهاية إسرائيل على يد العراقيين :

" دانيال : 11: 36: ويصنع الملك (ملك إسرائيل) ما يطيب له ، ويتعظّم على كل إله ويُجدّف بالعظائم على إله الآلهة ، ويُفلح إلى أن يحين اكتمال الغضب ، إذ لا بدّ أن يتم ما قضى الله به ، ولن يبالي هذا الملك بآلهة آبائه ، ... ، إنّما يكرم إله الحصون بدلا منهم (أي يتّكل على القوة) ، ... . وعندما تأزف النهاية ، يُحاربه ملك الجنوب ، فينقضُّ عليه ملك الشمال ، كالزوبعة بمركبات وفرسان وسفن كثيرة ، ويقتحم دياره كالطوفان الجارف . ويغزو أرض إسرائيل ، فيسقط عشرات الألوف صرعى ، ولا ينجو منه سوى ، أرض أدوم وأرض موآب ، والجزء الأكبر من أرض عمون (ممالك الأردن القديمة) ، يبسط يده على الأراضي ، فلا تفلت منه حتى أرض مصر . ويستولي على كنوز الذهب والفضة ، وعلى كل ذخائر مصر ، ويسير الليبيون والأثيوبيون في ركابه (ليبيا والسودان) ، وتبلغه أخبار من الشرق ومن الشمال ، فيرجع بغضب شديد ، ليُدمّر ويقضي على كثيرين ، وينصب خيمته الملكية ، بين البحر وأورشليم ، ويبلغ نهاية مصيره (الوفاة) ، وليس له من نصير " .

ـ يبدو أن هذا النص يتحدّث عن آخر رئيس لإسرائيل ، وهو ملك لا يؤمن إلا بالقوة ولا يتكلّ إلا عليها ، والنص يصف الغزو العراقي القادم لإسرائيل ، وسيطرة رئيس العراق على معظم بلدان المنطقة وحكمه لها ، واتخاذه القدس عاصمة لملكه ، ومن ثم موته موتا ، لا قتلا . وأما ذكر ملكين من الشمال والجنوب ، فهو ناتج عن ارتباك كتبة التوراة ، في تحديد هوية هذا الملك ، والذي تبين لدينا من النبوءات السابقة ، أن هناك ملكين سيقومان بغزو إسرائيل ، الأول هو ملك بابل ، وكان مخرجه حسب إشعياء من الشرق ، وكان غزوه لإسرائيل حسب ارميا من الشمال ، وهذا يفيد بأنه خرج من الشرق ، وغزاهم من الشمال عن طريق سوريا حيث كان مُعسكرا ، في منطقة حماة . والملك الثاني هو جوج رئيس ماجوج أي الرئيس الروسي ، الذي سيغزوهم من أقصى الشمال ، ومع أن كل منهما ، حادث منفصل عن الآخر ، إلا أنهم جمعوهما في نص واحد ، بطريقة مربكة للقارئ ، وهذا أدى إلى حيرة الدارسين والباحثين الجدد

لهذه النصوص ، في محاولاتهم لمعرفة ظروف الحرب العالمية الثالثة ، ولتحديد شقيّ النزاع فيها وأحلاف كل منهم ، وهذا النص تكرار لنص تفسير جبريل للرؤيا الذي تقــدّم أعلاه .

" 12: 9: اذهب يا دانيال ، لأن الكلمات مكتومة ومختومة إلى وقت النهاية . كثيرون يتطهّرون ويتنقّون ويُمحّصون بالتجارب (يُمتحنـون) ، أما الأشـرار فـيرتكبون شـرا ولا يفهمون ، ولكن ذوو الفطنة يُدركون [يفهمون] " .

ـ يؤكد هـذا النص ، أن الأحـداث الـتي أخـبر عنها ، سـتأخذ مكانها في زمـان النهاية ، وسـيُمتحن من خلالها أنـاس كثـيرون ، فمنهم من يقع بشـرّ أعماله ، ومنهم من ينجو بجميل صنعه وفهمه ، واختياره للطريق الأصوب ، بناءً على ما جاء في هذه النبوءات .

بعض رؤى ونبوءات الأنبياء الصغار

وهم اثنا عشر نبيا ، وعلى ما يبدو أنهم بُعثوا في الفترة ، الـتي كـان لليهـود فيها تواجد في جـزئي في القـدس ، وتمتعـوا فيها بحكم شـبه ذاتي ، للقلة الـتي بقيت فيها ولمن عادوا من السبي البابلي ، وامتدت هـذه الفـترة ، ما بعد السـبي البـابلي ، إلى ما قبل بعث عيسى عليه السلام ، وسُمّوا بالأنبياء الصـغار ، كـون أسـفارهم صـغيرة الحجم ، حيث يـــتراوح عـــدد صـــفحات كل منها ، ما بين (2-12) صـــفحة ، ومعظم رؤاهم ونبوءاتهم تتحدث عن أحداث آخر الزمان ، المرتبطة بعودتهم الثانية إلى فلسطين :

سفر يوئيل

وصف أصحاب البعث الثاني :

" هذا ما أوحى به الرب ، إلى يوئيل بن فثوئيل : اسمعوا هذا أيّها الشـيوخ ، وأصـغوا يا جميع أهل الأرض ، ...

1: 15: يا له من يوم رهيب ، لأن يوم الرب قريب ، حاملا معه الدمار من عند القدير ، ... اصحوا أيها السـكارى ، وابكـوا يا جميع مـدمني الخمر ... فـإن أمـةً قوية قد زحفت على أرضي ، أمة قوية لا تُحصى لكثرتها ، لها أسنان ليث وأنياب لبؤة ، ...

2: 2: هو يوم ظلمة وتجهّم ، يوم غيـوم مُكفهـرّة وقتـام دامس ، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة ، كما يزحف الظلام على الجبال ، أمّة لم يكن لها شبيه في سـالف الزمـان ، تلتهم النـــار ما أمامها ، ويُحـــرق اللهيب ما خلفها ، الأرض أمامها جنة عـــدن ، وخلفها صــحراء موحشة ، يثبــون على رؤوس الجبــال ، في جلبة كجلبة المركبــات ، كفرقعة لهيب نــار يلتهم القشّ ، وكجيش عــات مُصــطفّ للقتــال . تنتــاب الرعــدة منهم كل الشعوب ، وتشحب كل الوجوه ، يندفعون كالجبـابرة وكرجـال الحـرب ، ... ، ينسـلّون بين الأسلحة من غير أن يتوقفـوا ، ينقضّـون على المدينة ، ويتواثبـون فـوق الأسـوار ، يتسـلّقون الـبيوت ، ويتسـلّلون من الكـوى كاللصـوص ، ترتعد الأرض أمـامهم وترجف السـماء ، ... ، يجهر الـرب بصـوته في مُقدّمة جيشه ، لأن جُنـده لا يُحصى لهم عـدد ، ومن يُنفّذ أمره يكون مُقتدرا ، لأن يوم الرب عظيم ومخيف ، فمن يحتمله ؟! " .

ـ يـوم الغضب الـذي يصـفه يوئيل ، هو اليـوم الـذي سـتنقضّ فيه ، تلك الأمة القوية ، لتنفيذ وعد الآخرة ، في شعب الله المختار .

الإشارة إلى موعد زوال دولة إسرائيل فلكيا :

" يوئيل : 2:ـ 30: وأجري آيات في السماء ، وعلى الأرض ، دما ونارا وأعمـدة دخـان . وتتحول الشمس إلى ظلام (كسوف الشمس) ، والقمر إلى دم (وخسوف القمر) ، قبل مجيء يـوم الـرب العظيم المُخيف . إنّما كل من يـدعو باسم الـرب يخلص ، لأن النجاة تكون في جبل صهيون وفي أورشليم ...

ـ يُشـير هـذا النص إلى أن نهاية إسـرائيل ، سيسـبقها بعض الإشـارات والـدلائل ، في السماء وفي الأرض ، أما الإشـارات الأرضـية ، فهي قتل وسـفك دمـاء ، ودمـار ونـار ، وحرائق ودخـان ، وأما الإشـارات السـماوية ، فهي أولا كسـوف كلّي للشـمس ، يليه خسوف كلّي للقمر ، تتم مشاهدتهما من فلسـطين على التـوالي ، والملفت للنظر أن الإشارات السماوية قد وقعت بالفعل ، فالكسوف الكلي للشمس ، حدث بتاريخ 11 / 8 / 1999م ، وتبعه خسوف كلي للقمر بتاريخ 9 / 1 / 2001 ، ولأول مرة بعد قيام الدولة اليهودية ، يتحصّل هذا الحدث على هذا النحو ، وهو ما لن يتكرّر قبل 180 سـنة على الأقل .

فلسطين مسرح الحرب العالمية الثالثة :

3: 1: لأنّه في تلك الأيام ، وفي ذلك الحين ، عندما أردّ سبي يهـوذا وأورشـليم ، أجمع الأمم كلّها ، وأحضـرهم إلى وادي يهوشـافاط ، وأحـاكمهم هنـاك ، من أجل شـعبي وميراثي إسرائيل ، ... ، نادوا بهذا بين الأمم ، وتـأهبوا للحـرب ، ... ، أسـرعوا وتعـالوا من كل ناحية ، ... ، لتنهض الأمم وتقبل إلى وادي القضاء ، ... ، تعالوا ودوسـوا ، فـإن المعصرة الخمر قد امتلأت ، والحياض فاضت بكثرة شرّهم ...

ـ يوم الغضب يشمل أيضا ، ما سيقع من غضب إلهي لاحق ، على بقية شـعوب الأرض .

عودة الأمن والطمأنينة لفلسطين بعد الحرب :

وتقطر الجبال في ذلك اليوم خمـرة عذبة ، وتفيض التلال بـاللبن ، وجميع ينـابيع يهـوذا تتدفق ماء ، ويخرج ينبوعا من هيكل الـرب ، يـروي واد السـنط ، وتصبح مصر خرابا ، وأدوم قفـرا موحشا ، لفـرط ما أنزلـوه من ظلم ، ... ، ولأنهم سـفكوا دما بريئا في ديارهم . أما يهوذا فإنّه يسكن الأرض إلى الأبد ، وتعمر أورشليم مدى الأجيال ، وأزكّي دمهم الذي لم أبرّئه ، لأن الرب يسكن في صهيون (كناية عن الدين) " .

رؤيا حبقوق

وصف الإفساد وأصحاب البعث الثاني :

" 1: 11-3: أينما تلفّت أشهد أمامي جورا واغتصابا ، ويثور حولي خصام ونزاع ، لذلك بطلت الشـريعة (تعطلّت) وبـاد العـدل ، لأن الأشـرار يُحاصـرون الصـدّيق ، فيصـدر الحكم مُنحرفا عن الحقّ .

تأمّلوا الأمم وأبصروا ، تعجّبوا وتحيّـروا ، لأني مُقبل على إنجـاز أعمـال ، في عهـدكم ، إذا أخـبرتم بها لا تصـدّقونها . فها أنا أثـير الكلـدانيين ، هـذه الأمة الحانقة المُندفعة ، الزاحفة في رحـاب الأرض ، لتسـتولي على مسـاكن ليست لها ، أمّة مُخيفة مُرعبة ،

تستمدّ حُكمها وعظمتها من ذاتها . خيولها أسرع من النمور ، وأكثر ضراوة من ذئاب المساء ، فرسانها يندفعون بكبرياء ، قادمين من أماكن بعيدة ، مُتسابقين كالنسر المُسرع ، للانقضاض على فريسته ، يُقبلون جميعهم ليعيثوا فسادا ، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم ، فيجمعون أسرى كالرمل . يهزءون بالملوك ويعبثون بالحكام ، ويسخرون من الحصون ، يجعلون حولها تلالا من التراب ، ويستولون عليها . ثم يجتاحون كالريح ويرحلون ، فقوة هؤلاء الرجال هي إلههم " .

" 2: 3 لأن الرؤيا لا تتحقّق إلا في ميعادها ، وتسرع إلى نهايتها ، إنها لا تكذب ، وإن توانت فانتظرها ، لأنها لا بدّ أن تتحقّق ، ولن تتأخر طويلا " .

عودة الإسلام بخروج المهدي من مكة وانتصاره في جميع حروبه :

" 3: 3-13: قد أقبل الله من أدوم (الأردن) ، وجاء القدّوس من جبل فاران (مكة) ، غمر جلاله السماوات ، وامتلأت الأرض من تسبيحه ، إن بهاؤه كالنور ، ومن يده يومض شعاع ، وهناك يحجب قوّته . يتقدّمه وبأ ، والموت يقتفي خطاه . وقف وزلزل الأرض ، تفرّس فأرعب الأمم ، اندكّت الجبال الأبدية ، وانهارت التلال القديمة ، أما مسالكه فهي منذ الأزل ، لقد رأيت خيام كوشان تنوء بالبلية ، وشُقق أخبية ديار مديان ترجف رعبا " .

ـ هذا النص مشابه للنص النبوي الذي ورد في سفر التثنية ، بداية هذا الفصل ، فعبارة (جاء القدّوس) ، تُشير إلى عودة الدين ، وعبارة (من جبل فاران) ، تُحدّد مكان ظهور القائم على أمره ، وهي جبال الجزيرة العربية ، أما عبارة (قد أقبل الله) ، فتعني قدوم شيء من أمر الله ، كالبعث أو الملك المنتظر ، وعبارة (من أدوم) أي من الأردن ، تُشير إلى الجهة التي سيأتي منها البعث ، أو التي سيأتي منها المهدي لدخول القدس ، وعلى ما يبدو أن هذا النص ، جاء ليُفسّر ويُفصّل النبوءة ، التي جاءت على لسان موسى عليه السلام (وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم) ، وتؤكد أن المهدي ، سيظهر في مكة ، ومن ثم سينتقل إلى القدس ، ليُعيد للإسلام مجده وبهاءه ، وليُبدد بنوره ، عصورا من ظلام القلوب والعقول .

رؤيا صفنيا

وصف إفساد إسرائيل والوعد بعقابها :

3: 1-4: ويل للمدينة الظالمة المُتمرّدة الدنسة ، التي لا تُصغي لصوت أحد ، وتأبى التقويم ، ولا تتكلّ على الرب ، ولا تتقرّب من إلهها ، رؤساؤها في داخلها أسود زائرة ، وقضاتها كذئاب المساء الجائعة ، التي لا تبقي شيئا ، من فرائسها إلى الصباح ، أنبياؤها مغرورون وخونة ، وكهنتها يُدنّسون المقدس ، ويتعدّون على الشريعة ...

" 1: 2: يقول الرب : سأمحو محوا كل شيء عن وجه الأرض ، ... . أمدُّ يدي لأُعاقب يهوذا وكل أهل أورشليم ، وأفني من هذا الموضع بقية عبدة البعل ، وكل كهنة الوثن . ... ، فتصبح ثروتهم غنيمة ، وبيتهم خرابا " .

الحرب القادمة مُباغتة وسريعة :

1: 14-18: إن يوم الرب العظيم قريب ، وشيك وسريع جدا . دويُّ يوم الرب مُخيف ، فيه يصرخ الجبار مرتعبا ، يوم غضب هو ذلك اليوم ، يوم ضيق وعذاب ، يوم خراب

ودمـار ، يـوم ظلمة واكتئـاب ، يـوم غيـوم وقتـام . ... ، فيه أُضـايق النـاس فيمشـون كالعمي ، لأنهم أخطئوا في حقّ الـرب ، فتنسـكب دمـاؤهم كـالتراب ، ويتنـاثر لحمهم كالجلّة . لا يُنقذهم ذهبهم ولا فضتهم ، في يوم غضب الـرب ، إذ بنـار غيرته تُلتهم كـلّ الأرض ، وفيه يضع نهاية ، مُباغتة كاملة سريعة ، لكلّ سكان المعمورة " .

ـ اعتمـادا على هـذا النص ، يعتقد معظم المفسّـرون الغربيـون ، بـأن الحـرب العالمية القادمة ، ستكون مباغتة وسريعة جدا ، وستحسم في فـترة زمنية قصـيرة جـدا ، تُعـدّ بالأيام . وقصر المدة ، يُشير إلى حتمية استخدام أسلحة الدمار الشامل بكافة أشكالها .

سفر حجّي

إعادة بناء الهيكل طمعا في الذهب والفضة :

" 1: 8-7: هكذا يقول الرب القدير : تأملوا فيما فعلتم ، اصعدوا الجبل ، واجلبوا خشبا وشيّدوا الهيكل ، فأرضى عنه وأتمجّد ...

2: 9-5: بمقتضى عهدي الذي أبرمته معكم ، عندما خرجتم من ديار مصر ، إن روحي ماكث معكم ، فلا تفزعوا . لأنه هكذا يقول الرب : ها أنا مُزمع مـرّة أخـرى ، عمّا قليل أن أزلـزل السـماء والأرض والبحر واليابسة ، وأن أزعـزع أركـان جميع الأمم ، فتُجلب نفائسـهم إلى هـذا المكـان ، وأملأ الهيكل بالمجد ، فالـذهب والفضة لي يقـول الـرب القـدير ، ويكـون مجد هـذا الهيكل الأخـير ، أعظم من مجد الهيكل السـابق ، وأجعل السلام يسود هذا الموضع ، يقول الرب القدير " .

ـ هذا النص المُحرّف ، مما يتّخذه اليهود كدعوة لإعـادة بنـاء الهيكل ، والحقيقة أن الله أمـرهم بعبادته وإقامة شـريعته ، ولكنهم يعبـدون الـذهب والفضة ، ومسـتودعها هو الهيكل ، ويسعون لبناءه لجعله مصرف دولي أو بورصة عالمية ، وهذا كان حـالهم عند مجيء المسيح عليه السلام ، وكما هو موصـوف بالإنجيل ، وأما النص غـير المُحـرّف ، الـذي يخـبرهم فيه ربهم ، بأنه لا يريد منهم هيكلا ، وإنما يريد منهم صـلاحا وإصـلاحا ، فهو موجود أيضا في نفس السفر ، بعد أسطر قليلة وهذا نصه :

" 2: 15-14: هذا هو حال الشعب ، ... ، فكـلّ أعمـال أيـديهم ، وما يُقدّمونه نجس . والآن تأملوا فيما صنعتم اليوم ، وفيما صنعتم في الأيام السالفة ، قبل أن تضعوا حجرا فوق حجر ، لبناء هيكل الرب !!! " .

سفر زكريا

تحذير يهود هذا الزمان على لسان زكريا عليه السلام :

1: 6-2: لقد غضب الربّ أشدّ الغضب على آبائكم ، ولكن قُل لهم هذا ما يُعلنه الـرب القدير : ارجعوا إليّ فأرجع إليكم . ولا تكونوا كآبائكم ، الذين حذّرهم الأنبياء السـابقون ، قائلين : ارجعوا عن طُرقكم الباطلة ، وأعمـالكم الشـرّيرة ، ولكنّهم لم يسـمعوا ولم يُصغوا إليّ ، ... ألم تـدركوا أقـوالي وفرائضي ، الـتي أمر بها عبيـدي الأنبيـاء آبـاءكم ، قائلين : لقد نفّذ الرب القـدير ، ما عـزم أن يُعاقبنا به (في المـرة الأولى) ، بمقتضى ما ارتكبناه ، من أعمال باطلة " .

" 7: 8: هذا ما يقوله الرب القدير : اقضوا بالعدل ، وليُبدِ كل منكم إحسانا ورحمة لأخيه . ولا تجوروا على الأرملة واليتيم ، والغريب والمسكين . ولكنهم أبَوْا أن يُصغوا ، واعتصموا بعنادهم غير عابئين ، وأصموا آذانهم لئلا يسمعوا . وقسّوا قلوبهم كالصوّان لئلا يسمعوا ، ... ، فانصبّ غضب عظيم من لدن الرب القدير ، ... وأضحت الأرض المبهجة قفرا " .

مصير الشعب اليهودي في إسرائيل :

" 13: 9-7: ويقول الرب القدير : استيقظ أيها السيف ، وهاجم راعيَّ ورجل رفقتي ، اضرب الراعي فتتبدّد الخراف ، ولكنّي أردّ يدي عن الصّغار (أي المستضعفين) . يقول الرب : فيفنى ثُلثا شعب أرضي ، ويبقى ثُلثهم حيا فقط . فأجيز هذا الثلث في النار ، لأنقيه تنقية الفضة ، وأمُحّصه كما يُمحّص الذهب " .

ـ هذا النص يُشير إلى الوعد الثاني وعقابه ، حيث يفنى ثلثان وينجو ثلث ، وهذا الثلث يُمتحن بمجيء الدجال ، فيفنى من تبعه منهم ، وينجو منهم من يعتنق الإسلام .

" 14: 1: انظروا ها يوم مُقبل للرب ، يُقسم فيه ما سُلب منكم في وسطكم . لأني أجمع الأمم على أورشليم لتحاربها ، فتُؤخذ المدينة وتُنهب البيوت ، وتُغتصب النساء ، ويُسبى نصف أهلها إلى المنفى ، إنّما لا ينقرض بقية الشعب من المدينة " .

الحرب العالمية النووية الثالثة :

ـ يعتقد مُجمل الغربيون من يهود ومسيحيين ، من مفسّري النصوص التوراتية ، أن حربا نووية ستقع في المستقبل القريب ، تبدأ بهجوم على إسرائيل ، من قبل روسيا وحلفائها من الشرقيين ، المذكورين في النصوص السابقة . وستكون نتيجة هذه الحرب ، هي انتصار إسرائيل وحلفائها الغربيّون ، وفيما بعض النصوص ، التي تُخبر عن ظروف هذه الحرب .

" 12: 6-1: ها أنا مُزمع ، أن أجعل أورشليم كأس خمر ، تترنّح منها جميع الشعوب المُحيطة بها ، ... ، في ذلك اليوم أجعل أورشليم كصخرة ثقيلة ، تعجز عن حملها جميع الشعوب . وكل من يُحاول حملها ينشقّ شقّا ، ويتألّب عليها جميع شعوب الأرض ، في ذلك اليوم ، يقول الرب : أُصيب كل فرس من جيوش الأعداء بالرعب ، وفارسه بالجنون ، ... ، أجعل عشائر يهوذا ، ... ، كمشعلٍ ملتهبٍ بين أكداس الحنطة ، فيلتهمون الشعوب من حولهم ، ممن عن يمينهم وعن يسارهم ، بينما تظلّ أورشليم ، آمنة آهلة في موضعها " .

ـ مع أنّ هذا النص يُشير إلى أن إسرائيل ، ستُهاجم من قبل أمم كثيرة ، فينتصر الرب لأورشليم وعشائرها ، وتبقى آمنة مطمئنة ، لكن في النصوص التي تلي هذا النص ، تجد نواحا ونحيبا من قبل ذرية داود ، والنواح والنحيب لا يكون عادة من شدة الفرح ، وإنما من شدة الألم ، لوقوع فاجعة ما حلّت بهم ، وفي النص التالي ، وصفا لهذا النواح :

" 12: 11: في ذلك اليوم يكون النواح في أورشليم ، مماثلا للنواح في هدد رمّون في سهل مجدّو ، فيشيع النحيب بين أهل البلاد " .

ـ وحسب ما يعتقد اليهود والنصارى ، فإن هذا النص يُحدّد ساحة المعركة البرية ، في الحرب القادمة المُسمّاة (هرمجدون) ، بين إسرائيل وأعدائها ، في سهل مجدّو شمال فلسطين .

" 14: 12: وهذا هو البلاء الذي يُعاقب به الرب ، جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم : تتهرّأ لحومهم وهم واقفون على أرجلهم ، وتتآكل عيونهم في أوقابها ، وتتلف ألسنتهم في أفواههم . 13: في ذلك اليوم يُلقي الرب ، الرعب في قلوبهم ، حتى ترتفع يد الرجل ضد رفيقه فيهلكان معا . 14: ويُحارب أبناء يهوذا أيضا دفاعا عن أورشليم ، ويغنمون ثروات من الأمم المُحيطة " .

ـ يُشكّل هذا النص توليفة غريبة ، من صنع الكتبة . فالفقرة (12) تصف ما يُشبه تأثير تعرّض الجسم لحرارة شديدة جدا . والآية (13) تصف ما يُشبه قيام الساعة . والفقرة (14) وكأنها نص مأخوذ ، مما يلي الفقرة (16) في النص اللاحق ، إذ كيف يقوم أبناء يهوذا بمحاربة الجثث المحترقة !!!

" 9: 13: ها أنا أُتر يهوذا كقوس ، وأجعل أفرايم كسهم ، وأُثير رجال صهيون على أبناء اليونان ، فتكونين كسيف جبّار . ... ، 15: يقيهم الرب القدير حجارة المقلاع ، بل تقصر عنهم ويطئونها ، ويشربون ويصخبون كالسكارى من الخمر (من نشوة النصر) . 16: في ذلك اليوم ، يُخلّصهم الربّ إلههم لأنهم شعبه وقطيعه ، ويتألقون في أرضه كحجارة كريمة مرصّعة في تاج ، فما أجملهم وأبهاهم ! " .

ـ هذا النص يصف رجالا ، يُقاتلون أبناء اليونان ، أي ليس آباءهم ، واليونان هم الغرب ، ويُمثّلهم الآن أمريكا وبريطانيا وحلف الناتو ، وهم كما نعلم حلفاء لإسرائيل ، فكيف سيقاتل رجال صهيون ، حُلفائهم من أبناء اليونان ؟

ـ ملخص ما تُفصح عنه هذه النصوص :

بربط هذه النصوص مع النصوص السابقة ، نجد أن النصوص السابقة ، تُحذّر اليهود من الإفساد في الأرض ، ومن ثم تُخبر بأن الإفساد سيقع منهم لا محالة ، مما يُحتم انسكاب الغضب الإلهي عليهم ، والنتيجة هي وفاة ثلثيهم ، ونجاة ثلث ، وخراب أرضهم ، بمعنى نهاية دولتهم في فلسطين ، وهذا يعني أن القدس ، ستكون في أيدي أناس من غير اليهود ، وهم الذين أنهوا الوجود اليهودي فيها .

ومن ثم تبدأ بالإخبار بأن أورشليم أي القدس ، ستكون محط أنظار جميع شعوب العالم ، وبأن شعوبا كثيرة ، ستأتي لقتال أهلها والاستيلاء عليها ، فيهلكوا جميعا ، وتبقى القدس آمنة عامرة بسكانها . وهلاك هذه الشعوب سيكون باحتراقها بالأسلحة النووية ، ويُحارب أهل فلسطين آنذاك في معركة برية ، فيُنصرون ويغنمون ويسلمون .

والخصم يُحدّده النص الأخير ، بأبناء اليونان ، أي حلف الناتو بقيادة أمريكا ، ويُخبر النص بأن الله سيقفي شعبه المتواجد في فلسطين ، من صورايخ أعداءهم وقنابلهم ، ويكون النصر حليفهم ، ومن ثم يُخبر عن صفة القوم ، الذين يُحاربون أبناء اليونان ، وهي صفة لا تليق إلا بالمسلمين .

بناء الهيكل تعبير مجازي والمراد منه إقامة الدين وليس إقامة البناء :

" 1: 17-14: هذا ما يقوله الرب القدير : إنّي قد غرت على أورشليم ، وعلى صهيون (جبل المسجد) غيرة عظيمة ، (من أجل ما فعلوه فيها) ، ولكنّ غضبي مُتأجج على الأمم المتنعمة (وهم على رأسها) . لقد اغتظت قليلا (والأصحّ كثيرا) من شعبي ، إلا أنّهم زادوا من فواجعهم . لذلك يقول الرب : سأرجع إلى أورشليم بفيض من المراحم (بعودتها إلى أهلها) ، فيُبنى هيكلي (فيُقام الدين) ، وتعمر أورشليم (تُتّخذ عاصمة

للحكم الإسلامي) ، واهتف قائلا : هـذا ما يقوله الـرب القـدير : سـتفيض مُـدني خـيرا ثانية ويرجع الرب ، فيُعزّي صهيون ويصطفي أورشليم " .

ـ وفيما يلي تكرار لنفس النص ، ولكن بدون التشويهات التي أضـافها الكهنة إلى النص أعلاه :

" 8: 3-2: هذا ما يقوله الرب القدير : إنّني أغار على صـهيون غـيرة عظيمة ، مُفعمة بغضب شديد على أعدائها (وأعداءها هم اليهود أنفسهم) . لهذا يقول الـرب القـدير : ها أنا عائد إلى صهيون لأقيم في أورشليم ، فتُدعى آنئذ مدينة الحـقّ ، كما يُـدعى جبل الرب القدير بالجبل المُقدّس " .

ـ وهذا سيكون عند ظهور ملك القدس المنتظر ، الذي تتحدّث عنه النصوص التالية :

المهدي ومسمّاه وصفة ملكه :

" 3: 8: فأصغ يا يهوشع رئيس الكهنة ، أنت وسائر رفاقك الكهنة الجالسـين أمامك ، أنتم رجال آية (أي شهود) : وها أنا آتي بعبدي الذي يُدعى الغصن " .

" 6: 15-12: هكذا يقول الرب القدير : ها هو الرجل الـذي اسـمه الغصن ، ينبت من ذاته [وفي الترجمة الثانية / ومن مكانه ينبت] ، ويبـني هيكل الـرب (أي يقيم الـدين) . هو الـذي يبـني هيكل الـرب ويتجلّل بالمجد ، ويكـون ملكا وكاهنا في آن واحد (أي خليفة قائم بأمر الدين والـدنيا) ، فيجلس ويحكم على عرشه ، فيعمل بفضل مشـورة رتبتيه (أي الملك والكهانة) ، على إشـاعة السـلام بين قومه . ويتوافد قـوم من بعيد ليبنوا هيكل الرب .

ـ وهذا الرجل ، غصن من شجرة محمد عليه الصلاة والسلام ، وينبت في نفس المكان أي من جزيرة العرب ، التي يُسمّونها في التوراة ، جبال فاران .

" 8: 22-19: ستكون مواسم ابتهاج وفرح وأعياد سعيدة ، يتمتع بها شعب يهوذا ، لهذا أحبّوا الحـقّ والسـلام ، ... . فتتوافد أمم كثـيرة وشـعوب قويّة ، ليلتمسـوا وجه الـرب القدير ، في أورشليم وليحظوا برضاه .

ـ قارن ما بين النصين لتكتشف التحريف والتبديل ، حيث وضعوا شعب يهوذا في النص (19-22) بدلا من قومه في النص (12-15) أعلاه ، وأضافوا إلى النص الثاني ، ابنة صهيون وابنة أورشليم .

ملك القدس المنتظر ، الذي تُخبر عنه توراة اليهود ، هو المهدي :

" 9: 10-9: ابتهجي جـدا يا ابنة صـهيون ، واهتفي يا ابنة أورشـليم ، لأن هو ذا ملكك مُقبل إليك . هو عـادل ظـافر ، ولكنّه وديع راكب على أتـان . وأستأصل المركبـات الحربية من أفرايم ، والخيل من أورشليم ، وتبيد أقـواس القتـال ، ويشـيع السـلام بين الأمم ، ويمتدُّ ملكه من البحر إلى البحر ، ومن نهر الفرات إلى أقاصي الأرض " .

ـ يقـول اليهـود أنه الملك الـرب ، ويقـول النصـارى أنه عيسى عليه السـلام وقد تحقق ذلك ، والحقيقة أن هـذه النبـوءة مسـتقبلية ، ولم تتحقق لغاية الآن ، فصـاحبها هو المهدي ، الذي سيقهر كل خصومه ، ومن ثم يشيع السـلام والأمن ، على امتـداد ملكه الموصـوف بـالنص ، وهـذا مما يجعل أي صـحوة إسـلامية ، تـدبّ الـرعب في قلـوبهم الفزعة .

الدجال وصفته في التوراة :

" 11: 16: فها أنا مزمع ، أن أُقيم في الأرض راعيا ، لا يعبأ بالغنم الشاردة ، ولا يفتقد الحملان أو يجبر المكسورين ، ولا يُغذي الصحيح ، ولكنه يفترس السِمان منهم ، وينزع أظلافهم ، ويل للـراعي الأحمق الـذي يهجر القطيع . ليبـتر السـيف ذراعه ويفقأ عينه اليمنى ، فتُيبّس ذراعه ، فتكفّ عينه اليمنى عن البصر " .

" 14: 5: ... ، ويأتي الربّ إلهي في موكب ، من جميع قدّيسـيه . في ذلك اليـوم ، يتلاشى نور الكواكب ، ولا يكون برد ولا صقيع . ويكون يوم متواصل معروف عند الربّ ، لا نهار فيه ولا ليل ، إذ يغمر النهار ساعات المساء . في ذلك اليـوم تجـري ميـاه حية من أورشليم ، يصـبّ نصـفها في البحر الشـرقيّ ، ونصـفها في البحر الغـربي ، ويملك الربّ على الأرض كلها ، فيكون في ذلك اليوم ، ربّ واحد لا يُذكر سوى اسمه " .

" 14: 16: فيصعد النـاجون من الأمم ، الـتي تـألّبت على أورشـليم ، سـنة بعد سـنة ليعبدوا الملك الرب القدير ، ويحتفلوا بعيد المظلّات " . وإن تقاعست أيّة عشيرة من عشائر أمم الأرض ، عن الصـعود إلى أورشـليم ، لتسـجد للملك الـرب القـدير ، يمتنع المطر عن الهطول على ديارهم ، وإن أبى أهل مصر الصعود ، للاشتراك في الاحتفال ، يحلّ البلاء الذي يُعاقب به الرب الأمم ، التي لا تجيء للاحتفال بعيد المظلّات ... ، ولا يبقى في هيكل الرب القدير تجّار في ذلك اليوم " .

ـ من يملك دراية بالأحاديث النبوية الخاصة بآخر الزمـان ، لا يشك بـأن هـذه النصـوص بالرغم من تلاعب الكتبة بها وتشـويهها ، تصف حـال الـدجال ، وما يملك من خـوارق ، في الفقرتين الأولى والثالثة ، فهو يـأتي ليُفسد في الأرض ، وهو أعـور العين اليُمـنى . يومه الأول كسنة ليس فيه تعاقب لليل والنهـار ، وبين يديه نهـران ، نهر من مـاء ونهر من نار ، ويدّعي الربوبية ويجـوب الأرض كلها ، وإن امتنع قـوم من الاسـتجابة له ، أمر السـماء فأمسـكت ، وأصـبحت سـمان مواشـيهم هزيلة ، والعكس بـالعكس . والنص الأخـير يـدعوهم لعبـادة هـذا الملك الـرب القـدير ، فلـذلك فهم ينتظـرون ظهـوره ، ويريدون استعجال الأمر ، ليحارب أعدائهم ، كما كان يُحارب عنهم في الأيام الغـابرة ، وأما الفقـرة الثانية ، فكأنها تصف يـوم القيامة في قوله تعـالى (**يَوْمَ تُبَـدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (48 إبراهيم) ، وقوله (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَـةُ وَقُضِـيَ الْأَمْـرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** (210 البقرة) .

النبـــوءات التوراتية وأثرها في تشـــكيل القناعـــات والعقائد اليهودية المشوّهة :

هذه النبوءات التوراتية الواعدة ، شكلّت أحد أبرز العقد في الشخصـية اليهودية ، وهي التطلع الدائم إلى الملك والسيادة ، في أرض الميعاد . وهـذه النبـوءات ، كـانت تُسـيّر اليهـود ، على مـدى تـاريخهم الطويل ، وما زالت ، في حلّهم وترحـالهم في أرجـاء الأرض ، بحثا عن هذا المُلك التوراتي الموعـود ، الـذي نسـجته أقلام الكهنة ، فظلمـوا أنفسـهم وظلمـوا من جـاء بعـدهم ، ممن آمن بـأن هـذا من عند الله ، ليُلاقي عُميـان البصر والبصيرة ، من أبنائهم هذه الأيام ، مصيرهم المظلم والمحتوم ، والـذي تقشـعرّ من وصفه في التوراة ، أبدان الذين يعقلون من النـاس . ولكن اليهـود ... لا يسـمعون ... ولا يُبصرون ... ولا يعقلون ... ولا يفقهون ... إلا أكاذيب أربابهم من الكهنة والأحبار . ولـذلك سـيكون من ينجو منهم ، من عقـاب وعد الآخـرة ، صـيدا سـهلا للـدجّال عند

ظهـوره بملكه المـادي ، الـذي هو الأقـرب للوصف الـذي خطه الكهنة ، وهو الأقـرب لأهوائهم وأطماعهم ، التي لم تختلف قيد أنملة عن أهواء وأطماع أسلافهم .

قراءة في العقائد اليهودية :

اليهـود أقـرب إلى الإقـرار بوجـود الله من إنكـاره ، ولكن معرفة المُقِـرّ منهم بالله محصورة ، في إطار ما جاء في التوراة والتلمود ، التي تصف الله بصـفات ، أقـرب ما يكون إلى صفات الأب البشري ، الذي يعطي ويعطف ويعفو ويصـفح ، ولا يغضب على أبنائه ، مهما بلغـوا من السـوء ، ويُخطئ ولكنه يعـود ويعـترف بخطئه في حق أبنائه ، ويرجع عنه ، وهم يعتـبرون أنفسـهم الابن البكر ، صـاحب الحظـوة عند الأب كما هي العادة ، ويتعـاملون مع الله على هـذا الأسـاس ، لفهمهم الخـاطئ لمسـألة التفضـيل ، باختيـــارهم لحمل الرســـالة الســـماوية ، ورعاية الله لهم فيما مضى من الزمـــان ، وتستطيع تصوّر العقلية التي يتعاملون بها مع الله ، بعقلية الابن المُدلّل الأنـاني الفاسد والمفسد ، عــديم البصر والبصــيرة ، والـذي لا يتوقع من أبيه الأذى ، مهما ارتكب من أخطاء . حتى ولو حذّره والده مرارا وتكرارا ، من استمراره على نفس الحـال ، فهو لا يريد أن يُصدّق أن هذا الأب المعطاء الحاني ، من الممكن يوما من الأيـام ، أن يُعـاقب ابنه المدلّل ، مهما كانت الأسباب . وتستطيع تصوّر الكيفية التي يتعامل بها اليهود ، مع بــاقي البشر ، من خلال الكيفية الــتي يتعامل بها ذلك الابن مع بــاقي أخوته ، وهــذه الكيفية هي ما تجده في تعاليم التلمود .

وأخطر معتقدات اليهود ، هو عدم الإيمان بـاليوم الآخِر ، فمـؤدى نكـران اليـوم الآخِر ، هو نكران للبعث بعد الموت ، ونكران للحساب ، ونكران للجزاء الأخروي ، والبديل إن وُجد فهو الجزاء الدنيوي . وهـذا مما يـؤدي إلى الاعتقـاد بعبثية الخلق ، وعبثية الإيمـان بالله أصلا ، فلا جـدوى من الصـلاح والإصـلاح ، إن لم يكن هنـاك ثـواب ، ولا ضـير من الفساد والإفساد ، إن لم يكن هناك عاقبة ، وبعض من هـذه الأفكـار الإلحادية ، تجـدها في التوراة في سفر الجامعة ، سفر العبث والعبثية . ولذلك أخذ اليهود على عـاتقهم ، مسـؤولية الإفسـاد في الأرض دونما وازع أو رادع ، بما أخفـاه مؤلفو التـوراة من ذكر لليـوم الآخر ومتعلّقاته ، فـالثواب حسب اعتقـادهم ، هو مقـدار ما ينالونه من كسب دنيوي بشتى الوسـائل والسـبل ، والعقـاب هو مقـدار ما يخسـرونه من هـذا الكسب . وحتى يُجنّب رب العزة أمّة الإسلام خطر هذا الاعتقاد ، اقـترن ذكر الإيمـان بالله بـذكر الإيمان باليوم الآخر والآخرة ، بصريح اللفظ 26 مرة في القرآن ، وتكاد لا تخلو سـورة من ذكر متعلّقاته أو التذكير بها ، من بعث وحساب وجزاء ، وما يليه من عقاب وثــواب . وانعدام إيمانهم باليوم الآخر ، أوجد لديهم الصفات السلبية ، التي تمتعوا بها على مرّ العصور ، مثل الحرص على الحياة ، والجبن ، والبخل ، والسعي وراء الكسب المادي ، وانعدام المبادئ والقيم والصفات البشرية المحمودة .

وللتعـويض عما حـذفوه من الأصـول العقائدية الصـحيحة ، وللتوفيق ما بين المعتقـدين السابقين ، طرح مؤلفو التوراة والتلمود ، الكثير من الأفكـار الإلحادية ، كفكـرة الملك الإله الــرب من نسل داود ، الــذي ســيظهر بلحمه ودمه ، ليســكن جبل صــهيون في القدس ، ويحكم العالم إلى الأبد ، لينفوا بعبـارة (إلى الأبد) أي أمل لليهـود ليعتقـدوا بنهاية الحياة الدنيا ، وبوجود حياة أخرى هي التي تتصف بالأبدية ، مما أبهم على العامة مصير الـروح بعد المـوت ، فطرحـوا حـول مصيرها أفكـار متضـاربة ، هي أقـرب إلى المعتقدات الوثنية ، منها إلى أي شيء آخر .

أثر هذه المعتقدات في الشخصية اليهودية :

كان السبي البابلي بما أحدثه من دمار وتنكيل وأسر ، أكبر صدمة يتعرض لها الشعب اليهودي ، حيث قلبت كيانهم رأسا على عقب ، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك اليوم ، حتى تمكنوا من تحقيق علوهم الثاني في فلسطين ، ولولا مشيئة الله التي ينكرونها ما كان . والذي لم يكن يتخيله أو يتصوره اليهود آنذاك وهم في قمة علوهم الأول ، أن يتخلى عنهم رب الجنود ، وأن يبعث عليهم أمة جافية الوجه ، لتعمل فيهم سيف انتقامه ، وأن يُنزل بهم ضعة وذلّا وخزيا ، بعد عزة وقوة وعلو ، بالرغم من كل ذلك الدلال - الموثّق في التوراة - الذي أحاطهم به ، منذ خروجهم من مصر ، وما أجراه لهم من معجزات ، وعفوه سبحانه عنهم رغم كفرهم وعصيانهم وعدوانهم ، مرارا وتكرارا ، حتى أدخلهم إلى الأرض المقدّسة ، وأقام لهم مملكة بلا جهد أو عناء .

وبالرغم من وضع نبوءة الإفسادين وما يليهما من عقاب ، سيفا إلهيا مسلطا على رقابهم ، لم ولن يرجعوا عن غيهم وطغيانهم ، فهم مسكونون بما تقوّله كهنتهم وأحبارهم وحاخاماتهم (الحكماء) ، على الله وعلى رسله ، وعلى كل ما هو مقدّس ، مما أدى إلى إصابتهم كأمّة ، بحالة معقدّة من الفصام العقلي ، من جراء اعتناقهم لمعتقدات خاطئة ، نتيجة ما زرعه حكماؤهم في التوراة والتلمود ، من خرافات وأساطير وآراء وتفسيرات ، هي أقرب ما يكون إلى الأوهام والهلاوس ، فأنبتت تلك المسوخ الشيطانية ، عديمة البصر والبصيرة ، التي اتّحدت وآمنت بشكل جماعي بمعتقدات خاصة بها ، تتنافى مع الطبيعة البشرية السليمة ، فرُفضت واضطهدت من كل المجتمعات البشرية ، التي ساءها ذلك السلوك الجماعي الشاذ والمنحرف لتلك المسوخ ، وبالتالي لم تجد الشعوب ، حلا لمشكلتهم ، إلا الطرد والنفي ، أو إجبارها بمراسيم ملكية ، على التقوقع والعيش كالبهائم في حظائر المواشي ، المسماة بالغيتوهات أو الكيبوتس ، ومع ذلك لم ينجح هذا الحل ، وظنّ الغرب أنهم بإيجاد غيتو كبير لهم فلسطين ، ونفيهم إليه وحشرهم فيه ، سيتخلصون من مشكلتهم إلى الأبد ، ولكن تبين لهم بعد فوات الأوان ، أنهم كانوا على خطأ ، إذ أنهم بعد تمكّنهم من إقامة وطن قومي لهم ، أصرّ معظمهم وخاصة الأغنياء منهم على البقاء في الغرب ، فأصيب <u>نصارى الغرب</u> مؤخرا بعدوى الفصام اليهودي ، لأنهم يملكون استعدادا وراثيا توراتيا لذلك ، لما يحملونه بدورهم من معتقدات خاطئة ، بناءً على ما جاء في الإنجيل ، من أوهام وهلاوس مشابهة . لذلك من الطبيعي جدا ، أن ترى زعماء اليهود يصافحون العرب ، راسمين على شفاههم تلك الابتسامة العريضة ، بينما أيديهم تقطر من دم أبنائهم وأخوانهم ، وكأن شيئا لم يكن .

ما يعتقده اليهود بالنسبة لوجودهم الحالي في فلسطين :

خلاصة ما يعتقده اليهود هذه الأيام ، وهم الأقرب والأكثر فهما لنبوءات التوراة ، لمعرفتهم بالطرق السرية التي كُتبت فيها نصوص التوراة ، وما تضمنته من أسرار ورموز ، مفاتيح حلها موجودة ، في كتب خاصة لديهم ، بناءً على ما تقدّم :

1. تُخبرهم بعض نصوص التوراة بأنهم ، بعد العودة من الشتات ، لا محالة سيُفسدون ، <u>وأن الله سيبعث عليهم من يُعاقبهم ، من العراق أو إيران أو كليهما</u> .
2. وتُخبرهم نصوص أخرى ، أنّ مُلكهم بعد العودة من الشتات ، سينضوي مستقبلا ، تحت لواء ملك من نسل داود أو الملك الرب القدير ، يظهر آخر الزمان ، يقود اليهود وينتصر على أعداء إسرائيل ، في الحرب القادمة ، ويحكم العالم أجمع من القدس ، ملكا أبديا ، يتصف بالحق والعدل والسلام ، وأن أوانه قد اقترب

، ولتعجيل ظهــوره ، لا بد لهم من الاســتيلاء على أرض فلســطين كاملة ، وتفريغ شعبها منها . وهدم المسجد الأقصى ، وبناء الهيكل ، لكي يتسنى لهذا الملك تقـديم القربـان المُقـدّس على مـذبح الهيكل ، وهو أول عمل سـيقوم به فـور ظهـوره ، ويعتقدون بأن سرعة إنجاز هذه الأمور ، ستُعجّل بظهور هذا الملك .

3. وتُخبرهم نصوص أخرى ، أن هنـاك كم هائل من الأعـداء ، الـذين سـيُهاجمون إسرائيل مستقبلا ، وسيكون النصر حليف إسرائيل وحلفائها . لذلك فهم يعملـون بلا كلل أو ملل ، من وراء السـتار الغـربي الأمـريكي البريطـاني ، لتـأمين هـذا النصر الموعود .

ـ لذلك لا بد لهم من أجل مخالفة النبوءة التي تخبر عن دمار دولتهم ، ومن أجل تحقق النبوءة ، التي تنسب إليهم الملك الأبدي ، الـذي سـيقوم في القـدس في نهاية الأمر ، أن يعملوا :

1. على تقوية إســرائيل بإمــدادها بــالأموال والتكنولوجيا العســكرية المُتطــوّرة التقليدية والنووية .
2. على إجبـار دول هـؤلاء الأعـداء التوراتيـون على المـوالاة للغـرب ، ومن ثم الموالاة لإسرائيل عن طريق الترغيب والترهيب .
3. على حرمـان الـدول المعادية لإسـرائيل من هـذه القـدرات ، وإضـعاف هـذه القدرات حين امتلاكها وتدميرها .
4. على تدمير الاستقرار الداخلي لتلك الدول ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، إن تعذّر ذلك عسكريا .

ـ ويعتقدون أن الخطر القادم يتمثّل بشكل أساسي في :

1. البلدان العربية والإسلامية وعلى رأسها العراق .
2. البلدان الشيوعية المناهضة للديموقراطية الرأسمالية ، وعلى رأسها روسيا .
3. شخص الأمـير المُسـلم الـذي أخـبرت عنه التـوراة ، بأنه سـيخرج من جزيـرة العرب ، ليملك مشارق الأرض ومغاربها .

وللأسـباب الثلاثة مجتمعة ، عمل اليهـود وما زالـوا يعملـون ، على تواجد الأسـاطيل والقواعد العسـكرية الأمريكية البريطانية ، بشـكل مكثف في منطقة الخليج العـربي والجزيـرة العربية ، وتركيا والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط سـابقا ولاحقا ، لكي تمنع العـراق من مهاجمة إسـرائيل ، ولكي تمنع هـذا الأمـير المسـلم من الخـروج من أرض الجزيرة ، وظهـور أمـره وأمر الإسـلام من جديد . فكما أنهم أي اليهـود ، سـكنوا جزيرة العرب ، ليحـاربوا جـدّه عليه الصـلاة والسـلام . فهم الآن متواجـدون فيها تحت القنـاع الأمـريكي ، في انتظـار خروجه ، ليحاربونه بلا أدنى شك . ولقطع الطريق على الجيش الروسي عند هجومه على إسرائيل ، أما ادّعـائهم بالتواجد في منطقة الخليج ، للحفاظ على مصالح الولايـات المُتحـدة ، فـذلك لـذرّ الرمـاد في العيـون ، فمصـالحهم محميّة بسواعد عربية ، وأوامرهم مطاعة حتى في غرف النوم .

وغزو العراق لإسرائيل ، الذي هو أول مشهد في الحلقة الأخيرة ، من مسلسل اليهـود التـاريخي الطويل ، قد اقـترب أوانه وأشـرف زمانه ، وهم يعلمـون ذلك من خلال الحسـاب ، ومن خلال الظـواهر الفلكية ، كما علمـوا قـديما عن طريق الفلك ، بموعد مولده عليه السلام وموعد بعثه .

أعــداء دولة إســرائيل التوراتيــون بمســمّياتها القديمة والحديثة حسب تفسيرهم :

1. بابل وآشور وبلاد الكلدانيين ورجال فارس ـ العراق . (درجة أولى في العـداء التـوراتي لإسـرائيل ، وبامتيـاز مع مرتبة الشـرف) . تم توريطه في حـربيّ الخليج الأولى والثانية ، وضـرب المفاعل النـووي ، وفـرض حصـار أبـدي ، ويطمحـون إلى إبادة شعبه بالأسلحة النووية ، في أقرب فرصة ممكنة . ومشمول في قائمة الدول الراعية للإرهاب .
2. روش وماشك وتوبـال وكـلّ حلفائهما ، وبيت توجرمة من أقاصي الشـمال ــ دول الاتحـاد السـوفييتي السـابق . (درجة ثانية) . تم تفكيك الاتحـاد السـوفييتي ، وإضعاف الحزب الشيوعي المناهض للغـرب ، وتـدمير اقتصـاد روسـيا وتوريطها مع صندوق النقد الدولي . وتوريطها في حربين استنزافيتين في جمهورية الشيشان .
3. مادي ، ملوك الشرق ـ إيـران . (درجة ثانية) . تم توريطها في حـرب الخليج الأولى ، ومقاطعة اقتصـادية أمريكية وعـداء مُعلن ، تشـجيع الحركـات الإصـلاحية الهدامة ، وإثارة الفتن والثـورات الداخلية ، لإشـعال حـروب أهلية ، طمعا في قلب نظـام الحكم الإسـلامي فيها ، وهي مشـمولة في القائمة الأمريكية للـدول الراعية للإرهاب .
4. إثيوبيا ــ السـودان . (درجة ثالثة) . ما زالت الحـروب الأهلية الـتي يـدعمها الغـــرب مشـــتعلة فيها ، ومقاطعة اقتصـــادية أمريكية وعـــداء مُعلن ، وُقصـــفت بالصـواريخ الأمريكية في زمن (كلينتـون) ، لاتهامها بالتعـاون مع ابن لادن ، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب .
5. ليبيا . (درجة ثالثة) قٌصـفت من قبل الطـائرات الأمريكية في زمن الـرئيس الأمريكي (ريغان) ، تم فبركة حادثة تفجير الطائرة (لوكربي) ، واتُهمت بتـدبيرها ، ومن ثم فُرض عليها ، حظر دولي من مجلس الأمن ، ومقاطعة اقتصـادية أمريكية ، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب .
6. أشور وحلفائها ــ سـوريا . (درجة ثالثة) . موضـوعة على جـدول مـؤامراتهم القادمة ، وهي مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب .
7. عيلام وحلفاؤها ، ملوك الشرق ـ أفغانستان وباكستان . (درجة ثالثة) . حظر ومقاطعة اقتصـادية على كلتا الـدولتين ، تم قصف معسـكرات تنظيم القاعـدة في أفغانستان . وأفغانستان غير مشمولة في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب ، كونهم لا يعترفون بنظام الحكم فيها .

النبوءات الإنجيلية بين الماضي والمستقبل

الإنجيل في الأصل كتاب سماوي ، أُنزل على عيسى عليه السلام ، بنص واحد مصدقا لما جاء في التوراة ، ويحمل في طياته شريعة جديدة لليهود ، وناسخة لبعض ما جاء في شريعة موسى ، لتخفّف عنهم الكثير من الأعباء ، والكثير من القيود والأغلال ، التي كانوا قد ألزموا بها في التوراة ، نتيجة فسقهم وعصيانهم وظلمهم .

ومن أهم ما جاء به عيسى عليه السلام ، هي البشرى بنبي الهدى (أحمد) عليه الصلاة والسلام . وكلمة الإنجيل في اليونانية تعني البشرى أو البشارة ، ويدّعي النصارى أن هذه البشرى هي بشرى الخلاص . أمّا فيمن كانت البشارة حقيقة ، فنجده في قوله تعالى (**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** (6 الصف) . ونص البشارة بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، موجود في الإنجيل الرابع المنسوب ليحيى (يوحنّا) عليه السلام ، في الإصحاحات (14-16) ، ومُسمّياته هي " المؤيِّد" و " المؤيِّد الروح القُدس " و " روح الحق " و" سيّد هذا العالم " ، في الترجمة التي اقتبست منها هذا النص . وفي ترجمات أخرى : " الروح القُدس المُعِين " ، " المُعَزِّي " .

أما ما هو موجود هذه الأيام في الأناجيل ، هو مُجرّد بقايا من الوحي الإلهي ، المُنزل على الرسل . وهذا ما يؤكدّه حتى المؤمنين به من النصارى أنفسهم . فقد جاء في مقدّمة نسخة العهد الجديد من الكتاب المُقدّس ، دار المشرق ط13 ، ما نصه " إن القارئ في عصرنا ، وهو حريص على الدّقة ، لا ينفكّ يبحث عن الأحداث ، التي تم إثباتها والتحقّق منها ، يقع في حيرة أمام تلك المؤلفات (الأناجيل الأربعة وملحقاتها) ، التي تبدو له مفكّكة ، يخلو تصميمها من التنسيق ، ويستحيل التغلب على تناقضاتها ، ولا يُمكنها أن تردّ على الأسئلة التي تُطرح عليها " .

وهكذا يعترف رجالات الدين المسيحي ، أن محتويات كتابهم المقدّس مُتناقضة ، وأنها مؤلفات كُتبت بأيدي بشر ، بعد المسيح بما يزيد على 300 سنة ، وأقدم النسخ المتوافرة ذات أصل يوناني ، تعود إلى القرن الرابع الميلادي . وأما النصوص الأصلية للإنجيل بلغته العبرية أو الآرامية ، فهي غير موجودة . وللحقيقة يستحيل أن يكون ذلك صحيحا . فقد سمعت يوما ، أن الكثير من المخطوطات الأصلية ، موجود على شكل لفائف وقراطيس ، في قوارير زجاجية على رفوف ، في أقبية الكنائس الكبرى . ولا يُسمح لأي كان من الوصول إليها ، إلا كبار رجالات الكنيسة ، الحريصون على إضلال الناس ، بكتم ما في تلك المخطوطات من حقائق ، تنفي ألوهية عيسى ، وتدعوا إلى وحدانية الله .

أما الكتاب الموجود حاليا بين يديّ النصارى ، فهو لا يعدو أكثر من كونه كتاب ، يحكي سيرة المسيح عليه السلام - كما التوراة تحكي سيرة موسى - بشكل حائر ومُضطرب ، تغلب عليه ذِكر أفعاله أكثر من أقواله ، حتى أنك تشعر عند قراءته ، أن المسيح شخصية خيالية أسطورية ساذجة غبية وبليدة ، خالية من الحكمة والمنطق ، وحاشا لله أو لابنه كما يدّعون ، أو حتى لرسول أن يكون كذلك . غير أن إنجيل يوحنّا (يحيى) ، وسفر الرؤيا المنسوب ليوحنّا ، يبدو أنهما أكثر قربا ، إلى الأسفار المُتأخرة من التوراة ، حيث أنهما يتفقان مع أسلوب كتابة النصوص التوراتية ، إلى درجة التطابق ،

من حيث الإنشاء والألفاظ المُستخدمة والمُسميّات ، وحتى تكرار وازدواجية النصــوص ، التي تؤكد أنهما جُمعا ونسخا من مصدرين مُختلفين .

وقد جاء في مقدّمة سـفر الرؤيا ، من نسـخة العهد الجديد من الكتـاب المُقـدّس ، دار المشرق ط13 ، ما نصه : " لا يأتينا سفر رؤيا يوحنّا ، بشيء من الإيضـاح عن كاتبه . لقد أطلق على نفسه اسم يوحنّا ، واسم نــبي ، ولم يــذكر قط ، أنه أحد الاثــنيّ عشر (التلاميذ) . هناك تقليد على شيء من الثبوت ، وقد عُثر على بعض آثـاره منذ القـرن الثاني (الميلادي) ، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسـول يوحنّا ، وقد نُسب إليه أيضا الإنجيل الرابع . بيد أنه ليس في التقليد القـديم إجمـاع على هـذا الموضـوع . وقد بقي المصــدر الرســولي لســفر الرؤيا ، عرضة للشك مــدّة طويلة ، في بعض الجماعــات المسيحية . إن آراء المُفسّرين في عصرنا مُتشعبة كثيرا ، ففيهم من يؤكد أن الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكـير اللاهـوتي ، يجعل نسـبة سـفر الرؤيا والإنجيل الرابع ، إلى كاتب واحد أمرا عسيرا . وهناك مُفسّرون يرون أن ظروف إنشـاء سـفر الرؤيا ، أشـدّ تشعبا من ذلك بكثير ، فهو ليس مُؤلّفا مُتجانسا ، بل محاولة غـير مُحكمة لجمع أجـزاء مُختلفة ، أُنشئت ، ثم نُقّحت في العقود الأخيرة من القرن الأول " .

وللحق نستطيع الجزم ، بأن التوراة تم تنقيحها وجمعها بشكل نهائي ، في هذه الحقبة من الزمن ، بعد وفاة عيسى ويحيى عليهما السلام .

نجد من خلال ما تقدّم أن النصـارى أنفسـهم ، كـان لـديهم الكثـير من الشـكوك حـول سفر الرؤيا ، وبعد قراءتي لمحتوى هذا السفر تبين لي ، أن أسـلوب إنشـاءه هو نفس الأسلوب ، الذي أُنشئت به أسفار التوراة ، من حيث الألفاظ والعبارات ، وحـتى تكـرار الأفكار والنصوص وتحويرها وتحريفها ، وتبـديل مواضـعها من تقـديم وتـأخير ، لتشـويه الرؤى النبوية التي تـأتي عـادة في غـير صـالح اليهـود . والسـفر يحتـوي على نبـوءات مُشابه ، لما جاء في الأسفار المُتأخرة من التوراة . حيث أن سـفر زكريا في التـوراة ، ينتهي عند ذكر الدجال ، ويُغفل ما سيأتي بعده من أحداث . وتجد أن ســفر الرؤيا يُعيد بعض ما جــاء في الأســفار المُتــأخرة من التــوراة ومن ضــمنها ســفر زكريا ، ويكمل الأحداث حتى دخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار .

وما تقدّم يدفعني إلى الاعتقاد ، أن كتبة هذين السفرين ، هم كهنة اليهود الـذين ألفـوا التوراة ، إذ أن آثـار أقلامهم واضـحة للعيـان ، مما فيه من تنـاقض أحيانا وتكـرار أحيانا أخرى ، لمحاولتهم فهم هذه النبوءات وتفسيرها ، حسـبما يتناسب مع زمـانهم ، أي مع بداية التقـويم الميلادي ، حيث كـانت مقومـات ذلك العصر ورمــوزه ، تختلف كليا عمّا لدينا في العصر الحالي ، حيث بدأت هذه النبوءات هذه الأيـام ، تأخذ مكانها على أرض الواقع .

ويبدو أن المُتـأخرين من الكهنة اليهـود ، كـانوا عاقـدي العـزم ، على ضـمّ سـفر الرؤيا والإنجيل المنســوب إلى يوحنّا إلى التــوراة ، فـــأعملوا أقلامهم فيهما ، ويبــدوا أنهم تراجعوا عن ذلك في اللحظة الأخيرة ، فقرّروا إسقاطهما ، بعد أن تنكرّوا لنبـوة يحـيى وعيسى عليهما السلام . فسفر الرؤيا كما الحال بالنسـبة لإنجيل يوحنا ، يُهـاجم اليهـود أنفسهم ، ويهاجم مجّمعات كهنتهم (المُسمّاة بالسنهدرين) التي كانوا يتدارسـون فيها التوراة (والحقيقة أنهم كانوا يدرسون التوراة كما ندرس الزيتون) ، والتي وصفها هذا السفر بمُجمعات الشيطان . حيث جاء فيه " رؤيا 2:ـ 9: وأعلم افـتراء الـذين يقولـون أنهم يهود وليسوا بيهود ، بل هم مَجمَع للشـياطين " . رؤيا 3:ـ 9: ها إني أعطيك أُناسا من مَجمَع للشيطان ، يقولون أنهم يهود ، وما هم إلا كذّابون " ، وهاتين العبارتين مثال على التكرار لنفس المعنى وبنفس الألفاظ تقريبا .

بالإضافة إلى ذلك جاء سفر الرؤيا ، بنبوءات تُخالف أهواء الكهنة ، وتتناقض مع ما كان قد خطّه الكهنة المُتقدّمين . ومنها أنّه يُثبت البعث والحساب والجزاء ، وهذا مما يُنكره اليهـود ويجحدونه . فـالتوراة على امتـدادها الشاسع ، لا تجد فيها حـتى كلمة ، توضّـح مصـير الــروح بعد المــوت . وما يملكونه من معتقــدات ، فيا يتعلق بــالروح والبعث والجــزاء ، تعتمد في الدرجة الأولى على أقــوال متناقضة ومرتبكة لحكمــائهم ، وهــذه الأقــوال مثبتة في التلمــود ، وهي أقــرب ما تكــون إلى معتقــدات الوثنــيين ، كتناسخ الأرواح والحلولية .

وربما تكـون نسـبة هـذا السـفر إلى (يوحنّا) ، وهو يحـيى بن زكريا عليهما السـلام صحيحه ، حيث أن يحيى كان قد سـبق عيسى عليه السـلام في البعث لليهـود ، وحـال سفر الرؤيا يشبه حال الأسفار المتأخرة من التـوراة ، الـتي امتـازت بالطـابع الـدعوي النبـوي في معظمها . وبعد أن أسـقط اليهـود الإنجيل وسـفر الرؤيا ، المنسـوبين إلى يوحنا من التـوراة، تلقّفته كهنة النصـارى ، ومن ثم قـاموا بتحريفه بالحـذف والإضـافة والتبديل ، لإثبات ألُوهية عيسى عليه السلام ، وأضافوه إلى كتابهم المُقـدّس ، على ما هو عليه من ازدواجية وتكرار ، في الألفاظ والأفكار .

أمّا الكلام في الإنجيل المنسوب إلى يوحنّا ، هو أقـرب ما يكـون إلى كلام عيسى عليه السلام ، حيث جاءت على لسانه البشـارة بنبيّنا عليه الصـلاة والسـلام ، كما نص عليها القرآن الكريم ، وهـذا الإنجيل يتميّز عن بـاقي الأناجيل ، بأنه يُركّز على الأقــوال الـتي جاء بها عيسى عليه السلام ، أكثر من طـابع السـرد القصصي للأفعـال الـتي قـام بها ، الذي غلب على الأناجيل الأخرى .

إنجيل يوحنا

نص البشارة بنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام :

قـال تعـالى (**وَإِذْ قَالَ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ ، يَبَنِي إِسْـرَائِيلَ إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْـدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** (6 الصف)

" 14: 18-16: وأنا سأسأل الأب ، فيهب لكم مؤيِّداً آخر ، يكون معكم إلى الأبد ، روح الحقّ ، الذي لا يستطيع العالم أن يتلقّـاه ، لأنّه لا يـراه ولا يعرفه . أمّا أنتم فتعلمـون ، أنّه يُقيم عندكم ويكون فيكم ، لن أدعكم يتامى ، فإني أرجع إليكم " .

ـ يُخبر عيسى أتباعه في هذا النص أن الأب سيرسل لهم مؤيدا آخر ، غـير عيسى عليه السلام ، فإن كان عيسى هو الله ، فـإن الله سـيبعث للنصـارى إلها غـير عيسى ، وإن كان ابن الله ، فإن الله سيبعث لهم ابنا له غير عيسى ، وإن كان عيسى رسـول الله ، فـإن الله سـيبعث لهم رسـولا آخر غـيره . ويُخـبر أيضا أن رسـالته ، سـتكون خاتمة الرسالات السماوية ، ويأتي بالحقّ ويعدل به ، ويُخبرهم بأنهم امتازوا على الآخرين من سكان العالم ، بأن لديهم علم بهذا الرسول ، وبإخبـارهم أيضا أن الـوحي من بعـده لن ينقطع .

" 14: 25-24 : ومن لا يُحبني لا يحفظ كلامي ، والكلمة التي تسمعونها ليست كلمتي ، بل كلمة الأب الذي أرسلني . قلت لكم هذه الأشياء وأنا مُقيم عندكم " .

" 14: 31-26: ولكن المؤيِّد الروح القدس ، الذي يُرسـله الأب باسـمي ، هو يُعلمكم جميع الأشياء ، ويُـذكّركم بجميع ما قلته . ... لقد أنبـأتكم مُنذ الآن بـالأمر قبل حدوثه ،

حتى إذا حـدث تؤمنـون . لن أُطيل عليكم الكلام بعد ذلك ، لأن سـيد هـذا العـالم آت ، وليس له يد عليّ . وما ذلك إلا ليعرف العالم أنّي أحبّ الأب ، وأنّي أعمل كما أوصـاني " .

ـ يخـبرهم بـأن هـذا المؤيِّد ، سـيُذكّرهم من خلال الـوحي بما سـبقه ، ويُعلّمهم أشـياء جديدة ، وسبب إخباره لهم بذلك ، هو وجـوب الإيمـان به واتّباعه عند ظهـوره . يصـفه عيسى بأنه سيّد هذا العـالم ، ويؤكد مجيئه ، وأنه ذو أفضـلية على من قبله ، ويُخـبرهم في نهاية النص أنّه بلّغهم البشارة بأمانة ، كما أخبره ربه .

" 15: 27-26: ومتى جاء المُؤيِّد ، الذي أرسله لكم روح الحقّ المُنبثق من الأب ، فهو يشهد لي ، وأنتم أيضا تشهدون ، لأنكم معي منذ البدء " .

ـ هذا النص تكرار لأجزاء مما تقدم من نصوص .

16: 14-1: قُلت لكم هذه الأشـياء لئلا تعـثروا . سيفصـلونكم عن المجـامع ، بل تـأتي سـاعة ، يظنّ فيها كـلّ من يقتلكم ، بأنه يـؤدي عبـادة لله . ... وقد قلت هـذه الأشـياء لكم لتذكروا إذا أتت الساعة ، أنّي قُلتها لكم . ولم أقلها منذ البــدء ، لأنّي كنت معكم . أمّا الآن ، فإنّي ذاهب إلى الذي أرسـلني ، وما من أحد يسـألني إلى أين أذهب ؟ لا بل ملأ الحزن قلوبكم ، لأنّي قلت لكم هذه الأشياء . فـإن لم أمضِ ، لا يـأتكم المؤيِّد . أمّا إذا ذهبت فأرسله إليكم " .

_ يُثبت هذا النص بما لا يدع مجالا للشك ، أن هــذا المؤيِّد سيُرسل لا محالة ، وأن بعثه مرتبط بذهاب عيسى عليه السلام .

" 16: 11-8: وهو ، متى جاء ، أخزى العالم ، على الخطيئة والبرّ والدينونة : أما على الخطيئة ، فلأنهم لا يؤمنـــون بي . وأمّا على الـــبرّ ، فلأني ذاهب إلى أبي ، وأما على الدينونة ، فلأن سيّد هذا العالم قد دِين ." .

ـ هـذا النص فيه فلسـفة تفسـيرية من الكـاتب ، محـاولا تـرميم ما أفسـده من تغيـير للألفاظ والعبارات ومواضعها ، والمعـنى المـراد من وراء هـذا النص ، أنه يـأتي شـاهدا ومُبشّـرا ونـذيرا ، يـدعوا إلى الـبرّ ويُـدين الخطيئة ، مُبشّـرا بـالثواب ومُنـذرا بالعقـاب وشـاهد على الخلق يـوم الدينونة أي يـوم القيامة ، والله أعلم ، قـال تعـالى (**يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** (45 الأحزاب) .

" 16: 14-13: فمتى جاء هو ، أي روح الحقّ ، أرشدكم إلى الحقّ كله ، لأنّه لن يتكلّم من عنده ، بل يتكلّم بما يسمع ، ويخـبركم بما سـيحدث ، سـيُمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم " .

ـ هذا النص يُخـبر بـأن " روح الحـقّ " ، سيرشـدهم إلى الحـقّ ، ويُبلّغ رسـالة ربه على أكمل وجه ، (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَـوَى** (3)ـ **إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْيٌ يُـوحَى** (4 النجم) . ويُنبئهم بأمور غيبية ستحدث لاحقا .

ولو أمعنت النظر أخي القــارئ ، في النصـــوص أعلاه أو رجعت إلى الكتـــاب نفسه ، ستكتشف بسهولة محـاولات التضـليل والتمويه ، من خلال تتبّع النصـوص ومقارنتها مع بعضها البعض ، فالألفـاظ والمُسـمّيات تتكـرّر بصـورة مُزدوجة ، وتتقـدّم أحيانا وتتـأخر أحيانا أخـرى (يُحرّفـون الكلم عن مواضـعه) ،كما هو الحـال في النصـوص التوراتية تماما . وغالبا ما يكشف أحد النصوص المزدوجة كذب ، وتضليل النص الآخر .

إنجيل متى

الإنجيل يكشف حقيقة اليهود ويُحذّر الناس من اتّباعهم :

" متى : 23:ـ 13: ولكن الويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيّون المراءون ، فإنكم تُغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس ، فلا أنتم تدخلون ، ولا تدعون الناس يدخلون ، ... ، فإنكم تطوفون البرّ والبحر ، لتكسبوا مُتهوّدا واحدا ، فإذا تهوّد جعلتموه أهلا لجهنّم ، ضعف ما أنتم عليه . الويل لكم أيها القادة العميان ، تقولون : من أقسم بالهيكل ، فقسمه غير مُلزم ، أمّا من أقسم بذهب الهيكل ، فقسمه مُلزم " .

" 23: 27: الويل لكم ... فإنكم كالقبور المطلية بالكلس ، تبدو جميلة من الخارج ، ولكنّها من الداخل ، ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة . كذلك أنتم أيضا تبدون للناس أبرارا ، ولكنّكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق . ... الويل لكم ... فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتُزيّنون مدافن الأبرار ، وتقولون : لو عشنا في زمن آبائنا ، لما شاركناهم في سفك دماء الأنبياء . فبهذا تشهدون على أنفسكم ، بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء ، فأكملوا ما بدأه آباؤكم ، ليطفح الكيل " .

الجريمة وعقابها :

" 23: 33: أيها الحيّات ، أولاد الأفاعي ، كيف تُفلتون من عقاب جهنّم ؟ لذلك ها أنا ذا أُرسل إليكم ، أنبياء وحكماء ومعلّمين ، فبعضهم تقتلون وتصلبون ، وبعضهم في مجامعكم تجلدون ، ومن مدينة إلى أخرى تُطاردون ، حتى يقع عليكم كل دمٍ سُفك في الأرض ، من دم هابيل البّار إلى دم زكريّا بن برخيا ، الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم : أن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجيل " .

" 23: 37: أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرّة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فأَبَيْتم . ها إن بيتكم يُترك لكم خرابا ، فإني أقول لكم : أنّكم لن تروني من الآن ، حتى تقولوا : مُبارك الآتي باسم الرب " .

" : 24: 1: ثم خرج يسوع من الهيكل ، ... ، فقال لهم : أما ترون هذه المباني كلها ؟ الحقّ أقول لكم : لن يُترك هنا حجر فوق حجر إلا ويُهدم " .

المسيح يُنبئ بأحداث آخر الزمان :

" 24: 3: وبينما كان جالسا على جبل الزيتون ، تقدّم إليه التلاميذ على انفراد ، وقالوا له : أخبرنا متى يحدث هذا (أي خراب أورشليم) ، وما هي علامة رجوعك ، وانتهاء الزمان ؟ فأجاب يسوع : انتبهوا ، إيّاكم أن يُضلّكم أحد ، فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي ، ويضلّون أناسا كثيرين . وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب ، فإياكم أن تفزعوا ، فلا بدّ من حدوثها ، ولكن لن تكون النهاية عندئذ . فستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة ، وهذا ليس إلا بدء المخاض " .

اضطهاد المؤمنين بالله وفساد الدنيا يُبشّر بقرب النهاية :

" 24: 9: وستسلمون عندئذ إلى الضيق وتقتلون ، ويُبغضكم جميع الوثنيين من أجل اسمي . فيعثر أناس كثيرون ، ويُسلم بعضهم بعضا ويتباغضون .... ويزداد الإثم ، فتفتر المحبة في أكثر الناس ، والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص . وستُعلن بشارة الملكوت هذه ، في المعمورة كلّها ، شهادة لدى الوثنيين أجمعين ، وحينئذ تأتي النهاية " .

قيام دولة إسرائيل ودمارها يُبشر بقرب النهاية :

" متى : 24: 15: فإذا رأيتم المُخرّب الشنيع ، الذي تكلّم عليه النبي دانيال ، قائما في المكان المُقدّس – ليفهم القارئ – فليهرب إلى الجبال من كان عندئذ في اليهودية . ومن كان على السطح ، فلا ينزل ليأخذ ما في بيته .ومن كان في الحقل ، فلا يرجع ليأخذ رداءه . الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام ، صلّوا لئلا يكون هربكم في الشتاء أو في يوم سبت " .

" لوقا : 21:ـ 20-24:ـ فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش ، فاعلموا أن خرابها قد اقترب . فمن كان يومئذ في اليهودية فليهرب إلى الجبال ، ومن كان في وسط المدينة فليخرج منها ، ومن كان في الحقول فلا يدخل إليها ، لأن هذه الأيام أيام نقمة يتم فيها جميع ما كُتب . الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام ، فستنزل الشدّة على هذا البلد ، وينزل الغضب على هذا الشعب ، فيسقطون قتلى بحدّ السيف ، ويؤخذون أسرى إلى جميع الأمم " .

ـ المقصود بالمُخرّب الشنيع ، في النص الأول المأخوذ من إنجيل متى ، هي دولة الإفساد إسرائيل ، وهذا ما يوضّحه النص الثاني من إنجيل لوقا بنص صريح بعبارة (فإذا رأيتم أورشليم) . ولو تمعّنت في النصائح المُقدّمة للشعب اليهودي ، لتجنّب القتل والأسر . ستجد أن دخول الجيوش على أورشليم ، سيكون مُفاجئا وسريعا وبدون ضجة ، لدرجة أن من على سطح المنزل ، لا يشعر بدخولهم إلى بيته . وأن من في الأرياف لا يسمع بهم ، إلا مُتأخرا ، وأما النصارى الجدد في الغرب ، فيرون أن المقصود بالمُخرّب الشنيع - أو رجسة الخراب في سفر دانيال - هو الدجال عدو المسيح ، الذي سيظهر في القدس ، وأما اليهود فيرون أنه المسجد الأقصى .

الحرب الكونية النووية :

" 24: 21: فستحدث عندئذ شدّة عظيمة ، لم يحدث مثلها ، منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، ولن يحدث . ولو لم تقصّر تلك الأيام ، لما نجا أحد من البشر ، ولكن من أجل المُختارين ، ستقصر تلك الأيام " .

ـ وهذا أحد النصوص التي يستند إليها نصارى الغرب في تحليلاتهم ، بالقول بأن الحرب العالمية الثالثة ستكون نووية لا محالة ، لسرعة هذه الأسلحة في حسم المعركة .

المسيح يُحذّر من أتباعه الدجّال :

" 24: 23: فإذا قال عندئذ أحد من الناس : ها هو ذا المسيح هنا ، بل هنا ، فلا تُصدّقوه . فسيظهر مُسحاء دجّالون وأنبياء كذّابون ، يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب ، ليُضلّوا حتى المُختارين (الأتقياء) لو استطاعوا . فها أنا قد أنبأتكم " .

" 24: 26: فإن قيل لكم ها هو في البرية ، فلا تخرجوا إليها ، أو ها هو ذا في المخابئ ، فلا تُصدّقوا . وكما أن البرق يخرج من المشرف ، ويلمع حتى المغرب ، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان ، وحيث تكون الجيفة (الدجال) تتجمّع النسور (اليهود) " .

ظواهر فلكية تسبق بداية النهاية :

" 24: 29: وعلى أثر الشدّة في تلك الأيـام ، تُظلم الشـمس (كسـوف) ، والقمر لا يُرسل ضوءه (خسـوف) ، وتتسـاقط النجـوم من السـماء (الصـواريخ) ، وتـتزعزع قـوات السـماء (دوي الانفجـارات) . وتظهر عندئذ في الســماء آية ابن الإنســان . فتنتحب جميع قلائل الأرض ، وتـرى ابن الإنسـان آتيا على غمـام السـماء ، في تمـام العزة والجلال " .

ـ وهذا النص جعل الأصوليون الإنجيليـون ، يعتقـدون بـأن مجيء عيسى عليه السـلام ، يسـبقه حـرب كونية نووية شـاملة ، تحـرق الأخضر واليـابس ، وهم يعملـون على دفع القـادة السياسـيين في أمريكا ، إلى التحضـير لها ، بغية الانتصـار فيها ، والنجـاة من أهوالها ، فهي لا محالة قادمة ، ومن ضـمن التحضـيرات - فضلا عن التسـلح النـووي - إصرار أمريكا مؤخرا ، على إنشاء الدرع المضادّ للصورايخ البالستية .

أحداث النهاية ستكون مباغتة :

" 24: 32: من التينة خـذوا العـبرة ، فمـتى لانت أغصـانها ونبتت أوراقها ، علمتم أن الصيف قريب ، وكذلك أنتم ، إذا رأيتم كلّ هذه الأمور ، فاعلموا أن ابن الإنسان قريب ، بل على الأبواب ... السماء والأرض تزولان ، وكلامي لا يزول ... " .

" 24: 37: وكما كانت الحال في زمن نوح ، كذلك ستكون عند رجـوع ابن الإنسـان ، فقد كـان النـاس قبل الطوفـان ، يـأكلون ويشـربون ويـتزوّجون ويُزوّجـون ، وما كـانوا يتوقعون شيئا ، حتى جاء الطوفان فجرفهم أجمعين " .

رؤيا يوحنّا

خروج أصحاب البعث الثاني من أرض الفرات :

" 9: 14: فقـال للملاك السـادس : " أطلق الملائكة الأربعة المُقيّـدين ، على النهر الكبير ، نهر الفرات " . وكان هؤلاء الملائكة الأربعة ، مُجهّزين اسـتعدادا لهـذه السـاعة واليوم والشهر والسنة ، فأُطلقوا ليقتلوا ثلث البشر . وسمعت أن جيشـهم يبلغ مـائتي مليون مُحارب ، ورأيت في الرؤيا الخيول وعليها فرسان ، يلبسـون دروعا ... . وكـانت رؤوس الخيل مثل رؤوس الأسـود ، تلفظ من أفواهها نـارا ودخانا وكبريتا ، فقُتل ثلث النـاس بهـذه البلايا الثلاث ... . وكـانت قـوة الخيل القاتلة ، تكمن في أفواهها وفي أذنابها أيضا ، أما سائر الناس الذين لم يموتوا من هذه النكبات ، لم يتوبوا عن أعمالهم ... " .

ـ هذا النص يُبين أن هنالك جيش كبير العـدد ، مقيّد على نهر الفـرات أي في العـراق ، وسـيُفكّ قيـده في موعد مُعين . ويصف هـذا النص ما يملكه هـذا الجيش من آليّـات حربية حديثة ، وأن هناك أُناس سينجون من هـذا الجيش ، ولكنهم بـالرغم من ذلك لن يتوبوا .

جفاف نهر الفرات والحرب العالمية النهائية :

" 16: 14-12: وسكب الملاك السادس ، كأسه على نهر الفرات الكبير فجفّ ماؤه ، ليصير ممـرا للملـوك القـادمين من الشـرق . وعند هـذا رأيت ثلاثة أرواح نجسة ، ... ، وهي أرواح شيطانية ، قادرة على صنع المُعجـزات ، تـذهب إلى ملـوك الأرض جميعا ، وتجمعهم للحرب في ذلك اليوم العظيم ، يوم الله القادر على كل شيء " .

ـ هذا النص يُخبر بأن العراق سيُضرب بالنووي لا محالة ، فيجفّ نهر الفـرات من جـراء ذلك ، إما قبل أو بعد ، نشوب الحرب العالمية ، ليصير ممرا للدول الشـرقية لتشـارك في الحرب القادمة ، والدول الواقعة شرق الفرات ، تبدأ بإيران وتنتهي بالصـين . ومن ثم يجتمع ملوك العالم لتبدأ الحرب البرية ، التي يُحدّد مكانها في النص اللاحق .

" 16: 21-16: وجمعت الأرواح الشيطانية ، جيـوش العـالم كلها ، في مكـان يُسـمّى بالعبرية " هرمجدون " . ثم سكب الملاك السـابع ، كأسه على الهـواء ، فـدوى صـوت من العرش ، ... ، يقـول : " قُضـيَ الأمر " . فحـدثت بـروق وأصـوات ورعـود وزلـزال عنيف ، لم تشهد الأرض له مثيلا ، منذ أن وُجد الإنسـان على الأرض ، لأنه كـان زلـزالا عنيفا جدّا . فانقسمت المدينة العُظمى إلى ثلاثة أقسـام ، وحـلّ الـدمار بمُـدن الأمم . فقد ذكر الله بابل العُظمى ، ليسـقيها كأسا تفـور بخمر غضـبه . وهـربت الجُـزر كلها ، واختفت الجبـال . وتسـاقط من السـماء على النـاس بَـرَدٌ كبـير ، كـلّ حبّة بقـدار وزنة واحدة ، فجدّف الناس على الله ، بسبب هذه البلية الشديدة جدا " .

ـ هـذا النص يصف هـذه الحـرب ، فهنـاك صـواريخ تسـقط من السـماء ، وأصـوات انفجاراتها مُدوّية كالرعد ، محدثة زلازل عنيفة ، واختفـاء الجبـال من شـدة الـزلازل ، وهروب الجُزر تحت الماء ، لذوبان الكتل الجليدية ، وتبخّر المسـطّحات المائية ، نتيجة ارتفاع درجات الحرارة ، التي ستحدثها الأسلحة النووية .

أمّا المدينة العُظمى الـتي ستنقسم إلى ثلاثة أقسـام ، فهي بلا شك أمريكا ، وإن كـان هناك مدينة بعينها فهي نيويـورك ، بـالرغم من أن كتبة التـوراة ، أضـافوا عبـارة (فقد ذكر الله بابل العُظمى) . فلفظ مدينة بالعبرية يعني دولة ، وبما أن النبـوءة تحكي عن دولة عُظمى في العصر الحالي ، فهم أضـافوا هـذه العبـارة لكـون بابل في مُخيّلتهم ، تُمثّل الدولة العظمى والقوية في العصـور القديمة ، أما بابل الحالية أي العـراق ، فهي ليست بأي حال من الأحوال بالدولة العظمى ، وهذا اللقب حاليا يُطلق على أمريكا .

ويبـدو أن بعض مفسّـري النبـوءات التوراتية والإنجيلية مُـؤخرا ، اكتشـفوا هـذا الأمر ، ومنهم من قـام بتـأليف كتب تنبـأوا فيها بـدمار إسـرائيل ، ومن ثم أمريكا ، وبالتـالي تستطيع قـراءة النصـوص ، الـتي تُخـبر عن دمـار بابل العظمى أو الجديـدة ، على أنها تُخبر عمّا سيحلّ بأمريكا نتيجة هذه الحرب ، وليس العراق . ولكن اليهود يريدونها بابل القديمة ، ولكن ستجري الرياح بما لا تشتهيه سُفنهم ، بإذن الله .

عرس الحمل :

" 19: 10-6: ثمّ سمعت صوتا ، ... ، يقول : " هلّلويا ! فإن الرب الإله القادر على كل شـيء ، قد مَلَك ، لنفـرح ونبتهج ونمجّـده ، فـإن عـرس الحمل ، قد حـان موعـده ، وعروسه قد هيّأت نفسـها ، ووهب لها أن تلبس الكتـان الأبيض الناصع ، والكتـان يرمز إلى أعمال الصلاح التي قام بها القدّيسون " .

" 19: 11: ثم رأيت السماء مفتوحة ، وإذا حصان أبيض يُسمّى راكبه " الأمين الصادق " ، الذي يقضي ويحارب بالعدل . ... وكان الأجناد الـذين في السـماء ، يتبعونه راكـبين خيولا بيضاء ، ... ، وكان يخرج من فمه سيف حادّ ، ليضـرب به الأمم ، ويحكمهم بعصا من حديد ، ... " .

ـ لا أجد تفسيرا لهذه النبوءة ، إلا أنها تُخبر عن المهدي (الحمل) وعروسه (القدس) ، وجيوشه (الأجناد) ، وانتصاراته في حروبه التي سيخوضها .

عودة المسيح :

" 20: 4: ثمّ رأيت عروشا مُنح الجالسـون عليها حق القضـاء . ورأيت نفـوس الـذين قُتلوا في سبيل الشهادة ليسوع ، وفي سـبيل كلمة الله ، والـذين ... ، وقد عـادوا إلى الحياة ، وملكوا مع المسيح ألف سنة . هـذه هي القيامة الأولى . أما بقية الأمـوات فلا يعودون إلى الحياة حتى تنقضي الألف سنة " .

ـ ظـاهر هـذا النص يُبشر بعـودة المسـيح ، وبأنه سـيحكم من انتسب إلى الديانة المسيحية ، بعد بعثهم من الموت ، بغض النظر عن فساد من انتسب إليه أو صـلاحه ، مدة ألف عام يعيشون فيها بسـلام ، أما بقية البشر من غـير المسيحين ، فسـيقومون بعد ألف سـنة ، فيما يُسـمّونه بالقيامة الثانية . وسـيُخلّدون في نـار جهنم ، ولله في خلقه شؤون .

الدجّال ويأجوج ومأجوج :

" 20: 7-10: فحين تنقضي الألف سنة ، يُطلق الشيطان من سجنه ، فيخرج ليُضـلّل الأمم في زوايا الأرض الأربع ، جوج ومـاجوج ، ويجمعهم للقتـال ، وعـددهم كثـير جـدّا كرمل البحر . فيصـعدون على سـهول الأرض العريضة ، ويحاصـرون من كل جـانب مُعسكر القدّيسين (عيسى ومن معه من المسلمين) والمدينة المحبوبة (القـدس) ، ولكن نارا من السماء تنزل عليهم وتلتهمهم . ثم يُطرح إبليس الذي كان يُضـلّلهم ، في بُحيرة النار والكـبريت ، حيث الـوحش (أمريكا) والنـبي الـدجال (إسـرائيل) ، هنـاك سوف يُعذّبون نهارا وليلا ، إلى أبد الآبدين " .

(في هذا النص يُذكر الشيطان (الدجال) الذي سيُطلق ، بعد أن كان مقيدا مدة ألف سنة . وهو في الأصل سابق لمجيء عيسى عليه السلام ، ويذكر خروج يأجوج ومأجوج ، حيث أنهم يحصرون عيسى ومن معه من المؤمـنين ، في جبـال القـدس ، هربا منهم حيث لا قِبل لأحد بهم ، فيتم القضـاء عليهم والتخلّص من جثثهم ، بـأمر من عند الله ، أمّا النصارى ، فهُم يُفسّرون هذا النص ، على ما فسّره العهد القديم أي التوراة ، حيث أخبرت أن جوج وماجوج هم الروس .

البعث والحساب :

" 20: 11-12: ثم رأيت عرشا عظيما أبيض ، هربت السماء والأرض من أمام الجالس عليه ، فلم يبق لهما مكـان . ورأيت الأمـوات كبـارا وصـغارا ، واقفين أمـام العـرش . وفُتحت الكتب ، ثم فُتح كتـاب آخر هو سـجلّ الحيـاة ، ودِين الأمـوات بحسب ما هو مُـدوّن في تلك الكتب ، كل واحد حسب أعماله . ... وطُـرح المـوت ... وكل من لم يُوجد اسمه في سجل الحياة ، طُرح في بُحيرة النار " .

السماء الجديدة والأرض الجديدة

"12: 1: ثم رأيت سـماء جديـدة ، وأرضا جديـدة ، لا بحر فيها ، لأن السـماء والأرض القديمتين قد زالتا . ورأيت المدينة المُقدّسة أورشليم الجديدة ، نازلة من السـماء من عند الله ، ... . وسمعت صوتا هاتفا من العرش : " الآن صار مسـكن الله مع النـاس ، هو يسكن بينهم . والله نفسه يكون معهم إلها لهم ، وسيمسح كل دمعة عن عيـونهم . إذ يزول الموت والحزن ... ، لأن الأمور القديمة كلها زالت " .

ـ في الحقيقة يصف هـذا النص يـوم الحشر والحسـاب ، حيث أن أورشـليم هي أرض المحشر ، وهذا الموقف العظيم الوارد في هذا النص ، موصوف بالتفصـيل في مواضع كثيرة من القـرآن . ولكن النصـارى يفهمـون النص على أن إلههم (المسـيح) سـينزل ليسـكن معهم ، في أورشـليم الجديـدة ، الـتي يصـفونها في نهاية السـفر ، وهو في الحقيقة وصف يُشبه وصف الجنّة في القرآن ، والموت لا يزول ، إلا عنـدما يـدخل أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

ـ يفهم عامة النصارى وخاصـتهم من مُجمل النصـوص أعلاه ، أنه عنـدما تبـدأ الأحـداث المُدمّرة التي سيتعرّض لها كـوكب الأرض ، بـأن المسـيح سـيعود وسـيرتفع بهم فـوق السحاب ، وبعد نهاية الأحداث التي لن تستمرّ طويلا ، سينزل بهم ويحكمهم مــدة ألف عام ، تحت أرض وسماء جديدتين . وهنا وقع خلط ما بين ، استعادة الأرض لبركتها بعد الخـراب ، وبين تبـدّل السـماء والأرض يـوم القيامة ، كما جـاء في قوله تعـالى (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (48 إبراهيم) .

ولـذلك ظهـرت جماعة التـدبيريين ، الـتي تـدعوا إلى تـدمير كـوكب الأرض بالأسـلحة النووية ، لقناعاتهم الجديدة نتيجة تفسـيرهم الجديد ، بـأن هنـاك أرض جديـدة وسـماء جديدة ستأتي بعد الدمار . والمصيبة الكبرى أن رؤساء وساسة ، أكبر دولة عظمى في العالم يؤمنون بذلك ، ويسيرون بالعالم نحو الهاوية ، (فجورج بـوش الإبن) لا يكـترث بظـاهرة الانحبـاس الحـراري ، وارتفـاع درجة حـرارة الأرض ، وهو غـير معـني بتوقيع اتفاقية (كيوتو) للحد من هذه الظاهرة ، بما أن هذه الأرض ستؤول إلى الـزوال ، وما يعنيه في الدرجة الأولى ، هو الاستعداد للحرب النووية القادمة هجوما ودفاعا .

الغربيون وهوس النبوءات التوراتية والإنجيلية

يعتقد اليهود ونصارى الغرب ، أن قيام دولة إسرائيل للمـرة الثانية في فلسـطين ، هو علامة لقرب ظهور الملك المنتظر بالنسبة لليهود ، وللمجيء الثـاني للمسـيح بالنسـبة للنصارى ، ولذلك يعكف الكثير من النصارى واليهود ، على اختلاف تخصصـاتهم العلمية والمهنية ، في السـنوات الأخـيرة ، على دراسة وتحليل وتفسـير النبـوءات التوراتية والإنجيلية ، الـتي تُخبر عن أحـداث آخر الزمـان . وخاصة فيما يتعلّق بنهاية إسـرائيل ، ودمار العالم الغربي ، وعودة الإسلام ، في نهاية المطاف ، لواجهة الصـدارة . ونطـاق هذه البحوث في الغالب ، يدور حـول ما جـاء في التـوراة والإنجيل من نصـوص نبوية ، وما قُدّم فيها من كتب ومؤلفات مؤخرا ، تفسّر هذه النصوص ، والكتاب الأكـثر شـهرة في هـذا المجـال ، هو كتـاب (نبـوءات نوسـتراداموس) الغـامض ، والسـوق الرائجة لأطروحاتهم في هذا المجال ، هي شبكة الإنترنت .

وإذا أردت أن تعرف مقدار ما تشغله هذه النبوءات المستقبلية ، من فكر كبار رجـالات السياسة والدين والعلم ، وعامة الشعوب الغربية ، وفي مقدّمتها الأمريكية والبريطانية والفرنسـية ، وحـتى عامة النصـارى واليهـود في شـتى بقـاع الأرض ، فما عليك إلا أن تزور شبكة الإنترنت ، وأن تقـوم بـالبحث – على سـبيل المثـال – عن إحـدى الكلمـات التالية : (World War III) ، (WW III) ، (WW3) ، (Armegeddon) ، (Nostradamus) ، (Prophecy) ، (Miracle) ، (Piple) ، (Torah) ، لتجد أن هناك عشرات الآلاف ، من المواقع الـتي تعـرض الأبحـاث والكتب والدراسـات ، الـتي تبحث في تفسير النصوص التوراتية والإنجيلية .

ـ وفيما يلي ، غيض من فيض هذه المواقع :

• NOSTRADAMUS, CATHOLIC PROPHECY ON WORLD WAR III (1999-2030)

... A Catholic Prophecy Nostradamus prophesied that World War III would be initiated

... .by Russia and Iran on July 4th of 1999 with nuclear and chemical weapons

http://web.tusco.net/newone/nostradamus.htm [More Results From: web.tusco.net]

نبوءة الكاثوليكي نوستراداموس بالحرب العالمية الثالثة (1999م – 2030م)

... الكـاثوليكي نوسـتراداموس ، كـان قد تنبأ ، بـأن الحـرب العالمية الثالثة ، سـتبدأ باسـتخدام كـل من روسـيا وإيـران ، للأسـلحة النووية ... والكيميائية ، في الرابع من حزيران عام 1999م ...

• Armageddon, World War III, Antichrist, and the second coming ...

Armageddon, World War III, Antichrist, and the second

coming of Jesus ...

هرمجدون ، الحرب العالمية الثالثة ، عدو المسيح (الدجال) ، العودة الثانية للمسـيح ...

Web Directory: Resources for Nostradamus Research

مصادر لأبحاث نوستراداموس .

Nostradamus Society of America.

مجتمع نوستراداموس في أمريكا .

International Center for Nostradamian Studies – description of Nostradamus, his prophecies, and Prof. Vlaicu Ionescu's interpertations.

المركز العالمي لدارسات نوستراداموس ...

وصف لنوستراداموس ، نبوءاته ، وتفسيرات البروفيسور (Vlaicu Ionescu) .

Nostradamus, Saddam Hussein, Armegeddon – by Storm Ministries.

نوستراداموس ، صدام حسين ، هرمجدون

كتاب لكاتب البريطاني (ستورم مينيستريز) ، يبحث في النصوص النبوية التوراتية ، يجيب فيه عن عدّة تساؤلات يطرحها في بداية كتابه ، وأحد هذه التساؤلات : هل صدام حسين هو دجّال آخر الزمان الذي تنبأ به (نوستراداموس) ؟! .

من هو (نوستراداموس) ... ؟

ـ من كتاب (نبوءات نوستراداموس) للطبيب الفرنسي د. (دو فونبرون) ، ترجمة أسامة الحاج ، دار مكتبة التربية ، بيروت ، طبعة 1996م .

هو مسيحي كاثوليكي فرنسي ، ذو أصل يهودي ، عاش في الفترة (1503 ـ 1566م) ، ألّف أحد أشهر كتب النبوءات التوراتية والإنجيلية . يقول هذا المتنبئ في مقدمة كتابه ، أن مصدر نبوءاته ، هو مجموعة من الكتب والمجلدات القديمة ، التي كان قد ورثها عن أجداده اليهود ، كانت مخبأة منذ قرون عديدة ، وعلى ما يبدو أنه استطاع من خلالها ، الكشف عن الرموز التوراتية اللفظية والعددية ، التي استخدمها مؤلفو التوراة من الكهنة والأحبار ، ومن ثم قام بقراءة الأحداث الواردة في النبوءات . ووضعها في كتاب ، على شكل رسائل نثرية ، وأبيات شعرية سمّاها الرباعيات ، استخدم فيها الكثير من الاستعارات والرموز ، الواضحة الدلالة أحيانا ، والمضلّلة والمُحيّرة أغلب الأحيان .

وقد اجتهد كثير من الباحثين الغربيين ، وخاصة في العصر الحديث ، وأجهدوا أنفسهم ، بمحاولات مضنية لحل رموزه وطلاسمه ، ومحاولات مضنية لمطابقتها ، لما جرى ويجري وسيجري على أرض الواقع ، لدرجة أنك لو بحثت عن لفظ (Nostradamus) في أحد محرّكات البحث على شبكة الإنترنت ، ستجد أكثر من (57) ألف موقع ، لمراكز وجمعيات وكتب ودراسات ، تبحث في أمر نبوءاته وتجتهد في مطابقتها مع الواقع ، في محاولة لاستقراء المستقبل ، وخاصة فيما يتعلق بأحداث النهاية ، وخاصة الحرب العالمية الثالثة ، ونهاية الحضارة الغربية ، المرتبطة بعودة الخلافة الإسلامية .

ومن أشهر الكتب في تفسير نبوءاته ، وفك رموزه وطلاسمه ، هو كتاب (نبوءات نوستراداموس) ، الذي ألّفه الطبيب الفرنسي (دو فونبرون) ، المتوفى عام 1959م ، وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات ، أعوام 38 و39 و1940م ، ومن ثم أُعيد طبعه بعد عدة سنوات من خلال ابن المؤلف ، ومما أضافه الابن إلى الطبعة الجديدة من الكتاب ، نص مخطوط بقلم أبيه الطبيب ، كتبه قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعنوان : (بحث في الأحداث القادمة)

وهذا نصه :

" يجب النظر بصـورة منفصـلة إلى الأحـداث وتتابعها الزمـني ، إن ترتيبها من حيث الزمـان لا يمكن تصـوّره ، إلا ضـمن عملية افتراضـية ، إذ أن المعطيـات المتعلقة بها شديدة التشذر ، بحيث لا يمكن أن تؤدي إلى استنتاجات أكيدة كليا ...

إن جميع النبوءات القيّمة ، متركّزة على الحقبة ، التي سـتغدو فيها الحضـارة الغربية ، مهدّدة بالدمار . والوقائع الأساسية لهذه الأزمة العالمية ، هي كالتالي : الحرب والثورة العامتان ، تدمير باريس الكلي بالنار ، وتدمير جزء من مرسـيليا ، بتلاطم لأمـواج البحر ، هزات أرضية مخيفة ، وبـاء طـاعون يقضي على ثلـثي البشـرية ، البابا المطـرود من روما ، انشقاق كنسي ...

يبدو أن هذه الأحداث ستبدأ بـالحرب بين الشـرق والغـرب ، أما ذريعتها فسـتكون في الشـرق الأوسط (العـراق ، إيـران ، أو فلسـطين) ، ومن المـرجح أن تجـري على مرحلتين ، على غرار حرب 39 –1945م ...

في تلك اللحظة يظهر نجم مـذنّب سـوف يمـرّ على مقربة من الأرض ، لدرجة أنها سـتجتاز شـعره المُحمّل بالحصى ، هـذه النيـازك الجوية الـتي سـتكون بمثابة انتقـام السماء العجائبي ، سوف تسـقط على أمكنة محـدّدة ، حيث سـتكون محتشـدة قـوات الثورة الحمراء ، والأسطول الروسي في البحر المتوسط ...

من المرجح أن تدمير باريس ، سيتم في المرحلة الثانية من الـنزاع ، قبل وقت قصـير من طرد البابا من روما ... " ، انتهى .

وجـاء في نفس المقدمة ما مفـاده أن المحنة الكـبرى ، الـتي ستشـهد بداية تـدمير الحضـارة اليهودية المسـيحية ، كـان (نوسـتراداموس) قد حـدّد نقطة انطلاقها في الشهر السابع من عام 1999م .

نصوص من نبوءات (نوستراداموس) من كتاب الطبيب الفرنسي :

في الرسالة إلى هنري الثاني ورد ما نصّه :

" وسـوف تتم حملة جديـدة ، ما وراء البحر المتوسط لإنقـاذ الأنـدلس ، الـتي يُهـدّدها النهوض الأول للمحمديين . (إشارة للاستعمار الغربي للبلاد العربية) .

والمكان الذي كان به مسكن إبراهيم في الماضي البعيد (أي العراق) سـوف تُهاجمه رسل المسيح (إشارة للعدوان الثلاثيني النصراني على العراق) .

ومدينة (سيشم) أي فلسطين ، سـوف تُحيط بها وتهاجمها من كل الجهـات ، جيـوش غربية قوية جـدا ، سـتحد من قـوة أسـاطيلهم . وفي هـذا الملك سـوف يحـدث حـزن عظيم ، تقفر مدنه الكبرى . (إشارة لاستلاب فلسطين)

والـذين يعـودون إليها ، أولئك الـذين سـيُمارس الله غضـبه ضـدهم (أي اليهـود في فلسطين) ، والمكان المُقدّس لن يؤوي بعد ذلك ، سوى عـدد صـغير جـدا من الكفـار (يقصد المسـلمين) ، أوه ! في أي حـزن فـاجع ، سـتكون عندئذ النسـاء الحبـالى ، اللواتي ستمنعهن ثمرة أحشائهن من الهرب ...

وخلال كل هذا التقدير الكرونولوجي (الممتد طوليا عبر الزمن) ، المُعاد إلى الكتابات المقدّسة ، سيتولد اضطهاد رجال الكنيسة ، من خلال تحالف قادة الشمال العسكريين (من قبل دول الاتحاد السوفييتي السابق ، يأجوج ومأجوج) ، وهـذا الاضـطهاد سـيدوم 11 عاما غير مكتملة ، وستسقط خلالها الدولة الشمالية الرئيسـية (روسـيا) ، بعد أن تُنجز تلك السنوات من الاضطهاد ، سيأتي حليفها الجنوبي (العرب) ، الذي سيضطهد

رجال الكنيسة على مـدى ثلاثة أعـوام وبقسـوة أشـدّ ... إلى حـدّ أن دم رجـال الـدين الحقيقيين سيسبح في كل مكان ...

وللمرة الأخيرة أيضا سترتجف كل الممالك المسيحية ، وكذلك ممالك الكفار خلال 25 عاما ، سـتكون الحـروب والمعـارك أكـثر دموية من أي وقت مضى ، وسـوف تُحـرق المـدن والقصـور وكل المبـاني الأخـرى ، وسـيتم هجرها وتـدميرها ، مع إهـراق عظيم لدماء العذارى والأمهـات والأرامل المغتصـبات ، والأطفـال الرُضع الـذين سـيُرمى بهم على جدران المدن وتحطّم عظامهم (وصف لعقاب اليهود في فلسطين) ، الكثير من الشرور سيتم ارتكابها بفعل الشيطان ، الأمير الجهنمي ، بحيث كل العـالم الكـاثوليكي تقريبا ، سيتعرّض للخراب للإبـادة ، وقبل أن تتم هـذه الأحـداث ، سـتدوي في الفضـاء طيور غريبة (هي الطائرات) ... ، وستختفي بعد قليل ، بفعل الكارثة النهائية للعالم (الحرب العالمية النووية الثالثة) ... ومن ثم ستقوم حقبة جديدة ، عهد ذهبي سيأمر به الخالق . وعندئذ سيبدأ بين الله والبشر سلام شامل (زمن عيسى عليه السلام) ... "

وفي نهاية الفصل (11) من الكتـاب يخلص المؤلف إلى القـول : " كل الشـرق إذن ، سينتفض من جديد ضد الغرب ، وحبره الأعظم الأخير بطرس الرومـاني (أمريكا) ... "

ـ نجد أن المؤلف من خلال فهمه لمجمل نصـوص (نوسـترادامـوس) ، يخلص إلى أن الشعوب الشرقية بما فيها من إثنيات متنوعة ، ستتحد ضد الغرب في مواجهة مصيرية نهائية .

وفي بدايات الفصل (14) على لسان المتنبئ :

1-9 " من الشرق سـيأتي العمل الغـادر . الـذي سيُصـيب إيطاليا وورثة رومولـوس . بصحبة الأسطول الليبي . ارتجفوا يا سكان مالطا والجزر القريبة المقفرة " .

ـ نجد أن المتنبئ يصف انتفاضة الشرق ، بالعمل الغادر ، الـذي سـيطيح بإيطاليا وورثة الإمبراطورية الرومانية ، ونجده يذكر ليبيا بالاسم مؤكدا انضمامها للتحـالف الشـرقي ، مثيرا رعب الغربيين من هذا العمل الغادر .

وفي الفصل (27) ، يقول المؤلف :

" بمقدار ما نبتعد في المستقبل ، يغدو من الصعوبة بما كان ، أن نربط بين الأحـداث ، التي ستعيشها البشرية في انحدارها الأقصى . إلا أن التكرار المتواصل للتاريخ متشابه ، وعلى شبكته المُتجدّدة باستمرار ، يُمكن أن تُطرّز سلفا المعركة الأخـيرة والمُخيفة ، التي سيظفر بها الشرق البربري على الغرب المسيحي .

ـ هنا يلصق المؤلف صـفة البربرية بالشـرق ، ويؤكد انتصـار هـذا الشـرق المتـوحش ، على الغرب المسيحي المسالم والمتحضر .

مستفيدين من الانقسـامات الـتي سـيُثيرها المسـيح الـدجال ، ومن الضـعف والفوضى الناتجة عن مذاهبه ، ينجح العرب والآسيويّون والمغول في اجتياح أوروبا ، بعضهم عبر إيطاليا وإسبانيا ، كما هي العادة ، والآخرون عبر القـارة والجو ، في حين تنهـار فرنسا والكنيسة ، ويتعـرض البابا بالـذات إلى الاغتيـال وسط الفسـاد العـام ، تظهر ظـواهر مرعبة في السماء .

ـ نجد أن المتنبئ ، يُحدّد في هذا النص ماهية الشعوب الشرقية الـتي يقصـدها ، ويضع العرب على رأس القائمة ، ويؤكد نجـاحهم في اجتيـاح معظم دول أوروبا ، بـرا وبحـرا وجوا .

في عام الكسوفين الكاملين ، من طرف لآخر طرف في العالم القـديم ، تحصل أمـور غريبة : تظلم الشـمس ويفقد القمر نـوره ، وضـجيج البحر والمـوج ، سـيجعل النـاس ييبسـون رعبا ، لأنه سيصل الطوفـان التكفـيري الجديد (عـودة الخلافة الإسـلامية) ، ليختم فجأة العصر الذي بدأ مع زمن نوح " .

ـ في هذا النص ، يُحدّد المتنبئ فلكيا ، نقطة البداية ، لأحداث مسلسل الرعب الأخير ، الذي يصفه في كتابه ، بكسوف كلي كبير للشمس (1999م) ، متبوعا بخسوف كلي للقمر .

يؤكد المؤلف على حتمية وقـوع مواجهة أخـيرة ، بين الغـرب والشـرق ، وعلى حتمية ظفر الشـرق بها ، وكنتيجة لهـذه المواجهة ، سـتنهار فرنسا (الـتي كـانت تُمثل الدولة الصـليبية العظمى آنـذاك ، في العصر الـذي عـاش فيه المتنـبئ ، أما الآن فأمريكا هي الدولة العظمى ، وراعية الحملات الصليبية الجديدة على الشـرق) ، وسـتنهار الكنيسة (بمعـنى انهيـار الـدين ، بظهـور الـدين الإسـلامي من جديد) . ويعـزو المؤلف نجـاح الشرق في غزوه أوروبا ، إلى ما أثاره المسيح الدجال ، من ضعف وفوضى وانقسام ، وليس غضـبا إلهيا لكفــرهم وضــلالهم ، ورغبة إلهية في إظهــار الحق وزهق الباطل ، والحقيقة أن الــذي سيتســبب في ظهــور الضــعف والانقســام الأوروبي ، بين مؤيد ومعارض هو إسرائيل (المسيح الدجال الحقيقي) ، والشعب اليهودي بشكل عام .

والمســيح الــدجال هو لفظ ، يطلقه مفسّــرو النبــوءات التوراتية على شــخص مفسد ومخـرّب ، سـيظهر في المكـان المقـدّس ، معـادٍ لليهـود وللمسـيح وأتباعه ، سـيقود الشـرق في معركته الأخـيرة مع إسـرائيل الغـرب ، وينسـبون إليه كل ما يُوصف في التوراة من إفساد ، حـتى إفسـاد الدولة اليهودية الحالية الموصـوف بـالتوراة ، وبـذلك أصبح الإفساد اليهودي الإسرائيلي ، الـذي حـذّرت منه التـوراة ووصـفته بدقة متناهية ، منسوبا إلى شخص المسـيح الـدجال الـذي لم يظهر بعد ، لتكـون إسـرائيل وحلفائها ، بمنأى عن الغضب والعقاب الإلهي ، الذي سينسكب على الـدجال وأتباعه ، وأتباعه هم من العرب والروس والمغول ، حسب اعتقادهم .

وفيما يلي بعض النصوص ، التي استقى منها المؤلف هذه الأفكار :

مشاهد من الحرب العالمية الثالثة :

2-70 " سيف السماء يمتد فـوق العـالم ... يجـري إعـدام عظيم لمن سـيموتون وهم يتخاطبون "

2-18 " مطر جديد مفاجئ وعنيف ... تتساقط من السماء على البحر ، الحجارة والنار ... تموت بغتة الجيوش السبعة البرية والبحرية " .

2-56 " من لم ينجح الطـاعون والسـلاح في الإجهـاز عليهم ... سيُضـربون من أعـالي السماء .. "

2-86 " خلال الغرق الذي سيتم قـرب البحر الأدريـاتيكي ... سـتهتز الأرض لتُميت من كانوا يحومون في الهواء ... "

3-83 " الجو والســماء والأرض ســتُظلم وتضــطرب ... حينئذ سيتضــرع الكــافر لله وقدّيسيه "

أمريكا :

9-44 " اهربوا ، اهربوا يا سكان جنيف أجمعين ... عهدكم الذهبي سيغدو عهدا حديديا ... "

ـ هذه الدعوة للهرب من جنيف ، هي في الأصل دعـوة للهـرب من بابل في النصـوص التوراتية ، ليتـبين لنا أن لفظ بابل اسـتخدمه كتبة التـوراة ، للتعبـير عن دولة أو مدينة ذات مـــال وجمـــال وســـطوة ، ســـتظهر مســـتقبلا ، كما كـــانت جـــنيف في عصر نوستراداموس ، الذي لم يُعاصر العصر الذهبي لأمريكا وعاصمتها التجارية (نيويورك) .

1-26 " الصاعقة العظيمة ستسقط في وضح النهار "

1-87 " النـار المركزية الـتي تجعل الأرض تهـتز ... سـتتجلى حـول المدينة الجديـدة (نيويورك) "

10-49 " بستان العالم قرب المدينة الجديدة ... سيُؤخذ ويُغطّس في البحـيرة الغالية "

6-97 " سماء خط التوازي 45 ، ستحترق تقترب النار من المدينة الجديـدة العظيمة ... "

بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا :

9-55 " أية حرب مخيفة ستتهيأ في الغرب ... وفي العام التـالي سـيأتي الطـاعون ... رهيبا إلى حدّ أنه على الشُبّان والعجزة والقطعان ... سـيكون للـدم والنـار سـلطة في فرنسا ...

4-67 " في العام الذي سيشتعل فيه الزمن والحرب معا ... سـيكون ثمة مسـار كبـير للمقذوف في الهواء الجاف (الصواريخ النووية) ... يحترق المكان الكبـير بنـيران آتية من بعيد ... يرى الناس القحط والعاصفة ، تحصل حروب وغزوات " .

8-16 " في روما ، حيث كلي القدرة بنى هيكله ... سيكون طوفان كبير ومفـاجئ ... بحيث ما من مكان ، وما من أرض ستسمح باتقائه ... ستمر الميـاه من فـوق الأولمب فيزول " .

3-32 " القبر الكبير للشعب البريطاني ... سيكون على وشك الانفتاح ... حين تزمجر الحرب قرب حدود ألمانيا ... وفي بلاد مانتو (إيطاليا) " .

3-70 " بريطانيا العظمى ، أي إنكلترا ... تتعرض لثورة عنيفة (تغمرها المياه) ... " .

8-15 " نحو الشمال تعزيزات كبرى من الحشود البشرية (روسيا) ... تضـرب أوروبا والعالم أجمع تقريبا ... خلال الكسوفين ، تقوم بمطـاردة مهمة ... وتـدخل هنغاريا في الحياة والموت " .

خلاصة ما يتنبأ به (نوســـتراداموس) ، هو دمـــار الـــدول الغربية (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) ، بهجـوم صـاروخي نـووي مفـاجئ ، يصـفه بكل دقة (مطر جديد مفـاجئ وعـنيف ...) ويُعـرّف هـذا المطر الجديد (تتسـاقط من السـماء على البحر ، الحجـارة والنار) ويُعرّفه أكثر بقوله (للمقذوف في الهواء الجاف) ويُحدّد مصدره (بنيران آتية من بعيد) ويصف تأثيره (يـرى النـاس القحط والعاصـفة) ويصف ما يعقبه (سـيكون طوفان كبير ومفاجئ) نتيجة ارتفـاع درجة حـرارة الأرض ، الـتي سـتعمل على ذوبـان

الكتل الجليدية ، وتبخّر مياه البحار والمحيطات ، ومن ثم لتعود وتسقط على شكل مطر غزير ، مسببة طوفانا ، تغرق في مياهه أمريكا وبريطانيا إلى غير رجعة .

وما يعطي مصداقية ، لنبوءات هذا المتنبئ ، واهتماما منقطع النظير بها لدى الغربيين ، هو تحقّق الكثير منها حسب اعتقادهم ، بالرغم من إبهامها وعموميتها ، ووصفه الدقيق - قبل (450) سنة تقريبا - للأسلحة ووسائل النقل ، التي استخدمت في الحروب العالمية ، والتي لم تكن موجودة أصلا في عصره . وهذا مما يُعزّز مخاوف هؤلاء من صدق نبوءاته ، بشأن دمار الحضارة الغربية برمتها ، من قبل الشرقيين ، كما يُعلن عن ذلك بصراحة .

من خلال هذه النصوص والنصوص التوراتية الأصلية ، تبين للكثير من الباحثين الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين ، المشغولين بنبوءات (نوستراداموس) ، أن المقصود بالمدينة الجديدة ، التي سيلحقها الدمار والخراب ، هي (نيويورك) بشكل خاص ، وأمريكا بشكل عام . وخوفا من صدق هذه النبوءات المرعبة ، تُجهد أمريكا نفسها – بقيادة الحزب الجمهوري التوراتي الإنجيلي - وتحثّ الخطى ، سعيا لامتلاك الدرع النووي المضاد ، للنبوءات التوراتية بصواريخها النووية الروسية والصينية ، لا الصواريخ النووية العراقية أو الإيرانية أو الكورية الشمالية كما تدّعي .

في تقرير لوكالة (أ ف ب) من واشنطن ، نقلا عن صحيفة الدستور الأردنية ، الصادرة بتاريخ 12 ـ 7 ـ 2001م ، جاء ما نصه : " أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أمس ، تسريع برنامجها للدرع المضاد للصواريخ ، الذي قد يصطدم بالقيود التي تفرضها معاهدة (إيه بي أم) : " <u>وذلك في غضون بضعة أشهر عوضا عن بضع سنين</u> " . وصرّح مساعد وزير الدفاع الأمريكي (بول فولفوفيتس) في كلمة أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ : " **لقد بدأنا متأخرين سباقا ضد الزمن** " . وبحسب المسؤول الأمريكي ، فإن عمليات التجارب وتطوير نظام الدرع المضاد للصواريخ ، سيصطدم بلا شك ، بقيود نصت عليها معاهدة (إيه بي أم) ، وأشار إلى " **أن هناك فرصا عديدة ليتم ذلك في غضون بضعة أشهر بدلا من بضع سنين** " ، وأكد أنه " ينبغي أن نتجاوز قيودا تفرضها علينا معاهدة (إيه بي أم) ، وقال أن الولايات المتحدة ، ستحاول العمل على إبرام اتفاق مع روسيا ، يتضمّن ترتيبات جديدة ، بهدف تجاوز معاهدة (إيه بي أم) ، وأشار مع ذلك إلى أنه : " سيكون من الصعب التأكد من تأمين ذلك خلال السنة المقبلة " . وأضاف : " كنا نُفضّل التوصل لذلك من خلال التعاون (مع روسيا) ، ولا نزال متفائلين بأن مثل هذا الخيار أمر ممكن " . وذكرت صحيفة واشنطن بوست) في عددها أمس أن وزارة الخارجية ، أن وزارة الخارجية الأمريكية أمرت الأسبوع الماضي ، سفارات الولايات المتحدة في العالم ، باطلاع الحكومات الأجنبية ، على النية الأمريكية ، بتطوير مشروع الدرع المضادة للصواريخ " انتهى .

لماذا بدءوا هذا السباق المحموم مع الزمن لإنتاج هذا الدرع ؟

الذريعة الأمريكية بتخوّفها من مهاجمتها بصواريخ باليستية ، من قبل العراق وإيران وكوريا الشمالية ، غير مقنعة لكل دول العالم ، وحتى حلفاء أمريكا من الأوروبيين ، أما الأسباب الحقيقية لإنتاج هذا الدرع ، فمردّها هو مخاوف توراتية وإنجيلية بحتة ، وهي على أربعة احتمالات :

1. وقاية نفسها من أي هجوم روسي ، أثناء المواجهة القادمة بين الشرق والغرب ، فيما لو فكرت روسيا ببدء هجوم مباغت ، بعد تحالفها مع الدول العربية والإسلامية ، وهو الاحتمال الأضعف .
2. التفكير بالمبادرة بالهجوم على روسيا ، استعجالا للمواجهة الحتمية التي فرضتها عليهم النبوءات ، فكسب المعركة سيكون من نصيب ، من يُوجّه الضربة الأولى للطرف الآخر ، وقد يكون استجابة لدعوات المُبشّرين الإنجيلين ، استعجالا للمجيء الثاني للمسيح .
3. تنفيذ نواياها المعلنة اتجاه العراق ، بالقيام بعمل إجرامي جديد ، يُريح أعصاب اليهود في الشرق والغرب إلى الأبد ، من خطر زوال إسرائيل على أيدي العراقيين ، بشن حرب أو بتوجيه ضربة نووية واسعة النطاق أو محدودة ، وهو الاحتمال الأقوى .
4. منع إمكانية ظهور ذلك القائد المسلم ، الذي سيتسبب في دمار الحضارة الغربية ، بضرب بؤر القيادات الإسلامية الحالية .

وعلى ما يبدو أن صفة الاستعجال ، جاءت من فهم حاخامات اليهود للنصوص النبوية ، ومعرفتهم من خلال الإشارات الفلكية ، والحسابات الموجودة في التوراة ، بقرب تحقق هذه الأحداث على أرض الواقع .

العدوان على العراق :

10-86 " سيأتي ملك أوروبا مثل غريفون ... تُرافقه جماعة الشمال ... سيقود حشدا كبيرا من الحمر والبيض ... ويسيرون ضد ملك بابل " .

1-55 " في ظل المناخ الذي سيواجه بابل ... سيكون الدم المراق غزيرا ... والأرض والبحر والجو والسماء جائرات ... بفعل البدع والمجاعة والحكومات والطاعون والفوضى " .

خروج المهدي من مكة ، وحتمية ظهور الدين الإسلامي من جديد :

وهو الأمر الذي يُرعب نصارى ويهود الغرب ويقضّ مضاجعهم ، وهو المبرّر الوحيد لحربهم الشعواء ، التي يشنّوها ضد الإسلام ومن يُمثّله ، دون كلل أو ملل ، بدفع من أحبار اليهود وكهنتهم ، في كواليس ودهاليز السياسة الغربية ، كما كانوا يُزيّنون لكفار قريش سوء أفعالهم ، في كواليس ودهاليز السياسة في مكة ، خوفا من ظهور أمر الدولة المحمدية الأولى ، وكنا قد أشرنا سابقا إلى بعض النصوص التوراتية الأصلية ، التي استطاع (نوستراداموس) من خلالها التنبؤ بهذا الأمر بنصوص صريحة لا لُبس فيها :

5-55 " من الجزيرة العربية السعيدة ... سيولد قائد مسلم كبير ... يهزم إسبانيا ويحتل غرناطة ... يصد المسلمون الصليب ... يخون البلاد واحد من قرطبة " .

5-25 " أمام الأمير العربي ، بعد الحرب الملكية الفرنسية ... تسقط مملكة الكنيسة في البحر ... يأتون من جهة فارس مليونا ... حين يستولي الشيطان على مصر واستنبول .

2-29 " سيُغادر الشرقي مقرّه ... يجتاز جبال الابينين ويدخل فرنسا ... يعبر الثلوج الخالدة (جبال الألب) ... ويضرب كل واحد بعصاه " .

9-100 " سيجري كسب المعركة البحرية ليلا ... يكون ذلك خراب الغـرب ... سـيكون ثمة ميثاق أحمر ، تتلطخ الكنيسة بالدم ... يشهد المهزوم إفلات النصر منه ويستشيط غضبا " .

2-93 " قريبا من نهر التيـبر ، تُهـدّد آلهة المـوت ... بعد فيضـان عظيم بقليل ... يقع البابا في الأسر ... يحرقون القصر والفاتيكان " .

ـ إذن يعلم الغربيون يهودا ونصارى ، مما جاء في كتبهم ، أن هنـاك قائد مسـلم كبـير ، هو نفس الأمير العربي والشرقي ، الذي سيولد في الجزيـرة العربية ، وأن هـذا القائد سينتصر في حروبه ، موحدا بذلك جميع دول العالم الإسلامي ، ومن ثم سيجتاح أوروبا كاملة ، بجيوشه الجرارة البالغة في نص (1) مليـون ، وفي نص آخر (200) مليـون مقاتل ، مسببا سقوط الحضارة المسيحية اليهودية واندثارها . لذلك تجد الغرب يسعى حثيثا ، لوأد أية بادرة تلوح في الأفق ، لإحياء الخلافة الإسلامية .

الصحوة الإسلامية :

يقول مؤلف الكتاب : إذا كانت أوروبا ، وفرنسا بوجه خاص ، بقيت بمنأى عن أي غــزو من جانب العالم العربي ، منذ أيام (شـارلمان) ، فـالحرب الكـبرى ستشـهد عـودتهم المؤذية ، هذا ما سـماه (نوسـترادامـوس) في الرسـالة إلى هـنري الثـاني ، " العـودة المحمدية الأولى " . حيث يقول (نوستراداموس) :

3-4 " حين سيقترب تمرّد المسلمين ، لن نكون بعيدين جدا عن هـذا وذاك ... الـبرد والقحط والخطر على الحدود ... حتى حيث بدأ الوحي الإلهي " .

4-39 " ... لأن إمبراطورية الهلال ستخرج من سباتها ... "

6-42 " ســيجري التخلي عن الســلطة للكلام الفتــان ... لإمبراطورية الهلال الــتي سـتفرض نفسـها ... وتمـدّ رايتها إلى ما فـوق الإيطـاليين ... سـتكون في يد شـخص يتظاهر بالحكمة " .

5-73 " سيتم اضطهاد كنيسة الله ... وتصادر الأبنية الدينية ... سـيُعري الولد أمه ... وسيتفق العرب مع البولنديين " .

10-33 " الجماعة القاســية ذات الـرداء الطويل (المســلمون) ... ســتأتي مخبئة خناجرها ... يسـتولي قائـدها على فلورنسا ومكـان اللهبة المزدوجة (روما) ... قائما بفتحه مع القتلة والحالمين " .

ـ تؤكد هذه النصوص ، أن الأمة الإسلامية ستنهض من سباتها ، وستفرض نفسها كدولة عظمى ، وعلى مساحة واسـعة من الأرض ، تشـمل أجـزاء من أوروبا الغربية ، ويُخـبر (نوستراداموس) بخبث ودهاء يهوديين ، بأنهم أي المسلمون الغادرون القسـاة القتلة ، سيضـطهدون كنيسة الله ، ويسـتولون على إيطاليا كلها . وهـذه إحـدى الصـور الـتي شكلتها النبـوءات التوراتية والإنجيلية ، عن الإسـلام والمسـلمين بشـكل عـام ، ويـدون استثناء لأي عربي أو مسلم ، حتى لو تنصّر . وهذه الصور أجاد في تشـويهها والتخويف منها ، والتحريض على محاربتها ، مفسّرو هذه النبوءات قديما وحـديثا ، حـتى أصـبحت من المسلمات العقدية لـدى عامة الغربـيين ، فلا عجب ولا غرابة ، من حمل الغربـيين لهذا العداء العقائدي المزمن للعرب والمسلمين ، فهذا ما يُخبرونهم به مفسّرو الكتاب المقدس ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، حسب اعتقادهم .

نزول عيسى عليه السلام وتسلّمه لمقاليد الحكم :

4-77 " إمبراطورية الهلال (المسلمون) ، وإيطاليا المسالمة (النصارى) ... يتحدّ فيهما الحُكمان ، على يد ملك العالم المسيحي (المسيح عليه السلام) ... " .

ـ هذا النص ، يؤكد عملية تسلّم عيسى عليه السلام للحكم من المهدي ، أما النصارى فليس لديهم استعداد ، لطرح أي تساؤل عن سبب اتحاد المسلمين (الكفار غير المؤمنين بألوهية المسيح) والنصارى ؟ ولماذا يتنازل خليفة المسلمين ، عن مقاليد الحكم للمسيح عليه السلام ، بعد أن يكون قد فرض سيطرته على العالم بأسره ؟ ولماذا لا يصلبه المسلمون ، وهم المتوحشون والغادرون والقتلة والقساة والإرهابيون ، كما صلبه اليهود المساكين الضعفاء ؟

نحن نعلم أن الناس قديما وحديثا ، كانوا وما زالوا ، يلجئون للعرافين والكهان ، لكشف الطالع ومعرفة أنباء الغيب ، كل حسب مآربه وغاياته ، ومنها الفضول وحب المعرفة ، ومنهم العوام وأكثرهم الملوك والرؤساء ، ولا غرابة عندما أقرأ يوما ، أن زوجة أحد رؤساء أمريكا المعاصرين ، وأظنه بوش الأب كانت تلجأ إليهم .

إن أخطر ما فعلته هذه الكتب ، هو أنها خلقت لدى نصارى الغرب ، عقائد جديدة مرتبكة ومشوهة ، فيما يتعلّق بشكل خاص بالمسلمين والعرب ، ودورهم القادم في دمار الحضارة الغربية المسيحية ، التي صنعتها اليهودية العالمية ، حتى أنستهم تعاليم المسيح نفسه ، التي ما زالت تدعوا إلى التسامح والتعايش السلمي ، بالرغم من إعادة صيغتها من قبل اليهوديين بولس وبطرس . مما خلق لديهم حالة من الرعب والقلق ، من كل ما هو إسلامي وعربي ، بمساعدة حثيثة من خبثاء اليهود ، الذين يؤمنون بأن استمرارية وجودهم وبقائهم ، ونجاح مخططاتهم الشيطانية ، تعتمد في الأساس على القضاء على الأديان ، التي يُحاربهم الله بها ، ويعلمون أن ألدّ أعدائهم هو القرآن العظيم ، الذي لا بد له في يوم من الأيام ، إن بقي الأمر على حاله ، ولم يتم مسحه من قلوب وعقول حملته ، ومسخ تعاليمه وتشويها كما شوّه آباءهم وأجدادهم التوراة والإنجيل ، سيبعث فيهم الحياة من جديد .

الحرب الشاملة 2006

هو عنوان لكتاب صدر في بريطانيا ، عام 1999م ، وعنوانه بالإنجليزية هو (Total War 2006) ، للكاتب البريطاني (سيمون بيرسون) ، الذي شغل منصب ، مساعد رئيس أركان الحرب البريطاني لشؤون السياسة ، وهذا الكتاب واحد من آلاف الكتب والأبحاث ، التي كادت أن تُصيب كبد الحقيقة ، لولا تضليل مؤلفي نصوص التوراة ، بتحريف الكلم عن مواضعه ، وتضليل الواقع ، مما أدى إلى الخلط بين الأحداث ، من حيث شخوصها وزمانها ومكانها .

* من مقال للكاتب محمد عارف ، من صحيفة الحياة اللندنية ، في النصف الثاني من عام 1999م .

" كل فصل من فصول الكتاب تقريبا ، يُستهل بقول للنبي ارميا ، ويستهلّ الفصل الأخير منه ، بأربع فقرات من سفر ارميا ، أخفها وقعاً : " أرضهم أضحت قفرا يبابا ، شارة للازدراء السرمدي ، ويهُزّ كل عابر فيها رأسه فزعا " . هذا ما ستُخلّفه الحرب الشاملة عام 2006 ، بين التحالف الإسلامي العظيم وروسيا من جانب ، والولايات المتحدّة من جانب آخر ، حيث تبدأ الأحداث بنشوب حرب البلقان مُجدّدا عام 2002 ،

واندلاع الحرب الكورية الثانية ، وثورات إسلامية تكتسح البلدان العربية ، وتوحّدها عام 2004 ، تحت راية صلاح دين جديد ، نصفه كردي ونصفه الآخر ألماني .

ويبلغ الباحث الاستراتيجي البريطاني الذروة ، عندما يتوقع الأحـداث السياسـية ، الـتي ستشـمل قيـام مملكة فلسـطين الإسـلامية ، وتضم الأردن ويقودها العاهل الأردني ، وثورة جديدة في روسـيا ، تـأتي بحكومة عسـكرية ، يُسـيطر عليها صـلاح الـدين ، من مقـرّه في مدينة قم الإيرانية ، وانتفاضـات مُتعاطفة مع الحلف الإسـلامي ، يشُـنّها متطرفون في مدن فرنسا وإيطاليا وبريطانيا . ولا يخلو الكتاب ، من صـور فوتوغرافية لحرب عام 2006 ، بينها صورة لآخر الأبطال الإسرائيليين الأحياء ، يقف تحت مُلصق جداري لحركة حماس .

وعندما تُقرّر السيدة رئيسة الولايات المتحـدة الأمريكية ، اللجـوء إلى السـلاح النـووي الشـامل ، تجد أن صـلاح الـدين ، اسـتبق تفكيرها مـرة أخـرى ، إنّه انفجـار السـلاح الكهرومغناطيسي ، الذي طوّره ألمع " علماء المسلمين " ، ليُضـيء السـماء ليلا على امتـداد المسـافة ، من قـبرص والإسـكندرية ، حـتى حـدود الأردن والحـدود السـورية العراقية ، حيث يُطلق هذا السـلاح الإسـلامي ، نبضا إلكترونيا جبـارا ينفذ من خلال كل شيء معدني ، في البنايات والأجهزة والعربات والدبابات والأسـلحة ، وتكمن قوته في قدرته على تدمير ، الـدارات الكهربائية المسـتخدمة في كل شـيء ، من الترانزيسـتور والكمبيوتر والتلفزيون ، إلى أجهزة الهاتف والاتصالات ، وأنظمة المصـانع والمختـبرات ، وحتى الطائرات والأقمار الاصطناعية والصواريخ الموجّهة . خلال لحظة تحـوّلت دولة التكنولوجيا الرفيعة (إسرائيل) ، إلى مجتمع العصر الحجري ، من دون معدات حرارة وإنارة وضخ مياه ونقل ، مُحاطة بجبل من الأدوات المعدنية والإلكترونية ، لعصر أصـبح فجأة غابرا " .

وعندما تُهدّد الرئيسة الأمريكية ، بشنّ الحرب النووية الشاملة ، يُجيبها صلاح الدين : " **بـأن كـلّ شـيء قد انتهى ، إسـرائيل انتهت كشـعب ، معظم سُـكّانها قد ماتوا ، مخزونها النـووي قد دُمّر ، ولن يشـكر التـاريخ الرئيسة ، لتسـبّبها في قتل مئات الألـوف ، وربما الملايين لأجل بلد خـاوٍ** " . كما ويبـدي صـلاح الدين استعداده ، في حال تراجع قوات حلف النـاتو ، الـتي تسـتعد للتحـرك ضـدّه من تركيا ، لوقف العمليات العسكرية ، لمشاهدة إسرائيل وهي تموت " .

تعقيب على الكتاب :

الملفت للنظر أن كثـير من البـاحثين ، في نصـوص النبـوءات التوراتية والإنجيلية ، هم ممن يشغلون مراكز حساسة ومرموقة ، في السـلك السياسي والعسـكري والـديني ، وهذا الكاتب هو أحدهم ، ولا يُعقل ألا تتأثر القرارات السياسية والعسكرية لهـؤلاء ، بما يحملونه من أفكـار ومعتقـدات ، تُشـكّل خطـرا على الأمن والاسـتقرار العـالمي ، ولا يُعقل ألا تؤثر أفكارهم ومعتقداتهم في قرارات رؤساء دولهم ، هـذا إن لم يكن رؤسـاء الدول أنفسهم (كريغان وبوش) يحملون هذه الأفكار والمعتقدات .

ـ تفصيل الأحداث بشخوصـها ومكانها وزمانها ، سنعرضه لاحقا في الفصـول الأخـيرة ، ولكن سنتوقف قليلا مع هذا الكتاب ، لنوضح ونصحّح بعضا من أحداثه وشخوصه :

1. صلاح الدين الجديد ـ كناية عن القائد الذي سيُنهي الوجود اليهودي في فلسـطين .
2. مملكة فلسطين الإسلامية ـ كناية عن الخلافة الإسلامية في القدس .

3. العاهل الأردني ـ كناية عن ملك القدس المنتظر ، أي المهدي الذي يعود بنسبه ، إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .
4. ثورات إسلامية تكتسح البلدان العربية ــ حروب المهدي لتوحيد البلدان العربية والإسلامية .
5. السلاح الكهرومغناطيسي ، ليُضيء السماء ليلا ــ شريعة الإسلام التي ستبعث من جديد بخلافة المهدي .
6. من قبرص والإسكندرية ، حتى حدود الأردن والحدود السورية العراقية ــ امتداد الدولة الإسلامية .
7. إنتاج السلاح الكهرومغناطيسي ــ ربما تكون صحيحة ، ولكن من الأرجح أنها فكرة ابتدعها الكتاب ، لتفسير الانتصار المقبل للعرب على إسرائيل وتدميرها ، رغم امتلاكها للتكنولوجيا العسكرية ، وأسلحة الدمار الشامل ، وتحالفها مع الغرب ، حسب رأيه . والحقيقة أن فلسطين لن يتم تدميرها ، لتصبح قفرا لا تصلح للسكن للأبد ، كما تُخبر النصوص التوراتية .
8. الدمار الموصوف - هو دمار لأمريكا لا فلسطين ، أما فلسطين فسيتم استعادتها بدون تدمير ، وهي التي ستكون أكثر البلدان ، أمانا وطمأنينة خلال الأحداث القادمة ، وستكون بمنأى ، عن ضربات أسلحة الدمار الشامل ، بإذن الله ، حيث قُسم لها بعد تلك الأحداث ، أن تكون عاصمة الخلافة الإسلامية .

حقيقة ما وقع فيه هذا الكاتب ، أنه قام ببناء هرم نبوءاته على أساس ، صحة النصوص التوراتية ، إذ أنه لا يعلم أن كتبة التوراة ، قاموا ببعثرة وجمع ، ثلاثة أخبار نبوية ، متباعدة ومتتابعة ، في نصوص مرتبكة ومضطربة ، ليظنّ الكاتب أنها تحكي حدثا نبويا واحدا . وهذه الأخبار النبوية الثلاثة بالترتيب هي ؛ أولا : الغزو العراقي لإسرائيل ، وثانيا : تحالف الروس والعرب ضد الغرب في الحرب العالمية الثالثة ، بعد سقوط الدولة اليهودية ، وثالثا : خروج المهدي من مكة ، واتخاذ القدس عاصمة لخلافته الممتدة ، من النيل إلى الفرات ، ومن تركيا إلى اليمن .

ولاحظ هنا ، أن مؤلف هذا الكتاب ، كان قد شغل منصب ، مساعد رئيس أركان الحرب البريطاني ، ولشؤون السياسة أيضا ، ونحن هنا لا نطرح تكهنات أو تخرّصات ، حول معتقداتهم بالنسبة لنا كمسلمين وعرب ، فهذا ما يعتقدون ويؤمنون به ، ويطرحونه في كتبهم ، والتي هي من أكثر الكتب مبيعا في بلدانهم ، وأن هذا المؤلف وغيره الكثير ، من الذين يحملون هذه الأفكار ، كانوا في الأمس القريب جدا ، يشتركون في صنع القرارات الخاصة بالمنطقة ، ولو اطلعت على غزارة إنتاجهم في هذا المجال ، لا شكّ أنك ستصاب بالذهول ، مما يطرحونه من أفكار وقناعات جنونية ومرعبة ، يُقدّمونها لشعوبهم على أنها مسلمات ، وستصاب بالذهول لغفلة أمتنا عما يحملونه من عقائد وقناعات ، وما يقترفونه بناءً عليها من سياسات ، يُحيكونها تحت ستر الظلام ، في كواليس السياسة الغربية ، وينفذونها على أرض واقع أمتنا ، ونشاركهم نحن أيضا في تنفيذها ، بعد أن يُقدّموها لنا ، في غلاف من ورق السولفان الملون ، الذي يكشف من خلال شفافيته وسخافته ، حقيقة أهدافهم البشعة ، والمشبعة بالحقد على أمة القرآن ، التي تخلّت عنه طوعا لا كرها ، منذ أمد ليس بالقصير ، ولكن ذلك لا ولن يرضيهم ، حتى يُحقّقوا كامل أحلامهم وأمانيهم ، ويُتخلّصوا من كامل مخاوفهم وهواجسهم ، التي لن تزول ، إلا بزوال هذه الأمة عن وجه الأرض ، التي وعدها ربها بالبقاء حتى تقوم الساعة ، ولذلك عاجلا أم آجلا ، ستقودهم

أوهـامهم وهواجسـهم ، إلى تـدمير أنفسـهم ، بكسب مزيد من الأعـداء والأحقـاد ، من جراء تخبطهم الأعمى ، وسيرحلوا قريبا جدا ، إلى غير رجعة ، وسيرث الصــالحون من هذه الأمة الأرض بأسـرها ، بـإذن الله ، (... **إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** (128 الأعراف) .

قال تعالى

(**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى ، حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ، بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (120)

(البقرة)

السياسة الأمريكية ونبوءات التوراة والإنجيل

ستناول في هذا الفصل ، مسألة تأثير نبوءات التوراة والإنجيل ، على القرارات السياسة الأمريكية ، وخاصة ما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط ، لنفهم أبجديات هذه السياسة المنحازة لإسرائيل ، والمعادية للعرب والمسلمين بشكل عام ، والتي اجتهد الكثير من المحللين في تفسيرها وتحليل دوافعها . وخير من تعرّض لهذه المسألة ، وأفاض في بحثها هي الكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) في كتاب (النبوءة والسياسة) ، وهو من منشورات (الناشر للطباعة) ، ط3 1990م ، ترجمة محمد السمّاك .

ملخص مقدّمة المترجم (بتصرف) :

يمثل العالم العربي موقعا متميزا وفريدا من نوعه ، في عملية صنع القرار السياسي الأمريكي ، فبالإضافة إلى أهمية موقعه الجغرافي ، وكونه سوقا تجارية استهلاكية ، ويملك أكبر احتياطي من النفط ، فإن هناك عامل آخر ، يتقدم على كل هذه العوامل ، وهو تأثير الفكر المسيحي الديني ، على صياغة القرار الأمريكي ، المتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي . حيث نشأ في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن الماضي ، ما يسمى بالصهيونية المسيحية الإنجيلية القائمة على اعتناق ثلاثة مبادئ :

أولا : الإيمان بعودة المسيح ،

ثانيا : أن عودته مشروطة بقيام دولة إسرائيل ،

ثالثا : وبالتالي تجمّع اليهود في فلسطين .

وقد لعب هذا الأمر دورا أساسيا ، في صناعة القرار الخاص بقيام إسرائيل ، وتهجير اليهود إليها ومن ثم دعمها ومساعدتها ، وإعفاءها من الانصياع للقوانين والمواثيق الدولية . وأن شريعة الله وحدها - التوراة – التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين ، بما أنهم شعب الله المختار .

ونتيجة لهذه المعتقدات ، ظهر الكثير من الحركات الدينية المسيحية الإنجيلية الأصولية ، في بريطانيا والولايات المتحدة ، وأهم وأخطر هذه الحركات هي (الحركة التدبيرية) ، التي نشأت في الولايات المتحدة ، بعد قيام دولة إسرائيل . وتضمّ في عضويتها أكثر من أربعين مليون أمريكي ، لحظة تأليف هذا الكتاب في أواسط الثمانينيات ، ومن بين أعضائها الرئيس الأمريكي آنذاك (رونالد ريغان) وهي تسيطر على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأمريكية ، وتمتلك محطات تلفزة خاصة بها ، ويشارك قادتها ، كبار المسؤولين في البيت الأبيض ، ومجلس الأمن القومي الأمريكي ، ووزارة الخارجية في صناعة القرارات السياسية والعسكرية ، المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي .

ـ وتعتقد هذه الحركة أنّ الله قد وضع في الكتاب المقدس ، نبوءات واضحة ، حول كيفية تدبيره لشؤون الكون ونهايته ، كما يلي :

1. قيام إسرائيل وعودة اليهود إليها .

2. هجـوم أعـداء الله على إسـرائيل ووقـوع محرقة هرمجـدون النووية (وأعـداء إسرائيل هم الروس والعرب ، وعلى مـدى أوسع هم الشـيوعيون والمسـلمون بشـكل عام) .
3. انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين .
4. ظهور المسيح المخلص وتخليصه لأتباعه (أي المؤمنين به) من هذه المحرقة .
5. إيمان من بقي من اليهود بالمسيح بعد المحرقة .
6. انتشار السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة مدة ألف عام .

- وأن مهمة أعضـاء هـذه الحركة وأتباعها ، هي تـدبير وتهيئة - وكـأنّ الله قد أوصـاهم بذلك - كل الأمـور الـتي من الممكن ، أن تعجّل في عـودة المسـيح إلى الأرض ، ومن ضمن تلك الأمور :

أولا : ضرورة إضعاف العرب عسكريا ،

وثانيا : تلبية جميع مطالب إسرائيل بالدعم المالي والسياسي والعسكري ،

وثالثا : تعزيز ترسانتها النووية .

مقتطفات من مقدمة الكاتبة :

تؤكد الكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) ، أن بذور هذه المُعتقـدات المُـدمّرة ، نشـأت في نهاية القرن التاسع عشر . وكان رائد هذا الاتجاه ، في تفسـير الكتـاب المُقـدّس ، هو (سـايروس سـكوفيلد) ، وقد طُبع أول مرجع إنجيلي له عـام 1909م ، زرع فيه آراءه الشخصية في الإنجيل ، وصار أكثر الكتب المتداولة حول المسيحية . وبدأت هذه المُعتقدات في الظهور وتعزّزت ، عندما تتابعت انتصارات إسرائيل ، على دول الجـوار العربية ، وبلغت ذروتها بعد الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان .

تقول ، وفي إحدى المناسبات كان (سكوفيلد) يذكّر مُستمعيه بأنه : " عام بعد عـام ، كان يُردّد التحـذير بـأن عالمنا ، سيصل إلى نهايته بكارثة ودمـار ومأسـاة عالمية نهائية " . ولكنه يقـول أيضا : " أن المسـيحيين المُخلّصـين ، يجب أن يُرحّبـوا بهـذه الحادثة ، لأنه مُجرّد ما أن تبدأ المعركة النهائية ، فإن المسـيح سـوف يـرفعهم فـوق السـحاب ، وسيُنقذون ، وأنهم لن يُواجهوا شيئا من المعاناة ، التي تجري تحتهم " .

وتقول " بالرغم من أن بعض الأصوليين ، لم يتقبّلوا هـذه الفكـرة ، إلا أنها تسـبّبت في انقسـام كبـير . فهنـاك مؤشر إلى أن أعـداد المسـيحيين الـذين يتعلّقـون بنظرية (هرمجـدون) في تزايد مُضـطرد . فهُم مثل سـكوفيلد ، يعتقـدون أن المسـيح ، وعد المسـيحيين المُخلّصـين ، بسـماء جديـدة وأرض جديـدة . وبما أن الأمر كـذلك ، فليس عليهم أن يقلقوا حول مصير الأرض ، فليذهب العالم كلّه إلى الجحيم ، ليُحقّق المسيح للقلّة المُختارة ، سماءً وأرضا جديدتين " .

" إن استقصـاء عـام 1984م ، الـذي أجرته مؤسسة (بـاتكيلو فيتش) أظهر أن 39 بالمائة من الشعب الأمريكي ، يقولـون ، أنه عنـدما يتحـدّث عن تـدمير الأرض بالنـار ، فإن ذلك يعني ، أننا نحن أنفسنا سوف نُدمّر الأرض ب (هرمجدون) نووية . وأظهرت دراسة لمؤسسة (نلسن) نُشـرت في أكتـوبر 1985م ، أن 61 مليـون أمـريكي

يستمعون بانتظام إلى مُبشّرين ، يقولون أننا لا نستطيع أن نفعل شيئا ، لمنع حرب نووية تتفجر في حياتنا " .

ـ ومن أكثر الأصوليين الإنجيليين شهرة ، من الذين يُبشرون على شاشة التلفزيون بنظرية (هرمجدون) :

1. بات روبرتسون : يملك شبكة تلفزيونية مسيحية ، مكونة من ثلاث محطات ، عائداته السنوية تصل إلى 200 مليون دولار ، ومساهم في محطة تلفزيون الشرق الأوسط في جنوب لبنان ، يشاهد برامجه أكثر من 16 مليون عائلة أمريكية .
2. جيمي سواغرت : يملك ثاني أكبر المحطات الإنجيلية شهرة ، يُشاهد برامجه ما مجموعه 9,25 مليون منزل .
3. جيم بيكر : يملك ثالث أشهر محطة تبشيرية ، عائداته السنوية تصل إلى 50-100 مليون دولار ، يُشاهد برامجه حوالي 6 ملايين منزل ، يعتقد أن علينا أن نخوض حربا رهيبة ، لفتح الطريق أمام المجيء الثاني للمسيح .
4. أورال روبرتس : تصل برامجه التلفزيونية إلى 5,77 مليون منزل .
5. جيري فولويل : تصل دروسه التبشيرية إلى 5,6 مليون منزل ، يملك محطة الحرية للبث بالكابل ، أقام بعد شرائها بأسبوع ، حفل عشاء على شرف جورج بوش نائب الرئيس ريغان آنذاك . وقد أخبر فولويل يومها بأن جورج بوش ، سيكون أفضل رئيس في عام 1988م .
6. كينين كوبلاند : يُشاهد برامجه 4,9 مليون منزل . يقول : " أن الله أقام إسرائيل . إنّنا نُشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل ... إنه لوقت رائع أن نبدأ في دعم حكومتنا ، طالما أنّها تدعم إسرائيل ... إنه لوقت رائع أن نُشعر الله ، مدى تقديرنا لجذور إبراهيم " .
7. ريتشارد دي هان : يصل في برنامجه إلى 4,75 مليون منزل .
8. ريكس همبرد : يصل إلى 3,7 مليون منزل ، وهو يُبشّر بتعاليم سكوفيلد التي تقول : " أن الله كان يعرف منذ البداية الأولى ، أننا نحن الذين نعيش اليوم ، سوف نُدمّر الكرة الأرضية " .

وتعقّب الكاتبة بقولها : " لقد ذكرت ثمانية من الذين يٌقدّمون البرامج الدينية ، ويُبشّرون بنظرية هرمجدون نووية في الإذاعة والتلفزيون ، ومن بين 4 آلاف أصولي إنجيلي ، ... هناك 3 آلاف من التدبيريين ، يعتقدون أن كارثة نووية فقط ، يمكن أن تُعيد المسيح إلى الأرض . إن هذه الرسالة تُبث عبر 1400 محطة دينية في أمريكا . ومن بين ألف قسّيس إنجيلي ، يذيعون يوميا برامج من خلال 400 محطة راديو ، فإن الأكثرية الساحقة منهم من التدبيريين " . وتقول : " أن بعض هؤلاء القساوسة ، ورؤساء الكنائس ، هم من القوة بحيث يظهرون كالملوك في مناطقهم " .

والرسالة التي يُرسلها هؤلاء على الدوام هي : " لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ، وأن أي تبشير بالسلام ، قبل هذه العودة هو هرطقة (تخريف وكفر) ، إنه ضد كلمة الله (ضد ما جاء في الكُتب المقدسة) ، إنه ضد المسيح " . وهذا ما يقوله أيضا (جيم روبرتسون) التلفزيوني الإنجيلي الذي دعاه الرئيس (ريغان) ، لإلقاء صلاة افتتاح المؤتمر الحزب الجمهوري عام 1984م .

كتاب (آخر أعظم كرة أرضية) ومؤلفه (هال لندسي) :

تقول الكاتبة أن هذا الكتاب ، أصبح الأكثر مبيعا خلال السبعينات ، حيث بيع منه حوالي 18 مليون نسخة ، وفي تعليقها على هذا الكتاب ومؤلفه ، تقول " أن المؤلف يفسّر كل التاريخ ، قائلا أن دولة إسرائيل ، هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل " .

(ومن هنا يأتي تقديس النصارى الأمريكان لإسرائيل ، فضلا عن اليهود ، ولاحظ أن هذا الكتاب ، قرأه ما لا يقل عن 18 مليون أمريكي ، في بداية صدوره ، أما الآن فربما قد قرأه معظم الشعب الأمريكي ، وخطورة هذا الكتاب تنبع من كون الأفكار والمعتقدات التي أوردها المؤلف ، منسوبة إلى الله ، كما أوضح في كتابه المقدّس لديهم) .

" ويقول لندسي : أن الجيل الذي وُلد عام 1948م ، سوف يشهد العودة الثانية للمسيح . ولكن قبل هذا الحدث ، علينا أن نخوض حربين ، الأولى ضد يأجوج ومأجوج (أي الروس) ، والثانية في هرمجدون . والمأساة ستبدأ هكذا : كل العرب بالتحالف مع السوفييت (الروس) ، سوف يُهاجمون إسرائيل " .

(وهذا تحذير من ، وتحريض للغرب النصراني ، لمعاداة العرب المسلمين والروس الشيوعيين)

وتقول الكاتبة بعد مقابلتها للمؤلف : " أن لندسي لا يبدو عليه الحزن ، عندما يُعلن : أن كل مدينة في العالم ، سيتم تدميرها في الحرب النووية الأخيرة ، وتعقّب الكاتبة : تصوّروا أن مُدنا مثل لندن وباريس وطوكيو ، ونيويورك ولوس أنجلوس وشيكاغو وقد أُبيدت " .

ويقول لندسي : " إن القوة الشرقية سوف تُزيل ثلث العالم ... عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريبا قد قُتل ، ستحين ساعة اللحظة العظيمة ، فيُنقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل (الفناء) " .

ويُتابع لندسي : " وفي هذه الساعة سيتحول اليهود ، الذين نجوا من الذبح إلى المسيحية ... سيبقى 144 ألف يهودي فقط ، على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون " .

(إذن يجب ألا يكترث نصارى الغرب ، بنشوب حرب عالمية نووية ثالثة مدمرة ، ما دامت مجمل ضحايا هذه الحرب ، ستكون من المسلمين واليهود وبقية الوثنيين في الشرق ، غير المؤمنين بألوهية المسيح ، بل عليهم أن يستعجلوا نشوبها ، بالعمل على تسريع المواجهة بين الشرق والغرب ، حتى يعود للأرض مرة ليُنقذ البشرية النصرانية فقط ، من الاندثار الكامل " .

وقفة مع المُبشّر الإنجيلي (جيري فولويل) :

بعد عرضه لنظرية هرمجدون مستخدما الأدلة التوراتية والإنجيلية . تقول الكاتبة بعد حضورها للعرض : " رسم فولويل صورة مُرعبة عن نهاية العالم ، ولكنه لم يبدُ حزينا أو حتى مهتمّا . في الواقع أنهى عظته بابتسامه كبيرة ، قائلا : ما أعظم أن نكون مسيحيين ! إن أمامنا مُستقبلا رائعا " .

وفي إحدى تسجيلاته يقول :

" وهكذا ترون أن هرمجدون حقيقة ، إنها حقيقة مُركّبة . ولكن نشكر الله لأنها ستكون نهاية العامة ، لأنه بعد ذلك سيكون المسرح مُعدّا ، لتقديم الملك الرب المسيح ، بقوة وعظمة ... إنّ كل المُبشّرين بالكتاب المُقدّس ، يتوقّعون العودة الحتمية للإله ... وأنا نفسي أُصدّق ، بأننا جزء من جيل النهاية ، الذي لن يُغادر قبل أن يأتي المسيح " .

" ومنذ 2600 سنة تنبأ النبي العبراني حزقيال ، أن أمة ستقوم إلى الشمال من فلسطين ، قبل وقت قصير من العودة الثانية للمسيح ... في الفصلين 38 و 39 من حزقيال ، نقرأ أن اسم هذه الأرض هو روش . ويذكر أيضا اسم مدينتين هما ماشك وتوبال ... إن هذه الأسماء تبدو مُشابهة بشكل مُثير ، لموسكو وتيبولسك ، العاصمتين الحاكمتين اليوم في روسيا ... وكذلك كتب حزقيال ، أن هذه الأرض ستكون مُعادية لإسرائيل ، وأنه من أجل ذلك سيكون ضدها . وقال أيضا أن روسيا ، سوف تغزوا إسرائيل بمساعدة حُلفاء مُختلفين ، في الأيام الأخيرة ... وقد سمّى هؤلاء الحلفاء : إيران (التي كنا نُسميها فارس) ، وجنوب إفريقيا أو إثيوبيا ، وشمال إفريقيا أو ليبيا ، وأوروبا الشرقية (جومر) ، والقوقاز جنوب روسيا (توجرمة) " .

" بالرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماما ، التي أبدتها حكومتنا ، حول اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ، إلا أن هذه الاتفاقية لن تدوم . إننا نصلي بالفعل من أجل السلام في القدس ... إننا نحترم كثيرا رئيسيّ حكومتيّ إسرائيل ومصر ... ولكن أنت وأنا نعرف أنه ، لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط ، إلى أن يأتي يوم ، يجلس فيه الإله المسيح ، على عرش داود في القدس " .

وفي كتابه (الحرب النووية والمجيء الثاني ...) ، في فصل الحرب القادمة مع روسيا ، يتنبأ (فولويل) بغزو سوفييتي لإسرائيل ... وفي نهاية المعركة سيسقط خمس أسداس الجنود السوفييت ، وبذلك يبدأ أول احتفال للرب . ويجري احتفال آخر بعد معركة هرمجدون ... وسيتوقف التهديد الشيوعي إلى الأبد ، وسيستغرق دفن الموتى مدة 7 أشهر .

الرئيس الأمريكي (ريغان) كان أحد فرسان هرمجدون النووية :

تقول الكاتبة : " كان (رونالد ريغان) واحدا ، من الذين قرءوا كتاب (آخر أعظم كرة أرضية) ... في وقت مبكر من عام 1986م ، أصبحت ليبيا العدو الأول (لريغان) ... واستنادا إلى (جيمس ميلز) ، الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا ، فإن (ريغان) كره ليبيا ، لأنه رأى أنها واحدة من أعداء إسرائيل ، الذين ذكرتهم النبوءات ، وبالتالي فإنها عدو الله " .

" وعندما كان (ريغان) مرشحا للرئاسة عام 1980م ، كان يُواصل الحديث عن هرمجدون ، ومن أقواله : " إن نهاية العالم قد تكون في متناول أيدينا ... إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيشهد هرمجدون " .

" إن معظم المؤمنين (بالتدبيرية) ، ينظرون إلى روسيا على أنها شيطانية ، وأنها تُمثّل إمبراطورية الشيطان . ولقد جاهر (ريغان) بذلك في 8 / 3 / 1983م ، عندما قال : " إن الاتحاد السوفييتي هو حجر الزاوية في العالم المعاصر " . " إنني أؤمن أن الشيوعية ، فصل حزين وسيئ في التاريخ الإنساني ، الذي يكتب الآن صفحاته الأخيرة " .

وتقول الكاتبة : يقول (جيمس ميلز) في مقال صحفي : " إن استعمال (ريغان) لعبارة إمبراطورية الشيطان ... كان إعلانا انطلق من الإيمان الذي أعرب لي عنه ،

في تلك الليلة عــام 1971م ... إن (ريغــان) كــرئيس أظهر بصــورة دائمة ، التزامه القيام بواجباته ، تمشيا مع ارادة الله ... إن (ريغان) كان يشعر بهذا الالــتزام خصّيصا ، وهو يعمل على بناء ، القدرة العسكرية للولايات المتحدة وحلفائها ...

... صحيح أن حزقيـال تنبأ بانتصـار إسـرائيل وحلفائها ، في المعركة الرهيبة ضد قـوى الظلام ، إلا أن المسيحيين المحافظين مثل رئيسنا ، لا يسمح لهم التطـرف الـروحي ، بأن يأخذوا هذا الانتصار كمُسلّمات . إن تقوية قوى الحقّ لتربح هذا الصراع المهم ، هو في عيـون مثل هـؤلاء الرجـال ، عمل يُحقّق نبـوءة الله انسـجاما مع إرادته السـامية ، وذلك حتى يعود المسيح مرّة ثانية ...

... وبالتأكيد فـإن توجهه بالنسـبة للإنفـاق العسـكري ، وبرودته اتجـاه مُقترحـات نـزع السلاح النـووي ، متفقة مع وجهة نظـره هـذه ، الـتي يسـتمدّها من سـفر الرؤيا ... إن هرمجدون التي تنبأ بها حزقيال ، لا يُمكن أن تحدث في عـالم مـنزوع السـلاح . إن كل من يؤمن بحتمية وقوعها ، لا يُمكن توقع تحقيقه لنزع السلاح . إن ذلك يُنـاقض مشـيئة الله كما وردت على لسانه ...

... إن سياسات الرئيس (ريغان) الداخلية والمالية ، مُنسجمة مع التفسـير اللفظي ، للنبـوءات التوراتية والإنجيلية . فلا يوجد أي سـبب للغضب من مسـألة الـدَيْن القـومي الأمريكي ، إذا كان الله سيطوي العالم كلّه قريبا " .

وتقـول الكاتبة : " وبنـاء على ذلك ، فـإن جميع الـبرامج المحلية ، الـتي تتطلب إنفاقا كبيرا ، يمكن بل يجب أن تُعلّق من أجل توفير المال ، لتمويل بـرامج تطـوير الأسـلحة النووية ، من أجل إطلاق الحمم المُدمّرة على الشياطين ، أعـداء الله وأعـداء شـعبه ، وأضاف ميلز :

" لقد كان (ريغان) على حق عندما اعتقد أن أمامه فرصة أكبر ، لينفق المليارات من الدولارات ، استعدادا لحرب نووية مع يـأجوج ومـأجوج ، لو كـان معظم الشـعب الـذي أعاد انتخابه ، يؤمن كما أخـبرني ، بما يـؤمن هو به ، بالنسـبة (لهرمجـدون) والعـودة الثانية للمسيح " .

وتقـول نقلا عن كتـاب (سـاحات المعـارك النووية) : " أن أمريكا تملك في الـداخل 14500 رأس نـــــووي ، موزعة على 40 ولاية ، وتملك : 3396 في ألمانيا ، و 1268 في بريطانيا ، و 549 في إيطاليا ، و 489 في تركيا ، و 164 في اليونـان ، و 151 في كوريا الجنوبية ، و 81 في هولندا ، و 25 في بلجيكا " .

ونقلا عن صحيفة واشنطن بوست ، تقـول : " أن الإدارة الأمريكية ، اقـترحت مواصـلة البناء العسكري في السنوات الخمس المُقبلة . وأن الإنفاق على مشاريع وزارة الدفاع ، يُشـير إلى ارتفـاع من 258.4 مليـار دولار عـام 1986م ، إلى 356.6 مليـار عـام 1991م " .

الإنجيليون الأصوليون يؤمنون بأكاذيب التوراة أكثر من اليهود أنفسهم :

في لقاء للكاتبة مع محام فلسطيني مسيحي بروتسـتنتي إنجيلي ، يعمل في القـدس ، بعد أن عاد من أمريكا ليعيش في فلسـطين ، في معـرض ردّه على سـؤال ، عن رأيه في الحجّاج الأمريكيين ، الذين يُنظّمهم المُبشّر (فولويل) لزيارة أرض المسيح ، قـال :

" بالنسبة للإنجيليين الأصوليين مثل (فولويل) ، فإن الإيمان بإسرائيل يتقدم على تعاليم المسيح . إن الصهاينة يُفسدون تعاليم المسيح . إن صهيونية (فولويل) سياسية لا علاقة لها ، بالقيم أو الأخلاق أو بمواجهة المشاكل الحقيقية . إنه يدعو أتباعه إلى تأييد إسرائيل ، ويطلب من دافع الضرائب الأمريكي ، أن يُقدّم لإسرائيل 5 مليار دولار كل سنة . إذ أنه يؤكد لأتباعه وبما أنهم مؤيدون للصهيونية ، فهم على الطريق الصحيح ، وفي الجانب الرابح دوما ...

وفي الواقع فإن مسيحيين مثل (فولويل) ، يُوفّرون للإسرائيليين الدافع للتوسع ومصادرة المزيد من الأراضي ، ولاضطهاد مزيد من الشعوب ، لأنهم يدّعون أن الله إلى جانب إسرائيل ، وأن العم سام راغب في التوقيع على الفاتورة ...

إن الإسرائيليين ، يعرفون أن مسيحيين جيدين ومؤثرين مثل (فولويل) ، يقفون معهم على الدوام ، بغض النظر عما يفعلون أخلاقيا ومعنويا . ومهما بلغوا من القمع ، فإن الإسرائيليين يعرفون أن الصهيونيين المسيحيين الأمريكيين معهم ، ويرغبون في إعطائهم الأسلحة ومليارات الدولارات ، وسيُصوّتون إلى جانبهم في الأمم المتحدّة " .

المُبشر (فولويل) والترويج لإسرائيل سياسيا :

في بحث قام به اثنان من الأساتذة الجامعيين عن حياة (فولويل) ، يؤكد د. (غودمان) أن (فولويل) تحوّل من الوعظ الديني ، إلى الوعظ السياسي المؤيد للدولة الصهيونية ، بعد الانتصار العسكري الإسرائيلي في عام 1967م . حيث أن هذا الانتصار المُذهل ، كان له تأثير كبير على العديد من الأمريكيين ، في الوقت الذي كان فيه شعور الهزيمة والخيبة ، يُخيّم على الكثير من الأمريكيين من جرّاء الحرب الفيتنامية ، ومن هؤلاء كان (فولويل) الذي نظر إلى الأمر بطريقة مختلفة ، حيث قال : أن الإسرائيليين ، ما كانوا لينتصروا لو لم يكن هناك تدخّل من الله .

ونتيجة لذلك بدأ الإسرائيليون باستخدام (فولويل) في السبعينيات ، لتحقيق أغراضهم ومطالبهم ، وتأييد سياساتهم لدي الشعب والساسة الأمريكان ، وفي خطاب له عام 1978م في إسرائيل ، قال : " إن الله يُحب أمريكا ، لأن أمريكا تُحب اليهود " . وفي مناسبات عديدة كان يقول للأمريكيين : " إن قدر الأمة يتوقف على الاتجاه ، الذي يتخذونه من إسرائيل ... وإذا لم يُظهر الأمريكيون ، رغبة جازمة في تزويد إسرائيل بالمال والسلاح ، فإن أمريكا ستخسر الكثير " . وقد قامت وسائل الإعلام الصهيونية بإبرازه وتلميع صورته ، ليصبح شخصية سياسية وإعلامية مرموقة على الساحة الأمريكية ، لدرجة أن الرئيس (ريغان) رتب له حضور اجتماع مجلس الأمن القومي (البنتاغون) ، ليستمع ويُناقش كبار المسؤولين فيه ، حول احتمال نشوب حرب نووية مع روسيا .

يُتابع د. (غودمان) : " في عام 1981م ، عندما قصفت إسرائيل المفاعل النووي قرب بغداد ، تخوّف (بيغن) من رد فعل سيّء في الولايات المُتحدّة . ومن أجل الحصول على الدعم ، لم يتصل بسيناتور أو كاهن يهودي ، إنما اتصل (بفولويل) ... وقبل أن يُغلق سماعة الهاتف ، قال (فولويل) (لبيغن) : " السيد رئيس الوزراء ، أريد أن أهنئك على المهمة ، التي جعلتنا فخورين جدا بإنتاج طائرات ف 16 " .

وقال د. (برايس) : " إن أي عمل عسكري قامت أو ستقوم به إسرائيل ، تستطيع أن تعتمد فيه على دعم اليمين المسيحي " .

هــدم المســجد الأقصى وبنــاء الهيكل ، مطلب إلهي منصــوص عليه فيه التوراة ، كما يعتقد مسيحيو الغرب ، فضلا عن يهود الشرق والغرب :

أثناء رحلة الحج الثانية للكاتبة ، وفي لقاء مع أحد مستوطني مُستعمرة (غوش أمونيم) - مُعقبة على قوله - قالت له : إن بناء هيكل للعبادة شيء ، وتـدمير المســجد شـيء آخر ، فمن الممكن ، أن يُـؤدي ذلك إلى حـرب بين إســرائيل والعـرب ، فـردّ قـائلا : " تماما ، هذا ما نُريده أن يحدث ، لأننا سوف نربحها ، ومن ثم سنقوم بطرد العــرب من أرض إسرائيل ، وسنُعيد بناء الهيكل ، وننتظر مسيحنا " .

تقول الكاتبة : " لقد زرت قبة الصخرة ، وهي واحدة من أجمل الصـروح في العـالم – والتي تُقارن بجمال تـاج محل – وقد تم بناؤها عـام 685م ، بـأمر من الخليفة الأمـوي عبد الملك بن مروان ، وهو البناء الأجمل في القدس " . وتقول : " على الرغم من أن المســيح ، دعا إلى إقامة المعابد في النفس ، فـإن الأصـوليين المسـيحيين ، يُصـرّون على أن الله ، يُريد أكـثر من بنــاء معبد روحي ، إنه يُريد معبــدا حقيقيا من الإســمنت والحجارة ، يُقام تماما في الموقع الذي توجد فيه الصروح الإسلامية " .

وتقــول الكاتبة : " قــال زميل لي في الجولة : " إنــني أعتقد أن الإرهــابيين اليهــود ، ســوف ينســفون الأمــاكن الإســلامية المُقدّسة . وأن ذلك سيتســبّب في إثـارة العــالم الإســلامي ، ودفعه إلى شــنّ حــرب مُقدّسة على إســرائيل ، مما يحمل المســيح على التــدخل . يعتقد اليهــود أن المســيح ســيأتي للمـرة الأولى ، ونحن كمســيحيين نعلم أن عودته ستكون الثانية ، وأنا واثق من أنه سيكون هناك هيكل يهودي ثالث " .

ويقول (لندسي) في كتاب (آخر أعظم كرة أرضية) : " لم يبق ســوى حــدث واحد ، ليكتمل المسرح تماما أمام إسرائيل ، لتقوم بـدورها في المشـهد العظيم الأخـير ، من مأساتها التاريخية ، وهو إعادة بناء الهيكل القديم ، في موقعه القديم . ولا يوجد ســوى مكان واحد ، يمكن بناء الهيكل عليه ، استنادا إلى قانون موسى ، في جبل موريا حيث الهيكلان السابقان " .

نشأة المسيحية الصهيونية :

تقــول الكاتبة : " أواخر أغســطس 1985م ، ســافرت من واشــنطن إلى سويســرا ، لحضـور المـؤتمر المسـيحي الصـهيوني الأول في بـازل ، برعاية السـفارة المسـيحية العالمية في القدس ، لأتعـرّف على خلفية الصـهيونية السياسـية ... في أحد مقـررات المــؤتمر حثّ المســيحيون إســرائيل ، على ضم الضــفة الغربية ، بســكانها المليــون فلسطيني ... فاعترض يهـودي إســرائيلي : بـأن ثلث الإســرائيليين ، يُفضـلون مقايضة الأراضي المحتلة ، بالسلام مع الفلسطينيين ... فردّ عليه مقرر المؤتمر : " إننا لا نهتم بما يُصـوّت عليه الإســرائيليون ، وإنما بما يقوله الله . والله أعطى هـذه الأرض لليهـود " .

وتقول : " كان تقديري أنه من بين 36 ساعة ... فإن المســيحيين الـذين أشـرفوا على المـؤتمر ، خصصـوا 1% من الـوقت لرسـالة المسـيح وتعاليمه ، وأكـثر من 99% من الــوقت للسياسة . ولا يُوجد في الأمر ما يُثـير الاســتغراب ، ذلك أن المشــرفين على المــؤتمر ، بــرغم أنهم مســيحيون فهم أولا وقبل كل شــيء صــهاينة ، وبالتــالي فــإن اهتمامهم الأول هو الأهداف الصهيونية السياسية " .

وفي بحثها عن أصل الصهيونية السياسـية ، الداعية إلى عـودة اليهـود إلى فلسـطين ، تؤكد الكاتبة أن (ثيودور هرتزل) لم يكن أصلا صاحب هذه الفكرة ، وإنما كــان دُعاتها

هم المســيحيون البروتســتانت (ذوي الأغلبية في أمريكا وبريطانيا الآن) ، قبل ثلاث قرون من المؤتمر الصهيوني الأول . حيث ضمّ لوثر زعيم حركة الإصلاح الكنسي ، في القرن السادس عشر ، توراة اليهود إلى الكتـاب المقـدّس ، تحت اسم العهد القـديم . فأصـبح المسـيحيون الأوربيـون يُبـدون اهتماما أكـبر بـاليهود ، وبتغيـير الاتجـاه السـائد المُعادي لهم في أوروبا .

وتقـول الكاتبة : " توجه البروتسـتانت إلى العهد القـديم ، ليس فقط لأنه أكـثر الكتب شهرة ، ولكن لأنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام . وبذلك قلّصوا تاريخ فلسـطين ما قبل المسـيحية ، إلى تلك المراحل الـتي تتضـمّن فقط الوجـود العـبراني فيها . إن أعـدادا ضـخمة من المسـيحيين وُضِـعوا في إطـار الاعتقـاد ، أنه لم يحـدث شـيء في فلسطين القديمة ، سوى تلك الخرافـات غـير الموثقة من الروايـات التاريخية المدوّنة في العهد القديم " .

وتقـول : " في منتصف عـام 1600م ، بـدأ البروتسـتانت بكتابة معاهـدات ، تُعلن بـأن على جميع اليهــود ، مُغــادرة أوروبا إلى فلســطين . حيث أعلن (أوليفر كرمويل) ، بصـفته راعي الكومنـولث البريطـاني الـذي أنشئ حـديثا ، أن الوجـود اليهـودي في فلسطين ، هو الذي سيُمهّد للمجيء الثاني للمسيح " . ومن هناك في بريطانيا ، بـدأت بذرة الدولة الصهيونية الحديثة في التخلّق .

وفي خطاب لمندوب إسـرائيل في الأمم المتحـدّة (بنيـامين نتنيـاهو) عـام 1985م - الذي أصبح فيما بعد رئيسا لإسرائيل - أمام المسيحيين الصهاينة ، قـال : " إن كتابـات المسيحيين الصهاينة ، من الإنجليز والأمريكان ، أثّرت بصورة مُباشرة على تفكير قادة تـاريخيين ، مثل (لويد جـورج) و (آرثر بلفـور) و (ودرو ويلسـون) ، في مطلع هـذا القرن ... الـذين لعبـوا دورا أساسـيا ، في إرسـاء القواعد السياسـية والدولية ، لإحيـاء الدولة اليهودية " .

وتقول : " لم يكن حلم هرتزل روحانيا ، بل كان جغرافيا ، كان حُلما بـالأرض والقـوة . وعلى ذلك فإن السياسة الصـهيونية ضـلّلت الكثـير من اليهـود ... وقد ادّعى الصـهاينة السياسيون ، أنه لم يكن هناك فلسطينيون ، يعيشون في فلسطين ... ويقول (موش مـــانوحين) : أنه انتقل إلى الدولة اليهودية الجديــدة ، على أمل أن يجد جنّة روحية ، ولكنّه اكتشف أن الصهاينة " لا يعبدون الله ، ولكنهم يعبدون قوتهم " .

وتقول : " لأن يهود أمريكا – مثل (آندي غرين) – يعرفون أنه يمكنهم الاعتمـاد ، على دعم 40 مليون مسيحي إنجيلي أصولي ، فهم يُصادرون الأرض من الفلسطينيين بقوة السلاح . ويقول غرين الذي انتقل إلى إسرائيل عام 1975م ، ولا يـزال يحتفظ بجـواز سفره الأمريكي : " ليس للعرب أي حق في الأرض ، إنها أرضـنا على الإطلاق ، هكـذا يقول الكتاب المقدّس ، إنه أمر لا نقاش فيه . من أجل ذلك ، لا أجد أي مُبرر للتحـدّث مع العرب ، حول ادعاءاتهم المنافسة لنا . إن الأقوى هو الذي يحصل على الأرض " .

الحصول على الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي ، هو غاية إسرائيل من التحالف مع اليمين المسيحي :

يوضح (ناتان بيرلمـتر) يهـودي أمـريكي ، من حركة (بنـاي بـرث) – منظمة يهودية - في أمريكا ، أسباب تحالف يهود الولايات المتحدة مع الأصـوليين المسـيحيين ، بقوله : " أن الأصـوليين الإنجيلـيين ، يُفسّـرون نصـوص الكتـاب المُقـدّس بـالقول : " أن على جميع اليهود ، أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يُقتلوا في معركة هرمجدون . ولكنه يقــول في

الوقت نفسه : " نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل ... وعندما يـأتي المسـيح فسوف نفكر في خياراتنا آنذاك . أما الآن دعونا نُصلّي ونرسل الأسلحة " .

تشير الكاتبة إلى كتاب (مصير اليهود) للمؤلفة اليهودية (فيـورليخت) ، الـذي تصـفه بالرائع ، حيث تقـول فيه الكاتبة اليهودية : " أن أول مسـاهمة لليهودية كـانت القـانون الأخلاقي ، وأن عظمة اليهودية ، لم تكن في ملوكها وإنما في أنبيائها . وأن الله لم يأمر اليهود بالموت ، ولكنّه أمرهم بالحيـاة . وتُـدلّل على قولها بنص من التـوراة " لقد وضعت أمامكم الحياة والمـوت ... ولـذلك عليكم أن تختـاروا الحيـاة " . وتُضـيف : مع ذلك فإن الإسرائيليين بوضع مصيرهم بيد الجيوش والأسـلحة ، وبتشـريفهم الجـنرالات أكثر من الأنبيـاء . لا يختـارون الحيـاة وإنما يختـارون المـوت ". وتُحـذّر ، من أنّ أولئك الذين يجعلون من إسرائيل إلها يُعبد ، يدفعوننا في هذا الاتجاه " .

ـ وتلخص الكاتبة أهـداف إسـرائيل من التحـالف ، مع اليمين المسـيحي في الولايـات المتحدة :

- الحصول على المال .
- أن يكون الكونغرس مجرد خاتم مطاطي للموافقة على أهدافها السياسية .
- تمكينها من السيطرة الكاملة والمنفردة على القدس .

وتقول على لسان (إسرائيل شاهاك) : " إن طبيعة الصهيونية هي البحث الدائم ، عن حـامٍ ومعيل . في البداية توجّه الصـهاينة السياسـيون إلى إنجلـترا ، والآن يتوجّهـون ويعتمدون كليّا على الولايـات المتحـدة . وقد أقـاموا هـذا الحلف مع اليمين المسـيحي الجديد ، لكي يُبرّر أي عمل عسكري أو إجرامي ، تقوم به إسرائيل " .

وتقول الكاتبة : " إن للقـادة الأصـوليين الإنجيلـيين اليـوم ، قـوة سياسـية ضـخمة . إن اليمين المسيحي الجديد ، هو النجم الصاعد في الحزب الجمهـوري ، وتحصد إسـرائيل مكاسب سياسية جمة ، داخل البيت الأبيض من خلال تحالفها معه " .

وتنقل الكاتبة : إن (مـــــارفن) – أحد زملائها في رحلة الحج - كغـــــيره من اليمين المسيحي الجديد ، يشعر بالنشوة لأنه مع الحليف الـرابح . وقد نقل إلي مـرة المقطع 110 الذي يتحدّث عن يهوه وهو يسحق الرؤوس ، ويملأ الأرض بجثث غير المؤمـنين ، والمقطع 137 الذي يُعرب فيه عن الرغبة من الانتقـام ، من أطفـال بـابليين وإلقـائهم فوق الصخور . ثم قال (مارفن) : وهكذا يتوجب على الإسرائيليين أن يُعاملوا العـرب بهذه الطريقة . ورغم أن (مارفن) كان معجبا ومطلعا على نصوص التاريخ التوراتي ، إلا أنه كان جاهلا فيما يتعلق بالصراع العربي الإسـرائيلي . لأنه يعـرف مسـبقا ، كل ما يعتقد أن الله يريد منه أن يعرفه . وقـال لي : " إن على الأمريكـيين أن يتعلمـوا من الإسرائيليين كيف يُحاربون " . ويشارك (مارفن) كـذلك ، هـؤلاء بالاعتقـاد " بأننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح ، من خلال عدم مساعدة اليهود ، على مصادرة مزيد من الأرض من الفلسطينيين " .

وتخلُص الكاتبة إلى القول أن عدة ملايين ، من المسـيحيين الأمريكـيين ، يعتقـدون أن القــوانين الوضــعية ، يجب ألا تُطبق على مصــادرة اليهــود واســترجاعهم لكل أرض فلسـطين . وإذا تسـبّب ذلك في حــرب عالمية نووية ثالثة ، فــإنهم يعتقــدون بــأنهم تصرّفوا بمشيئة الله " .

وتذكر الكاتبة أن هناك قائمة ، بأسماء 250 منظمة إنجيلية أصولية موالية لإسرائيل ، من مختلف الأحجام والعمق في أمريكا ، ومعظم هذه المنظمات نما خلال السنوات الخمس الأخيرة ، أي منذ عام 1980م .

وتقول الكاتبة في فصل مزج الدين بالسياسة : " أن الإسرائيليون يُطالبون بفرض سيادتهم وحدهم ، على المدينة التي يُقدّسها مليار مسيحي ومليار مسلم ، وحوالي 14 مليون يهودي . وللدفاع عن ادّعائهم هذا ، فإن الإسرائيليين – ومعظمهم لا يؤمن بالله – يقولون : بأن الله أراد للعبرانيون ، أن يأخذوا القدس إلى الأبد . ومن أجل ترويج هذه الرسالة ، توجّه الإسرائيليون إلى (مايك ايفنز) اليهودي الأمريكي ، الذي قُدّم في أحد المعابد ، على أنه قسّ تنصّر ليساعد شعبه ، وأنه صديق لجورج بوش ، ويحتل مكانة مرموقة في الحزب الجمهوري ، ومن حديثه في هذا المعبد قوله : " إن الله يريد من الأمريكيين ، نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس ، لأن القدس هي عاصمة داود . ويحاول الشيطان أن يمنع اليهود ، من أن يكون لليهود حق اختيار عاصمتهم . إذا لم تعترفوا بالقدس ملكية يهودية ، فإننا سندفع ثمن ذلك من حياة أبنائنا وآبائنا . إن الله ، سيُبارك الذين يُباركون إسرائيل ، وسيلعن لاعنيها " .

الخاتمة :

وفي الخاتمة تقول الكاتبة : " فكرت في خيارنا للحياة أو الموت ، طوال السنين العديدة الماضية ، مستمعة إلى (جيري فولويل) وغيره من الإنجيليين ، الذين يطلّون علينا عبر الهاتف ، والكتاب المقدّس باليد الأخرى ، ناقلين عن كتاب دانيال من العهد القديم ، وعن كتاب سفر الرؤيا من العهد الجديد ، قائلين : أن الله قد قضى علينا أن نخوض حربا نووية مع روسيا ...

اقتناعا منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها ، بمقتضى الخطة الإلهية . فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيرية ، ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل ، يؤدي بشكل مباشر – باعترافهم أنفسهم – إلى محرقة أشدّ وحشية ، وأوسع انتشارا ، من أي مجزرة ، يُمكن أن يتصورها عقل (أدولف هتلر) الإجرامي ...

لقد وجدت فكرهم الوعظي ، تحريضيا تصادميا ، في حثّهم على الاستعداد لنهاية العالم ، إنهم يدفعونني إلى الاعتقاد ، بأننا قطعنا مسافة طويلة بعيدا عن بداياتنا كبشر . إن معظمنا يتمسك باعتبار حسن الجوار ، كعلاقة رائعة في حياتنا المتحضرة ؛ معاملة الآخرين كما نحب أن يُعاملونا ، وفوق ذلك عاش الكثيرين بهدف أكثر نبلا ؛ وهو مغادرة هذه الدنيا في حاله ، أفضل من تلك التي وجدوها عليها " .

بعد هذا العرض لبعض ما جاء في هذا الكتاب ، نستطيع القول أن الحلف المنعقد بين إسرائيل والولايات المتحدّة ، هو حلف عقائدي عسكري ، تُغذيه النبوءات التوراتية والإنجيلية . لدرجة أن الكثير من أفراد الشعب الأمريكي الضالّ ، يتمنى لو أنه ولد يهوديا ، لينعم بالانتساب إلى شعب الله المختار ، الذي يقاتل الله عنهم في جميع حروبهم ضد الكفرة من المسلمين والشيوعيين . ونحن كمسلمين بتواجدنا على أرض اليهود ، وبمقاومتنا للاحتلال الصهيوني ، نمنع الله من تحقيق إرادته ، بإعطاء أرض فلسطين لليهود . فالشعب الأمريكي ينظر على أن اليهود هم جنود الله ، وأن الفلسطينيون هم إرهابيون وجنود الشيطان ، وأن قلة قليلة من شُرفاء أمريكا ، يعتقدون بعكس ذلك ، من الذين سبروا أغوار الحقيقة ، ودرسوا التاريخ والجغرافيا والواقع ، بعين العدالة والإنصاف ، حتى أن بعضهم طعن في مصداقية كتبهم المُقدّسة ، ولكن كل جهود الشرفاء ، من مواقف ومحاضرات وبرامج ومؤلفات ، ذهبت أدراج

الرياح ، لأنهم قلة ولا يملكون ، ما يملكه اليهود وأتباعهم من القوة والمال ، فكانوا كمن يُجدّف بالرمال .

ـ ونستطيع تلخيص العلاقة ما بين إسرائيل وأمريكا (اليهود والنصارى) كما يلي :

- أن التحالف بين الدولتين ، فضلا عن كل شيء ، هو حلف ديني عقائدي ، أقوى من أي معاهدة أو اتفاقية مكتوبة على الورق .
- كل من الأمريكان والإسرائيليون ينتظرون المسيح الخاص بهم .
- يتفق الطرفان على أن قيام الدولة اليهودية في فلسطين إشارة لقرب مجيئه .
- ويتفق الطرفان على وجوب سيطرة اليهود ، على فلسطين كاملة ، واتخاذ القدس عاصمة لهم ، ومن ثم يتوجب عليهم إقامة الهيكل مكان المسجد الأقصى ، وأن هذه الأمور ، ما لم تأخذ مجراها على أرض الواقع ، فإنها ستعطل مجيء المسيح بالنسبة للطرفين .
- وأن ظهور المسيح سيكون مسبوقا ، بحرب مُدمرة ستقع بين إسرائيل وأعدائها ، تحصد ما لا يُعدّ ولا يُحصى من أرواح البشر ، وتنتهي بخراب الأرض ، وروّاد المؤامرة اليهودية العالمية ، يبذلون قصارى جهدهم لإشعالها ، لقطف ثمار مخططهم الشيطاني ، بإثارة الفتن وافتعال الأزمات .
- وبناء على ذلك ، تجد أمريكا نفسها ملزمة عقائديا ، بتسليح إسرائيل ما أمكنها ذلك ، وبدعمها في كل مخططاتها داخل فلسطين وخارجها . استعدادا لوقوع هذه الحرب المدمرة ، لضمان انتصار إسرائيل وحلفائها ضد أعداء الله .

هكذا هي المعادلة بكل بساطة ، فساسة الشعب الأمريكي جملة وتفصيلا ، صهاينة أكثر من ساسة إسرائيل أنفسهم ، وما عبادة الأمريكيين ، لإسرائيل إلا لتقرِّبهم إلى الله زلفى ، ولذلك يسعى الأمريكيون قبل الإسرائيليون ، لتلبية متطلبات مجيء المسيح ، وأعجب من العرب عندما يطلبون من صهاينة الغرب ، رفع ظلم صهاينة الشرق .

ولو عدنا بالذاكرة إلى الوراء ، وبدأنا بتتبّع الرؤساء الأمريكيين المتأخرين ، لتبين لنا أن الرؤساء من الحزب الديموقراطي ، كانوا أكثر اعتدالا وأكثر ميلا إلى السلام مع العرب وروسيا ، بغض النظر عن مفهومهم له ، وأقل تجاوبا مع متطلبات الصهيونية اليهودية ، والصهيونية المسيحية المُتطرّفة ، كما هو حال الرئيس (كارتر) – الذي انتهت ولايته عام 1980م – حيث أُنجزت في عهده اتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل ، والرئيس (كلينتون) ، 1992-200م ، الذي أنجزت في عهده اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل ، وحاول جاهدا صنع (كامب ديفيد) أخرى مع الفلسطينيين ، رغم محاولاته الخجولة لإرضاء هؤلاء بقصف مصانع الأدوية السودانية ، وقصف العراق بين حين وأخر .

ولتبين لنا أيضا ، أن الرؤساء من الحزب الجمهوري اليميني المسيحي الإنجيلي التوراتي الأصولي المتطرّف ، كانوا أكثر تطرفا وعدوانية ، وأقل اهتماما بالسلام ، ويتجاوبون مع متطلبات اليهود ، بل يُنفّذونها بحذافيرها . فالرئيس (ريغان) 1980-1988م ، شنّ الحرب على ليبيا ، وتم في عصره ضرب المفاعل العراقي ، واجتياح بيروت ، واشتعلت الحرب الإيرانية ، وتم إطالة أمدها ، وانتهت بنهاية ولايته . والرئيس (بوش الأب) ، 1988-1992م ، شنّ الحرب على العراق ، وفرض عليه الحصار ،

وتم إسقاط الشيوعية وتفكيك الاتحاد السوفييتي ، وأعلن عن النظام العالمي الجديد ، المذكور في بروتوكولات اليهود .

ومـؤخرا جـاء دور (بـوش الابن) ، ليُكمل سلسـلة جـرائم أسـلافه من الجمهـوريين ، ويُنفذ ما أُعدَّ له هؤلاء من برامج مسبقة ، كان أبالسة اليهـود قد خطّوها ، قبل وصـوله لسدة الحكم ، كما خطّ أجدادهم أسفار التوراة والإنجيل ، وبروتوكولات الحكماء ، فيما يُسمّى (بتقرير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى 2001) ، حيث بدأ بتنفيذ ما جاء فيه من أوامر ، فور تسلّمه للسلطة :

1. فضرب بغـداد دون سـابق إنـذار ، وبـدأت إدارته بـالترويج " للعقوبـات الذكية " ، التي طالب بها خبثاء معهد واشنطن .
2. وأظهر عداءه لروسيا والصين .
3. وطلب الرئيس المصري لمعاقبة مصر ، على موقفها المتشـدّد مع إسـرائيل في قمة القـاهرة ، بخفض المسـاعدات وتـأخير إنشـاء منطقة التجـارة الحـرة ، فيما لو أصرّت على ذلك .
4. وصرّح عن رغبته في نقل السفارة الأمريكية إلى القدس .
5. ودعم إسرائيل في قمعها لانتفاضة الإرهابيين الفلسطينيين ، وبـرّر وما زال يُـبرّر جرائمها .
6. وظهر هناك من يـدعو إلى انسـحاب الجيش السـوري من لبنـان ، من اللبنـانيين المدعومين بالأموال اليهودية تحت غطاء الدين .
7. وقام وزير الخارجية بجولة في دول المنطقة ، لشرح السياسة الجديدة التي جاء بها هذا التقرير ، الذي تمت صياغته بذكاء ودهـاء يهـودي صـرف ، بنـاء على المخـاوف النبوية التوراتية .

تقرير معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى لعام 2001م

يُؤكد هـذا التقرير أن مصـير هـذه المنطقة ، مرهـون بما جـاء من نبـوءات في الكتب المقدّسة ، ومرهـون أيضا بكيفية تفسـيرهم لهـذه النبـوءات . وإذا اطّلعت على هـذا التقرير ، الـذي يوضح السياسـات ، الـتي يتـوجب على الـرئيس الأمـريكي نهجها ، للسيطرة على هذه المنطقة واستعباد شـعوبها ، سـتجد أنها قد رُسـمت بـدهاء ومكر ، على طريقة دسّ السم في العسل ، بنـــــاءً على المخـــــاوف اليهودية ، المنبثقة من النبوءات التوراتية . حيث أن مُجمل بنود هذا التقرير ، جاءت لدرء المخاطر عن الدولة اليهودية فقط لا غـير . وفيما يلي سـنعرض من فصـول هـذا التقرير الخمسة ، بعض المقتطفات شديدة التعلق بموضـوع هـذا الكتـاب . وقد نُشر هـذا التقرير مترجما على حلقات ، في جريدة العرب اليوم الأردنية ، في النصف الأول من شهر 3/2001م .

تأسس معهد واشنطن عام 1985م ، وهو يعمل كوحدة للبحوث ، تابعة للجنة للعلاقات العامّة الأمريكية الإسرائيلية ، المسماة بِ (ايبـاك) ، وهي المُنظمّة الصـهيونية الأولى في الولايـات المُتحـدة ، الـتي تُعتـبر " خط الـدفاع الأول عن إسـرائيل " ، ويضم في عضويته مفكرون وسياسيون وخبراء أمريكيـون يهـودا ومسـيحيين ، صـهاينة في الفكر والمعتقد . وقد تطوّر هـذا المعهد ليصـبح مصـدر التـأثير الأعظم ، في صـنع القـرارات السياسية الخاصة بالمنطقة ، الـتي تتخـذها الإدارات الأمريكية المتعاقبة . ويصـدر هـذا التقرير في بداية كل ولاية رئاسية جديـدة ، ليكـون نـورا يهتـدي به الـرئيس الأمـريكي

الجديد ، ونجاح هـذا الـرئيس وفشـله لـدى سـادته اليهـود ، يعتمد على مـدى التزامه ، ومقدار ما أنجزه من الأهـداف الـواردة في التقرير ، وهـذه المنظّمة على علاقة وثيقة مع الرؤساء والساسة الأمريكان ، وفي العادة ، تقيم مأدبة عشاء على شرف الـرئيس الأمـريكي ، بين الحين والآخر ، ليُعلن في خطابه الافتتـاحي - كما جـرت العـادة - عن ولائه المطلق لإسرائيل ، وعبوديته لليهود العالميون .

الفصل الأول :

دبلوماسـية عربية إسـرائيلية - اردع الحـرب الإقليمية ، بين إسـرائيل والـدول العربية ، واستطلع مسالك جديدة .

تقويم دروس تجربة أوسلو ، واستطلاع مسارات بديلة للسلام :

التأكيد على أن الولايـــات المتحـــدة حليفة لإســـرائيل ، وأنها لا ترتبط معها بأحكـــام ومعاهدات مكتوبة ، وإنما بروابط أقوى من القيم والمصالح المشـتركة . المضي قـدما في نقل سفارة الولايات المتحدة إلى الموقع المقرر في القدس الغربية .

تشجيع الجهود الدولية للمساعدة في تخفيف التوتر الإقليمي :

التركيز على الدول الموالية للغرب : تحتاج الولايات المتحدة إلى التواصل مع الزعمـاء العـرب والمسـلمين ، ومع شـعوبهم ، في السـعي إلى إشـراكهم ، في حـوار صـادق وصريح ، حول آراء ومصالح كل منهم . إذ أنّ دور الـدول الموالية للغـرب في المنطقة مهم جدا ، في وضع الأجندة السياسـية الاجتماعية الثقافية للشـرق الأوسط ، ويصـدق ذلك بشكل خاص على مصر وتركيا ، والعربية السعودية والمغرب والأردن . وقد اتضح ذلك أثنـاء قمة كـامب ديفيد 2000 وبعـدها ، عنـدما أدى غيـاب التشـاور ، مع الـدول العربية الرئيسية ، حول قضية القدس خصوصا ، إلى تقليص فرصة قبول عرفات ، بأي من الحلول المختلفة ، التي طُرحت في الاجتماع .

تتحمل مصر من بين جميع الدول ، المسؤولية الأكبر ، بصـفتها الدولة العربية الأقـوى ، والدولة الـــتي تحمل إجراءاتها الأثر الأكـــثر أهمية في المنطقة . إذ تُعتـــبر تصـــريحات الرئيس المصري حسني مبارك ، ضد أي توسيع للنزاع الفلسطيني الإسـرائيلي ، وضد تحويله إلى حرب عربية إسـرائيلية ، جـدارا واقيا ، بوجه انتشـار المزيد من الراديكالية (أي التوجه المعادي لإسرائيل والغرب) .

المثلث الإسرائيلي اللبناني السوري : ينبغي على الإدارة الأمريكية الجديـدة ، أن تُعـزّز قوة الردع الإسرائيلية ضد احتمـالات تعرضـها ، لهجمـات برية أو صـاروخية ، تقـوم بها قوات حزب الله ، المدعوم من سوريا وإيران . على الإدارة الأمريكية أن تدعم الحركة الناشـئة في لبنـان ، والداعية إلى الضـغط من أجل المزيد من الحرية في الـداخل ، وتخفيف قبضة سوريا المطبقة على الشؤون اللبنانية .

الفصل الثاني :

أسلحة الدمار الشامل - امنع الانتشار ، واردع الاستخدام .

من الممكن أن تشهد السنوات الأربع المقبلة ، تحقق تقديرات الاسـتخبارات الأمريكية ، بأن إيران سوف تطـور نظاما صـاروخيا متعـدد المراحل ، يُمكّنها من تطـوير صـاروخ عابر للقارات . ومن الممكن خلال الفترة نفسها أن يُطور العراق أو إيران سلاحا نوويا

، خصوصا في حالة حصولها على الوقود النووي ، بصورة سرية من الاتحاد السـوفييتي السابق مثلا . والحصول عليها من قبل جماعات إرهابية بمساعدة بعض الحكومات .

الكثـيرون في المنطقة يتهمـون الولايـات المتحـدة بازدواجية المواقف ، فيما يتعلّق بقدرة العراق النووية . فعلى الرغم من القلق الذي تولّده الأسـلحة النووية ، من وجهة النظر الداعية إلى عدم الانتشار . فإن هذه الأسلحة توفر لإسـرائيل هامشا من الأمن ، يمكنها من المجازفة بعقد السلام مع جارات معينة . في الـوقت الـذي تطـور فيه دول أخرى في المنطقة - ما زالت تهدد بتدمير إسـرائيل (أي العـراق) - الوسـائل الكفيلة بتنفيذ تلك التهديدات .

الفصل الثالث :

الإرهاب - اعمل على تقوية الرد على التهديدات الجديدة .

اعـزل جهـود مكافحة الإرهـاب عن ديناميكيـات العملية السـلمية ، وعـزز الـرد على التحديات المستمرة :

ينبغي على الولايات المتحدة ، أن تتبع سياسة لا تسامح فيها : ففي الـوقت الـذي يحق للسلطة الفلسطينية ، أن تختلف مع إسرائيل حول القضايا الدبلوماسية ، فـإن العلاقة الأمريكية الفلسطينية ، يجب أن تدفع ثمن التهاون ، الـذي تُبديه السـلطة الفلسـطينية بشأن التزامها بمكافحة الإرهاب .

ينبغي على الولايات المتحدة ، أن تُعزز جهودها الرامية للارتقاء بالتعـاون الـدولي ، ضد شبكات العنف الإسلامية المُتطرّفة . وينبغي أن تعمل مع دول أوروبا والشرق الأوسط ، لممارسة ضـغط جمـاعي على تلك الـدول القليلة ، الـتي ما زالت تقـدم الملاذ للإرهابيين ، أو تغض النظر عنهم ، وهي إيران وباكستان واليمن وأفغانستان .

* وقفة قصيرة مع مقـال ، في جريـدة الدسـتور الأردنية الصـادرة ، بتـاريخ 5 –ـ 7 – 2001م ، نقلا عن رويترز :

(تصدير المقال : في حـال هـاجم ابن لادن مصـالح أمريكية - واشـنطن تُهـدّد طالبـان بانتقام عسكري)

" واشـنطن – رويـترز ؛ قـال نـائب وزير الخارجية الأمريكية (ريتشـارد أرميتـاج) : أن الولايات المتحدّة قد تشـنّ انتقاما عسـكريا ، على حركة طالبـان ، إذا شـنّ أسـامة بن لادن ، على هجمات مصالح أمريكية . وكـان (أرميتـاج) يُعقّب على تحـذير قدّمه إلى طالبان ، سفير الولايات المتحدة لدى باكسـتان (ويليـام ملام) ، في اجتمـاع عُقد في إسلام أباد ، يوم الجمعة الماضي . وقال مسؤول في طالبان لرويترز ، أن طالبان التي تـوفر المـأوى لابن لادن ، تم إبلاغها بأنها سـتتحمل المسـؤولية ، عن أي هجمـات على مصالح أمريكية ... " ، انتهى .

طور الاستخدام الفعّال لأدوات السياسة الأمريكية المتوفرة :

لإخضـاع الإرهـابيين للإدانة الجنائية ، يتحتم على الولايـات المتحـدة ، متابعة الالـتزام بملاحقة أولئك المجـرمين ، حـتى وإن واجه الأمر عقبـات دبلوماسـية . على الحكومة الاتحادية ، العمل على إيقـاف المناصـرين المحلـيين المؤيـدين للجماعـات الإرهابية ، (المقصود هنا هو الجاليات العربية الداعمة للحركات الجهادية في فلسطين) .

لقد تقلص عـدد الـدول الداعمة للإرهـاب ، إلى سـبع دول . وآخر الـدول ، الـتي رُفع اسمها هي العراق عـام 1982م وأعيد عـام 1991م ، أما آخر اسم أضـيف للقائمة هو السودان عام 1993م . على الرئيس كجـزء من عملية إعـادة النظر ، أن يُفكر بتحديد الطـرق ، الـتي تسـتطيع من خلالها تلك الـدول من رفع اسـمها من القائمة (أي وضع متطلبات جديدة لشـهادات حسن السـيرة والسـلوك الأمريكية) . وخصوصا تلك الـتي أظهرت اهتماما بـذلك مثل ليبيا والسـودان وسـوريا . بعد ذلك يجب ربط درجة الـدعم المقدّم للإرهاب ، بدرجة العقوبات التي تفرضها الولايـات المتحـدة ، وكـذلك بمسـتوى التعامل ، الذي يقوم بين الحكومة المعنية ، وحكومة الولايات المتحدة .

الفصل الرابع :

العراق وإيران - اعمل من أجل التغيير .

إن الموقف من العراق وإيران ، يُعتـبر من أهم القضـايا السياسـية الـتي تواجه الإدارة الأمريكية الجديـدة . فكـلٌ من الـدولتين يُعتـبر لاعبا مُهمّا في الخطـرين الرئيسـين ، اللذين يتهددان مصالح الولايات المتحدة في المنطقة (والمصـالح هي وجـود إسـرائيل فقط) . واللذين حدّدهما هـذا التقرير بزعزعة العملية السـلمية – لدرجة الانـزلاق نحو الحرب – وبامتلاك أسلحة الدمار الشامل .

في إيران يبـدو التغيـير يلـوح في الأفق ، وأنه سـيكون ثمـرة للـديناميكيات السياسـية الداخلية . أما بالنسـبة للعـراق فـإن القصة مختلفة ، ومن الأمـور المُحزنة ، كوننا مقتنعين بأن التغيير في العراق يكاد يكون مرتبطا بصورة حتمية بـالعنف ، أي بـانقلاب أو بانتفاضة داخلية ، ... ، ينبغي على الرئيس الأمريكي ، أن يُطور استراتيجية شاملة ، تنطوي على خطوات فعّالة ، تهدف إلى الضغط على صدام حسين في عدة جبهات .

وحتى يحين موعد التغيير في العـراق وإيـران ، فـإن على الولايـات المتحـدة أن تواجه التحـدي لاحتـواء الضـرر الـذي تسـببه هاتـان الـدولتان ، بالإضـافة للعقوبـات والقيـود المفروضة على الصادرات من أجل تقليص الموارد ، التي يمكن أن تُخصّصها الـدولتان للتحديث العسكري ونشر الأسلحة ، والحصول على التكنولوجيا اللازمة لذلك .

وضّح التهديد الذي يُمثّله صدام حسين لمصالح الولايات المتحدة :

نعتقد أن من المهم تحديد تلك المصـالح الأمريكية الحيوية ، الـتي يمكن لصـدام أن يُهدّدها ، ووضع خطوط حمراء تُشكّل عند تجاوزها ، تحـدّيا غـير مقبـول ، يسـتدعي ردا عسكريا أمريكيا واسع النطاق .

ما أن يتم الانتهاء من هذه المراجعة ، يتوجب على الـرئيس ، أن يطـرح مقرراتها على الشعب ، كتهيئة لاحتمال وقـوع مواجهة عسـكرية ، واسـعة النطـاق مع صـدام ، إذا ما اقتضى الأمر ... في حالة العدوان خارج أراضيه ، أو استخدامه لأسلحة الدمار الشامل ، أو حتى نشرها في حالات معينة ، أو عدوانه على الأكراد .

ـ يُقصد بالقوة واسعة النطاق :

أولا ؛ حملات القصف المتواصلة ، ضد الأهداف التي تحمي النظام ،

ثانيا ؛ إذا كانت الانتهاكـات العراقية خطـيرة بما يكفي ، يعـني إرسـال قـوات أرضـية ، بقدرات كافية بمشاركة الحلفاء ، لغرض إحلال التغيير في النظام العراقي ،

ثالثا ؛ في حالة استخدام أسلحة الدمار الشامل ، يتوجب استخدام جميع الوسائل المُتاحة ، ضد نظام صدام حسين (أي استخدام السلاح النووي) .

على الولايات المتحدة ، أن تكون مستعدة ، للعمل بالتنسيق مع الحلفاء الرئيسيين ، وبالأخص السعودية والكويت وبريطانيا . وبذل مزيد من الجهد لإقناع تركيا ، بلعب دور أكثر فاعلية ، في الرد على التحدّي الذي يُمثّله صدام حسين .

أحد الخطوط الصفراء التي تجاوزها صدام بالفعل ، هو التوقف عن التعاون مع مفتشي الأسلحة . أظهرت دروس التاريخ الأليمة ، أن صدام لا يسمح بعمليات تفتيش ، تكشف ما تبقى من برامجه ، لإنتاج الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل ، كما أن الأسرة الدولية غير مستعدة ، لتأييد استخدام القوة لإرغام صدام على التعاون .

إلى جانب التفتيش المهني الدقيق الذي يجب أن تصرّ الولايات المتحدة عليه . يوجد عنصر مهم آخر ، هو الدعم الذي يجب أن توفره واشنطن ، لجماعات المعارضة العراقية ، كعنصر إضافي لاحتواء صدام .

ضمن عملها مع المعارضة العراقية ، ينبغي للولايات المتحدة أن تضع رؤية أوضح لعراق ما بعد صدام ، على واشنطن أن توضح ، انه كلما ازداد العراق مسالمة وانفتاحا وديموقراطية ، كلما ازداد دعمها له .

حوّل العقوبات إلى أداةٍ لانفتاح العراق :

نعتقد بأن على الولايات المتحدة ، أن تقوم بمجهود عاجل ، لتركيز العقوبات على نحو أكثر حدّة ، على صدام ونظامه العسكري . من أجل ذلك ينبغي لواشنطن ، أن تأخذ زمام المبادرة في إعادة صياغة العقوبات ، بدلا من أن توافق مرغمة ، على خطوات يفرضها الآخرون .

في الوقت نفسه ، ينبغي للولايات المتحدة التوجه للمنظمات الإنسانية ، لتحسين طرق إيصال المساعدات للشعب العراقي . بدلا من أن تكرّس هذه المنظمات ، الكثير من جهدها لانتقاد السياسة الأمريكية إزاء العراق . وأن تُظهر لهذه المنظمات ، أنها تشاركها همومها الإنسانية ، مؤكدة بأن السبب في معاناة الشعب العراقي هو حكومة العراق الاستبدادية (أي استخدام النفاق السياسي) .

ينبغي للقيود التي فُرضت على السفر ، من تلك الدولة ، أن تُعكس بشكل تام . سيكون من الأفضل تشجيع التبادل الفردي ، وسفر العراقيين العاديين ، ومنع سفر المسؤولين العراقيين وأفراد أسرهم ، من الذين يُعيقون تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، أو الذين يُشتبه بارتكابهم جرائم حرب ، أو انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان . لقد حصل هذا النوع من " العقوبات الذكية " ، على التأييد في الأمم المتحدة عندما طُبق على يوغسلافيا .

الفصل الخامس :

الاستراتيجية الإقليمية : استثمر في العلاقات الحاسمة .

على الإدارة الأمريكية الجديدة أن تأخذ زمام المبادرة ، في توسيع التواصل الثقافي والتربوي مع الدول العربية والمسلمة ، لغرض تطوير المعرفة المحلية ، بثقافة ومجتمع وسياسة الولايات المتحدة وتفهُّمها . وإيجاد وسائل لمحاربة الانطباع الخاطئ ، المتفشّي في الشرق الأوسط ، حول معاداة أمريكا للإسلام والمسلمين .

في الطـــرف الآخر من الطيف ، ينبغي للدبلوماســـية الأمريكية ، أن تُـــبرز العيـــوب الفاضحة لـدول المنطقة ، الـتي تمـارس أقصى حد من انتهاكـات حقـوق الإنسـان ، وبالأخص العراق والسودان وليبيا وسوريا .

تقوية العلاقات الثنائية المهمة :

إسرائيل : أكد على التحالف غير المكتوب ، فهو يعكس عمق ينـابيع الـدعم والتـآخي ، الذي يشعر به الشعب الأمريكي إزاء إسرائيل ، والذي يشمل كافة الأطياف السياسـية الأمريكية . ينبغي على الإدارة أن تأخذ زمام المبادرة ، في الارتقاء بشراكتها لإسـرائيل ، إلى مسـتوى مواجهة التهديـدات الاسـتراتيجية المشـتركة ... وسط جو التهديـدات الجديـدة ، ومع اضـطراد تقـدّم الأسـلحة الحديثة . فـإن على الإدارة أن تواجه التحـدي السياسي المتمثل في التوضيح لجارات إسرائيل ، بأن أمريكا سوف تعارض أي مجهود ، للتوصل إلى مستوى الندية الاستراتيجية مع إسرائيل .

دول مجلس التعاون الخليجي : تقوية الأمن النفطي والعسكري والاقتصـادي ، لضـمان اســتمرار تــدفق النفط بأســعار مناســبة . على الولايــات المتحــدّة تعميق دعمها ، للإصلاحات الاقتصادية في تلك الدول ، بسبب مصـلحتها في اسـتقرار الأنظمة الملكية الخليجية .

مصر : لـدى مصر قـدرة على لعب دور إيجـابي ، في تعزيز الاعتـدال والاسـتقرار في المنطقة ، أو لعب دور سلبي في تعقيد وإعاقة مبـادرات الولايـات المتحـدة الإقليمية . ولو حــافظت مصر على وضـعها المقبــول فــإن على الولايــات المتحــدة ، أن تكــون مستعدة للمضي قدما ، في مبادراتها الاقتصادية .

الأردن : ادعم السلم مع إسرائيل ، واحذر من العودة إلى احتضـان عـراق صـدام . أما على الجانب العسكري ، فينبغي له المساعدة في عملية التعامل مع الأمن الحـدودي ، ومكافحة الإرهاب ، والخطر العـراقي المحتمل . أحد الأسـباب المـبررة لتقـديم معونة أمريكية كبيرة هو المسعى الذي يبذله العراق ، لجذب الأردن بتقـديم مسـاعدة نفطية 600-900 مليون دولار . ولإحبـاط الإغـراء العـراقي ، بوسع دول الخليج تقـديم النفط بشروط ملائمة ، وتوسيع دائرة التجارة ، واستخدام العمالة الأردنية .

تركيا : يُعتــبر بقاؤها ، كدولة ديموقراطية علمانية موالية للغــرب ، مصـــلحة حيوية للولايات المتحدة . حيث تلعب تركيا دورا مركزيا في عملية احتواء العراق .

ادعم التعـاون ما بين شـركاء أمريكا الإقليمـيين ، ومن ضـمنها إسـرائيل وتركيا ودول مجلس التعــاون الخليجي والأردن ومصر . إنّ التعــاون بين تركيا وإســرائيل ، يُعتــبر الأفضل بين جميع حالات التعاون الأمني الإقليمي في المنطقة .

الإطار الاستراتيجي :

لدى الولايات المتحدة مصالح دائمة في الشرق الأوسط ، من بينها ؛ منع وقوع الحرب ، وتسـهيل التقـدم باتجـاه سـلام عـربي إسـرائيلي ، وضـمان أمن وسـلامة إسـرائيل ، وتوطيد الاســـتقرار والأمن والرفاهية والتنمية ، في تركيا والـــدول العربية المعتدلة ، والمحافظة على حرية تدفق النفط وبأسعار معقولة . بعد الانتصار في الحرب البــاردة ، وحـــرب الخليج في مطلع التســعينيات ، تمكنت الولايـــات المتحـــدة ، من ممارسة الزعامة في مجالين مهمين ، هما ؛ بناء السلام العربي الإسـرائيلي ، وتعزيز الأمن في الخليج .

العولمة :

على مدى العقد الأخير ، كان سجل المنطقة مشوشا بالنسبة للعولمة ، فمن جانب ، لم تستطع الحواجز الوطنية القوية ، أن تمنع انتشار وسائل الإعلام الحديثة ، مثل القنوات الفضائية العربية ، التي أنهت – بمصاحبة الإنترنت – سيطرة الدولة على المعلومات ، كما تم الاعتراف ، على مستوى المنطقة باقتصاد السوق ، والانفتاح على التجارة والاستثمار الدوليين ، بصفتها أفضل الطرق لتحقيق التنمية ... إلا أن الشرق الأوسط ، يُعتبر خاسرا نسبيا في سباق العولمة ، فحصّته في التجارة العالمية في تدهور مستمر .

بفضل أجهزة الفيديو والمحطّات الفضائية والإنترنت ، وأخيرا وليس آخرا . فمن المحتمل جدا ، أن يرتدي المتظاهرون في رام الله أو طهران ، بنطلونات وأحذية من إنتاج أمريكي .

* بقولهم هذا ، يكشف رواد العولمة ودعاتها ، عن الوجه القذر لها ولغاياتها ، بشقيّها الثقافي والاقتصادي ، فغايات العولمة هي :

أولا : مسخ الهوية العربية والإسلامية بشكل خاص ، والشرقية بشكل عام ، باستهلاك الثقافة الأمريكية ، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

ثانيا : ومن ثم جعل جميع دول العالم سوقا مفتوحة ، للمنتجات الأمريكية بمختلف أنواعها ، بإجبار الحكومات على رفع القيود ، التي وُضعت لحماية ودعم الصناعات الوطنية .

إذ ليس هناك أي أهمية تُذكر لدى رواد العولمة ، بالنسبة لتظاهرك ضد إسرائيل وأمريكا ، وحرق أعلامها وصور زعمائها ، بما أنك تدعم في نفس الوقت ، اقتصاد الدولتين ، باستهلاك منتجاتهما ، مما يُساهم بزيادة النمو الاقتصادي فيهما ، وأمريكا سيطرت على العالم اقتصاديا ، وبذلك تمكّنت من السيطرة عليه عسكريا .

انهيار تحالف حرب الخليج :

على المستوى الدولي ، ما زالت هيمنة أمريكا الإقليمية على ما كانت عليه ، إلا أن هناك تصاعدا ، في عزم القوى الأخرى وقدرتها ، على التأثير في مجرى الأحداث في الشرق الأوسط ، خصوصا باتجاه إعاقة السياسة الأمريكية في المنطقة . ويبرز في هذا المجال ثلاثة لاعبين مهمين :

روسيا : أصبحت روسيا أكثر قومية خلال العقد الماضي ، وازدادت شكوكها فيما يتعلق بعلاقاتها مع الولايات المتحدة ... لكنها أصبحت من جديد ، لاعبا مُثيرا للمشاكل ... دأبت روسيا على تقويض جهود الأمم المتحدة ، الرامية إلى السيطرة على التسلح وفرض العقوبات ، حتى أن الرئيس الروسي مؤخرا ، أثنى بنفسه على التعاون التام بين موسكو وبغداد . لم تُبدِ روسيا تعاونا يُذكر ، مع مساعي الولايات المتحدة المدعومة بدولارات المساعدات ، للحيلولة دون انتشار أسلحة الدمار الشامل ، وتكنولوجيا الصواريخ ، من روسيا إلى الشرق الأوسط وخصوصا إلى إيران .

الصين : فالصين ، تمتلك القدرة على تغيير ميزان القوى الإقليمية ، بتزويد دول في المنطقة ، بتكنولوجيا الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل . في الوقت الذي تستطيع الصين فيه ، أن تصبح قوة إيجابية بالنسبة لنمو اقتصاد العولمة ، إذا ما واصلت فتح أسواقها ، وخصخصة اقتصادها .

أوروبا : على سبيل المثال لعبت الدول الأوروبية ، دورا مهما في تسهيل الدبلوماسية الهادئة ، بين إسرائيل والفلسطينيين . وفي تأمين التمويل السخي للسلطة الفلسطينية بعد عام 1993م . وفي فرض مناطق حظر الطيران ، شمال وجنوب العراق . إن مما يُؤسف له ، أن فرنسا قد أصبحت العقبة الكبرى ، في طريق تحقيق التنسيق الأمريكي الأوروبي ، حول الكثير من قضايا الشرق الأوسط ، خصوصا تلك المتعلقة بالعملية السلمية ، والسياسة المُتبعة إزاء العراق .

على خلفية هذا الإطار الاستراتيجي ، نعتقد بأن الشرق الأوسط ، مرشح لأن يكون منطقة مضطربة ، خلال فترة ولاية الرئيس الأمريكي الجديد . سيتغذى بعض ذلك الاضطراب ، على مشاعر عدم الرضا والرغبة في تحقيق الوحدة ، والأمور غير المنجزة في النزاع العربي الإسرائيلي . كما أن بعضا منه ، سوف يتولد نتيجة التغييرات البركانية التي تنتظر إيران . وسوف ينتج بعضه الآخر عن ردود الفعل المترتبة ، على عودة انبعاث صدام حسين .

يحتاج الرئيس الأمريكي الجديد وكبار مساعديه ، لإدراك أن الشرق الأوسط يدخل القرن الواحد والعشرين ، بقيادة زعماء جدد بلا خبرة ، يتولون الزعامة من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي ، باقتصاديات راكدة وبأسلحة مرعبة عالية التقنية ، لها القدرة على نقل النزاعات ، إلى شواطئ أمريكا . إن لجنة الدراسة الرئيسية ، في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط الأدنى ، قد وضعت هذا التقرير ، من أجل تقديم النصح للرئيس الأمريكي الجديد ، حول الطرق الكفيلة بإدارة هذه اللحظة العاصفة ، على نحو يحمي مصالح الولايات المتحدة وحلفائها ... انتهى الاقتباس .

بنود هذا التقرير اليهودي المقدّم للرئيس الأمريكي واضحة ، وربما لا تحتاج لتعليق ، فالمخاوف والأهداف التوراتية واضحة ، خلف ما يدّعي اليهود ، بأنه مصالح للولايات المتحدّة ، تقضي بتحجيم وتدمير ثلاثة قوى ، ذات الخطر الأكبر على مستقبل الدولة اليهودية في المنطقة ، حسبما أوضحته التفسيرات الجديدة للنبوءات التوراتية ، وهي روسيا (يأجوج ومأجوج) ، والعراق وإيران (مادي وفارس وبابل وأشور) ، كافة الدول ذات التوجه الإسلامي ، التي يسمونها بالراعية للإرهاب (خوفا من إحياء الخلافة الإسلامية) .

والسؤال المطروح بعد الاطلاع على هذا التقرير : لماذا يشغل العراق المساحة الأكبر ، في مفردات صحيفة برتوكولات حكماء صهيون الجديدة ، المسمّاة بتقرير معهد واشنطن ؟!

ونختم هذا الفصل ، بقول لظفر الإسلام خان ، صاحب كتاب (تعاليم التلمود) : " وقد ساعدت كراهية بريطانيا العمياء ، وغدرها بالعرب والمسلمين ، ووجود النزعة الصليبية الخاطئة ، لدى البلدان الأوربية وأمريكا ، على نجاح المخططات الصهيونية ، وغزو البلدان العربية في الحرب العالمية الأولى ، فنرى القائد الفرنسي (غورو) الذي فتح دمشق يقول ، وقد وضع قدمه على قبر صلاح الدين : " **ها نحن قد عُدنا يا صلاح الدين** ! " ، والجنرال الإنجليزي (اللنبي) عند دخوله القدس ، يقول أمام كنيسة القيامة : " **اليوم ، انتهت الحروب الصليبية** " .

قال تعالى

(**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ، الْيَهُودَ ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** (82 المائدة)

الكتب المقدّسة تأمر اليهود بتدمير أصحاب البعث

احتل العراق مساحة شاسعة في التقرير السابق ، لأن التوراة تُخبر اليهود صراحة ، بأن العراقيون هم أصحاب البعث الثاني . وتوصيهم وتأمرهم كذلك ، بتدمير العراق ، بعد عودتهم من الشتات لفلسطين في المرة القادمة ، لإقامة دولتهم الثانية ، وتُحرّضهم وتحثّهم بألّا يدّخروا جهدا ، من أجل إعادته إلى العصر الحجري ، حتى لا يتمكّن أهل بابل ، من الانبعاث عليهم مرة أخرى ، عندما يأذن الله لهم بذلك .

بعض مقتطفات من النصوص التوراتية ، التي تحصُر البعث بالعراقيين :

موسى :

سفر التثنية " 28: 49 ويجلب الرب عليكم أمة من بعيد ، من أقصى الأرض ، فتنقضّ عليكم كالنسر ، 50: أمّة [جافية الوجه] يثير منظرها الرعب ، لا تهاب الشيخ ولا ترأف بالطفل (أولي بأس شديد) ، 51: فتستولي على نتاج بهائمكم ، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا ، ولا تُبقِ لك قمحا ولا خمرا ولا زيتا ، ... حتى تفنيك ، 52: وتحاصركم في جميع مدنكم ، حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة ، التي وثقتم بمناعتها ، ... "

31: 29: لأنني واثق أنكم بعد موتي ، تفسدون وتضلون عن الطريق الذي أوصيتكم بها ، فيصيبكم الشرّ في آخر الأيام (المرة الثانية تكون في آخر الأيام) ، لأنكم تقترفون الشر أمام الرب ، حتى تثيروا غيظه بما تجنيه أيديكم ... " .

32: 19: فرأى الرب ذلك ورذلهم ، إذ أثار أبناؤه وبناته غيظه ، 20: وقال : سأحجب وجهي عنهم فأرى ماذا سيكون مصيرهم ؟ إنهم جيل متقلب وأولادُ خونة ، 21: ... ، لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش (أولي بأس شديد) ، وأغيظهم بأمة حمقاء [أمة لا تفهمون لغتها] .

إشعياء :

10: 3: فماذا تصنعون في يوم العقاب ، عندما تقبل الكارثة من بعيد !

" 14: 29: لا تفرحي يا كلّ فلسطين (إسرائيل) ، لأن القضيب الذي ضربك قد انكسر . فانه من أصل تلك الأفعى يخرج أُفعوان ، وذريّته تكون ثعبانا سامّا طيّارا ... ولول أيّها الباب ، ونوحي أيّتها المدينة ، ذوبي خوفا يا فلسطين قاطبة ، لأن جيشا مُدرّبا قد زحف نحوك من الشمال ... " .

46: 11: أدعو من المشرق الطائر الجارح ، ومن الأرض البعيدة برجل مشورتي ، قد نطقت بقضائي ، ولا بد أن أجريه .

ارميا :

25: 9: فها أنا أُجنّد جميع قبائل الشمال ، بقيادة نبوخذ نصر عبدي* ، وآتي بها إلى هذه الأرض ، فيجتاحونها ويهلكون جميع سكّانها ، مع سائر الأمم المحيطة بها ، وأجعلهم مثار دهشة وصفير ، وخرائب أبدية .

* (عبدي) جاءت صفة لنبوخذ نصر في التوراة .

10: 22: اسمعوا ، ها أخبار تتواتر عن جيش عظيم ، مقبل من الشمال ، ليحوّل مدن يهوذا ، إلى خرائب ومأوى لبنات آوى .

6: 22: انظروا ، ها شعبٌ زاحف من الشمال ، وأمّة عظيمة تهبّ من أقاصي الأرض ، ... ، لمحاربتك يا أورشليم .

حزقيال :

21: 19: وأوحى إليّ الربّ بكلمته قائلا : أمّا أنت يا ابن آدم ، فخطّط طريقين لزحف ملك بابل . من أرض واحدة تخرج الطريقان ، وفي ترجمة أخرى [وأنت يا ابن آدم ، عيّن لنفسك طريقين ، لمجيء سيف ملك بابل ، من أرض واحدة تخرج الاثنتان]

23: 23-22: وآتي بهم عليك من كل ناحية ، أبناء البابليين ، وسائر الكلدانيين ، ومعهم جميع أبناء أشور .

ـ يعلم اليهود علم اليقين ، أن المبعوثين عليهم في المرة الثانية ، سيخرجون من أرض بابل وأشور ، فالكلدانيون بابليين وآشوريون هم سكان العراق القدماء . وبابل مدينة عراقية ، تقع في وسط العراق إلى الجنوب من بغداد ، وأشور تقع في شماله . ورغم معرفتهم هذه فهم مستمرّون في غيهم وطغيانهم ، ذلك لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا بأنبيائه سابقا ولاحقا ، فمعرفتهم به سبحانه جاءت من خلال آراء كهنتهم وأحبارهم . فهم يأخذون من التوراة ما يوافق أهوائهم ، ويتركون ما سواه . أما ما يؤمنون به حقا فهو المال والقوة . وبما أنهم يملكون القوة والمال ، وبما أن الله قد كشف لهم عن مُخططاته ، بالنسبة لحتمية القضاء على وجودهم في فلسطين ، فالحل لديهم ليس التوبة والرجوع إلى الله (الذي لا يقيمون له وزناً ، نتيجة افتراءات زنادقة التلمود عليه ، سبحانه وتعالى عمّا يصفون) ، وإنما بمخالفة مُخطّطات الله وإبطالها ، معتمدين على ما ألّفه الكهنة من نبوءات خاطئة عن الملك الموعود . وذلك بكل بساطة ، من خلال تنفيذ مخطّطات الكهنة والأحبار القديمة الجديدة ، التي وُضعت كحلّ لمعضلتهم المستعصية مع الله ، وهي إبادة الكلدانيين ، ومحو بابل الجديدة عن الوجود ، وتحويلها إلى صحراء قاحلة ، لا تسكنها إلا الثعالب ، وما كان تصريح أحد كلابهم (بوش الأب) ، عندما قال : (بأنه سيُعيد العراق إلى العصر الحجري) ، إلا من خلفية توراتية حاقدة .

نبوءة عن دمار بابل في سفر إشعياء

" 13: 8-1: رؤيا إشعياء بن آموص بشأن بابل : " انصبوا راية فوق جبل أجرد ، اصرخوا فيهم لوحوا بأيديكم ، ليدخلوا أبواب [العتاة] ... لأن الرب القدير يستعرض جنود القتال . يقبلون من أرض [بعيدة] من أقصى السماوات ، هم جنود الرب وأسلحة سخطه لتدمير الأرض كلها . [ولولوا] ، فإن يوم الرب بات وشيكا ، قادما

من عند الرب مُحمّلا بالدمار . لذلك ترتخي كل يد ، ويـذوب قلب كل إنسـان . ينتـابهم الفزع ، وتأخذهم أوجاع ، يتلوون كوالدة تُقاسي من الآم المخاض ...

" 13: 9-16: ها هو يوم الرب قـادم ، مفعما بالقسـوة والسـخط والغضب الشـديد ، ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها الخطـاة ... والشـمس تظلم عند بزوغها (كسـوف) ، والقمر لا يلمع بضوئه (خسوف) . وأعاقب العالم على شرّه والمنافقين على آثـامهم ، وأضع حدّا لصلف المُتغطرسين وأُذلّ كبريـاء العتـاة ... وأزلـزل السـماوات فتـتزعزع الأرض في موضعها ، من غضب الرب القدير في يوم احتدام سـخطه . وتـولّي جيـوش بابل (عبـارة جيـوش بابل ، غـير موجـودة في الترجمة الأخـرى) حـتى يُنهكها التعب ، عائـدين إلى أرضـهم كـأنهم غـزال مُطـارد أو غنم لا راعي لها . كل من يُؤسر يُطعن ، وكل من يُقبض عليه يُصـرع بالسـيف ، ويُمـزّق أطفـالهم على مـرأى منهم ، وتُنهب بيوتهم وتُغتصب نسائهم " .

" 13: 17-22: ها أنا أُثير عليهم الماديين (الإيرانيين) ، الذين لا يكـترثون للفضة ولا يُسـرّون بالـذهب ، [فتحطم] قسـيّهم الفتيـان ، ولا يرحمـون الأولاد أو الرضع ... أما بابل مجد الممالك وبهاء وفخر الكلدانيين ، فتُصبح كسدوم وعمورة اللتين قلبهما الله . لا يُسـكن فيها ، ولا تعمر من جيل إلى جيل ، ولا ينصب فيها بـدوي خيمته ، ولا يُـربض فيها راع قُطعانه . إنما تأوي إليها وحـوش القفر وتعجّ البـوم خرائبها ، وتلجأ إليها بنـات النعام ، وتتـواثب فيها [معز الـوحش] ، وتعـوي الضّـباع بين أبراجها ، وبنـات آوى في قصورها الفخمة . إن وقت عقابها بات وشيكا ، وأيامها لن تطول " .

" 14: 1 ولكنّ الـرب [سـيرحم] ذريّة يعقـوب ، ويصـطفي شـعب إسـرائيل ثانية ، وُيحلّهم في أرضهم ، فينضم الغرباء إليهم ويلحقون ببيت يعقوب . وتمُدّ شعوب الأرض إليهم يد العون ، ويصيرون عبيـدا لبـني إسـرائيل ، في أرض الـرب ، ويتسـلّطون على آسريهم وظالميهم . في ذلك اليوم يُريحكم الـرب ، من عنـائكم وشـقائكم وعبـوديتكم القاسية " .

" 14: 4-23: فتسخرون من ملك بابل قائلين : " كيف استكان الظالم وكيف خمدت غضبته المُتعجرفة ؟ قد حطّم الرب عصا المنافق وصولجان المُتسلطين ... حتى شجر السرو وأرز لبنان عمّها الفرح ، فقـالت : " منذ أن انكسـرت شـوكتك ، لم يصـعد إلينا قاطع حطب " ... والذين يرونك ، يحملقون فيك ويتساءلون : " أهذا هو الإنسان الـذي زعزع الأرض وهزّ الممالك ، الذي حوّل المسكونة إلى مثل القفر ، وقلب مُـدنها ، ولم يُطلق أسراه ليرجعوا إلى بيوتهم ؟ " ... أما أنت فقد طُرحت بعيدا عن قبرك ، كغصن مكسور ... لأنك خـرّبت أرضك ، وذبحت شـعبك ، فذريّة فـاعلي الإثم ، يبيد ذكرها إلى الأبد . أعـدّوا مذبحة لأبنائه جـزاء إثم آبـائهم ، لئلا يقومـوا ويرثـوا الأرض فيملئـوا وجه البسيطة مُدناً . يقول الرب القدير : " إني أهبّ ضدهم ، وأمحو من بابل ، اسماً وبقيةً ونسلاً وذريةً ، وأجعلها ميراثاً للقنافذ ، ومستنقعاتٍ للمياه ، وأكنسها بمكنسة الدمار " .

ـ دعوة للشماتة والسخرية من بابل بعد سقوطها . ودعوة لإعداد مذبحة لأبنائها ؛ أولا : للانتقام منهم لما فعله آبائهم سابقا ، وثانيا : لمنع الأبنـاء من تكـرار فعل الأبـاء لاحقا ، وتلك هي مُبرّراتهم لتدمير العراق .

" 14: 29: لا تفرحي يا كلّ فلسطين (إسـرائيل) ، لأن القضـيب الـذي ضـربك قد انكسر . فانه من أصل تلك الأفعى يخرج أُفعوان ، وذريّته تكـون ثعبانا سـامّا طيّـارا ... ولـول أيّها البـاب ، ونـوحي أيّتها المدينة ، ذوبي خوفا يا فلسـطين قاطبة ، لأن جيشا مُدرّبا قد زحف نحوك من الشمال ... " .

ـ وهذا النص يُحذر اليهود من الفرح ، بانكسار قضيب بابل (أي بانكسار العراق في بادئ الأمر) ، لأنه في النهاية سينهض من جديد ، ليُنجز ما قضاه الله عليهم . فالأفعوان لا محالة خارج ، من أصل تلك الأفعى ، طال الزمان أو قصر ، وسينفث سمّه في أجسادهم عند مجيء الموعد ، وذريته ستكون أشد بأسا وأشد تنكيلا .

نبوءة عن دمار بابل من سفر ارميا

جاء هذا النص ، تحت (مُسمى النبوءة التي قضى بها الرب) ، والحقيقة أنه وثيقة للثأر وتسديد للحساب القديم لمملكة بابل ، كتبه كهنتهم وأحبارهم ، بعد أن سامهم أهل بابل في المرة الأولى ، أشكالا وألوانا من الذل والهوان والعذاب ، ولم يستطع أولئك الكهنة ، تقبّل فكرة أن إلههم - الذي أرادوه حسب أهوائهم ، فجعلوه كالعجينة بين أيديهم ، يُشكّلونها كما شاءوا - يتخلى عنهم ويسمح لأولئك البابليّون الوثنيون ، بالقضاء على حبيبته أورشليم ، وأبناؤه وأحباؤه وشعب الله المُختار . فكان وقع الصدمة شديد عليهم ، حيث أتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا ، وكان غاية في البشاعة ، حتى أنّهم شبّهوه في توراتهم ، بعذاب قوم لوط ، مما أشعل نيران الحقد والكراهية اتجاه البابليين ، التي ما زالت مشتعلة في قلوبهم إلى الآن ، بعد أن توارثوها ، جيلا بعد جيل .

حفظة التوراة من الأحبار والكهنة ، هم أنفسهم من كان سببا ، في دمار دولتهم الأولى ، بفسادهم وإفسادهم ، وحثهم الناس على الفساد والإفساد ، من حكّام ومُترفين وعامة ، وهم الذين كذبوا وحاربوا أنبياء الله والصالحين من الناس ، وتآمروا عليهم وأمروا بقتلهم ، لمّا كانوا يأتونهم من عند الله بما يُخالف أهواءهم . وعندما وقع ما لم يكن في حُسبانهم ، أنكروا ذلك وأنكروا أنه جاء في كُتبهم ، وأنكروا أنه جاء من عند الله ، وأنكروا أنه عقابا لهم على إفسادهم (**... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** (13) **... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ** (14 الحشر) . فخروج البابليين كان حسدا من عند أنفسهم ، ورغبة منهم للاستيلاء على كنوزهم ، لذلك كان لا بد لهم من الانتقام منهم ، عندما تُردّ لهم الكرّة مرة أخرى ، فخطّوا بأقلامهم ما ستقرأه لاحقا .

أخبر سبحانه بأنه سيكون لليهود ، كرّة على أولئك العباد (الكلدانيين) ، وذلك بهزيمتهم عسكريا في حروبهم معها ، وقد تحصّل ذلك في كافة حروبها مع العرب ، ومن ضمنها العراق ، في بدايات نشوء الدولة اليهودية ، ونسب سبحانه ردّ الكرة إلى نفسه ، ليُذكّرهم ويُؤكدّ لهم أنّ ما تمّ لهم ذلك ، إلا بإذنه ومشيئته ، منّاً وكرماً ، وعقابا للعرب على نكوصهم عن دينهم ، وتخليهم عن حمل رسالتهم ، فما من مصيبة تقع في الناس ، إلا من كسب أيديهم ، كما أخبر سبحانه في غير موضع من كتابه العزيز ، بالإضافة إلى ما أوردناه سابقا من حكم إلهية ، لعودة اليهود إلى فلسطين .

أمّا أن الله قد أمرهم ، بتدمير العراق وإبادة أهله ، وتحويل العراق إلى صحراء قاحلة ، تسكنها الثعالب ، فحاشا لله ، أن يأمر أو يُحرّض الناس على الإفساد في الأرض ، وهو الذي سيمحو ذكرهم عن فلسطين ، على أيدي العراقيين أنفسهم ، لعظم ما أفسدوه في أرضه ، ولأجل الإفساد ذاته ، ولأجل سفك دماء الأبرياء الذي هو أعظم الإفساد في الأرض . إذ أنهم فور امتلاكهم للقوة والسلطة ، أسرفوا في القتل والتنكيل ، أيّما إسراف ، في الأرض على عمومها ، فأصابعهم ملوثة بدماء ضحايا كافة الحروب على مرّ العصور . ففي مملكتهم الأولى أوقعوا القتل والنهب والنفي في أبناء جلدتهم ، وفي دولتهم الثانية كرّروا فعلتهم في شعب فلسطين .

ولا يغب عن البال أن هذه النص التحريضي ، بما يحفل به من مبالغة وتهويل ، وتكــرار وتطويل ، كُتب بعد السبي البابلي ، قبل 2500 عـام تقريبا ، كـدعوة للانتقـام من بابل القديمة ، عند عودتهم من السبي والشـتات إلى فلسـطين ، وإن كـانت بابل قد وقعت في أيدي الفرس قديما كما جاء في التوراة ، فمملكة فارس تقع إلى الشـرق من بابل وأشور ، والنبوءة تقول أن من سيُدمّرها جمع من الملوك يجتمعون عليها من الشــمال . حــتى جـاءت دولتهم الحالية ، وأخذ يهـود هـذا العصر ، بكل ما لــديهم من طاقــات وإمكانيات ووسائل ، على عـاتقهم تنفيذ هـذا البرنـامج ، الـذي وضـعه لهم أربـابهم من الأحبـار والكهنة (الحكمـاء) . ولو أنك أمعنت النظر في الواقع ، وما مـرّ بـالعراق من أحداث ، خلال عشرين سنة ماضـية ، تجد أن مرجعية كل تلك الأحـداث ، موجـودة في هذا النص التوراتي وبالتفصيل .

ـ وفي ما يلي النص الكامل لوثيقة الثـأر ، والـدعوة لتسـديد الحسـاب القـديم لبابل الجديـدة ، كما جـاء في الإصـحاح (50 –ـ 51) من سـفر ارميا ، بما فيها من تكـرار وتطويل :

التحريض الإعلامي :

" النبـوءة الـتي قضى بها الـرب ، على بابل وعلى بلاد الكلـدانيين ، على لسـان ارميا النبي : أخبِروا في الشعوب وأسمِعوا وارفعوا راية ، أسـمِعوا لا تخفـوا ، قولـوا : قد تم الاستيلاء على بابل ، ولحق ببيل العار وتحطّم مردوخ (أسـماء لأصـنام بابل) ، خـربت أصــنامها وانســحقت أوثانها ، لأن أمة من الشــمال ، قد زحفت عليها ، لتجعل أرضــها مهجورة ، شرد منها الناس والبهائم جميعا " .

التنفيذ مرتبط بعودتهم إلى فلسطين :

" وفي تلك الأيــام ، يقــول الــرب ، يتوافد بنو إســرائيل وبنو يهــوذا معا ، يبكــون في سيرهم ويلتمسون الرب إلههم ، يسألون عن الطريق صهيون ويتوجّهون إليها قـائلين : هلم ننضمّ إلى الرب ، بعهد أبدي لا يُنسى ، إنّ شعبي كغنم ضالّة قد أضـلّهم رعـاتهم ، وشرّدوهم على الجبال ، فتاهوا ما بين الجبل والتل ، ونسوا مربضهم ، كل من وجدهم افترسهم ، وقال أعدائهم : لا ذنب علينا لأنهم ، هم الذين أخطأوا في حقّ الرب ، الذي هو ملاذهم الحقّ ، ورجاء آبائهم "

دعوة لخروج الغرباء من بابل :

" اهربوا من وسط بابل ، واخرجوا من ديار الكلـدانيين ، وكونـوا كـالتيوس أمـام قطيع الغنم ، (الطلب من جميع الغربيين مُغـادرة العـراق قبل القصف) فها أنا أثـير وأجلب على بابل ، حشــود أمم عظيمة (30 دولة) ، من أرض الشــمال ، فيتــألّبون عليها ، ويسـتولون عليها من الشـمال ، وتكـون سـهامهم كجبّـار متمـرّس لا يرجع فارغا (من الصــيد) ، فتصــبح أرض الكلــدانيين غنيمة ، وكل من يســلبها يُتخم (عوائد النفط) ، يقول الرب . لأنكم تبتهجون وتطفرون غبطة يا ناهبي شعبي ، وتمرحـون كعِجلـةٍ فـوق العشب وتصـهلون كالخيل ، فـإنّ أمّكم قد لحقها الخـزي الشـديد ، وانتابها الخجل ، ها هي تُضحي أقلّ الشعوب ، وأرضها تصير قفرا جافا وصحراء ، وتظلّ بأسـرها مهجـورة وخربة ، كل من يمرُّ ببابل ، يُصيبه الذعر ويصفر دهشة ، لما ابتليت به من نكبات " .

تحريض على تدمير بابل :

" اصطفّوا على بابل من كل ناحية ، يا جميع موتري الأقواس ، ارموا السهام ولا تبقــوا سـهما واحـدا ، لأنها قد أخطـأت في حـقّ الـرب (لأنها أنـزلت بهم العقـاب الإلهي في المرة الأولى) ، أطلقوا هتاف الحرب عليها من كل جانب (طبل وزمر الإعلام الغربي قبل بــدء الحــرب) ، فقد استسـلمت (لقــرارات مجلس الأمن) وانهــارت أسســها وتقوضت أسـوارها (البنية التحتية) ، لأن هـذا هو انتقـام الـرب (بل هو انتقـامهم) ، فاثـأروا منها (تحـريض) ، وعاملوها بمثل ما عـاملتكم ، استأصـلوا الـزّارع من بابل ، والحاصد بالمنجل في يــوم الحصــاد ، إذ يرجع كل واحد إلى قومه ، ويهـرب إلى أرضه فرارا من سيف العاتي " .

دوافع الانتقام :

" إســرائيل قطيع غنم مشـتّت ، طردته الأسـود ، كـان ملك أشـور أولّ من افترسه ، ونبوخذ نصر آخِر من هشّم عظامه (كان هذا واقع حال الكهنة ، عند كتابة هذه الوثيقة ، موضحين دوافع هذا التحريض) ، لذلك هذا ما يُعلنه الرب القدير إله إسرائيل : ها أنا أُعاقب ملك بابل وأرضه ، كما عاقبت ملك أشور من قبل ، وأردّ إسرائيل إلى مرتعه ، فيرعى في الكرمل وباشان ، وتشبع نفسه في جبل أفرايم وجلعاد . وفي ذلك الزمـان والأوان (المستقبل) ، يقول الرب (وما هو بقوله) : يُلتمس إثم إســرائيل فلا يوجد ، وخطيئة يهوذا فلا تكـون ، لأني أعفو عمن أبقيته منهما (في المـرة الثانية بعد السـبي البابلي) " .

تحريض مستمر:

" ازحف على أرض ميراثـايم (الجبّـار المتمـرّد ، أي ملك بابل) ، وعلى المقيمين في فقـود (أرض العقـاب ، بابل) خَـرِّب ودمِّر وراءهم (أثنـاء فـرارهم) ، يقـول الـرب ، وافعل حسب كل ما آمــرك به . قد عَلَتْ جلبة القتــال في الأرض (على مــرآى من العـالم في بث حيّ ومُباشر) ، صـوت تحطيم عظيم (دوي القنابل) ، كيف تكسـرّت وتحطّمت بابل ، مطرقة الأرض كلها ؟ قد نصبتُ الشرك فوقعتِ فيه يا بابل (تورطت في الحرب نتيجة مؤامرة) ، من غير أن تشعري ، قد وُجدّتِ (أُخـذتِ) وقُبضَ عليك ، لأنّك خاصمت الربّ ، قد فتح الـرب (أمريكا الـتي يعبـدون) مخـزن سـلاحه ، وأخـرج آلات سخطه (التعبير هنا أكـثر دقة وبمصـطلحات حديثة) ، لأنه ما بـرح للسـيد الـرب القدير ، عمل يُنجزه في ديار الكلدانيين (حربين مدمّرتين وحصار وما زال في جعبتهم أكـثر ، لاحقا) ، ازحفـوا عليها من أقاصي الأرض ، وافتحـوا أهراءها ، وكوّموها أعراما واقضـوا عليها قاطبة ، ولا تـتركوا منها بقية ، (نهب ثرواتها وخيراتها) ، اذبحــوا جميع ثيرانها ، أحضروها للذبح ، ويل لهم لأن يوم موعد عقابهم قد حان " .

استخدام وسائل الإعلام في الطبل والزمر (تكرار) :

" اسمعوا ها جلبة الفارّين النـاجين ، من ديـار بابل ليـذيعوا في صهيون ، أنبـاء انتقـام الـربِ إلهنا والثـأر لهيكله ، اسـتدعوا إلى بابل رمـاة السـهام ، جميع مـوتري القسي (مُذخّري السـلاح) ، عسـكروا حولها فلا يُفلت منها أحد (الحصـار) ، جازوها بمُقتضى أعمالها ، واصنعوا بها كما صنعت بكم ، لأنها بغت على الرب قـدّوس إسـرائيل ، لـذلك يُصرع شبّانها في ساحاتها ، ويبيد في ذلك اليـوم جميع جنودها ، يقـول الـرب . ها أنا أُقاومكِ أيتها المتغطرسة ، يقول الـرب القـدير ، لأن يـوم إدانتك ، وتنفيذ العقـاب فيك

قد حان ، فيتعثّر المُتغطرس ويكبو ، ولا يجد من يُنهضه ، وأُضرم نــارا في مُدنه فتلتهم ما حوله " .

دوافع الانتقام (تكرار) :

" وهذا ما يعلنه الرب القدير : قد وقع الظلم على شـعب إسـرائيل (عقـابهم من قبل بابل كان ظلمـاً لهم) ، وعلى شـعب يهـوذا ، وجميع الـذين سـبوهم وتشـبّثوا بهم ولم يطلقوهم ، غير أن فاديهم قوي ، الرب القدير اسـمه ، وهو حتما يُـدافع عن قضـيتهم ، لكي يُشيع راحة في الأرض ، ويُقلق أهل بابل . ها سيف على الكلدانيين ، يقول الــرب وعلى أهل بابل ، وعلى أشرافها وعلى حكامها " .

طبيعة العقاب الذي يأمل اليهود أن يوقعوه في بابل وأهلها :

" ها سيف على عرّافيها فيصـبحون حمقى ، وها سـيف على مُحاربيها فيمتلئـون رعبا . ها سـيف على خيلها وعلى مركباتها ، وعلى فـرق مُرتزقتها فيصـيرون كالنســاء ، ها سيف على كنوزها فتُنهب ، ها الحَرّ على مياهها فيُصيبها الجفاف (بسبب ضـربة نووية قادمة) لأنها أرض أصــنام ، وقد أولع أهلها بالأوثــان . لــذلك يسـكنها وحش القفر مع بنات آوى ، وتأوي إليها رعال النعام ، وتظلّ مهجورة إلى الأبد . غير آهلة بالسكان إلى مدى الدهر . وكما قلب الله سدوم وعمورة وما جاورهما ، هكـذا لن يسـكن فيها أحد ، أو يقيم فيها إنسان (وهذا ما يصبون إليه ، ولن يهدأ لهم بال حتى يحققوه) " .

العدوان الثلاثيني لتدمير بابل وإسقاط نظام الحكم فيها :

" ها شعب مُقبل من الشمال ، أمّةٌ عظيمةٌ ولفيفٌ من الملوك (العـدوان الثلاثيـني) ، قد هبّوا من أقاصي الأرض ، يمسكون بالقسيّ ويتقلّـدون بالرمـاح ، قُسـاة لا يعرفـون الرحمة ، جلبتهم كهدير البحر ، يمتطون الخيل وقد اصطفوا كرجل واحد ، لمحاربتك يا بنت بابل (بابل الجديــدة هي بنت بابل القديمة ، أي العــراق) ، قد بلغ خــبرهم ملك بابل ، فاسترخت يده وانتابته الضيقة ، ووجع امـرأة في مخاضـها . انظر ، ها هو ينقضّ عليها ، كما ينقضّ أسد من أجمات نهر الأردن ، هكذا وفي لحظة أطردهم منها ، وأولي عليها من أختاره (قلب نظام الحكم ، وإسـقاط الـرئيس ، وتولية من يرضـون عنه) . لأنه من هو نظيري ؟ ومن يُحاكمني ؟ وأي راع يقوى على مواجهــتي ؟ " (من منطلق العنجهية والقوة العمياء) .

قصف بابل بالقنابل التوراتية :

" لــذلك اسـمعوا ما خطّطه الــربّ ضــدّ بابل (بل ما خطّطه ودبّــره عميــان القلب والبصـيرة ، من كهنتهم وأحبـارهم الحاقــدين) ، وما دبّــره ضد ديـار الكلــدانيين ، ها صغارهم يُجـرّون جـرّا ، ويُخـرّب مسـاكنهم عليهم . من دوي أصـداء سُـقوط (القنابل التوراتية على) بابل ترجف الأرض ، ويتردّد صراخها بين الأمم " .

" وهــذا ما يُعلنه الـرب (أربــابهم) : ها أنا أُثــير على بابل ، وعلى المُقيمين في ديـار الكلــدانيين ريحا مُهلكة ، وأبعث إلى بابل مُــذرّين يُـذرّونها ، ويجعلــون أرضــها قفــرا ، ويُهاجمونها من كل جــانب في يــوم بليّتها . ليـوتر (يُـذخّر) الــرامي قوسه وليتــدجّج بسلاحه (لتلقي طائراتهم كل حمولتها فوق بابل) ، لا تعفوا عن شُبّانها ، بل أبيدوا كل جيشـها إبـادة كاملة ، يتسـاقط القتلى في أرض الكلــدانيين ، والجـرحى في شـوارعها (من المــدنيين طبعا) ، لأن إســرائيل ويهــوذا لم يُهملهما الــربّ القــدير ، وإن تكن

أرضهما تفيضُ بالأثم ضدّ قدّوس إسرائيل (ربهم معهم دائما حتى لو وصل إفسادهم عنان السماء) " .

دعوة لخروج الغرباء من بابل (تكرار) :

" اهربوا من وسط بابل ، ولينجُ كل واحد بحياته ، لا تبيدوا من جراء إثمها (دعوة للجاليات الغربية لمغادرة العراق) ، لأن هذا هو وقت انتقام الرب (الوقت الذي حدده جورج بوش) ، وموعد مُجازاتها (تصفية الحساب القديم قبل 2500 عام تقريبا) ، كانت بابل كأس ذهب في يد الله (الثروة والقوة) ، فسكرت الأرض قاطبة ، تجرّعت الأمم من خمرها ، لذلك جُنّت الشعوب . فجأة سقطت بابل وتحطّمت ، فولولوا عليها ، خذوا بلسما لجرحها لعلها تبرأ . قُمنا بمداواة بابل (حرب الخليج الأولى ، وضرب المفاعل النووي) ، ولكن لم ينجع فيها علاج (إذ قامت بالتهديد بحرق نصفها حال اعتدائها على أي بلد عربي) . اهجروها وليمض كل واحد منا إلى أرضه ، لأن قضاءها قد بلغ عنان السماء ، وتصاعد حتى ارتفع إلى الغيوم (تهديدها لدولة الأفاعي مرارا وتكرارا) " .

تحريض الإيرانيين على تدمير بابل :

" قد أظهر الرب برّنا ، فتعالوا لنُذيع في صهيون ، ما صنعه الرب إلهنا . سنّوا السهام وتقلّدوا التروس ، لأن الرب قد أثار روح ملوك الماديين (الإيرانيين) ، إذ وطّد العزم على إهلاك بابل ، لأن هذا هو انتقام الرب ، والثأر لهيكله . انصبوا راية على أسوار بابل ، شدّدوا الحراسة ، أقيموا الأرصاد (الجواسيس والعملاء) أعدوا الكمائن (المؤامرات) ، لأن الرب قد خطّط وأنجز ما قضى به على أهل بابل ، أيتها الساكنة إلى جوار المياه الغزيرة ، ذات الكنوز الوفيرة ، إن نهايتك قد أزفت ، وحان موعد اقتلاعك ، قد أقسم الرب القدير بذاته ، قائلا : لأملأنّك أناسا كالغوغاء فتعلوا جلبتهم عليك " .

بقدرة الرب القدير سيتم تدمير بابل :

" هو الذي صنع الأرض بقدرته ، وأسّس الدنيا بحكمته ، ومدّ السماوات بفطنته ، ما إن ينطق بصوته ، حتى تتجمع غمار المياه في السماوات ، وتصعد السحب من أقاصي الأرض ، ويجعل للمطر بروقا ، ويُطلق الريح من خزائنه ، كل امرئٍ خامل وعديم المعرفة ، وكل صائغ خزيَ من تمثاله ، لأن صنمه المسبوك كاذب ولا حياة فيه ، جميع الأصنام باطلة وصنعة ضلال ، وفي زمن عقابها تبيد . أما نصيب يعقوب فليس مثل هذه الأوثان ، بل جابل كل الأشياء . وشعب إسرائيل ميراثه ، واسمه الرب القدير ، أنت فأس معركتي وآلة حربي ، بك أمزّق الأمم إربا وأُحطّم ممالك ، بك أجعل الفرس وفارسها أشلاء ، وأهشّم المركبة وراكبها ، بك أحطّم الرجل والمرأة ، والشيخ والفتى والشاب والعذراء ، بك أسحق الراعي وقطيعه ، والحارث وفدّانه والحكّام والولاة " .

خطيئة بابل في حق صهيون :

" سأُجازي بابل وسائر الكلدانيين على شرّهم ، الذي ارتكبوه في حق صهيون ، على مرأى منكم ، يقول الرب . ها أنا أنقلب عليك أيها الجبل المخرّب ، أنت تُفسد كل الأرض ، لذلك أمدّ يدي عليك ، وأدحرجك من بين الصخور ، وأجعلك جبلا محترقا ، فلا

يُقطع منك حجر لزاوية ، ولا حجر يُوضع لأساس ، بل تكـون خرابا أبـديا ، يقـول الـرب " .

تحريض الأمم والممالك على تدمير بابل (تكرار) :

" انصـبوا رايـةً في الأرض ، انفخـوا في البـوق بين الأمم (وسـائل الإعلام الغربية) ، أثيروا عليها الأممَ لقتالها ، وألّبوا عليها ممالكَ أراراط ومنّي وأشكناز (تركيا وما حولها) ، أقيموا عليها قائداً ، اجعلوا الخيل تزحف عليها ، كجحافلِ الجنادبِ الشرسة . أثيروا عليها الأممَ وملوكَ الماديين (الإيرانيين) ، وكل حكّـامِهم وولاتهم وسـائر الـديار الـتي يحكمونها (إمبراطورية فـارس القديمة) . الأرضُ ترتجف وتقشـعرّ ، لأن قضـاء الـرب على بابل يتمّ ، ليجعل أرض بابل خرابا وقفرا " .

أهل بابل بيدر ، أزف موعد حصاده في 16 – 1 – 1991م :

" قد أحجم مُحـــاربو بابل الجبـــابرة عن القتـــال ، واعتصـــموا في معـــاقلهم ، خـــارت شجاعتهم وصاروا كالنساء ، احترقت مسـاكن بابل وتحطّمت مزاليجها ، يـركض عـدّاء لملاقـاة عـدّاء آخر ، ويُسـرع مُخـبر للقـاء مُخـبر ، ليُبلغ ملك بابل أن مدينته ، قد تم الاستيلاء عليها ، من كل جانب ، قد سقطت المعابر ، وأحرقت أجمات القصب بالنـار ، واعترى المحاربين الذعر ، لأن هـذا ما يُعلنه الـرب القـدير إله إسـرائيل : أنّ أهل بابل كالبيدر ، وقد حان أوان درس حنطته ، وبعد قليل يأزف موعد حصادهم " .

دوافع الانتقام (تكرار) :

" يقول المسبيون : " قد افترسـنا نبوخذ نصر ملك بابل ، وسـحقنا وجعلنا إنـاءً فارغا ، ابتلعنا كتنّين ، وملأ جوفه من أطايبنا ، ثم لفظنا من فمه " . يقـــول أهل أورشـــليم : " ليحُلّ ببابل ما أصابنا ، وما أصـاب لحومنا من ظلم " ، وتقـول أورشـليم : " دمي على أهل أرض الكلدانيين " (مطالبة بالثأر مستقبلا من الأجيال القادمة) .

الكيفية التي تم بها إشعال حرب الخليج الثانية :

" لـذلك هـذا ما يُعلنه الـرب : ها أنا أُدافع عن دعـواك وانتقم لك ، فـأجفف بحر بابل وينابيعها ، فتصير بابل ركاما ، ومأوى لبنات آوى ، ومثـار دهشة وصـفير وأرضا موحشة (سيتحصّل لهم ذلك في حـال ضـرب العـراق نوويا ، وهو ما يُفكّـرون به حاليا) ، إنهم يزأرون كالأسود ، ويُزمجرون كالأشبال ، (أي العراقيون ، وهذا ما يُغيظ تلك الفئران ، التي ترتعد فرائسها ، وتصطك أسنانها هلعا وجزعا ، عند سماعها للتهديدات العراقية) ، عند شـبعهم ، أُعـدّ لهم مأدبة (دولة الكـويت ، وحكامها باسـتجابتهم لأبالسة المكر والدهاء جعلوا منها مأدبة) ، وأسكرهم حتى تأخذهم نشوة (الإغـراء والمـديح لحكـام العـراق ، باسـتجابتهم للفريق الثـاني من الأبالسة) ، فينـاموا نوما أبـديا لا يقظة منه ، يقول الرب . وأحضرهم (العراقيين) كالحملان للذبح ، وكالكباش والتيوس " .

ـ وكلا الفريقين وبقية الدول العربية ، بعلم ومن غير علم ، وقعوا في الفخ الـذي نُصب لهم ، وكلهم ملـومين بلا اسـتثناء ، ومن يضع اللـوم على فريق دون الآخر ، فقد جانبه الصواب ، فكل عـربي كـان له دور في المـؤامرة ، ونفـذّه على أكمل وجه ، وكـلٌ أخذ نصيبه في تأجيج نـار الفتنة . وفي المحصـلة نُهبت ثـروات الأمة ، واسـتخدمت لإشـباع بعضا من الرغبة اليهودية في الانتقام من بابل ، ولـديهم مزيد ، فتـوراتهم تـأمرهم بـألّا يتركوا العراق ، حتى يعود إلى " العصر الحجري " ، كما صرح الرئيس الأمريكي آنذاك

، وأقصى أمـانيّهم ، هي اختفـاء أي مظهر من مظـاهر الحيـاة في العـراق ، خوفا من تكرار كابوس السبي البابلي ، الذي ما زال يؤرق أجفانهم ، ويقضّ مضــاجعهم ، ما دام هناك عراق قوي ، يُهدّد وجودهم ، وقادر على الوصول إليهم .

المصير المرعب الذي كان اليهود يتمنونه لبابل بعد حرب الخليج وما زالوا :

" كيف اسـتُوليَ على بابل ! كيف سـقطت فخر كل الأرض ! كيف صـارت بابل مثـار دهشة بين الأمم ! قد طغى البحر على بابل ، فغمرها بأمواجه الهائجة ، وأصـــبحت مُدنها موحشة ، وأرض قفر وصحراء ، أرض لا يـأوي إليها أحد ، ولا يجتـاز بها إنسـان ، وأعـاقبُ الصـنم بيل في بابل ، وأسـتخرج من فمه ما ابتلعه ، (نهب ثـروات العـراق تعويضا عن كنوز الهيكل) ، فتكفّ الأمم من التوافد إليه ، وينهدم أيضا سور بابل " .

ـ لا بد لهم ، من ضرب العراق بالنووي ، عاجلا أم آجلا ، حـتى يتمكنـوا من تحقيق هـذا الحلم التوراتي ، فالأسـلحة التقليدية لم تُجـدي نفعا ، والـرعب المرَضِـيّ اليهـودي من اسم بابل وأشـور ، كما هو واضح من هـذه النصـوص ، ليس له علاج إلا محو هـذا البلد بأهله ، عن الوجــود وإلى الأبد ، وهــذا ما يُصــرّحون به ، في هــذه النصــوص ، ومن معرفتك بطبيعة العلاج الذي يصفونه لأنفسهم ، تسـتطيع التعـرف على خطـورة الحالة المرضيّة المستعصية ، التي يُعـانون منها ، وخطـورة ما قد يُقـدمون عليه مسـتقبلا في حق العراق .

دعوة أخرى لخروج الغرباء من بابل (تكرار) :

" اخرجـوا من وسـطها يا شـعبي (لـذلك لم يبـدأ العـدوان إلا بعد خـروج رعايا الـدول المعتدية ، والنية كـانت تـدمير العـراق عن بكـرة أبيه ، لو أُتيح لهم ذلك) ، ولينجُ كل واحد بحياته ، هربا من احتدام غضب الرب ، لا تخرّ قلوبكم ولا تفزعوا ، مما يشـيع في الديار من أنباء ، إذ تروج شائعة في هـذه السـنة ، وأخـرى في السنة التالية ، ويسـود العنف الأرض ، ويقوم مُتسلّط على مُتسلّط . لذلك ها أيام مُقبلة ، أُعاقب فيها أصـنام بابل ، ويلحق العار بأرضها كلها ، ويتساقط قتلاها في وسـطها ، عندئذ تتغـنى بسـقوط بابل ، السماوات والأرض وكل ما فيها ، لأن المُدمّرين يتقـاطرون عليها من الشـمال ، يقول الرب " .

المستهدف هو شعب بابل :

" كما صـرعت بابل قتلى إسـرائيل ، هكـذا يُصـرع قتلى بابل في كل الأرض (السن بالسن والعين بالعين) ، يا أيّها الناجون من السيف ، اهربوا لا تقفوا ، اذكروا الرب في مكانكم البعيد ، ولا تبرح أورشليم من خواطركم . قد لحقنا الخزيَ لأننا استمعنا للإهانة ، فكسا الخجل وجوهنا (إسـاءة الوجه) ، إذ انتهك الغربـاء (أي البـابليون) مقـادس هيكل الرب (بعدما حوّله الكهنة إلى بورصة ، للتبادلات التجارية الربويّة ، حسـبما ذكر أنبياؤهم) " .

" لذلك ها أيام مُقبلة ، يقول الرب ، أُنفّذ فيها قضـائي على أصـنام بابل ، ويئنّ جرحاها في كل ديارها ، وحتى لو ارتفعت بابل فبلغت عنان السماء ، وحتى لو حصّـنت معاقلها الشامخة ، فإنّ المُدمّرين ينقضون عليها من عندي ، يقول الرب " .

المصير المرعب الذي كان اليهود يتمنونه لبابل بعد حرب الخليج وما زالوا (تكرار) :

" ها صوت صراخ يتردّد في بابل ، صوت جلبة دمار عظيم ، من أرض الكلـدانيين ، لأن الرب قد خرّب بابل ، وأخرس جلبتها العظيمة ، إذ طغت عليها جحافل أعدائها ، كميـاه عجّاجة ، وعلا ضـجيج أصـواتهم ، لأن المُـدمّر قد انقض على بابل ، وأسـرَ مُحاربيها ، وتكسـرت كل قسيّها (أسـلحتها) ، لأن الـرب إله مُجـازاة ، وهو حتما يُحاسـبها ، إني أسكرُ رؤسـاءها وحكماءها ومحاربيها ، فينـامون نوما أبـديا لا يقظة منه ، ... ، وهـذا ما يُعلنه الرب القدير : إن سور بابل العريض ، يُقـوّض ويُسـوّى بـالأرض ، وبوّاباتها العالية تحترق بالنار ، ويذهب تعب الشعوب باطلا ، ويكون مصير جهد الأمم للنار " .

" وكان ارميا قد دوّن في كتاب واحد ، جميع الكوارث التي ستُبتلى بها بابل ، أي جميع النبـوءات المدوّنة عن بابل ، (وأرسـله ارميا إلى بابل وقـال لحامله) : " حالما تصل إلى بابل ، اعمل على تلاوة جميع هـذه النبـوءات ، وقل : أيها الـرب ، قد قضـيت على هذا الموضع بالانقراض ، فلا يسكن فيه أحد من الناس والبهائم ، بل يُصـبح خرابا أبـديا " ، ومتى فرغت من تلاوة هـذا الكتـاب ، اربط به حجـرا واطرحه في وسط الفـرات ، وقل : " كذلك تغرق بابل ، ولا تطفو بعد ، لما أوقعه عليها من عقـاب ، فيعيا كل أهلها " .

ـ هذه الوثيقة المرعبة الـتي خطّها مؤلفو التـوراة ، على أنها عقوبة الله لبابل ، ما هي إلا العقوبة الـتي تنتظر إسـرائيل وأمريكا مسـتقبلا ، ولكنهم أرادوها لبابل ، ونفـذّوا فصولها في العراق ، فصلا تلو الآخر ، وهم يسعون الآن من وراء الكواليس لتنفيذ بقية فصولها .

صفة العقاب الإلهي لأمريكا :

سبب العقاب الإلهي هو استعلائها وإضلالها لشعوب الأرض ، وما أوقعته من ظلم بهم . ودمارها سـيأتي من الشـمال . من خلال تحـالف عـدة دول ، وبضـربات نووية كثيفة ومفاجئة . تتسبب بدمار عظيم وحرائق وجفاف ، ومن ثم طوفان عظيم يجتاح أراضيها ، ليتركها قفرا أجرد لا يصلح للسكن أبد الدهر . وجيوشها التي كانت قد خـرجت منها ، سيتم ذبحها كالحملان والتيوس .

نبوءة عن سقوط بابل من سفر الرؤيا ليوحنا

قلنا في السـابق أن إنجيل يوحنا ورؤيـاه ، لا بد أن تكـون أسـفار توراتية ، وكـان من المفـروض أن تكـون مُلحقة بـالتوراة ، ولكنّها أسـقطت في وقت مُتـأخر ، بعد أن تمّ التلاعب فيها من قبل اليهـود ، فتلقفها النصـارى وضـمّوها إلى الإنجيل ، أثنـاء جمعه وتحريفه ونسخه ، وليس أدل على ذلك - بالإضـافة لما تقـدّم وأشـرنا إليه - من تكـرار نصوص الوثيقة السابقة من سفر ارميا في التوراة ، بنفس الأفكـار والعبـارات تقريبا ، ولكن بدرجة أقل من المبالغة والتهويل والتطويل ، في سـفر الرؤيا الملحق بأناجيل النصارى .

" 18: 1- : بعد هذا رأيت ملاكا آخر ، نازلا من السماء ، ... ، وصاح بـأعلى صـوته : " سـقطت بابل ، سـقطت بابل العظمى ، وصـارت وكـرا للشـياطين ، ومـأوى لكل روح نجس ، ... ، ثم سمعت صوتا آخر ، يُنادي من السـماء : " اخرجـوا منها يا شـعبي ، لئلا تشـتركوا في خطاياها ، فتصـابوا ببلاياها ، فقد تـراكمت خطاياها حـتى بلغت عنـان السماء ، وتذكّر الله ما ارتكبته من آثام . افعلوا بها كما فعلت بكم ، وضاعفوا لها جزاء

ما اقـترفت ، ... . سـتنقضّ عليها البلايا في يـوم واحد ، من مـوت وحـزن وجـوع ، وستحترق بالنار فإن الله الذي يُدينها ، هو ربٌّ قدير " .

" 18: 10-9: وسيبكي عليها ملوك الأرض ، الذين زنوا وترفّهوا معها ، وسينوحون وهم ينظرون إلى دخان حريقها ، فيقفون على بُعد منها ، خوفا من عذابها ، وهم يصرخون : الويل ، الويل ، أيتها المدينة العظمى ، بابل القوية ! في ساعة واحـدة حل بك العقـاب ! " .

" 18: 17-12: وسيبكي تُجار الأرض ويحزنون عليها ، ... ، هؤلاء التجار الـذين اغتنـوا من التجارة معها ، يقفـون على بعد منها ، خوفا من عـذابها ، يبكـون عليها وينتحبـون ، قـائلين : الويل ، الويل ، على المدينة العظمى ، ... ، وقد زال هـذا كله في سـاعة واحدة ! " .

" 18: 19-18: ويقف قـادة السـفن وركّابها وملّاحوها على بعد منها ، ينظـرون إلى دُخان حريقها ، أية مدينة مثل هذه المدينة العظمى ؟! ويذرون التراب على رؤوسهم ، وهم يصـرخون بـاكين منتحـبين : الويل ، الويل ، على المدينة العظمى ، الـتي اغتـنى أصحاب سفن البحر جميعا بفضل ثروتها ! ها هي في ساعة واحدة قد زالت ! " .

" 18: 20: اشمتي بها أيتها السماء ! واشمتوا بها أيها القدّيسـون والرسل والأنبيـاء ، فقد أصدر الله حُكمه عليها بعد أن أصدرت أحكامها عليكم " .

" 18: 24-21: وتناول ملاك قوي ، حجرا كأنّه حجر طاحونة عظيم ، وألقاه في البحر ، قائلا : " هكـذا تُـدفع وتُطـرح بابل الدينة العُظمى ، فتختفي إلى الأبد ! لن يُسـمع فيك عـزف موسـيقى بعد ، ... ، ولن تقـوم فيك صـناعة بعد الآن ، ولن يُسـمع فيك صـوت رحى ، ولن يُضيء فيك نور مصباح ... فقد كان تُجّارك سادة الأرض ، وبسحرك ضلّلت جميع أمم الأرض . وفيها وُجدت دماء أنبياء وقدّيسين وجميع الذين قُتلوا على الأرض " .

" 19: 2-1: وبعد هـذا سـمعت صـوتا عاليا ، ... يقـول : " هلّلويا ! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للربّ إلهنا ! فـإن أحكامه حق وعـدل ، لأنّه عـاقب الزانية الكـبرى ، التي أفسدت الأرض ، وانتقم لدم عبيده منها " .

ـ الحقيقة أن هـذه النبـوءة ، تتحـدث عن دولة عظمى في العصر الحـديث ، تُضـاهي عظمة بابل القديمة وقوتها ، وهـذه النصـوص في الواقع ، تصف حـال أمريكا بقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وما أحدثته في هذا العصر من فساد وإفساد ، وسـفك للـدماء في مشارق الأرض ومغاربها ، فهي تحكم الكـرة الأرضـية بأسـرها من خلال ، ونصّـبت نفسـها كإله يُعبد ويُقـدّس ، فهي تحـدّد في تقـارير وزارة خارجيّتها ، من أصـلح ومن أفسد ، ومن حافظ على الحقـوق ومن هضـمها ، ومن أرهب ومن لم يـرهب . وعلى قائمة مقاطعاتها الاقتصـادية حـوالي 46 دولة ، فهي المُنعِم والمُكرِم والمُتفضّـل على خلق الله ، والكـلُّ يخطب ودّ ورضا هـذه الآلهة الجديـدة ، وهي تسـعى الآن لعولمة اقتصادها وثقافتها ، وفرضها على شعوب تـارة بـالترهيب وتـارة بـالترغيب ، وأما كلمة بابل في هـذه النص إما أن تكـون أُضـيفت عن قصد من قبل الكهنة ، بسـبب الحقد والكراهية والرغبة في الانتقـام من بابل ، وإما أن تكـون قد اسـتخدمت لـترمز إلى الدولة العُظمى في هذا العصر . ولو حذفت كلمة بابل ووضعت كلمة أمريكا ، لوجـدت أن النص سيُصبح أكثر صدقا وتطابقا مع الواقع .

ولكن أغلب المفسّـرين الجـدد من النصـارى بوجه خـاص ، كما تشـير الكاتبة الأمريكية في الفصل السابق ، يأخذون بالتفسير اللفظي للمسميات ، التي جاءت في النصـوص

التوراتية والإنجيلية ، ويقـدّمون شـروحاتهم وتفسـيراتهم ، لنصـارى الغـرب من ساسة وعامة ، على نحو مغاير لما تُخبر عنه النصوص حقيقة ، فبابل القديمة أينما جـاءت في النصوص ، تعني بالنسبة لهم بابل الجديدة أي العراق ، بالرغم من أن النصــوص تصف دولة عظمى ، هي أقرب إلى أمريكا منها إلى العراق ، وتوحي بأن لفظ بابل استخدام كاستعارة لفظية .

أما اليهود فهم يعلمون حقيقة ما تُخبر عنه النصوص ، وبأن الدمار القادم والـذي تُخـبر عنه النصوص ، سيكون لإسرائيل وأمريكا وحلفائهما ، ولكنهم يستغلون الفهم الخـاطئ والمضطرب للنصارى ، لخدمة أغراضهم ومخططاتهم الشيطانية ، ولحماية دولتهم من الأخطار المحدّقة بها . فهم متّفقون على أن هذه النبوءات تتحدث عن تدمير العـراق ، وبما أنها جاءت تحريضية بصيغة الأمر ، فقد اتّحـدوا لتنفيذ ما قضى به الـرب على بابل ، ولن تستكين لهم حال أو تلين لهم عزيمة ، حتى يتحقق ما جـاء في هـذه النصـوص ، بجعل العـراق أرضا قفـرا صـحراء قاحلة خاوية على عروشـها ، لـذلك هم لا يكـترثون بالشـــرعية الدولية ولا بالقـــانون الـــدولي ، إذ لا يمتثل لهما إلا الضـــعفاء والأغبيـــاء ، فالقوانين الإلهية بشـأن العـراق ، هي ما ينصـاعون إليه ويلـتزمون بتطبيقه ، فـالحرب على العراق حرب مُقدّسة ، لأنهم موقنون تماما : بأنّ بقـاء العـراق يعـني حتمية زوال إسرائيل ... وأنّ بقاء إسرائيل يعني حتمية زوال العراق ...

وما دامـوا يمتلكـون مقـدّرات الكـاوبوي الأمـريكي البريطـاني ، المُشـترى بالرشـوة والشهوة والرعب ، والمأخوذ بجنون القوة . فلن يُثنيهم عن عزمهم ، إلا أن يُبـادوا قبل أن يُبيدوا الحرث والنسل . وبالتالي فإن بقاء العـراق ، يتحتّم عليه محو إسـرائيل ، من قلب الوطن العربي ، وسحق تلك الفئران ، المتلفّعة بريش النسر الأمريكي الأقرع .

وإن لم تكن الحـرب العراقية الإيرانية من صـنع أيـديهم ، فهم سـاهموا فيها بشـكل أو بـآخر ، فـإيران تـأتي في الدرجة الثانية في العـداء التـوراتي لإسـرائيل ، وكلنا سـمع بفضيحة (إيران غيت) في الثمانينيات ، التي كان بطلها الـرئيس الأمـريكي (ريغـان) حيث كانوا يُؤيدون العـراق علنا ، ويُـزوّدون إيـران - الـتي كـانت تنظر إلى أمريكا على أنها الشيطان الأكبر - بالأسلحة سرا ، لإطالة أمد هذه الحرب ، ولإبقاء العـراق وإيـران منشغلين فيها .

والسبب الأهم لإشعالها ، هو الرعب الذي دب في قلوبهم من المـارد العـراقي ، الـذي أعاد إلى أذهانهم النبـوءات التوراتية ، وأيقظ في مخيلتهم شـبح نبوخذ نصر ، وكـابوس السـبي البـابلي ، ليقض مضـاجعهم فلم ترقأ لهم عين ، ولم يغمض لهم جفن ، والـذي بدأ يستيقظ من غفوته بامتلاكه المفاعل النـووي . وسـيكون بعد سـنوات قليلة ، قـاب قوسين أو أدنى من إنتاج القنابل النووية . وما أن انشغل العراق في الحـرب ، وأصـبح ظهره مكشوفا ، حتى انسلت خفافيشـهم ، تحت جنح الظلام ، لتصـبّ حممها التوراتية الحاقدة ، على ذلك المفاعل ، في سنين صباه الأولى ، لتُبيده عن بكرة أبيه .

وبعد أن خــرج العــراق من تلك الحــرب ، محتفظا بقوته وجبروته ، ومع أول تصــريح وتهديد له ، " **بحرق نصف إسرائيل ، حال اعتـدائها على أي قطر عـربي** " ، على لسـان الـرئيس العـراقي ، جهـارا نهـارا في مـؤتمر قمة بغـداد ، عـام 1989م ، أقــامت وســائل الإعلام المرئية والمســموعة والمقــروءة - الــتي تمتلك معظمها تلك الأفاعي - الدنيا ولم تقعدها ، حتى استطاعت زجّه وتوريطه ، في الدخول إلى الكـويت ، بالتآمر والتواطؤ وبمكرهم ودهائهم المعهودين ، ومن ثم حرضّت عليه من بأقطارها ، بحجة رفع الظلم عن دولة الكــويت ، وتــأمين منــابع النفط ، الــتي سيســطر عليها

العراقيــون . وكما خطّــوا بــأقلامهم ســيناريو الحــرب العالمية الثانية ، أعــادوا نفس السيناريو ، في حرب الخليج ، من ألفه إلى يائه .

فها قد تحرّرت الكويت ، وتأمّنت منابع النفط ، فلماذا هذا الحصار الظالم على أطفـال العراق ؟! يدّعون أن العراق يهدد جيرانه ، فانظر من يـدّعي ! وانظر إلى جيرانه ! وما علاقة المدّعي بالجيران ؟! المدّعون هم (مادلين أولبرايت وزيــرة الخارجية الأمريكية ، ووليام كوهين وزير الدفاع الأمريكي ، وساندي بيرغر مسؤول الأمن القومي الأمـريكي ، وهلم جــرا ...) وكلهم يهــود . فما عليك إلا اســتبدال كلمة الأمــريكي في مناصـبهم ومسـؤولياتهم ، بكلمة الإســرائيلي ، لتعـرف من هم الجـيران الـذين سـيهددهم وجـود عراق قوي .

أما الحصــار ، فقد وُجد ليبقى ، وغايته منع المــارد العــراقي من الصـحوة . واســتمرّ الحصـار ليبقى المـارد محصـورا في القمقم ، وعنـدما تمّ لهم ذلك ، عمـدوا إلى تقليم مخالبه واقتلاع أنيابه ، فمنظرها يُرعب تلك الفئران المسكينة ، ويجعل فرائصــها ترتعد هلعا وجزعا . واستمرّ الحصار لمنع أطفال العراق ، من الوصـول إلى مرحلة الرجولة ، كي لا يكونوا مستقبلا أفراد جيش ، يُسطّر على أجساد تلك الفئران أساطير البطولة ، فهم وحسب رؤاهم التوراتية ، يعرفـون ويعلمـون أن دولتهم سـتزول ، وسـيكون فيهم القتل والنهب والنفي ، وأن المرشح الأول والوحيد للقضاء عليهم هو غــريمهم الأزلي ، وأن دولتهم سيعيش فيها ، لا أكثر من جيل واحد . لذلك بما أنهم موقنـون تماما ، بـأن زوال دولتهم أمر حتمي ، كان لا بد لهم من أن يعملـوا بكل طاقــاتهم ، من أجل حماية هـذا المسخ الخـداج ، الـذي حملت به عـروس المـدائن غصـبا واغتصـابا ، من مرتزقة الغرب المأجورين ، في غفلة من الزمان .

لذلك ... فالحصار لن يُرفع ... ما دامت تلك الفئران ... في القدس ترتع

الأفعوان العراقي في سفر إشعياء

خطورة هذا الأفعـوان المـرعب ، تتمثل في ما يحمله في أحشـائه من سـموم مُميتة ، كـان أسـلافهم قد تجرّعوها من قبل ، ووصــفوا تأثيرها المــؤلم على امتــداد التــوراة الشاسع ، فشغلت حيّـزا كبـيرا من فكـرهم ووجـدانهم ، فمجـرّد التفكـير بتكـرار ذلك المصير المرعب ، الذي حلّ بأسلافهم ، من جرّاء تلك الأفعى التي أنجبت هذا الأفعوان ، يُصيبهم بحالة من الذعر والهلع ، لذلك كان وسيكون لهم ، محـاولات عديـدة للتخلّص من خطر هذا الأفعوان على وجودهم :

- المُحاولة الأولى : هي الحــرب الإيرانية العراقية ، لأصـابته بالشـلل وقد أُصـيب ، فتســنّى لهم ضـــرب مفاعله النـــووي ، واجتيـــاح بـــيروت ، وترحيل منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان .
- المُحاولة الثانية : هي الحــرب الأمريكية العراقية ، لتغيـير رأس هـذا الأفعــوان ، وزرع رأس جديد له ، وتقطيع أوصــاله وتفريق شــملها ، وتوزيع دمه على جميع القبائل التي اجتمعت عليه ، ولم يُكتب لها النجاح .
- المُحاولة الثالثة : هي الحصار الأممي ولجان التفتيش ، لـنزع الأنيـاب الـتي تنفث السمّ ، بتدمير أسلحة الدمار الشامل ، وحرمانه من امتلاك أسـلحة جديـدة ، فـاقتلعوا الأنياب واستخرجوا السمّ ، ولكن الأنياب نبتت من جديد ، والسم يتجدّد ولا ينقطع .
- المُحاولة الرابعة : هي الحــرب الأمريكية الشــاملة ، مع احتمالية توجيه ضـربات نووية محدودة إن أمكن ، لقطع الرأس والأوصال معا ، حيث لم يعُد هناك أهمية لتوزيع

دمه على القبائل . وستصــبح احتمالية الضــربات النووية ، قائمة وحتمية فــور امتلاك أمريكا ، للدرع المُضاد للصـواريخ المُحمّلة بـالرؤوس النووية ، وهـذه الحـرب قائمة بلا أدنى شك ، إن لم يقع ، ما لم يكن في حُسـبان أمريكا وإسـرائيل ، فهم يُخطّطـون لها ويسـتعجلونها ، ويطلبـون من الـرئيس الأمــريكي ، تهيئة الشـعب الأمــريكي لتقبّلها ، وسـيعملون جهـدهم لإشـعالها في أقـرب فرصة ممكنة ، ظنا من الـذين لا يعقلـون ولا يفقهون ، بأنهم قادرين على منع رب العزة ، من إنجاز وعـده فيهم ، بإبـادة العراقـيين وتقسيم العراق وإسقاط قيادته .

[نهاية الجزء الثاني]

الجزء الثالث

الفصل الأول :

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

الفصل الثاني :

وليتبروا ما علوا تتبيرا

الفصل الثالث :

وجعلنا لمهلكهم موعدا

الفصل الرابع :

فإنما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون

الفصل الخامس :

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين

الفصل السادس :

بل هم في شك يلعبون

الفصل السابع :

ثم تولوا عنه وقالوا مُعلّم مجنون

الفصل الثامن :

يوم نبطش البطشة الكبرى

الفصل التاسع :

الطوفان الأخير وطوق النجاة

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

تبين لنا من خلال هذه القراءة الجديدة ، في تاريخ بني إسـرائيل ، في القـرآن والسـنّة والتـوراة والتلمـود ، أن البـابليّون هم أصـحاب البعث الأول ، وبنـاءً على ذلك ، يكـون العراقيـون حصـرا ، بلا أدنى شك ، هم أصـحاب البعث الثـاني . وسـيتبين لنا في هـذا الفصل ، من خلال قراءة جديدة للواقع ، بـأن اليهـود على علم بهـذا البعث وأصـحابه ، وظنّا منهم بـأنهم قـادرون على مخالفة أمر الله ، بمنع تحقق البعث الثـاني ، خططـوا ونفّـذوا وما زالـوا يخططـون ، لـدرء خطر هـذا البعث الموعـودين به ، بإبـادة أصـحابه بشتى الوسائل والسبل ، لقناعتهم بأن بقـاء دولتهم ، يتحتم عليه محو العـراق وشـعبه عن خريطة العالم .

حقيقة ما يُضمره الغرب للعراق :

دأبت أمريكا ومن سار في ركبها ، على إعلان عـدائها لقيـادة العـراق الحالية ، والرغبة في إسـقاطها ، وجعلت من بقــاء القيــادة العراقية ، على ســدة الحكم في بغــداد ، وسـابقتها في غــزو الكــويت ، مثـالا لعدوانية هـذه الحكومة وخطورتها على جيرانها ، وذريعة لإدامة الحصار ، لتجريد العـراق من مقومـات وجـوده . ليصل العـالم والشـعب العراقي إلى قناعة ، بأن المسـتهدف حقيقة من وراء الإصـرار الأمـريكي ، على إبقـاء الحصـار مفروضا على العـراق ، هي القيـادة العراقية الحالية ، بتوجهاتها العدوانية ضد جيرانها ، مما يُهدد أمن منطقة الخليج الحيوية للعالم ، وبإسقاط هذه القيـادة ، سـتنعم منطقة الخليج بالأمن مجدّدا ، حسب الرؤى الأمريكية .

ومع أن أمريكا لا تُبدِ أدنى اهتمام بمصير الشعب العراقي ، بل على العكس من ذلك ، كان وما زال بعض مسؤوليها من اليهود ، يُبدون سـعادة عارمة ، بلا خجل أو مواربة ، بوقـوع المزيد من الضـحايا في العـراق ، حيث الغالبية العظمى من الأطفـال ، الـذين سـقطوا ، من جــراء نقص الأدوية والغــذاء ، حين تصــرح وزيــرة الخارجية الأمريكية (أولبرايت) ، في حوار صحفي في محطة (CBS) : بـأن تسـبّب أمريكا بمـوت نصف مليون طفل عراقي " **أمر يستحق العناء** " ، إلا أن العالم أجمع ، والشـعب العـربي وحتى الشعب العراقي ، لم يبحث عن الدوافع الحقيقية ، لهذا العداء الأمريكي للعراق .

" إشـعياء : 13:ـ 16:ـ كل من يُؤسر يُطعن ، وكل من يُقبض عليه يُصـرع بالسـيف ، ويُمزّق أطفالهم على مرأى منهم ، وتُنهب بيوتهم وتُغتصب نسائهم " .

" إشعياء : 14: 20-23: فذريّة فاعلي الإثم ، يبيد ذكرها إلى الأبد . أعدّوا مذبحة لأبنائه جزاء إثم آبائهم ، لئلا يقوموا ويرثوا الأرض فيملئوا وجه البسـيطة مُـدناً . يقـول الـرب القـدير : " إني أهبّ ضـدهم ، وأمحو من بابل ، اسـماً وبقيـةً ونسـلاً وذريـةً ، وأجعلها ميراثاً للقنافذ ، ومستنقعاتٍ للمياه ، وأكنسها بمكنسة الدمار " .

" وهذا ما يُعلنه الرب : ها أنا أُثير على بابل ، وعلى المُقيمين في ديار الكلدانيين ريحا مُهلكة ، وأبعث إلى بابل مُذرّين يُـذرّونها ، ويجعلـون أرضـها قفـرا ، ويُهاجمونها من كل جانب في يوم بليّتها . ليـوتر (يُـذخّر) الـرامي قوسه وليتـدجّج بسـلاحه ، لا تعفـوا عن شُـبّانها ، بل أبيـدوا كل جيشـها إبـادة كاملة ، يتسـاقط القتلى في أرض الكلـدانيين ، والجرحى في شوارعها (من المدنيين طبعا) " .

وباســتجابة (أولــبرايت) ، وكافة الجوقة اليهودية ، في الإدارات الأمريكية المتعاقبة ، لأوامر الـرب القـدير ، الـواردة في التـوراة ، اسـتطاع بنـوا إسـرائيل ، من ردّ الصـاع صاعين لأهل بابل ، وهكـذا يكـون العراقيـون حصـرا ، من رُدّت لبـني إسـرائيل الكـرة عليهم ، إذ أنهم أنزلوا بالعراقيين أضـعاف أضـعاف ، ما أنزله البـابليون بهم في المـرة الأولى .

ولو عدنا إلى كامل النصوص التوراتية ، ونظرنا إلى ما يجــري حقيقة على أرض الواقع ، لتبين لنا أن المسـتهدف الحقيقي ، هو العـراق لأنه أرض البعث ، والشـعب العـراقي لأنه يحمل صــفة أهل البعث ، والقيــادة العراقية لإرســالها البعــوث في كل الحــروب العربية الإسـرائيلية ، وعـدم قبولها وتوقيعها على اتفاقيـات الهدنة ، ولإعلانها المتجـدّد عن نية البعث ، بمناسـبة وبـدون مناسـبة ، في السـنوات الأخـيرة ، منذ انتهـاء حـرب الخليج الأولى ، ورفضـــها لمعاهـــدات الســـلام والتطـــبيع ، ولإصـــرارها على مقولة ، فلسطين عربية من البحر إلى النهر ، والدعوة إلى تحرير فلسطين بالقوة .

وفي حال استطاع الغرب اليهودي إسقاط القيادة العراقية ، فسيكون البديل ، كما هي العادة ، قيادة موالية للغرب ، ومعادية للشعب العـراقي وللأمة العربية ، المتخمة أصلا بالأعداء من أبناء جلـدتنا ، لتزيد الأمة ذلا وهوانا أضـعافا مضـاعفة ، أما مصـير العـراق بين يدي هكذا قيادة ، فسـيكون بلا شك كما يتمنّى يهـود الغـرب والشـرق ويشـتهون ، ليتحقّق لهم ، ما لم يحلموا بتحقيقه ، بجيوشهم المدجّجة بالأسلحة المتطــورة . وانظر إلى حال ألمانيا بعد الحرب ، وانظر إلى حال الاتحاد السوفييتي ، العدو الثـاني للوجـود اليهودي في فلسطين ، كما تُخبر التوراة ، عندما استطاعوا إيصال الخونة – من شـعبه – إلى سدة الحكم ، وما فعلوه به . لنقول بأن مهمة القيادة المستقبلية للعــراق ، فيما لو أسقطت القيادة الحالية ، هي :

- تفكيك العــراق وتقســيمه إلى دويلات صــغيرة ، كردية وســنية وشــيعية ، في الشمال والوسط والجنوب .
- إثارة الحروب والفتن بين هذه الدويلات ، لإشـغالها عن المهمة الأساسـية ، الـتي أُنيطت بأصحاب البعث .
- تدمير الاقتصاد وإفقار الشعب العراقي ، ليركض لاهثا وراء قروض صـندوق النقد الدولي .
- حظر امتلاك وتصنيع الأسلحة .
- تقديم فـروض الطاعة والـولاء ليهـود الغـرب والشـرق ، وإنهـاء حالة الحـرب مع إسرائيل ، ومباركة عملية السلام .

فالمعضلة الأساسية لدى الغـرب ، المملـوك من قبل اليهـود ، هي وجـود عـراق قـوي وقادر ، فكما صدقت نبوءات التـوراة ، في عـودتهم من الشـتات إلى فلسـطين . فهم يخشون أيضا ، صدق النبوءات الأخـرى ، فيما تصـفه في نصـوص عديـدة ، من عقـاب حتمي ، غاية في البشاعة ، سينزل بهم بعد العودة إليها ، من قبل أصحاب البعث الأول ، بالرغم مما أُضيف إليها من نصوص قليلة مضللة ، لا تُسمن ولا تغني من جوع ، تُخـبر عن ملكهم الأبدي ، تبعث في تخبّطها وعدم منطقيتها ، في نفوسهم القلق ، أكـثر مما تبعث على الطمأنينة . ليجد اليهـود أنفسـهم ملزمـون ، بتسـخير كل إمكانيـاتهم ، دون كلل أم ملل ، لـدفع قـادة الغـرب إلى القضـاء المـبرم على العـراق ، كما هي عـادتهم دائما وأبدا ، يدفعون الآخرين لخـوض حـروبهم نيابة عنهم ، مذ طلبـوا من موسى وربه الذهاب للقتـال عنهم ، وحـتى حـربهم الأخـيرة على العـراق ، الـتي خاضـتها ومـازالت

تخوضها ، أمريكا وبريطانيا في العلن ، وفرنسا المنافقة في الخفاء ، والحرب الوحيـدة ، الــتي كســبها اليهــود منفــردين في مواجهة جيش ، هي عند دخــولهم فلســطين مع طالوت في المرة الأولى ، وكان ذلك بتأييد من الله للقلة المؤمنة ، وبشجاعة نبي الله داود عليه السلام ، فالمسألة لديهم مسألة حياة أو مـوت ، وبقـاء العـراق ، يعـني تبخر أحلام الشعب اليهودي بسيادة العالم من القدس .

ومما يؤذي الأذان اليهودية في الشرق والغرب هو سـماعها ، لتصـريحات هـذه القيـادة المتكـررة ، بضـرورة تحرير فلسـطين من البحر إلى النهر ، وطـرد اليهـود منها ، مما يقضّ مضطجعهم في فلسطين ، ويُعيد إلى أذهانهم تلك الـذكريات الأليمة للبعث الأول ، التي أشبعتها أسفار التوراة وصفا وتفصـيلا ، لتـتراءى لهم ، صـورة نبوخذ نصر وهتلر وصلاح الدين ، دفعة واحدة ، في شخص الرئيس العراقي .

الخيارات القائمة أمام اليهود ، لدرء الخطر العراقي :

1. العمل على بقـــاء الحصـــار على ما هو عليه ، ما أمكنهم ذلك ، ومنع أي محاولة لتفكيكه أو إضعافه . والاستمرار في نهب ثروات العراق ، وحرمانه من تطوير أسـلحته وتجديدها .
2. محاولة إسقاط القيادة العراقية ، عن طريق إحداث فتن وثورات داخلية ، أو عن طريق مواجهة عسـكرية واسـعة النطـاق ، بعد خلق المـبررات لها ، باسـتفزاز جديد للعراق للقيام بعمل عدواني داخلي ، ضد الأكراد في الشمال أو الشيعة في الجنـوب ، أو القيام بعمل عدواني خارجي ، ضد إحدى دول الجوار .
3. ضـرب العـراق نوويا كخيـار أخـير ، وهـذا الاحتمـال غـير قـائم حاليا ، حيث أنه مرفوض عالميا ، فمثل هذا الأمر ، سيؤلب العالم بأسـره ضد أمريكا ومؤيـديها . ولكن هذا الاحتمال سيقوى ، في حال فشلت الخيارات السـابقة ، وخاصة عند امتلاك أمريكا للدرع المضاد للصورايخ البالستية .

ـ والسؤال الآن : هل من الممكن أن يكون هناك ضربة نووية للعراق ؟

جـاء في سـفر الرؤيا ما نصه : " وسـكب الملاك السـادس ، كأسه على نهر الفـرات الكبير فجفّ ماؤه ، ليصير ممرا لملوك القادمين من الشرق " .

أما في السنة النبوية فقد جاء ما نصه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْـزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَـرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْـهُ شَـيْئًا** " . رواه البخـاري ، وأخرجه مسـلم والترمـذي ، وأبو داود وابن ماجه وأحمد . وفي نص آخر من رواية مسـلم : " **لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّى يَحْسِـرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ** " ، يحسر أي ينكشف عن .

يُخـبر النص في سـفر الرؤيا ، أن شـيئا ما سيسـكب على نهر الفـرات فيجف مـاؤه ، ويُخبر الحديث الصحيح ، عن انحسار الفـرات عن كـنز من ذهب ، قبل قيـام السـاعة ، وانحسار الفـرات يعـني ذهـاب مـاءه ، فهل سـيكون جفافه نتيجة ، لما تنتجه الأسـلحة النووية ، من حرارة شديدة عند انفجارها .

وبالإضافة إلى ما ورد من مخططات ، لتدمير العراق والإطاحة بقيادته ، كما جاءت في تقرير واشنطن السابق ، يقول الصحفي فتحي خطاب من القاهرة ، في مقـال له في جريدة العرب اليوم الأردنية (لم أنتبه لتوثيق تـاريخ صـدورها ، ولكنه على الأرجح كـان في بداية شهر 3 /2001) :

" حذّر خبراء عسكريون من مُخطط عسكري أمريكي إسرائيلي ، يستهدف فرض السيطرة المُطلقة على المنطقة ، وتطبيق ما يُعرف في (البنتاغون) بخطة إعادة دمج المنطقة عسكريا وأمنيا ... وأن توجّه (شارون) لاستحداث وزارة تعنى بتطوير الأسلحة النووية ، وأسلحة الدمار الشامل ، واستحداث وزارة للشؤون الاستخباراتية ، في سابقة هي الأولى من نوعها ، يأتي في إطار ما تفرضه ضرورات نظام الحماية الأمنية الجديد ... وكشف الخبراء العسكريون في مصر ، عن الترتيبات الأمريكية لإنشاء أكبر شبكة صاروخية في منطقة الخليج العربي ، تتمتع بمدى قتالي واسع ، يشمل العراق وإيران ودولا أخرى ، بالإضافة إلى مناطق شمال إفريقيا والبحر الأحمر . لضمان أمن منطقة الخليج ، وملاحقة الطائرات المُغيرة ، والتدمير السريع لأية أهداف مُعادية .

وأكد الخبراء أن وزير الخارجية الأمريكي (كولن باول) ، حصل على موافقة دول خليجية ... على إنشاء الشبكة ، التي سيتم تزويدها بأحدث أجهزة الاتصالات الحديثة والإنذار المبكّر ، التي ستكون لها القدرة على التعامل السريع ، مع العمليات الطارئة ، وقادرة على منع إصابة الشبكة ، بأي خلل أثناء العمليات العسكرية . وسوف تتحمل دول الخليج النصيب الأكبر ، من تكلفة مشروع هذه الشبكة الصاروخية ، وأن هناك مشاورات واتصالات عسكرية ، للترتيب لإنشاء هذه الشبكة ، ولإعداد التفصيلات الفنية المتعلّقة بها ... وحذّر الخبراء من المُخطط العسكري الإسرائيلي ، لضرب العراق بالقنابل النيترونية ، والتي سيتم إطلاقها على منطقة غرب العراق ، وفق إعلان (شارون) . التي تعتبر نقلة نوعية في التسلح بالمنطقة ...

وأوضح العالم الفيزيائي الدكتور طارق النمر ، بقوله : " أن القنابل النيوترونية النووية ، هي قنابل إشعاعية ، ذات أحجام مختلفة ، منها أسطوانات إبرية في حجم القلم ، وتستطيع قتل جميع الكائنات الحية ، في مساحة قطرها مُحدّد سلفا ، وتأثير كل قنبلة منها يتحدد حسب حجمها ، بحيث يتم زراعتها داخل الأراضي العراقية ، وفي الوقت المحدد ، سيتم تفجير هذه القنابل بواسطة أشعة الليزر ... وأن إسرائيل مهتمة بتجربة أسلحتها الجديدة على أرض العراق ، بعدما نفذت عدة تجارب أسفل مياه خليج العقبة ... ولا أستبعد أن تعمل أمريكا وبريطانيا ، على زرع قنابل نيوترونية في مناطق من العراق ، بحيث تبقى بغداد تحت التهديد الدائم ، بتدمير حقول القنابل النيوترونية بواسطة أشعة الليزر ، في نطاق العقوبات الذكية " .

ما لفت انتباهي في هذا التقرير الصحفي ، هو انسجامه مع المخاوف اليهودية التوراتية ، حيث يُسمّي الدول والمناطق التي تضم الدول المعادية لإسرائيل توراتيا ، ومنها إيران والعراق ، وليبيا في شمال إفريقيا ، والسودان وإثيوبيا بمحاذاة البحر الأحمر ، واللتان كانتا قديما دولة واحدة ، ويُشير أيضا إلى ضرورة ضرب العراق ، حسب ما تدعو وتُحرّض عليه النصوص التوراتية . ولفت انتباهي أيضا التركيز على منطقة غرب العراق ، التي من المتوقع ، أن يتواجد فيها الجيش العراقي ، قبل تحرّكه لغزو لإسرائيل .

وفي تقرير آخر من واشنطن ، للصفحي محمد دلبح ، نُشر في جريدة الدستور الأردنية (التاريخ غير موّثق) ، يقول فيه :

" تبحث وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) ، إنتاج قنابل نووية من نوع جديد ، قادرة على اختراق مراكز القيادة ، والتحصينات التي يستخدمها الزعماء والقادة . ونقلت صحيفة (واشنطن بوست) عن مصادر في الحكومة الأمريكية والكونغرس قولها : أن الهدف من إنتاج هذه القنابل ، هو تجنّب ما تُسمّيه الحكومة الأمريكية الأضرار الجانبية

، التي تُحدثها الأسلحة التدميرية بأنواعها . ويقول المدافعون عن هذا النوع من القنابل النووية الصغيرة – مقارنة بغيرها – أنها قد تعمل على قيام الولايات المتحدة ، بتخفيض مخزونها الحـــالي من القنابل النووية ، دون أن تتعـــرّض مفاهيمها الأمنية لأخطـــار أو تعديلات . ونسبت الصحيفة إلى مستشاريّ وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسـفيلد) قوله : **أن الأسلحة النووية الأمريكية الحالية ، لن تـردع الـرئيس العـراقي صدام حسين ، لأنه يعلم بأن الـرئيس الأمـريكي ، لن يقـوم بإلقـاء قنبلة نووية - بقـــوة مائة كيلو طن - على بغـــداد ، ليُـــدمّر المدينة بأكملها ، ويقضي على سُكّانها ، بهدف القضاء على أسلحة الدمار الشـامل** ... ومن ناحية أخرى ، يعتزم اتحاد العلماء الأمريكيين ، إصـدار تقرير هـذا الأسـبوع يقـول فيه " أن إضافة هذا النـوع من القنابل النووية ، إلى المخـزون النـووي في العـالم ، سـيجعل استخدام هذا النوع من السلاح أكثر احتمالا " .

أستطيع القول بأن التفكير الأمريكي الإسرائيلي العسـكري على المـدى القـريب ، بعد المعارضة والإدانة العالمية لضربهم بغداد مؤخرا ، سـيكون محصـورا في الـردع وليس في الهجوم ، لعدم وجـود ذريعة للهجـوم مقبولة دوليا ، (كذريعة القضـاء على أسـلحة الدمار الشامل العراقية) ، منتظرين فبركة مؤامرة جديدة ، أو تحرّك عراقي خاطئ ، وأعتقد أنهم سيُحاولون استفزازه في المستقبل القـريب ، بشـتى الوسـائل والسـبل ، ليعلنوا عليه حـربهم الشـاملة . أما على المـدى البعيد – إن لم يُعطهم العـراق الذريعة لشنّ تلك الحرب – أستطيع القول ، أنهم وفور امتلاكهم للدرع النووي – الذي سـيكون جاهزا بعد خمس سـنوات حسب تقـديرهم – والـذي سـيُوفر لهم الحماية من أي ردود فعل نووية ، سيشـنّون حـربهم المُقدّسة على العـراق ، وسـيقومون بضـربه بوابل من القنابل النووية ، حـتى يغـدو صـحراء قاحلة خاوية على عروشـها . لكي يتخلص يهـود العالم ، من هذا الرعب التوراتي المُسلّط على رقابهم ، لينتظروا بسـلام ملكهم الـذي سيظهر في القدس ، والذي سيعيشون معه أحلامهم الوردية إلى الأبد ، ومن المحتمل جـدا أن تكـون الضـربة النووية للعـراق ، كـرد فعل أمـريكي على الـدخول العـراقي لفلسطين ، لتبدأ بذلك الحرب العالمية الثالثة .

الموقف العالمي إزاء العراق :

كانت غاية الغرب في السنوات الأخيرة وما زالت ، هي تـدمير العـراق تحقيقا لرغبـات اليهـود في حماية إسـرائيل . وما كـان للغـرب أن يُحقّق هـذا الهـدف ، بـالخروج على الأعـــراف والمواثيق الدولية ، بـــأي شـــكل من الأشـــكال ، كالقيـــام بعـــدوان مباشر ومكشوف على العراق ، وما كـان لأمريكا بعظمتها ، أن تقـوم منفـردة بعمل عـدواني ضد العراق ، لأنها في هذه الحالة ستجابه العـالم بأسـره . وبما أن مـآرب اليهـود ، من خلال إشعال حـرب الخليج الأولى ، لم تتحقّق . بل على العكس من ذلك تماما ، خـرج العراق من هذه الحرب محتفظا بقوته ، وقـامت قيادته بتهديد إسـرائيل جهـارا نهـارا ، بحرق نصف إسرائيل حال اعتدائها على أي بلد عربي ، فكانت هذه القيادة " كمن حكّ لليهود على جرب " .

آنذاك قامت الدنيا ولم تقعد ، طبل وزمر في الشرق والغـرب ، لتأكيد عدوانية العـراق ونازيته ، فحرق اليهود هو فعل هتلريّ نازيّ ، وكان ذلك لتهيئة الرأي الغربي والعـالمي ، لاستقبال هتلر جديد يسعى لحرق اليهود . وفي الخفاء كـانت تُطبخ مـؤامرة جديـدة ، تمخّضت عن غزو العراق للكويت ، وبـذلك اسـتطاعت أمريكا ، أن تُوجد مـبرّرا قانونيا لتـدمير العـراق ، فغـزو العـراق للكـويت ، كـان مخالفا للقـوانين والأعـراف والمواثيق الدولية ، وبذلك استطاعوا إضفاء الشرعية على عـدوانيتهم ، لتحقيق مـآربهم الحقيقية

تحت غطـاء الشـرعية الدولية ، وبـدلا من أن تواجه أمريكا المعتدية العـالم بأسـره ، أصبحت الضحية العراقية تواجه العالم ، بعد أن أصـبحت معتدية ، كما حصل مع ألمانيا ، بنفس السـيناريو ما قبل الحـرب العالمية الثانية ، وبكل حيثياته ، والسـبب هو عـداء قيادة البلدين لأسياد العالم ، وبذلك أُجـبرت دول العـالم المختلفة ، على اتخـاذ موقف معادي للعراق ، حتى من قبل حلفاءه التقليديين ، في ذلك الوقت .

أما في الوقت الحـالي ، فقد بـدأت دول العـالم مـؤخرا ، تصحو من أكـاذيب الإدارات الأمريكية المتعاقبة ، لتـبرير ما تنتهجه من سياسـات إزاء العـراق ، فكل المـبرّرات السـابقة لم تعد موجـودة ، وأصـبحت الأعمـال الأمريكية العدوانية ، تُجابه بالمعارضة الشديدة من قبل أغلب دول العالم . وحتى قرارات الشـرعية الدولية ، تميل كثـير من الدول ومنها روسيا والصين ، إلى التغاضي عن البحث ، في مسـألة الـتزام العـراق بها من عدمه ، ومنها مسألة فرق التفتيش عن الأسلحة . بل تعمد هذه الـدول أحيانا ، إلى خرق هذه القـرارات سـرا ، حـتى وصل الأمر بمجلس الـدوما الروسي ، إلى المطالبة بالتصويت ، على عملية رفع الحصـار عن العـراق من جـانب واحد . أما الأكـثر تمسـكا بقرارات الشرعية الدولية ، فهم الذين يذرفون دموع التماسيح ، على الشعب العراقي ، بـدعوى أنهم حريصـون على مصـلحة هـذا الشـعب ، وأن قيـادة هـذا الشـعب ليست حريصة عليه ، بما أنها عصت وتمرّدت على قرارات الشرعية الدولية ، التي جعلـوا من يعصيها ، بمنزلة من عصى الله ، إن لم تكن أعظم .

وأما دعـوى الأمريكـان ، بـأن العـراق يُشـكل تهديـدا للمصـالح الأمريكية ، في منطقة الشرق الأوسط ، وأهم هذه المصالح ، هي تدفق النفط بأسـعار معقولة ، واسـتمرارية فتح الأسـواق الخليجية للبضـائع الأمريكية ، فهي دعـوى باطلة ، فهـذان الأمـران هما تحصيل حاصل ، منذ اغتيال الزعيم العربي الوحيد ، الذي عـارض الإله الأمـريكي بقطع النفط ، ليشلّ بذلك العالم الغـربي بأسـره . وأما التـذرّع بعدوانية العـراق على جيرانه بغـزوه للكـويت ، فهو محض افـتراء ، لأن من أجـبر العـراق على غـزو الكـويت ، هم الأمريكــان بعلم ، وحلفــائهم الكويــتيون بغــير علم ، وبتخطيط وتــدبير وتشــجيع من الأمريكان أنفسهم لكلا الطرفين ، وبمساعدة من العرب أنفسهم . لنخلص إلى القـول أن العداء الأمريكي للعراق ، أصبح غير مبرّر ، في نظر شعوب العالم كافة ، حـتى من قبل الشعب الأمريكي نفسه ، الذي أصـبح يُحـرج قادته ، بتفنيد كافة الحجج والـذرائع ، التي يُبرّرون فيها مواقفهم المتناقضة من العراق وإسرائيل .

ولنخلص إلى القـول ، أولا ؛ بـأن الموقف العـالمي إزاء الصـراع الأمـريكي العـراقي ، أصبح مختلفا بل مغايرا لما كان عليه في السابق ، فهناك بعض الـدول العظمى وحـتى الصـغرى منها ، بـاتت تتخذ موقفا مناهضا لأمريكا ولإسـرائيل ، ومتعاطفا مع العـراق وفلسطين ، وخـير مثـال على ذلك موقف كولومبيا في مجلس الأمن المؤيد ، لإرسـال قـوة حماية دولية للفلسـطينيين ، مبدية عـدم اكتراثها بمقاطعـات أمريكا الاقتصـادية ، وموقفي كل من روسيا والصين . وثانيا ؛ بأن الموقف الأمريكي المعادي للعـراق ، عند عدم عزوه للمخاوف التوراتية اليهودية ، يُصبح أمرا لا يُمكن فهمه من قبل الآخرين .

الموقف العربي من العراق :

دأبت أمريكا على دفع الأمور ، باتجاه جعل الرأي العـالمي والعـربي والعـراقي ، يعتقد بأن السبب في معاناة الشعب العراقي ، هو القيادة العراقية بتوجهاتها العدوانية ، حتى بات كثير من العرب ، يعتقدون بأن هذه القيادة هي السـبب الحقيقي ، فيما وصل إليه العـرب من ذل وهـوان وفرقة ، وضـياع لـثرواتهم النفطية ، فضلا عما كـانوا عليه في

السـابق . بل مضى الكثـير منهم إلى أبعد من ذلك ، فـاتهموا هـذه القيـادة بالتـآمر والتواطؤ مع الغرب نفسه ، ضد العرب وضد الشعب العراقي ، ليصبح إسقاط القيـادة العراقية مطلبا عالميا وعربيا وعراقيا ، وليبقى رفع المعانـاة عن الشـعب العـراقي مرتبطا ، بإسقاط القيـادة العراقية الحالية . وهـذا مما جعل البعض يـذهب إلى القـول أيضا ، أن الغـرب مسـتفيد من وجـود القيـادة العراقية على رأس السـلطة ، لـذلك لا يرغب بإسقاطها ، وأن الرئيس العراقي متآمر ومتـواطئ مع أمريكا ، للإضـرار بشـعبه وأمته ، وحتى ضربه لإسرائيل كـان فقط ، لـذر الرمـاد في العيـون . ولو أن أمريكا لم تكن مسـتفيدة من وجـوده ، لعملت على إزاحته ، تأليها من أولئك لأمريكا بغـير علم ، وكأنّها القادر على كل شيء .

وكما أخطأ الشـريف حسـين بوضع ثقته في الإنكلـيز ، في الحـرب العالمية الأولى ، وساهم بتنفيذ مخططات اليهود ، من حيث لا يدري ، أخطأت القيادة العراقية مـرتين ، عندما وثقت بأمريكا وبعض مواليها من العـرب ، المتـآمرين في ظهر الغيب ، فـانطلى عليها معسـول الكلام ، فسـيق العـراق كما يُسـاق الفهد إلى قفص الصـياد ، فـدخل حربين مـدمرتين ، كـان الهـدف منهما تحطيم قدراته . وعلى ما يبـدو أن هـذه القيـادة اسـتيقظت من غفوتها ، فـور دخولها للكـويت ، وانكشـاف الوجه الحقيقي لأمريكا ، ولكن بعد فوات الأوان ، فانسـحبت من حـرب الخليج الثانية ، لإنقـاذ ما يمكن إنقـاذه ، ولكن المتآمرون على العراق من عرب وعجم ، لم يُعطوها الفرصة لالتقاط أنفاسـها ، فتوالت قرارات مجلس الأمن تباعا ، وكان الحصار الذي لم يكن في الحسبان ، وكانت لجـان التفـتيش ، وكـانت التعويضـات ، فحُصر المـارد العـراقي ، في قمقم قـرارات مجلس الأمن الدولي ، ريثما يجد المتآمرون عليه طريقة للإجهاز عليه تماما .

كان مقتل القيادة العراقية الأول ، الذي استغله المتآمرون خير استغلال ، هي ما يتمتع به العراقيون إجمالا ، من صفات العزة والأنفة وامتلاكهم للقوة ، وعـدم قبـولهم للـذل والهوان ، والتطاول عليهم من قبل الآخرين . فعندما أغـري الكويـتيون بالتطـاول على العـراق ، كـانت الحـرب الانتقامية . وكـان المقتل الثـاني وما زال ، هو أن العراقـيين رجال حرب ، وليسوا برجال مكر وكذب ومراء . لذلك كان من السـهولة بما كـان ، أن تنطلي عليهم دسائس المكرة الفجرة من الغرب والشرق . وأما رجم القيادة العراقية بالخيانة والتواطؤ مع الغـرب ، من بعض المحبطين العـرب ، فـذلك أولا : لجهلهم بما يدور في مطابخ الغرب والشـرق ، ضد هـذه الأمة بشـكل عـام ، وضد العـراق بشـكل خاص ، وثانيا : لخيبة أملهم فيما عقـدوه من آمـال ، على القيـادة العراقية ، لرفع حالة الذل والهوان المزمنة التي يُعـانون منها ، وخاصة بعد أن تـوقفت الصـواريخ العراقية ، التي كانت تضيء سماء العروبة ، لتدك معاقل الصهاينة ، قبل أن تتحقّق أحلام الشعب العربي في العزة والكرامة .

دوافع ومبررات العراق لمحو إسرائيل عن الوجود :

1. التخلّص من الشعور بعقـدة الـذنب ، حيث أن أفعـال القيـادة العراقية ، أضـرّت حقيقة بالشعب العراقي والأمة العربية ، حتى لو كانت عن غير قصد .

2. تبيض الصفحة ونفي تهمة الخيانة والتواطؤ ، حيث أن القيادة العراقية ، أصـبحت متهمة من قبل الآخرين .

3. ضرورة التعويض عما لحق الشعب العراقي والأمة العربية ، من ذل وهوان نتيجة الانكسار العراقي .

4. إثبات القدرة العراقية على النهوض بالأمة العربية ، وقيادتها لما تصبو إليه من منازل العز والكرامة ، والتي طالما كانت تتحدث عنها فيما مضى ، ولكنها لم تفلح لغاية الآن ، مما شكّك في مصداقية القيادة العراقية ، في تصديها لهموم الأمة العربية ، كما تدّعي .

5. إثبات صدق تبني القيادة العراقية ، لمقولة " عاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر " ، والتي تُعتبر من أولويات الحزب الحاكم .

6. الخروج من الوضع المأساوي والمُهين ، الذي نجم عن الحصار الأبدي ، المفروض على العراق منذ أحد عشر عاما .

7. قطع الطريق على المخططات اليهودية الأمريكية لتدمير العراق ، التي أصبح العراقيون يعونها تماما .

8. الانتقام من التطاول الإسرائيلي الجبان ، بضرب المفاعل النووي العراقي ، أثناء انشغاله في الحرب مع إيران .

9. الانتقام من التطاول الأمريكي ، بتكنولوجيته الجبانة ، أثناء وما بعد حرب الخليج الثانية .

10. إظهار عدم مقدرة أمريكا ، على حماية مسخها الخداج في المنطقة ، في أي مواجهة عسكرية حقيقية .

11. سلبية مواقف القيادات العربية غير المبرّرة من العراق ، ويأس القيادة العراقية وقنوطها من هذه القيادات ، خاصة بعد مؤتمري القمة الأخيرين ، في القاهرة وعمان .

12. تعلّق آمال الشعب الفلسطيني اليائس ، بصحوة المارد العراقي المحاصر ، وخروجه من الإقامة الجبرية في القمقم . وهذا ما يُظهره الفلسطينيون أثناء مسيراتهم ، من خلال رفع صور الرئيس العراقي ، والأعلام العراقية .

13. حاجة الشعوب العربية إلى بطل حقيقي يعيد لها أمجادها ، في زمن عزّت فيه البطولة ، إلا من بطولات الدون كيشوت ، في معاركه مع طواحين الهواء ، التي ما فتئت تتغنى بها وبأبطالها شاشات التلفزة العربية ، ليلا ونهارا .

14. العراق ، غريق لن يخشى البلل ، وعلى ما يبدو ، أنه سيعمل على مبدأ " أنا والطوفان من بعدي " ، وإن لم يكسب ، فلا شيء يخسره .

15. الاستفزاز أو العدوان الأمريكي القادم ، بناءً على التحريض اليهودي ، كما ورد في تقرير واشنطن ، بإثارة مسألة المفتشين ، مع نهاية شهر 11/2001م ، أو بإثارة فتنة جديدة ، تدفع العراق للقيام بعمل عدواني ، داخل أو خارج أراضيه .

النص القرآني يتحدّث عن علاقة ثأرية بين طرفين ، ولا اعتبار لأي طرف آخر :

يتحدّث النص القرآني عن نزاع بين طرفين ، في سورة الإسراء ، تربط ما بينهما علاقة ثأرية متأصلة في النفس اليهودية ، منذ آلاف السنين ، ولا يضع في حسبانه أي طرف آخر ، مهما عظم شأنه أو صغُر ، وكأنه لا يوجد على الكرة الأرضية ، سوى اليهود وأولئك العباد . وهذا ما نجده في الآية السادسة والخمسين من سورة الإسراء (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ ، وَلَا**

تَحْوِيلًا (56)ـ ، ولفظ (الضُّرّ) ورد في القرآن ، (29) مرة فقط ، وبمعنى واحد هو الأذى أو العذاب في الحياة الدنيا ، والمعنى الإجمالي للآية ، بأن الله سبحانه وتعالى ، يُخاطب أُناسا أثناء نزول العذاب بهم متحديا إيّاهم ، بدعوة من اتّكلوا عليهم من دونه ، لرفع عذاب الله عنهم . ووعد الآخرة هو وعد إلهي لليهود بالعذاب – وليس للمسلمين بالنصر - سيقع لا محالة ، والذين نهاهم الله في نفس السورة ، عن اتخاذ وكلاء من دونه ، هم بنوا إسرائيل أنفسهم ، ولن يملك أحد من الجن والأنس ، رفعه أو حتى تحويله عنهم ، ولكن كيف ؟

لنتفق أولا على أن تحقق هذا الوعد ، بغزو العراق لإسرائيل ، يعتمد أساسا على انفراد العراق بإسرائيل ، ويمكن لهذا الأمر أن يتحقّق في حالتين :

الاحتمال الأول : أن يكون هذا الغزو مسبوقا ، بدمار جميع القوى العسكرية التي يمتلكها الغرب وإسرائيل ، كنتيجة لتدخل بشري بقيام حرب نووية عالمية ، بين الغرب والشرق ، أو كنتيجة لتدخل إلهي ، بإحداث كوارث طبيعية هائلة في الغرب ، شبيهة بأحداث يوم القيامة .

الاحتمال الثاني : أن يكون هذا الغزو ضمن معطيات الواقع الحالي ، مع بقاء جميع القوى العسكرية التي يمتلكها الغرب وإسرائيل . باستخدام العراق لتقنيات وخطط عسكرية بسيطة ، تحمل في طياتها منطق عسكري جديد ، لم تألفه الشعوب ولا تتوقعه ضمن المعطيات الحالية ، يكون من شأنه أثناء الغزو ، إلغاء أو تهميش القدرات العسكرية الإسرائيلية والغربية كليا .

والاحتمال الأول ضعيف جدا ، حيث أنه يتطلب أن تقوم القوى الغربية ، بفعل عدواني يُهدّد الاستقرار العالمي ، مما يُجبر القوى الشرقية المتمثلة بروسيا والصين مثلا ، على الرد بشكل عنيف ومدمّر ، لإعادة الأمور إلى نصابها . وضمن المنظور القريب لا يوجد من الأسباب ، ما يدفع القوى الغربية للقيام بمثل هذا الفعل العدواني . أما الفعل الإلهي بتدمير القوى الغربية ، فهو أمر مستبعد كليا ، لأن الأحاديث النبوية ، فيما يُخص الفترة الزمنية التي يظهر فيها المهدي ، تُشير إلى فناء التكنولوجيا العسكرية وغير العسكرية بمجملها ، سواء ما يمتلكه الشرق أو ما يمتلكه الغرب ، ولا تُشير إلى فناء جميع الدول والشعوب ، التي تمتلك هذه التكنولوجيا ، فكيف فنيت التكنولوجيا بكليتها ، ولم تفنى الشعوب ... ؟!

وهذا مما يؤكد أمرين ، أولا : بقاء بعض الدول وفناء البعض الآخر ، وثانيا : فناء جميع الأسلحة المتطورة وعلى رأسها الأسلحة النووية من كلا الطرفين . فالدمار القادم للحضارة الغربية برمتها ، سيتحصّل لا محالة ، وعلى ما يبدو ، من جرّاء حرب عالمية نووية مدمرة ، تستنفذ فيها كافة الأسلحة المتطورة من على وجه البسيطة ، مع بقاء بعض الشعوب المنتصرة ، بعد أن تكون ألقت ما في جعبتها من أسلحة ، على خصومها المنكسرة ، وبذلك يغدو من الممكن قيام الخلافة الإسلامية ، في ظل غياب تلك القوى ، ليحكم الكون بأسره ، إذ لا بد للنصر من أسباب ومسببات مادية ، فضلا عن العقائد الروحية .

أما الاحتمال الثاني فهو الأقوى ، إذ أن المؤشرات على الساحة العالمية والمحلية ، تؤكد على أن العراق ، لن يستطيع الصمود حتى وقت متأخر جدا ، فصبر القيادة العراقية بدأ ينفذ ، والتحركات السياسية المتعددة للخلاص من الحصار ، على المستوى الإقليمي والدولي باتت غير مجدية ، ورغم كل ذلك ، لا يبدو أن هناك ضوء في آخر النفق ، والضغوط والتهديدات الأمريكية في تزايد مستمر ، فلا بد لها من القيام بعمل ما لتحريك الأمور ، أو قلبها رأسا على عقب . وكذلك الأمر بالنسبة

للشعب الفلسطيني في فلسطين ، إذا ما استمر الحال ، على ما هو عليه من الخذلان العـربي والعـالمي ، فهو أقـرب إلى الانهيـار منه إلى الاسـتمرار ، وسـتكون النتيجة مأسـاوية على المـدى البعيد ، وعلى عكس ما يتوقعه النـاس منهم ، فللإنسـان طاقة محدودة على الصبر ، وسيبدأ الفلسطينيون مجدّدا بالانسياب إلى الخارج شيئا فشيئا .

معطيات الواقع الحالي تؤكد حتمية نفاذ هذا الوعد في وقت قريب :

وسرّ قابلية نفاذ هذا الوعد في الوقت الراهن ، يكمن أولا : في القيادة الحالية للعـراق ، الـتي إن زالت لن تتكـرّر ، فهي الـتي تملك إرادة الغـزو ، بعـدما تولـدت لـديها نتيجة عملية مخـاض عسـيرة ، تمثلت بما لحق بـالعراق ، من ظلم وإجحـاف وإذلال في السنوات الأخيرة ، على عهد هذه القيادة ، وهي المُطالبَة بإزالة هـذا الظلم والهـوان ، والثأر ممن تسبّب فيه ، وبعث أولئك العبـاد المشـار إليهم في النص القـرآني أساسا ، وكما وضحّنا سابقا ، قائم على علاقة ثأرية بينهم وبين اليهود ، غايته الانتقام ليس إلا .

ويكمن ثانيا : في القيـادة الحالية لإسـرائيل ، بقيـادة أكـثر اليهـود إجراما ووحشـية ، ودورها في ازديـاد حـدّة ودموية الانتفاضة الجديـدة ، الـتي سـاهمت وستسـاهم ، في استمرارية انغماس يهود إسرائيل في شأنهم الداخلي ، وإهمالهم وعـدم التفـاتهم لمن يتربّص بهم الدوائر من الخارج ، مما يعطي فرصة أكبر لنجاح الغزو العراقي .

ويكمن ثالثا : في حالة المجتمع الإسـرائيلي الراهنة ، وخاصة بعد اختيـاره لقيـادة هي الأكثر دموية بين سابقاتها ، وبأغلبية ساحقة مما يُشـير إلى أن الشـعب بكليته ، أصـبح أيضا شـعبا دمويا فاسـدا ومفسـدا ، وعنـدما تصـبح الأمة بأسـرها تملك هـذه الصـفة ، وحسب السـنن الإلهية ، نجد أن هلاكها بـات وشـيكا جـدا . وإذا علمنا أن السـفاح (شـارون) يحمل على عاتقه ، تنفيذ مجمل أحلام اليهـود التوراتية ، الـواردة في الفصـول السـابقة ، قبل نهاية ولايته ، وعلى رأسـها هـدم المسـجد الأقصى ، نسـتطيع القول بأن هلاك هذه الأمة ، لن يتجاوز الأربع سنوات على أبعد الاحتمالات .

ويكمن رابعا : في القيـادة الحالية الأمريكية غـير المتزنة ، الـتي أعلنت عـدائيتها غـير المبررة للعراق ، وقامت بضربه فور تسلمها للسلطة ، دون سابق إنـذار ، بـالرغم من سياساته التصالحية ، وتجاوبه الكامل مع قرارات الشرعية الدولية ، وانتهاجه لأسـلوب الحوار مع مجلس الأمن _ وكل ذلك لم ولن يُجدي نفعا ، إذ أن المطلوب من العراق ، هو عبادة إسرائيل التي يعبدون ، وتقديم فروض الطاعة والولاء للسامريّون الجـدد في الغرب المتصـهين _ والـتي أظهـرت أيضا في المقابل تغاضـيا وصـمتا ، على ما تقترفه القيادة الإسرائيلية ، بشكل غير مسبوق ، مما أثـار حفيظة حـتى المنـافقين من حلفـاء أمريكا ، فتعـاقبت التنديـدات والانتقـادات لهـذا التصـرف الأهـوج ، من قبل المُهـرّج الأمريكي بوش .

هذا ، فضلا عما أثارته القيادة الأمريكية من استياء عـالمي ودولي ، لسياسـتها المعادية لدول الشرق الأقصى والأدنى من روسيا شمالا وحتى اليمن جنوبا ، ومن الصين شرقا وحتى ليبيا غربا ، ولحلفائها الغربيين من الـدول غـير المنحـازة لسياسـاتها ، وللبشـرية جمعاء بعدم توقيعها على اتفاقية الحد من الانبعاث الحراري ، حتى انعكس ذلك ، على مشاركة أمريكا ، في اللجان المنبثقة عن هيئة الأمم المتحـدة ، فأسـقطت من لجنـتي حقوق الإنسان ومكافحة المخدرات ، خلال فترة قصيرة ، مما يعكس السـخط الـدولي على أمريكا وسياساتها .

فضلا عن ذلك ، يأتي مشروع الدرع المضاد للصواريخ المثير للجـدل ، والـذي تـروّج له أمريكا على أنه مشروع دفاعي بحت ، تسعى لامتلاكه ، متذرّعة بمخاوف غـير منطقية

، من هجوم نووي ، ربما تقوم به إحدى الدول المارقة ، كإيران وكوريا الشمالية ، أو جماعات إرهابية ، من الممكن أن تحصل يوما ما على السلاح النووي ، لضمان تأييد حلفائها لهذا المشروع ، الذين أبدوا حوله الكثير من التحفظات ، لعدم قناعتهم بالمسوغات الأمريكية لهذا المشروع . والذي يُجابه أيضا بمعارضة شديدة من قبل روسيا والصين ، كون هذا المشروع سيلغي قوة الردع النووية ، لأي دولة تمتلك السلاح النووي . فالسلاح النووي في الأصل هو قوة ردع كفيلة ، بمنع أي دولة مارقة أو غير مارقة ، من مجرد التفكير بضرب أمريكا نوويا ، ليتبين لنا أن دوافع أمريكا المعلنة لامتلاك هذا الدرع ، غير مبررة وغير منطقية .

أما دوافعها غير المعلنة لامتلاك هذا الدرع ، فهي نابعة من المخاوف التوراتية والإنجيلية ، فيما يتعلّق بالمواجهة المقبلة بين الشرق والغرب ، والتي تناولناها في فصل سابق ، ومحركاتها الرئيسية هي العراق وروسيا والمهدي . وبامتلاك أمريكا لهذا الدرع ، تتحول صواريخها النووية إلى أسلحة هجومية ، قادرة على ضرب أي جماعة ، أو دولة نوويا أو غير نووية من المذكورة آنفا ، في حالة قيامها بتهديد المصالح أو أمن أمريكا وحلفائها ، دون أن تكترث بأي هجوم نووي مضاد ، حتى من قبل روسيا والصين ، وبذلك تستطيع أمريكا ، فرض إرادتها على أي دولة بالقوة إن لم تمتثل لسياساتها طواعية ، ضاربة بهيئة الأمم ومجالسها وقراراتها ومواثيقها عُرض الحائط .

ولو بحثت عمن يسعى بحماس لترويج فكرة هذا الدرع ، في الإدارة الأمريكية ومجلسي الشيوخ والنواب ، لوجدت أنهم في معظمهم ، من اليهود ومن المتصهينين النصارى من عبدة إسرائيل ، المسكونين بالمخاوف التوراتية والإنجيلية . وأن الهدف المنشود من إقامة هذا الدرع ، هو تمكين النبوءات التوراتية المستقبلية التي توافق أهوائهم وأمانيهم من التحقق ، وتعطيل جميع النبوءات التي تخالفها ، وبذلك تصبح قابلية نفاذ هذا الوعد ، بالشكل الذي نتحدث عنه شبه معدومة بل مستحيلة ، ففور شعور أمريكا بأي بوادر تحركات عراقي باتجاه إسرائيل ، لن تتردد الإدارة الأمريكية التوراتية ، في أن تجعل أرض العراق صعيدا جرزا ، دون خوف أو وجل ، وليصبح اسم العراق نسيا منسيا . هذا إن لم تستبق الأمور كما هي العادة ، بضرب العراق والخلاص من أمره ، حتى قبل أن يُفكر بالتحرك ، فور امتلاكها لهذا الدرع ، بعد خمس سنوات من البدء في تنفيذه ، حسب تقديراتها ، ليصبح أمر نفاذ هذا الوعد ، بعد هذه المدة الزمنية ضربا من الخيال . فلا بد من تحقق هذا الوعد قبل مضي هذه المدة .

وقد يقول قائل أن أمريكا لا تخشى أحدا ، ولو أرادت بالعراق السوء لفعلت ، ونقول بأن هذا القول غير صحيح ، فلتدمير القدرة العسكرية التقليدية وأسلحة الدمار الشامل العراقية ، احتاجت أمريكا أولا : مبررا وهو غزو الكويت ، وثانيا : لإجماع أممي لاستصدار قرار باستخدام القوة ، وثالثا : لمشاركة 30 دولة لتنفيذ الهجوم ، لتوزيع دمه على القبائل ، ومن ثم فُتح المجال لإجراءاتها العدائية المستمرة اتجاه العراق . فلو كانت قادرة ، فما الداعي لما قامت به من خطوات سبقت الضرب الفعلي للعراق ! ونقول بأن أمريكا ، لن تجرؤ على ضرب العراق نوويا ، بداعي الخوف على مصالحها أو أمنها ، في ظل امتلاك نفس السلاح ، من قبل دول مناهضة لها ولسياساتها كروسيا والصين ، لأنها بالمقابل ، ستعطي لهما مبررا لضربها نوويا دون سابق إنذار ، في حال قيام أمريكا بتهديد مصالحهما وأمنهما . فالمخاوف الأمريكية من أسلحة الدمار الشامل تأتي من العراق ، وكما نعلم فإن العراق كان على علاقة طيبة مع أمريكا ، قبل حرب الخليج الثانية ، ولم يُهدّد يوما لا أمن الولايات المتحدة ولا مصالحها ، وحتى بعد احتلاله للكويت ، لم يكن ذلك ليُغيّر من طبيعة تلك العلاقة ، والذين هدّد العراق أمنهم قبل جرّه لغزو الكويت وما زال ، وتستطيع صواريخه الكيماوية والبيولوجية أن

تصلهم ، هم يهود إسرائيل ، وهو ما كان قد أيقظ المخاوف التوراتية لأسياد أمريكا من اليهود ، فكان ما كان ، ووقع ما لم يكن في الحسبان .

الأجواء الآن مغايرة تماما ، للأجواء التي قـامت في ظلها الدولة اليهودية :

منذ أكثر من مائتي سنة ، قام اليهـود بوضع مخطط طويل الأمد ، جمعـوا فيه ، ما بين مطامع أرباب المال اليهود في السيطرة الاقتصـادية ، وأحلام الحاخامـات التوراتية في فلسـطين . وكـان الهـدف النهـائي للعمل الجمـاعي اليهـودي ، وما زال ، هو السـيادة الكاملة على كـــوكب الأرض ، من خلال حكم ملكي ديكتـــاتوري ، يتخذ من القـــدس عاصـمة له ، لتحقيق مطلب الطـرفين معا . نظريا وبإغفـال القـدرة الإلهية ، الـتي لا يؤمن اليهود بوجودها ، فـإن مخططهم الإفسـادي قابل للتحقق على أرض الواقع . أما عمليا ، وبإدخال القدرة الإلهية ، يُصبح أمر تحقق مخططهم هذا ، ضربا من الخيال .

وقد تمكن اليهــود من خلال هــذا المخطط ، من تحقيق السـيطرة الاقتصــادية ، على العالم الغـربي ، بـامتلاك الصـناعة المصـرفية ، وشـراء الاسـتثمارات بكافة أشـكالها ، وأهمها الصــــناعات العســـكرية والإعلامية . مما مكّنهم من الســـيطرة على مجمل سياســيات تلك الــدول الداخلية والخارجية ، ومن ثم تم تســخيرها ، لخدمة أهــداف المخطط اليهودي آنف الذكر .

ولو أمعنت النظر في ظروف المنطقة ، التي سبقت الحربين العالميتين الأولى والثانية ، لوجــدت أنها تتقــاطع كليا مع المخططــات اليهودية ، بإقامة وطن قــومي لهم في فلسـطين ، في ظل موقف السـلطان عبد الحميد ، الـرافض حـتى لإقامة اليهـود فيها كأفراد ، حتى استيئست رسل اليهود من الأمر . ولو أمعنت النظر في نتائج الحــربين ، ســتجد أنها خـدمت المخطط اليهــودي بشـكل ملفت للنظر ، حيث تمخضت الحــرب الأولى عن انهيار الدولة العثمانية ، ومن ثم إصـدار وعد بلفـور ، ووضع فلسـطين تحت الانتداب البريطاني ، ومن ثم فتح باب الهجرة اليهودية . ومن ثم قـامت الحـرب الثانية ، فتمخّض عنها إنشــاء الأمم المتحـــدة من خمس دول حليفة ومنتصـــرة ، وفي تلك الأجـواء تم استصـدار قـرار أممي بتقسـيم فلسـطين ، من خلال دعم غـربي أمـريكي بريطاني فرنسي ، وعـدم معارضة شـرقية روسـية صـينية ، حيث كـان لكل دولة ، من تلك الـدول والمـأخوذة بنشـوة الانتصـار ، أطمـاع لنيل جـزء من الكعكة العالمية بعد الحرب ، وكان أحد المطالب الغربية ، هو تقديم فلسطين لليهود على طبق من ذهب . وفي المقابل ، ستجد أن نتائج هذه الحرب ، كانت مأساوية على مجمل الـدول ، الـتي شاركت فيها ، حـتى المنتصـرة منها ، بما أنها تكبّلت بالـديون اليهودية إلى ما لا نهاية ، والمستفيد الوحيد دائما وأبدا ، هم تجّار الحروب من سادات اليهود ، أثرياء وحاخامـات ، ممن يحكمون العالم الغربي في الخفاء .

ـ لنخلص إلى أن قيام إسرائيل واستمرارها ، اعتمد على عدة أمور :

1. تمكين بريطانيا من السيطرة على فلسـطين ، لاستصـدار وعد بلفـور ، الـذي لم يكن كافيا لتحقيق الحلم اليهــودي ، بإقامة وطن قــومي لهم في فلســطين . ومن ثم وضع فلســطين تحت الانتـــداب البريطـــاني ، لتمكين بريطانيا من تنفيذ الوعد ، بفتح أبواب الهجرة ، وخلق واقع جديد ، يسمح لليهود بإقامة الدولة .

2. التضليل الإعلامي المسـتمر للـرأي العـالمي ، بـترويج مقولة " أرض بلا شـعب ، وشعب بلا أرض " . بالإضافة إلى التضخيم الإعلامي لمسألة الاضطهاد الأممي لليهود ، وخاصة تـرويج حكاية ضـحايا المحرقة النازية السـتة ملايين . لكسب تعــاطف وتأييد

الرأي العالمي الغربي . ومن ثم استغلال الحلفاء الخمسة المنتصرين ، والمؤسسين للأمم المتحدة ، لاستصدار قرار أممي بتقسيم فلسطين ، تمخض عنه قيام دولة إسرائيل . بطلب وتأييد من الدول الغربية ، وقبول من الدول الشرقية ، حيث كانت حسبة المصالح للدول الخمسة الكبرى آنذاك ، تسير في مركب واحد ، بينما كانت الدول العربية بأسرها ، مملوكة من قبل الغرب .

3. الرعاية الاقتصادية والسياسية والعسكرية الأمريكية والأوربية المستمرة لإسرائيل ، في حالتي السلم والحرب .

- والسؤال الآن هل الظروف ، التي أوجدت دولة إسرائيل ، وحافظت على بقائها واستمراريتها ، ما زالت قائمة ؟

1. فور خروج الجيش البريطاني ، وفور الإعلان عن قيام الدولة اليهودية ، استطاعت الجيوش العربية قهر الجيش الإسرائيلي ، والوصول إلى مشارف تل أبيب ، ولولا استجابة العرب للأوامر الأمريكية بوقف القتال ، لما استطاع الغرب من إمداد إسرائيل بالعدة والعتاد ، مما مكّنها لاحقا من الانتصار ، ولما كان هناك ما يُسمى بدولة إسرائيل ، ولكن قدّر الله وما شاء فعل .

2. بعد الانفتاح الإعلامي ، وعالمية وسائل الاتصال ، وتعدّد مصادر المعلومات ، أُتيح للرأي العالمي ، وخاصة المناهض لأمريكا وسياساتها ، رؤية الجانب الآخر من الصورة ، الذي عملت وسائل الإعلام الغربية على التعتيم عليه ، فيما مضى ، فبات الكل يعلم ، أن فلسطين لم تكن يوما من الأيام ، أرضا بلا شعب ، بل فيها شعب ، لا مثيل له بين الشعوب ، له إرادة تفل الحديد ، ويستحق التقدير والاحترام . وبات الكل يعلم ، أن الشعب الذي كان يتباكى من الاضطهاد النازي له ، تبين أنه أكثر نازية ووحشية من النازيين أنفسهم ، فتبدّل التعاطف معه إلى سخطٍ عليه ، واستياءٍ وخجلٍ عالميّ من أفعاله ، ولولا الفيتو الأمريكي والدعم البريطاني والفرنسي والتخاذل العربي ، المسلّط على رقاب الفلسطينيين ، والمُحبِط حتى لأنصار القضية الفلسطينية ، من الشعوب غير العربية ، لما استمرت هذه الدولة النازية الجديدة في الوجود .

3. لو تتبعنا كافة الحروب العربية الإسرائيلية ، لوجدنا أن إسرائيل لم تكن قادرة ، بأي حال من الأحوال ، على مجابهة الجيوش العربية ، بل لم تكن قادرة على حماية نفسها ، لولا الدعم العسكري الأمريكي البريطاني الفرنسي ، المعلن والخفي بالسلاح والأفراد ، من خلال الجسور الجوية التي كانت توصل هذا الدعم . فالمواجهة في كل الحروب ، لم تكن بين العرب وإسرائيل ، وإنما كانت بين العرب والغرب . ولوجدنا أن مجمل نوايا القيادات العربية ، كانت معروفة باليوم والساعة ، وأن تحركات الجيوش العربية وإمداداتها ، كانت معلنة ومكشوفة وبطيئة ، وغير منسقة لتعدد القيادات ، ولوجدنا أن عامل الوقت كان حاسما في مجمل تلك الحروب ، مما كان يُمكّن إسرائيل من الاستعداد ، وطلب النصرة من الغرب .

كانت هذه قراءتنا للواقع . أما معطيات الواقع المنظور ، كما يقرأها عامة الناس ، والتي لا توحي باقتراب تحقّق وعد الآخرة ، بإساءة وجوه الصهاينة ، والدخول العراقي لفلسطين . سنحاول تصحيح هذه القراءة ما أمكن ، من خلال رسم صورة ، للدخول القادم من خلال صور ومشاهد ، من القرآن والتاريخ والواقع ، لتقريب صفة هذا الدخول لذهن القارئ ، وذلك أولا : لتأكيد مصداقية ما جاء به كتاب الله ، من أمر هذا الوعد قبل تحقّقه ، وعلى النحو الذي أراده رب العزة ، لا كما أرادته أهواء البشر ، وثانيا : بيان مدى قابلية تحقّق هذا البعث ، في زمن قريب جدا ، وضمن معطيات الواقع الحالي ، الذي قد يراه الناس مخالفا ، لما نذهب إليه جملة وتفصيلا .

من صور الدخول في القرآن :

نطرح فيما يلي بعضا من صور الدخول ، مما ورد ذكره في القرآن الكريم :

(**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ، فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ، وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةٌ ، نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ، وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** (58 البقرة)

كان هذا وصف لكيفية الدخول ، التي أُمر بها بنو إسرائيل على قرية مدين شبه الخاوية ، بعد هلاك أغلبية أهلها بالعذاب ، وتركهم لأرضهم ومساكنهم وممتلكاتهم من الزروع والمواشي ، وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) ، أي أن ما فيها من خيرات وأنعام ، أصبح في متناول أيديهم بمجرد الدخول ، وهذه العبارة قيلت لآدم وزوجه عند أمرهم بدخول الجنة ، وكان هذا من لطف الله بهم ومنّه وكرمه عليهم ، ولذلك طُلب منهم عند دخول باب القرية ، التعبير بالقول والهيئة ، عن شكرهم وطاعتهم لله على هذه النعمة ، التي كانوا قد طلبوها سابقا ، وتحصّلوا عليها دون جهد أو عناء ، إذ لم يُجابهوا بأية ممانعة أو مقاومة ، بل على العكس ، قوبلوا بالترحيب ، من قبل شعيب والقلة المؤمنة ممن بقي من قومه ، لمصاهرة موسى عليه السلام لهم ، وإقامته عندهم فيما مضى ، والله أعلم .

(**قَالَ رَجُلَانِ ، مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** (23 المائدة)

كان هذا وصف لكيفية الدخول ، الذي أُمر به بنو إسرائيل ، لدخول الأرض المقدّسة المأهولة بالسكان ، في محاولة من رجلين مؤمنين عالمين بواقع الحال ، لتشجيعهم وطمأنتهم ، لعلهم يرجعون عن موقفهم الرافض ، لدخولها وطرد سكانها الوثنيون ، والاستيطان فيها بدلا منهم ، حيث يؤكد لهما الرجلان ، بأنهم لن يتعرضوا للأذى عند الدخول ، وفي حال كانت هناك مواجهة ، فلن يُكلّفهم ذلك سوى كسر الباب ، بقتل الحراس المتواجدين عليه ومباغتة أهلها في الداخل . وعلى ما يبدو أن موسى عليه السلام ، قبل أن يأمر بني إسرائيل بالدخول ، كان قد بعث هذين الرجلين ، للتجسس على أهل المدينة المقدّسة ، فوجدا أن أهلها على غير استعداد للحرب ، وأنهم لا يملكون جيشا ، ولم يكونوا جبارين حقيقة ، كما ادعى بنوا إسرائيل لاحقا ، وأنهم لا يملكون سوى بضعة حرّاس ، على باب المدينة فقط . وعندما أمر موسى قومه بالدخول ، رفضوا مُتذرعين بجبروت أهلها تقاعسا وخذلانا وجبنا ، فعقّب هذين الرجلين على قول موسى ، بقولهم ذلك تفنيدا لادّعائهم ، وتوضيحا لحقيقة الأمر ، كما رأوها بأمّ أعينهم ، ومع ذلك أصرّ بنو إسرائيل على موقفهم ، بقلة إيمانهم وفسقهم وجبنهم . ودخول كهذا يحتاج للمباغتة كعنصر أساسي ، لمنع الخصم من الاستعداد والجاهزية للقتال ، مما يُقلّل أو يمنع الخسائر في المواجهات المكشوفة ، ويدفع الخصم إلى الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع ، ومن ثم الرحيل عن الأرض .

(**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ ، إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (34 النمل)

وكان هذا وصفا لكيفية دخول الملوك ، على القرى المتمرّدة والمتطاولة ، على أمرهم ومكانتهم ، على لسان ملكة سبأ ، تحذيرا لقومها من عصيان أمر الملك سليمان عليه السلام ، وهذا الدخول هو الأسوأ على الإطلاق . وانظر في قول سليمان عليه السلام ، عندما تمرّدوا على أمره ، ولم يأتوه مسلمين كما طلب ، حيث قال (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ، فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** (

37 النمل) ، فعصيان أمر الملوك ، ذوي القوة والعـزة والأنفة والتطـاول عليهم ، بـأي شـــكل من الأشـــكال ، يُحمل على أنه تحقـــير وتقليل من شـــأنهم ، ويُعتـــبر إهانة لا يستطيعون غفرانها . والرد عليها عادة ما يكون ، كما هو ظاهر في رد سليمان عليهم ، بإرسال جيش لا قبل للخصم به ، لا من حيث العدد ولا من حيث العـدة ، ونتيجة فعلهم ، هي كما وصـفته ملكة سـبأ في الآية الأولى ، وما أكـدّ عليه سـليمان في الآية الثانية أعلاه .

وغاية هذا الدخول في العادة ، تكـون للانتقـام ورد الاعتبـار ، باسـتباحة الأرض والمـال والعرض ، بتخريب الممتلكات والقتل والتنكيل في العامة ، وأسر علية القـوم وإذلالهم ، ومن ثم قتلهم والتنكيل بهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم ، وتسخيرهم للعمل كجـواري وخـدام في القصـور إمعانا في إذلالهم . ودخـول كهـذا ، عـادة ما تُعلن فيه الرغبة في الانتقام ، ويتم فيه تهديد الخصم مسبقا ، لإذلاله وإدخـال الـرعب في قلبه ، مما يكـون أدعى لانهياره ، وسرعة تداعيه عند المواجهة ، في حال تجرّأ على ذلك .

(**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَـرَامَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** (27 الفتح)

هذه هي المرة الأخرى ، والوحيدة في القرآن ، التي يرتبط فيها ذكر الدخول بالمسجد ، وهو دخـول المسـجد الحـرام في مكة ، ولو أمعنت النظر في نص الآية ، سـتجد أنها تصف المسلمين أثنـاء تأدية العمـرة ، وقد جـاء في كتب التفسـير ، أن هـذه الرؤيا قد تحقّقت ، فيما سُمّي لاحقا بعمرة القضاء ، في العـام التـالي لصـلح الحديبية ، فـأنزلت هذه الآية تصديقا للرؤيا ووعدا بالفتح . وأما الدخول العسكري لمكة والمسجد الحــرام ، فسُمّي في القرآن فتحا وليس دخولا . والمعروف أن المسلمين عندما خرجـوا لغـزو مكة ، كانوا قد أعدوا عدة الحرب . وقد روى الإمام مسلم عن جابر : " أن رسول الله دخل مكة ، وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام " ، وقال ابن كثير في تفسيره للآية (24) من نفس السـورة ، والـتي سـيرد نصـها في الحـديث عن فتح مكة ، أن الرسـول عليه الصلاة والسلام : " لم يسق عام الفتح هـديا ، وإنما جـاء محاربا مقـاتلا في جيش عرمرم " .

المقصود بدخول المسجد :

الدخول القادم للمسـجد الأقصى ، لن يكـون لتخريبه كما وقع في المـرة الأولى ، ولن يكــون بقصد الزيــارة فقط ، لأداء عبــادة من العبــادات ، كما هو الحــال عند دخــول المسـجد الحـرام ، الموصـوف في الآية أعلاه . فالمقصـود بقوله تعـالى (وليـدخلوا المسجد) هو الدخول إلى الأرض المباركة ، التي تحـوي هـذا المسـجد ، أي فلسـطين ككل والسـيطرة عليها . وذِكر المسـجد ، الـذي هو بمثابة القلب من الجسد ، بالنسـبة للأرض المباركة والمقدّسة ، جـاء للإشـارة وللتأكيد على أن نفـاذ الوعد بشـكل كامل ، سيتحصل أخيرا بدخول القدس ، بعد إزالة العلو اليهودي من فلسطين ، وإنهاء الوجــود اليهودي فيها ، الذي يفيده تقدّم ذكر الإساءة عن ذِكر الدخول .

ولو تمعنّت في قوله تعـالى (**فَـإِذَا جَـاءَ وَعْـدُ الْآخِـرَةِ ، لِيَسُـوءُوا وُجُـوهَكُمْ ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ** (7) ، ستجد أن الغاية من البعث في الأصل ، هي إسـاءة وجـوه اليهـود ، وستتحصّـل هـذه الإسـاءة ، من جـرّاء ما وقع فيهم ، من قتل وتنكيل وسـبي وفرار . ومن ثم جاء ذكر المسجد ، ليكون دخول القدس واسـتعادتها ، نتيجة تـأتّى من جرّاء ما وقع في اليهود من إساءة . والأنكى والأكثر إيلاما لليهود ، هو أن تُتّخذ القــدس

عاصمة لدولة عربية كبرى ، لتصبح أحلام يهود الشرق والغرب المتعلقة بها هباءً منثورا ، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من التحقق . وبالتالي يكـون مجيء لفظ الـدخول في هذه الحالة ، تأكيدا لتحرير فلسـطين واسـتعادة المسـجد والاسـتيلاء عليه من قبل المبعوثين ، وأن البعث لم يقتصر على إساءة الوجوه فقط . والتشـبيه هنا كـان لصـفة الـــدخول ، منذ اجتيـــازهم لحـــدود الأرض المقدّسة ، بما تخلله من قتل وتنكيل وأسر وإذلال ، حـتى وصـولهم إلى قلب مدينة القـدس ، ليتأكد لنا زوال علـوهم منها بشـكل كامل قهرا وقسرا ، بالضبط كما حصل في المرة الأولى ، عند دخـول البـابليين بقيـادة نبوخذ نصّر .

وعلى ما يبدو أن الدخول القادم ، سيجمع بين صفتي الدخول الثاني والثالث ، المشـار إليهما أعلاه ، لأن غاية الدخول القادم ، تجمع ما بين غايتيهما ، وهما أولا : طرد اليهـود وإعــادة الأرض لأصــحابها الأصــليين ، وثانيا : إشــباع الرغبة العراقية في الانتقــام من اليهود وإذلالهم .

ومن جانب آخر ، نجد أن قوله تعالى (ليسوءوا ... وليدخلوا ... كما دخلـوه ...) يصف ما سيجري على أرض فلسطين لحظة الوصـول إليها ، وحـتى اسـتعادة كامل أرضـها . والــذي ســيجري حقيقة على أرض الواقع ، حسب الوصف القــرآني ، ليس بمعركة ، وإنما غزو من قبل أمة لا تعرف الرحمة ، لأمة ضعيفة وجبانة مسـتباحة الأرض والمـال والعـرض . ولو أنك فكّـرت بهـذا الحـدث نظريا ،كما جـاء به النص القـرآني ، وحـاولت مطابقته مع معطيـات الواقع الحـالي ، سـتجد بـأن عملية تحققه ضـرب من الخيـال ، ضمن الظروف الراهنة ، التي تؤكد رجحان كفة موازين القوى العالمية ، لصالح اليهـود وحلفائهم الغربيين .

صور من الواقع :

ـ حال إسرائيل في المنطقة ، كحال ثري يملك مـنزلا ، في منطقة معزولة عن المدينة ، يحتوي على كمٍّ هائـلٍ من الكنـوز والمقتنيـات الثمينة ، ويقتـني عتـاد جيش كامل من الأسـلحة ، من مسدسـات وأسـلحة رشاشة وقنابل يدوية وصـواريخ ، لحماية هـذه الممتلكات من هجمات اللصوص .

فلو أن مجموعة كبيرة من اللصوص ، لا تملك سوى السلاح الأبيض ، فكّـرت بالسـطو على مثل هذا المنزل ، ، فهل ستنجح ؟!

للإجابة فكّر مليا بالحالات التالية :

- إذا وقع السطو ، وشعر صاحب المنزل باللصوص ، وهم خارج الأسوار ، سـيكون بمقـدوره الاتصـال برجـال الأمن ، ومشـاغلتهم بما لديه من الأسـلحة متنوعة وفتاكة ، حتى يتمكن من الحصول على المساعدة ، هذا إن لم يكن قد فرق شـملهم ، وأبـادهم عن بكـرة أبيهم ، قبل وصـول المسـاعدة ، وسـتكون إمكانية صـدهم في هـذه الحالة كبيرة جدا .

- إذا وقع السـطو ، ولم يشـعر صـاحب المـنزل باللصـوص ، إلا بعد دخـولهم إلى المنزل والانتشار في أرجاءه ، فهو خاسر لا محالة ، ولكن أمامه عـدة خيـارات ، أولا : الاتصال بالمسـاعدة الـتي لن تصل في الـوقت المناسب ، وسـيكون ضـررها أكـثر من نفعها ، في حال أحس اللصوص بـذلك ، فقد يُصـبح قتله أمـرا محتما ، وكـذلك الحـال فيما لو حوصر اللصوص ، من قبل رجال الأمن ، داخل المنزل المُتخم بالأسـلحة ، ثانيا : المواجهة المسلحة ، فيما لو لم يتمكن من الاتصال ، والنتيجة مع كثرتهم ، محسـومة

لصالحهم ، بقتله ونهب محتويات المنزل ، وثالثا : الفرار أو الاختفاء ، والتسليم بالأمر الواقع ، لتنهب محتويات المنزل .

إذا وقع السطو ، ولم يشعر صاحب المنزل باللصوص ، إلا وسكين أحدهم تضغط على حنجرته ، منبهين إياه من النوم . هنا ستكون النتيجة محسومة ، فنهب المنزل أصبح تحصيل حاصل ، وأما أمر نجاته من عدمها ، فمرهون بأيدي اللصوص .

ولغزو إسرائيل ، يتطلب الأمر تجنّب الحالة الأولى ، وهي ما جرت عليه العادة ، في كافة الحروب العربية الإسرائيلية ، والعمل على ما أمكن على تحقيق الحالة الثالثة ، أو الحالة الثانية على الأقل ، بهجوم كبير وشامل ومباغت وسريع ، تكفله وحدة القيادة من خلال العمل المنسقّ والمحافظة على السرية التامة ، مما يحرم إسرائيل من الاستعداد ، ويلغي جميع قدراتها الدفاعية والهجومية ، ويحرمها حتى من القدرة على طلب المساعدة كذلك . ولنخلص إلى القول بأن نجاح هذه المهمة ، يتطلّب عدة عوامل :

أولا : إعداد جيش كبير العدد ، يفوق تعداد الجيش الإسرائيلي أضعافا مضاعفة ، يتم تدريبه على كافة الأساليب القتالية الحديثة ، ويكون لإفراده القدرة على تحمل الجهد والجوع والعطش ، والقدرة على البقاء والاستمرارية في أقسى الظروف ، تملؤهم رغبة جامحة بالانتقام ، ويُسيّرهم حقد جارف .

ثانيا : المحافظة على السرية التامة ، منذ لحظة الانطلاق حتى الوصول ، لتوفير عنصر المباغتة .

ثالثا : سرعة الوصول ، باستخدام كافة الوسائل والتقنيات العصرية المتاحة .

رابعا : شمولية الهجوم ، من خلال تعدد الجبهات .

خامسا : سرعة الانتشار .

ـ ولو نظرنا إلى واقع إسرائيل ، ستجد أنها أشبه بالطفل الخداج ، الذي يعيش في بيئة مصطنعة ، ويحتاج فيها إلى من يٌقدّم له الحماية والرعاية والعناية المستمرة والحثيثة ، والإمداد بالغذاء والهواء في الظروف الطبيعية ، وإلى العلاج المكثف في الأزمات الصحية بسبب نقص المناعة ، وعدم القدرة على المقاومة .

ومشكلة إسرائيل ، أن حاضنتها تقع في بيئة معادية ، وهي عرضة لأن يُفتك بها ، في أي لحظة ، وأن أمريكا القائمة على رعايتها والعناية بها ، تبعد عنها آلاف الأميال . وتحتاج إلى وقت ليس بالقصير ، لتقديم العون لها ، كلما ألمّ بها عارض مفاجئ ، وغالبا ما كانت أمريكا تلجأ إلى الحيلة والمماطلة ، في كل مرّة لكسب الوقت ، كي تؤمن لها العلاج المناسب ، وتنقذها من الهلاك .

وللتخلص من هذا المسخ ، يتطلب الأمر ، المباغتة بالهجوم وسرعة الإنجاز وعدم التأخير ، أثناء عملية القتل ، والاستمرارية حتى مفارقة الروح الجسد ، لحرمان القائمة على الرعاية ، من كسب الوقت ، الذي تحتاجه لتعطيل عملية قتل المسخ ، ومن ثم لتقوم بإنعاشه ، كما جرت العادة في كافة الحروب العربية الإسرائيلية . ولنخلص إلى القول بأن نجاح هذه المهمة ، يعتمد على ثلاثة عوامل :

أولا : المباغتة بالهجوم .

وثانيا : سرعة الإنجاز .

وثالثا : الاســتمرارية حــتى مفارقة الــروح الجسد ، إذ ليس بإمكــان أمريكا أن تحــيي الموتى ، ولو فكّرت بذلك فلن تجد من يُؤيّدها .

صور من التاريخ الإسلامي :

في السنة السادسة للهجرة ، كان الرسول عليه الصلاة السلام ، وألف وأربعمائة رجل من المسلمين ، قد أحرموا بالعمرة متوجهين إلى مكة ، فعلم مشركي قريش بــذلك ، فخرجوا بخيلهم ، لصدّهم عن دخول المسـجد الحـرام . فسـلك عليه الصـلاة والسـلام طريقا ، غير التي كان عليها ، حتى وصل إلى الحديبية ، بركت الناقة على غير عادتها ، فعلم عليه الصلاة والسلام ، أنها لن تعدو مكانها ، وبأن العمرة لم تُكتب لهم ذلك العام ، فأقام ومن معه فيها . فكان فيها الصلح الذي كان من بنوده ، حرمان المســلمين من أداء العمرة في ذلك العام ، على أن يعودوا لأدائها في العام المقبل ، فشُــقّ ذلك على المسلمين ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي أراد قتالهم والدخول قسرا ، ولم تهدأ سَوْرة غضبه ، إلا بعض أن أنزلت آيات ســورة الفتح ، مُبيّنة الحكمة الإلهية ، التي غفل عنها بعض من أيّد قتال أهل مكة ، من الصحابة رضوان الله عليهم .

قال تعالى (**وَهُوَ الَّذِي كَـفَّ أَيْـدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْـدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ، مِنْ بَعْـدِ أَنْ أَظْفَـرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَـانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرًا** (24) **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَـرَامِ ، وَالْهَـدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُـغَ مَحِلَّهُ ، وَلَــوْلا رِجَــالٌ مُؤْمِنُــونَ وَنِسَــاءٌ مُؤْمِنَــاتٌ ، لَمْ تَعْلَمُــوهُمْ ، أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْـرِ عِلْمٍ ، لِيُـدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِـهِ مَنْ يَشَـاءُ ، لَـوْ تَزَيَّلُوا ، لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (25 الفتح) ، فبالرغم من تــوافر الرغبة الإلهية في تعــذيب الكفــار ، وتــوافر التأييد الإلهي للمســلمين في مواجهــاتهم للمشركين ، وأسر المسلمين لمن خــرج لصـدّهم عن المسـجد من مشـركي قـريش ، مُنع المسلمين من الدخول لمكة قسرا ، لئلا يُلحقوا الأذى بالمؤمنين ، غـير المعلـومين من أهل مكة ، وأنه لو كــان هــؤلاء ظــاهرين ومعلــومين ، لسُــمح للمســلمين بقتــال المشركين ، ودخول مكة قسرا .

قلنا في فصل سابق أن صفة دخول المسجد الأقصى ، في المرة الثانية مشابهة لصفة دخوله في المرة الأولى ، والدخول الأول كما علمنا ، كان من قبل البــابليين . ولكن ما نود أن نؤكد عليه هنا ، أن ظروف الدخول الأول مختلفة ، عن ظروف الدخول الثاني ، فالدخول الأول ، وقع على كفـرة اليهـود وفسـقتهم ، بعد أن قـاموا بـإخراج المؤمـنين المستضعفين من ديارهم ، وإبعـادهم إلى خـارج حـدود المملكة . وما نـراه أمامنا على أرض الواقع في فلســطين ككل ، هو تــداخل المــدن الفلســطينية بالمــدن اليهودية والمستوطنات ، واختلاط السكان من عرب ويهود ، في بعض المدن وخاصة في مدينة القــدس . وهــذا الواقع مشــابه إلى حد ما ، ظــروف مكة قبل الفتح ، حيث اختلاط المؤمنين سرّا بالكفار . وهذا مما ينفي ، والله أعلم ، استخدام القوة بشـكل مفـرط ، أثناء الدخول العراقي لفلسطين ، ومما ينفي وقـوع مواجهة شـاملة ، في حـرب معلنة ومكشوفة ، ولنتعرف على الفكر العسكري ، لرسول الله عليه الصـلاة والســلام ، في كيفية التعامل مع هذا الواقع ، وكيفية التـدبير الإلهي في تنفيذ وعـده ، سـنعرض بعض الملامح من فتح مكة .

لما كان صلح الحديبية ، دخل بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله عليه الصلاة والسـلام ، وكـانت الهدنة . فاغتنمها جماعة من بـني بكر ، في السـنة الثامنة للهجرة ، فأصابوا من خزاعة ثأرا قديما لهم ، وكانت قريش قد رفدت بــني بكر

بالسلاح والرجال . فخرج نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأخبروه بما أصيب منهم ، ومظاهرة قريش لبني بكر عليهم ، فوعدوا بالنصر ، ثم انصرفوا راجعين . فخرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ، ليطلب الشفاعة ، ويشدّ في العقد ، ويزيد في المدة ، فرجع خائبا .

في تلك الأثناء ، أُمر المسلمون بالجهاد ، وأُخفيت جهة الخروج عن الناس في بادئ الأمر ، كما أُخفي موعد الخروج ، ثم إن رسول الله أخبر الناس ، قبيل خروجه بفترة قصيرة ، أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدّ والتهيؤ ، وقال : " **اللهم خُذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها** " . وكلنا يعلم قصة حاطب بن أبي بلتعه ، عندما حاول إعلام قريش بما كان من أمر المسلمين ، فكشف الله أمره عن طريق الوحي . وشاء الله ، فعُمّيت الأخبار عن قريش ، ونزل جيش الفتح بالقرب من مكة .

كان العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد أعلن إسلامه عند مقدم جيش المسلمين لغزو مكة ، ومما قاله حين نزل رسول الله مرّ الظهران : " واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر " . فخرج العباس رضي الله عنه ، ليبحث عن رجل من قريش ، ليطلب لها الأمان ، من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خوفا من أن يُهلكها جيش المسلمين ، القادم للانتقام منها لنقض العهد ، فوجد صاحبه أبي سفيان ، فاستجلبه ليطلب الأمان . ولولا ما أُعطي أبو سفيان ، من الأمان لأهل مكة ، وإطلاق سراحه صباحا ، ليُخبرهم قبل دخول جيش المسلمين ، لهلكت قريش .

كانت قريش – بعد أن نقضت العهد – تتوقع خروج الرسول عليه الصلاة والسلام عليها ، ولكنّ معرفتها لوقت خروجه على وجه الدقة ، لم تكن متحصّلة ، لذلك لم تقم بالاستعداد للمواجهة ، وكانت تعتمد على خبر يأتيها من عمليات التجسس ، التي دأبت على القيام بها ، منذ نقضها للعهد ، للبدء في الاستعداد . ولكن ذلك الخبر لم يأت ، بمشيئة الله ، حتى كان صباح يوم الفتح ، على لسان أبي سفيان ، الذي كان قد أسلم ، داعيا أهل مكة إلى الاستسلام ، لا داعيا إياهم إلى النفير .

مقومات وظروف فتح مكة :

كان مُحرّك الخروج على قريش ، هو الرغبة في الانتقام منها لنقضها العهد ، والثأر لبني خزاعة ، بالإضافة لدوافع أخرى ، أما رسول الله عليه السلام ، فكان أرحم بأهل قريش من أنفسهم .

1. توافر الوعد الإلهي لرسوله وللمؤمنين بالفتح .
2. إحاطة عملية الخروج بالسرية التامة ، لتوفير عنصر المباغتة ، مما حرم قريش من الاستعداد للمواجهة ، سواء بإعداد العدد والعدة ، أو بالاستعانة بما حولها من القبائل ، ممن كانوا على عداء مع المسلمين . مع العلم بأن المسافة ما بين المدينة ومكة ، تزيد على 400 كم ، وأن وسائل الانتقال كانت بدائية وبطيئة جدا ، ومع ذلك تمكّن المسلمون ، من الوصول ومباغتة أهل مكة ، من خلال الأخذ بالأسباب ، ومن ثم الاعتماد على التأييد الإلهي .
3. تأمين الكثرة ، لدب الرعب في قلوب المشركين ، وإجبارهم على الاستسلام لانعدام القدرة على المواجهة ، ولسحق أي مقاومة محتملة ، مهما كان حجمها ، حيث بلغ تعداد الجيش قرابة عشرة آلاف رجل ، وهو نفس العدد الذي استطاعت قريش ،

وحلفائها من القبائل ، جمعه في غزوة الخندق ، وهو ما حُرمت قريش من فعله عند فتح مكة .

4. علم المسلمين التام ، بجغرافية مكة ومحيطها ، مما أفاد المسلمين قبل وأثناء الدخول .

5. والأهم من كل ما تقدّم ، هو التأييد والتمكين والتدبير الإلهي ، من البداية إلى النهاية ، لإنجاز ذلك الوعد .

ـ والآن لو طرحنا التساؤل التالي ، أليس من الممكن أن تتوفر ذات المقومات للعراقيين ، ليُنجز الله وعده لبني إسرائيل ؟!

1. توافر نفس المُحرّك للخروج ، وتوافر دوافع ومبررات أخرى طرحناها أعلاه .

2. توافر الوعد الإلهي بعقاب بني إسرائيل على أيدي العراقيين ، حتى لو لم يُذكروا بالاسم في النص القرآني .

3. توافر وحدة القيادة ، وقدرتها في هذه الحالة ، على إخفاء أمر الخروج ، من حيث توقيته وكيفيّته ، مما يضمن عنصر المباغتة .

4. القرب المكاني ، وتوافر آليات النقل الحديثة ، مما يضمن سرعة الوصول .

5. توافر الكثرة والاستعداد والتدريب المكثف ، فهذا هو ما يُشاهده القاصي والداني ، على شاشة التلفزيون العراقي مؤخرا . ولا يأخذ هذا الأمر على محمل الجدّ ، إلا يهود أمريكا وإسرائيل من المؤمنين بالنبوءات التوراتية ، لدرجة أن (شارون) سافر مؤخرا لأمريكا فقط ، لبحث أمر جيش الأقصى الذي يُعدّه الرئيس العراقي ، حيث وعدَه الأمريكان بالتكفل بأمره ، وطلبوا منه الاهتمام بالشأن الداخلي ، والعمل على تهدئة الأمور ظاهريا . ومربط الفرس ، أن العالم لا يُعير أدنى اهتمام للاستعدادات العراقية الجارية حاليا على قدم وساق ، وحتى أمريكا نفسها على ما يبدو تقلل من شأن هذا الجيش ، ولا تتوقع أن يقوم العراق بغزو إسرائيل برا .

6. توافر التجربة والخبرة الميدانية للقيادات العسكرية العراقية ، بمشاركتها في كافة الحروب العربية الإسرائيلية ، والحرب الإيرانية ، ودخولها المفاجئ للكويت .

7. توافر التأييد والتمكين الإلهي ، بتذليل السبل أمام العراقيين ، والتي من شأنها تحقيق هذا الوعد ، بالكيفية التي جاءت بها النصوص القرآنية .

صفة جيش البعث في التوراة :

ـ سفر يوئيل : " 1:ـ 1: هذا ما أوحى به الرب إلى يوئيل بن فثوئيل : اسمعوا هذا أيّها الشيوخ ، وأصغوا يا جميع أهل الأرض ، ...

1: 15: يا له من يوم رهيب ، لأن يوم الرب قريب ، حاملا معه الدمار من عند القدير ، ... اصحوا أيها السكارى ، وابكوا يا جميع مدمني الخمر ... فإن أمةً قوية قد زحفت على أرضي ، أمة قوية لا تُحصى لكثرتها ، لها أسنان ليث وأنياب لبؤة ، ...

2: 2: هو يوم ظلمة وتجهّم ، يوم غيوم مُكفهرّة وقتام دامس ، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة ، كما يزحف الظلام على الجبال ، أمّة لم يكن لها شبيه في سالف الزمان ، تلتهم النار ما أمامها ، ويُحرق اللهيب ما خلفها ، الأرض أمامها جنة عدن ، وخلفها صحراء موحشة ، يثبون على رؤوس الجبال ، في جلبة كجلبة المركبات ، كفرقعة لهيب نار يلتهم القشّ ، وكجيش عات مُصطفّ للقتال . تنتاب الرعدة منهم كل

الشعوب ، وتشحب كل الوجوه ، يندفعون كالجبابرة وكرجال الحرب ، ... ، ينسلّون بين الأسلحة من غير أن يتوقفوا ، ينقضّون على المدينة ، ويتواثبون فوق الأسوار ، يتسلّقون البيوت ، ويتسلّلون من الكوى كاللصوص ، ترتعد الأرض أمامهم وترجف السماء ، ... ، يجهر الرب بصوته في مُقدّمة جيشه ، لأن جُنده لا يُحصى لهم عدد ، ومن يُنفّذ أمره يكون مُقتدرا ، لأن يوم الرب عظيم ومخيف ، فمن يحتمله ؟! " .

ـ سفر حبقوق : " 1:ـ 3: أينما تلفّت أشهد أمامي جورا واغتصابا ، ويثور حولي خصام ونزاع ، لذلك بطلت الشريعة (تعطلّت) وباد العدل ، لأن الأشرار يُحاصرون الصدّيق ، فيصدر الحكم مُنحرفا عن الحقّ .

" 1: 5: تأمّلوا الأمم وأبصروا ، تعجّبوا وتحيّروا، لأني مُقبل على إنجاز أعمال ، في عهدكم ، إذا أُخبرتم بها لا تصدّقونها . فها أنا أثير الكلدانيين ، هذه الأمة الحانقة المُندفعة ، الزاحفة في رحاب الأرض ، لتستولي على مساكن ليست لها ، أمّة مُخيفة مُرعبة ، تستمدّ حُكمها وعظمتها من ذاتها . خيولها أسرع من النمور ، وأكثر ضراوة من ذئاب المساء ، فرسانها يندفعون بكبرياء ، قادمين من أماكن بعيدة ، مُتسابقين كالنسر المُسرع ، للانقضاض على فريسته ، يُقبلون جميعهم ليعيثوا فسادا ، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم ، فيجمعون أسرى كالرمل . يهزءون بالملوك ويعبثون بالحكام ، ويسخرون من الحصون ، يجعلون حولها تلالا من التراب ، ويستولون عليها . ثم يجتاحون كالريح ويرحلون ، فقوة هؤلاء الرجال هي إلههم " .

" 2: 3 لأن الرؤيا لا تتحقّق إلا في ميعادها ، وتسرع إلى نهايتها ، إنها لا تكذب ، وإن توانت فانتظرها ، لأنها لا بدّ أن تتحقّق ، ولن تتأخر طويلا " .

اليهودي وصفة الجبن الملازمة له عبر العصور :

كلنا يعلم أن وجود إسرائيل وبقائها ، لا يعتمد في الدرجة الأولى على مقوّماتها الذاتية ، مهما بلغت قوتها العسكرية من عدة وعتاد ، فحصنهم المنيع هو أمريكا بقوتها وعظمتها ، والحصن الآخر هو الطوق الأمني من معاهدات السلام والأحلاف العسكرية ، التي سعوا جاهدين للتوقيع عليها مع دول الجوار . وهذين الحصنين هما ما يتكل عليه اليهود ، كضمانة لاستمرار وجودهم ، وشعورهم نسبيا بالأمان ، الذي يُمكّنهم من البدء ، في تنفيذ مشاريعهم التوراتية على أرض فلسطين .

أما اليهود في الحقيقة ، فليس لديهم عقيدة أو مبدأ ، ليبذلوا أرواحهم في سبيل الدفاع عنها ، كما هي الحال عند غيرهم من شعوب الأرض . لذلك تجدهم أشدّ الناس حرصا على الحياة ، فلا يُقاتلون إلا مجبرين ، وفي قرى محصنة أو من وراء جدر ، فعادة الخروج للقتال ليست من شأنهم ، أما الخروج للقتل وسفك دماء غير المقاتلين ، فهذا أكثر ما يستطيعون القيام به ، وعلى تخوّف من إصابتهم ، من قبل خصمهم الأعزل ، وهذا ما نشاهده على أرض الواقع هذه الأيام .

أما في حال المواجهة المعلنة المكشوفة ، فأول ما يُفكّر به الجندي الإسرائيلي المدجّج بالسلاح ، هو البحث عن ملجأ يتحصّن خلفه ، هذا إن تجرأ على القتال . وإن لم يجرؤ ، فأول ما يُفكّر به ، هو أن يولي الأدبار مطلقا لساقيه العنان ، هاربا إلى حيث لا يدري . فكيف إذا لم يكن هناك مواجهة ، بل غزو مفاجئ ، أتخيّل هذا الجندي وفور سماعه ، بأمر خروج أحفاد نبوخذ نصر ، من بابل وقبل اجتيازهم للحدود العراقية ، باتجاه إسرائيل ، وقد تسمّر في مكانه ، وتجمّد الدم في عروقه ، وشلّت أطرافه ، فلم يقو على حمل سلاحه . وخلاصة القول أن دولتهم محكوم عليها بالفناء ، منذ

لحظة قيامها ، وهم يعلمــون ذلك علم اليقين ، وأن الجنــدي الإســرائيلي ، مهــزوم بالرعب من قبل أن تبدأ المعركة .

الكيفية المتوقعة لهذا الدخول :

على ما يبدو ، وبعد هذه القراءة المطوّلة ، أنه لن تكون هناك معركة معلنة ومكشوفة وطويلة الأمد ، تستخدم فيها الآليات الحربية ، من مدافع ودبابات وصواريخ وطائرات . وإنما غزو سريع ومباغت ، لجيش عرمرم ، بعدد هائل من الجند ، مُدرّبين على سـرعة الانتقـال والانتشـار ، ومـزودين بأسـلحة خفيفة ، هم أشـبه – كما تصـورهم التـوراة – باللصـوص في خفة حـركتهم وانسـيابهم وتسـلّلهم ، وبالنسـور بسـرعة انقضاضـها ، وبالأســـود في قوتها وجبروتها وبطشـــها . وقد لا يخلو الأمر ، من مواجهـــات ولكنها ستكون محدودة وقصيرة ، ربما لا تتعدى كسر الباب ، بمعنى أن العقبة الوحيـدة الـتي ربما تواجه المهاجمين ، لا تعدو عن كونها ، مقاومة بسيطة على الحدود .

وكون هذا الهجوم مباغتا ، يُفهم من تحـذير الإنجيل لليهـود ، بـأن من سـمع بمحاصـرة أورشليم بالجيوش ، إذا كان في الحقل ، فلا يرجع إلى المدينة ، وإذا كـان على سـقف المنزل ، فلا ينزل إلى أسفل ، ليجلب متاعا أو ما شابه ، أي أن هناك من سيسمع بهذا الغزو بعد خروجه إلى الحقل ، وأن هناك من سيسمع بالغزو ، بعد صـعوده إلى سـطح منزله ، والخروج من المدينة إلى الحقل والعـودة ، ربما لا يتجـاوز سـويعات معـدودة ، وأما الصعود إلى سطح المنزل والنزول عنه ، فربما لا يتجاوز دقائق معدودة . فالفارق الزمني قصير جـدا ، ما بين الحـالتين ، فالـذي خـرج إلى الحقل ، لم يكن يعلم بـالغزو قبل خروجه ، والذي صعد إلى سطح المنزل ، لم يكن قد سمع بالغزو قبل صعوده .

ومن المحتمل أن يكون هـذا الغـزو ليلا ، ومن المحتمل أن يبـدأ الهجـوم ليل الجمعة ، لينتهي يـوم السـبت قبل الظهـيرة ، اسـتغلالا لانقطـاع أغلب اليهـود عن العمل ، بحجة التزامهم بشريعة حرمة السبت ، التي ما ألزم الله بها ، إلا أصـحاب تلك القرية ، والله أعلم . وسـينجم عن هـذا الغـزو ، تفريغ كامل لليهـود من فلسـطين ، سـواء بالقتل أو الفرار ، وسـيطرة كاملة ، على مسـاحة فلسـطين كلها ، وبالتـالي فـرض واقع جديد ، يُعيد الأمـور إلى نقطة الصـفر ، أي ما قبل قيـام إسـرائيل بخمسـين عاما ، أيـام خلو فلسطين من اليهود ، والله أعلم .

ردود الفعل العالمية المتوقعة :

هـذا الحـدث ، السـريع والمبـاغت ، المـرعب والعجيب ، عنـدما يقع ، سيُصـاب العـالم بأسره بالذهول والشلل ، ربما لشهر أو لعدة أشـهر ، وأول ما يُجابه به سـماع خـبره ، هو عـدم التصـديق ، وسـيحتاج الغـرب اليهـودي الحليف لإسـرائيل ، إلى وقت طويل ليفيق من هول الصدمة ، وليجد الغرب نفسه عـاجزا ، عن القيـام بـأي رد فعل سـريع ومؤثر للمساعدة ، فلا إسـرائيل ولا يهـود . أما من هم في الصف المنـاهض لإسـرائيل وأمريكا من الشـرق ، فسيصـابون بنفس الشـعور ، ولكن شـعور لا يخلو من الشـماتة باليهود إجمالا ، وبأمريكا بشكل خاص . أما اليهود إجمالا ، ويهود أمريكا بشكل خـاص ، فسيصابون بخيبة أمل كبيرة ، وهم يرون أحلاهم التوراتية ، تتحول إلى سراب .

وبعد امتصاص الصدمة الأولى ، ستبدأ المواقف العالمية من هـذا الحـدث في التبلـور ، لتجد أمريكا نفسها عندما تبدأ بالتحرك ، لإعادة إحياء الدولة اليهودية ، بدفع من سادتها اليهـود المـتربعين على عروشـها ، أنها تغـني منفـردة خـارج السـرب العـالمي ، الـذي

أضحى مؤيدا ومعجبا بما قدّمه العراقيون ، من حل سحري لتلك المشكلة المستعصية ، التي أرّقت جفون العالم طوال قرن من الزمان .

فالعرب من وجهة النظر العالمية ، التي باتت مطّلعة على أدق تفاصيل القضية الفلسطينية ، قد استعادوا أرضهم وحقوقهم ، وإسرائيل بما قدّمته من أعمال وحشية وهمجية ، خلال سنين عمرها ، ضد أرض فلسطين وشعبها ، وعدم استجابتها لقرارات الجهة التي أوجدتها ، لا تستحق الوجود والبقاء . فالحق هو عودة فلسطين إلى أهلها العرب ، والباطل هو وجود إسرائيل على أرض العرب ، فإذا جاء الحق وزهق الباطل ، فليس هناك مشكلة بالنسبة لمجمل دول العالم ، التي لا تقع تحت الانتداب الأمريكي اليهودي المعاصر ، فالمشكلة وُجدت بإقامة إسرائيل ، في قلب الوطن العربي ، وزالت هذه المشكلة بزوالها .

الوعد والموعد والواقع :

وبالعودة إلى الوراء قليلا ، نجد أن المسلمون استاءوا كثيرا ، عندما مُنعوا من أداء العمرة ، بصحبة رسول الله عليه الصلاة السلام ، في السنة السادسة للهجرة ، وما زاد في قهرهم هو ذلك الصلح ، الذي منع دماء المشركين منهم ، وأبقى المسجد الحرام في أيديهم ، لمدة عشر سنوات قادمة ، فعقّب سبحانه وتعالى على ذلك قائلا (**فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ...**) ، والذي كان يعلمه رب العزة مسبقا ، هو أنهم سيؤدون العمرة في العام التالي ، وأن هذا الصلح ، الذي استاءوا من عقده مع مشركي قريش ، وأضفى عليهم شعورا باليأس والإحباط ، سيكون هو نفسه ، سببا ومبررا لفتح مكة ، عند نقضه من قبل قريش بعد سنتين من إبرامه ، فعقّب بقوله (**... فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** (27 الفتح) .

حتى أكثر المسلمين إيمانا ويقينا وتفاؤلا ، لم يكن يتصور ، لحظة منعهم من أداء العمرة وإبرام الصلح ، بأن فتح مكة سيكون بعد سنتين فقط ، من تاريخ تلك اللحظة ، وبتلك الصورة الاحتفالية والمشرّفة ، لتكون تأدية فريضتي الحج والعمرة ، متاحة لهم في أي وقت شاءوا .

وبالنظر لواقع المسلمين في غزوة الأحزاب ، وهم قلة ، وقريش وقبائل الجزيرة بمشركيها ويهودها ، يتربصون بهم ريب المنون ، من الداخل والخارج ، هل كان ممن المكن أن يتصور أن هذه الحال ، ستنقلب رأسا على عقب ، بعد ثلاث سنوات ، فيغزو المسلمين مكة بعشرة آلاف مقاتل ؟

وبالرغم من اختلاف طبيعة الوعود الإلهية ، من حيث الثواب والعقاب ، إلا أننا نتحدّث هنا عن الوعد بحد ذاته ، لنقول بأن الوعد الإلهي ، لا يحدّه زمان ولا مكان ولا واقع ، ولا ننسى بأن وعد الآخرة ، هو وعد بعقاب اليهود في المقام الأول ، ولكن هناك أسباب ومسببات لا بد أن تأخذ مجراها ، قبل إتيان أمر الله .

قال تعالى

(**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى ، لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** (53 العنكبوت) ، وقال (**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ، لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ** (2 الحشر)

وليتبروا ما علوا تتبيرا

قلنا في نهاية تفسيرنا لعبـارة (وليتـبروا ما علـوا تتبـيرا) : أن كل ما علا بنو إسـرائيل عليه أو به أو فيه ، سيصـله الـدمار لا محالة ، لعمـوم لفظ العلو ، حـتى علـوهم في الغـرب ، إذ أن الـذي أبقى علـوهم قائما ومسـتمرا في فلسـطين ، هو علـوهم في الغرب . ولذلك يصبح دمـار الـدول الغربية أمر محتما ، لـيزول علو بـني إسـرائيل فيها أيضا بشكل نهائي ، وبذلك تنتفي تماما قدرتهم على العلو مرة أخرى ، إذ أن هذا العلو ، هو علوهم الأخير في الأرض .

ويؤكد سبحانه أن السـبب ، في زوال هـذا العلو ، هم اليهـود أنفسـهم ، حيث أن الله ، كان قد اشترط عليهم الإحسان لإدامة هذا العلو ، وحـذرهم من زواله إن هم أسـاءوا ، وجاء هذا الشرط مباشـرة ، قبل إخبـاره عن وعد الآخـرة في الآية السـابعة ، فـاليهود حكموا على أنفسهم بالهلاك ، وعلى علوهم بالزوال :

أولا : وذلك لأنهم لم يُحسـنوا ، بل على العكس ، من ذلك أسـاءوا ، ولم يـألوا جهـدا ، بالإفساد في الأرض ، ضاربين بالتحذير الإلهي عرض الحائط .

ثانيا : والأنكى من ذلك أنهم ، بأنهم قاموا بتوجيه رسـالة أخـرى لـرب العـزة ، ومؤداها يقـول : بأننا سـنفعل ما يحلو لنا ، وسنفسد في الأرض ، وسـنمنعك من بعث عبـادك الأشداء ، الذين تُهدّدنا بهم ، لأننا سـنُبيدهم عن بكـرة أبيهم ، قبل أن تُفكر في بعثهم ، مظهرين إصرارا عز نظيره في تحدّيهم لرب العزة ، بأن ينزل بهم ما وعدهم ، متّكلين على من هم دونه ، لحمـايتهم ووقـايتهم من أمر الله ، منكـرين ربوبية الله وألوهيته ، وقدرته على تصريف أمور الكون ، وكذلك حقيقة البعث بعد الموت ، وهذه الأمـور هي ما تتناوله سورة الإسراء ، على امتدادها ، من وجوه متعـددة ، وبـذلك تكـون عـداوتهم للعـراق ، وعـدوانهم عليه ، ورغبتهم في تـدميره وإبـادة أهله سـببا ، في خـروج أهل العراق عليهم ، انتقاما ودفعا لما يُحيق بهم من أخطار ، في حـال اسـتمر تواجد الدولة اليهودية على أرض فلسطين ، ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المسلمين .

ثالثا : هي حرب الله عليهم ، لا حرب أحد ، ذلك بأنهم تحدوا الله ، وأعلنوا حربهم عليه ، وعلى كل من يؤمن به ، ربا وإلها واحـدا أوحـدا ، خـاب وخسر الـذين من دونه ، وأن رب العزة قبِل التحدّي ، وأعلن حربه عليهم ، وهذا ما تستشعره من خلال مجمل آيات سورة الإسراء ، ولكن لم يتبقّى إلا أن تحين ساعة الصفر ، ليروا من الله ما لم يكونوا يحتسبون .

وفي الأصل كما أوضحنا سابقا ، أن علوهم غير المسـبوق في الغـرب ، هو الـذي أوجد علوهم في فلسـطين لاحقا ، وإذا كـانت النتيجة ، أي علـوهم في فلسـطين ، تسـتحق الزوال ، فالأولى أن يُزال المتسبّب فيها ، أي علـوهم في الغـرب ، حـتى تنتفي فرصة ظهور تلك النتيجة (أي العلو اليهودي) مرة أخـرى ، فكما أن زوال دولة إسـرائيل أمر حتمي ، فزوال أمريكا أمر أكثر حتمية .

فاليهود لهم من حيث المكان إفسادين :

أولا : في فلسطين ، إفساد بسفك الدماء ، وإخراج الناس من ديارها ، والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وإتلاف الأخضر واليابس ، ومنع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ، والسعي في خرابها ... إلى آخره .

وثانيا : في أمريكا والــدول الغربية ، إفســاد بنشر العقائد المادية الإلحادية ، وإشــاعة الرذيلة والانحلال الخلقي والأخلاقي ، في شـتى منـاحي الحيـاة ، بالإضـافة إلى تفريق الناس وتصنيفهم واستضعاف طوائف منهم ، وسـومهم سـوء العـذاب ، لدرجة حـرقهم وإبادتهم ، بالأسلحة التقليدية والنووية ، وعلى قاعدة الجـزاء من جنس العمل ، لا شك لدي من أن كبرى المدن الأمريكية ، ستُضرب من السماء بصـواريخ نووية ، أو بشـهب من السماء ، مسببة دمـارا كالـدمار ، الـذي أحدثته قنابلها المـدن اليابانية ، ولكن على مدى أوسع بكثير .

زوال العلو اليهــودي في أمريكا ، لن يتــوانى كثــيرا ، عن زوال العلو اليهودي في فلسطين :

قـال تعـالى (**ضُـرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ ــ أَيْنَ مَا ثُقِفُـوا ــ إِلَّا بِحَبْـلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ ، وَبَـاءُوا بِغَضَـبٍ مِنْ اللَّهِ ، ...** (112 آل عمـران) ، الذلة هي الضـعة والانخفــاض ، وهي نقيض العــزة والعلو ، وأين ما ثقفــوا ، أينما وجــدوا ، في الأرض على امتــداد رقعتها ، وخلاصة ما تقوله هــذه الآية ، أن الشـعب اليهـودي كأمة وأفراد ، سيمرّ بخمسة مراحل ، هي ذات المراحل التي أشـرنا إليها ، في نهاية الجـزء الأول ، وهي على التــوالي : (ذل ، علو ، ذل ، علو ، ذل) . ومن ذلك نفهم أن صــفة العلو ، وهي المرحلة الرابعة ، ســتزول عنهم في شــتى بقــاع الأرض ، ســواء في إسـرائيل أو في أمريكا ، أو فيما سـواها من دول العـالم ، ليـدخل الشـعب اليهـودي بأسره ، في المرحلة التي تليها ، ولتعود إليه صفة الذل الـتي هي القاعـدة ، أينما وجد أيضا ، وعلى مستوى الأفراد والجماعات ، حيث كان العلو اسـتثناءً لمـرتين فقط . ولن يتحصّـل ذلك إلا بانكسـار وزوال كل الـدول ، الـتي يوجد بها علو يهـودي ظـاهر ، وفي مقدّمتها أمريكا .

ولو أننا نظرنا إلى أمريكا كدولة ، وما تقوم به حاليا ، نظرة مُتفحصّة وشـاملة ، سـنجد أنها فاقت فرعون ، في علوه واستعلائه وفساده وإفساده ، باحتضـانها للعقائد اليهودية الشيطانية ، والسهر على تطبيقها وترويجها ، في الأرض على عمومها ، بالترغيب تـارة وبالترهيب تارة أخرى .

والعقاب الإلهي الموعود به بنو إسرائيل ، كان للإفساد الناجم عن العلو ، وعلوهم الآن يتمثل في مكــانين تحديــدا ، هما فلســطين وأمريكا ، وفضلا عن ذلك ، فــإن أمريكا المتعالية على شعوب الأرض ، وبصرف النظر عن كونها مكانا للعلو اليهودي ، سـتكون هدفا مؤكدا لانسـكاب الغضب الإلهي عليها ، بما يفـوق الغضب الإلهي على إسـرائيل ، وذلك لأن أمريكا ، تجمع ما بين علــوين وإفســادين ، هما : العلو والإفســاد اليهــودي ، والعلو والإفسـاد الـذاتي لها ، ليتأكد لنا أنها أولى من إسـرائيل بالعقـاب ، وبما هو أشد بأسا وأشد تنكيلا ، وهــذا بــإذن الله ، ما سنشــهده في الســنوات القليلة القادمة ، وما ذلك على الله بعزيز .

وقد يستغرب ويسـتنكر كثـير ، من أمة الإسـلام ، والأصح من المؤمـنين بالإله (أمريكا) ، مجرد التفكير بأن أمريكا ستزول ، وكأنهم لا يقرءون قوله تعـالى (**أَوَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَكَـانُوا أَشَـدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً ، وَمَا كَـانَ اللَّهُ لِيُعْجِـزَهُ مِنْ شَــيْءٍ ، فِي السَّــمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** (44 فاطر) .

وقوله (**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ** (21 غافر)

ما بعد الغزو العراقي لإسرائيل :

بعد امتصاص يهود أمريكا والغرب للصدمة ، من جرّاء الكارثة التي حلّت ببني جلدتهم في فلسطين ، ستبدأ الماكينة اليهودية في الغرب ، في بذل أقصى طاقاتها ، وعمل ما بوسعها لإعادة عقارب الساعة ، قبل فوات الأوان ، من خلال الدبلوماسية في مجلس الأمن ، لشن حرب دولية تحت غطاء الشرعية الدولية ، لتحرير إسرائيل من العرب ، كما كان الأمر عند مطالبتهم بتحرير الكويت ، وستُفاجأ هذه الماكينة اليهودية ، ببرود وجمود شديدين ، لم يسبق لها أن واجهتهما ، من قبل معظم دول العالم ، لتُثبت عدم نجاعتها هذه المرة ، وستجد مشاريع القرارات الأمريكية والبريطانية والفرنسية ، فيما لو طُرحت ، معارضة شديدة من قبل روسيا والصين ، حتى لو تطلّب الأمر استخدام حق النقض من قبلهما ، خوفا من الدخول في مواجهة ، لا تُحمد عقباها مع العالم ، بين الغرب المسيحي والشرق المسلم .

وربما يأخذ الأمر قرابة السنتين بين مدّ وجزر ، حتى يستطيع اليهود تحريض أمريكا ، وبعض دول الغرب من حلف الناتو ، وحملها على تحريك أساطيلها ، باتجاه شواطئ البحر المتوسط ، لشنّ حرب مصيرية على العرب ، ضاربة بمجلس الأمن وغطاءه الشرعي - بعد اليأس من الحصول عليه - عُرض الحائط .

وعلى الجانب الآخر ، سيضطر العرب والمسلمون ، لتوحيد صفوفهم كرها من البعض ، وطواعية من البعض الآخر ، والانضواء تحت لواء واحد ، للدفاع عن الأقصى بعد عودته إلى حظيرة الإسلام ، وسيبدأ التقارب العربي الروسي الصيني ، على ما يبدو في التشكل ، إلى ما يُشبه الحلف العسكري ، وربما يكون باتفاقيات مكتوبة ، والله أعلم .

الحرب العالمية الثالثة ، والسيناريو المحتمل :

بوجود القيادة الحالية غير المتزنة لأمريكا ، وبتأييد من صهاينة الحزب الجمهوري ، سيتمكن اليهود أخيرا من جرّ أمريكا ، للدخول في مواجهة غير محسوبة ، مع العالمين العربي والإسلامي ، بدفع من العقائد الدينية المشوّهة ، فيما يخص وجود اليهود في فلسطين ، وعودة المسيح الثانية للنصارى والأولى لليهود ، بالإضافة إلى الرغبة في الانتقام للمكانة الأمريكية ، التي مُرّغت في التراب أمام العالم أجمع ، بزوال مسخها الخداج بطرفة عين ، دون أن يُعير العرب عظمة أمريكا وجبروتها أدنى انتباه .

في ظرف سنتين من استعادة العرب لفلسطين ، ستُعلن أمريكا ، حربها اليهودية الصليبية المقدّسة على العرب والمسلمين ، مما يُثير حالة من عدم الاستقرار في سائر أرجاء العالم ، وستبدأ المواقف العالمية من هذا الإعلان شيئا فشيئا ، بالتباين والتمايز ، بشكل لم يسبق له مثيل ، لينقسم إلى العالم معسكرين شرقي وغربي . يقف إلى جانب العرب معظم الدول المناهضة لأمريكا في الشرق وفي مقدمتها روسيا ، ويقف إلى جانب أمريكا دول حلف الناتو وملحقاته .

وعندما تبدأ أمريكا بحشد قواتها وأساطيلها في البحر الأبيض ، وتبوء كل المحاولات والتحذيرات والتهديدات العالمية ، لثني أمريكا عن عزمها بالفشل ، وتصبح المواجهة

أمر لا مفر منه ، ستتطور المواقف الدولية فجأة ، وتتحول إلى أحلاف عسكرية ، بحيث تضطر وتنجرّ الكثير من الدول ، للمشاركة الفعلية في الحرب الدائرة ، وعلى ما يبدو أن أمريكا نتيجة لذلك ، ستفقد زمام السيطرة مبكرا ، وربما تلجأ إلى استخدام السلاح النووي ، في وقت ما بضرب بعض العواصم العربية ، كبغداد والقاهرة على سبيل المثال ، وربما يكون ذلك قبل الحرب البرية ، ظنا منها أن ذلك ، سيحسم المعركة لصالحها ، في وقت مبكر .

ولكن ما لن يكون في حساب أمريكا ، هو ردّ الفعل الروسي والصيني العنيف ، على استخدام أمريكا لهذا السلاح ، لتبدأ الصواريخ النووية الروسية وربما الصينية ، تنهال على أمريكا تباعا ، دون سابق إنذار ، لتبيدها عن بكرة أبيها ، هذا إن لم يُسقط عليها رب العزة ، كسفا من السماء . ومن ثم تبدأ الحروب البينية ، بين دول العالم المختلفة المتخاصمة ، فيختلط الحابل بالنابل ، لتشمل هذه الحرب معظم بقاع العالم . ولدخول الأسلحة النووية دائرة الصراع ، ستكون هذه الحرب سريعة وقصيرة وحاسمة ، ولكن حجم الدمار فيها سيكون هائلا جدا ، وستنتهي بالمواجهة البرية البحرية على سواحل فلسطين ، بين الغرب والشرق ، بانتصار العرب والروس نصرا مؤزرا ، بإذن الله .

تحالف الروس والعرب ونصرهم على عدو مشترك :

عَنْ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ، فَقَالَ : " **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ؛ مَوْتِي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**) رواه البخاري ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد .

جاء في شرح هذا الحديث في فتح الباري : " قوله هدنة ، هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه ، قوله بني الأصفر ، هم الروم ، قوله غاية أي راية " .

يخبر هذا الحديث عن هدنة تكون بين المسلمين والروم ، والهدنة كما جاء في الشرح ، هي صلح على إيقاف القتال قبل اشتعال فتيله أو في بداياته ، ومن ثم يغدر الروم فيغزون ديار المسلمين ، بجيش قوامه ما يُقارب المليون جندي .

أما الهدنة وما يسبقها ، فيوضحه الحديث التالي :

عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ : مَالَ مَكْحُولٌ وَابْنُ أَبِي زَكَرِيَّا ، إِلَى خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، وَمِلْتُ مَعَهُمْ ، فَحَدَّثَنَا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ الْهُدْنَةِ ، قَالَ : قَالَ جُبَيْرٌ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ ، رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنْ الْهُدْنَةِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " **سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا ، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ ، فَتُنْصَرُونَ ، وَتَغْنَمُونَ ، وَتَسْلَمُونَ ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ ، فَيَقُولُ : غَلَبَ الصَّلِيبُ ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَدُقُّهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ، تَغْدِرُ الرُّومُ ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ** " ، رواه أبو داود ، وصحّحه الألباني وأخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم والبيهقي .

وتكملة للحديث ، في رواية أخرى بسند آخر لابن ماجه " **فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ ، فَيَأْتُونَ حِينَئِذٍ ، تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا** " .

جاء في شرح هذا الحديث في (عون المعبود) : " الروم جيل معروف ، في بلاد واسعة تضاف إليهم ، فيقال بلاد الروم ، ومشارق بلادهم وشمالهم الترك والروس والخزر ، وجنوبهم الشام والإسكندرية ، ومغاربهم البحر والأندلس ، وكانت الرقة والشامات كلها ، تعد في حدودهم أيام الأكاسرة ، وكانت أنطاكية دار ملكهم ، إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم انتهى ... فسأله جبير عن الهدنة ، أي الهدنة التي تكون بين المسلمين وبين الروم ، آمنا أي ذا أمن ، فتغزون أنتم ، أي فتقاتلون أيها المسلمون ، وهم أي الروم المصالحون معكم ، عدوا من ورائكم أي من خلفكم ، وقال السندي في حاشية ابن ماجه ، أي عدوا آخرين بالمشاركة والاجتماع ، بسبب الصلح الذي بينكم وبينهم ، فتُنصرون بصيغة المجهول ، وتغنمون بصيغة المعلوم أي الأموال ، وتسلمون من السلامة ، أي تسلمون من القتل والجرح في القتال ، ثم ترجعون أي من عدوكم ، حتى تنزلوا ، أي أنتم وأهل الروم بمرج ، أي الموضع الذي ترعى فيه الدواب قاله السندي ، وفي النهاية أرض واسعة ذات نبات كثيرة ، ذي تلول بضم التاء جمع تل ، وهو موضع مرتفع ، قاله القاري ، وقال السندي : كل ما اجتمع على الأرض ، من تراب أو رمل انتهى . فيقول أي الرجل منهم ، غلب الصليب أي دين النصارى ، فيدقّه ، أي فيكسر المسلم الصليب ، تغدر الروم أي تنقض العهد ، وتجمع أي رجالهم ويجتمعون للملحمة أي للحرب " .

هذا الحديث يُخبر بأن هناك صلحا آمنا ، أي لا قتال فيه ، سيكون بين المسلمين والنصارى ، لمدة من الزمن ، ثم يُقاتلون جنبا إلى جنب عدوا مشتركا ، فينتصرون بلا خسائر ، وبعد النصر يقع الخلاف بين المنتصرَيْن ، بسبب إدعاء أحد النصارى ، أن النصر كان للصليب دون الإسلام ، فيقتتل الطرفان ، ومن ثم يُفض الاشتباك ، وتعلن الهدنة ، ومن ثم يعود النصارى إلى ديارهم مضمرين الغدر ، ليعودوا في قادم في الأيام ، في جيش عرمرم ، لغزو المسلمين في زمن المهدي .

الروم قديما وحديثا :

نعلم أن الإمبراطورية الرومانية القديمة ، كانت قد انقسمت إلى قسمين شرقي وغربي ، واتُّخذت القسطنطينية عاصمة للجزء الشرقي ، وروما عاصمة للجزء الغربي ، وذلك قبل ظهور الإسلام بحوالي مائتي سنة ، وبقيت القسطنطينية عاصمة ، لمملكة الروم الشرقية منذ ذلك الوقت ، حتى تم فتحها ، على يد محمد الفاتح ، سابع السلاطين العثمانيين ، وبذلك اختفت مملكة الروم الشرقية إلى الأبد ، وأما سكان تركيا الحاليين فمعظمهم من الأتراك المتأسلمون ، الذين يعودون في أصولهم إلى غرب الصين ، مع بقاء نسبة قليلة من النصارى فيها ، ذوي الأصول الرومية ، أما النسبة الأكبر من الروم ، فقد هاجرت وانتشرت ، فيما حولها من بلدان أوروبا الشرقية .

ولنذكر هنا أن المسلمين ، حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة ، ولم يتمكنوا من فتحها ، إلا بعد أن بدأت شمس العثمانيون الترك ، بالظهور فيما يُسمى بآسيا الصغرى ، بعد ضعف الدولة السلجوقية وانحلالها عام 1300م تقريبا ، فبدأت دولتهم بالاتساع غربا ، على حساب مملكة الروم الشرقية ، شيئا فشيئا ، حتى اقتصرت مملكة الروم الشرقية ، على القسطنطينية وضواحيها ، عندما تسلّم محمد الفاتح لمقاليد الحكم ، وهو الذي لم يتوانى عن فتحها سنة 1453م . ومن ثم استمرت فتوحات العثمانيين ، حتى شملت معظم بلدان منطقة البلقان ، في أوروبا الشرقية .

والمتتبع للتاريخ الحديث ، سيجد أن روسيا القيصرية بعد بزوغ شمسها ، أصبحت الوريث الأكبر ، لمملكة الروم الشرقية بعد زوالها ، حيث كانت وما زالت في القرون الأخيرة ، تحاول تنصيب نفسها كراعية وحامية ، لمصالح نصارى الشرق ذوي المذهب الأرثوذكسي ، وأخذت على عاتقها ، بعد أن اشتد عودها ، مهمة استعادة القسطنطينية من الأتراك ، ومن ثم إعادتها كعاصمة دينية للكنيسة الأرثوذكسية ، كما كانت في السابق ، وهو ما تحاول الاستئثار به حاليا ، الكنيسة اليونانية الموالية للغرب . وفيما يلي بعض البنود التي جاءت في وصية بطرس الأكبر ، المؤسس الحقيقي للملكة الروسية ، في أواخر القرن السابع عشر ، من كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) لفريد بك المحامي :

" البند التاسع : ينبغي التقرب بقدر الإمكان ، من استنبول والهند ، وحيث انه من القضايا المسلمة ، أن من يحكم على استنبول ، يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها ، ...

البند الحادي عشر : ... ، وحينما نستولي على استنبول ، علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة ، على دولة النمسا حربا ، أو نُسكن حسدها ومراقبتها لنا ، بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن ، التي نكون قد أخذناها من قبل ، وبعدها ، نسعى إلى نزع هذه الحصة منها .

البند الثاني عشر : ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين ، الذين هم من مذهب الروم ، المنكرين لرياسة البابا الروحية ، والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية ، ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم ، ومن اللازم قبل كل شيء ، إحداث رياسة مذهبية ، حتى نتمكن من إجراء نوع من السلطة الدينية عليهم ... " .

المذاهب النصرانية :

كل النصارى بلا استثناء أعداء للإسلام والمسلمين ، ولكن بالنظر إلى الطوائف الثلاثة الكبرى ، المهيمنة على العالم المسيحي ، نجد أن معتنقي المذهب البروتستانتي ، والذي تُمثّله أمريكا وبريطانيا وهولندا ، هم الأشدّ عدواة وكراهية للمسلمين والعرب بشكل خاص ، والمعروفين بميلهم وتأييدهم لليهود . ويليهم في ذلك معتنقي المذهب الكاثوليكي ، والذي تُمثّله فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وباقي الدول الغربية ، وأقلّهم عدواة وكراهية هم معتنقي المذهب الأرثوذكسي ، والذي تُمثّله روسيا ودول أوروبا الشرقية .

والمتتبع للتاريخ القديم والحديث ، سيجد أن الطوائف المسيحية الثلاثة على خلاف دائم ، وأن العداوة والبغضاء ، مستفحلة وذات جذور عميقة ، فنصارى الشرق الأرثوذكس ، لم ينسوا ولم يغفروا ، لنصارى الغرب من الكاثوليك ، ما أوقعوه بهم من مذابح في حملات الغرب الصليبية ، ولم يقبلوا مؤخرا اعتذار البابا عنها . والعداوة والبغضاء مستفحلة ، حتى بين الكاثوليك والبروتستنت من جهة أخرى ، كما هو الحال في أيرلندا الشمالية ، وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى في قوله (**وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ، فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** (14 المائدة) ، وهذه العداوة والبغضاء لا انقطاع لها ، مستمرة إلى يوم القيامة ، وهذا ما أكدّه التاريخ الأوروبي القديم والحديث .

والمتتبع للتاريخ الإسلامي والعربي ، سيجد أن ما تُخبر عنه هذا الأحاديث النبوية أعلاه ، من شأن مصالحة المسلمين أو العرب للنصارى ، والتحالف معهم ضد عدو مشترك ، وتحصّلهم معا على النصر والغنيمة والسلامة ، ومن ثم الاختلاف ، وإضمار الغدر ، وعودة الروم لمقاتلة المسلمين ، لم يكن قد تحصّل قديما أو حديثا . وبما أن الدنيا تعدّ سنواتها الأخيرة ، وأشراط الساعة الكبرى باتت على الأبواب ، فلا شك أن هذه الحرب ، التي سيخوضها المسلمين والنصارى جنبا إلى جنبا ، ضد عدوهم المشترك ، للمرة الأولى والأخيرة ، ستقع في وقت قريب . والأحاديث النبوية ، تُخبر أن هناك ثلاثة أطراف ؛ المسلمون ، والروم ، وعدو مشترك للمسلمين والروم .

وبما أن هذا الحدث سيقع ضمن معطيات الواقع الحالي ، ومن خلال قراءة الواقع ، في ضوء ما أخبرت عنه الأحاديث ، سنجد أن الروم ما زالوا ينقسمون إلى قسمين :

- نصارى الشرق من معتنقي المذهب الأرثوذكسي ، وهم المُقيمون إجمالا في أوروبا الشرقية ، أو دول حلف وارسو القديم ، الذي كانت فيه الزعامة ، وما زالت للدولة الروسية .
- نصارى الغرب من معتنقي المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكي ، وهم المقيمون إجمالا في أمريكا وأوروبا الغربية ، أو دول حلف الناتو بزعامة أمريكا .

وكلا الفريقين يُكنّ عداوة مذهبية ، قل نظيرها ، للفريق الآخر . ولو نظرنا إلى الواقع الحالي ، لوجدنا أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، هي الدول الأشدّ عداءً للعرب والمسلمين ، منذ حروبهم الصليبية الأولى ، التي كانت تقودها فرنسا بصفتها الراعية للمذهب الكاثوليكي ، منضويا تحت لوائها كل من ألمانيا وإيطاليا وإنكلترا ، وحتى حروبهم الاستعمارية في العصر الحديث بقيادة أمريكا ، وما موالاة هذه الدول لبعض الدول العربية إلا مداهنة ، من قبيل الحرص على مصالحها فقط ، بل هي أكثر مقتا واحتقارا وامتهانا ، لتلك الدول نفسها من غيرها . ولوجدنا أيضا أن الروس ، ونصارى الشرق إجمالا ، ممن يعتنقون المذهب الأرثوذكسي ، هم الأقلّ عداءً للعرب والمسلمين من مجموع المذاهب النصرانية .

لنخلص إلى القول ، بأن الفريق الذي سيكون حليفنا في المعركة القادمة هم الروس ، ضد عدونا وعدوهم المشترك ، أمريكا ومن شايعها من دول حلف الناتو . وأن هذا التحالف بين الروس والعرب ، سيحصل بدافع المصالح أولا ، وعلى قاعدة عدو عدوي صديقي ثانيا ، وليس حبا بالعرب أو بالمسلمين ، ولكن لتعارض مصالحهم مع مصالح الأمريكان ، ولكراهية الروس المذهبية لأمريكا واليهود .

هذه الحرب الأبشع في تاريخ البشرية ، أجد أحداثها ونتائجها موصوفة في كثير من الآيات ، في مطالع سور كثيرة من سور القرآن ، والتي يعتقد معظم الناس ، أنها تُخبر عن أحداث يوم القيامة ، ومنها اشتعال البحار ، واضطراب السماء ، وزلزلة الجبال وانهيار بعضها ، وحتى الأسلحة المستخدمة في الحروب الحديثة ، كان سبحانه قد أخبر عنها ، أيضا في مطالع السور ، فالطارق هو الصاروخ ، والعاديات هي الدبابات ، وربما نفرد لهذا الأمر بحثا خاصا ، إن شاء الله ، في وقت لاحق ، وسيكون متوافرا على نفس موقع الكتاب ، هذا إن أسعفنا الوقت ، وكان في العمر بقية .

النتائج المتوقعة للحرب العالمية الثالثة :

1. تدمير عدد كبير من المدن الكبرى ، وخاصة في أمريكا ومن شايعها من الدول في الشرق والغرب .

2. ارتفاع هائل ومفاجئ ، في درجة حرارة الأرض نتيجة التفجيرات النووية ، ذوبان الكتل الجليدية القريبة من القطب الشمالي للكرة الأرضية ، وتبخر مياه المحيطات والبحار ، وعودتها على شكل أمطار غزيرة ، مما يتسبب في طوفان كبير ، أشبه ما يكون بطوفان نوح عليه السلام ، وبالتالي اختفاء بعض البلدان والجزر غرقا .

3. اختفاء معالم الحضارة الغربية ومظاهرها ، من خلال الموت البطيء للتكنولوجيا المتبقية ، لعدم القدرة على تجديدها ، بكسر حلقة أو أكثر من حلقات سلسلة إنتاجها ، (نفط _ كهرباء _ تقنية _ كهرباء _ نفط) .

4. عودة منطقة الشرق الأوسط كبؤرة للنشاط والصراع العالمي ، كما كانت في العصور القديمة .

5. عودة عصور الجاهلية الأولى ، في أبشع صورها ، بما فيها من ظلم وجور وفساد وإفساد ، والله أعلم .

قال تعالى

(**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** (4)

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)

(الكهف)

وجعلنا لمهلكهم موعدا

كان جلّ اهتمامي في البداية محصورا ، لإثبات نظرية زوال دولة إسرائيل قبل ظهور المهدي ، ومن ثم معرفة هؤلاء العباد ، الذين سيكونون سببا في زوالها ، والكيفية التي ستزول بها ، ولم أكن قد فكّرت في بحث مسألة معرفة موعد زوالها ، إلا بعد أن اطّلعت على كتاب (زوال إسرائيل عام 2022م) للكاتب بسام جرار ، والذي كان قد بحث هذا الأمر من قبل ، حيث وجدت أن الكاتب توغل في حسابات كثيرة ومعقّدة ، كانت أحيانا عصيّة على الفهم والمتابعة ، وأنّ محاولته لتحديد موعد زوال إسرائيل ، من خلال تلك الحسابات غير مقنعة . ولكنّ طرحه لفكرة استخراج الموعد ، من سورة الإسراء ، أمر لفت انتباهي ، وأوجد لدي الدافع للبحث في أمر العدد والحساب ، لاستخراج موعد زوال الدولة اليهودية .

مسألة العدّ في القرآن :

أغلب رجال الدين إلا من رحم ربي ، يُنفّرون من مسألة العدّ في القرآن ، ومنهم من يُنكر ذلك جملة وتفصيلا ، وربما يذهب البعض إلى اتهام من يبحث في هذا الأمر ، بالسحر والشعوذة والتنجيم . بالرغم من ذلك فإن هذا النوع من الإعجاز ، الذي يُظهر ما يكتنفه القرآن ، من توافق وترابط عددي لغوي ، بدأ مؤخرا يفرض نفسه بشكل ظاهر ، وصدرت فيه بعض الكتب والمؤلفات حديثا .

ويتذرّع البعض في معرض إنكاره واستنكاره ، لمسألة العدّ في القرآن ، بعدم وجود ، خبر صريح وصحيح ، عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أتى من قريب أو بعيد على ذكر هذه المسألة ، ولكن في المقابل ، هل يوجد خبر أو حتى أثر ، يُنكر وجود الإعجاز العددي في القرآن ، أو ينهى عن البحث في أمر إثباته وبيانه ، وهل وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، تفسيرا للقرآن أو كتابا بيّن فيها أوجه الإعجاز كلها ، فلم يترك المجال لباحث أو مجتهد ؟! وهل نجعل من استغلال أشخاص أو طوائف ، للأعداد الواردة في القرآن ، بشكل غير سوي ، عقبة في طريق بحث هذه المسألة .

القرآن يحدّد فترة زمنية لانتصار الروم على الفرس قديما :

وأما الفترة الزمنية التي من المحتمل أن ينفذ فيها وعد الآخرة ، والتي سنكشف عنها في هذا الفصل ، فنحن لم نقم بتحديدها ، فهي محددة أصلا من قبله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ، وكل ما قمنا به ، هو الكشف عن هذه الفترة الزمنية . وبما أن القرآن جاء بكل هذه التفاصيل ، من حيث ماهية العباد وكيفية الدخول وموعده ، وبالرغم من كونه حدثا مستقبليا ، فإن حيثيات هذا الوعد لم تعد بوجودها في القرآن غيبا على الإطلاق ، وقراءة وفهم ما هو معلوم ، إذا اعترى الإنسان قصور في القراءة أو الفهم ، لا يُقال عنه كشفا للغيب ، إلا إذا كان ذلك من قبيل تعزية الإنسان لنفسه ، فذلك شأن آخر .

ورد في القرآن والسنة ، الكثير من النبوءات المستقبلية ، وفيما يلي سنطرح مثالا ، ربما يجعل هذا الفصل قابلا للهضم والفهم ، فلنأخذ على سبيل المثال ، النبوءة المستقبلية ، بانتصار الروم على الفرس ، في سورة الروم ، حيث قال تعالى (**غُلِبَتِ الرُّومُ** (2)ـ **فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** (3)ـ **فِي بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** (4)ـ **بِنَصْرِ**

اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)ـ وَعْدَ اللَّهِ ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)ـ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)

1. جاء النص القرآني ، بفعل ماض مبني للمجهول ، فأظهر المغلوب ولم يظهر الغالب .
2. وأضاف نبأ جديدا ، وهو غلبة الروم مستقبلا ، لمن غلبهم في الماضي .
3. وحدّد فترة زمنية لتحقّق ذلك ببضع سنين .
4. وأفاد بأن المؤمنين سيفرحون عند تحقّق هذا الأمر .
5. وأكدّ على أنه وعد من الله ، وأن الله لا يُخلف وعده .
6. وعقّب بقوله (ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) ، مما يكون من أمر الله .
7. وأما ما يعلمه الناس ، فهو ظاهر الحياة الدنيا ، أي الواقع الذي يستشعرونه بحواسهم فقط .
8. أما أمر الغيبيات ، التي أخبر عنها سبحانه في كتابه ، ومنها الحياة الآخرة فهم عنها غافلون .

فلو قلنا بأن هذه النبوءة تقول : بأن الروم سيهزمون الفرس في فترة زمنية ، تتراوح ما بين [3 –ـ 9] سنوات ، سيقول من لم يعلم بظروف هذه النبوءة ، ولم يعلم التاريخ ، ولم يعلم أن البضع في لغة العرب يساوي (3 –ـ 9)ـ ، أن هذا النص غير مكتوب في القرآن ، فكيف عرفت أن الذين سيُهزمون هم الفرس ؟ وأن ذلك سيتم في فترة ، لا تقل عن 3 سنوات ، ولا تزيد عن 9 سنوات ؟

نلاحظ أن هذه النبوءة كانت واضحة بالنسبة للمسلمين ، من حيث من سيغلب من ، ولكن زمن التحقّق جاء فضفاضا ، إذ لم يشأ سبحانه مع علمه ، الكشف عن الزمن بشكل دقيق ، ولكنه أعطى فترة زمنية على مدى 6 سنوات تقريبا ، ليترك المجال لجريان الأسباب والمسبّبات ، التي من شأنها أن تترجم النبوءة على أرض الواقع ، دون تعطيل من البشر ، من جرّاء العلم المسبق بحيثياتها .

ولو تمعنّا في التعقيب الأخير في الآية (7)ـ ، الذي جاء فيها على مجمل ، ما أخبر عنه سبحانه في الآيات السابقة لها ، ستجد أن هناك حكمة إلهية ، من الإخبار عن شأن هذا الحدث المستقبلي . ألا وهي زفّ البشرى للمؤمنين ، بحتمية النصر مستقبلا ، فكما تحقّقت هذه النبوءة وهذا الوعد ، على أرض الواقع ، فسيُنجز الله كل ما وعد به في كتابه الكريم ، ليزداد المؤمنون إيمانا ويقينا ، بصدق كل ما حواه هذا الكتاب ، من شأن الدنيا والآخرة ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وصدق من أنزله ، وصدق وأمانة من أُرسل به هدى ورحمة للعالمين .

الحكمة الإلهية من كشف بعض الغيب للناس في الكتب السماوية :

تراوحت غايات الإخبار عن أنباء المستقبل ، ما بين البشارة والنذارة ، وأهم الأنباء المستقبلية ، التي يريد رب العزة أن يتيقن منها الناس ، هي اليوم الآخر ، بما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب ، وهذه الحقيقة تكاد لا تخلو أي من سور القرآن ، من ذكرها والتذكير بها ، إذ أن مؤدى إنكار اليوم الآخر ، حتى ولو قُرن مع الإيمان بالله ، هو عبث وعبثية ، ليُصبح إحسان الإنسان ، مرتبط بما يتحصّل عليه من مكاسب دنيوية

فقط ، وبذلك يفسد الناس وتفسد الأرض ، فيحل بهم الهلاك ، ولذلك عقّب سبحانه ، بعد الإخبار عن هذه النبوءة بقوله (... **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (6) **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (7 الروم) .

وقد جاءت أخبار النبوءات المستقبلية في القرآن والسنّة مسبقا ، لتتحقّق في أزمان يكون المؤمنين فيها ، بأمس الحاجة لما يقوي إيمانهم ، ويُثبّتهم على دينهم ويشدّ من أزرهم ، في مواجهة أهل الكفر والفسوق والعصيان ، كما هو الحال مع النبوءة السابقة . وجاءت أيضا لتتحقّق في أزمان يكاد فيها الإيمان ، أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، لتُعيد له الحياة في قلوب أصحابه ، ولينفضوا ما علق بأرواحهم ، وما أغشى أبصارهم وبصائرهم ، من رماد هذه الدنيا ، التي أوشكت على الفناء . فإذا ما عاصر الناس ، تحقّق نبوءة على أرض الواقع ، مما أخبر به القرآن ، أثبت هذا القرآن للناس ، بشكل قاطع وملموس محسوس ، بأنه من لدن حكيم عليم ، عالم للغيب والشهادة ، وأن لا بد للناس من المثول بين يديه ، فالموت ليس نهاية المطاف ، بل هو بداية رحلة لا نهاية لها ، من الشقاء أو من السعادة .

سورة الكهف :

كنت قد قرأت فيما سبق ، بعضا من كتب الإعجاز العددي في القرآن ، ومن ضمنها كتاب بسام جرار بعنوان (إعجاز الرقم 19) ، حيث قال بسام جرار فيه :

((كنت أقرأ سورة الكهف ، فخطر ببالي أن أحصي الكلمات ، من بداية قصة الكهف (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ**) ، وعندما وصلت إلى الآية (25)ـ : (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ**) ، وإذا بالكلمة ، التي تأتي بعد هذه العبارة مباشرة ، هي الكلمة رقم (309)ـ ، ونحن نعلم أنهم لبثوا في كهفهم (309) سنوات ، كما نص القرآن الكريم)) . كان هذا نقلا حرفيا ، لما جاء في الكتاب ، وكان هذا الكتاب ، سابقا لكتاب (زوال إسرائيل) بعدة سنوات .

عندما قرأت هذه المعلومة ، أحببت أن أتأكد من صحتها ، فقمت بإجراء نفس عملية الإحصاء آنذاك ، فتبيّن لي صحة الخبر . ظننت في بادئ الأمر ، أن المقصود هو إظهار التوافق العددي اللغوي ، ما بين عدد السنين التي لبثها هؤلاء الفتية في الكهف ، وعدد كلمات القصة التي تروي خبرهم ، وهو بحدّ ذاته شيء جميل وعجيب . ولكن عندما رغبت في البحث ، في مسألة زوال إسرائيل فيما بعد ، حيث لم أقتنع بحسابات بسام جرار ، أصبح لهذا المثال المطروح في سورة الكهف ، معنىً أخرا .

تصفّحت سورة الإسراء مرارا وتكرارا ، ولفت انتباهي أن موضوع السورة بشكل عام ، هم بني إسرائيل أنفسهم ، " وبني إسرائيل " هو الاسم التوقيفي للسورة ، كما ورد في جميع الأحاديث والروايات ، التي جاءت على ذكرها ، وأما ما تُركّز عليه السورة بشكل خاص ، هو قصة المرتين ، وما فيهما من إفساد وعلو ووعد كل منهما ، والملاحظ أن القصة لها بداية ولها نهاية . قمت بالمقارنة بين القصتين ، وفي مخيلتي تساؤل مفاده ، أليس من الممكن أن يكون سبحانه ، قد طرح هذا المثال الموجود في سورة الكهف ، لكي نقوم بتطبيقه في سورة الإسراء ، لاستخراج موعد هلاك بني إسرائيل في المرة الثانية .

وجعلنا لمهلكهم موعدا :

تُركّز سورة الإسراء بشكل كبير ، على ذكر وعد الآخرة ، وهو وعد بهلاك بني إسرائيل وزوال دولتهم ، وهذا الوعد له موعد ، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف ، التي تلي سورة الإسراء مباشرة (**... ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا** (48) **... ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ ، ...** (58) **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا** (59) ، هذا التكرار لكلمة موعد ، والتأكيد على أن هناك موعد ، أمر ملفت للنظر . حاولت في البداية إيجاد أوجه الشبه بين السورتين ، ومن ثم عُدّت إلى سورة الكهف ، وقمت بدارسة وتحليل المثال المطروح فيها ، فوجدت نفسي أمام درس إلهي ، في رياضات من نوع آخر . خرجت منه بعدة قواعد رياضية ، فتملكني شعور آنذاك ، أن هذا المثال ، إنما وُضع ليكون بمثابة مفتاح ، للكشف عن موعد هلاك بني إسرائيل ، في سورة الإسراء .

قصة أصحاب الكهف :

بعد إطلاعي على قصة أصحاب الكهف ، من خلال كتاب (أهل الكهف) ، لإحدى دور النشر الأردنية – لا أذكر اسم المؤلف - الذي يؤكد فيه المؤلف ، أن الكهف المعني ، هو الكهف الموجود ، بالقرب من مدينة مادبا الأردنية ، وأن أحداث القصة ، وقعت بعد وفاة عيسى عليه السلام ، وقبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام ، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية الوثنية آنذاك ، مسيطرة على المنطقة ، وأن القضية التي كانت مطروحة آنذاك ، هي مسألة البعث بعد الموت ، التي كان ينكرها الوثنيّون الرومانيون ، واليهود الخاضعين لسيطرتهم كذلك .

والحكمة من جرّاء تنويمهم ، ومن ثم بعثهم ، ومن ثم العثور عليهم من قبل أهل المدينة ، كانت لإثبات البعث بعد الموت ، لدى أناس ذلك العصر ، من وثنيون ويهود ، وهذا ما يُخبر عنه سبحانه وتعالى صراحة ، في قوله (**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ...** (21) أي أن الله أعثر أناس تلك المدينة المجاورة للكهف ، لكي يعلم أولئك الناس ، بـ (**أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** _ بالبعث بعد الموت _ **وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**) . ومجيء قصة أصحاب الكهف في القرآن ، لم يكن في الأصل ، لطرح التساؤلات عن عددهم وعن مدة لبثهم ، فهذا أمر لا طائل منه ولا فائدة فيه ، فهو سبحانه ينهى عن ذلك بقوله (**فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرَاً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدَاً** (22 الكهف) ، وقد قرّر سبحانه عددهم ، بقوله (**وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ** (22 الكهف) ، إذ استثنى هذه العبارة من قوله (رجما بالغيب) ، واقتصرها على الأقوال السابقة فقط . وأما مدة لبثهم فقد قرّرها في قوله (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** (25) ، وقوله (**قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** (26 الكهف) ، تأكيد على أن ما أخبر عنه ، من مدة لبثهم هو الحق ، فهو أعلم بغيب الماضي والمستقبل ، كما أكدّ على إخباره عن عدّتهم فيما سبق .

لا يُمكن إحصاء السنين :

نخلص من ذلك ، إلى أن المسألة المراد التركيز عليها ، هي شيء آخر غير إحصاء عددهم أو مدة لبثهم ، هي إشارات لدرس رائع في الرياضيات الإلهية ، ولتوضيح هذا

الدرس ، سنبدأ مع بداية القصة ، حيث لخّص سبحانه القصة كاملة في أربع آيات ، في قوله (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا** (9)_ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** (10)_ **فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** (11)_ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** (12)_ ، هذا الملخّص يقول : أن أصحاب الكهف فتية ، لجأوا إلى الكهف ، وطلبوا من ربهم أن يرحمهم ، وأن يُهيئ لهم سبيلا للنجاة من قومهم ، فأسلمهم سبحانه للنوم في الكهف ، عددا من السنين ، ثم بعثهم ، ثم علّل أمر نومهم ثم بعثهم ، بأنه يريد أن يعلم ، من أحصى ممن لم يُحصِ مدة لبثهم في الكهف ، من عدد السنين .

وتعليل النوم والبعث حقيقة ، كنا قد أوضحناه سابقا ، ولكن الملفت للنظر هنا هو تعليل البعث ، في بداية القصة على غير الوجه الحقيقي له ، بقوله تعالى (لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) ، إذ لا يُعقل أن يكون المقصد الحقيقي ، هو معرفة من أحصى مدة اللبث ممن لم يُحصِها . وفي الواقع ، فإن الأمد (أي الفترة الزمنية) لا يُحصى إحصاءً ، وإنما يتحصّل بالحساب . ولو فكّرت في معنى الإحصاء رياضيا ، لوجدت أن هذا الذي جاء في الآيتين ، غير منطقي من الناحية الرياضية العملية ، فعملية الإحصاء والعدّ لا يمكن القيام بها ، إلا إذا كان المراد إحصاءه أو عدّه ، ماثل أمامك عيانا ، كأن تحصي مجموعة من الأشياء . أما أن تحصي شيئا ، لا تلمسه بيديك أو تراه بعينيك ، فهذا أمر مستحيل . وأما بالنسبة للسنين ، فلا يُمكن بأي حال من الأحوال إحصائها أيضا ، لأنها ليست أشياء قابلة للعدّ ، وإنما تتحصل معرفتها بالحساب ، فهي نتيجة لجمع عدد من الشهور ، والشهور نتيجة لعدد من الأيام ، وعلى سبيل المثال ، إذا أردت معرفة عمر شخص ما ، أو عمر أمّة ما ، فما ستقوم به هو عملية طرح للتواريخ ، لتحصيل عدد السنين ، التي تُمثّل عمر ذلك الشخص ، أو عمر تلك الأمة .

الإحصاء لمدة اللبث :

وبالتالي نستطيع القول بأن هذا التركيب اللغوي ، جاء ليلفت انتباهنا إلى ما جاء في هذه القصة ، من إعجاز عددي لغوي ، ولإحصاء أشياء ماثلة أمام أعيننا ، ألا وهي كلمات القصة ، التي توافق عدد السنين ، التي لبثها أصحاب الكهف في كهفهم ، والتي إن قمت بإحصاءها ، ستكون في الحقيقة قمت بعدّ مدة اللبث بالسنين ، لأن عدد الكلمات يوافق عدد السنين ، ويقول سبحانه تعقيبا على هذا الإعجاز ، فيما يلي القصة من آيات (**لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) ، أي ما كشفه من شأن هؤلاء الفتية من غيب الماضي ، (**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ** (26) وكأنه حثّ على إمعان النظر ، فيما بين يديك من إعجاز ، وكشفه والإخبار عنه ، ويؤكد سبحانه من خلال هذا التوافق العددي في نهاية القصة أن (**لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه** (27 الكهف) ، كما أكّد أيضا في سورتي الأنعام ويونس بقوله (**وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** (34)_ ، (**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** (64)_ ليتبين لك أن لا تبديل لمواقع الكلمات فيه ، ولا زيادة فيه ولا نقص ، وهذا ما تثبته هذه السورة ، وسورة الإسراء أيضا ، مصداقا لقوله تعالى (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (9 الحجر) ، وقوله (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** (82 النساء) .

يقول سبحانه (أحصى لما لبثوا أمدا) ، نتبين من ذلك ، أن المراد هو إجراء عملية إحصاء أو عدّ ، وأن المراد إحصاؤه _ حسب ظاهر النص القرآني - هو مدة اللبث ، وبما أن إحصاء مدة اللبث مُتعذّر ، فالإحصاء سيكون لأشياء تُمثّل هذه المدّة ، ألا وهي

الكلمات الماثلة أمامنا ، والـتي تُشـكل أحـداث القصة ، لنسـتطيع من خلال إحصـائها ، معرفة عدد سنين مدة اللبث ، وكأنه سبحانه أراد أن يُعلمنا درسا رياضيا ، نستطيع من خلال القواعد التي سنستنبطها منه ، من استخراج عدد السنين لمدة لبث أُناس ، كـان قد سبق ذكرهم في السورة التي سبقت سورة الكهف ، وهذا يعـني أن مـدة لبثهم لها نهاية بهلاكهم ، والمشار إليها بوعد الآخرة .

طريقة العدّ في سورة الكهف :

(**أَمْ** 1 **حَسِبْتَ** 2 **أَنَّ** 3 **أَصْحَابَ** 4 **الْكَهْفِ** 5 **... ... وَلَبِثُوا** 306 **فِي** 307 **كَهْفِهِمْ** 308 (**ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**)309 (25)

تبـدأ القصة من الآية (9) ، بعبـارة (**أم حسـبت**) وتنتهي في الآية (25) ، بعبـارة (**ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا**) . نلاحظ أن كلمة (كهفهم) تحمل العدد (308) ، وأن العدد الذي يلي العدد (308) ، هو (309) ، وبدلا من أن ينتهي العدّ عند الكلمة ، التي تلي كلمة (كهفهم) مباشـرة ، بقولنا : ثلاثمائة وتسـعة ، جـاء سـبحانه بعبـارة ، تحكي العدد نفسه بالكلمات ، (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) ، لتحمل العبارة كاملة ، العدد (309) .

وقوله سبحانه (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) ، وعدم قوله (تسع وثلاثمائة) ، جاءت ليُعلّمنا قاعـدة حسـابية ، لحسـاب الفـرق بين السـنين الشمسـية والسـنين القمرية ، بإضافة 3 سنوات لكل 100 شمســية ، لنحصل على ما يُعادلها بالقمرية ، حيث أن كل (100) سنة شمسية ، تعـادل (103) سـنوات قمرية تقريبا . ومفـاد هـذه العبـارة أنهم لبثوا (300) سنة شمسـية ، و (309) سـنة قمرية ، والأهم من ذلك أن عـدد الكلمـات جــاء متفقا ، مع مــدة لبثهم بالســنين القمرية ، أي أن كل كلمة مثّلت ســنة قمرية لا شمسية . وبناء على ذلك ، وعند استخدام هذه الطريقة ، في سورة الإسراء سنتعامل ، مع السنين القمرية .

قواعد الإحصاء في سورة الكهف :

1. الإحصاء للكلمات ، إذ لا يُمكن إحصاء السنين .
2. الكلمة لغة ، هي التي تتكون من حرفين فما فوق .
3. بداية العدّ كانت من بداية قصة أصحاب الكهف .
4. قصة أصــحاب الكهف ســبقتها مقدمة ، تكـوّنت من 8 آيــات . وعملية العــدّ لم تشملها .
5. أن بعض الآيــات الــتي وردت ضــمن القصة ، دخلت كلماتها في العــدّ ، مع أن علاقتها بالقصة ليست ظاهرة ، كالآيات (23 ، 24) .
6. أن نهاية العدّ كان بانتهاء القصة .
7. أن عدد الكلمـات ، توافق مع عـدد السـنين ، الـتي لبثوها في الكهف ، إذ أن كل كلمة تمثل سنة .
8. أن كل كلمة ، تمثّل سـنة قمرية ، ذلك لأن نتيجة العــدّ كـانت 309 كلمـات ، قد توافقت مع مدة لبثهم بالسنين القمرية .

قابلية هذا المثال للتطبيق على سورة الإسراء :

قال تعالى (**فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** (11)ـ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** (12) لو أمعنت النظر فيما تحته ، لوجدت أن الظاهر يقول ، أن بعثهم كان لأن الله سبحانه وتعالى ، أراد أن يعلم أي الحزبين أحصى ! أحصى ماذا ؟ أحصى مدة ما لبثوا في الكهف من عدد السنين . أي أن المراد من الإحصاء هو معرفة عدد السنين . في المقابل نجد في الآية (12) من سورة الإسراء عبارة تقول (ولتعلموا عدد السنين والحساب) ، للإشارة إلى أن السورة ، تحمل بين ثناياها معرفة لعدد سنين ، تتحصل بالعدّ والحساب ، تخصّ أناس سبق ذكرهم فيما ورد من آيات ، سبقت هذه العبارة .

وللفت الانتباه إلى أن الإحصاء متعلق بمدة اللبث ، تكرّر ذِكر مشتقات هذه الكلمة (6) مرات في سورة الكهف ، وهي (لَبِثُوا ، لَبِثْتُمْ ، لَبِثْنَا ، لَبِثْتُمْ ، وَلَبِثُوا ، لَبِثُوا) في الآيات (12،19،25،26) . وفي المقابل نجد أن مشتقات هذه الكلمة ، تكرّرت مرتين في سورة الإسراء ، في قوله سبحانه (**وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا** (52) وقوله (**وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا** (76)ـ ، يُقال أن المقصودين في هاتين الآيتين هم مشركي قريش حصرا ، وهذا القول غير صريح . ولو أنك تتبعت النص منذ البداية ، لوجدت أن القول الأول قيل لمنكري البعث ، وعلى رأس القائمة في إنكار البعث هم اليهود .

ولو أنك تتبعت النص من قوله تعالى (**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا** (76)ـ ، لوجدت أن القول الثاني قيل في اليهود حصرا ، حيث تؤكد معظم الروايات أن هذه الآيات مدنية ، ولو تمعنّت في قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك) وتساءلت عمن له القدرة ، على فتنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أهم أهل الكتاب أم عبدة الأصنام ! ولو تمعنّت في قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليُخرجوك منها) وتساءلت عمن حاولوا استفزاز الرسول عليه الصلاة والسلام ، لإخراجه ولم يُكتب لهم النجاح ! لو قلت أنهم اليهود ، عندما أرادوا منه أن يخرج معهم ، من أرض الجزيرة ككل إلى الأرض المقدّسة ، ليُعيد لهم ملكهم المنقرض ، لكان ذلك أقرب إلى العقل والمنطق ، وهناك روايات تؤكد ذلك . ولو قلت أنهم مشركي قريش ، فقد جانبت الصواب ، لأنهم قد استفزّوه بالفعل ، وأخرجوه من بلدته حقيقة .

أوجه التشابه :

أولا : ذكر أحد مشتقات لفظ اللبث في السورتين ، وهو لفظ يأتي أينما ورد في القرآن ، للإشارة إلى مدة زمنية ، (**قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ** (259 البقرة) ، (**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** (42 يوسف) ، (**فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ** (40 طه) ، (**إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا** (103 طه) (**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ** (112 المؤمنون) ، (**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** (14 العنكبوت) .

ثانيا : ذكر لفظ يُشير إلى الإحصاء أو العدّ في السورتين ، (**سِنِينَ عَدَدًا** ... **أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**) في الكهف ، (**وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**) في الإسراء ، بإضافة لفظ الحساب .

سورة الإسراء :

ما سنقوم بإحصائه هو الكلمات ، في قصة المرتين ووعديهما ، والتركيز في المجمل - كما سبق وأشرنا في فصل التفسير - كان على المرة الثانية ووعدها . وهذه الكلمات التي سنقوم بعدّها أو بإحصائها ، تمثل مدة لُبث اليهود بالسنين القمرية .

مدة لبث بني إسرائيل منذ حادثة الهجرة وحتى نفاذ وعد الآخرة فيهم :

جاء في بداية سورة الإسراء ، مقدّمة تمهيدية مكونة من ثلاث آيات ، ومن ثم تبدأ رواية القصة من الآية (4) ، بقوله تعالى (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** (4)) ، وتنتهي في الآية (104) ، بقوله تعالى (**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** (104)) .

وإذا قمت بإحصاء الكلمات من عبارة (**وَقَضَيْنَا[1] إِلَى[2] بَنِي[3] إِسْرائِيلَ[4]...** (4)) ، حتى تصل إلى عبارة (**جِئْنَا[1420] بِكُمْ[1421] لَفِيفًا[1422]** (104)) ، ستجد أن كلمة (لفيفا) تحمل العدد 1422 ، وهو عدد كلمات القصة ، وهو مما خالفنا به الأخ بسام جرّار ، الذي اعتبر بداية القصة من الآية الثانية .

(ملاحظة : لو قمت بعدّ كلمات السورة ، من خلال العدّ التسلسلي العادي ، ستخطئ مرارا وتكرارا ، والأصوب والأسهل هو استخدام الحساب التراكمي ، بحيث تعدّ كلمات كل آية بشكل منفرد ، ومن ثم تقوم بجمع كل عشر مع بعضها ، ومن ثم تقوم بجمع الناتج الكلي . وإن كنت تملك جهاز حاسوب ، ستكون عملية العدّ غاية في السهولة ، فما عليك إلا أن تنقل نص سورة الإسراء ، من أحد برامج القرآن ، كما هو مرسوم بالمصحف ، واستثناء أرقام الآيات ، أو إلصاقها بالكلمة التي تسبقها ، ومن ثم تظليل نقطة البداية حتى نقطة النهاية ، ومن ثم طلب أمر (عدد الكلمات) من قائمة (أدوات) ، لتظهر لك النتيجة على الفور) .

هذا العدد (1422) الذي تحصّلنا عليه ، هو عدد من السنين القمرية ، التي ربما تُشير إلى مدة لبث بني إسرائيل ، والتي تمتد من حادثة الهجرة ، وهي بداية الاحتكاك الفعلي لليهود بالمسلمين ، وحتى نفاذ وعد الآخرة فيهم .

التأريخ لقيام دولة إسرائيل في سورة الإسراء :

تكرار ذكر بني إسرائيل في بداية السورة ونهايتها أمر ملفت للنظر ، وتكرار ذكر وعد الآخرة في بدايتها ونهايتها كذلك ، هو أمر آخر ملفت للنظر أيضا ، وأثناء محاولاتي المتكرّرة للربط العددي ، بين ذكريهما في بداية السورة ونهايتها ، تبين لي ما يلي :

إذا قمت بإحصاء الكلمات من عبارة (**وَقَضَيْنَا[1] إِلَى[2] بَنِي[3] إِسْرائِيلَ[4]...** (4) في بداية السورة ، حتى تصل إلى عبارة (**... وَكَانَ[1364] الْإِنْسَانُ[1365] قَتُورًا[1366]** (100) **وَلَقَدْ[1367] آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ...** (101) في نهاية السورة ، ستجد أن الكلمة الأولى في بداية الذكر الثاني لبني إسرائيل في السورة ، جاءت لتحمل العدد (1367) وهذا العدد في الواقع ، يمثل السنة التي قامت فيها دولة إسرائيل بالتقويم الهجري . وهو موعد استيلائهم الفعلي على أرض فلسطين ، وبدء استيطانهم فيها ، وتجمّعهم من شتى بقاع الأرض .

وإذا قمت بعدّ الكلمات من قوله تعالى (**فَإِذَا[1] جَاءَ[2] وَعْدُ[3] الْآخِرَةِ[4] ...** في الآية رقم (7) بداية السـورة ، إلى ما قبل عبـارة (**فإذا جـاء وعد الآخـرة** ... في الآية رقم (104) نهاية السورة ، وتوقفت عند عبارة (**اسكنوا الأرض**) ، في قوله (**وَقُلْنَا ... لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا[1366] الْأَرْضَ[1367] ...** (104) . لوجـدت أنك قد تـوقفت عند نفس العدد (1367) .

وكأن واقع الحال ، يُخبر بأنه في عام 1367 هـ ، سـيأذن الله لهم بالسـكن في الأرض المقدّسة واستيطانها ، وإقامة علوهم الثاني والأخير فيها .

* ملاحظة : تاريخ إعلان قيام دولة إسرائيل هو 15 / 5 / 1948م ، ويقابل هذا التاريخ بالهجري 6 / رجب / 1367 هـ ، ورجب هو الشهر السابع في السنة الهجرية .

عمر الدولة اليهودية :

بما أن قصة وعدي الأولى والآخرة ، بدأت بعبارة (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ ...** (4) وإذا فرضنا أنها ، تمثّل بداية قيام دولة إسـرائيل ، فما هي العبـارة الـتي تُشـير إلى نهايتها ، ونفـاذ وعد الآخـرة فيها ؟ بلا شك سـتكون الإجابة هي عبـارة (**... وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ...** (7) ، إذ أن ما جاء بعدها ، هي عبارات للتعقيب فقط . وإذا قمت بإحصاء الكلمات من عبارة (**وَقَضَيْنَا[1] إِلَى[2] بَنِي[3] إِسْرائِيلَ[4]...** (4) ، حتى تصل إلى عبارة (**وَلِيَدْخُلُوا[55] الْمَسْجِدَ[56] ...** (7) ستجد أن كلمة (المسجد) تحمل العدد (56) .

ويُعاد ذِكر بني إسرائيل ووعد الآخرة مرة أخرى ، في نهاية السورة ، في قوله تعالى (**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَـى تِسْـعَ ءَايَـاتٍ بَيِّنَـاتٍ فَسْـئَلْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ ...** (101)ـ ، وينتهي ذكـرهم بـالأمر الآخر الـذي سـيتحقّق بمجيء وعد الآخـرة ، وهو مجـيئهم من الشتات ، في قوله تعالى (**فَإِذَا جَـاءَ وَعْـدُ الْآخِـرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** (104) . وإذا قمت بإحصـاء الكلمـات ، منذ بداية ذكـرهم وذكر وعد الآخـرة للمـرة الثانية بعبـارة (**وَلَقَدْ[1] آتَيْنَا[2] مُوسى[3] ...** (101) حتى تصل إلى عبارة (**... جِئْنَا[54] بِكُمْ[55] لَفِيفًا[56]** (104) ، ستجد أن كلمة (لفيفا) أيضا ، تحمل العدد (56) .

عدد آيات سورة الإسـراء (111) آية ، والآية الـتي تقع في منتصف السـورة تماما ، هي الآية التي تحمل العدد (56) ، حيث تسبقها (55) آية وتليها (55) آية ، وهي تقول (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّـرِّ عَنكُمْ ، وَلَا تَحْوِيلًا** (56) ، وهي تتحدّث عن أناس كانوا قد اتخذوا أولياء من دون الله ، سيقع بهم الضُرّ أي الأذى والعـذاب الـدنيوي ، فلا يملك أوليـاؤهم رفع العـذاب الإلهي عنهم ، ولا حـتى مجـرد تحويله لتقليل الضـرر النـاجم عنه حـال نزوله بهم ، والـذين تحـدثت السـورة عنهم وحـذرتهم من اتخـاذ أوليـاء ووكلاء من دون الله هم بنو إسـرائيل . ولو نظرت إلى نهاية الآية ، الـتي تسـبق هـذه الآية مباشـرة ، سـتجد قوله تعـالى (**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** (55) وداود عليه السلام هو مؤسّس مملكتهم الأولى ، وكأن ذكـره جـاء لتأكيد الإشارة إليهم .

الموعد المحتمل لنهاية إسرائيل :

وللتحقق من الأمر سـنقوم بإضـافة عمر دولة إسـرائيل المفـترض إلى تـاريخ إعلان قيامها بالتقويم الهجري :

56 سنة قمرية + 6 / 7 / 1367هـ = 6 /7 / 1423 هـ

ليكون يوم 6 / رجب / 1423 هـ ، والذي يقابله 12 /9 / 2002م ، هو اليوم الأول من السنة السابعة والخمسين من عمر إسرائيل ، وآخر أيام هذه السنة هو 5 / رجب / 1424 هـ ، ويقابله 1 / 9 / 2003م .

وبما أن مدة لبثهم بعد حادثة الهجرة ستمتد إلى 1422 سنة هجرية قبل نفاذ وعد الآخرة فيهم ، فمن المتوقع أيضا أن يتم ذلك في السنة التي تليها وهي سنة 1423 هـ ، وآخر يوم فيها هو 30 / ذو الحجة / 1423 هـ ، ويقابله 3 / 3 / 2003م .

وعلى ذلك فمن المتوقع أن تكون نهاية الدولة اليهودية في الفترة الزمنية التي تمثل :

أولاً : اليوم الأول من سنة 1423 هـ وحتى آخر يوم فيها

[1 / محرم / 1423 هـ – 30 / ذو الحجة / 1423 هـ]

ويقابلها بالتقويم الميلادي :

[14 / 3 / 2002م - 3 / 3 / 2003م]

ثانياً : اليوم الأول من السنة القمرية الـ (57) من عمر إسرائيل وحتى آخر يوم فيها

[6 / رجب / 1422 هـ – 5 / رجب / 1423 هـ]

ويقابلها بالتقويم الميلادي :

[12 /9 / 2002م - 1 / 9 / 2003م]

ومن الملاحظ أن هناك مدة زمنية تتقاطع فيها الفترتان ، وهي النصف الأول من السنة السابعة والخمسين مع النصف الثاني لسنة 1423 هـ .

[6 / رجب / 1423 هـ – 30 / ذو الحجة / 1423 هـ]

[12 /9 / 2002م - 3 / 3 / 2003م]

وخلاصة القول أن نهاية إسرائيل ستكون بإذن الله :

في موعد أقصاه 3 / 3 / 2003م

أو

في موعد أقصاه 1 / 9 / 2003م

مع ترجيح الاحتمال الأول ، والله أعلم ؟!

* ملاحظة : تمت مقابلة جميع التواريخ الهجرية بالميلادية بواسطة الحاسوب ، مع هامش خطأ مقداره يوم واحد .

لفتات عددية أخرى في سورة الإسراء :

عدد كلمات سورة كاملة هو (1556) كلمة ، ولو أمعّنت النظر في هذا العدد ستجد أن خانتيّ الآحاد والعشرات تظهران العدد (56) ، وأن خانتيّ المئات والألوف تظهران العدد (15) ، والعدد الأول معلوم ، والعدد الثاني هو القرن الخامس عشر الهجري ، الذي سيشهد نهاية العلو الثاني لبي إسرائيل بإذن الله .

كما أن مجموع أرقام هذا العدد ، يُمثّل ترتيب سورة الإسراء في القرآن : 6 + 5 + 5 + 1 = 17

والملفت للنظر أيضا أن عدد كلمات عبارة (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**) هو ثمانية كلمات ، وأن عدد كلمات عبارة (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**) هو سبعة كلمات .

حاصل ضرب العددين هو : 8 × 7 = 56

وحاصل جمع العددين هو : 8 + 7 = 15

* ملاحظة : نود أن نلفت انتباه الأخوة القرّاء ، إلى أن هذه القراءة العددية من الممكن أن تخطئ كما أنها من الممكن أن تصيب ، وإصابتنا في هذا الموعد ، فيما لو حصلت ، فذلك لا يعني بالضرورة إصابتنا في المواعيد التي تليها ، والتصديق بهذه مسألة من عدمها نتركه لقناعة القارئ الشخصية .

ونكرّر ما ختمنا به مقدمة كتابنا ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ، وإن أصبنا فمن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله ولي التوفيق .

الموعد المحتمل لنهاية الولايات المتحدّة الأمريكية :

قال تعالى (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** (56) **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** (57) **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا** (58 الإسراء)

إذا كانت الآية (56) ، تتحدث عن العقاب الإلهي لليهود ، فالآية (58) تتحدث عن قرى - ظالمة بلا شك - سيتم إهلاكها ، أو إنزال العذاب الشديد بها ، قبل يوم القيامة ، ولم يبق الكثير من الوقت ، فدُول هذا العصر ، هي القرى الأخيرة قبل يوم القيامة ، وتكاد لا تجد فيها قرية غير ظالمة ، وأكثر القرى المعاصرة ظلما هي أمريكا .

وإذا كان رقم الآية (56) ، يُعبّر عن عمر دولة إسرائيل ، ونرى أن موعد هلاكها هو السنة التي تليها ، فمن المحتمل أن رقم الآية (58) يُشير إلى نهاية أمريكا ، وأن موعد هلاكها هو السنة التي تليها ، أي بعد زوال إسرائيل بسنتين قمريتين ، في السنة الـ (59) ، من قيام دولة إسرائيل ، وهي تُقابل سنة 1425 هـ تقريبا .

لقد بدأ يوم القيامة ، بقيام دولة إسرائيل ، بل منذ علا اليهود في الأرض ، والناس في غفلة من أمرهم :

إن لم تُصدّق ذلك ، فتفكّر معي ، بتأنٍ وتروّي ، وتوقف عند كل مقطع ، وكل عبارة ، في قوله تعالى (**إِذْ قَالَ اللَّهُ ، يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ، وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ، فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ، فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (55 آل عمران) .

يقول سبحانه وتعالى ، في معرض خطابه لعيسى عليه السلام ، (**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**) ، والذين كفروا بعيسى وطهّره الله من أقوالهم وأفعالهم ، هم اليهود ، (**وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ**) والذين اتبعوه هم النصارى إجمالا ، بغض النظر عن صحة معتقدهم وصدق التزامهم بتعاليمه ، (**فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا**) والفوقية تعني العلو والاستعلاء ، والذين كفروا هم اليهود ، (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) واليوم في

الميقات السماوي ، يساوي ألف سنة بالميقات الأرضي ، وهذا اليوم ، هو الذي سيقوم الناس فيه من قبورهم ، ولا ندري فيما كانت الناس ، ستقوم في أوله ، أم في وسطه ، أم في آخره .

ومفاد الآية أعلاه ، أن الفوقية ستكون للنصارى على اليهود ، إلى يوم القيامة ، بمعنى أن فوقية النصارى على اليهود ، لها منتهى ، وقد حدّدته هذه الآية بمجيء يوم القيامة ، وأن تحوّل هذه الحالة إلى العكس تماما ، أي أصبحت الفوقية لليهود على النصارى ، فهي إيذان ببدء يوم القيامة بالميقات السماوي .

ولو تتبعنا التاريخ اليهودي ، لوجدنا أن الاضطهاد النصراني لليهود ، بدأ منذ اعتناق الرومان للنصرانية ، واتخاذها كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية ، واستمر حتى بدايات القرن الماضي ، وزال كلية بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد قيام الدولة اليهودية في فلسطين ، حيث انقلب الحال ، فأصبحت الفوقية لليهود على النصارى ، وبدأ عصر الاضطهاد اليهودي للنصارى وغيرهم ، فرئيس الولايات المتحدة بعظمته ، لا يملك من أمره ، إلا السمع والطاعة لأسياده .

الموعد المحتمل لعودة عيسى عليه السلام ، والقضاء على الدجال وأتباعه اليهود :

عندما قمنا بعدّ الكلمات ، من عبارة (**وَقَضَيْنَا**[1] **إِلَى**[2] **بَنِي**[3] **إِسْرائِيلَ**[4]**...** (4) ، حتى وصلنا إلى عبارة (**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ...** (7) وجدنا أن كلمة (المسجد) تحمل العدد (56) ، وهي السنة التي عمر الدولة اليهودية . فلنكمل العدّ حتى نصل لعبارة (**... وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**) ، التي تُخبر عن عودتهم للإفساد ، وعودة الله عليهم بالعقاب ، على يد عيسى عليه السلام والمهدي ومن معهما من المؤمنين ، ستجد أن كلمة (**عدنا**) تحمل العدد (71) ، وهي تُمثّل السنة الواحدة والسبعون ، من قيام دولتهم ، وربما تكون هذه العودة الإلهية لعقابهم في هذه السنة أو في السنة التي تليها ، أي في السنة الـ (72) ، وهي تقابل سنة 1438 هـ تقريبا .

ملاحظة : مجموع العدد (71) ، ومقلوبه (17) الذي يُمثل ترتيب السورة هو :

$$71 + 17 = 88$$

والناتج (88) هو رقم الآية ، التي تحدى سبحانه فيها الجن والإنس ، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

الموعد المحتمل لخروج المهدي :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**ثُمَّ يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ ، ... ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا ، يَعْنِي حِجَجًا**) رواه الحاكم وصحّحه الألباني ، وأخرجه الترمذي (**... إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ**) ، وأحمد (**... يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا ...**) و (**... خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا**) ، وأبو داود (**... يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**) ، وابن ماجه (**إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ ...**) كلّهم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ .

ومن المرجّح لدي أن خروج المهدي ، سيكون قبل خروج الدجال ، وستنتهي خلافته ، بنزول عيسى عليه السلام وتسليمها له ، ومتوسط مدة خلافته إذا أخذنا بعين الاعتبار ، اختلاف الروايات ، هو سبع سنوات ، فإن صحّ هذا التقدير ، نستطيع حساب موعد

خروجه بطـــرح (7) ســـنوات ، من الموعد المتوقع لـــنزول عيسى عليه الســـلام (1438) :

1438 – 7 = 1431

الموعد المتوقع لخروجه هو عـام 1431 هــ ، بتقـديم سـنتين أو تـأخير سـنتين ، والله أعلم .

المواعيد المحتملة للأحداث الكبرى :

الحدث	هجري	ميلادي
نهاية إسرائيل	1423	2002 - 2003
نهاية الولايات المتحدّة الأمريكية	1425	2004 - 2005
خروج المهدي	1431	2010 - 2011
خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام	1438	2017 - 2018

قال تعالى

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ، عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ ، لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ ، فِي هَذَا الْقُرْءَانِ ، مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)

(الإسراء)

فإنما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون

تبدأ سورة الدخان بتعظيم شأن القرآن الكريم ، وتعظيم شأن الليلة الـتي أُنـزل فيها ، وتركّز السورة ، على الإنذار دون البشرى ، حيث قال سـبحانه في إرسـال محمد عليه الصلاة والسلام (**يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** (45 الأحـزاب) . ويؤكد سبحانه أنه أرسـله ، منـذرا للبشر من قبل أن يحل بهم العقـاب ، رحمة منه بعباده . والعقاب الذي تأتي على خبره الآيات وتحذّر منه ، هو البطشة الكبرى ، الـتي لم تُحـدّد ماهيتها هنا ، ونـذير هـذه البطشة ، الـذي سيسـبقها بقليل ، هو الـدخان ، فليرتقبه الناس ، فإن ظهر وعاينوه فليعتبروا ، وليحذروا ، وليعـودوا عما هم عليهم من الشك والتشكيك في أمر ربهم ، واللعب في أمر دينهم ، والطعن في رسولهم الكـريم ، الذي بُعث إليهم بشيرا ونذيرا ، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا ، فليرتقبوا البطشة الكبرى . وقد ظهر الدخان الموصـوف في هـذه السـورة ، في عاصـمة أحد الأقطـار العربية ، فاقرأ معنا هذا الفصل والفصـول الـتي تليه ، لتعـرف كيف فُسّـرت هـذه النبـوءة على أرض الواقع ، ولتعرف من هم الموعودين بالبطشة الكبرى قريبا ، بعد إصـرارهم على ما هم عليه ، من الكفر والفسوق والعصيان ، بالرغم من غشـيان الـدخان لهم ، بنفس الصفة ، التي أخبرت عنها الآيات .

تعريف بسورة الدخان :

" مكية ، كما روي عن ابن عباس ، وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم ، ووجه مناسبتها لما قبلها أنه عز وجل ، ختم ما قبلها (الزخرف) بالوعيد والتهديد ، وافتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد ، وذكر سبحانه هنا ، كقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنـون (في نهاية سـورة الزخـرف) ، وهنا نظـيره ، فيما حكى عن أخيه موسى عليهم الصـلاة والسـلام ، بقوله تعـالى فـدعا ربه ، أن هـؤلاء قـوم مجرمون ، وورد بفضلها أخبار " ، الألوسي .

أقوال بعض المفسّرين في آيات سورة الدخان :

(حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْـرَقُ كُـلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْـرًا مِنْ عِنْـدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِـلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6)

" يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم ، أنه أنزله في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر ، أمر حكيم ، أي محكم لا يُبدّل ولا يُغيّر ، ولهذا قال جل جلاله ، (أمـرا من عنـدنا) ، أي جميع ما يكون ويُقدّره الله تعالى وما يوحيه ، فبأمره وإذنه وعلمه ، (إنا كنا مرسلين) أي إلى الناس رسولا يتلوا عليهم آيات الله مبينات " ، ابن كثير .

(رَبِّ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُـوقِنِينَ (7) لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8)

" أي إن كنتم من أهل الإيقان ، علمتم كونه سبحانه رب السـماوات والأرض ، لأنه من أظهر اليقينيـات دليلا ، وفي هـذا الشـرك تنزيل إيقـانهم ، منزلة عدمه ، لظهـور خلافه عليهم ، وهو مراد من قال : إنه من باب تنزيل العالم منزلة الجاهل ، لعـدم جريه على

موجب العلم ، قيل : ولا يصح أن يقال : إنهم نزلوا منزلة الشاكين ، لما كان قوله سبحانه بعد : بل هم في شك ، ولا أدري بأسا في أن يقال : إنهم نزلوا أولا كذلك ، ثم سجّل عليهم بالشك ، لأنهم وأن أقرّوا بأنه عز وجل ، رب السماوات والأرض ، لم ينفكّوا عن الشكّ لإلحادهم في صفاته ، وإشراكهم به تعالى شأنه " ، الألوسي .

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9)

" بل هؤلاء المشركون ، (في شك يلعبون) أي قد جاءهم الحق اليقين ، وهم يشكّون فيه ، ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهدّدا ، (فارتقب يوم تأتي السماء) " ، ابن كثير .

" (بل هم في شك يلعبون) أي ليسوا على يقين ، فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار ، في قولهم إن الله خالقهم ، وإنما يقولونه لتقليد آبائهم ، من غير علم ، فهم في شكّ ، وإن توهموا أنهم مؤمنون ، فهم يلعبون في دينهم ، وقيل يلعبون ، يضيفون إلى النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء والاستهزاء ، ويقال أعرض عن المواعظ لاعب ، وهو كالصبي الذي يلعب ، فيفعل ما لا يدري عاقبته " القرطبي .

" لا يقولون ما يقولون ، مما هو مطابق لنفي الأمر عن جدر وإذعان ، بل يقولونه مخلوطا بهزء ولعب ، وهذه الجملة خبر بعد خبر لهم ، والالتفات عن خطابهم ، لفرط عنادهم وعدم التفاتهم ، والفاء في قوله تعالى : فارتقب لترتيب الارتقاب ، أو الأمر به على ما قبلها ، فإن كونهم في شك يلعبون ، مما يوجب ذلك ، أي فانتظر لهم ، يوم تأتي السماء بدخان مبين " ، الألوسي .

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)

" ارتقب معناه انتظر ، يا محمد بهؤلاء الكفار ، يوم تأتي السماء بدخان مبين ، قاله قتادة . وقيل معناه احفظ قولهم هذا ، لتشهد عليهم " ، القرطبي .

" يعني تعالى ذكره بقوله (فارتقب) ، فانتظر ، يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك ، الذين (هم في شك يلعبون) ، (يغشى الناس) يقول يغشى أبصارهم ، من الجهد الذي يصيبهم ، (هذا عذاب أليم) يعني أنهم يقولون ، مما نالهم من ذلك الكرب والجهد ، هذا عذاب أليم) " الطبري .

أقوال المفسّرين في الدخان :

تفسير ابن مسعود : عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ ، فَقَالَ : يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ ، فَفَزِعْنَا . فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَغَضِبَ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ : مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنْ الْعِلْمِ ، أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ**) وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنْ الْإِسْلَامِ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا ، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعُ اللَّهَ (فَقَرَأَ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** - إِلَى قَوْلِهِ - **عَائِدُونَ**)

أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ ، إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى**) يَوْمَ بَدْرٍ وَ (لِزَامًا) يَوْمَ بَدْرٍ (الم غُلِبَتْ الرُّومُ) إِلَى (سَيَغْلِبُونَ) وَالرُّومُ قَدْ مَضَى " . رواه البخاري وأخرجه مسلم والترمذي وأحمد .

رواية لابن مسعود : عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " مَضَى خَمْسٌ الدُّخَانُ وَالرُّومُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ " . رواه البخاري وأخرجه مسلم والترمذي وأحمد .

حديث حذيفة : عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ، فَقَالَ : (**مَا تَذَاكَرُونَ** ؟) قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ ، قَالَ : (**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**) رواه مسلم وأخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

قال ابن كثير " وقد وافق ابن مسعود ، رضي الله عنه ، على تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مضى ، جماعة من السلف ، كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي ، والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير . وروى ابن جرير ، عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه ، يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أول الآيات الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ونار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان ، قال : حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله : وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم) يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران ، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره) ، قال ابن جرير لو صحّ هذا الحديث لكان فاصلا ، وإنما لم أشهد له بالصحة .

وقال ابن جرير أيضا : عن أبي مالك الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ربكم أنذركم ثلاثا ؛ الدخان ، يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر ، فينفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال) ورواه الطبراني ، عن هاشم بن مرثد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد .

وروى ابن جرير : عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ، ذات يوم ، فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ! قلت : لِمَ ؟ قال : قالوا طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت) وهكذا رواه ابن أبي حاتم فذكره وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردوها ، مما فيه مقنع ، ودلالة ظاهرة ، على أن الدخان ، من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تبارك وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بيّنٌ واضحٌ ، يراه كل أحد ، وعلى ما فسّر به ابن مسعود ، رضي الله عنه ، إنما هو خيال ، رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس) ، أي

يتغشاهم ويعميهم ، ولو كان أمرا خياليا ، يخصّ أهل مكة المشركين ، لما قيل فيه يغشى الناس ، وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) ، أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا " .

وقال القرطبي : " وفي الدخان أقوال ثلاثة ؛ الأول : أنه من أشراط الساعة ، لم يجئ بعد ، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما ، يملأ ما بين السماء والأرض ، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام ، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم ، فيثقب مسامعهم ، ويضيق أنفاسهم ، وهو من آثار جهنم يوم القيامة ، وممن قال إن الدخان لم يأت بعد ، علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن أبي ملكية وغيرهم ؛ والثاني : أن الدخان ، هو ما أصاب قريشا من الجوع ، بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا ، قاله ابن مسعود ؛ والثالث : إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة ، قاله عبد الرحمن الأعرج " .

وقال الألوسي : " أي يوم تأتي بجدب ومجاعة ، فإن الجائع جدا ، يرَ بينه وبين السماء ، كهيئة الدخان ، وقد فسّر أبو عبيدة الدخان به ، والمراد باليوم مطلق الزمان ، أي ارتقب وعد الله ذلك اليوم ، وبالسماء جهة العلو ، وإسناد الإتيان بذلك إليهما ، من قبيل الإسناد إلى السبب ، لأنه يحصل بعدم إمطاره ، وتفسير الدخان بما فسرناه به ، مروي عن قتادة وأبي العالية والنخعي ، والضحاك ومجاهد ومقاتل ، وهو اختيار الفرّاء والزجّاج ، وقد روي بطرق كثيرة عن ابن مسعود رضي الله تعالى ، وظاهره ، يدلّك ما في تاريخ ابن كثير ، على أن القصة ، كانت بمكة ، فالآية مكية ، وفي بعض الروايات ، أن قصة أبي سفيان ، كانت بعد الهجرة ، فلعلها وقعت مرتين ، وقد تقدّم ما يتعلق بذلك في سورة المؤمنين ، وقال علي كرّم الله تعالى وجهه ، وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري ، وزيد بن علي والحسن ، أنه دخان يأتي من السماء ، قبل يوم القيامة ، يدخل في أسماع الكفرة ، حتى يكون رأس الواحد ، كالرأس الحنيذ ، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام ، فالدخان على ظاهره ، والمعنى فارتقب يوم ظهور الدخان .

وحمل ما في الآية ، على ما يعم الدخانين ، لا يخفى حاله . هذا والأظهر ، حمل الدخان على ما روي عن ابن مسعود أولى ، لأنه أنسب بالسياق ، لما أنه في كفار قريش ، وبيان سوء حالهم . (يغشى الناس) أي يحيط بهم ، والمراد بهم كفار قريش ، ومن جعل الدخان ، ما هو من أشراط الساعة ، حمل (الناس) ، على من أدركه ذلك الوقت ، ومن جعل ذلك يوم القيامة ، حمل الناس على العموم ، والجملة (يغشى الناس) صفة أخرى للدخان ، وقوله تعالى هذا عذاب أليم ، وقيل : يجوز أن يكون هذا عذاب أليم ، إخبارا منه عز وجل ، تهويلا للأمر ، كما قال سبحانه وتعالى ، في قصة الذبيح ، إن هذا لهو البلاء المبين " .

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12)

" أي يقول الكافرون ، إذا عاينوا عذاب الله وعقابه ، سائلين رفعه وكشفه عنهم ، (ربنا اكشف عنا العذاب) " ابن كثير .

" وقوله (ربنا اكشف عنا العذاب) يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد ، يضّرعون إلى ربهم ، بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد " ، الطبري .

" كما صرح به غير واحد من المفسرين ، وعدُ منهم بالأيمان ، إن كشفَ جلّ وعلا عنهم العذاب ، فكأنهم قالوا : ربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا ، لكن عدلوا عنه " ، الألوسي .

(أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14)

" يقول كيف لهم بالتذكر ، وقد أرسلنا إليهم رسولا ، بين الرسالة والنذارة ، ومع هذا تولّوا عنه ، وما وافقوه بل كذّبوه ، وقالوا مُعلَّم مجنون " ابن كثير .

" قال ابن عباس : أي يتعظون ، والله أبعدهم من الاتعاظ والتذكر ، بعد توليهم عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبهم إياه ، (وقالوا مُعلَّم مجنون) أي علّمه بشر ، أو علّمه الكهنة والشياطين ، ثم هو مجنون وليس برسول " ، القرطبي .

" يقول تعالى ذِكره ، من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكّر ، من بعد نزول البلاء بهم ، وقد تولوا عن رسولنا ، حين جاءهم مدبرين عنه ، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ، ولا يتعظون بما يعظهم به من حُججنا ، ويقولون إنما هو مجنون عُلّم هذا الكلام " الطبري .

" (أنى لهم الذكرى) نفي صدقهم في الوعد ، وأن غرضهم إنما هو كشف العذاب والخلاص ، أي كيف يتذكرون ، أو من أين يتذكرون بذلك ، ويفون بما وعدوه من الأيمان ، عند كشف العذاب عنهم ، وقد جاءهم رسول مبين ، أي والحال ، أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ، ما هو أعظم من ذلك في إيجابهم ، حيث جاءهم رسول عظيم الشأن ، ظاهر أمر رسالته بالآيات والمعجزات ، التي تخز لها صم الجبال ، أو مظهرا لهم مناهج الحق ، (ثم تولوا عنه) أي عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يقل ومجنون بالعطف لأن المقصود تعديد قبائحهم " ، الألوسي .

(إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)

" والاحتمال الثاني أن يكون المراد ، إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا ، بعد انعقاد أسبابه ، ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون ، فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم " ابن كثير .

" (إنا كاشفوا العذاب) يعني الضرّ النازل بهم ، يقول تعالى ذكره ، إنكم أيها المشركون ، إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم ، والضرّ الحالّ بكم ، ثم عدّتم في كفركم ونقضتم عهدكم ، الذي عاهدتم ربكم ، انتقمت منكم ، يوم أبطش بكم ، بطشتي الكبرى ، في عاجل الدنيا ، فأهلككم " ، الطبري .

" إنا كاشفوا العذاب قليلا ، وعد أن يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا ، أي في زمان قليل ، ليعلم أنهم لا يفون بقولهم ، بل يعودون إلى الكفر ، بعد كشفه ، قاله ابن مسعود . ومن قال ، إن الدخان منتظر ، قال ، أشار بهذا إلى ما يكون ، من الفرجة بين آية وآية ، من آيات قيام الساعة ، ثم من قضى عليه بالكفر ، يستمر على كفره . ومن قال هذا في القيامة ، قال أي لو كشفنا عنكم العذاب لعدتهم إلى الكفر ، وقيل ، معنى إنكم عائدون إلينا ، أي مبعوثون بعد الموت " ، القرطبي .

" وقيل : المعنى وارتقب الدخان ، وارتقب يوم نبطش ، فحذف واو العطف ، كما تقول : اتق النار ، اتق العذاب ، والبطشة الكبرى في قول ابن مسعود ، يوم بدر ، وهو قول ابن عباس ، وأبي بن كعب ، ومجاهد والضحاك ، وقيل : عذاب جهنم يوم القيامة ، قاله الحسن وعكرمة وابن عباس أيضا ، واختاره الزجاج " ، القرطبي .

" أي إن كشفنا عنكم العذاب ، كشفا قليلا ، أو زمانا قليلا عدتم ، والمـراد على ما قيل ، عائـدون إلى الكفر ، وأنت تعلم أن عـودهم إليه ، يقتضي إيمـانهم ، وقد مر أنهم لم يؤمنوا ، وإنما وعدوا الإيمان ، فإما أن يكون وعْدُهم مُنزلا ، مَنزلة إيمـانهم ، أو المـراد عائـدون إلى الثبـات ، على الكفر أو على الإقـرار والتصـريح به . (يـوم نبطش) يـوم نسـلّط القتل عليهم ونوسع الأخذ منهم ، وفي القـاموس ، بطش به ، أخـذه بـالعنف والسطوة ، كأبطشه ، والبطش ، الأخذ الشديد في كل شيء " ، الألوسي .

" فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه ، بيوم بدر ، وهذا قول جماعة ، ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه ، على تفسيره الدخان بما تقـدم ، وروي أيضا ، عن ابن عبـاس رضي الله عنهما ، من رواية العــــوفي عنه ، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه ، وهو محتمل . والظـاهر أن ذلك يـوم القيامة ، وإن كـان يـوم بـدر يـوم بطشة . وروى ابن جرير عن عكرمة ، قال : قال ابن عبـاس رضي الله عنهما : (قـال ابن مسـعود رضي الله عنه ، البطشة الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول هي يوم القيامة) ، وهذا إسـناد صـحيح عنه ، وبه يقول الحسن البصري وعكرمة ، في أصحّ الروايتين عنه ، والله أعلم " ، ابن كثير .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَـوْمَ فِرْعَـوْنَ وَجَـاءَهُمْ رَسُـولٌ كَـرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَـادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُـولٌ أَمِينٌ (18) وَأَنْ لَا تَعْلُـوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُـلْطَانٍ مُبِينٍ (19) وَإِنِّي عُـذْتُ بِـرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُـونِ (20) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (21) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22)

" يقول تعالى ، ولقد اختبرنا قبل هـؤلاء المشـركين ، قـوم فرعـون ، وهم قبط مصر ، وجاءهم رسول كريم ، يعني موسى كليمه ، عليه الصلاة والسلام " ، ابن كثير .

" (رسـول كـريم) أي مُكـرم معظّم عند الله عز وجل ، أو عند المؤمـنين ، أو عنـده تعالى وعندهم ، أو كريم في نفسه متصف بالخصال الحميدة والصـفات الجليلة حسـبا ونسـبا ، وقـال الـراغب : الكـرم إذا وصف به الإنسـان ، فهو اسم للأخلاق والأفعـال المحمودة ، التي تظهر منه ، ولا يقال هو كريم ، حتى يظهر ذلك منه " ، الألوسي .

" (وإني عـذت بـربي وربكم) أي التجـأت إليه تعـالى ، وتـوكلت عليه جل شـأنه (أن ترجمون) ، من أن ترجموني ، أن تؤذوني ضربا أو شتما ، أو أن تقتلـوني ، وروي هـذا عن قتادة وجماعة ، قيل : لما قال : أن لا تعلوا على الله ، توعّدوه بالقتل ، فقـال ذلك ، وفي البحر أن هذا ، كان قبل أن يخبره عز وجل بعجزهم عن رجمه بقوله ، (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) ، فكونوا بمعـزل مـني لا علي ولا لي ، ولا تتعرضـوا لي بسـوء ، فليس ذلك جـزاء ، من يـدعوكم إلى ما فيه فلاحكم ، فـدعا ربه بعد أن أصـرّوا على تكذيبه عليه السلام ، (أن هؤلاء قوم مجرمون) " ، الألوسي .

" وفيه اختصار كأنه قيل : أن هـؤلاء مجرمـون ، تنـاهى أمـرهم في الكفر ، وأنت أعلم بهم ، فافعل بهم ما يسـتحقونه ، قيل : كـان دعـاؤه عليه السـلام ، اللهم عجّل لهم ما يستحقون بإجرامهم ، وقيل : قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظـالمين ، إلى قوله ، فلا يؤمنوا حتى يـروا العـذاب الأليم ، وإنما ذكر الله سـبحانه السـبب ، الـذي اسـتوجبوا به الهلاك ، ليُعلم منه دعاؤه والإجابة معا ، وإن دعاءه على يـأس من أيمـانهم ، وهـذا من بليغ اختصارات الكتاب المعجز " ، الألوسي .

(... وَاتْـرُكِ الْبَحْـرَ رَهْـوًا إِنَّهُمْ جُنْـدٌ مُغْرَقُـونَ (24) كَمْ تَرَكُـوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُـــونٍ (25) ... كَــذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَــرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)

" يقول تعـالى ذكـره ، كم تـرك فرعـون وقومه من القبط ، بعد مهلكهم ، وتغريق الله إياهم ، من بساتين وأشجار وعيون ومقام كريم ، يقول وموضع كـانوا يقومونه شـريف كـريم . وقوله (كـذلك وأورثناها قوما آخـرين) يقـول تعـالى ذكـره ، وأورثنا جنـاتهم وعيـونهم وزروعهم ومقامـاتهم ، وما كـانوا فيه من النعمة قوما آخـرين ، وقيل عُـنيَ بالقوم الآخرين بنو إسرائيل " ، الطبري .

" (كذلك وأورثناها قوما آخرين) وهم بنو إسرائيل ، كما تقدم ، وقوله سبحانه وتعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) أي لم تكن لهم أعمال صـالحة ، تصـعد في أبـواب السـماء ، فتبكي على فقـدهم ، ولا لهم في الأرض ، بقـاع عبـدوا الله تعـالى فيها ، فقـدتهم ، فلهـذا اسـتحقوا أن لا يُنظـروا ، ولا يُـؤخروا ، لكفـرهم وإجـرامهم وعتـوهم وعنادهم " ، ابن كثير .

" قـال الزجـاج : أي الأمر كـذلك ، فيوقف على كـذلك ، وقيل : إن الكـاف في موضع نصب ، على تقـدير نفعل فعلا كـذلك ، بمن نريد إهلاكه ، وقـال الكلـبي : كـذلك أفعل بمن عصاني ، وقيل : كذلك كان أمرهم ، فأهلكوا ، وأورثناها قوما آخـرين ، يعـني بـني إسـرائيل ، ملّكهم الله تعـالى أرض مصر ، بعد أن كـانوا فيها مسـتعبدين ، فصـاروا لها وارثين لوصـول ذلك إليهم ، كوصـول المـيراث ونظـيره ، وأورثنا القـوم الـذين كـانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ، الآية " ، القرطبي .

(... وَلَقَـدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْـرَائِيلَ مِنَ الْعَـذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَـوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَـالَمِينَ (32) وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33) ...

" يعني ما كانت القبط ، تفعل بهم بأمر فرعون ، من قتل الأبناء ، واسـتخدام النسـاء ، واستعبادهم إياهم ، وتكلفهم الأعمال الشاقة ، وقيل : أي أنجينـاهم من العـذاب ، ومن فرعــون ، إنه كــان عاليا من المســرفين ، ولقد اخترنــاهم يعــني بــني إســرائيل " ، القرطبي .

" واختلف أهل التأويل ، في ذلك البلاء ، فقـال بعضـهم ابتلاهم بنعَمِه عنـدهم ، وقـال آخرون ، بل ابتلاهم بالرخاء والشدة ، وأولى الأقـوال في ذلك بالصـواب ، أن يقـال إن الله أخبر ، أنه آتى بـني إسـرائيل من الآيـات ، ما فيه ابتلاؤهم واختبـارهم ، وقد يكـون الابتلاء والاختبار بالرخـاء ، ويكـون بالشـدة ، ولم يضع لنا دليلا ، من خـبر ولا عقل ، أنه عــنى بعض ذلك دون بعض ، <u>وقد كــان الله اختــبرهم ، بــالمعنيين كليهما جميعا</u> " ، الطبري .

(... إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَـرِينَ (35) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ (36) أَهُمْ خَيْـرٌ ، أَمْ قَـوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، أَهْلَكْنَاهُمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37) ...

" (إن هــؤلاء) ، كفــار قــريش ، لأن الكلام فيهم ، وذكر قصة فرعــون وقومه ، <u>استطرادي للدلالة على أنهم مثلهم ، في الإصرار على الضـلالة ، والإنـذار على مثل ما حـلّ بهم</u> ، وفي اسم الإشـارة (هـؤلاء) تحقـير لهم (ليقولـون) : (إن هي إلا موتتنا

الأولى) أي ما العاقبة ونهاية الأمر ، إلا الموتة الأولى المزيلة للحيـــــاة الأولى ، (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين بعدها " ، الألوسي .

" (إن هؤلاء ليقولون ، إن هي إلا موتتنا الأولى ، وما نحن بمنشرين ، فـأتوا بآبائنا ، إن كنتم صادقين) ، يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيل مشركي قريش ، لنبي الله صـلى الله عليه وسـلم ، إن هـؤلاء المشـركين من قومك ، يا محمد ، ليقولـون إن هي إلا موتتنا الأولى ، الـتي نموتها ، وهي الموتة الأولى ، وما نحن بمنشـرين بعد مماتنا ، ولا بمبعوثين ، تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب " ، الطبري .

" (أهم خير أم قوم تبع ، والذين من قبلهم أهلكنـاهم ، إنهم كـانوا مجـرمين) ، يقـول تعـالى ذكـره ، لنبيه محمد صـلى الله عليه وسـلم ، أهـؤلاء المشـركون يا محمد من قومك خير ، أم قوم تبع يعني تبعا الحميري ، وكـانت عائشة تقـول : لا تسـبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا . وقوله (والذين من قبلهم) ، من الأمم الكافرة بربها ، يقـول فليس هؤلاء بخير من أولئك ، فنصفح عنهم ولا نهلكهم ، وهم بالله كـافرون ، كما كـان الـذين أهلكناهم ، من الأمم من قبلهم كفارا ، وقوله (إنهم كـانوا مجـرمين) ، إنما أهلكنـاهم لإجرامهم وكفرهم بربهم " ، الطبري .

" عن عائشة قالت : كـان تبع رجلا صـالحا ، ألا تـرى أن الله تعـالى ذم قومه ولم يذمه " ، الألوسي .

" (أهم خـير أم قـوم تبع) هـذا اسـتفهام إنكـار ، أي إنهم مسـتحقون في هـذا القـول العذاب ، إذ ليسوا خـيرا من قـوم تبع ، والأمم المهلكة ، وإذا أهلكنا أولئك فكـذا هـؤلاء " ، القرطبي .

" (والذين من قبلهم) أي قبل قوم تبع كعـاد وثمـود ، أو قبل قـريش فهو تعميم ، بعد تخصيص ، (أهلكناهم) ، استئناف لبيـان عاقبة أمـرهم هـدّد به كفـار قـريش ، (إنهم كانوا مجرمين) ، تعليل لإهلاكهم ، أي أهلكناهم ، بسبب كونهم مجرمين ، فليحذر كفار قريشا " ، الألوسي .

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَـارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُـونَ (59)

" أي أنزلناه سهلا واضـحا بينا جليا ، بلسـانك الـذي هو أفصح اللغـات ، وأجلاها وأحلاها وأعلاها ، (لعلهم يتـذكرون) أي يتفهّمـون ويعلمـون ، ثم لما كـان مع هـذا الوضـوح والبيان ، من الناس ، من كَفرَ وخالفَ وعاندَ ، قال الله تعالى لرسـوله صـلى الله عليه وسلم ، مسليا له وواعدا له بالنصر ، ومتوعدا لمن كذّبه بالعطب والهلاك ، (فارتقب) أي انتظر ، (إنهم مرتقبـون) أي فسـيعلمون لمن سـتكون النصـرة ، والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة " ابن كثير .

" (فإنما يسرناه بلسانك ، لعلهم يتذكرون ، فارتقب إنهم مرتقبون) يقول تعالى ذكره ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن ، الذي أنزلناه إليك بلسانك ، ليتذكر هؤلاء المشركون ، الـذين أرسـلناك إليهم ، بعِـبرِه وحُججه ، ويتعظـوا بعظاته ، ويتفكروا في آياته ، إذا أنت تتلـوه عليهم ، فيُـنيبوا إلى طاعة ربهم ، ويـذعنوا للحق عنـدما تـبينهموه . وقوله (فـارتقب إنهم مرتقبـون) يقـول تعـالى ذكـره ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك ، والنصر على هؤلاء المشركين بالله ، من قومك من قريش ، إنهم منتظرون ، عند أنفسهم قهـرك وغلبتك ، بصدهم عما أتيتهم به من الحق ، من أراد قبوله واتباعك عليه " ، الطبري .

" (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) أي كي يفهموه ، ويتذكروا به ويعملوا بموجبه ، (فارتقب) ، أي وأن لم يتذكروا بما يحلّ بهم ، وهو تعميم بعد تخصيص ، بقوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء ...حتى قوله ... إنهم مرتقبون) وقيل : معناه مرتقبون ما يحل بهم تهكما ، وفي الآية من الوعد له ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما لا يخفى " ، الألوسي .

سورة الدخان تُنذر قوما من أمة الإسلام كفروا بعد إيمانهم

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9)

هذا الوصف لم يكن بحال من الأحوال ، لمشركي قريش ، فهؤلاء كذّبوا وكفروا بما جاء به ، محمد عليه الصلاة والسلام ، جملة وتفصيلا . والشكّ في المعتقد عادة ، يتأتّى بعد الإيمان ، بوحي من شياطين الإنس والجنّ والهوى ، مما يدفع الإنسان في النهاية إلى الكفر . وأما اللعب ، جاء بمعنى الإعراض عما ينفع والاستهزاء به ، والانشغال بما لا ينفع ، بل وبما يضرّ ، وهي صفة يمتاز بها الصبية والأولاد الصغار ، لصغر عقولهم ، وقلة مداركهم ، وضيق أفقهم ، وعدم مقدرتهم ، على أخذ العبرة والعظة .

أما هؤلاء القوم من أمة محمد ، فهم في شك من أمر الله ، والشك هو انعدام اليقين ، بمعنى أنهم غير موقنين ، مما أخبر عنه في كتابه المبين ، الذي جاء به الرسول المبين ، بلسان عربي مبين ، من أمور الغيب ، وعلى رأسها انعدام اليقين بربوبية وألوهية الله ووحدانيته وإنكار البعث ، أي الشك بملكية الله للسماوات والأرض وما بينهما ، وقدرته على تصريف الأمور ، والشك بأمر البعث بعد الموت . لذلك فهم لا يتورعون ، عن اتخاذ دينهم هزوا ولعبا ، إذ لا بعث ولا حساب ولا عقاب يردعهم .

قال تعالى (**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ، لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (57 المائدة) ، فالذين يوالون الذين اتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، من اليهود والنصارى والكفار إجمالا ، وهم يُظهرون الإيمان ليسوا بمؤمنين ، فما بالك بمن يتخذ دين الإسلام ، هزوا ولعبا ويحاربه ، وهو ينتسب إليه .

وقال تعالى (**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** (70 الأنعام) ، وقال (**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** (51 الأعراف) .

فهؤلاء القوم يتصفون بأمرين :

الأول : أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

الثاني : أن شغلهم الشاغل هو الحياة الدنيا ، وأنهم يتخذون أمور دينهم ، مادة للهزء والسخرية واللهو .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)

نلاحظ أن المفسرين اختلفوا على ثلاثة مواقف ، فمنهم من وافق تفسير إبن مسعود ، ومنهم من وافق تفسير ابن عباس ، ومنهم من أخذ بالاحتمالين . وكلٌّ منهم أكمل تفسير السورة ، على ما ارتأى من صوابية اعتقاده ، بالنسبة لهذا الدخان . وأما من حيث زمن الوقوع ، فالاحتمال الأول ، يقول بأن الدخان والبطشة ، قد مضيا في مشركي قريش ، والاحتمال الثاني يقول بأنه قبل يوم القيامة ، والاحتمال الثالث يقول بأنه من أحداث يوم القيامة ، وللفصل في هذه الأقوال والمواقف ، سنستنبط صفات هذا الدخان من الآيات نفسها ، وصفات هؤلاء القوم وأفعالهم ، في نهاية الفصل ، بمعزل عن الروايات والتفسيرات السابقة ، فظاهر الآيات الكريمة ، يدل على أن ما ورد في الآيات ، هو نبأ دخان سيظهر في المستقبل ، والأقدر على بيان أمره ، هو من يعاصر ظهوره ، بعد اكتمال معالمه ، كما هي العادة ، في فهم وتفسير النبوءات المستقبلية .

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12)

وهذا هو دعاء المعُرضين عن ذكر الله ، كما هي العادة ، من المسرفين والمشركين والكفار ، من الناس إجمالا ، كلما مسّتهم الضراء والبأساء ، سواء من أمة الإسلام أو من غيرها ، كما في قوله تعالى (**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (12 يونس) .

ولاحظ ضمير المخاطب (كم) ، والذي يعود على المخاطبين بالقرآن ، في قوله تعالى (**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ، فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** (53) **ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** (54 النحل) ، وقوله (**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** (67 الإسراء) .

والأقرب والأظهر ، بالنظر في دعواهم تلك ، وإقرارهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم من الإيمان ، عند غشيان الدخان لهم ، أن يكون هؤلاء من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فسقوا عن دينهم مع كونهم مسلمين ، نفاقا على الأغلب ، وشركهم في الله جاء بعد الإيمان به . أما قريش فلم يكن هذا حالهم ، وما كان ليصدر منها هذا الدعاء ، فمنهم من أسلم ، ومنهم أصرّ على كفره ، أما النفاق فلم يعرفوه ، ولم يكن لهم فيه مصلحة ، ومن المعروف أن النفاق ، ظهر بعد انتشار الإسلام ، وهو ما حصل في المدينة المنورة ، لعدة غايات وأهمها وأخطرها ، هو سعيهم لمحاربة تعاليم الدين وهدم معالمه ، داخل المجتمعات الإسلامية ، وسورة الدخان مكية ، وحال هؤلاء ، كحال من قال فيهم سبحانه ، في مطلع سورة البقرة :

(**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : ءَامَنَّا بِاللَّهِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** (8) **يُخَادِعُونَ اللَّهَ ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (9)_ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** (10) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** (11)_ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** (12)_ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** (13)_ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا**

خَلَـوْا إِلَى شَـيَاطِينِهِمْ قَـالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْـتَهْزِئُونَ (14)_ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُـونَ** (15)_ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْـتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** (16 البقرة) .

حيث قـال سـبحانه (ومن النـاس) ، ولم يحصر هـذا السـلوك بطائفة من النـاس ، أو بزمن معين ، وهـذا السـلوك بـدأ بـالظهور ، بعـدما قـويت شـوكة الإسـلام في المدينة المنورة ، واستمر على مرّ العصور ، حتى يومنا هذا .

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14)

من أين لهؤلاء القوم الذكرى ؟! أي التوبة والإنابة إلى الله ، وقد سبق منهم الإعــراض ، عما جاء به الرسول الكريم ، الذي لا يُشكّك في كـرم أخلاقه ، أو حسـبه أو نسـبه أو لسانه العربي ، محمد عليه الصلاة والسـلام ، بعد مجيئه والإيمـان به ، والانتسـاب إلى دينه . وفضلا عن سبق الإعراض عن رسـالته ، بعد احتضـانها لمـدة من الـزمن ، تولّـوا عنه وأعرضــوا عما جــاء به ، واتهمــوه بــالتعلّم من الكهّــان والشــياطين ، بحــوادث ميتافيزيقية ، وأضـــافوا إليه صـــفة الجنـــون ، إمعانا منهم ، في الإجـــرام والافـــتراء والاستهزاء ، فإن سلم من الكهانة ، لم يسـلم من الجنـون . فـيردّ عليهم ربهم قـولهم هـذا ، بقوله لرسـوله (**فَـذَكِّرْ ، فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَـةِ رَبِّكَ بِكَـاهِنٍ وَلَا مَجْنُـونٍ** (29 الطور) ، (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** (4 القلم) ، (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَـرِيمٍ** (40 الحاقة)

وسُتفاجأ أخي المسلم ، أن المقصود بهذا القول ليسوا مشركي قريش ، بل مشركي ومنافقي هذا العصر من أمة الإسلام ، وأنهم قالوا هذا القـول وأكـثر ، في رسـول الله عليه الصلاة والسـلام ، تحت رعاية ودعم حكـومي مـادي ومعنـوي ، وأن هـذا الافـتراء ذاته ، هو الذي أخبر عنه سبحانه ، وهو من أكبر الأسباب الموجبة لعقابهم .

إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15)

ويُخبر سبحانه بأنه سـيرفع العـذاب عنهم قليلا ، بعد انعقـاد أسـبابه ، بكشف الـدخان ، بعد نيلهم قسطا من أذاه ، نزولا عند رغبتهم السابقة ، وإقرارهم بالإيمان عند غشـيانه لهم ، فالدخان مجرد تحذير ، ولفت انتبـاه لهم ، بـأن الله هو رب السـموات والأرض ، وبأنه قــادر على إمــاتتهم وإهلاكهم ، كما أمــات آبـائهم ، ولئلا تكن لهم حجّة ، بأنه لم يعطهم الفرصة للتوبة والإنابة ،. ومن ثم يٌقرّر سبحانه بأنهم سيعودون ، لما كانوا عليه ، من الشك واللعب ، وسيضيفون إليها التولي والإعـراض والعصـيان والاتهـام لرسـوله الكريم ، ليستوجبوا عن جدارة واستحقاق ، أن يبطش بهم رب العزة بطشته الكبرى .

قال تعالى : (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم** (61 التوبة) ، وقـال (**الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَـدَّ لَهُمْ عَـذَابًا مُهِينًا** (57 الأحزاب) .

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)

أما بطش رب العزة ، فهذا وصفه (**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** (12 البروج) . ونستطيع تصوّر طبيعة هـذه البطشة ، من قوله تعـالى في سـورة القمر (**كَذَّبَتْ قَـوْمُ لُـوطٍ بِالنُّذُرِ** (33) **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** (34) **نِعْمَةً**

مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35)ـ **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ** (36)ـ **وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** (37) **وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ** (38)ـ **فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** (39)ـ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** (40 القمر) ، وتمـاروا بالنُـذر ، أي كـذّبوا إنذارات لوط عليه الصلاة والسلام ، وتحذيراته لهم ، وأكثروا الجدال والاستهزاء بها ومنها ، فبطش بهم ربهم ، وما وقع من قوم لوط ، هو ما وقع من هؤلاء ، بعد أن جاءهم هذا رسولهم الكريم ، نذيرا من غضب الله ، فغشيهم الدخان ، وستبغتهم البطشة الكبرى ، وهم ما زالوا يُمارون ويتمارون ، في شكٍ يلعبون ، من أمر هذا الرسول المبين ، وأمر هذا الكتاب المبين ، وأمر هذا الدخان المبين .

ـ وما نزل بقوم لوط نستخلصه من الآيات التالية :

(... **إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** (81)ـ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ، جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ، حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ** (82)ـ **مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** (83 هود) .

كان ذلك في الصباح الباكر ، حيث رُفعت قرية لوط عليه الصلاة والسلام بمن فيها ، إلى السماء ، وتقول بعض الروايات أن الملائكة في السماء الأولى سمعت نباح كلابهم ، ومن ثم قُلبت ، ورُميت من ذلك الارتفاع الشاهق إلى الأرض ، فأحدثت ذلك الجرف الجغرافي ، الممتد من على طول نهر الأردن ووادي عربة ، ومن ثم أمطرت بالحجارة ، التي لا تزال ظاهرة ، إلى يومنا هذا ، بانغراسها في الطين المتحجّر ، في تلك المنطقة على سواحل البحر الميت ، وفي سفوح الجبال حوله . وخلاصة القول ، أن البطشة تعني خراب الديار وهلاك أهلها ، بغض النظر عن الوسيلة ، مشهد يحمل في ثناياه أبشع صور للانتقام الإلهي ، حين يوغل الناس بإصرار في الإجرام ، بحق الله وحق رسله الكرام ، دون وازع أو رادع ، ضاربين بإنذارات ربهم عُرض الحائط ، مستحقّين بذلك غضبا إلهيا عارما ، سيسكبه على رؤوسهم عاجلا أم آجلا .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ... فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22)

ومفاد الآيات أعلاه ، هو أن حال هؤلاء القوم ، مع محمد الكريم الأمين المبين ، عليه الصلاة والسلام ، كحال فرعون وقومه مع موسى الكريم الأمين المبين ، عليه الصلاة والسلام ، وذلك نفيا لما قاله هؤلاء عنهما ، سواء من فرعون وقومه ، أو ممن أشرك وكفر من أمة محمد . ومن تشبيه الحال بالحال ، نستطيع التعرف على موقف هؤلاء القوم من محمد ، من خلال معرفة موقف فرعون وقومه من موسى ، الذي ورد بالتفصيل في القرآن الكريم ، حيث أن الآيات ، التي تصف موقف فرعون وقومه من موسى ورسالته ، تكاد تبين ما تحويه سورة الدخان ، من مقاصد إلهية ، تكتنفها الآيات الكريمة .

حال فرعون وقومه مع موسى :

ـ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فرعون وقومه ، إلى تقوى الله ، فجادلوه واستهزءوا به ، وبما جاء به ، وأنكروا ربوبية الله ، واتهمه فرعون بالجنون ، وهدّده بالسجن ، إن اتّخذ إلها غيره ، فأراه موسى آيات ربه الكبرى ، فاتهمه بالسحر ، وببلوغه مرتبة عالية في علمه ، ليصبح كبيرا السحرة ، ونفّذ تهديده فيمن اتبعه وآمن به من السحرة .

(**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (10)ـ **قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ** (11) **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** (12) ... **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (16)ـ **أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** (17)ـ ... **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** (23)ـ **قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** (24)ـ **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ** (25)ـ **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ** (26) **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** (27) **قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** (28)ـ **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** (29)ـ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ** (30)ـ **قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** (31)ـ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** (32)ـ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** (33)ـ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** (34)ـ ... **قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** (49) ... (الشعراء) .

ولهذا تشابهت لغة الخطاب وتشابهت الحجة في قول الرسولين الكريمين :

موسى : (**قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** (24)ـ ... **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ** (26 الشعراء)

محمد : (... **رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** (7)ـ ... **رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ** (8 الدخان)

ـ فأنذرهم الله بعذابات ، من المألوفة للناس ، كالقحط والجوع ، مشعرا إياهم بقدرته على أخذهم ، لعلهم يرجعون ، ولكنهم ردّوا هذه الابتلاءات ، إلى " الوشّ النحس " (باللهجة المصرية) ، لموسى ومن معه ، ولم ينسبوها إلى الله . وأصرّوا على كفرهم ، فأرسل عليهم ما لم يألفوه ، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . ولكنهم لما وقع بهم العذاب وعاينوه ، وعدوا موسى بالإيمان ، في حال كُشف عنهم . ورُفع العذاب عنهم لأجل مسمى ، هم بالغوه ، وفور شعورهم بالرخاء ، نكثوا عهدهم وعادوا لما سبق ، فانتقم الله منهم ، لتكذيبهم لآيات الله وغفلتهم عنها .

(**وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** (130)ـ **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ، قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ، يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (131)ـ **وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ ، لِتَسْحَرَنَا بِهَا ، فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** (132)ـ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ، ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ، فَاسْتَكْبَرُوا ، وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** (133)ـ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ، قَالُوا : يَمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** (134)ـ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ ، إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ** (135) **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ، بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** (136) **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ، مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** (137 الأعراف) .

ـ فما آمن لموسى ، سوى فئة قليلة من مجموع بني إسرائيل ، وتبعهم فرعون إلى البحر ، وعندما أدركه الغرق ، ندم الإله فرعون ، فخان قومه ، وأعلن توبته وإيمانه بإله آخر ، هو الإله ، الذي آمنت به بنوا إسرائيل ، حسب قوله .

(**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** (75)ـ ... **فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ، أَنْ يَفْتِنَهُمْ ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** (83)ـ ... **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ، قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (90 يونس) .

ـ وأما عامة المصريين ، فقد اتبعوا إلههم وربهم الأعلى فرعون ، بعد أن استخفّ عقولهم فأطاعوه ، وأضلّهم عن السبيل ، فكانوا قوما فاسقين كـإلههم ، ومن الغريب أن صفة خفة العقل ، صفة متوارثة لغاية الآن في عامة الشعب المصري ، إلا من رحم ربي ، كما ورث أهل العراق صفة البأس الشديد من أجدادهم البابليين .

(**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ، فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ، لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** (38 القصص) . (**فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى** (20) **فَكَذَّبَ وَعَصَى** (21) **ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى** (22) **فَحَشَرَ فَنَادَى** (23) **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى** (24 النازعات) . (**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** (54 الزخرف) . (**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** (79 طه) .

ـ أما علية القوم ، حاشية السوء فكان رأيهم أنهم هم المصلحون ، وأن موسى ومن معه من المؤمنين بالله ، هم المُفسدون في الأرض ، وكذلك رأي فراعنة هذا العصر ، في المصلحين من الناس ، بمعنى أنهم سيدفعون الناس إلى عبادة الله ، فيتركوا عبادة آلهة فرعون ، مما يجعلهم يستنكفوا عن طاعته ، فتُقوض بذلك أركان ملكه ، مما يؤول به إلى الزوال ، فتفسد الأرض ، لذلك يجب التخلص من شرورهم ، بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقهرهم ، وقتل الرأس المحرّكة للفتنة .

(**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** (127 الأعراف) . (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** (26)

ـ وأما مؤمن آل فرعون ، كان له رأي آخر ، إذ قال لقومه ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟!

(**يَقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ، ... قَالَ فِرْعَوْنُ : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** (29 غافر) . وعلى هذا ، فليحذر فراعنة أمة الإسلام الجدد ، الذين يهدون الناس إلى سبيل الرشاد الخاص بهم ، من بأس الله !!

ـ وجاء نصر الله لرسوله الكريم ، فأنجاه من مكر فرعون وملئه ، وأنزل بهم ما استجلبوه على أنفسهم ، من عذاب الدنيا والآخرة .

(**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** (45) **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَـوْنَ أَشَـدَّ الْعَذَابِ** (46 غافر)

ـ وأخـيرا ، تهديد وتحـذير شـديد اللهجة ، لمن كفر بالنـذير محمد ، من ملاقـاة نفس المصـير ، فليس هنـاك اسـتثناء لأحد ، حـتى ولو انتسب لأمته وادعى الإسـلام ، فملة الكفر عند رب العزة واحدة ، ومصيرها واحد ، إذ لا خيرية في الكفر .

(**وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ** (41) **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ** (42) **أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ** (43 القمر) . (**إِنَّا أَرْسَـلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُـولًا ، شَـاهِدًا عَلَيْكُمْ ، كَمَا ، أَرْسَـلْنَا إِلَى فِرْعَـوْنَ رَسُولًا** (15) **فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** (16 المزمل) .

وقد جانب الصواب من ظنّ ، بأن الذين ورثوا أرض مصر ، هم بني إسـرائيل ، فتـاريخ مصر القديم والحديث ، لا يـدل على ذلك ، وكـذلك تـاريخ بـني إسـرائيل ، في القـرآن والسنة والتوراة والتلمود ، كما بيّناه سابقا ، وأما المقصـودين بوراثتها ها هنا ، هم أهل مصر ، من أبنـاء من بقي ، من قـوم فرعـون وعبيـده ، الـذين لم يُهلك منهم في اليم غرقا ، سوى من تبع بني إسرائيل ، أثناء خروجهم من مصر ، أما الأرض التي ورثها بنو إسرائيل ، بعد خروجهم من مصر ، فهي الأرض المقدّسة والمباركة أي فلسطين .

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَـذَابِ الْمُهِينِ ... وَءَاتَيْنَـاهُمْ مِنَ الْآيَـاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33)

ويُذكّر سبحانه بإنجائه بني إسرائيل ، من فرعون وقومه ، وبما آتى نـبيهم موسى عليه الصلاة والسلام ، من معجزات بيّنات ، في مصر وأثنـاء خـروجهم منها ، شـاهدوها بـأم أعينهم ، ويذكّر سبحانه بأنه وبـالرغم من تفضـيلهم ، وابتلائهم بالسـرّاء والضـرّاء ، فما كـان من أكـثرهم إلا الكفر والفسـوق والعصـيان ، وإيـذاء نـبيهم موسى عليه الصـلاة والسلام ، فأنزل بهم وعليهم ربهم العذاب تلو العذاب ، مما فصلناه في فصل سـابق . وكما حـاول فرعـون إيـذاء موسى ومن منعه من المؤمـنين ، كـذلك فعل بنو إسـرائيل أنفسهم ، بموسى بعد النجاة ، (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِـهِ : يَقَـوْمِ لِمَ تُـؤْذُونَنِي ؟! وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، فَلَمَّا زَاغُـوا ، أَزَاغَ اللَّهُ قُلُـوبَهُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْفَاسِـقِينَ** (5 الصف) ، ومجمل من تقـدّم ذكـرهم في سورة الدخان ، يقول فيهم سبحانه :

إِنَّ هَـؤُلَاءِ لَيَقُولُـونَ : إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى ... أَهْلَكْنَـاهُمْ ، إِنَّهُمْ كَـانُوا مُجْرِمِينَ (37)

يُقرّر سبحانه وتعالى بأن (**هَؤُلَاءِ**) أي أصحاب الدخان ، يُنكرون البعث والنشور ، كما يُقرّر سبحانه وتعالى ، أنهم ليسوا بخير من قوم تبع ، والـذين من قبلهم ، حيث أهلكهم الله بإجرامهم . ومن المفهوم ضمنا ، بـأن في هـذا وعيد ، لمن يُجرمـون في حق الله ورسـله وكتبه ، وينكـرون البعث . حيث أنهم لو آمنـوا ، بحقيقة رجعتهم إلى الله في اليوم الآخر لتقديم الحسـاب ، ونيل ما تـرتب على أقـوالهم وأفعـالهم تلك ، من ثـواب وعقاب ، وتحصّل لديهم اليقين بذلك ، لما تجرّأوا على الإجـرام ، كما أجـرم الـذين من قبلهم . فهم في شك يلعبون ، ومصيرهم الهلاك لا محالة ، وانظر قوله تعـالى موضـحا حقيقة حـــالهم ، وهو أعلم بما يعتمل في صـــدورهم ، وحقيقة موقفه منهم ، ومن أمثالهم ماضيا ومستقبلا :

قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (38) **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِلَّا مَقْتًا ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ ، إِلَّا خَسَارًا** (39)ـ **.... وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ، لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ، مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا** (42) **اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَكْرَ السَّيِّئِ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** (43)ـ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ، فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** (44)ـ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ، بِمَا كَسَبُوا ، مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا** (45 فاطر) .

وقال (**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ، لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** (85 غافر) .

- إذن لا أحد ممن أجرم في حق الله ، بمفازة من العذاب ، وما تركهم في طغيانهم يعمهون ، إلا لحين مجيء أجلهم المُعلوم سلفا ، وتأخير العذاب عنهم ، ما كان لعجز ، أو لقصر ذات يد . إذ أنهم كلما أمعنوا في الكفر ، كلما ازدادوا مقتا وغضبا وخسارة ، وكلما اقترب إليهم أجلهم ، وهم لا يشعرون ، ولن يقبل إيمانهم ، عند معاينة العذاب ، بعد أن حق القول عليهم ، وصدر الحكم بكفرهم ، ونفذ قضاء الله فيهم .

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59)

أي أن الله سبحانه سهّل هذا القرآن ، بلسان عربي مبين ، وجعله قابلا للفهم والهضم ، لمن أراد فهمه ، رغبة في الذكرى والتذكّر ، ومن لم يُرد الذكرى منه ، وارتاده لأمر ما غير ذلك ، حُجب عنه الفهم ، ووجده طلاسم ورموز لا يفقه منها شيئا ، فكذّب وجادل وكفر ، ونسب إلى كتاب الله ، ما ليس فيه ، وأعرض عن اتباعه ، ونهى عن العمل به ، وحاربه بشتى الوسائل والسبل :

قال تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** (21)ـ **... وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** (25)ـ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ** (26)ـ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا : يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** (27) **بَلْ بَدَا لَهُمْ ، مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** (28)ـ **وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** (29 الأنعام) .

(فارتقب) خاص برسوله عليه الصلاة والسلام ، وفيه وعد بنصرته ونصرة أتباعه ، بإهلاك خصومه ، وعام لمن يُخاطبهم القرآن ، (إنهم مرتقبون) أي مرتقبين هلاكهم ، غير مصدّقين ، مستهزئين غير عابئين ، بما وعدهم الله من أمر البطشة الكبرى ، وفيه تهكّم من الله بهم وتحقيرا لشأنهم . وقوله (فارتقب) يفيد أن ذلك سيقع مستقبلا ، وفيه حثّ على الترقّب والانتظار ، كقوله (فارتقب يوم تأتي السماء) لمعاينة الحدث

الأول ، (أي الدخان) الذي بيّن رب العـزة خـبره ، وبيّن ما سـيكون قـولهم عند نزوله بهم ، وما سيكون مـوقفهم بعد كشـفه عنهم ، ومن ثم (فـارتقب) في آخر السـورة ، لمعاينة الحدث الثاني (أي البطشة الكبرى) ، لتعلم وليعلم المؤمنـون ، بـأن ما أخـبر عنه هذا القرآن الكريم المبين هو الحق ، وأن من أنزله هو الحق ، وأن ما يُنكره هؤلاء بكفرهم ، هو الحق فلا يُضيرك ويُضـير المؤمـنين به ، كفـرهم وفسـوقهم وعصـيانهم ، فلن تأسف عليهم السماء ولا الأرض ، كما لم تأسف على من أهلكناهم من قبل ، قال تعالى (**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَـدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (105المائدة) .

صفات الدخان :

1. بيّن واضح لا لُبس فيه ، لا يختلف عليه اثنان ، وهو المعروف المألوف بين الناس ، وهو الذي ينجم عن عملية الحرق في العادة ، ذو طبيعة غازية ، ولون أسود ، ورائحة كريهة نفّاثة مؤذية ، بدلالة قوله تعالى (**بِدُخَانٍ مُبِينٍ**) .
2. هو من الأمـور المنتظـرة والمرتقبة ، قـادم لا محالة في يـوم من الأيـام ، بدلالة تنكير كلمة (**يَوْمَ**) .
3. مصدره من السـماء ، لا الأرض ، بدلالة قوله تعـالى (**تَأْتِي السَّـمَاءُ**) ، أي أن السماء ستأتي به ، وبذلك ستكون الغازات المؤلفة لهذا الـدخان ، غـير تلك الغـازات ، التي تؤلف الدخان الناجم ، عن الحرائق على الأرض .
4. ظهوره مفاجئ ومباغت ، وغـير مسـبوق بما يُنـبئ عن قدومه ، لكي يتعـذر على الناس ، إيجاد تبريرات وأسباب مادية ومنطقية لظهوره ، ليؤكد سبحانه ، بـأن مصـدره هو السـماء ، وأنه عـذاب من عنـده ، وأنه نـذير سـوء ، وأن هنـاك ما هو أفظع منه وأقسى ، ألا وهو البطشة الكبرى ، بدلالة قوله تعالى (**فَارْتَقِبْ**) ، وهو خطاب بلفظ المفرد خاص برسول الله عليه السلام ، ومـراد به العمـوم ، ممن يسـوءهم ما يسـوء الله ورسوله ، أي فارتقبوه لتعرفوه إذا ظهر ، وليرتقبه المعنيين به ليحذروا ، ما يكـون من أمر الله بعده .
5. إحاطته بالناس من كل الجوانب . بمعنى أنه ينزل من السماء ، ويمكث قريبا من الأرض ، ملازما للناس ، يملأ عليهم معايشهم ومساكنهم ، بدلالة قوله تعالى (**يَغْشَـى النَّاسَ**) ، والنـاس هنا ، هم الـذين سـيُظهرون الشك واللعب في أمر دينهم ، دون غيرهم ، لأن الآيات السـابقة لها حـدّدت حقيقة معتقـدهم (في شك) ووصـفت فعلهم (يلعبون) . وفي العادة فإن الدخان ، يتصاعد إلى أعلى بعيدا عن الناس ومسـاكنهم ، ومن ثم ينتشر في السـماء ويختفي تـدريجيا ، ومن ثم تمـتزج ذراته مع ذرات المـاء والغبار ، وتترسب وتعود إلى سطح الأرض ، خلال سـويعات قليلة . ولكن هـذا مخـالف لكل ما سـبق ، يهبط من أعلى إلى أسـفل ، ويبقى ملازما للأرض وللنـاس ، ولا ينتشر ولا يترسب ، حتى تتحصّل الغاية من إرساله ، بتعذيب أولئك القوم .
6. يُصاب الناس منه بـالأذى والضـرر ، وعـادة ما يُحـدث الـدخان ضـررا ، في الأنف والعين والحنجـرة ، وقد يتسـبّب بحـالات اختنـاق نتيجة نقص الأوكسـجين ، في أسـوأ الأحـوال ، من جـراء غشـيانه وإحاطته بهم ، ولكن دون المـوت والهلاك ، بدلالة قوله تعالى (**هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**) ، وهـذا تقرير من رب العـزة بأنه عـذاب ، لمن قد يُشـكّك في ذلك ، أي أن المقصـود بإنزاله ، تعـذيب من يـنزل بهم ، وليس مـوتهم ، لأمـور اقترفوها ، توضّحها الآيات فيما يليها .

7. هذا الدخان حدث عارض ، وغشيانه للناس مؤقت ، وانكشاف هذا الدخان ، سيكون بأمر من الله ، لقوله (**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا**) ، إذ أن الهدف منه هو الإنذار فقط ، بالرغم من انعقاد الأسباب الموجبة للعذاب ، ولكن يلزم الإصرار من قبل القوم ، على ما هم فيه من العتو والكبر ، قبل نزول البطشة الكبرى بهم ، وهذا رحمة من الله ، حتى بمن يؤذيه ، ويؤذي رُسله من عباده .

حقيقة معتقد هؤلاء القوم وصفة أقوالهم وأفعالهم :

1. انعدام اليقين بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكل ما أخبرت عنه الكتب السماوية ، (**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ**) .
2. الإعراض عن آيات الله ، والاستهزاء بها ، واتخاذها هزوا ولعبا ، كمادة للتسلية والفكاهة والتندر (**يَلْعَبُونَ**) .
3. النفاق حتى مع الله ، فحقيقة أفعالهم ، تتنافى مع ما يُظهرونه ، من إيمان أو انتساب للإسلام ، فقولهم هو (**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**) ، وشهادة رب العزة تُكذّب قولهم (**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**) .
4. الكفر بعد الإيمان ، بالإعراض عن هدي رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، (**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ**) .
5. الطعن في خلقه الكريم ، واتهامه بالجنون أي المس ، وبالتعلّم من البشر والكهان والسحرة ، (**وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ**) .
6. محاربة الله وإيذاء رسوله وأوليائه من الناس ، من تضييق وتعذيب وقتل ، ومحاربة الإسلام ، والطعن في تعاليمه ، وإضلال الناس وإبعادهم عن الحقيقة ، وهدي الناس بغير هدي محمد ، عليه الصلاة والسلام ، واتهام المُصلحين من الناس ، بالمفسدين في الأرض ، خشية أن يُبدّل هؤلاء المصلحون دينهم الجديد الذي يدينون ، بإحياء الدين الإسلامي من جديد ، ، وهذه هي أقوال وأفعال فرعون وقومه ، ومستفادة من تشبيه حال هؤلاء القوم ، بحال فرعون وقومه ، وكذلك بحال بني إسرائيل .
7. إنكار البعث والنشور وما يليه من حساب ، وثواب وعقاب ، (**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ : إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ**) .
8. ماديّون منشغلون ومتفانون في الحياة الدنيا ، فهم من عُبّاد الدنيا ومظاهرها الخادعة ، لا يؤمنون إلا بما هو محسوس ، من الدلائل الدافعة للشك والموجبة لليقين ، لطلبهم الدليل المادي بقولهم (**فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) ، للتأكد من حقيقة القدرة على البعث ، وما هم بموقنين ، فعقولهم قاصرة عن فهم الدلائل العقلية ، المطروحة في القرآن ، والتي لا تتحصّل إلا بالتفكّر والتدبّر .
9. مجرمون ومصرّون على إجرامهم ، فلا وازع ولا رادع ، يثنيهم عن غيهم وطغيانهم ، ولا تعنيهم التحذيرات والنذر ، (**أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**) .

ظهور هذا الدخان بصفته الموضحة أعلاه ، لم يتحصّل في حياته عليه الصلاة والسلام ، حيث لو عاينه في حياته لأخبر عنه ، أو أخبر عنه أصحابه ، ولورد خبره في كتب السيرة والتاريخ ، وليس من المنطقي أن يكون من أحداث يوم القيامة ، أو من أشراطها الكبرى ، فصفته وصفة هؤلاء القوم ، والغاية من غشيانه لهم ، كما تُبينها

الآيات ، لا تتفق مع كونها أحد أشراط الساعة الكبرى ، والتي سيُعاينها مجمل البشر ، بينما هذا الدخان ، خاص بأناس من أمة الإسلام ، وسبب غشيانه لهم ، هو أنهم كفروا بعد أن كانوا مسلمين ، وأما السبب الموجب للبطشة الكبرى ، هو إيذاءهم لرسوله الكريم ، بالرغم من تحذيرهم بالدخان .

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ)

جاء في لسان العرب أن " جماع معنى الفتنة ، الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها ، مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب ، إذا أذبتهما بالنار ، لتميز الرديء من الجيد " . ويتضح معناها من قوله تعالى (**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** (35 الأنبياء) ، وقوله تعالى (**الم** (1)_ **أَحَسِبَ النَّاسُ ، أَنْ يُتْرَكُوا ، أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا ، وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** (2)_ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** (3)_ ... **وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ** (11 العنكبوت) ، ليكون معنى الفتنة ، هو الامتحان والاختبار ، ويكون ذلك بالابتلاء بالشر أو بالخير ، ليعلم الله الصادق من الكاذب ، وليعلم المؤمن من المنافق .

والملاحظ في الآيات أعلاه ، أن المخاطب في الآية (35) من الأنبياء ، هم المعاصرين لرسالة الإسلام ، وأن الحديث في الآية (2) من العنكبوت ، كان عن الناس إجمالا وبشكل عام . أما قوله (ولقد فتنا الذين من قبلهم) فالضمير (هم) يعود على المعاصرين لرسالة الإسلام ، والذين فتنوا من قبلهم ، هم كل من سبقت فتنتهم ، قبل مجي الإسلام ، إذ لم يكن في هذه العبارة ، تحديد لأقوام بعينها سبقت فتنتها ، فهي أسبقية زمانية لا مكانية .

وأما في سورة الدخان ، فيقول سبحانه وتعالى ، (ولقد فتنا قبلهم) ، وضمير الغائب (هم) في كلمة (قبلهم) ، يعود حصرا على أصحاب الدخان ، الموعودين بالبطشة الكبرى ، وبمجيء التحديد لقوم بعينهم ، بقوله تعالى (قوم فرعون) ، تصبح أسبقية (قوم فرعون) لهؤلاء الناس ، مكانية وزمانية في آن واحد ، ونلاحظ هنا ، أن الفتنة كانت للقوم بشكل عام ، إذ لم يقل سبحانه (فرعون) أو (فرعون وقومه) أو (فرعون وملئه) ، وإنما قال (قوم فرعون) .

ليصبح المعنى ، بأننا قمنا بامتحان واختبار ، هؤلاء القوم (أصحاب الدخان) ، فكان منهم ما كان ، من أمر رسولهم ، ورسبوا في الامتحان الذي قُدّم إليهم ، بمجيء محمد عليه الصلاة والسلام ، الرسول الكريم ، وتبيّن لنا وتأكّد أنهم كاذبون ، فاستحقوا بطشتنا الكبرى ، فبطشنا بهم ، كما كنا قد فتنا قبلهم في نفس الأرض ، قوم فرعون ، ببعث رسولنا الكريم موسى إليهم ، فكذبوه وحاربوه واتهموه بالسحر والجنون ، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

وهنا نفهم من قوله تعالى ، (يغشى الناس) ، بأن المقصودين هنا ، أناس بعينهم لا جملة البشر ، وحقيقة هؤلاء الناس موضحة ، في الآيات بشكل لا لبس فيه ، وأهم ما يتميّزون به هو الكفر والنفاق ، وأن هذا الدخان سيغشاهم كعذاب وليس كابتلاء ، وذلك لكفرهم ونفاقهم ، مما ينفي أن هذا الدخان سيُبتلى به عامة البشر ، من مؤمنين وكفار ومنافقين ، ويُفهم من قوله (الناس) ، أنه سيغشى عامة الناس المقيمين في المكان ، الذي أحدث الناس فيه ، ما وصفته الآيات أعلاه ، دون سائر البشر .

أما الإشارة الثانية للمكان فجاءت في قوله تعالى (**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ** (30) **مِنْ فِرْعَوْنَ** ...) ، ونجاتهم كانت بخروجهم من مصر ، وذكر

بـني إسـرائيل أيضا جـاء هنا ، لاشـتراكهم مع الفراعنة بالفسـاد والإفسـاد في الأرض ، وانعـدام الإيمـان بالله واليـوم الآخر ، ومحـاربتهم لله ولرسـله وأنبيائه والصـالحين من الناس ، قبل العلو وبعده ، فأنزل الله بهم العذاب تلو العذاب .

وقوله تعالى (**... إِنَّ هَؤُلَاءِ ...**) أصـحاب الـدخان ، (**... أَهْلَكْنَـاهُمْ ، إِنَّهُمْ كَـانُوا مُجْرِمِينَ** (37) وفيه تهديد ضمني ، للمخـاطبين بـالقرآن ، من كفـرة أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، بالإهلاك كما أهلك الذين من قبلهم ، لما فعلوا مثل فعلهم .

ترتيب المشاهد حسبما وردت في سورة الدخان :

المشهد الأول : الشك واللعب .

المشهد الثاني : غشيان الدخان للناس ، ومن ثم زواله .

المشهد الثالث : العودة لما كانوا عليه ، بل والإمعـان في التـولي والإعـراض ، وأخـيرا الإساءة لرسول الله .

المشهد الرابع : البطشة الكبرى .

تساؤلات :

والسؤال الأول : هل ظهر الدخان في مصر ، حيث مكان إقامة فرعون وقومه ؟

والسؤال الثاني : هل كان أهل مصر ، (**فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ**) ، قبل ظهور الدخان ؟

والسؤال الثالث : هل أمعن أهل مصر ، في التولي والإعراض ، عما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بعد ظهور الدخان ، (**وَقَالُوا** _ عنه _ **مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ**) أيضا ؟

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين

في هـذا الفصل ، سـنعرض جانبا من مقـالات ، أوردتها صـحيفة الأهـرام المصـرية ، تتحدث عن سـحابة كثيفة من الـدخان الأسـود ، غشـيَت سـكان القـاهرة ، في الفـترة الواقعة ، ما بين 20 – 30 /10 / 1999م .

سر سحابة الدخان التي أزعجت سكان القاهرة الكبرى !!

الصفحة الأولى / الأحد / 15 من رجب 1420 هـ ، 24 أكتوبر 1999 ، السنة 124 – العدد 41229

موقع الصـفحة على شـبكة الإنـترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/24/FRON15.HTM

تزايدت طوال الليلة الماضية ، ظاهرة تراكم الأدخنة والغـازات والـروائح النفـاذة ، في سـماء مدينة القـاهرة ، والمسـتمرة منذ نحو ثلاث ليـال سـابقة ، وقد وصـلت هـذه الظاهرة ، في مساء أمس إلى حد ، تسبب في حالة من القلق ، بين سكان القـاهرة ، وطوال الليل ، لم تنقطع الاتصالات التليفونية من المواطـنين ، إلى الأهـرام ، يشـكون ويستفسـرون ، بعد أن اضـطروا إلى إغلاق نوافذ منـازلهم ، وبعد لجـوء بعضـهم إلى المستشفيات ، لعلاج الالتهابات التي أصيبت بها عيون أطفالهم .

وفي محاولة لتفسير هذه الظاهرة ، أجرت الأهرام عـدد من الاتصـالات ، مع مسـئولي الأرصـاد الجوية والبيئة ، طـوال ليلة أمس . فقد صـرح مصـدر مسـئول بهيئة الأرصـاد الجوية ، لفوزي عبد الحليم ، مندوب الأهرام ، بأن الظاهرة ناتجة عن حرق المزارعين ، في المحافظات حول القاهرة ، لمخلفات محصول الأرز ، بالإضافة إلى تراكم الأدخنة ، الناتج عن عوادم السيارات والمصانع ، وتزامنت هذه الأدخنة ، مع وجود مرتفع جـوي شمال البلاد ووسطها ، أدى إلى احتباس حراري ، واستقرار الحالة الجوية ، الأمر الذي أدى بدوره إلى تركيز الأدخنة ، في طبقة الهـواء القريبة من سـطح الأرض ، واحتفـاظ الهواء بكل مكوناته . وقال إنه من المنتظر ، انتهاء هذه الظاهرة ، فور تحـرك المرتفع الجوي بعيدا عن القاهرة .

ومن ناحية أخرى ، نفى الدكتور إبراهيم عبد الجليل ، الـرئيس التنفيـذي لجهـاز شـئون البيئة ، ما تـردّد على ألسـنة المواطـنين ، عن وجـود حرائق بمنـاطق تجمّع القمامة ، حول القاهرة والجيزة ، كمصـدر لانتشـار هـذه الأدخنة في القـاهرة . وقـال إنه أجـرى اتصــالا بمحافظ القليوبية ، المستشــار صــبري الــبيلي ، أكــدّ خلاله انتشــار الأدخنة بالمحافظة ، نتيجة حــرق قش الأرز بها ، كما أكد الــدكتور حســين كــاظم ، محافظ الشرقية ، المعلومات نفسها في محافظته ، خلال اتصال مماثل . وأضاف عبد الجليل ، أن جهـاز شـئون البيئة ، طلب من وزارة الزراعة ، إصـدار تعليمـات بمنع حـرق قش الأرز ، أو أي مواد مماثلة لمنع تكرار هذه الظاهرة مستقبلا .

وفي محاولة لطمأنة المواطـنين ، ناشد الـدكتور محمـود عمـرو ، أسـتاذ ورئيس قسم الأمراض المهنية ، ومدير مركز السموم بقصر العيـني ، المواطـنين بعـدم المبالغة في القلق ، ووصف ما حــدث بأنه ليس كارثة ، على الــرغم من أن الأعــراض المبدئية للتعـرض لها ، تشـمل التهـاب العيـون والأنف والأذن والصـدر ، وأكـدّ أن الاحتياطـات اللازمة ، تسـتدعي التركـيز على حماية الأطفـال ، وعـدم إغلاق النوافذ ضـمانا للتهوية

اللازمة ، وكذلك توفير الحماية اللازمة للمرضى بالمستشفيات ، أما الأصحاء البالغين ، فلن يتعرضوا لخطورة من التعرض للأدخنة ، مشيرا إلى أن ندى الفجر سيغسل الهواء ، ويخفّف من حدة التلوث . وأكدّ الدكتور عمرو ، أن هذه الظـاهرة قد حـدثت من قبل عـام 1949م في لنـدن ، بسـبب ارتفـاع نسـبة الرطوبة ، والحمـاس الزائد للتوسع الصـناعي ، وانتشـار المـداخن ، أما في مصر فالطبيعة الصـحراوية للبلاد ، تمتص الملوثات الزائدة في المدن ، لذا فلن يشعر بها سكان الصعيد .

ســحابة الــدخان تتلاشى نهائيا من فــوق القــاهرة خلال 48 ساعة

الصـفحة الأولى / الاثـنين / 16 من رجب 1420 هــ ، 25 أكتـوبر 1999م ، السـنة 124- العدد 41230

موقع الصـفحة على شـبكة الإنـترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/25/FRON13.HTM

صورة نهارية : واختفت القاهرة خلف دخان حريق قش الأرز

توقع خبراء الأرصاد الجوية ، أن تتلاشى نهائيا ، سـحابة الـدخان الكـثيف ، الـتي خيّمت ليلة أمس الأول على القاهرة وضواحيها ، خلال السـاعات الثمـاني والأربعين المقبلة ، وأضـافوا أن الكتلة الهوائية الـتي حملت هـذه السـحابة ، الناتجة عن إحـراق مخلفـات محصولي الأرز والقطن ، في المحافظات المجاورة ، آخذة في التحـرك شـرقا ، لتحل محلها كتلة هوائية نظيفة ، مقبلة من الشمال الغـربي ، وأوضـحوا أن نسـبة الرطوبة ، سوف تنخفض أيضا ، بفعل هذه التغيرات في حالة الطقس .

وقد قامت الدكتورة نادية مكـرم عبيد ، وزيـرة الدولة لشـئون البيئة ، أمس بجولة في محافظتي الشرقية والقليوبية ، بوصفهما المصدر الرئيسي للدخان ، الناتج عن إحـراق مخلفات الأرز والقطن ، وصرّحت بأنه سـيتمّ تـدريب المـزارعين ، على اسـتخدام غـاز الأمونيا ، لتحويل قش الأرز ، إلى أعلاف حيوانية ، بحيث تنتفي الحاجة تماما ، إلى إحراقه ، كما أعلنت الجهات المسؤولة في المحافظتين ، عن اتخاذ إجراءات حاسمة ، لوقف عمليات إحراق المخلفات الزراعية في الحقول .

سر اختناق القاهرة !

تحقيقات / الاثنين / 16 من رجب 1420 هـ ، 25 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41230

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/25/INVE1.HTM

حرق حطب القطن وقش الأرز ، مع خليط الغازات المركبة ، سبب سحابة الدخان . المواطنون : إصابات بالأنف والحلق ، وصعوبة في التنفس ، نتيجة للتلوث . مصدر أمني : 5 بلاغات فقط حول حرائق المخلفات وتم إخمادها .

صورة نهارية : اختفاء القاهرة خلف سحابة الدخان

تحقيق وجدي رياض ومحمود النوبي :

تعرضت سماء الدلتا والقاهرة حتى الجيزة ، لتلوث هوائي شديد ، خلق حالة من الهباء الجوي ـ بخار ماء مع ملوثات ـ أثار ذعر السكان ، وسبب بعض حالات الاختناق ، لمن لديهم حساسية صدرية ، أو ربوية أو أمراض سوء التنفس . كما تعرض بعض سكان القاهرة ، إلى أزمات تنفسية ، نتيجة لزمتة الهواء وغياب الأوكسجين الكافي .

ويرجع سبب حدوث هذه الحالة النادرة ، إلى عدة اعتبارات تم رصدها ، كان من أبرزها :

- صدور الأوامر إلى المزارعين من مديريات الزراعة ، بضرورة حرق حطب القطن ، المتخلّف عن زراعات القطن ، للتخلص من دودة اللوز ، ومن المعروف أن الدلتا بخصوبة أرضها ، تزرع حوالي750 ألف فدان ، بزراعات القطن الذي تم جمعه هذا الشهر .
- ارتفاع نسبة الرطوبة في مثل هذا الوقت من السنة ، مع ارتفاع في درجة الحرارة ، مما أدى إلى حدوث حالة من الهباء الجوي ، أدى إلى كتمة الهواء ، وغياب الأكسجين الكافي .

ساعد على ذلك ـ أيضا ـ انتشار احتراق آثار الحصاد ، من حطب القطن وقش الأرز . ومع حركة الرياح أدى إلى تغطية هواء سكان القاهرة ، بحالة من الدخان ، مع سكون للهواء ، وارتفاع في درجة الحرارة ، مع رطوبة ، مع ملوثات كربونية ، آزوتية وغازية ، وكبريتية ، وذرات عالقة في الجو .

ومن ناحية أخرى فقد أدت عمليات احتراق أحطاب القطن ، للقضاء على دودة اللوز ، وفقا للقرار الذي صدر من مديريات الزراعة بالمحافظات ، بالعقوبات المقررة لمن يحتفظ بالحطب ، مما دفع الفلاحين ، إلى سرعة حرق الأحطاب ، تنفيذا لقرارات وزارة الزراعة في الحقول .

ومن جانبه آثار المستشار صبري البيلي ، محافظ القليوبية ، مشكلة حرق حطب القطن في المزارع ، أمام وزيرة البيئة ، ورئيس جهاز شؤون البيئة ، في اجتماع هذا الأسبوع . وقال المستشار البيلي ، أن القانون 4 لسنة 1994 المادة 37 ، بشأن البيئة ، يمنع منعا باتا حرق المخلفات والقمامة ومخلفات الحقول ، حتى لا يتلوث الهواء ، وفي نفس الوقت ، يحتم القرار الوزاري على الفلاحين ، حرق الأحطاب . من هنا ، وقف المحافظ عاجزا ، عن إصدار قرار بمنع الحرق ، أو الحرق في الحقول ! ومن ناحية أخرى ، تدرس وحدة البيئة والتنمية ، في الصندوق الاجتماعي ، الاستفادة من دراسات عديدة ، أشارت إلى أهمية الاستفادة ، من حطب القطن ، في صناعات خشبية ، كأحد مقومات المشاريع الصغيرة ، التي يدفع بها الصندوق ، إلى السوق لتشجيع الشباب ، على الدخول في هذه المشاريع التنموية .

ومن المعروف ، أن هناك 32 محطة ، أقامتها الدانمرك في الأرض المصرية ، لرصد حالة الهواء ، بالأكاسيد الآزوتية الكبريتية والكربونية . وقد تم تركيب هذه المحطات ، لتغطي أرض الدلتا ، وهي تعمل لمدة24 ساعة ، ويتم بها رصد حالة الهواء ومكوناته ، ولم نسمع أن أحدا ، فتح هذه المحطات ، ورصد ما بها من تسجيل ، وما حدث من ملوثات ، بهواء الدلتا وعواصم مدنها .

وفي القاهرة الكبرى ، حوالي40 محطة لرصد الهواء ، وقد أقام المشروع الأمريكي ، لتحسين هواء القاهرة ، حوالي 33 محطة ، لرصد الذرات الصغيرة ، العالقة من 2.5 جزء في المليون ، إلى عشرة أجزاء في المليون ، كما تقوم برصد الرصاص ، وهناك 7 محطات دانمركية ، تقوم برصد أول وثاني أكسيد الكربون ، وأول أكسيد الكبريت ، والغازات الأخرى ، ولم تَبُح هذه المحطات ، بأسرار ما حدث من تلوث ، في هواء القاهرة الكبرى والدلتا والجيزة .

قام اليابانيون ، بإنشاء معمل مركزي ، تابع لجهاز شؤون البيئة ، ومعامل أخرى متنقلة ، لرصد حالة الجو عند حدوث أزمة أو كارثة ، أو رد فعل لأي شكوى ، ويشرف على المعامل جهاز شؤون البيئة ، ويديرها خبراء مصريون ، وتدرب عليها الخبراء .

ومن المعروف أيضا أن المصادر الطبيعية ، لتلوث هواء القاهرة ، مصدرها بخار الماء الضار ، والبكتيريا والفطريات والأملاح ، ونواتج الاحتراق ذو النشاط الطبيعي . أما المصادر الصناعية . في تلوث هواء القاهرة الكبرى ، فهي حرق الوقود والطاقة ، وعمليات الإنتاج الصناعي ، ووسائل النقل والقطارات والطائرات والسفن ..

ومن ناحية أخرى ، لم تنقطع الاتصالات التليفونية ، للمواطنين بالأهرام ، طوال ليلة أمس الأحد ، حيث اشتكوا من وجود ، سحابة دخان كثيفة ، غطّت أجواء القاهرة ، خاصة منطقتي مدينة نصر ومصر الجديدة ، ومناطق وسط البلد ومصر القديمة ، وأصابت الأطفال وكبار السن بالاختناق .

وتقول السيدة نجية الشال ، من سكان شارع مصطفى النحاس بمدينة نصر ، أن سحابة الدخان أصابتها وأطفالها ، بحالة اختناق ، حيث تعاني من حساسية في الصدر ، أدت إلى عدم قدرتها على التنفس ، رغم إغلاق النوافذ بالشقة ، وتتساءل هل عمال جمع القمامة هم السبب ، أم القائمون على حرق القمامة ؟! أم العمال المختصين ، بجمع القمامة من الشوارع ، هم الذين أحرقوا هذه القمامة ، التي أدت إلى هذا الدخان الكثيف ؟! وتتساءل السيدة نجية الشال ، أين وزيرة شؤون البيئة ، وأين القائمون على النظافة في بلدنا .. وكيف يتركون هذا الأمر دون متابعة ، أدت إلى عدم قدرتها على التنفس ، رغم إغلاق النوافذ بالشقة

ومن الروضة بالمنيل ، استغاث بنا محمد أبو سريع عبد الكريم ، قائلا : ما هي حكاية الدخان الكثيف ، الذي يمتد من حلوان إلى المعادي والمنيل والمهندسين ؟! ويقول أننا لا نستطيع التنفس ، ونكاد نصاب بحالة اختناق شديدة .

أما السيدة سمر عمر محمود ، من سكان مدينة نصر ، فقد وصفت الدخان ، بأنه عبارة عن دخان ، ينبعث من آبار بترول تحترق ، وليس دخانا عاديا ، ينبعث من مخلفات قمامة ، كما أن الجو الحار ، ساعد على حدوث انقباض في حالة الجو ، جعلتنا لا نستطيع التنفس .

أحمد علي أبو الحسن ، مشرف اجتماعي بجامعة الأزهر ، بمدينة نصر ، يقول إنه يشعر بحالة اختناق شديدة ، وحرقان بعينيه ، لم يستطع معها ، الإبصار بصورة جيدة .

ومن جانبه أكد مصدر أمني بنجدة القاهرة ، بأن النجدة لم تتلق بلاغات حرائق ، ليلة أمس ، عدا حريق محدود شب في محطة بنزين التعاون ، بشارع قصر العيني . وذكر المصدر الأمني ، أن الإدارة تلقت ليلة أمس ، حوالي 5 بلاغات حريق في مخلفات قمامة ، وتم إخمادها فورا ، وأوضح أن الإدارة تلقّت إشارة بأن الشبورة ، التي أحاطت سماء القاهرة ليلة أمس ، كانت نتيجة حرق ، مخلفات محصول القطن والأرز بالأرياف .

وحول أسباب الظاهرة ، كتب عبد المجيد الشوادفي من الشرقية ، في محاولة سريعة وعاجلة ، لاحتواء الأسباب التي أدت إلى ظهور السحابة السوداء ، فوق سماء القاهرة ، وعدد من محافظات الدلتا ، نتيجة لقيام الفلاحين بحرق قش الأرز المتخلف ، عن حصاد المحصول ، مما ترتب عليه ، حدوث اختناقات ، وإصابات في العيون ، بين الكثيرين من أبناء ومحافظة الشرقية .

قرّر المحافظ الدكتور حسين رمزي كاظم ، تنفيذ عدة إجراءات ، للقضاء على هذه الظاهرة ، التي انتشرت في مختلف مساحات الأراضي المزروعة بالأرز ، والتي تبلغ حوالي150 ألف فدان . وتم الاتفاق ، مع اللواء محمد صادق أبو النور ، مساعد وزير الداخلية لأمن الشرقية ، على تكليف رؤساء الوحدات المحلية ، بالقرى والمدن ومأموري مراكز الشرطة ، بتنظيم حملات لإخماد عمليات حرق قش الأرز ، والاستعانة بفرق الدفاع المدني ، والحريق لإطفاء النيران المشتعلة في الحقول ، وتحرير محاضر للمخالفين .

كما تم الاتفاق على تشكيل غرفة عمليات ، تضم ممثلين لأجهزة الحكم المحلي والشرطة ، لمتابعة هذه العملية ، وتجميع البلاغات بشأنها . وتم إخطار وزارة الزراعة ، للبحث في إمكانية الاستفادة ، من مخلفات محصول الأرز ، والتوصل إلى وسائل لاستثمارها ، بما يعود بالنفع العام على المزارعين ، وحتى لا تتكرر هذه الظاهرة مرة أخرى .

وكانت سحابة الدخان الكثيفة ، التي خيّمت على مدى الأيام الماضية ، فوق محافظة الشرقية ، نتيجة حرق قش الأرز ، قد امتدت إلى مناطق متعددة ، في المحافظات المجاورة ؟ وغطّت الطرق الرئيسية التي تربط بينها ، وبين الطرق الصحراوية ، مما أدى إلى إعاقة الرؤية ، أمام سائقي السيارات ، وعرضتهم إلى ارتكاب حوادث التصادم .

ومن جانبه صرح المهندس محمود الجمل ، وكيل وزارة الزراعة بمحافظة الشرقية ، بأن عمليات حرق قش الأرز ، التي يقوم بها الفلاحون ، وسط الحقول ، يستهدفون من ورائها ، زيادة نسبة التسميد للأراضي ، حيث أن مخلفات حريق القش ، تسهم في خصوبة الأرض ، وارتفاع الخصوبة فيها ، نتيجة لما يحويه القش المحروق ، من عناصر متعددة ومختلفة ، تؤدي إلى تحسين التربة الزراعية ، وترفع من إنتاجيتها ، في مختلف المحاصيل التي تزرع فيها .

ومن القليوبية ، كتب أبو سريع إمام ، أكد المستشار ، أحمد صبري البيلي محافظ القليوبية ، أنه بالنسبة للشبورة الملوثة ، الناتجة عن صرف مخلفات زراعة الأرز ، فإنني اتخذت الإجراءات ، منذ يوم 12 أكتوبر ، وتمّت إحالة بعض المخالفين والمتسببين ، في هذه الأدخنة الملوثة ، إلى النيابة العامة ، طبقا لقانون البيئة ، والأكثر من ذلك ، بأنني قمت بعرض هذه المشكلة ، في مؤتمر حماية البيئة يوم 14 أكتوبر ، برئاسة الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشئون البيئة . وأوضح محافظ القليوبية ، أنه طلب من وكيل وزارة الزراعة ، اتخاذ الإجراءات لوقف عمليات حرق مخلفات الأرز ، فأكد أنه لا يوجد تعليمات ، بمنع الحرق بالأراضي الزراعية . ويقول المهندس عبد الحميد خاطر ، وكيل وزارة الزراعة بالقليوبية ، إن المحافظة غير مسموح لها بزراعة الأرز . وإنما زراعة هذا المحصول ، تمت على مساحة 21 ألف فدان بالمحافظة ، وقامت أجهزة الري ، بعمل محاضر لأصحاب هذه الأراضي ، لأن أجهزة الري ، هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن تحرير محاضر ، بالمخالفات لمزارعي الأرز .

وأوضح اللواء محمود وجدي ، مساعد وزير الداخلية لأمن القليوبية ، أنه تم على الفور عمل دوريات مرورية ، ليلية ونهارية ، لمحاولة السيطرة السريعة ، للحد من عمليات الحريق ، حتى يتم بشكل منظم .

انتهاء السحابة الملوثة خلال 48 ساعة

تحقيقات / الاثنين / 16 من رجب 1420 هـ ، 25 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41230

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو :
www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/25/INVE2.HTM

أكد فوزي غنيمي ، مدير مركز التنبؤات ، أن خبراء الأرصاد الجوية ، يتوقعون انتهاء هذه الظاهرة الجوية ، خلال الساعات ال 48 المقبلة ، بسبب تحرك هذه الكتلة الهوائية جهة الشرق ، وتقدم الكتلة الهوائية المقبلة ، من جنوب وشرق أوروبا ، مما يحرك الهواء ويجدده ويقلل نسبة الرطوبة ، وبالتالي سيبدأ الدخان في الاختفاء التدريجي ، وتنبه المسؤولون في المحافظات المجاورة للقاهرة ، لإعطاء تعليمات بمنع حرق مخلفات الزراعة ، إلا بأسلوب علمي ، وفي الوقت المناسب ، والهيئة على استعداد ، لإمدادهم بالبيانات اللازمة ، والأحوال الجوية المتوقعة .

الزراعة تقول أحرقوه.. والبيئة تقول لا

تحقيقات / الاثنين /16 من رجب 1420 هـ ، 25 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41230

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/25/INVE3.HTM

كتب عبد الوهاب حامد : تناقضات غريبة ، ومعادلات صعبة ، يتعرّض لها الفلاح المصري (نتيجة تخبط خبراء البيئة) . فبينما تطالبه وزارة الزراعة ، بضرورة حرق عيدان القطن بعد جنيه ، كشرط لتمتع الفلاح ، بالحصول على الدعم المقرر ، في عمليات المقاومة ، الذي تحمّلته الدولة بالكامل ، لأول مرة هذا العام ، نظرا لانخفاض أسعار القطن عالميا ، وهي على حق ، وبناء على هذا الحق للمصلحة العامة ، تقوم مديريات الزراعة بالمحافظات ، بتحرير محاضر مخالفات للفلاحين ، الذين لا يقومون بحرق عيدان القطن . على الجانب الآخر ، نجد تعليمات وزارة البيئة ، تركز على الحماية من التلوث ، وذلك بحظر حرق أية مخلفات ، بأساليب بدائية ، ومنها طبعا ، حرق مخلفات زراعات القطن والأرز .

يقول المسؤولون بالبنوك الزراعية ، إن ما يجري من تعليمات الحرق ، وتقدير النسبة المقرّرة للمقاومة ، عن محصول القطن ، هو حق كامل لوزارة الزراعة ، ولا دخل لنا به ، ومهمتنا تحصيل الديون ، وتقديم الخدمات الائتمانية للفلاح . والسؤال : لماذا لم يتم وضع خطة شاملة ، للاستفادة من هذه المخلفات ، في مجالات كثيرة أهمها صناعة الأعلاف ؟ ويضيفون : لو فعلنا ذلك ، لمنعنا وقوع مثل هذا التناقض ، بين وزارتي الزراعة والبيئة ، ولحمينا الفلاح من الحيرة والتضارب في القرارات . ويمكن للدولة بإمكاناتها الكثيرة ، أن تجذب الفلاح ، إلى توريد فضلات القطن والأرز ، إلى مصانع الأعلاف والورق ، حماية للبيئة من التلوث .

المزارعون : القش بريء

تحقيقات / الاثنين / 16من رجب 1420 هـ 25 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41230

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/25/INVE4.HTM

صورة لحرق القش

كتبت أهداف البنداري : في قرية النـاي بمحافظة القليوبية ، إحـدى المحافظـات الـتي تزرع الأرز ، قال عبد الله إبراهيم فلاح ، أنه يتم حرق 5 أطنان قش في كل فـدان أرز ، وتسـتغرق كل كمية يتم حرقها ربع سـاعة ، ولا يصل دخـان هـذا الحريق ، إلى مدينة قليوب التي تبعد خمسة كيلو مترات ، عن قرية الناي . ويضيف عــادل عطا أن مواعيد حرق القش ، تختلف في القرية الواحـدة ، من مكـان لآخر ، ومـازالت أمـاكن لم تبـدأ الحــرق بعد . وتسـاءل فلاح آخر ، بـأن رمــاد حريق القش يترسب ، ثم يتبخر ، فكيف يصل إلى القاهرة ، التي تبعد عن قليوب 30 كيلو مـترا ؟! (تسـاؤل وجيه) ، وأضـاف أن ميعاد حرق القش ، يبدأ من 15 أكتوبر ، ويستمر20 يوما ، وما يصل ارتفاع الدخان إلى حوالي عشرة أمتار . وفي مركز شبين القناطر ، أرجع فلاح سبب الدخان الغـامق اللون ، الذي ظهر الأيـام الماضـية ، إلى طبقة مفتوحة في الأوزون ، وقـال انه شـاهد شبورة مع دخان أزرق (أي أنها أتت من السماء) ، لا يعرف سـببها وإدارات المـرور ، هي المفترض أن تشرح أسبابها !

سر اختناق القاهرة (2)

تحقيقات / الثلاثاء / 17 من رجب 1420 هـ ، 26 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41231

موقع الصـفحة على شـبكة الإنـترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/26/INVE1.HTM

تحقيق أهداف البنداري : كشف اختناق القاهرة ، الذي اسـتمر لثلاثة أيـام متتالية ، عن وجود العديد من الملوثات ، في سماء العاصمة . ففي الوقت الـذي تقـوم فيه الدولة ، بالحفاظ على سلامة المواطنين ، والاهتمـام بتجميل القـاهرة الكـبرى ، تنتشر مقـالب القمامة بين الشـوارع والميـادين ، وعلى أسـطح المنـازل ، حسب ما شـاهدته وزيـرة البيئة ، في جولتها بالطائرة ، فوق القاهرة ، ويؤدي حرقها بلا أية ضـوابط ، إلى تلـوث هوائي ، يُصيب العديد من المواطنين بالأمراض .

وعلى الرغم من أن مقالب القمامة الرسمية ، قد أوقفت حرق القمامة ، منذ أكثر من عام ، بقرار صادر من وزيرة البيئة ، إلا أن مقـالب القمامة الخاصة ، مـازالت تعمل بلا ضـوابط . والسـؤال الآن .. مـتى تختفي مقـالب القمامة من شـوارع العاصـمة ؟! في البداية ، تقول د. نادية مكرم عبيد وزيرة البيئة ، إنها رصدت سحابة الدخان ، وشـعرت بها مثل كل المواطنين ، وأدركت أن هناك شـيئا غـير طـبيعي ، في الهـواء منذ عشـرة أيام ، فبحثت مع كل الجهات المعنية ، لتعرف حقيقة هذا الدخان ..

وتضـيف : قمت بجولة جوية بالطـائرة ، لمـدة ثلاث سـاعات بعد اسـتجابة فورية ، من المشير محمد طنطاوي وزير الدفاع ، شملت القاهرة الكبرى ، في محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية . وشاهدت حالات اشتعال ذاتي في حــوالي 7 أو 8 مواقع للقمامة ، في مناطق عشوائية ، وتلوث في جنوب القاهرة ، من بعض المصـانع . كما شـاهدت حرق قش الأرز ، ولفت نظري انتشار القمامة ، على أسطح المنازل .

من هنا أرجعت هــذه الســحابة الدخانية ، إلى تــزامن عـــدة عوامل ، في آن واحد . فالانبعاثـات الـتي تصـدر من الاشـتعال الـذاتي للقمامة ، الـتي يلقيها الأهـالي بطريقة عشوائية ، نتيجة سلوك غـير سـوي ، مع اسـتقرار الهـواء بـدون ريـاح ، أدى إلى تعلّق دخان القمامة المشتعلة والقش المحترق ، والذي يقوم الفلاحون ، بحرقه منذ سنوات

، لكننا شـعرنا بـدخان هـذا الاحـتراق ، نتيجة اتحـاد العوامل السـابقة معا . فالأدخنة المعلّقة سبب شعورنا ، بأن هناك شيئا يحرق في الهواء .

وأضـافت د. نادية مكـرم عبيد ، أنه سـيتم إعـداد برنـامج تنفيـذي ، للتعامل مع الحـرق المكشـوف . فقـانون البيئة يعطي للمـواطن ، الحق في البلاغ ، عن أية مخالفة بيئية في القسم ، وعلى ملـوّث البيئة أن يـدفع الثمن . وعلى الـرغم أن الـوزارة ، ليست لديها شـرطة بيئية ، إلا أننا نعتمد في المحافظة على البيئة ، على60 مليـون مصـريا ، فبعد تصـريحات الـرئيس حسـني مبـارك ، أن الحفـاظ على البيئة أصـبحت ضـرورة ، وليست ضـربا من الرفاهية . وجهـود السـيدة سـوزان مبـارك ، في توعية المواطـنين بذلك خاصة الأطفال ، أصبحت البيئة على الأجندة السياسية ، وقد لمست صحوة بيئية ، في آلاف الشكاوي ، التي تتلقاها الوزارة من المواطنين .

وأوضحت أن قـانون البيئة ، ينص على عقوبـات لملـوثي البيئة ، منها غرامة مالية ألف جنيه لحارق القمامة ، وهذا المبلغ من وجهة نظر وزيرة البيئة ، مناسب لكن المشـكلة في تنفيذ العقوبـات ، وهي مهمة منـوط بها الـوزارة والمحافظـات ، والأهم سـلوك المواطـنين ، والجمعيـات الأهلية ، وأجهـزة الإعلام عليهم دور كبـير لتحقيق الاسـتجابة المطلوبة ، من الموطنين ، للحفاظ علي بيئتهم .

وكما يقـول د. أحمد نعيم البنـداق ، المشـرف على المجـالس النوعية بأكاديمية البحث العلمي ، أن المحـاور الرئيسـية ، الـتي يجب أن تنتهجها الدولة ، لمعالجة مشـكلة القمامة ، وكيفية الاسـتفادة منها ، عن طريق دراسة مكونـات القمامة ، ... ويؤكد د. أحمد نعيم على أن كل هذا لا يتم دون وضع التشريعات الخاصة بالنفايات ، بشكل عام ، والتطبيق الـذي تم إصـداره بالفعل منها ، في قـانون البيئة ، الـذي صـدر عـام 94 ، وعمل حصر للمؤسسـات المختلفة ، لمتابعة تشـريعات حماية البيئة من التلـوث ، وكيفية الاستفادة منها بشكل نافع .

أما الـدكتور فـوزي عبد القـادر الرفـاعي ، المشـرف على قطـاع تنمية التكنولوجيا والخـدمات ، بأكاديمية البحث العلمي ، فقد طـرح نموذجا عمليا ، بوحـدات تحـول القمامة إلى سـماد ، ثم بنائها ، وتعميمها بأيد مصـرية ، وبتكلفة أقل بكثـير من مثيلها المستوردة ، ...

ويقـول د. شـريف عيسى ، رئيس المركز القـومي للبحـوث ، أن هنـاك خطة قادمة لتطوير التكنولوجيا المصرية ، في مجال تصنيع القمامة ، ... .

ويوضح المهندس مـدحت حسـين ، مـدير مصـنع (شـبرامنت) أحد المصـانع الخاصة ، بتحويل القمامة إلى سماد عضوي ، بمدينة شبرامنت أن هذا المصنع أنشئ بسعة كلية 10 أطنان قمامة يوميا ، ... .

ومن جانبه أكد د. عبد الـرحيم شـحاته ، محافظ القـاهرة ، أن سـحابة الـدخان ، الـتي غطت القاهرة ، ليست بسبب القمامة ، فالمحافظة خصصت 18 مليون جنيه سـنويا ، لميزانية شركات القمامة ، وأن الدولة تقوم بدورها ، من حيث توفـير جهـاز بمسـئوليه ومعداته ، لنظافة القاهرة ، ولم تعد لدى إدارات مقالب القاهرة الرسمية أية محارق ، إلا أن المحافظة ، وكل الأجهـزة المعنية ، لن تسـتطيع أن تقضي علي القمامة في الشـوارع ، فـذلك يتوقف بنسـبة100% على سـلوك المواطـنين ، واستشـهد محافظ القاهرة بسلوك المواطنين ، الذي يسـاعد على اسـتمرار تلال القمامة في الشـوارع ، حيث إن 50% فقط من سـكان القـاهرة ، يتعـاملون مع جـامعي القمامة ، والبـاقي يرفض دفع 3 جنيهات ، مفضلا إلقاء مخلفاته على الجزيرة الوسطية في الشارع ... .

رئيس هيئة النظافة وتجميل القـاهرة يُـبرّئ مقـالب القمامة ويتهم القش

تحقيقات / الثلاثاء / 17 من رجب 1420 هـ ، 26 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41231

موقع الصـــــــــــــفحة على شـــــــــــــبكة الإنـــــــــــــترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/26/INVE2.HTM

كتب عبد العظيم الباسل : أثارت سحابة الـدخان الخـانق ، الـتي غطت القـاهرة ، أول أمس ، تســاؤلات عديــدة حــول أســبابها .. البعض أرجعها لحــرق ، مقــالب القمامة المنتشـرة حـول القـاهرة ، وعلّلها البعض الآخر ، بحـرق بقايا جـذور نبـات الأرز ، في الحقول المنتشرة حول القاهرة الكبرى .

وأيـاً كـانت أسـبابها الحقيقية ، فقد انـزعج العديد من الأهـالي ، الـتي أصـابها احمـرار بالعين ، وضيق بالتنفس الصدري ، نتيجة لهذا الدخان الخانق ، الذي لف القاهرة .

من جانبه يؤكد اللواء مجـدي البسـيوني ، رئيس هيئة التجميل والنظافة بالقـاهرة : إن هذه السحابة العالقة بسماء القاهرة ، لا ترجع إلى حرق القمامة ، خاصة أن لدينا ثلاث مقالب كبرى ، بالوفـاء والأمل والقطامية ودار السـلام ، مسـاحة كـلٍ منها 15 فـدانا ، ولم يتم حـرق قمامة إحـداها ، طـوال الأيـام الثلاثة الماضـية .. فضلا عن أننا ، قمنا بالتفتيش على مقالب قمامة القطاع الخاص ، ووجدناها لا تعمل أيضا ، وقبل هذا وذاك ، فان رائحة حرق القمامة مميزة ، وهي تختلف عن رائحة الـدخان ، الـتي انبعث فـوق القاهرة .

ومن هنا فقد تأكدنا ، وفقا لشكاوي المواطنين القادمين من الطرق السريعة ، والـذين أكـدّوا انهم فقـدوا الرؤية على الطـرق السـريعة ، نتيجة لانبعـاث الأدخنة من الحقـول المجاورة ، على جانبي الطريق ، على غـرار ما حـدث في العـام الماضي ، خلال نفس التوقيت . وأضاف : من المعاينة ، تأكدنا من اشتعال 9 مواقع في المساحة المحصورة ، من مـــزارع الأرز ، بين الطريق الــدائري والطريق الــزراعي ، عند مدينة قليــوب ، بالإضافة لمساحات أخرى ، كانت ظاهرة من طريق بلبيس الصحراوي ، باتجاه الخانكة ... .

عودة سحابة الدخان إلى سماء القاهرة

الصـفحة الأولى / الأربعـاء / 18 من رجب 1420 هـ ، 27 أكتـوبر 1999م ، السـنة 124- العدد 41232

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/27/FRON1.HTM

صورة ليلية : سحابة الدخان حجبت مباني القاهرة مرة أخرى مساء أمس

تجـدد انتشـار الـدخان ، في سـماء القـاهرة الكـبرى ، مسـاء أمس ، وتلقت الأهـرام اتصـالات هاتفية ، من قـاطني السـاحل وشـبرا مصر ومصر الجديـدة ، ومدينة السـلام والعجوزة والمنيل والهرم ، بإحساسهم بتكاثر الدخان ، وأنهم أغلقوا نوافذ مسـاكنهم . وصرحت الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة شئون البيئة ، بأن كثافة سـحابة الـدخان ، الـتي عـادت إلى سـماء القـاهرة ، أقل مما كـانت عليه مسـاء السـبت الماضي ، حين بلغت ذروتها . وقـالت لمنـدوبي الأهـرام ، أنها في اجتمـاع دائم مع خـبراء البيئة المصريين ، وبعض الخبراء من الدنمارك ، لرصد وتحليل الأدخنة الموجودة ، في سماء القاهرة الكبرى . وأكدّت وجـود مرتفع جـوي ، قـادم من شـمال الجمهورية ، وأنه أدى إلى عدم تشتت الملوثات العالقة في الجو ، وزيـادة شـعور المواطـنين بها ، في بعض مناطق القاهرة الكبرى . وحذر الدكتور طارق صفوت ، رئيس قسم الأمراض الصدرية بجامعة عين شـمس ، من أن هـذه السـحابة ، تزيد مخـاطر التهـاب الشـعب الهوائية للمواطـنين ، وحـدوث الـنزلات الربوية ، وحساسـية جهـاز التنفس . ونفى مـدير أمن القليوبية ، ما تردّد عن احتراق ، مخلفات أحد المصانع الكبرى بـ (بنها) .

عــودة الــدخان الخــانق ! طــوارئ في وزارة البيئة لفك لغز السحابة السوداء

تحقيقات / الأربعاء / 18 من رجب 1420 هـ ، 27 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41232

موقع الصـــــــــــفحة على شـــــــــــبكة الإنـــــــــــترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/27/INVE1.HTM

متابعة : عبد العظيم الباسل وناجي الجرجاوي وسالي وفائي وأشرف أمين

صورة ليلية

في حوالي الساعة السـابعة والنصف مسـاء أمس ، 26 أكتـوبر ، تلقت الأهـرام العديد من المكالمات التليفونية ، تؤكد عودة سحابة الدخان مرة أخرى ، في مناطق الساحل وشـــبرا ومصر الجديـــدة ، ومدينة الســلام والعجــوزة والمنيل والهــرم . وقد أغلق المواطنون النوافذ لشعورهم بالاختناق . وصـرحت الـدكتور نادية مكـرم عبيد ، وزيـرة شؤون البيئة ، بأن سحابة الدخان الخانق ، عادت إلى سـماء القـاهرة بـالأمس ، ولكن ليست بكثافة السحابة ، التي غطت القاهرة منذ ثلاثة أيـام . وقـالت : أنها في اجتمـاع دائم ، مع خبراء البيئة المصـريين وبعض الخـبراء الـدانماركيين ، لرصد وتحليل الأدخنة المنبثقة والمنتشرة ، في سماء القاهرة الكبرى .

وأشـارت إلى أن التحليل المبـدئي للأدخنة ، أكد وجـود نسـبة عالية ، من الجسـيمات العالقة والأتربة الرفيعة ، ساعد على انتشارها سـكون الجو ، وعـدم تحريكها بواسـطة الريـاح ، ومـازالت أبحاثنا مسـتمرة للوصـول إلى حقيقة هـذه الأدخنة ، خلال الــ 48 ســـاعة المقبلة . وعلّلت عـــودة الأدخنة إلى تضـــافر مجموعة من العوامل ، أهمها المسابك والصناعات الملوثة للبيئة ، وحرق بقايا محصولي الأرز والقطن ، في الحقول المجاورة للقاهرة .

أكـدّت السـيدة نادية مكـرم عبيد ، أن اسـتمرار ظهـور الـدخان المنتشر ، في سـماء القاهرة الكبرى ، هو نتيجة وجود مرتفع جوي ، قـادم من شـمال الجمهورية ، أدى إلى

عدم تشتت الملوثات العالقة في الجو ، والتي شعر بها المواطنون ، في بعض مناطق القاهرة الكبرى . وقالت الوزيرة إن الوزارة تقوم حاليا ، بالتعاون مع الأجهزة المعنية ، بمتابعة الموقف للتخفيف من تركيز تلك الملوثات ، حيث أشارت مصادر الأرصاد الجوية ، إلى توقع استمرار هذه الظاهرة لمدة 3 أيام على الأقل .

ومن جانبه ، قال الدكتور محمود نصر الله ، مدير معمل تلوث الهواء بالمركز القومي للبحوث : إن حرائق القمامة ، والملوثات الناتجة من العربات والصناعات الصغيرة ، ليست السبب الأوحد في هذه الحالة المناخية ، فهناك نوع من الركود للحركة الرئيسية والأفقية للهواء ، هذا بالإضافة إلى انخفاض سرعة الرياح ، وتغير العوامل الجوية ، مما يؤدي إلى حالة من الاحتباس الحراري ، لذلك يجب أن تشكل غرفة عمليات ، في مثل هذه الحالات لإيقاف الملوثات المنبعثة . (تبريرات وتكهنات جديدة) .

وشرح الدكتور محمود نصر الله مدير معمل تلوث الهواء ، أنه من المتوقع أن تكون الأدخنة (وليس من المؤكد) ، ناتجة عن احتراق وقود البترول أو القمامة ! هذه الأدخنة عبارة عن جسيمات عالقة ، من الدخان الأسود ، ثاني أكسد الكربون ، وثاني أكسيد الكبريت ، أول أكسيد الكربون ، وأكاسيد النيتروجين ، لذلك يجب أن يكون هناك حل سريع وفوري ، وتشكيل غرفة عمليات ، لرصد مصادر التلوث ، وكل منطقة سكنية ، بها محرقة أو مقلب زبالة ، يجب أن تبلغ الجهات المسؤولة ، مثل وزارة البيئة وجهاز شؤون البيئة ، حتى تخمد هذه الحرائق فورا .

ويضيف الدكتور محمود نصر الله : إننا الآن أمام احتمالين ، إما أن تنشط حركة الهواء مرة أخرى ، ويعود المناخ لوضعه الطبيعي ، أو يستمر الوضع على ما هو عليه ، مما يؤدي إلى تركز الهواء ، وبالتالي تراكم الملوثات ، والتي سيُضارّ منها ، مرضى الصدر والدورة الدموية والقلب . ويضيف الدكتور محمود نصر الله ، أنه للأسف لا توجد خريطة ، توضح مراكز التلوث بالقاهرة ، مثل المحارق وبعض الورش والمصانع ، والتي من الممكن التحكم بها ، في مثل هذه الحالات بإيقاف مصادر التلوث ، بشكل تدريجي ومؤقت ، لحين عودة الرياح لنشاطها .

ويضيف الدكتور محمود نصر الله : أن حادثا مشابها ، وقع في لندن عام 56 (المسؤول السابق قال أنه وقع عام 49) ، حيث ازدادت كثافة السحب المعبأة بالملوثات ، مما أدى إلى إصابة العديد بالالتهابات الشعبية ، وتطور الأمر إلى مرحلة الاختناق والوفاة . لذلك يطالب الدكتور محمود نصر الله ، بأن تتابع محطات الرصد ، التابعة لجهاز شؤون البيئة ، تغيرات مكونات الهواء ، في كل منطقة ، وتحدد مصادر التلوث سواء كانت محارق أو مصانع . ووقفها بشكل مؤقت ، لحين تحسن الحالة الجوية ، وعودة الرياح لسرعتها الطبيعية .

ومن جانبه أكد مجدي البسيوني ، رئيس هيئة النظافة وتجميل القاهرة : أنه قام بجولة ميدانية ، للوقوف على مصادر انبعاث الأدخنة ، من جديد ، فوجد أن المقالب الرسمية ، لم يحدث بها أي اشتعال للقمامة ، بينما لاحظ وجود الأدخنة ، بكثافة في المناطق المتاخمة للأراضي الزراعية ، على امتداد المشروع البلبيسي . وأجمعت المصادر على أن الحرائق ، لا تزال مشتعلة في الحقول ، بمنطقة الخانكة والطريق الدائري . وطالب البسيوني : بضرورة تحرك الأرصاد والبيئة ، للكشف عن سر هذه الظاهرة ، التي تفاجئ القاهرة بين الحين والآخر .

ومن جانبه أكد المستشار صبري البيلي ، محافظ القليوبية أنه بالأمس فقط ، تم تحرير 35 محضرا ، بـ (قها وطوخ) لحرق قش الأرز المخالف ، والحملات مازالت

مستمرة من الزراعة ، ومجالس المدن لمتابعة المخالفين . مؤكدا أن سبب الدخان ، يرجع للأرز المحترق ، من بعض المزارعين ، بمنطقة الألج والخانكة بجوار الطريق الدائري . ونفى المستشار البيلي ، عدم حرق أي كاوتش كما تردّد عن أحد المصانع الكبرى .

ومن جانبه صرح د. محمد عطية الفيومي ، رئيس مجلس محلي محافظة القليوبية : بأنه لا توجد حرائق في المنشآت الموجودة ، على أرض المحافظة ، حتى الساعة التاسعة ، مساء الثلاثاء 26 أكتوبر ، ولم تتلق النجدة أو المطافئ ، أية بلاغات في هذا الخصوص ، إلا أنه قد توجد بعض حرائق ، يشعلها بعض المزارعين للمحاصيل المنتهية ، لكنها لا تخرج عن كونها ، حرائق محدودة الأثر ، وغير ذات تأثير. وعلى الجانب الآخر ، لم يشعر سكان القليوبية بالدخان ، الذي شعر به سكان القاهرة ، ولم تتغير طبيعة المناخ ، ولا رائحة الجو ، عن الأمور المعتادة (بالرغم من أن الحرق يتم في القليوبية ، وهي تبعد عن القاهرة 25 كم) . ونفى مدير أمن القليوبية ، ما تردّد عن احتراق مخلفات أحد المصانع الكبرى بـ (بنها) مسببة الدخان ، الذي غطّى سماء القاهرة .

مرضى الصدر ضحايا التلوث !

تحقيقات / الأربعاء / 18 من رجب 1420 هـ ، 27 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41232

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/27/INVE2.HTM

تحقيق : عبد المحسن سلامة ونادية يوسف

أدى الدخان الكثيف ، الذي تعرضت له القاهرة مؤخرا ، إلى ازدياد معاناة مرضى الحساسية الصدرية ، وزيادة أعداد المترددين على أقسام الصدر بالمستشفيات ، بعد أن شعر المرضى بالاختناق ، وضيق التنفس ، الناتج عن تهيج الأغشية المخاطية للعين والأنف . ويقول د. محمد عوض تاج الدين ، أستاذ الأمراض الصدرية ، ونائب رئيس جامعة عين شمس : ... وبالنسبة لدخان السحابة الأخيرة ، فقد اتسم بالكثافة ، ووجود رائحة نفاذه مصاحبة له ، مما أحدث تهيجا في الأغشية المخاطية ، للعين والأنف ، لمن تعرضوا له ، وأدى ذلك إلى إصابتهم ، بضيق في التنفس ، نتيجة تهيج هذه الأغشية ، فارتفع عدد الحالات المصابة ، وزاد عدد المتردّدين على أقسام الصدر ، بالمستشفيات العامة والخاصة . وقد تلقى هؤلاء المرضى العلاج ، وخرجوا على الفور ، لأن معظمها حالات مؤقتة كان الدخان السبب الرئيسي لها ، وتركز علاجهم ، في موسعات الشعب الهوائية ، وعلاج للأغشية المخاطية .

وأكد د. طارق صفوت ، رئيس قسم الأمراض الصدرية ، بجامعة عين شمس : أن هذه السحابة ، مبعث للتلوث ، وانتقال أمراض التهابات الشعب الهوائية والنزلات الربوية ، وتشكل حساسية شديدة ، في الجهاز التنفسي لمرضى الأمراض الصدرية ، ومرضى الأنف والأذن ، لأنها تسبب التهابات في الجيوب الأنفية ، والعيون ، أي جميع الأغشية المخاطية . وينصح د. صفوت : بوضع ماسكات واقية للذين لديهم حساسية ربوية ، لتجنب استنشاق هذه الأدخنة . وقد استقبل قسم الأمراض الصدرية ، أكثر من ضعف الأعداد التي يستقبلها القسم في الأيام العادية . ولابد من الالتزام بعلاج مرضى الصدر ، مع طبيبهم الاستشاري واستخدام بخاخات . وأضاف أنه لا يشترط أن تكون الأزمة حادة ، لكن تزيد أعراض المرض في فترة انتشار الدخان .

ويقول الدكتور هشام قاسم أخصائي الصدر بمستشفى الصدر بالعباسية : أنه لم ترد أي حالات اختناق أو إعياء للمستشفى ، بسبب التلوث ، ويوصي الدكتور هشام مرضى الحساسية : بإغلاق النوافذ والابتعاد عن الملوثات بقدر الإمكان ، كما يجب وضع منديل مبلل ، على الأنف والفم والتنفس من خلاله . كما من الممكن ، أن يصاب الناس ، في حالة كثافة الأدخنة ، باحتقان الحلق والتهاب شديد ، في الشعب الهوائية والعينين . (يغشى الناس هذا عذاب أليم) .

تقرير لرئيس مجلس الوزراء حول ظاهرة الدخان

الصفحة الأولى / الخميس / 19 من رجب 1420 هـ ، 28 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41233

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/28/FRON.HTM

مرتفع جوي فوق القاهرة ، تسبب في تكوين طبقة عازلة ، منعت انسياب الدخان والملوثات ، إلى طبقات الجو العليا .

تلقى الدكتور عاطف عبيد ، رئيس مجلس الوزراء ، تقريرا شاملا ، مساء أمس ، من الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشؤون البيئة ، حول ظاهرة الدخان الكثيف ، الذي غطى سماء القاهرة ، منذ يوم السبت الماضي ، وعاد إلى الظهور ، يومي أمس وأمس الأول . وقال عبيد : أنه سيتم بحث هذا التقرير ، بشكل تفصيلي ، لمعرفة أسباب تلك الظاهرة ، وكانت الأهرام ، قد تلقت طوال ليلة أمس ، سيلا من الشكاوي حولها ، من عشرات المواطنين ، الذين يشكون من الاختناق ، وعودة الدخان إلى الظهور بشكل كثيف ، في أنحاء متفرقة من القاهرة .

كما أكدت وزيرة البيئة : أن السبب وراء زيادة نسبة الدخان في الجو ، هو ظهور المرتفع الجوي ، الذي ساد منطقة شمال الجمهورية ، وأدى إلى تحرك كتلة من الهواء المشبع ، ببخار الماء ، باتجاه الدلتا والقاهرة ، وقالت : إن هذه الكتلة ، كونت طبقة عازلة فوق الهواء ، تمنع انسياب الملوثات ، إلى طبقات الجو العليا . وأضافت في مؤتمر صحفي ، عقدته بعد ظهر أمس : أن ذلك تزامن مع انخفاض سرعة الرياح ، وحرق المخلفات الزراعية داخل الحقول ، في محافظات الدلتا القريبة ، وهي : القليوبية والشرقية ، بالإضافة إلى مصادر التلوث الموجودة ، على مدار العام ، مما أدى إلى تكوّن سحابة من الدخان ، غطّت أجواء القاهرة الكبرى ، وشعر بها المواطنون ، نتيجة لتركيز تلك الملوثات ، وعدم تشتتها أو انسيابها ، إلى طبقات الجو العليا .

وكان بيان لهيئة الأرصاد ، قد أعلن : أن العاصمة تأثرت أمس ، بمرتفع جوي أدى إلى تباطؤ سرعة الرياح . كذلك أكدت الوزيرة : ضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة ، حتى يمكن التخفيف من حدة تلك الظاهرة ، بما في ذلك التنبيه على المصانع الكبرى ، حول القاهرة الكبرى ، للعمل على التقليل من حدة الانبعاثات الملوثة ، خلال الأيام القليلة المقبلة ، وقيام الأجهزة المعنية ، بالإيقاف الفوري للأنشطة العشوائية الملوثة ، مثل الجيارات والفواخير ، والمسابك ومصانع الطوب والحرق المكشوف ، أيا كان مصدره ، وقيام أجهزة الشرطة ، بمنع سير السيارات ، التي ينتج عنها عادم كثيف ، تطبيقا لأحكام قانون المرور .

والي يطلب سرعة وقف حرق مخلفات الزراعة

الصفحة الأولى/ الجمعة / 20 من رجب 1420 هـ ، 29 أكتوبر 1999م ، السنة 124 – العدد 41234

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/29/FRON10.HTM

الأرصاد : المرتفع الجوي مستمر اليوم

أصدر الدكتور يوسف والي ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الزراعة واستصلاح الأراضي ، تعليمات بسرعة وقف حرق قش الأرز وحطب القطن ، للحد من ظاهرة تراكم الأدخنة ، في سماء القاهرة الكبرى . وصرحت الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشؤون البيئة ، بأن معدلات تلوث الهواء ، وصلت أخيرا إلى 300 ميكروجرام في المتر المكعب ، بما يتجاوز أربعة أضعاف نسب التلوث الأمنية (إحدى الحقائق المرعبة) . ومن ناحية أخرى ، قال خبراء الأرصاد الجوية ، أن القاهرة الكبرى ، ستتأثر اليوم بامتداد مرتفع جوي ، قريب من سطح الأرض ، يؤدي إلى استمرار الاستقرار في الأحوال الجوية ، وهدوء في سرعة الرياح ليلا ، مما يساعد على ظهور الأدخنة ، في سماء القاهرة الكبرى ، في حالة استمرار ، عملية حرق مخلفات المحاصيل الزراعية ، في الأرض المحيطة بإقليم القاهرة الكبرى .

وزيرة البيئة : استمرار متابعة ظاهرة الدخان للحد من أثارها

الصفحة الأولى / الجمعة / 20 من رجب 1420 هـ ، 29 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41234

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/29/FRON11.HTM

كتبت سالي وفائي : صرحت السيدة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشؤون البيئة ، بأن غرفة العمليات المشكلة في الوزارة ، في حالة عمل مستمر لمواجهة ظاهرة الدخان ، والحد من آثارها . وقالت أنها تلقّت تقريرا ، من الدكتور حسين رمزي كاظم محافظ الشرقية ، أكدّ خلاله ، أنه تم إيقاف عمليات ، حرق قش الأرز وأعواد القطن ، وإخماد النيران عن طريق رشها بالماء .

وأشارت الوزيرة إلى أنه يتم الاتصال بصورة دائمة ، بالسادة الوزراء والمحافظين ، ومتابعة المصانع ، للتأكد من خفض نسب الانبعاثات الملوثة ، خلال الأيام القليلة القادمة ، وحتى ينتهي المرتفع الجوي المشبع ببخار الماء ، والذي يسود البلاد حاليا ، مع استمرار الجولات المفاجئة للوزيرة ، بالاشتراك مع قوات الشرطة ، لوقف الممارسات البيئية الخاطئة .

وقالت السيدة نادية مكرم عبيد ، أن القياسات المسجلة لنسب تلوث الهواء ، والصادرة عن ثماني محطات ، منتشرة في نطاق القاهرة الكبرى ، وصلت أخيرا إلى 300 ميكروجرام في المتر المكعب ، من الجسيمات العالقة ، في حين أن الحدود التي نص عليها قانون البيئة ، هي70 ميكروجرام ، حيث تسبب المنخفض الجوي ، في عدم انسياب تلك الجسيمات ، والتي تنتج عن الأنشطة الصناعية الكبرى ، وكذلك الصناعات التقليدية ، مثل المسابك والفواخير وقمائن الطوب ، بالإضافة إلى عوادم السيارات ، والرمال القادمة من الصحراء ، وكذلك الأنشطة الموسمية للزراعات .

مشكلة الدخان وتطوير مطار القاهرة

الصفحة الأولى / السبت / 21 من رجب 1420 هـ ، 30 أكتوبر 1999م ، السنة 124- العدد 41235

موقع الصفحة على شبكة الإنترنت هو : www.ahram.org.eg/Arab/Ahram/1999/10/29/FRON10.HTM

يعقد الدكتور عاطف عبيد ، رئيس مجلس الوزراء ، اجتماعين متتاليين اليوم وغدا ، لبحث عدد من المشكلات ، التي تهم الجماهير . يخصص اجتماع اليوم للمجموعة الوزارية ، لبحث مشكلة الدخان ، الذي غطى سماء القاهرة في الأسبوع الماضي ، والتعرف على أسبابها ، واتخاذ الإجراءات الحازمة ، التي تقلل من حدوث مثل هذه الظاهرة ، مرة أخرى ، ويخصص الاجتماع الثاني ، لدراسة ارتفاعات المباني ، حول مطار القاهرة الدولي ، واتخاذ الإجراءات الخاصة لتطوير المطارات ... انتهى .

صحيفة الشعب

* فيما يلي سنعرض تعليقا ، للكاتب عادل حسين من صحيفة (الشعب) المصرية ، في عددها الذي صدر يوم الجمعة 5 /ـ 11 /ـ 1999م . عنوان المقال على شبكة الإنترنت : (www. elshaab.com/05-11-1999/2.htm) ، تصدير المقال :

- **السحابة وسقوط الطائرة وتهديد السودان : حلقات متكاملة لإرهابنا .**
- **بيرجر : المخاطر الصاروخية في الشرق الأوسط ، تتطلب التحرك الأمريكي القوي .**
- **إخضاع مصر بالكامل هو الهدف الأول : ما المطلوب ؟ وكيف نقاوم ؟**
- **السقوط المفاجئ للطائرة ، يضع دولتنا تحت رحمة أمريكا ، هل هذا مصادفة ؟**
- **التحرك المجنون لفصل جنوب السودان قد يورط مصر في مواجهة عسكرية حتى لا نموت عطشا .**
- **استمرار (والي) في مناصبه ، شجّع موريتانيا ، ويُشجّع غيرها على الاعتراف بإسرائيل .**
- **بقاء مجدي حسين وصحبه في السجن مرفوض ... وتقديم الإخوان للمحاكمة ، مرفوض ... مرفوض .**

الجزء الخاص بالدخان من نص المقال :

لاحظ المواطنون ، أن المصائب توالت علينا ، منذ إعلان الانقلاب الوزاري الأخير ، بدءا من اختطاف طائرة بسكين ، وانهيار بعض المدارس ، ثم انتهاءً بالسحابة السوداء الغامضة ، والسقوط المروع للطائرة المصرية ، في المياه الأمريكية ، وهذه الملاحظة عن تتابع المصائب ، صحيحة بالقطع ، وقد استنتج الناس أن الوزارة (وشّها نحس) .

إلا أننا لا نتفق طبعا ، مع هذا التفسير ، ومن واجبنا أن ننتبه ، إلى ما جرى ، أخطر كثيرا من كونه مجرد أحداث متفرقة ، تتابعت بسبب النحس .

ونحن في تحليلنا نُفرّق بين نمطين من الأحداث ، الأول له أسبابه المحلية الظاهرة ، ومثل ذلك اختطاف الطائرة بالسكين ، وسقوط المدارس ، وما سبقه من تصادم

القطارات ، وتهاوي ركابها فوق القضبان ، فمثل هذه الأحداث ، كوارث داخلية في أسبابها ومغازيها ، فهي تكشف عن مدى الانحطاط ، الذي بلغه جهازنا الإداري ، الذي لا يعرف كيف يُنظم العمل ، ، ولا كيف تتم الصيانة والمتابعة ، والذي أصبح لا يعرف العقاب الفوري ، للمهمل والفاسد . ويتفرّع عن هذا ، كل ما يُعانيه المواطن ، من ظلم وإذلال ، لدى تعامله مع أية مصلحة حكومية .

إلا أنني أُركّز هنا على النمط الثاني ، من المصائب التي اجتاحتنا ، والذي يتمثّل في السحابة السوداء ، وفي سقوط الطائرة في المياه الأمريكية ، وسأضيف أيضا ، التهديد باستقلال جنوب السودان .

لغز السحابة السوداء :

بالنسبة للسحابة السوداء ، مؤكد أن هناك إجماعا ، على رفض التفسير الرسمي المعلن ، بحكاية مقالب الزبالة ، وحرق قش الأرز وما شابه ... طبعا لو صحّ التفسير ، لكان سببا إضافيا لعزل (يوسف والي) !! ولكننا لا نصدّق مثل غيرنا هذا التفسير ، المتهافت والمهين للعقول ، ونحن لا نتسقّط أسبابا ، لعزل (والي) ، فوالي مش ناقص ، والاتهامات الأخرى الثابتة في حقه ، تكفي وزيادة ، للإطاحة به ومحاكمته .

ولكن مع الرفض الجماعي ، لإعلان الحكومة عن حكاية قش الأرز ، حاول الناس أن يتوصلوا بمعرفتهم ، للأسباب الأكثر احتمالا ومنطقية ، لحكاية السحابة السوداء ، وفي سعيهم هذا ، حاولوا أن يرصدوا أي تغيّر جديد ، يربطونه بنشوء هذه الظاهرة ، المفاجئة وغير المألوفة ، فلم يجدوا أمامهم إلا مناورات النجم الساطع ، وانتشر بين الناس أنها السبب ، وهذا التفسير للظاهرة العجيبة والمؤذية ، يُعبّر في تقديري عن اتجاه سليم في التحليل ، فهو من ناحية يعكس وعيا شعبيا عميقا ، في التعامل مع الحلف الصهيوني الأمريكي ، على أمننا ووجودنا ... ومن جهة أخرى ، فقد خمّن الناس ، أن لجوء الحكومة إلى كذبة مفضوحة وسخيفة ، يُخفي حرجها من إعلان السبب الحقيقي ، لمأساة السحابة السوداء ، فتأكد عندهم ، أن مناورات النجم الساطع ، قد تكون السبب ، المُثير للحرج .

وقد ذكرت ، أن ما وصل إليه جمهور الناس وخاصتهم ، يُعتبر تحليلا في الاتجاه الصحيح ، ولكن قد لا تكون مناورات النجم الساطع ، بالذات مسؤولة ، وبشكل مباشر عن هذه الظاهرة ، إذن كيف حدثت ؟ لا أستبعد أن تكون الحكومة عاجزة مثلنا ، عن الإمساك وبالدليل ، بالسبب الحقيقي لمصيبة السحابة السوداء ، ولا غرابة في قولي هذا ، فمن الثابت الآن ، أن ترسانة الأعداء ، في مجال الحرب البيولوجية والكيمائية ، فيها الكثير من الطلاسم والأسرار ، التي يصعب فهم كنهها ، وفيها تنويع هائل ، فبعضها يُمكن أن يقتل ، والبعض الآخر يُمكنه الإيذاء ، دون القتل ، وحسب الدرجة المطلوبة ... ، وفي كل الأحوال ، فإن الميزة العظمى لهذه الأسلحة السرية ، أنها تُحدث فعلها المدمر ، دون أن تتمكن الضحية ، من معرفة السبب أو من التثبت ، من نوع الوسائل ، التي حملت إليها أسلحة القتل والإيذاء .

(ويسهب الكاتب قليلا ، في الحديث عن الأسلحة السرية ، ويضرب قصة المحاولة الإسرائيلية الفاشلة ، لاغتيال خالد مشغل ، واستخدام اليورانيوم المستنفذ في العراق ويوغسلافيا ، ومنتجات الهندسة الوراثية في الأغذية ، ومن ثم يختم كل ذلك بقوله) :

في إطار ما سبق ، لم لا تكون سحابتنا الغامضة ، ضمن وسائل الحرب السرية ؟! ولا يعني هذا ، أن ما جرى كان بالضرورة ، في إطار أسلحة الإبادة الشاملة ، فقد ذكرت

أن أسـلحتهم ، أصـبح فيها درجـات متصـاعدة من الإيـذاء ، الـذي قد لا يصل في كل الحالات إلى القتل .

إنّ الابتلاء الذي مثّلته السحابة السوداء الغامضة ، قد يكون مجرّد إشـارة تحـذير (لقد أصـاب الكـاتب هنا كبد الحقيقة ، وهي كـذلك) ، وشـدّ للأذن ، فالدولة قد تتوصل إلى نفس الاستنتاج الذي وصلناه ، وهذا في ظنهم يكفي – مع ضغوط أخــرى - لكي تخضع الدولة ، وتُنفّذ ما يُطلب منها ، خوفا من تكـرار الظـاهرة وتصـاعدها ، إن الدولة قد لا تتمكن من تقديم ، أدلة قاطعة ، تثبت وقوع الجريمة ، وإن كـانت تـرجح قيامها ، ولكن هذا الغموض ، هو ما يُميّز الأشكال الجديـدة ، للحـروب الكيماوية والبيولوجية ، والـتي يُمكن أن تحقق ما يستهدفه القصف النـووي بالصـواريخ ، ولكن دون ضـجيج ودليل ... انتهى .

* صـحيفة الشـعب ، والـتي أُخذ منها هــذا المقــال ، موقوفة عن العمل ، من قبل الحكومة المصرية .

قراءة سريعة في مقالات الأهرام والشعب

صحيفة الأهرام

وصف المسؤولين الصحفيين والأطباء والمواطنين للظاهرة :

الأدخنة والغازات والروائح النفاذة ... ظاهرة غريبة بحاجة إلى تفسير ... سحابة دخـان كثيفة ... الدخان الكثيف ... السحابة العالقة بسماء القـاهرة ... دخـان ينبعث من آبـار بترول تحترق ، وليس دخانا عاديا ... بأن هناك شيئا يحـرق في الهـواء ... هـذا الـدخان الخانق ... وبالنسبة لدخان السحابة الأخيرة ، فقد اتسم بالكثافة ، ووجود رائحة نفّـاذه مصـاحبة له . تقـول د. نادية مكـرم عبيد وزيـرة البيئة ، إنها رصـدت سـحابة الـدخان ، وشعرت بها مثل كل المواطنين ، وأدركت أن هناك شيئا غير طـبيعي ، في الهـواء منذ عشرة أيام ... لغز السحابة السوداء .

مدى انتشار الدخان :

تعرضت سماء الـدلتا والقـاهرة حـتى الجـيزة ، لتلـوث هـوائي شـديد ... غطّت أجـواء القــاهرة ، خاصة منطقــتي مدينة نصر ومصر الجديــدة ، ومنــاطق وسط البلد ومصر القديمة ... الدخان الكثيف ، الذي يمتد من حلـوان إلى المعـادي والمنيل والمهندسـين ... نتيجة لهذا الدخان الخانق ، الذي لف القـاهرة ... فـوق سـماء القـاهرة ، وعـدد من محافظات الدلتا ... التي خيّمت على مدى الأيام الماضية ، فوق محافظة الشـرقية ... تجـدد انتشـار الـدخان ، في سـماء القـاهرة الكـبرى ، مسـاء أمس ، وتلقت الأهـرام اتصـالات هاتفية ، من قـاطني السـاحل وشـبرا مصر ومصر الجديـدة ، ومدينة السـلام والعجوزة والمنيل والهرم ، بإحساسهم بتكاثر الدخان .

الضرر النفسي والجسدي الذي أحدثه :

اختناق القاهرة ، الذي استمر لثلاثة أيام متتالية ... وأيـاً كـانت أسـبابها الحقيقية ، فقد انزعج العديد من الأهالي ... ، تسبب في حالة من القلق ، بين سكان القـاهرة ... أثـار ذعر السكان ... بعدم المبالغة في قلق ، ووصف الحدث ، بالكارثة ...

الأعراض المبدئية للتعرض لها ، تشمل التهاب العيون ، والأنف والأذن والصـدر والحلق ، وصعوبة في التنفس ... وسبّب بعض حالات الاختناق ... أزمات تنفسية ، نتيجة لزمتة الهواء ، وغياب الأوكسجين الكافي ، وأصابت الأطفال وكبـار السن بالاختنـاق ... عـدم القدرة على التنفس ، رغم إغلاق نوافذ الشقق ... لا نسـتطيع التنفس ، ونكـاد نصـاب بحالة اختناق شديدة ... أصيب بحالة اختناق شديدة ، وحرقان بعينيه ، لم يستطع معها ، الإبصار بصورة جيدة ... وغطّت الطرق الرئيسـية ، مما أدى إلى إعاقة الرؤية ، أمـام سائقي السيارات ، وعرضتهم إلى ارتكـاب حـوادث التصـادم ... وقد أغلق المواطنـون النوافذ لشعورهم بالاختناق .

ويقول د. محمد عوض تاج الدين ، أستاذ الأمراض الصدرية ، ونـائب رئيس جامعة عين شـمس : ... وبالنسـبة لـدخان السـحابة الأخـيرة ، فقد اتسم بالكثافة ، ووجـود رائحة نفـاذه مصـاحبة له ، مما أحـدث تهيجا في الأغشـية المخاطية ، للعين والأنف ، لمن تعرضوا له ، وأدى ذلك إلى إصابتهم ، بضـيق في التنفس ، نتيجة تهيج هـذه الأغشـية ، فارتفع عدد الحالات المصابة ، وزاد عدد المتردّدين على أقسام الصدر ، بالمستشفيات العامة والخاصة .

الأسباب المحتملة :

ثلاثة احتمالات : حرق المخلفات الزراعية ، حرق القمامة ، عوادم السيارات ... أثـارت سـحابة الـدخان الخـانق ، الـتي غطت القـاهرة ، أول أمس ، تسـاؤلات عديـدة حـول أسـبابها .. البعض أرجعها لحـرق ، مقـالب القمامة المنتشـرة حـول القـاهرة ، وعلّلها البعض الآخر ، بحرق بقايا جذور نبات الأرز .

مقالب الزبالة بريئة من التهمة :

من جانبه يؤكد اللواء مجـدي البسـيوني ، رئيس هيئة التجميل والنظافة بالقـاهرة : إن هـذه السـحابة العالقة بسـماء القـاهرة ، لا ترجع إلى حـرق القمامة . ليُـبرّئ مقـالب القمامة ، ويتهم القش .

ـ أما المزارعون فقد برّءوا القش بحجج منطقية ، بالإضافة إلى أن دخـان حـرق القش والأخشاب ، ذو لون أبيض ، ورائحة خاصة ومميزة ، من الممكن احتمالها ، تختلف عن دخان حرق المواد البترولية ، ذو اللـون الأسـود ، والرائحة النفاثة ، وكـذلك تختلف عن دخان حرق القمامة ، ذو اللون الأقل سوادا ، والرائحة الكريهة .

المختص لا يعرف الحقيقة ، ويُبرّئ القش ويتهم القمامة :

وشرح الدكتور محمود نصر الله ، مدير معمل تلوث الهـواء ، أنه من المتوقع أن تكـون الأدخنة (وليس من المؤكد) ، ناتجة عن احـتراق وقـود البـترول ! ، أو القمامة ! هـذه الأدخنة عبارة عن جسيمات عالقة ، من الدخان الأسود :

1. ثاني أكسد الكربون ،
2. وثاني أكسيد الكبريت ،
3. أول أكسيد الكربون ،
4. وأكاسيد النيتروجين .

لذلك يجب أن يكون هناك حل سريع وفوري ، وتشكيل غرفة عمليـات ، لرصد مصـادر التلــوث ، وكل منطقة ســكنية ، بها محرقة أو مقلب زبالة ، يجب أن تبلغ الجهـــات المسؤولة ، مثل وزارة البيئة وجهاز شؤون البيئة ، حتى تخمد هذه الحرائق فورا .

ـ وبما أنه لا يوجد حقول نفط تحترق في القاهرة ، نجد أن هذا المختص ، يُبعد الشـبهة عن القش ، ويعزوه لمقالب القمامة ، والتي أكد المسؤولون ، أنها موقوفة عن العمل منذ مدة ، وأنها ليست السبب .

عودة الدخان ... ولا حرائق تؤخذ بعين الاعتبار ... ؟!

ـ ورغم كـلّ الإجـراءات الاحترازية والاحتياطـات اللازمة ، الـتي اتخـذت على الأرض ، بمنع الحرائق في القـاهرة وما حولها ، يعـود الـدخان بنفس الكثافة ، ويبقى عالقا في سماء القاهرة ، ليدبّ الذعر والرعب ، بين سكان القـاهرة ، من جديد ، في ليل 26 / 10 / 1999م ، ليصبح لغزا غامضا ، لا يقبل تبريرا منطقيا ، ولا يجد تفسيرا علميا .

وقـالت الـوزيرة : أنها في اجتمـاع دائم ، مع خـبراء البيئة المصـريين وبعض الخـبراء الدانماركيين ، لرصد وتحليل الأدخنة المنبثقة والمنتشرة ، في سماء القاهرة الكـبرى . وأشـارت إلى أن التحليل المبـدئي للأدخنة ، أكد وجـود نسـبة عالية ، من الجسـيمات العالقة والأتربة الرفيعة ، ساعد على انتشارها سـكون الجو ، وعـدم تحريكها بواسـطة الرياح (كمن فسّر الماء بعد الجهد بالمـاء) ، وما زالت أبحاثنا مسـتمرة للوصـول إلى حقيقة هذه الأدخنة .

ـ أي بـالرغم من كل محطـات الرصد ، الـتي عـدّدها أحد المقـالات أعلاه ، لم تسـتطع الوزيرة وخبرائها الدنمركيين من معرفة أسبابها .

ونفى المستشار البيلي ، حرق أي كاوتش ، كما تردّد عن أحد المصانع الكبرى .

ومن جانبه صـرح د. محمد عطية الفيـومي ، رئيس مجلس محلي محافظة القليوبية : بأنه لا توجد حرائق في المنشـآت الموجـودة ، على أرض المحافظة ، حـتى السـاعة التاسعة ، مساء الثلاثاء 26 أكتوبر .

اهتمام على مستوى رئاسة مجلس الوزراء :

تلقى الدكتور عاطف عبيد ، رئيس مجلس الوزراء ، تقريرا شـاملا ، مسـاء أمس ، من الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشؤون البيئة ، حول ظاهرة الـدخان الكـثيف ، الذي غطى سـماء القـاهرة ، منذ يـوم السـبت الماضي ، وعـاد إلى الظهـور ، يـومي أمس وأمس الأول . وقــال عبيد : أنه ســيتم بحث هــذا التقرير ، بشــكل تفصــيلي ، لمعرفة أسباب تلك الظاهرة ، وكانت الأهـرام ، قد تلقت طـوال ليلة أمس ، سـيلا من الشـكاوي حولها ، من عشـرات المواطـنين ، الـذين يشـكون من الاختنـاق ، وعـودة الدخان إلى الظهور بشكل كثيف ، في أنحاء متفرقة من القاهرة .

إحدى الحقائق المرعبة ، على لسان وزيرة الدولة لشؤون البيئة :

وصرحت الدكتورة نادية مكرم عبيد ، وزيرة الدولة لشؤون البيئة ، بأن معـدلات تلـوث الهـواء ، وصـلت أخـيرا إلى 300 ميكروغـرام في المـتر المكعب ، بما يتجـاوز أربعة أضعاف نسب التلوث الأمنية .

ـ فكيف وصلت نسبة التلوث بالدخان ، إلى هذه الدرجة بين عشية وضحاها ... ؟! ولماذا لم تُطلع الوزيرة وخبراء الرصد الشعب المصري ، على تقارير التحليلات المخبرية ، أثناء حدوث الظاهرة أو بعد انتهائها ، واقتصرت على تبريرات وتفسيرات ، أشبه ما يكون بحكايا جدتي .

صحيفة الشعب :

تؤكد الصحيفة ، أن هناك إجماعا ، على رفض التفسير الرسمي المعلن ، بحكاية مقالب الزبالة ، وحرق قش الأرز وما شابه ...!! وتصف التفسير الحكومي للظاهرة ، بالمتهافت والمهين للعقول . ولذلك ، حاول الناس أن يتوصلوا بمعرفتهم ، للأسباب الأكثر احتمالا ومنطقية ، لحكاية السحابة السوداء ، وفي سعيهم هذا ، حاولوا أن يرصدوا أي تغيّر جديد ، يربطونه بنشوء هذه الظاهرة ، المفاجئة وغير المألوفة .

التطيّر من الناس والأشياء من عادات أهل مصر قديما وحديثا :

وكما تطيّر فرعون وقومه بموسى ومن معه ، لما كان ينزل بهم العذاب ، تطيّر أهل مصر (بالوشّ النحس) للوزارة الجديدة ، وكان جواب رب العزة لأهل مصر القدماء (**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) .

الأوصاف التي أطلقتها الصحيفة على ظاهرة الدخان :

الظاهرة العجيبة والمؤذية ، المفاجئة وغير المألوفة ، مأساة السحابة السوداء ، مصيبة السحابة السوداء ، سحابتنا الغامضة ، السحابة السوداء الغامضة .

هي ابتلاء ونذير شؤم لأهل مصر ؟!

وتخلص الصحيفة إلى القول : إنّ الابتلاء الذي ، مثّلته السحابة السوداء الغامضة ، قد يكون مجرّد إشارة تحذير ، وشدّ للأذن .

ـ وهنا أصاب كاتب المقال كبد الحقيقة ، نعم هو تحذير وإنذار نهائي ، ولكن من قبل من ... ؟!

بل هم في شك يلعبون

* النصوص الكاملة لمادة هذا الفصل ، تجـدها على موقع باسم (ملف وليمة لأعشـاب البحر) ، على شبكة الإنترنت على العنوان :

www.mohammadabbas.com/books/alwaai/alwaai8.htm ، أو العنوان :

www.alshaab.com/GIF/31-08-2001/Walima.htm

" الرواية في ميزان الإسلام : ساقطة داعرة ..

في ميزان العقل : مختلة فاسدة ..

في ميزان الأدب : ضعيفة مهترئة .. " .

الأستاذ الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي

مقتطفــات ، من مقــالات د. محمد عبــاس في رواية وليمة لأعشاب البحر :

صحيفة الشعب : 28/4/2000 ، عنوان المقال :

لا إلـه إلا الله ..

من يبايعني على الموت ..

تبّت أيديكم.. لم يبق إلا القرآن ..

ماذا لو قلنا أن رئيس الوزراء خـراء ؟!

" لا إلـه إلا الله ... بكيت ...لم يكن طول الجرح بالمسـافة بل بـالزمن .. جـرح طوله ألف وخمسمائة عام .. صرخت : تبت أيـديكم .. أيما كنتم .. وأينما كنتم .. وأيما أنتم .. وأيا كان من وراءكم .. يا كلاب النار يا حطب جهنم ...

أمسكت بالـهاتف واتصلت بصديق كي أبثه همي ... استطعت بعد جهد جهيد ، أن أقـرأ للصديق بعض الجمل ، التي انصبت على جسدي كالنار .. كرصـاص منصـهر.. طفحت من كتاب داعر فاسق فاجر كافر .. طبعته لنا ونشرته بيننا ، وزارة الثقافة المصرية .. وليس الإسرائيلية ولا الأمريكية ...

حــرون هو القلم في يــدي .. وقلــبي لا يطــاوعني ، أن أنقل لكم الكلمــات الفاســقة الداعرة الكافرة ، الـتي أوردها كتـاب فاسق داعر كـافر.. نشـرته هيئة ، لابد أن تكـون فاسقة داعرة كافرة ، تحت رئاسة مسئول ، لابد أن يكون داعرا فاسقا كافرا ..

إليكم ما طبعته ونشرته وزارة الثقافة المصرية : " وهؤلاء يهمشون التـاريخ ، ويعيدونه مليون عام إلى الوراء ، في عصر الـذرة والفضـاء والعقل المتفجر ، يحكموننا بقـوانين آلـهة البدو ، وتعاليم القرآن .. خـراء "..

لا إلـه إلا الله.. لا إلـه إلا الله .. لا إلـه إلا الله ...

صرخت في نفسي : كيف يا صفيق قرأتها فلم تمت الفور.. كيف ؟! ...

تراءى لي الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يناظرني معاتبا ، يـوم القيامة ، فصـرخت من الخجل ...

تراءى لي الزبير بن العوام ، يهتف صارخا في حروب الردة : من يبـايعني على المـوت ...

تراءى لي ملايين وملاين من الشهداء والصابرين .. بـذلوا حيـاتهم واحتسـبوا صـبرهم ، لتقـديس اسم الله ، ورفع كلمته .. ثم أتى الشـيطان ، ليكتب ما يسـميه كتابا ، تعتـبره وزارة الثقافة المصرية – وهى الأخرى شيطان - أدبا ، فتنشره على الناس كي تنوّرهم ...

وزارة الثقافة المصرية في بلد الأزهر ، وصلاح الدين وقطز وخالد الإسـلامبولي ، تنشر يا قراء كتابا ، يدعى أنه رواية ، يقول : أن القرآن خـراء .. ثم لا يلبث أن يقـول : إخـرأ بربك ...

لا إلـه إلا الله ... أول مرة ألقى مثل هذا الألم في حياتي ..

ولا حـتى ، اسـتدراجنا كقطيع من الخـراف ، إلى مقتلة الخليج .. حين انـدفع بالشـرك والغباوة والخيانة والجهل والنفاق ، نصفنا يقتل نصفنا .. كقطيع .. قطيع من الخراف ، يندفع إلى المجزرة ، وهو فرح بها نشوان ..

ولا حتى ، عندما حمل السادات ، كفننا وكرامتنا وتاريخنا ، ليذهب مذموما مـدحورا إلى القدس ..

ولا حتى مع الذبح اليومي ، الذي نشارك فيه للعراق .. ولا حتى يوم موت أبى .. أبدا .. لم أشعر بمثل هذا الألم ...

القرآن .. خـراء ...

ملاذنا الأخير ينتهك ويهان ...

كان صديقي ما يزال على الـهاتف ... وكنت ما أزال أبكى ، وأنا أقـرأ له ، مما نشـرته وزارة الثقافة المصرية .. رائدة التكفير لا التنـوير : " الله قـال انكحـوا ما طـاب لكم . رسـولنا المعظم كـان مثالنا جميعا ، ونحن على سـنته .. لقد تـزوج أكـثر من عشـرين امرأة ، بين شرعية وخليلة ومتعة .. "

ثم يستطرد الكتـاب الفـاجر الكـافر ، الـذي يلبس عبـاءة رواية ، وليس برواية ، إلا في عقول مخصـية شـاذة مريضة ، سـعت وتسـعى إلى نشر الكفر والفاحشة .. يسـتطرد مجترئا على الذات الإلـهية ، ليقـول : " إن رب هـذه الأرض ، كـان يزحف وهو يتسـلل من عصور الرمل والشمس ، ببطيء السلحفاة " .

ويسوق في حوار فاجر كافر : " هو من صنع ربى .. لا بد أن ربك فنان فاشل إذن .. "

لا إلـه إلا الله ...

ويقـول الفـاجر بن الفـاجر ، الفاسق بن الفاسق ، الكـافر بن الكـافر : مؤلفا وطابعا وناشـرا ووزارة : " داخل هـذه الأهـواز الـتي خلقها الـرب ، في الأزمنة المـوغرة في القدم ، ثم نسيها فيما بعد ، لتراكم مشاغله ، التي لا تحد في بلاد العرب وحدها ، حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفي عام " .

و " أقام الله مملكته الوهمية ، في فراغ السماوات " ..

و " وخلع الجلد المتخلف والبالي ، الذي خاطه الإسلام فوق جلودنا القديمة " ..

و " إن حبل السـرة ، ما يـزال موصـولا مع الأزمنة الرعوية ، وأزمنة عبـادة الله الواحد القهار في السماء والأرض ، وذلك الذي يقول للشيء ، كن فيكون " .

آه ينصدع لها القلب ، وينحطم الفؤاد ، وتتكسر الروح ...

برح الخفاء يا ناس ، وهذا وقت المفاصلة ، إما إيمان ، وإما كفر ...

للوهلة الأولى .. والـــدوار يكتنفـــني ، قلت لنفسي : اذهب إلى الأزهر على الفـــور ، واصعد منبره ، واصرخ : من يبايعني على الموت .. ؟!

ثم آخذ الرهط الـذي يجتمع حـولي ، وأتوجه بهم إلى قصر الـرئيس مبـارك .. عـراة صـدورنا ، نازفة قلوبنا ، دامعة عيوننا ، عُـزّل أيـدينا .. نسألـه ، والسـؤال دم : ما هي الحدود بين الإسلام والكفر .. ؟ ما هي التخوم بين التنوير والتعهير .. ؟ ما هى الطخوم بين تجفيف المنابع ، والخروج من الملة .. ؟ ما هى البيون ، بين أن تكـون مصر قائـدة للتنوير حقا ، يرتضـيها العـرب والمسـلمون ، وبين أن تكـون قـوادة ، للكفر والفسـوق والعصيان .. ؟

نهتف فيـه : أنت ولى الأمر ... وليس لنا أن نقيم الحد على الفجـرة الكفـرة الفسـقة بأيدينـا ...

تسلل إلى نفسي أمل ميت .. أن يكون ثمة لبس ، قد حـدث أمـام صـحيفة الأسـبوع ، عندما فجرت هذه الفضيحة منذ أسـابيع قليلة .. لعل الكتـاب طبع في إسـرائيل مثلا .. وقلت لنفسي أن الإسلام يأمرني بالتثبت .. بحثت عن الكتاب .. ووجدته :

(وليمة لأعشاب البحر .. حيدر حيدر .. سلسلة آفاق الكتابة .. العدد 35- الـهيئة العامة لقصـور الثقافة .. وعنوانها كما هو مثبت : 16 أ شـارع أمين سـامي- قصر العيـني – القاهرة ت: 3564841 ـ 3564842 – فاكس 3564202 – أما الطابع فهو : شركة الأمل للطباعة والنشر ، أما قائمة العــار الدنـــسة ، المكتوبة على صــفحات الكتــاب الأولى ، فتجمع : رئيس مجلس الإدارة : على أبو شـــادي ، أمين عـــام النشر : محمد كشيك ، رئيس التحرير : إبراهيم أصلان ، الإشـراف الفـني : د .محمـود عبد العـاطي ، مدير التحرير : حمدي أبو جليـل) ...

لا إلـه إلا الله ...

كنت أظن أني محتـاج ، لقـراءة الرمـوز بين السـطور ، كي أكشف الشـرك الخفي .. حتى جاء هذا الكتاب ، وفجرت صحيفة الأسبوع قضيته ...

ليس الشرك الخفي ، بل الكفر البواح ...

هو الخيانة لله ولرسوله .. هو الخيانة للأمة وللوطن .. هي العمالة الصريحة المباشـرة ، لأمريكا وإسرائيل ...

هو التسلل إلى عقول أبنائنا ، لإخراجهم من الإسـلام تماما ، كما قـال (زويمـر) .. هو نشر الإباحية والسفالة والشذوذ ، وقتل روح الأمة ...

إن العار لا يلحق بـوزارة الثقافة فقط .. فتضـامن المسـؤولية الوزارية ، يجعل مجلس الوزراء كله مسئولا ، وكل وزير مسئول .. ورئيس الوزراء مسئول .. و..

لكن الفاجر يكتب والفاجر ينشر أن "القرآن خــراء " .. و " خــرا بربك " .. ثم يجد من يدافع عنه .. أما من وزير يستقيل ... ؟!

لا إلـه إلا الله ...

يا جلالة ملوك وفخامة رؤساء الدول الإسلامية .. لطالما تعاونتم على الإثم والعدوان .. فتعاونوا ولو مرة للدفاع عن القرآن .. اطلبوا الـرئيس مبـارك اليـوم.. قولـوا له أن ما نشـرته وزارة الثقافة المصـرية ، لم يـذبح المسـلمين في مصر فقط ، بل في العـالم الإسلامي كله .. من لم يفعل منكم ذلك ، فليأت الله يوم القيامة ، والقرآن خصـمه ... !

من كان منكم يحب الله والرسول ، فليدافع عن القرآن ...

من كان منكم مذنبا ، فليكفر عن ذنوبه ، بالدفاع عن القرآن ..

يا شــيخ الأزهر ... لا إلـه إلا الله ... يا فضـيلة المفــتى ... يا شــيوخ الأزهر ، ويا طلبة جامعة الأزهر ... يا خطباء المساجد ... لا إلـه إلا الله ...

يا كل هيئة ومؤسسة وصـحيفة في العــالم الإســلامي ... اكتبــوا أنهم في بلد الأزهر ، ينشرون أن القرآن خـراء ...

يا شــيخ يوسف القرضـــاوي ... دافع عن القـــرآن بما أنت له أهل ... إن الأمة تنتظر فتواك ، في كل مسئول عن نشر هذا الكتـاب ... أصـرخ فيك ... أهتف فيك : مصر لم تعد بخير .. مصر لم تعد بخير .. مصر لم تعد بخيـر ... فالنجدة النجدة والغوث الغــوث ... فإنه القـرآن ... ولا إلـه إلا الله ...

يا سيادة الرئيس ... أطفئ الفتنـة ...

واعلم هــدانا وهــداك الله ، أن الأمر ليس أمر وزير فاسق ، أو وزارة فــاجرة ، بل هو منهج مشرك تسلل إلى النظام ، مسئوليتك أمام الله أن تزيله ، وأن تحاربه ، حــتى لو استشهدت دونه .. منهج مشرك ، لا يقتصر على وزارة ، ولا يقوم به مجرد أفراد ...

واعلم هـدانا وهـداك الله ، أن مثل هـذا المنهج الفـاجر ، هو الـذي يغيب في السـجون والمعتقلات ، عشرات الآلاف من شباب ، لم يأخـذوا عليهم ، سـوى أن الإسـلام دينهم والقـرآن كتـابهم .. بينما يـرى ذلك المنهج الخـائن الفـاجر الكـافر العميل ، أن القـرآن خـراء ... وذلك ما ينقمونه عليهم ...

واعلم هـدانا وهـداك الله ، أن أسـوأ ما تفعل أن تكتفي ، بإقالة وزير أو تنحية مسـئول ...

فالخطب أطم والمصيبة أعم ...

قل لي يا سـيادة الـرئيس : هل ترضى لعهـدك – دون العهـود جميعا – أن تصـمه هـذه الوصمة .. فـالقرآن لم يتعـرض ، لمثل ما يتعـرض له الآن .. أبـدا .. ولا حـتى في عهد كرومر .. بل ، وحتى الفراعنة كانوا يقدسون كتب الدين ...

قل لي يا سيادة الرئيس : هل كـانت الدولة تسـكت ، لو أن من كتب هـذا الكتـاب ، أو طبعه ، أو نشـره ووزعه ، كـان قد وضع الإنجيل ، أو التـوراة ، مكـان القـرآن ؟!.. ما كانت الدولة لتسكت .. وما كنا نحن أيضا سنسكت ..

يا سيادة الرئيس : إنك مسئول عن هذه الفئة المنحرفة الشاذة .. مسئول أمام الأمة ، وأمــام التــاريخ ، وأمــام الله .. إن القــانون في بريطانيا ، يحمي الإنجيل والتــوراة ..

وأخوتنا المسـلمون هنـاك ، يجاهـدون لمـدّ مظلة الحماية إلى القـرآن .. فهل ترضى لنفسك ، أن نجاهد أمامك ، لسن قانون يحمي القرآن ؟! ...

يا سيادة الرئيس : إنك كادح إلى ربك كـدحا فملاقيه .. وإني والله لمشـفق عليك ، من أن تلقاه وهـذه الفعلة الشـنعاء في كتابك .. توضع في ميزانك .. وما أثقلها .. ما أثقلها .. ما أثقلها ..!

وإنني أناشدك يا سـيادة الـرئيس - أبيت اللعن - أن تطفئ لهيب الفتنة ، ببيـان يصـدر عن الرئاسة اليوم .. بيان استغفار إلى الله .. واعتذار إلى الأمـة ..

فإن لم تفعل يا سيادة الرئيس ... فـإنني أرجـوك : مر رجالك بقتلي ... قتلة غلام أهل الأخدود " .

* مقتطفات من مقال آخر ، د. محمد عباس ، صحيفة الشعب : 5/5/2000م ، تصدير المقال :

الجريمة مستمرة ..

ثلاثية الثقافة في مصر :

الكفر والعهر والتطبيع ..

هل الله جليسة أطفال .. ويعلمنا الحب ؟!

وهل الأنبياء آبقون .. ؟!

الجريمة مسـتمرة ... وسـوف تخطئـون خطأ مروعا ، إذا ظننتم أنه مجـرد كتـاب داعر فاجر كافر أفلت .. وأن الأمر قد لا يتكرر مرة أخرى ...

ليس مجـرد الكتـاب ، بل إنه المنهج .. منهج متعمد مقصـود .. منهج أخطبـوطي ، ينفذ بالضـبط تعـاليم المستشـرقين والمبشـرين ، والاسـتعمار في صـورته الحديثة .. منهج يدرك ، أن أخطر ما في الإسلام والقـرآن ، هو ذلك الإيمـان اليقيـني ، الـذي يجعل من المسلمين بشرا ، يمكن أن يتفوقوا حتى على الملائكة ، ويجعل من المنافقين ، أشـبه بالخنـازير والقـردة .. وتلك هي النقطة ، الـتي تثـير عجب وحنق المنـافقين ، عنـدما يلاحظـون اسـتعلاءنا عليهم ، مهما أدبـرت عنا الـدنيا ، وأقبلت عليهم .. اسـتعلاء البشر على الخنـازير .. ولقد أدرك الغـرب منذ قـرون ، أنه هـزم في المواجهة المسـلحة مع الحضـارة الإسـلامية .. وأنه لا سـبيل أمامه ، إلا إفـراغ الإسـلام من محتـواه .. ولقد اسـتعان على ذلك حينا بالاسـتعمار ، حـتى اطمـأن إلى أنه ربّى بيننا ، نخبة فاسـدة مفسدة ، فتركها لتنوب عنه .. وهم منا ، لكن قلوبهم قلوب ذئاب ...

ليس مجرد كتاب يا أمة ... الجريمة مستمرة ولا إلـه إلا الله ...

الجريمة مستمرة ... والثقافة في بلدنا تهدف إلى ثلاثة أشياء لا تنسوها :

أن تكون حرية التفكير مرادفة للكفر ...

وأن تكون حقوق المرأة مرادفة للعهر ...

وأنه بعد نشر الكفر والعهر ، سـيكون المجتمع الإسـلامي ، قد غـرق في غيبوبة ، فقد معها كل مناعة .. ليسهل التطبيع بعد ذلك مع إسرائيل ، والانسحاق أمام الغرب ...

الجريمة مستمرة يا نـاس .. وسأعرض عليكم على الفـور ، نمـاذج لا تقل سـفالة وبشاعة ، عما عرضت عليكم في المقالة الماضية ... فلنتنـاول معا كتابا أخرجته وزارة الثقافة أيضا ، الـهيئة العامة لقصور الثقافة ، (كتابات نقدية ، العدد 97 ، ديسمبر 99 ، والكتاب معـروض ، عند باعة الصحف ، وإن كنت أحسب أن السيد الـوزير ، الـذي يطلقون عليه (زين الرجال) ، سوف يأمر بسحبه غدا ، قبل انتشار الفضيحة .. عنوان الكتاب : شعر الحداثة في مصر ، وقائمة العـار للهيئة المشـرفة عليه ، هي ذات قائمة العار ، التي نشرناها في الأسبوع الماضي ، وعلى رأسها أيضا : علي أبو شادي) ...

ولقد وفّر علينا إدوارد الخـــراط ، مئونة البحث في عشـــرات ، من إصـــدارات وزارة الثقافة المصرية ، لعشرات الشعراء المصريين - وأغلبهم والله ليسوا شعراء ، وليسوا بشرا - حين استعرضها في هذا الكتاب : 700 صفحة تقريبا .. وسعره خمسة جنيهـات .. وتـذكروا يا قـراء ، أن هـذه الكتب هي الـتي يخرءونها – إذا صح التعبـير- لتشـكيل وجدان الأمة ...

فلنـدلف معا ، إلى كلمـات السـفالة والشـذوذ والكفر البـواح .. فلنـدلف دامعين إلى السـخرية ، من الـذات الإلـهية والمرسـلين .. فلنـدلف إلى محاكـاة هازلة هازئة ، كمحاكاة مسيلمة الكذاب .. فلندلف إلى خيوط الشبكة ، الـتي يصـطادون بها الأمة .. إلا أنني أجد لزاما عليّ ، أن أنبه القراء ، أن ما سيقرؤونه على الفـور ، بـالغ الفحش ، وأن يبعدوه عن أيدي أبنائهم ...

(لم نشأ أن نورد شـيئا ، مما اقتبسه المؤلف من أمثلة ، على شـعر الحداثة في مصر ... حيث أن ما يطرحونه من تصويرات وتشبيهات ، تقشّـعر منها جلـود الـذين كفـروا ، وهي لا تقل سـفالة وانحطاطا ، عن الرواية السـابقة ، بل تفوقها أحيانا . تسـتطيع الاطلاع على ما لم نقم بـإيراده هنا ، مما اقتبسه كـاتب المقـال ، وشـيوخ الأزهر في تقاريرهم ، من نصوص ، على موقع الملف على شبكة الإنترنت) .

ويستطرد الكاتب قوله :

لم ينته الـهزء بـالقرآن ، ولكنـني أكتفي – مؤقتا – بما ذكـرت ، لننتقل إلى السـخرية ، من الأحاديث النبوية الشريفة :

" زمليني أنا العاشق المرتبك " .. و: "دثريني وخلي نهـودك تحـرث قلـبي بنصـلين من وبـر".. و: " نمضي إلى الـوادي المقـدس ، أنبيـاء آبقين ، نـأمر بـالمنكر ، وننهى عن المعروف ، دون أن نكظم الغيظ ، أو نعفو عن النـاس " . (مرجعية هـذا الشـاعر هي التوراة ، حيث أتهم فيها الأنبياء بالفحش والكفر) .

"دثريني دثريني .. ورطبي لي جبيني .. النار في عيوني .. والريح في يقيني " .

هذا هو تنوير وزارة الثقافة المصرية ، يا مسلمون ويا عرب ... هـذا هو ما يحـاربون به الإسلام ...

وأكثر من عشرين ألف معتقل ، يسومونهم سوء العذاب ، لأنهم يقرءون القرآن ...

لا إلـه إلا الله ...

يا عـاطف عبيد .. هـذا هو الفجر بعينه .. فُجر فـاجر ، وعُهر عـاهر ، لا يرعـاه إلا فـاجر وعاهر .. وتذكّر .. أن من ولّى أمر المسلمين فاجرا ، فهو فاجر مثله ...

تصـورت يا نـاس أن نشر المقـال ، سيسـفر عن نسف ، كل مؤسسـات وزارة الثقافة على الفور ..

لكن تصـــوُّري ، كــان أملا جهيضا في القلب .. وعلى العكس .. وجـــدت من المثقفين والنخبة ، من يدافع عن الكفر البواح ...

لقد احتفظت حضــارتنا ، بــتراث أوغل في الفحش بل والكفر .. ونــذكر أبي نـــواس والأغاني ، والفـرق المختلفة الـتي زاغت عن الإسـلام .. كـان المجـرى الرئيسي للنهر سليما ، ولم يكن يضره كثيرا ، أن يبول كلب أو خـنزير فيه .. لكن عنـدما يكـون المـاء راكدا .. وليس لـدينا سـوى كـوب من المـاء ، ونحن تـائهون في البيـداء في الــهجير ، فكيف نسمح للكلاب ، أن تبول في مائنا الأخـير ..

* مقتطفـات من مقـال آخر ، د. محمد عبـاس ، صـحيفة الشـعب : 12/5/2000م ، تصدير المقال :

لا إلـه إلا الله ..

يا سيادة الرئيس : الفتنة تطل .. فأطفئها ..

يا شيخ الأزهر : دافع عن دين الله ..

يا فضيلة المفتي : صمتك مذهل ..

إن وزيرة في الحكومة المصـرية ، هي الـتي صـرحت أن 17% من طالبـات الجامعة ، قد تزوجن زواجا عرفيا ...

فكم يا ترى ؟! لم يحتجن إلى ورقة التوت المغشوشة ، يغطين بها سوءاتهن ...

ولماذا نندهش لـذلك ، إذا كـانت مطبوعـات وزارة الثقافة ، تتـدنى حـتى تنشر الفسق والفجور ، وتصف بعهر ، كل ما يهدم القيم والثوابت ...

لمــاذا ننـدهش ، عنـدما تتحـدث بعض الدراسـات ، إلى أن أكـثر من 50% من طلاب الجامعة ، يتعاطون البانجو (مخدر) ...

وبرغم ذلك كله ، فإن اعتراضنا على تشبيه القرآن بالخـراء ، لم يـتركّز على المؤلف ، ولا على روايته .. فليـــذهب إلى الجحيم ، ما دام قد اختـــار الطريق إليها .. لقد انصب اعتراضي ، على قيام وزارة الثقافة المصرية ، بإعادة نشر الرواية في مصر.. والرواية الـتي تبـاع في الأسـواق ، بثلاثين أو أربعين جنيها ، دعمتها وزارة الثقافة ، حـتى بيعت بأربعة جنيهات .. هل هذا هو الفكر ، الذي ننقله ونعلمه لأبنائنا ...

نعم .. كذب المسؤولون في وزارة الثقافة ، وكـانت مجلاتهم وصـحفهم تكـذبهم .. لقد صرحوا بأن الرواية مسموح بها ، في كل الدول العربية ...

لكن أخبار الأدب : تذكر بـالنص على لسـان حيـدر حيـدر : " عشت في بيئة تحـاربني ، على المستوى الـديني ، ولا يقولـون أنـني علمـاني ولا عقلاني وتنـويري ، بل يقولـون ملحدا "

ويسألونه : هل كنت تجد صعوبة في نشر أعمالك ؟ فيجيب : " صعوبة شديدة جـدا ... فقد عشت أنا وكتبي ، في حالة منع مستمر ، من بلاد عربية كثيرة " ...

اقرءوا أيضا في نفس العدد من أخبـار الأدب ، تعليق الأسـتاذ محمـود أمين العـالم : " أخذت أقلب بين يدي رواية ، وليمة لأعشـاب البحر ، أو نشـيد المـوت ، للأسـتاذ حيـدر حيدر . بحثا عن اسم ناشر أو مطبعة ، فلم أجد ، وأخيرا علمت ، أن دور النشر العربية جميعا ، رفضت نشر هـــذه الرواية ، فقـــام هو بطبعها على نفقته ، ولكن يبــــدو أن المطبعة التي قامت بطبع هذه الرواية ، قد آثرت هي أيضا السلامة ، فاكتفت بالطبع ،

وامتنعت عن ذكر اسـمها . صـدرت الرواية مجهّلة ، إلا من اسم مؤلفها . ولقد علمت كذلك ، أن الرواية ، تكاد تعتمد في توزيعها على اليد . وعلى العلاقات الشخصية ، كما توزع المخدرات أو المنبهات المحظورة " .

فلماذا كذبت أجهزة وزارة الثقافة ... ؟!

لمـاذا يُكـذب الـوزير نفسه كل يـومين .. لقد صـرح أولا ، بـأن الرواية مصـادرة ، منذ منتصف نوفمبر الماضي .. وفى نفس يوم نَشْرِ بيانه ، كان بيان علي أبو شادي ، يقول : أن الرواية صدرت في منتصف نوفمبر (أي بعد ظهور الدخان بأسبوعين) ...

لماذا حاول الوزير باستمرار ، أن يخلط بين طبعة مصرية ، هو الذي أصـدرها ورعاها ، وباعها بعشر ثمنها ، وبين طبعـات لبنانية ، لم نسألـه ، ولم نطلب حسـابه عنها ، رغم أنه بحكم مسئوليته الوزارية ، مسئول عما يدخل إلى البلاد ، من عناصر الثقافة ...

إنـني أتهم وزير الثقافة ، أنه بسـبب مواقفه المتناقضة ، قد أشـعل غضب النـاس .. أشـعل غضب الطلاب .. يـوم الخميس نشـرت صـحيفة الوفد بدهشة ، تصـريحا عن اللجنة التي شكلها ، وقوله أنها ليست لجنة تحقيق ، بل لجنة ستشـرح للنـاس ما خفي عليهم ، من إبـداع في الرواية .. يـوم الجمعة الماضي نشـرت صـحيفة الأهـرام ، في مكان بارز خبر مصـادرة الرواية .. ويـوم الأحد نشـرت صـحيفة الأخبـار ، تصـريح وزير الثقافة بأن الرواية لم تصادر .. وانفجرت مظاهرات الطلاب يوم الاثنين ...

إن القـانون الإنجلـيزي مثلا ، يُجـرّم الاعتـداء على التـوراة والإنجيـل.. وهم لا يعتـبرون القرآن كتابا سماويا مقدسا .. هم وشأنهم .. لكن ألا يحقّ للقـرآن في بلاده أن يقـدّس .. لقد منع فيلم العشـاء الأخـير للمسـيح في لنـدن ، وخـرجت المظـاهرات تحطم دور السينما ، التي تعرضه في باريس ...

لماذا لجأ بعض مثقفينا (المدافعين عن وزارة الثقافة) إلى هذا الـهجوم الضاري ؟ ...

لماذا اعتبرتم فاروق حسني فرعونكم ، فَرُحتم كالكهنة القـدامى ، تـدعون لعبادته من دون الله ؟ ...

وأقـول لكم على الـرغم مـني يا نـاس ، أنهم حققـوا بعض النجـاح في خطتهم .. فقد وعدتكم في الأسبوع الماضي ، أن أتناول اليوم كتابا من كتب وزارة الثقافة ، تدعو فيه كاتبته ، إلى تعديل القـرآن ، كي يتوافق مع النظـام العـالمي الجديد ، ومواثيق حقـوق الإنسان ...

وأن هؤلاء الناس ، ينظرون إلى الإسلام وإلينا ، كما ينظر مبدعهم حيـدر حيـدر ، الـذي يقول في صفحة 510 ، من كتابه الملعون :

"ضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوي فيه : لكنني ملحد كما تعرفين .. الشرف والبكـاة (لعله يقصد البكارة) ، وأخلاق المسلمين في مؤخرتي ، من عشرات الأعوام " .

لا تعترضوا يا قراء .. فنقادنا الجهابذة ، يرون أن هذا الكلام السافل البذيء إبداعا ..

" في تلك الليلة تحـدث عن تحطيم الأوثـان ، الـتي أقامها الآبـاء والأجـداد ، وضـرورة الانفصـــال عن الـــدين والله ، والأخلاق والتقاليد ، والأزمنة الموحلة والجنة والجحيم الخرافيين ، وطاعة أولى الأمر والوالدين ، والزواج المبارك بالشرع ، وسـائر الأكـاذيب والطقوس ، التي رسمتها دهور الكذب " .

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بيان الأزهر

الأزهر / مكتب الإمام الأكبر / شيخ الأزهر ، بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن ، رواية (وليمة لأعشاب البحر) لمؤلفها السيد حيدر حيدر . طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة ، التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة .

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها ، على لجنة البحوث الفقهية ، فكلّفت اثنين من أعضائها المتخصصين ، بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية ، لعرضها في جلسة استثنائية ، لمجمع البحوث الإسلامية ، حُدّد لها يوم الأربعاء 17 مايو سنة 2000 ، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية ، على المجمع في جلسته الاستثنائية ، وتبين ما يأتي :

أولا : أن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية ، لم تستطلع رأي الأزهر الشريف ، أو مجمع البحوث الإسلامية ، مع ما ورد فيها من أمور كثيرة ، تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة ، وذلك على خلاف ، ما يقضى به القانون 103 لسنة 1961 ...

ثانيا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات ، التي تحقّر وتهين جميع المقدسات الدينية ، بما في ذلك ، ذات الله سبحانه وتعالى ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم ، واليوم الآخر ، والقيم الدينية .

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله ، مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص : 219) ، وأنه نسي بعض مخلوقاته ، من تراكم مشاغله التي لا تحد ، في بلاد العرب وحدها (ص : 257) ، وأنه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماوات ، ليدخل في خلود ذاته بذاته (ص : 426) .

كما يفتري على الرسول عليه الصلاة والسلام ، بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة ، ما بين شرعية ، وخليلة ، ومتعة (ص : 148) ، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص : 426 ، 427) .

وأنه حرّف في آيات القرآن الكريم ، ونسب إليه ، ما ليس منه ، كقوله " والله تعالى قال في كتابه العزيز: " إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا) " (ص : 148) ، كما أن الرواية تحرّض صراحة ، على الخروج على الشريعة الإسلامية ، وعدم التمسك بأحكامها ، وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال ، عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة ، والجنة والجحيم الخرافيين ، وطاعة أولى الأمر والوالدين ، والزواج المبارك بالشرع ، وسائر الأكاذيب والطقوس ، التي رسمتها دهور الكذب (ص : 348) .

ثالثا : إن الرواية خرجت على الآداب العامة ، خروجا فاضحا ، وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع ، واستعمال الألفاظ في الوقاع ، وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى ، بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها ، وكتابة نصها حفظا على الحياء العام ، الذي انتهكته الرواية .

رابعا: إن الرواية لم تكتف بذلك ، بل حرّضت صراحة ، على إهانة جميع الحكام العرب ، ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف ، مما يعف المقام عن ذكرها ، وطالبت بالخروج عليهم ، والثورة ولو بإراقة الدماء .

خامسا: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية ، من كل ما سبق ، أن ما ورد برواية " وليمة لأعشاب البحر" ، لمؤلفها حيدر حيدر ، خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية ، والآداب العامة ، والقيم القومية ، ويثير الفتن ، ويزعزع تماسك وحدة الأمة ، التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة ، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية ، دون استطلاع رأي أهل الاختصاص ، المسؤولية الكاملة ، عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيا واجتماعيا ، وذلك على النحو الموضّح تفصيلا ، بالتقريرين المقدمين ، من عضويّ مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما .

والله ولى التوفيق .. تحريرا في 13 من صفر سنة 1421 هـ .. الموافق 17 من مايو سنة 2000 م ، شيخ الأزهر : الدكتور محمد سيد طنطاوي

تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

المؤلف : حيدر حيدر ، طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .

تقع في (690) صفحة ، من القطع المتوسط ، وهى القصة الخامسة والثلاثون ، في سلسلة آفاق الكتابة ، وسعر البيع 4 جنيهات ، بتكليف من لجنة البحوث الفقهية بالمجمع ، في جلسة الأربعاء 10/5/2000 ، قرأت هذه الرواية ، قراءة محايدة في خمس وعشرين ساعة ، وقد وجدت فيها ما يأتي :-

أولا : الدعوة إلى الشيوعية والكفاح المسلح والاستيلاء على السلطة بالعنف والدماء : ويورد صاحب التقرير 12 موضعا من الرواية للدلالة) .

ثانيا : الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها ، (لله ، والرسول ، والقرآن ، واليوم الآخر) : (ويورد صاحب التقرير 19 موضعا في الرواية للدلالة) .

ثالثا : إهانة حكام العرب ، ووصفهم بأقذع وأقبح الأوصاف : (ويورد صاحب التقرير 3 مواضع في الرواية للدلالة) .

رابعا : عبارات فاضحة في الجنس ، ومنافية للآداب العامة : (ويورد صاحب التقرير 14 موضعا في الرواية للدلالة) .

1. وبعد : فإنه من غير المعقول ، أن تقوم وزارة مسؤولة ، في نظام حكم لبلد مسلم ، بطبع ونشر هذه الرواية (وليمة لأعشاب البحر) ، وأن تدعمها ماليا ، لتُيّسر قراءتها للجميع .

قلت : غير معقول أن تقوم هيئة مسؤولة ، في نظام الدولة ، بطبع ونشر وتدعيم مثل هذه الرواية . ولعلها لا تدرى ما فيها ، وأن الذين اختاروها خدعوا رئاستهم ، ولكن الشاعر يقول : إن كنت لا تدري فتلك مصيبة .. وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم .

ولو أن أحدا ، أدخل هذه الرواية خلسة ، وضبطت عنده لحاكمته الدولة ، على جلب هذه المفاسد ، التي تصيب وحدة هذه الأمة ، وتدعو إلى الفتنة والحرب والدم بين أبنائها ... فهل صرنا في زمن اللامعقول !! نرجو ألا يكون .

أ.د. عبد الرحمن العدوي : عضو مجمع البحوث الإسلامية

تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر)

بقلم : الـدكتور محمد رأفت عثمـان / عميد كلية الشـريعة والقـانون بالقـاهرة / عضو مجمع البحوث الإسلامية

الرواية : من تأليف حيدر حيدر كاتب سوري ، طبع ونشر الـهيئة العامة لقصـور الثقافة بمصر ، سـنة 1999 ، وهي مكونة من 690 صـفحة ، عـدا الفهرست ، من القطع المتوسط .

والانطبـاع العـام عن هـذه الرواية ، أنها مكتوبة بأسـلوب ركيك ، غـامض في كثـير من صفحاتها ، لا فكر فيها ، ولا تنـبئ عن ملكة فنية عند كتابتها ، مليئة بالعبـارات الفاحشة الخادشة للحياء ، والـتي تحقّر وتهين المقدسـات الدينية ، ما بين الاسـتهزاء بـذات الله تبارك وتعالى ، والسخرية بأحكام شريعة الإسلام ، وإهانة القرآن الكريم ، ويتــبين ذلك مما يأتي :

(ويورد صاحب التقرير 32 موضعا في الرواية للدلالة) .

ويســتطرد قـائلا : وبعد ، فهـذا قليل من كثـير ، مُلئت به هـذه الرواية المنحطة ، في التعبير والفكر والفن ، وأرى مصـادرتها ، ومحاكمة مؤلفها ، وكل الـذين سـاعدوه على نشرها ، بل أرى كفر مؤلفها ، لذكره العبـارات السـاخرة ، بـذات الله تبـارك وتعـالى ، وبرسوله ، وبالقرآن ، وبالإسلام كله .

وإذا كان بعض المدافعين عن هذا النوع ، من الكتابة الساقطة ، يقولون أنه يحكي ذلك ، على لسان أبطال روايته ، فالرد :

أولا: أن بعض العبارات ، التي تؤدي إلى السـخرية ، من الله عز وجل ، ومن رسـوله ، ومن القرآن ، والإسلام ، جاءت على لسان الكاتب نفسه .

ثانيا: العبارات التي قالـها المؤلف ، على لسان أشـخاص روايته ، الـتي تـؤدي إلى كفر قائلها ، تؤدي أيضا إلى كفر المؤلف ، وذلك لأن ذكر الكفريات ، سواء أكانت أقـوالا أم أفعالا ، إما أن تكون على سبيل الحكاية ، عن إنسـان قالــها ، أو صـدرت منه فعلا ، أو تكون على سبيل التخيل والاختراع ، لقول أو فعل ، لم يحدث في الواقع .

فإن كان ذكر الكفريات حكاية عن إنسان قالـها ، أو صدرت منه فهذا جائز ، فيما يـأتي :

أولا: إذا كان ذكر هذا ، في مقام بيان قبح ، هذا القول أو الفعل .

ثانيا: إذا ذكر هذا ، في مقام بيان حكمة .

ثالثا: إذا ذكر هذا ، في مقام بيان الرد عليه .

رابعا: إذا ذكر هذا ، في مقام الشهادة .

خامسا: إذا ذكر هذا ، في مقام بيان آراء الفرق والمذاهب .

وإما إن كـانت الكفريـات ، قد عـبر بها المؤلف ، على سـبيل التخيل ، ولم ينطق بها صاحبها ، أو يفعلها في الواقع ، وإنما هو فقط على لسـان المؤلف ، فهـذا محـرّم ، بل ويصل في رأيي إلى درجة الكفر ، بـدليل أنه لا يجـوز ، لمؤلف رواية أو قصة مثلا ، أن يتخيل إنسانا معينا حقيقيا ، موجود على قيد الحياة ، أو توفـاه الله ، في موقف مهين ، ويكتب عنه في الرواية أو القصة ، أنه كـان يـزني مثلا ، ويجـري حـوارا بينه ، وبين من

يتخيل أنه يزنى بها ، فإن هذا يعد جريمة قذف ، في الشريعة والقانون ، مع أنه أجــراه في قالب روائي .

ولا يشفع له أنه يتخيل ذلك ، وليس على سبيل الحقيقة والواقع ، فإذا كان هذا لا يجوز بالنسبة للإنسان ، فهل من المعقول أو المقبول ، أن يكون ذلك جائزا بالنسبة إلى ربنا تبــارك وتعــالى ؟! فــأي عبــارة تكتب تخيلا ، ولو على لســان شخصــية وهمية ، من شخصيات الروايات أو القصص ، أو غير ذلك ، يصدر عنها عبارة أو فعل ، فيه سـخرية بالله عز وجل ، أو برسوله صـلى الله عليه وسـلم ، أو بـالقرآن ، أو بأحكـام الإسـلام ، تــؤدي إلى كفر مؤلفها ، وقد وجــدنا علماءنا رضى الله عنهم ، قد بينــوا أنه ، إذا قــال شخص عن عدوه : " لو كان ربى ما عبدته " فإنه يكفر ، وكذا لو قـال : " لو كـان نبيا ما آمنت به " ، مع أن هذه العبارة ، هي فرض لما قد يحدث .

إن الإبداع في الكتابة ، لا يكون بالسخرية من ذات الله عز وجل ، أو بإهانة المقدسات ، وإنما الإبداع تعبـير سـام راق ، عن فكر محـترم دينيا ، يتفق وتقاليد المجتمع وثقافته ومثله العليا ، وأما غــير ذلك ، مما يريــدوننا أن نــوافقهم عليه ، فهو ليس إبــداعا ، ولا ينتمي إلى الأدب ، بل أحرى أن يوصف بقلة الأدب ، بل بانعدام الأدب .

القرضاوي يطالب مبارك بالتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة

ناشد فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي ، الرئيس المصري حسني مبارك ، أن يتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة - حسب وصفه- عند حدّها ، وشـدّد فضـيلته على أهمية الحــرص ، على وحــدة الأمة ، كما حيّا شــيخ الأزهر ، والأزهر ، ورئيس جامعة الأزهر ، والطلاب والطالبات ، الذين وقفوا موقفا موحـدا ، ضد رواية الكـاتب السـوري ، وليمة لأعشاب البحر ، التي طبعتها وزارة الثقافة المصرية ، وتسـببت في حالة الــهياج الـتي شهدها الشارع المصـري مـؤخراً ، واعتـبر د. القرضـاوي في خطبة الجمعة أمس ، أن الرواية تــدخل في بــاب الكفر ، مســتنداً في ذلك على بيــان الأزهر الشــريف ، ورأي فضيلته أن هذا العمل كفر ، بغض النظر عن الأشـخاص ، واعتـبر من قالـه ، ورضي به كــافرا .

" كُلُّ ما في وليمة لأعشاب البحر مُنكر "

العلامــة القـرضـاوي في خطبة الجمعة (15 صفر 1420 – 19/5/2000)

أنا وأنتم وشــيخ جــامع الأزهر ، ومجمع البحــوث الإســلامية ، ورئيس جامعة الأزهر ، وخطباء المساجد في العالم ظلاميون ، ووزير الثقافة المصري وحده يحمل النور !!!!!

تلخيص الخطبة ، بقلم د. حسن علي دَبَـا :

شنّ فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي ، هجوما شديدا على وزارة الثقافة المصرية ، على ما نشرته من رواية "وليمة لأعشاب البحـر" لكـاتب سـوري ، واسـتنكر ما بها ، من منكر وتحقير وإهانة الذات الإلـهية ، والقرآن والرسـول والقيم الدينية ، وتحريضـها على الخـروج على الشـريعة الإسـلامية ، وطـالب فضـيلته المسـؤول الأول في مصر ، الرئيس حسني مبارك ، وناداه أن يوقف هذه الموجة الثقافية الفاجرة عند حدها ، وأن يعيد الثقافة عند حقيقتها ، فلا يجــوز أن نقسم الأمة ، بين الثقافة الغربية المســتغربة الصادة عن سبيل الله ، والسائرة في ركاب الشيطان ، والثقافة التي مع القيم الدينية ، مع الله ورسله وكتابه ومع الربانيين ، وشدّد فضـيلته على أهمية وحــدة الأمة ، خاصة

في هذا الزمان التعيس – حسب وصفه – الذي استغلته إسرائيل ، وبغت فيه وطغت ، فينبغي أن نضم صفوف الأمة بعضها إلى بعضها .

ثمّ تابع الدكتور القرضاوي ، قائلاً : الكلمة الآن للرئيس مبارك ، الذي أسأل الله أن يهديه سواء السبيل ، وأن يوفّقه لموقف الحق ، الذي لا يخاف في الله لومة لائم .

كما حيا د. القرضاوي الأزهر وشيخ الأزهر ، ورغم اختلافه معه في قضية الربا وغيرها ، وحيّا جامعة الأزهر ، ورئيسها وطلاب الأزهر وطالباته ، وجريدة الشعب والكاتب الإسلامي د. محمد عباس ، الذي صرخ في الأمة قائلاً : "لا إله إلا الله : من يبايعني علي الموت" . قال : غضب الرجل لدينه ، لربه ، وربما في غمرة هذا الغضب ، خرجت منه بعض الألفاظ ، في بعض الناس ، لكن الإنسان في حالة غضبه ، يقول ما قد لا يحمد في بعض الحالات ، كما حيا الشاعر الكبير فاروق جويده ، في صحيفة الأهرام ، والمثقفين الشرفاء الذين وقفوا ضد هذا الباطل ، وهذا الفجور الأدبي ، الذين يحترمون عقائد الأمة ومقدساتها ، أقف مع كل هؤلاء أشد أزرهم ، وأصلب ظهرهم ، بكل قوتي ، وأقول الحق ، لا أخاف في الله لومة لائم .

وكان فضيلته قد بدأ خطبته ، متحدثا عن انشغال الأمة بهمّ جديد ، أضيف إلى همومها ، هو الهم الثقافي ، الذي بدأ بنشر وزارة الثقافة المصرية ، لرواية تسمى وليمة لأعشاب البحر – معبراً عن استغرابه من العنوان – لكاتب سوري مغمور ، أشهرته تلك الرواية شهرة كبيرة ، وقال : لم أشأ أن أتحدث عن تلك الرواية ، حتى أراها و(الحكم على الشيء فرع عن تصوره) ، كما قال علماؤنا ، وقرأت ما يقارب نصفها ، أغالب نفسي ، فهي من أول صفحة ، تقزّز نفس الإنسان المؤمن ، وهي رواية ، لا تعرف شيئا اسمه الحرام ، ولا العيب ، ولا تعرف الله ، ولا تقدره حق قدره ، ولا عجب ، فقد كتبها إنسان نَصِيري العقيدة ، شيوعي الفكرة .

ثم ذكر فضيلته ، أن عقيدة الإنسان الدينية والأيدلوجية ، تنضح على فكره ، وعلى كتابته وعلى أسلوبه ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، وأضاف : لكني سأتجاوز عن عقيدة الرجل الدينية والأيدلوجية ، ونحاكم النص الذي كتبه : لم أستطع أن أستمر في قراءة الرواية ، في أكثر من النصف، لقد بلغ الاشمئزاز مني مبلغه ، فاكتفيت بتصفّح الباقي ، وكلما تصفّحتها ، وجدت أشياء وأشياء ينكرها الدين ، وينكرها الخلق ، والعقل والأعراف ، كل ما فيها والعياذ بالله منكر ، فوجدت فيها أكثر مما انتقد عليها الناقدون ، في السطور وما بين السطور .

المؤلف يرسم شخصياته :

وبدأ د. القرضاوي ، يرد على أصحاب الرأي الآخر ، الذين وقفوا مع الكاتب ، فقال : " قالوا إن ما ذكره الكاتب جاء على ألسنة شخصيات الرواية " ، وأقول نحن نعرف ، أن الرواية قصة يتخيلها الكاتب ، قد يكون لها أصل في الواقع ، وقد لا يكون ، هو الذي يرسم صورتها ، مبدأها ونهايتها وعقدتها وحلها ، وهو الذي ينشئ شخصياتها ، ويُنطق هذه الشخصيات ، بما يريد أن تنطق به ، يعبّر عن نفسه ، أو يعبّر عن هذه الأشخاص ، ولو كان له فكرة معينة ، فهو يجريها على لسان أحد الأشخاص ، ويقوي هذه الفكرة ، ثم يأتي الرد عليها من الطرف الآخر ضعيفا ، أو لا يأتي رد عليها قط ، هذه حيلة نجدها عند القصاصين والروائيين .

وأضاف إذا كان من حق الإنسان ، ألا يعري جسده أمام الجمهور : فهل من حقه أن يُعري أدبه ، وفنه أمام الناس ؟ إن العري الذي في هذه الرواية ، عُريّ فضائحي بأهدافها وأسلوبها وكتابتها ، أشدّ من العري الجسدي ، هل من حق الإنسان المبدع ،

أن يتجـــرأ على الله ، وعلى رســـله ، وعلى كتبه ، وعلى اليـــوم الآخر ، وعلى القيم والدين والأخلاق، كما يفعل هذا الكاتب ؟ أيستطيع أن يقول ذلك لرئيس دولته ، يتجرأ عليه ، ويقول كذا وكذا ، أم أن الدين والله والكتب والرسل ، أصبحت الحائط الـواطئ ، التي يتجرأ عليها كل الناس .

ورجع بالذاكرة إلى ما مضى ، فقـال: لقد رأينا كثـيرا من القصاصـين الكبـار ، يـذكرون النواحي الجنسية ، ويتحدثون عن الشـواذ والجناة واللواطين وتجار المخـدرات ، لكنهم لا يذكرونها ، بمثل هذه الألفاظ المسفة العارية ، رأينا ذلك في قصص محمـود تيمـور ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، والطيب صـــــــالح ونجيب الكيلاني ، ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ، رغم أنهم ذكـروا أشـياء كثـيرة ، تحـدث في الفراش ، لكن لم يجرؤ أحدهم ، ولم ينزل أحدهم إلى مثل هذا الدرك .

واسـتمر د. القرضـاوي ، يـرد : قـالوا في أدبنا أشـياء مكشـوفة ، مثل ما قالـه امـرؤ القيس ، أو مثل ما ورد في خمريات أبي نواس ، أو في التغزل بالـذكور ، وقـال : بـأن هذه الأشياء في أدبنا ، لا تمثل الاتجاه العام ، وليس لها أثر في مجرى الحياة ، وكـانت أشياء خاصة يتـداولها بعض النـاس في مجالسـهم ، أو يقرأها بعض النـاس في كتبهم ، وكانت هذه الكتب محدودة الانتشار .

وتنـاول مظـاهرة شـباب الأزهر ، فقـال : لقد عـابوا على طالبـات وطلاب الأزهر ، أن غضبوا لهذا الدين : وهل يلام الإنسـان ، إذا غضب لدينه ! وقـال مثلاً : إذا مشـيت في الشـارع ، ومعك زوجتك أو ابنتك أو أختك ، ثم اجـترأ عليها أحد من أولئك الفاسـقين ، فنبـذها بكلمة نابية جارحـة: ألا تغـار لها ؟؟ ألا يثـور الـدم في عروقك ؟؟ ألا تقف له بالمرصاد ؟؟ هذا ما يفعله الإنسان الحر ، فالشريف لا يقبل أن يهان في عرضه .

أكان الدين أهون على الإنسان من العرض ، أكان الله وقرآنه ونبيه محمد ، أهون لـدى الإنسان المسلم ، من الغيرة على ابنته وامرأته وأخته ؟

وقرّر : لقد كان طلبة الأزهر وطلابه معـذورين ، حينما سـمعوا ما سـمعوا ، وقـرؤوا ما قرؤوا .

قالوا: " إن طلبة الأزهر لم يقرؤوا الرواية " .

ورد : وهل يجب أن يقـرأ جميع طلاب الأزهر وطالباته ، هـذه القصة حـتى يغضـبوا من أجلها ، لقد رأينا في صحيفة الأهرام ، كاتبا يدّعي أنه تقدمي ، يدافع عن الرواية ، وفي نفس الوقت يقول : أنا لم اقرأها .

وزير الثقافة يدافع عن الخط التنويري :

ورد فضيلة الدكتور القرضاوي ، على وزير الثقافة المصري ، فقال :

لقد قال وزير الثقافة : إننا منذ بضع عشرة سنة ، ونحن ننشر هذه الثقافة المستنيرة ، لنقاوم بها ثقافة الظلاميين الرجعيين ، وارتفع صوت د. القرضاوي يـرد عليه : أنا وأنت وانتم أيها الاخوة ظلاميون ! كل من يتمسك بكتاب الله وسـنة رسـوله ، وفهم القـرون الأولى لهذه الأمة خير القرون ، كل هؤلاء ظلاميون ! أنا وأنت ظلامي .. الأزهر ظلامي ..شـــيخ الأزهر ظلامي .. مجمع البحـــوث ظلامي .. ورئيس جامعة الأزهر .. واللجنة الدينية في مجلس الشعب .. وحزب العمل ، جريدة الشعب ، الجمعيات الإسلامية في مصر ، وخطباء المسـاجد كلها ظلامي . هم إذن أهل النـور ... !! وزير الثقافة وحـده ، هو الـذي يحمل النـور ... ! والثقافة المسـتنيرة ... !! وهي هنا الثقافة الـتي تَسـخر

بالـدين ، وتسـتهين بـالقيم الدينية ، ومن الله ومن رسـله ومن كتب الله ، وقد سـكت الناس ، على قصص وكتب وروايات دهر من الزمن ، ثم كان لابد أن يحدث الانفجــار : " ومن استُغضِب ، ولم يغضب فهو حمار " .

لا بأس بالمظاهرات :

وأضاف : أنا لا أرى في تظاهرات الطلاب شيئا منكرا ، إذا كـان تظـاهرا سـلميا ، يجب أن نعـوّد أمتنا ، ما تعوّدته أمم الحضــارة من التظــاهر السـلمي ، وقد كنا طلابا ، في المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية في كليــات الأزهـر ، وكنا نخـــرج نحتج على كل أمر يخــالف الــدين ، كل أمر يهتم به المســلمون : خرجنا من أجل فلســطين ، وتــونس والجزائر ومـراكش وسـوريا ولبنـان وكشـمير ، الطلاب هم نبض الأمة ، لا يسـتطيعون العيش بعيـدا عنها ، كل ما نمنعه هو التخـريب ، أما التظـاهر السـلمي ، فلا مـانع منه (واستشهد في ذلك بتظاهرات سياتل) .

وتابع : إن من حق الناس أن تغضب لـدينها ، ومن حق أبنـاء الشـارع ، خصوصا الطلبة في الجامعات ، فهُم أوعى الناس بهذه القضـايا ، فهم الـذين يحملـون الـروح الثورية ، ويتـأجون من داخلهم ، فمن حقهم أن يقولـوا : لا ، دون أن يـدخلوا في تخـريب ، أن يستغلوا من الآخرين .

وعلل عـــدم التغاضي عن الرواية ، بأنها نشـــرت من قبل مؤسسة ، من مؤسســات الدولة ، ووزارة تطبع طبعة شعبية 690 صـفحة ، بأربعة جنيهـات . ولو كـان المؤلف ، نشــرها على نفقته ، أو على نفقة دار نشر خاصة ، فلها من الأمر ، وكـــان يمكننا أن نسكت ، ويحكم في ذلك القارئ .

وقـال : كنت أتمـنى ألا أتحـدث عن هـذه الأشـياء ، حـتى لا أجعلها تشـتهر ، فكم كنت أتمنى ألا يقف المسلمون ، من رواية سلمان رشدي ، ذاك الموقف ، الذي شهرها في الآفاق . ثم قال : لا يجوز لـوزارة تحـترم نفسـها ، وتعمل من أجل الشـعب ، أن تنشر أشــياء ضد قيم الشــعب ، وعقائد الشــعب ومقدســاته ، ومن هنا كـانت غضـبة ، كل المثقفين المسلمين ، إلا طائفة معينة للأسف ، إما لأنها جهلت دينها وتراثها ، أن باعت نفسها ، لما تنتفع به ، من وراء هذه الـوزارة ، وإني أعجب كل العجب ، لبعض اللجـان التي تشكّلها الوزارة ، تدافع عن هذه الرواية الساقطة ، في مضمونها وأساليبها .

السمة العامّة في الرواية :

وعاد إلى الرواية فذكر أنّ : الشرب والخمر من أول الرواية حتى آخرها ، فحين تزوج الرجل العراقي بفتاته الجزائرية احتفلوا بشرب الكونياك .. هذه هي السمة العامة في الرواية : ليس منها خشية لله ، ولا توقيرا له ، ولا اعتبارا لحسابه ، ولا ليوم الجــزاء ولا الجنة والنار ، بل هي تسخر من هذا كله ..

واستشهد ببعض العبارات من الرواية ، منها مثلاً :

ما قالـه الرجل ، الذي قال للمرأة العاهرة ، التي كان يصف جسدها وصفا مكشوفا ، " إنّ الذي يقف بيني وبينك ، هو أنفك هذا ، قالت : له مـاذا أفعل ؟ هذا خلقة ربي ! قال لها : ربّك إذن فنان فاشل " .

أي أنّ ربك لا يحسن التصـوير !! ورد القرضــاوي عليهم : إن الله تعــالى يقــول : (**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** (64 غافر) ... (**لَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَـانَ فِي أَحْسَـنِ تَقْوِيمٍ** (4 التين) .

وتابع : لقد قالت اللجنة ، التي شكّلها وزير الثقافة ، أنه قال ذلك في مقام الدعابة والمزاح ، وردّ : يا عجباً ، هل هنا مقام دعابة ومزاح ؟! الحديث عن الله جل جلاله ، يدخل فيه المزاح ؟! يقول تعالى : (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** (65) **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ...** (66 التوبة) . وهذا في أمثال هؤلاء .

وأضاف مثالاً آخر ، مما ورد في الرواية : إنه يتحدث في روايته ، قائلاً :

" وهؤلاء الناس ، يهمّشون التاريخ ، ويعيدونه مليون عام إلى الوراء ، في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر ، يحكموننا بقوانين آلهة البدو ، وتعاليم القرآن . . خراء " .

هكذا يذكر الكلمة خراء !! وأنا أقولها مضطراً . وتتردّد كلمة آلهة كثيرا في كلامه ، فهو لا يؤمن بإله واحد ، بل آلهة .

* بعد انتهاء الخطبة ، اتصلنا بفضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي ، وسألناه عن مدى دخول هذا العمل الروائي ، في باب الكفر فأجاب :

" إن بيان مجمع البحوث الإسلامية ، بالأزهر الشريف ، يدل على أن هذا من الكفر ، لأنه خروج على ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية ، وهذا واضح لكل من قرأ الرواية ، لما فيه من ازدراء واستخفاف بالألوهية والقرآن والرسول والقيم الدينية كلها في مواضع شتى ، وأضاف :

ونحن نقول : إن هذا العمل كفر ، بغض النظر عن الأشخاص ، فمن قاله واعيا متعمدا ذاكرا ، فهو كافر ، ورضي به وهو يعلم هذا ، فهو كافر ، ومن كان يجهل بما فيه ، ثم أُعلم بمضمونه ورضيه ، فهو كافر ، هذا هو الحكم الشرعي ، أما الحكم على الأشخاص ، فلا ندخل فيه ، فهو يحتاج إلى تحقيق وقضاء " .

مقتطفات من حاشية الملف :

بقلم د. محمد عباس :

كانت صحيفة الأسبوع ، أول من تعرّض للموضوع ، تعرضت له بهدوء ، ولو أن في أجهزة وزارة الثقافة ، من يرى ويحس ويسمع ، لاستدركوا الأمر ، ولداروْا عورتهم ، وكان يمكن للأمر أن ينتهي باعتذارهم ، واعترافهم بالخطأ ، لكن الله شاء للأمور ، أن تتخذ مجرى آخرا ، كي يفضحهم على الأشهاد . لقد استنكروا علينا حدة أسلوبنا ، فماذا فعلوا عندما نشرت الأسبوع ، يوم 28/2/2000م ، مقالا صغيرا ، بقلم حسن نور ، يعترض فيه ، على قيام وزارة الثقافة بنشر الرواية ...

لمدة شهر ونصف بعد ذلك ، لم تتدارك وزارة الثقافة الأمر .. وبدأت الشعب تناول القضية ، يوم 28/4/2000م ، بعد بداية النشر في الأسبوع ، بشهرين كاملين ...

في البداية ، حاولت وزارة الثقافة ، التنصل من الأمر كله. وقد أوردت أخبار الأدب : العدد 356 ص6 ذلك بالتفصيل ، في مقال وائل عبد الفتاح ، عن تصريح وزير الثقافة المنشور في الأهرام ، في 30/4/2000م ، وهو أن الهدف من اللجنة العلمية التي شكلها ، " التحقيق في ظهور طبعة لبنانية ، من رواية وليمة لأعشاب البحر للسوري ، حيدر حيدر منسوبة لوزارة الثقافة ".. ويستطرد الكاتب أنه يبدو أن الوزير وجدها " واسعة " ، فغير أقواله بعد ذلك .

نفس الخبر نشرته بتفصيل أكثر ، صحيفة آفاق عربية ، في عدد 4 مايو ص11 ، تحت عنوان : وزارة الثقافة تزعم ، أن جهة مجهولة نشرت الرواية المجهولة ، ونسبتها إليها .

كان التخبط هائلا وشمل الجميع ، فرئيس الوزراء على سبيل المثال صرح : لست أدرى كيف؟! أنه استعان بخبير أجنبي لمواجهة الأزمة ، كما نشرت صحيفة الوفد ، و صرح الدكتور أحمد فتحي سرور ، بأنه طلب تقريرا عاجلا ، لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة ، ومحاكمة المؤلف طبقا للقانون الدولي ، (أخبار الأدب14 مايو) ، كانت الأمة تغلي بالغضب ، وكان قلبها متمثلا ، في طلبة جامعة الأزهر ، حيث تظاهر 25 ألف طالب ، وكانت الدولة مترددة ، حتى حسمت أمرها بإطلاق الرصاص ، على قلب الأمة ، على طلبة جامعة الأزهر . وأصبح من المستحيل مواصلة استطلاع الرأي ، تحت التهديد بإطلاق الرصاص مرة أخرى ، وبلغ النفاق ببعض التنويريين ومدعي الإبداع ، الذين أجازوا الاجتراء على الله ، أن وجهوا اللوم لصحيفة الشعب ، ولحزب العمل ولشخصي الضعيف ، فنحن الذين حرضنا ، ونحن الذين أخرجنا الطلبة ، فتسببنا فيما حدث لهم ، أكثر من مائة جريح ، منهم خمسة فقئت عيونهم . وجهوا اللوم لنا ، ولم يجرؤ منهم أحد ، على توجيه اللوم على المعالجة الأمنية الخاطئة، لا تعقيب على الأمن ، وكأنه القدر ، بل أكثر من القدر ، لأننا في القدر نسأل الله اللطف فيه ، هم لم يسألوا أجهزة الأمن اللطف ، وهذه الواقعة وحدها ، كافية لفضحهم تماما ونهائيا ، أمام الأجيال وأمام التاريخ ، لكن هذه الفضيحة لا تنفجر ، ولا تأتي بالتأثير المتوقع ، بسبب تهديد جاثم مستمر ، بإمكانية إطلاق الرصاص في أي وقت ، بعد ما حدث لطلبة جامعة الأزهر ، خفتت أصوات معظم الغاضبين لدينهم ، وارتفعت أصوات الحيدريين ، وأصبح الكذب مجانيا ، خاصة عندما أقدمت السلطة ، على عقاب صحيفة الشعب ، التي دافعت عن المقدسات ، وأصبح الاجتراء على الذات الإلهية ، إبداعا وتقدما واستنارة ، وفي نفس الوقت ، أصبحت إدانة وزير ثقافة النظام الباقي ، في مكانه منذ أربعة عشر عاما ، رغم كل ما أثير حوله ، إرهابا وظلامية وتخلفا ، ووقف الوزير الذي قلت تناقضات تصريحاته ، بعد أن اطمأن إلى تدعيم الدولة له ، ليصرح أن مصر دولة علمانية ، وارتفعت أصوات ، تنادى بإلغاء المادة الثانية في الدستور ، والتي تنص على إسلامية مصر ، ونشرت صحيفة الحياة اللندنية ، مقالا لكاتب ، ظن أنه يفحم الإسلاميين ، بقوله أنه إذا كان علينا أن نحترم التراث ، فليس علينا أن نحترم التراث الإسلامي فقط ، بل علينا أن نعطي اهتماما مساويا ، لمصر المسيحية والفرعونية ، كان الإسلام بالنسبة للمسكين تراثا ، مجرد تراث، لم يكن دينا ، ولا مطلقا من المطلقات ، وبدا أن هؤلاء الناس وأقرانهم في مصر ، ينظرون إلى الإسلام تماما ، كما ينظر له المتعصبون من المستشرقين ، فالقرآن من تأليف محمد - صلى الله عليه وسلم – أما هو نفسه فكذاب – أستغفر الله العظيم- وأن أولئك التنويريين ، قد ابتلوا بمجموعة من المتخلفين أمثالنا ، وما القابضون على الجمر ، سوى حزب متخلف ، لا يستحق من الاحترام ما يستحقه ، حزب كحزب الأمة ، بل ولا الله نفسه ، يستحق من الأدب في الحديث معه ، ما يستحقه الشيخ الصباحي ، كان أسطورة قضت عليها الاستنارة ، وبقي المتخلفون يؤمنون به ، ولعل المؤمنين به ، يشفون من تخلفهم ذات يوم . وإنهم يحتملون تخلفنا ووجودنا ذاته على مضض ، فنحن ضيف ثقيل عليهم ، ألا يضاعف من ثقله بأن يتكلم . نظر كلاب جهنم ، إلى الدين ، كما لو كان مرضا ، كلّفهم الشيطان بالقضاء عليه ، وبدا لهم ، أنهم كلما أوشكوا على إنجاز مهمة الشيطان ، واجهناهم نحن ، لنصيب الأمة بنكسة جديدة ...

وانفجر الألم بصحيفة (آفاق عربية) ، فنشرت بمانشيت كبير ، أنها لا تستبعد ، أن ينجح التنويريون ، في استبدال المادة الثانية في الدستور ، لكي يصبح حيدر حيدر ، هو المصدر الرئيسي للتشريع ... !! ...

بدلا من التوبة والاعتذار .. رفعوا عليّ قضية تبدأ محكمة جنايات جنوب القاهرة نظرها يوم 16/9/2000م ...

مذيعة للبرامج الدينية في التليفزيون المصري ، وفي كتابها (لله يا زمري) ، نشرت ما لا يصدقه عقل ، من الاجتراء على الدين ، ورفض المسؤولين استمرار أي برنامج ناجح ، أو استضافة أي شخصية دينية لها شعبية ، فالشيخ محمد الغزاي والدكتور يوسف القرضاوي ، على سبيل المثال إرهابيان ، أما عندما حاولت ، تغطية أداء بعض كبار المسؤولين وزوجاتهم ، لأداء العمرة ، فقد رفض التليفزيون ذلك ، حتى مع السيدة سوزان مبارك ، وكانت حجتهم ، أنه لا داعي لربط كبار المسؤولين بالدين ، بأي شكل ، وأنهم يطبقون تعليمات ، تأتي من فوق بمحاصرة البرامج الدينية ، وتصرخ كاريمان حمزة في النهاية ، أنها تنزه وزير الإعلام ، ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية ، أن يكونوا مصدر هذه التعليمات ، ولكنها في نفس الوقت ، تؤكد أن هذه التعليمات ، التي تأتي " من فوق " حقيقية ، لكن هذا الفوق لا يوجد داخل مصر ، إنما خارجها . في أحد برامجها ، كانت تعد موضوعا ، عن العشرة المبشرين بالجنة ، واحتج المسؤول الكبير على اقتصارها ، على شخصيات من عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وطلب منها أن تختار جزءا منهم ، وأن تكملهم بالمعاصرين ، (مثل عاطف صدقي) ، لم تكن طرفة ، ولا مأساة جاهل ، بل كارثة أمة ...

صرح وزير الثقافة أنه لن يستقيل طول عهد الرئيس مبارك ...

أما صحافته (وزير الثقافة) ، خاصة القاهرة وأخبار الأدب ، فقد بلغ بها ، أن اتهمت الأزهر ، بأنه ينصب من نفسه محكمة من محاكم التفتيش ، وأنه لا علاقة له بالأدب ، ولا حق له ، أن يحكم فيما هو خارج الدين ، بل وشبهت هذه الصحف ، رئيس جامعة الأزهر بالنازيين ...

يلخص مأساوية الوضع كله ، ما قاله الدكتور أحمد عمر هاشم ، في حديث نشرته مجلة المصور ، الصادرة في 25/5/2000م ، من أنه كرئيس للجنة الدينية ، في مجلس الشعب ، مُنِع من إلقاء بيان ، يُدافع فيه عن الله والقرآن والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بينما سُمح لفاروق حسني ، أن يلقي بيانه ، الذي يُدافع فيه ، عمن يسبون الله والقرآن والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وراح الرجل يردد في ألم : حسبنا الله ونعم الوكيل ...

كان موقف شيوخ الأزهر وطلبته رائعا ، فقد أصدر 70 عالما أزهريا بيانا ، يطالبون فيه بوقف جرائم وزارة الثقافة ، وتطهيرها ممن أساءوا إلى الدين والوطن ، كما دعا البيان الرئيس مبارك ، إلى رفع الحصار عن الدعاة المخلصين . وأوضح البيان أن وزارة الثقافة ، قد دأبت منذ سنوات ، على إصدار مطبوعات ، استهدفت أخص خصائص الأمة ، في العقائد والأخلاق والسيرة النبوية . وندد البيان بسيطرة الماركسيين والشيوعيين ، على أبواب الثقافة ، مؤكدين أن لها رموزها ، من الألوان الأخرى ، ذات الانتماء إلى الثقافة العربية والإسلامية ، الرافضة لارتداء عباءة الآخر ، والذوبان في بضاعته . إن تسليم إدارة دفة الثقافة ، لرموز تغريبية أمر غير معقول ، ولا مقبول ، وهو لا يمكن أن يصب في صالح الوطن ، في الدول التي تحترم شعوبها وثقافتها ، يكون القائمون على الشأن الثقافي ، من أكثر المؤمنين بثقافة أمتهم

وحضارتهم ، أما في بعض دولنا العربية والإسلامية ، فيؤتى بأعتى المتغربين ويُسلّمون تلك المواقع ...

بمجهود فردي ، أحصيت حوالي 700 مقالا ، في الصحف المصرية ، خلال شهر واحد ، ومثلها تقريبا في الصحف العربية ، كان 75% تقريبا ، من هذه المقالات ، يصب في اتجاه السلطة ، التي حددت اتجاهها مع أدعياء التنوير . الأمر قد يبدو محزنا ، لكننا من وجهة نظر أخرى ، نستطيع القول أن نسبة 25% ، انتصرت لربها ولدينها وللحق ، في هذا الخضم من الإرهاب والبطش وتزييف الوعي ، هي نسبة مرتفعة ومبشرة ...

بدأت المظاهرات في الأزهر ، مساء الأحد 7/5/2000م ، اشترك فيها 25000 طالب ، وأطلق الأمن الرصاص على الطلاب ، كان القناصة ، يصطادونهم داخل الحجرات في المدينة الجامعية ، وكانت رسائل البريد الإليكتروني من الطلاب ، أقسى على من ذوب الرصاص المنصهر ، فكتبت هذا النداء إلى الرئيس ونشرته صحيفة الشعب ...

نداء ورجاء إلى سيادة الرئيس ..

أستحلفك بحق خالقك عليك .. أستحلفك بمن استرعاك علينا ، وجعل رعيتك أمانة في عنقك .. أستحلفك بحق القرآن .. أستحلفك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أستحلفك .. أن تصدر أوامرك الشخصية ، بمنع أي تعذيب عن أبنائنا ، طلبة وطالبات جامعة الأزهر .. وأن توصي بهم خيرا ، تماما كما لو كانوا أبناءك ، فهم أبناؤك .. وهم رعيتك ، الذين يسألك الله عنهم يوم القيامة ...

تعرض الدكتور أحمد عمر هاشم ، لإهانات بالغة بسبب تصريحاته عن الرواية الكافرة . ونشرت بعض الصحف أخبارا ، عن استبعاده من عضوية مجلس الشعب ، وعن فصله من منصبه ، كرئيس لجامعة الأزهر .

من أعجب ما حدث ، كانت الأزمة ، في الظاهر ، تتكون من شقين ، شق مع الدولة ، وشق مع أدعياء التنوير ، لذلك عندما بدأت التهديدات بقتلي ، تصلني عبر الهاتف ، عجبت ... كان معدل المكالمات ، يصل إلى خمس أو ست ، مكالمات في اليوم ، بعد البلاغ عنها ، لم يتكرر التهديد ولو لمرة واحدة .

كان موقف التلفزيون المصري غريبا ، والحق أنه طلب مني ، أن أسجل معه ، لكنني كنت قد لدغت من صحافة بلادي ، التي لم ترع إلا ولا ذمة ، فاعتذرت ، لكن غيري لم يعتذر ، وأذاع التليفزيون الحلقات ، التي تؤيد الحيدريين ، ومنع إذاعة الحلقات ، التي تنتصر للدين .

في مواجهة على قناة الجزيرة الفضائية ، في يوم 7/8/2000م ، كان حيدر حيدر ، يتكلم في برنامج الاتجاه المعاكس ، كان هو شخصيا ، لا أبطال الرواية المتخيلين ولا المؤلف ، بل هو بشحمه ولحمه ، وكان يكرّر : نعم ، كان للرسول خليلات ، وكان يتزوج زواج متعة ...!!

بعد إغلاق صحيفة الشعب ، اطمأن الذين في قلوبهم مرض ، أننا لن نستطيع الرد عليهم ، فتضاعفت مساحات ما ينشرونه من كذب ، وتشويه وقلب للحقائق ، وكان يجب على أن أبحث عن طريقة للرد . لكن الصحف المتوازنة كالوفد ، اعتذرت ، والصحف الإسلامية اعتذرت أيضا ، بعد أن رأت أن الدولة ، قد كشرت عن أنيابها ، ويمكن أن تغلق صحف الاتجاه الإسلامي جميعا ... انتهى الاقتباس .

مصر الفساد والإفساد

كانت مصر قد اضطلعت ، منذ استقلالها السياسي ، بدور ريادي في الفساد والإفساد ، والإضرار بالإسلام والمسلمين ، على مستوى العالمين العربي والإسلامي ، والذي تمثّل في كثير من المجالات ، ونذكر منها على سبيل المثال :

1. التخلي عن الحضارة الإسلامية وتراثها وقيمها ، والاعتزاز بالانتساب إلى حضارة الفراعنة ، الذين ظلموا أنفسهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وتقديس آثارهم وأوثانهم ، التي ما تركها الله إلا عظة وعبرة . فها هم ينفقون نصف مليون دولار ، تحت سفوح الأهرامات ، على حفلات غنائية غربية حتى الصباح ، بمناسبة حلول عام ألفين ميلادي ، في شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، حيث قامت الحكومة المصرية مشكورة ، بحظر شرب الخمور أثناء الحفل ، إكراما لحرمة الشهر الفضيل . ويأبى عالم الكيمياء المصري ، إلا أن يتسلّم جائزة نوبل ، تحت سفوحها ، تعظيما منه لها ولبناتها ، واعتزازا بالانتماء لهم .
2. نشر رذائل الأخلاق ، وتعميمها كنموذج يُحتذى بين أبناء الأمة الإسلامية ، من خلال السينما والمسرح والغناء ، بالإضافة إلى تشويه صور أولياء الله ، من الرسل والأئمة والعلماء ، في أفلامهم ومسلسلاتهم وبرامجهم الدينية ، لتجد ممثلا يزني ويشرب الخمر ، في فيلم ، ومن ثم تجده في أحد البرامج الدينية ، يدعوا ويبتهل إلى الله ، متوشحا ثوب العفاف والتقى ، ممتهنا قدسية الدين وشعائره ، بالإضافة إلى ما يطرحونه في أفلامهم ومسلسلاتهم وأغانيهم ، من أفكار يُعلّمونها لأبنائنا وبناتنا ، تعجز الشياطين عن الإتيان بمثلها ؛ فتكلفة إعادة غشاء البكارة إلى طبيعته ، كما أخبرني أحدهم ممن شاهد أحد الأفلام المصرية ، وعلى لسان إحدى بغايا مصر ، في الفيلم ، داعية أخرى لممارسة الرذيلة مثلها ، لا تتجاوز المائة والخمسين جنيها ، " وكل شيء يرجع زي الأول " ، مصداقا لقول إبليس (... **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ ...** (119 النساء) ، لتتساوى البغي في الحصانة ، مع مريم ابنة عمران ، وشتان ما بين الثرى والثريا ، وهذا مما تُعلّمه السينما المصرية ، لفتيات أمة محمد ، عليه الصلاة والسلام .
3. تمجيد وتقديس سفلة الناس ، من الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات ، وإقامة الأصنام والأوثان ، وزرعها في الميادين العامة ، وإن لم تصدّق بأنهم يُمجّدونها ويُقدّسونها ، فحاول أن تشتم أحد عمالقة الفن العربي ، في حضور أحد المصريين .
4. تأليه وعبادة أصحاب المال والسلطة من البشر ، كما عبد المصريون القدماء ، ربهم الأعلى فرعون .
5. موالاة أعداء الله ورسوله من اليهود والنصارى ، وبيع قضايا الأمة العربية والإسلامية المصيرية ، لقاء حفنة من الدولارات الأمريكية .
6. محاربة تعاليم الإسلام ورموزه ، في السرّ والعلن ، والعمل على محو أثارها من نفوس الناس .

الصور التي عُرضت في ملف الجريمة ، لما كان يجري في مصر ، من حرب شعواء مبرمجة ، شنّها الفراعنة الجدد على الله ورسوله ، منذ سنوات ، رسمتها ريشة فنان مبدع من أبناء مصر ، لا من غيرها . أشهد الله على أن قومه أصبحوا مجرمين ، بل وفاقوا الفراعنة القدماء في إجرامهم ، وكأنه أعذر الله سبحانه وتعالى ، في إنزال

العذاب ببني جلدته ، من حيث لا يدري ، وهذه الأمر يُذكّرني بقصة النبي ارميا ، عنـدما أعذر ربه في عذاب قومه ، بني إسرائيل في المرة الأولى . التي أوردها الطبري ، في تفسيره ج3 ص (32 ـ 33) ، وهي قصة جميلة ، تُبين بعضا من الحكمة الإلهية في تصـريف الأمـور . وكما قـال رب العـزة في قـوم فرعـون (**فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـاهُمْ أَجْمَعِينَ** (55)ـ **فَجَعَلْنَـاهُمْ سَـلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِـرِينَ** (56 الزخرف)

حيث يؤكد د. محمد عباس ، وبيان شيوخ وطلبة الأزهر ، الوارد ذكره في الحاشية ، أن هناك مخطط ، تنتهجه الحكومة المصرية ، منذ سنوات ، لتدمير معالم الإسلام ورموزه ، معلما تلو الآخر .

واسـتنادا لبيـان علي أبو شـادي ، رئيس مجلس الهيئة المشـرفة على النشر ، والـذي يقـول : " بـأن الرواية (وليمة لأعشـاب البحر) صـدرت في منتصف نوفمـبر " ، أي 15/11/1999م ، نسـتطيع القـول أن هـذه الرواية المشـؤومة (أو وشّ النحس الحقيقي) ، على الأقل ، كـانت في مخـازن دار النشر ، عنـدما غشـيَ الـدخان سـكان القاهرة ، في الفترة الواقعة بين [20/10 ـ 30/10]1999م . ليأتي التحذير والنذير الإلهي ، قبل نشـرها وتوزيعها بين النـاس مجانا ، من قبل الحكومة المصـرية . لكنهم نشروها ، ونشروا كتابا آخر ، كتابات نقدية ، العدد 97 ، ديسـمبر 1999م ، بعنـوان : شـعر الحداثة في مصر ، بعد شـهر واحد من نشر الكتـاب الأول ، بعد أن كشف الله الدخان عنهم ، واستمروا في النشر .

بعد هذا العرض ، نكون قد عايشنا على التوالي ، مشهدين من المشاهد الـتي تعرضـها الآيـات ، هما الشك واللعب ، وظهـور الـدخان في مصر ، والآن إلى المشـهد الثـالث ، عندما يُتهم خير الأنام ، عليه الصلاة والسـلام ، بـالتعلّم والجنـون والسـحر ، في كتـاب (فترة التكوين في حياة الصـادق الأمين) ، الـذي صـدر في النصف الأول ، من العـام الحالي 2001م ، وهو الكتاب السابع للمجرم ، خليل عبد الكريم .

قال تعالى

(فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ، حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)

(الزخرف)

وقال

(فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45)

(الطور)

ثم تولوا عنه وقالوا مُعلّم مجنون

ملف خليل عبد الكريم

في هذا الملف يجد القارئ ، جزءا يسيرا من التغطية الإعلامية ، التي نشرت مؤخرا ، عن خليل عبد الكريم وكتابه . ومنها صحيفة القدس العربي ، والأهرام الاقتصادي وصحيفة أخبار الأدب ، والأخيرة كرست نفسها ، للدفاع عن كل اجتراء على الذات الإلهية ، ويبدو أنها ذهبت في ذلك ، إلى أبعد مما نتصور ، ويكفي دليلا على ذلك ، أن محاميها في قضايا الرأي ، هو فريد الديب .. محامي الجاسوس الإسرائيلي عزام عزام وسعد الدين إبراهيم .. كما أنه محامي الشواذ عبدة الشيطان ..

نعم ..

جاسوسية .. وخيانة .. وشذوذ ..

فذلك هو الوجه الآخر ، للدفاع عن الكفر ..

الإسلام الشيوعي

سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبد الكريم

موقع المقال على شبكة الإنترنت :
http://www.lailatalqadr.com/stories/p6260501.shtml

أو : **http://www.alshaab.com/GIF/31-08-2001/Khalil%20Abd%20Alkareem.htm**

بقلم بدر الشبيب :

" خليل عبد الكريم ، كاتب يساري أو شيوعي أو تقدمي ، يكتب في الإسلام .. ولا بأس أن يكتب ، كائن من كان ، عن الدين الحنيف ، ولكن السؤال هو : ماذا يكتب ؟

وقد كان خليل عبد الكريم ، عضوًا في جماعة الأخوان المسلمين ، منذ سنوات طويلة خلت ، ولكنه ترك موقعه هذا ، وتحوّل من أقصى اليمين ، إلى أقصى اليسار ، فأصبح عضوًا في اللجنة المركزية ، لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ، وهو حزب يساري يقول عنه الإسلاميون : إنه حزب شيوعي .

ومنذ عشر سنوات أو أكثر ، يثير خليل عبد الكريم عاصفة في مصر وخارجها ، بكتبه التي يضعها عن الإسلام .. وتتعرض هذه الكتب ، للمنع والمصادرة والهجوم العنيف ، ومع هذا ، فإن الرجل لم يتوقف عن الكتابة ، ولم يتوقف عن تغيير خطه الفكري ، الذي يصدم الجميع . ورغم أن عددًا من أساتذة الجامعات الكبار ، قد حاولوا كشف ما في دراساته هذه ، من زيف وافتراءات على الإسلام ، إلا أن شيئًا ، لا يمنع الرجل من الاستمرار ، بل إنه يزداد غلوًا ، مع كل كتاب جديد ، غير عابئ بما تثيره كتبه ، من رفض عنيف .

ويستخدم خليل عبد الكريم ، لغة جارحة في كتبه ، كما يطرح آراء وأفكار ، لا يمكن أن توصف ، إلا بأنها خروج على الملة ، وعلى رأي الجماعة ، وعلى رأي الجمهور .

وهو ينطلق في هذا من مقولة : إننا يجب أن نتمتع بالجرأة العقلية ، وأن نطرح كل الأفكار وكل الشخصيات ، على مائدة التشريح العقلي الموضوعي ، البعيد عن الهوى ،

وعن الأفكار الجاهزة ، التي يكتب بها المؤرخون والدارسون للإسلام ، عن الدعوة والرسالة وسيدنا محمد .. يقول خليل عبد الكريم ، في صدر كتاب أخير له .. " وآمل - وهذا أمر متوقع - ألا يسيء البعض ، فهم هذه الدراسة ، على نحو لم يرد على خاطرنا ، وكنا قد طالبنا بضرورة كتابة التاريخ الإسلامي ، كتابة علمية موضوعية بداية بالحبيب المصطفى ، وكرّرنا أن الكتابة بطريقة مغايرة للكتابات التقليدية ، يتعين أن تقابل ، بأفق رحيب وعقلانية بعيدة عن التشنج ، ونذكر هؤلاء بأن الأمين نفسه ، أكد أن من اجتهد واخطأ فله أجر ، ونحن نأمل في أن نحظى بالأجرين .. أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة ".

وفى ظل ما يدعيه من جرأة عقلية ، على هذا النحو ، فإن خليل عبد الكريم ، يمضي في هذه الكتابات ، التي لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الإسلام . ونحن لا ندعو بالطبع ، إلى مصادرة هذه الكتب ، أو الحجر على حرية الرجل ، ولكننا ندعو المتخصصين وعلماء الدين وشيوخ الأمة ، إلى مناقشة أفكار الرجل ، ودحض ما فيها من شبهات ، بشكل علمي هادئ بعيدًا ، عن الترويع والتخويف والإرهاب الفكري .

وهناك الآن ، ما لا يقل عن سبعة كتب هامة ، أصدرها الرجل في السنوات الأخيرة ، وهي تستحق المناقشة والتحليل ، لعرض ما فيها من آراء والرد عليها .

ولسنا هنا بالطبع ، في معرض تحليل هذه الكتب أو مناقشتها ، فليس هنا ، ولا الآن ، يتم هذا الأمر ، ولكننا قد نكتفي بالتعريف السريع بها ، خصوصًا أنها تكوّن الآن مشروعًا فكريًا ، لهذا الرجل . والكتب السبعة التي سنعرض لها هنا ، هي :

أولاً : كتاب (للشريعة لا لتطبيق الحكم) :

وهذا الكتاب يقوم على فكرة واحدة أساسية ، هي أن تطبيق الشريعة الإسلامية ، لم يعد صالحًا في هذا العصر ، لأن هذا التطبيق سوف يجر علينا ، من المشاكل ما لا حصر لها . ومع أن الإسلام ، وكما جاء في القرآن العظيم ، هو الدين الخالد ، الذي يصلح للبشر كافة ، ويصلح في كل زمان ومكان ، إلا أن خليل عبد الكريم ، له رأي آخر ، فهو يقول بالحرف : " إن الإسلام ليس عبادات فقط ، بل هو أيضًا تشريعات وعقوبات ونظام سياسي " ، وهنا الخطورة من وجهة نظره ، إذ يرى أن تطبيق الشريعة ، سوف يؤدي بنا إلى أضرار ، تفوق بمراحل الأضرار ، التي تترتب على إهمالنا لتطبيقها . وتلك هي دعوة العلمانيين واللادينيين ، الذين يفضلون القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية .

ثانياً : كتاب (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية) :

وهذا الكتاب ، يعتبر استكمالاً وتأصيلاً للكتاب الأول ، إذ أنه ينطلق من نفس الفكرة ، التي ترفض الشريعة الإسلامية ، وترفض تطبيقها ، وهنا يقول خليل عبد الكريم : " إن هذه الشريعة التي ينادون بها ، هي مجرد تعاليم ، كان يقول ويأخذ بها عرب الجاهلية ، ثم جاء محمد ، فأخذ هذه التعاليم ، وأعمل فيها عقله وفكره ، حتى بدت وأنها شيء جديد " . ولهذا فإن السؤال الذي يطرحه خليل عبد الكريم ، هو : هل تصلح هذه التعاليم ، التي كان يطبقها بدو الصحراء ، قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا ، لكي تحكمنا اليوم ؟! على أن ما هو أخطر من هذا السؤال ، ما معناه وخلاصته ، أنه ليس ثمة شيء منزل من السماء ، بل إن الأشياء كلها من صنع سيدنا محمد ... !!

ثالثاً : كتاب (الأسس الفكرية لليسار الإسلامي) :

وفى هـذا الكتـاب ، يقـول خليل عبد الكـريم صـراحة ، " إن الإسـلام ليس شـيئًا غـير العبـادات " ، مع أن طلبة المراحل التعليمية الأولى ، يعرفـون أن الإسـلام يقـوم على دعـامتين ، هما : العبـادات ، والمعـاملات . ولكنه يحصر الإسـلام في العبـادات فقط ، ولهـذا فـإن ميدانه الأصـلي ، هو المسـاجد والجوامع والتكايا والحسـينيات ، أو الخلاوي والخانقاهات والزوايا والمصليّات ، وحضرات الصوفية وحلقات الذكر ، ومجـالس دلائل الخيرات . ومعنى هذا أن الإسلام دين للعبـادة ، وليس دينًا للحيـاة . أنه يحصر وظيفته في دور العبادة ، أما شؤون الناس وتصـريف حيـاتهم ، فليس للإسـلام شـأن بها . وهنا نعود إلى مقولات المغرضين ، الذين يقولون إن الإسلام ، ليس دينًا ودولة ، بل هو دين فقط .

رابعًا : كتـاب (مجتمع يـثرب .. العلاقة بين الرجل والمـرأة في العهـدين المحمـدي والخليفي) :

وهـذا كتـاب مَعْيَبة ، لأنه يشـوه الإسـلام في أعظم عصـوره ، أي في مرحلة النبـوة ، وصدر الإسلام ، والخلفاء الراشدين . وسـوف يلاحظ القـارئ ، في اللحظة الأولى ، أن الكاتب يستخدم ، كلمة (يثرب) ولا يستخدم اسم (المدينة المنورة) علمًا بأن الاسم الأول ، قد نسـخه الإسـلام ، وألغـاه النـبي ، وأطلق عليها هـذا الاسم الجديد الجميل . ولكن ليست هـذه هي المشـكلة في هـذا الكتـاب ، ولكن المشـكلة ، هي في الدراسة الاجتماعية المزعومة ، التي قدّمها ، والتي شـوه بها ، ومن خلالها ، أعظم المجتمعـات وأعظم العصور وأعظم الشخصيات ، حين نكتشف ، أن المجتمع في مدينة رسول الله ، وهو المجتمع الـــذي أقـــام دولة ، ونشر دينًا ، هـــذا المجتمع ورجاله ، لم يكونـــوا مشغولين بشيء ، قدر انشغالهم بالمرأة والجنس معًا ...!

خامساً: كتاب (قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية) :

وهذا الكتاب ، ينزع عن النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، صفات الرسـالة والنبـوة والوحي جميعًا ، إذ يحاول المؤلف أن يثبت ، أنه ليس هناك شيء من هــذا كله ، ولكن الأمر كان ينحصر في رغبة قريش ، في أن تقيم دولة ، وأن تسود على القبائل العربية ، في شبه الجزيرة وما حولها . وقد تم هـذا وفق تخطيط محكم قـام به ، رجل داهية ، هو جدّ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عبد المطلب الذي جاء بحفيـده " محمد " ، ولم يكن أقل منه ذكـــاءً ، وصــــنع منه حاكمًا ومؤسسًـــا لهـــذه الدولة . لقد أراد عبد المطلب ، أن " يصـــــنع " ملكًا فصـــــنع نبيًا ، أي أن الحكاية كلها هي الحكم ، وهي السيطرة ، وهي السيادة إلى جوار ملـوك وأبـاطرة ، يحيطـون بقبائل العـرب ، ابتـداء من كسرى حتى هرقل .

سادساً: كتاب (شدو الربابة بأحوال الصحابة) :

وهذا كتاب لا يقل سـوءًا ، إن لم يـزد عن الكتب السـابقة ، وهو أيضًـا يـأتي اسـتكمالاً لكتـابي مجتمع يـثرب ، وقـريش القبيلة والدولة . وفي هـذا الكتـاب الجديد ، يعـرض المؤلف لأحوال صحابة رسول الله ، فيقول فيهم كلامًا ، لم يرد في كتب السـيرة ، ولا في كتب التاريخ ، ومنه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان يختلي بالصـحابي الجليل سلمان الفارسي ، لأيام طويلة لكي يأخذ منه ، ويتعلم على يديه ، لأن سلمان ، فيما يقال كـان من كبـار مثقفي عصـره ، وكـان عالمًا بالعقائد والأديـان ، وكـان يحيط

بالمـذاهب المختلفة . وقد جلس النـبي بين يديه ، كما يجلس تلميذ بين يـدي أسـتاذه ، ليتعلم منه كل الأسس والقواعد والتجارب والتواريخ والسير ، التي استفاد منها النبي ، بعد ذلك في رسالته الإسلامية المحمدية .

سابعًا: كتاب (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين) :

وهذا هو آخر كتب ، خليل عبد الكريم ، ولعله من أخطرها جميعًا . ويقـوم هـذا الكتـاب على فكـرة واحـدة أساسـية ، هي أن سـيدنا محمد ليس نبيًا ، ولكنه تلميذ عبقـري ، لمجموعة من الأساتذة هم : السـيدة خديجة ، وابن عمها ورقة بن نوفل ، وبقية أفـراد الأسـرة وهم : ميسـرة ، والـراهب بحـيرا ، والـراهب عـداس ، والبطـرك عثمـان بن الحويرث .. وكلهم مسيحيون .. ولقد قامت هذه المجموعة النصرانية ، على " صناعة" هذا النبي ، بعد أن عكفـوا على تعليمه ، لأكـثر من خمسة عشر عامًا ، حفظ فيها كتب الأولين والآخـرين ، وعـرف التـوراة والإنجيل ، والمـذاهب والعقائد ، وانتهى هـذا كله بنجاح " التجربة " أي الرسالة ، وصنع هذا العبقري ، الذي أصبح نبيًا ، ووضع كتاب حيّر العاملين ، على امتداد القرون هو القرآن الكريم .

ويقول خليل عبد الكريم بالحرف الواحد : " وهذا الكتـاب ، يقـدم رؤية جديـدة ، نـزعم أنها غير مسبوقة ، لحل هذا اللغز الذي ملأ الدنيا ، وشـغل النـاس ، وقد بـدأنا بمحمد ، قبل أن يلتقي أبوه بأمه ، حتى التقطته سـيدة قـريش ، بعد أن توسـمت فيه ، بفراسة يعز مثلها ، أنه هو القـادم المنتظر ، ثم قيامها بمعونة سـخية ، من ابن عمها القس ، بدور لا نجد له في تـاريخ الأديـان مجـرد شـبيه ، أنها ملحمة خالـدة ، سـلخت من عمر الطـاهرة والقس ، عقـدًا ونصف العقد من الزمـان ، في الإعـداد والتصـنيع والتهيئة والتأهيل ، حتى طرح ذلك العمل ، الصبور الدءوب المتأني المخطط ، والمرسوم بدقة متناهية ثمرته الناجحة ، وحدثت واقعة غار حراء ، بصـورة فـذة معجبة ، أدهشت حـتى فاعليها ، وهما سيدة نسـاء قـريش ، وورقة بن نوفل ، لأنها جـاءت بصـورة ، لم تخطر لهما على بال ، ولا شك أن هذا النجاح ، يؤوب بنسبة كبيرة إلى موضوع التجربة ، وهو " محمد " فقد كـان عبقريًا ، لا يفـري فرية أحد ، ذلك أن سـيرته الذاتية ، وخبراته الشخصية وملكاته العقلية والنفسية واللسانية ، كانت ركائز أساسـية في فلاح التجربة " .

ـ لا يفري فرية أحد : (أي لا يكـذب كذبة أحد ، بمعـنى جـاء بكذبة لم يسـبقه إليها أحد من قبله ، حيث كان يُسمى الصادق الأمين في مكة ، وبـذلك ينفي عنه الكـاتب هـاتين الصفتين ، فيكون إيرادهما في عنوان الكتـاب ، من قبيل الاسـتهزاء والاسـتخفاف ، به وبمن صـدّقوه على مـدى 1400 سـنة ، وهـذا مما ملأ قلب مسـيلمة الكـذاب هـذا ، وأمثاله ، غيظا وحسدا على خير الخلق وأكرمهم ، محمد عليه الصلاة والسلام)

ويقـول أيضًـا في نفس الكتـاب ... " أما في المسـاء ، وفي ليل مكة الطويل شـتاءً ، فكان مع الطاهرة - أي خديجة - بمفردها أحيانـاً ، وبحضـور القس أحيانًا أخـرى ، حيث تتم في تلك القعـدات ، مـذاكرة الإصحاحات مباشـرة (التـوراة والإنجيل) ، ثم إدارة الحوار بشأنها ، وأما بتلقّيها من الأم الرءوم والزوجة الحنون خديجة ، الـتي لا شك أنها أجـادت القـراءة والكتابة ، وقد قـرأت تلك الإصـحاحات ، وخزنتّها في ذاكرتها ، أو أنها طفقت تقرأها له مباشرة . وكل هذا يدور بالنهار ، في الأسـواق والحـوانيت والأعيـاد ، وما يتم سـماعه من القس ورقة ، وخديجة من الإصـحاحات ، الـتي عرّبها القس في الليالي الطوال ، (لتخرج في شكل سور القرآن) ، وما يعقبها من شـروح وإيضـاحات (السنة النبوية) ، وحوارات بالجلسات ، التي قد تستمر حتى بـزوغ الفجر . نقـول أن

كل هذا ، كان يجري تخزينه ، وبرمجته في ذاكرة العبقري ، الذي لم تر جزيرة العــرب له مثيلاً ، ولم تشهد له ضريبًا ، ولم تعاين له شبيهًا أو نـدًا ، خاصّـة وقد آمنا أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، والأمي - أيّ أميّ - يتمتع بذاكرة حديدية ، وحافظة واعية أشد الوعي ، فما بالك إذا اجتمعت الأمية والعبقرية الفذة ، في شخص واحد .

ويقول في موضع آخر .. " ومهما كانت الجهود الـتي بـذلتها الطـاهرة ، وعاضـدها فيها ابن عمها القس ، فأنها لا تنفي عن التجربة ، وفى مقدمتها حادث الغار ، جانبها الغيبي وناحيتها الميتافيزيقية (المتافيزيقية : لفظ توصف به الظواهر الخارقة الطبيعية ، التي عـادة ما تتـأتى ، على أيـدي الكهـان والسـحرة والمشـعوذين والـدراويش ومحضّـري الأرواح ، وذلك لنفي الوحي) ، إذ لا تعارض بين الأمرين ، بل إن كلا منهما يكمل الآخر ويدعمه . ويقول أيضًا .. " حتمٌ علينا ، أن نقرّ ونعترف بمهارة خديجة ، في المــزج بين الأمومة الفياضة ، بـالحب والحنــان ، وبين الإعــداد الكــريم الــدقيق ، لتلقى التجربة (النجاح) ، ولولا هذا الخلط البارع ، لما قُدّر للتجربة الفلاح والنجاح ، الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس منذ أربعة عشر قرنًا ، ومـازال يشـغلهم حـتى الآن ، وربما لأمد بعيد ، ما لم تتبــدل جــذريًا ، أحــوالهم الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية ، وما لم يتحلّل حـراس الأسـاطير ، وجلاّس الـتراث المبـارك ، عن أمـاكنهم الميمونة ، (بمعـنى ما لم يعمل جهابـذة المفكّـرين من أمثـال الكـاتب ، على رفع هالة القداسة عن محمد ورسـالته ، فتعالى الله عما يُشرك به المجرمون) " .

ثم يقـول خليل عبد الكـريم في موضع آخر وأخـير .. " كـان أسى محمد المرير ، على فقد خديجة أمـرًا بـديهيًا ، لأنها الأم الـرءوم والزوجة الحبيبة ، ولولاها ما أكمل التجربة حتى نهايتها ، وهي التي أتاحت له التّماس ، مع ورقة وعداس وبحيرا ، وقضـاء الليـالي الطوال مع ابن نوفل ، في المدارسة والمذاكرة والمحاورة ، وهي التي كـانت تقـرأ له الصـحف ، الـتي عرّبها القس نوفل ، وهي الـتي هيـأت له الاختلاط ، بأصـحاب جميع الملل والنحل والعقائد والأديان ، الـذين اكتظّت بهم مكة ، ولـولا التفـرغ الـدائم ، وهو أحد عطايا أم هند ، لما انفســحت له الفرصة الثمينة . ولا شك أن الخلطة بأصـــحاب الديانات ، شكّلت جزءًا من الخطة المرسومة . لما انضـوت عليه الخطة ، من تمـرّس واستماع ، وحفظ وحـوار ومدارسة وتخـزين معلومـات . لقد أدركت خديجة ، منذ فجر التجربة ، أن احترامه التجارة لا يدع له فسحة من الوقت ، في حين أن التجربة ، تحتّم ضرورة التفرغ الكامل ، وطلاق كل ما يشغله عنها ، طلاقًا بائنًا بينونة كبرى " .

وبعد .. فهذه مجرد وقفة سـريعة ، عند كتب خليل عبد الكـريم .. وليس منها كتابًا أقل خطورة من الآخر .. ولكن ربما كان هـذا الكتـاب الأخـير هو أخطرها .. فسـوف نلاحظ هنا ، أن سـيدنا محمد ، صـلى الله عليهم وسـلم ، ليس نبيًا يـوحى إليه ، بل هو رجل عبقــري ، تمت صــناعته على يد الســيدة خديجة وجماعتها ، وهم مجموعة من أقبــاط مكة ، وأنه تم تحفيظه الكتب الســماوية ، الــتي سـبقته كلها ، فكـان النتـاج هو هــذا الرسـول . وأغـرب من هـذا ، أن الكتـاب كله ، لا تـرد فيه كلمة " الرسـالة " ، للدلالة على الدين الحـنيف ، بل هو يسـميها " التجربة " .. فلقد نجحت " تجربة " خديجة ومن معها ، بما يعني أنها شيء أرضي ، وليست شيئًا علويًا منزلاً ، من فوق سـبع سـماوات . وفي هذا السياق ، فهو يسـمي السـيدة خديجة باسم " الطـاهرة " تيمنًا باسم مـريم العذراء ، التي طهّرها رب العزة والجلال واصطفاها على نساء العالمين ، ودلالة الاسم هو أن السيدة خديجة كـانت نصـرانية ، وبعد هـذا ، فهو لا يتـورع ، عن وصف الـوحي ، الذي نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسـلم ، في غـار حـراء بأنه حـادث غيـبي ميتافيزيقي !

بين الإبداع والحرية

بقلم : الأستاذ بدر الشبيب .

الإبــداع أمر لا يختلف على أهميته اثنــان ، والاحتفــاء بالمبــدعين ، دأب المجتمعــات الحضارية ، التي تنشد الرقي والتقدم دائما وأبدا .

ولكن كيف يكتسب عمل ما ، صفة الإبداع ؟ هذا سؤال جوهري ، ينبغي على المهتمين ، بالشأن الثقافي والفلسفي الإجابة عليه ، لأنه أصبح أكثر إلحاحا من ذي قبل ، بخاصة مع ظهور موجة في العالم العربي ، ترى الإبداع في الخروج على المألوف ، والحـديث في المسكوت عنه ، وذلك في مجالين اثنين لا ثالث لهما (الدين والجنس) .

فباسم الإبـداع وحرية النشر والتعبـير ، تقـذف لنا دور النشر كتابا هنا ، ورواية هنـاك ، يكـون هـذان المجـالان محورهما ، مع كثـير من التطـاول ، على حرمة المقدســات والرموز الدينية ، وكثير من الإسفاف والابتذال ، والخروج على الآداب العامة .

وقائمة الأسماء طويلة ، تبدأ من المشـرق ، ولا تنتهي في المغـرب ، ويـأتي على رأس القائمة ، جمع من الروائيين أمثال حيدر حيدر (وليمة لأعشاب البحر) ، محمد شكري (الخبز الحافي) ، منى فياض (فخ الجسد) ، إلهام منصور (أنا هي أنتِ) ، ... الخ .

وأما الكُتّاب فهم كثر أيضا (نوال السعداوي ، ليلى العثمان ، نصر حامد أبو زيد ، خليل عبد الكريم ، ... الخ)

ولعل هـذا الأخـير ، أعـني خليل عبد الكـريم ، هو آخر المتطـاولين في كتابه (فـترة التكوين في حياة الصادق الأمين) ، حيث يتناول مرحلة ما قبل النبوة في حياة النبي (ص) محـاولا النيل من قدسـية الرسـول (ص) ، والتشـكيك في كونه مرسلا من عند الله .

والملاحظ أن هؤلاء الكتـاب والروائـيين يؤسسـون لكتابـاتهم بمصـطلحات تبـدو للوهلة الأولى حضــارية وتقدمية ، من مثل الإبــداع وحرية النشر والتعبــير ، وإعــادة قــراءة النصـوص التراثية ، بما فيها القـرآن ، بالاســتفادة من المنـاهج التاريخية ، والمـدارس الألسنية الحديثة .

ولكننا حين نتأمل في مجمل إنتاجــاتهم ، نجــدها تهــدف أولا وآخــرا ، إلى المس من المقدّس الإسلامي ، وجعله غير مقدّس ، وإلى هـدم قلاع الحيـاء والعفة ، في المجتمع المســلم ، وإلا فــأي معــنى لحصر الإبــداع ، في كل ما من شــأنه الحط ، من الــذوق الجمالي الرفيع ، بدلا من أن يكون الإبداع أساسا ، لتدريب الذائقة وتنميتها ؟

وسؤال آخر يطرح نفسه : هل يحق لكل أحد ، أن يكتب في الدين ، ويناقش مسائله ، ولماذا يصبح النص الديني مباحا لكل أحد ؟ ألسنا نعيش عصر التخصص ؟

وأخيرا ، لماذا يغضب هؤلاء الكتاب ، عند رفع دعوى حسبية ضـدهم أمـام القضـاء ، إذا كانوا متحضرين فعلا ؟ أليس التقاضي أسلوبا حضاريا ؟

ونقطة أخــرى هامة ، ينبغي الإشــارة إليها هنا ، فنحن لا نســتطيع أن نعمم على جميع الكتاب ، تهمة التآمر ضد الإسلام والمجتمع المسلم ، فهناك طائفة من الكتــاب ، تنشد الحق ، ولكنها تخطئ الوســـيلة والمنهج ، و (ليس من طلب الحق فأخطـــأه ، كمن طلب الباطل فأدركه) .

نحن لسنا ضد الإبداع ، ولسنا ضد الاستفادة من المنتجـات الثقافية للآخـرين ، ولا نريد هنا أن نؤسس لفقه المصـــــــادرة ، ولكننا نريد أن نؤسس منهجا منطلقا ، من ثقافتنا

الإســلامية الأصــيلة ، في تعريف مصــطلحيّ الإبــداع والحرية وحــدودهما ، في نفس الوقت الذي ندعو فيه ، لإعادة صـياغة فقه الحســبة ، بلغة عصـرية ، وبثه في أوسـاط المجتمع .

وهذا التأصيل ضـروري ، لكي نتعـرف على قيمة المنفعة والمتعة وغيرهما ، في تحديد إبداعية العمل ، وكـذلك للتعـرف على الأطر ، الـتي تعمل الحرية في حــدودها ، إذ لا يمكننا الاعتماد على المنهج الغربي ، الذي يكيل بألف مكيال ، فيحتفي بسلمان رشدي ، باعتبـاره مبـدعا ، ويضـيق صـدرا بروجيه جـارودي ، فيسن قـانون (جيسو – فـابيو) ليقدمه للمحاكمة ، لأنه كتب (الأســاطير المؤسسة للسياسة الإســرائيلية) ، كما لم يتسع صــدره لــ (دافيد ايــرفنج) ، المــؤرخ البريطــاني ، الــذي شــكك في أرقــام الهولوكوست " .

جولة الصحافة : الجزيرة نت ، ثورة المشايخ

" الكلام الوارد ، في كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، لا يحتمل حكماً آخر ، غير الكفر " د. يحيى إسماعيل ، الأهرام العربي .

ونشرت المجلة ملفاً عن الثورة ، التي أحدثها كتاب "فترة التكـوين في حيـاة الصـادق الأمين" ، لخليل عبد الكريم ، الكاتب اليساري ، الذي ينسب نفسه إلى ما يسـمى بــ " اليسار الإسلامي " ، أو " الإسلام المستنير " .

وأصدر مجمع البحوث الإسلامية من جهته ، تقريراً عن الكتاب ، أوضح فيه أن الكتاب ، يعتبر إنكارا لرسالات الأنبياء . ويعـرض الكتـاب لحيـاة الرسـول الكـريم بشـكل مـزر ، حيث صار فاقد الإرادة أمام زوجته السيدة خديجة ، ثم خضع خضوعاً تامــاً ، لما أرادته هي وابن عمها ورقة بن نوفل ، من تصييره نبياً ، تدين له جزيرة العرب وغيرها .

وانتهى التقرير ، إلى التوصية بمصادرة الكتاب ، الذي يمثل عملاً عدوانياً ، على عقيدة الأمة الإسلامية ، ينكر مبدأ الرسالات السماوية إنكاراً قاطعاً ، ويزعم أن جميع الأنبيــاء ، صناعة أرضية بشرية . من الجدير بالذكر ، أن التوصية بالمصــادرة ، صــدرت بإجمــاع آراء علماء مجمع البحوث .

من ناحيته ، أكد د. يحــيى إســماعيل الأمين العــام ، لجبهة علمــاء الأزهر ، أن الكلام الوارد في الكتاب ، لا يحتمل حكماً آخر غير الكفر . وأضاف قائلاً : لسنا أمام ثقافة أو فكر ، ولا يمكن أن تكون الوقاحة إبداعاً .

وليمة جديدة : وفي نفس الإطار ، نشرت صحيفة الوفد ، تقريـرا تحت عنـوان " وزارة الثقافة تطبع كتاباً يهـاجم الإسـلام " ، ويقـول التقرير : أن مجمع البحـوث الإسـلامية ، طلب مصادرة كتـاب " المـرأة والجنوسة في الإسـلام " ، والـذي قـامت بتأليفه ، ليلى أحمد باللغة الإنجليزية ، وطبعته وزارة الثقافة ، على نفقتها بعد ترجمته .

وكشف التقرير ، أن الكتــاب يــزعم ، أن القــرآن اقتبس مادته التاريخية من التــوارة ، وأن الإســلام ســلب حقـوق المــرأة . واتهم التقرير المؤلفة بالتشـكيك ، في سـماوية القرآن ، وبالتحريف المتعمد لوقائع السيرة النبوية . وطلب التقرير ، مساءلة المجلس الأعلى للثقافة ، عن إضاعة أموال الدولة ، في عمل يدعو لهدم الإسلام " .

معارك الإسلاميين

* جزء من مقال في صحيفة القدس العربي :

" وإلى جماعة الإخوان المسلمين ، في جريدتهم آفاق عربية ، واندهاش الدكتور عبد العظيم المطعني ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، من الحملة العنيفة ضد صحيفة النبأ ، بسبب نشرها موضوع الراهب برسوم المحرقي ، وغلقها وإسقاط عضوية ، صاحبها ممدوح مهران من نقابة الصحافيين ، وتقديمه للمحاكمة ، والحملة التي تعرضت لها الدكتورة نوال السعداوي ، بينما لم يحدث تحرك ضد خليل عبد الكريم ، بسبب كتابه فترة التكوين في حياة الصادق الأمين .

المهم أن الدكتور المطعني ، قال : د. نوال ، اخترقت جانباً من حصن العقيدة والتشريع ، وجريدة النبأ ، اخترقت جانباً من الإطار الأخلاقي ، بما يعد تحريضا علي الفسق والفجور ، وخدشاً للحياء وإساءة إلى مشاعر الشعب المصري كله ، مسلمين وأقباطا ، أما خليل عبد الكريم عبد الناصر (الكاتب) ، ومحمد هاشم (الناشر) ، فإن جريمتهما أفظع جريمة يشهدها المجتمع المصري ، جريمة تدعو إلى تقويض وهدم حقائق الإيمان ، ومحوها من الوجود ، حيث تصور كل أنبياء الله ورسله ، على مدى التاريخ النبوي كله ، بأنهم صناعة أرضية بشرية مفبركة !! وليست لهم صلة بوحي الله ، بل هم المُصَنفرون والمقلوظون في ورش بشرية ، تخصصت في إنتاج الأنبياء والرسل المخدوعين !!

هذه الجريمة الفظيعة ، لم تتجاوز مواجهتها ــ حتى الآن ــ سوى الرفض الإعلامي القولي ، ولم يتخذ ضد أطرافها أي موقف رسمي حاسم ، لوقف هذه المهاترات المشوهة ، التي تمس نظام المجتمع من الجذور ، والواجب أن يُحاسب قانوناً ، كل من المؤلف والناشر ، وأن تحذو نقابة المحامين ، حذو نقابة الصحافيين ، بشطب اسم خليل عبد الكريم من جدول المحامين ، وأن يتخذ اتحاد الناشرين قرارا ، برفع دعوى لسحب ترخيص ، مكتبة ميريت للنشر والمعلومات ، من مزاولة مهنة النشر . أجل ، إن خليل أولى بالمحاكمة ، من نوال وإن ميريت أولى بالإغلاق من النبأ ، وإلا فان نجاة خليل ومحمد هاشم من المساءلة الرادعة ، سوف يفسح المجال للعشرات من أمثال خليل ، في مجال التأليف المخرّب ، وللعشرات من أمثال محمد هاشم ، من الناشرين المخربين . وحسبنا الله ونعم الوكيل " .

(يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)

في نيجيريا تخرج الملايين من الناس ، لتجتمع في صعيد واحد مطالبة بتطبيق الشريعة ، فتبدأ ولاية تلو أخرى بتطبيقها ، بالرغم من معارضة الغرب النصراني ، أما في مصر أم الدنيا ، بلد الأزهر ، كما يُسمّيها الأشقاء المصريون ، وفي أرض الكنانة كما يُسميها الأشقاء العرب ، فالشريعة الإسلامية لديهم انتهت مدة صلاحيتها ، لذلك يتوجب علينا أن نُلقيها في سلة المهملات ، ليكون مصيرها الحرق في مقالب قمامة القاهرة .

هي نفسها ، حرب فرعون وملئه ، على موسى ومن معه من المؤمنين ، تتجدّد على نفس الأرض ، وعلى نفس الشاكلة ، ولا وازع ولا رادع ، بالرغم من سكنهم ، في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، فأخذهم وأبقى أثرهم ، لتذكير من يأتي بعدهم ، ببطشه وجبروته .

في مصر تُصدر المحكمة الإدارية في القاهرة ، في مطلع شهر 7/2001م ، قرارا بإغلاق صحيفتي (النبأ) و (آخر نبأ) ، لأنها أساءت لمشاعر الأقباط ، بنشر صور فاضحة ، انحرافات جنسية لراهب مطرود من الدير ، مما أثار تظاهرات غاضبة للأقباط في حزيران الماضي . وهذا القرار عادل بلا أدنى شك ، فديننا لا يقبل هذا الفعل .

ولكن ماذا عن إساءة مشاعر المسلمين ، وماذا عن الإساءة لكتاب الله ، وماذا عن الإساءة لرسول الله ، وماذا عن الاجتراء على الله ، لقد رُفعت قضايا ضد من قاموا بذلك ، ولكن هل اتخذت تلك المحكمة قرارا مشابها ... ؟! نعم .. لقد أخذت الحكومة المصرية قرارا ، ولكن بإغلاق الصحف التي دافعت عن مقدسات الأمة ، بدعوى الإرهاب الفكري للمبدعين ، الذين انهالوا على الإسلام ليحطموا أوثانه وأصنامه ، التي ألفوا آباءهم وأجدادهم عليها عاكفين ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ... !!

ما يلفت الانتباه إلى أن أقباط مصر ، غضبوا لدينهم بشكل جماعي ، وهم أقلية في مصر ، ومن حق الإنسان ، بل واجب عليه أن يغضب ، ولا يكون الغضب محمودا إلا في هذا الموقف ، ولكن هل غضب المسلمون في مصر ، عندما انتهكت ، وما زالت ، مقدّساتهم الدينية جملا وتفصيلا .

يقول د. محمد عباس : " كانت الأمة تغلي بالغضب ، وكان قلبها متمثلا ، في طلبة جامعة الأزهر ، حيث تظاهر 25 ألف طالب ، وكانت الدولة مترددة ، حتى حسمت أمرها بإطلاق الرصاص ، على قلب الأمة ، على طلبة جامعة الأزهر " . ويقول : " كان موقف شيوخ الأزهر وطلبته رائعا ، فقد أصدر 70 عالما أزهريا بيانا " .

رائعا ، لكونهم أصدروا بيانا ، ولكن ما شاهدناه على شاشة التلفزيون هو مظاهرة ، تضم بضعة عشرات من فتيات الأزهر ، وأدتها الشرطة المصرية ، من قبل أن تبدأ ، حسبما جاء في النشرات الإخبارية ، وما نود أن نُشير إليه هنا ، أن الأمة المصرية ، لم تُحرك ساكنا ، فهي منشغلة بدنياها ، من رأسها حتى أخمص قدمها ، لتستمر المعركة على صفحات الصحف من قبل القلة ، من أبناء الذين انتصروا لدينهم ، وخذلتهم أمتهم وخذلت دينها ، قبل أن تخذلهم حكومتهم ، وما نسبة 25 ألف طالب ، مما يزيد عن 50 مليون مسلم في مصر ... ؟!

وهذا الوضع المؤسف والمأسوي في مصر ، الذي حاول د. محمد عباس تجميله ، والذي يبعث الأسى والحزن في قلب كل مسلم ، هو ما تستشعره في ثنايا مقالات وبيانات ، د. محمد عباس نفسه ، وهو ينادي في أمته ، فلا سامع ولا مجيب ، مما اضطره للاستنجاد بالأزهر وطلبته والمفتي والقرضاوي ، بعد أن وجد نفسه وحيدا محاصرا ، بين فكيّ كماشة إعلام الكفر والضلالة ، وجبروت فرعون وسطوته ، فاستجابوا له بعد حين .

فلماذا انتصرت الحكومة ، لنصارى مصر وحاربت مسلميها ؟! أليس لأنهم يخشون الناس ، من نصارى الغرب ، كخشية الله أو أشد خشية ، نعم .. هذا هو الشرك بعينه ، لذلك اعتقد بعض المفسّرون القدماء ، أن المقصود في الآيات هم مشركي قريش ، ظنا منهم أن الشرك ، ولّى من غير رجعة .

نعم .. إنهم يشكّون بربوبية الله وألوهيته ، ولا يدينون له بالعبادة ، ويشكّون في قدرته على نصر أوليائه ، والانتقام من خصومه ، ويُضاف إلى شركهم صفة أخرى ، هي النفاق ، وهو ما لم ينتبه إليه ، من ذهبوا إلى ذلك القول من المُفسّرين ، فمشركو قريش أخذتهم العزة بالإثم ، فلا حاجة بهم ليُنافقوا رسول الله وصحبه ، ولم يُعطوا الدنية في معتقدهم بالرغم من بطلانه ، حتى فُتحت مكة ودخلوا في الإسلام ، وما ظهر النفاق إلا في المدينة .

وفي خضم هذه الموجة ، ومع ضعف نور الإسلام ، وأفول شمسه ، سيتحول النفاق قريبا ، إلى كفر بواح ، فلن يكون هناك داعيا للخجل . حينها ستكون بطشة ربك الكبرى ، على الأبواب ، ويكون أهل مصر قد أعذروا الله في أنفسهم ، بما كسبت

أيديهم ، وبما سكتوا عن الحق ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، لنعود إلى قوله تعالى (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** (59 القصص) ، ورحمة من ربك ، بعث رسله الكرام ، مبشرين بعظم ثواب الدنيا والآخرة ، ومنذرين من بأسه الشديد في الدنيا والآخرة ، ورحمة بأهل مصر ، ها قد أنذرهم بالدخان ، حتى يوقظهم من غفلتهم لعلهم يرجعون ، مصداقا لقوله (**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ ، مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ، وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** (131 الأنعام) ، وقوله (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ، وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** (117 هود) .

(قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)

قال تعالى (**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ، وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (61) **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** (62) **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ، ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ** (63) **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ ، أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلِ اسْتَهْزِئُوا ، إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ** (64) **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ، لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** (65) **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ، نُعَذِّبْ طَائِفَةً ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** (66) **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (67) **وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ ، نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** (68) **كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ، أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (69) **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (70) **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (71) **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (72) **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** (73) **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (74) **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ ، لَئِنْ ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ ، لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** (75) **فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ**

مُعْرِضُونَ (76) **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ، بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** (77) **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** (78 التوبة) **.**

قال تعالى

(**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** (57 الأحزاب)

وقال

(**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا ، لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ** (12 الأحقاف)

يوم نبطش البطشة الكبرى

وهكذا نكون قد عايشنا أجواء المشهد الثالث ، قبل الأخير ، من فصول سورة الدخان ، وبقي المشهد الرابع والأخير ، المشهد الأكثر رعبا ، إنها البطشة الكبرى ، التي سينتقم فيها رب العزة ممن آذوا رسوله ، وهو وعد خاص لمحمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يخلف الله وعده ، قال تعالى (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** (51)، وقال (**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** (47 إبراهيم) .

أما المؤمنون من أهل مصر ، فربهم أعلم بهم ، وهو كفيل بأن يقيهم العذاب ، حيث وعدهم بالنصر كما وعد رسله ، (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا ، إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** (47 الروم) ، ووعدهم بالنجاة كما وعد رسله ، قال تعالى (**فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ ، إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، قُلْ فَانْتَظِرُوا ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ** (102)، **ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ، كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ** (103 يونس) .

وبعد جدال طويل ، لمؤمن آل فرعون ، مع أئمة الكفر من قومه ، في حوار يمتد من الآية 28 في سورة غافر وحتى الآية 44 ، يقول لقومه : (**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** (44)، **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ، وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** (45)، **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** (46)، وكذلك سيفعل الذين من بعدهم ، عندما يسمعون بأمر هذا الكتاب ، فسيُمارون ويُكثرون من الجدل الجدال ، ليُثبتوا أن هذه السورة ، لم تكن بأي حال من الأحوال بشأن مصر ، وما يجري في مصر ، وما ذلك بمنجيهم من العذاب ، فالأولى بهم أن يُصلحوا ما فسد من أمرهم ، ويعودوا إلى ربهم .

ماهية هذه البطشة :

المكان هو القاهرة ، بشكل خاص حيث ظهر الدخان ، ومن المرجح ألا يمتد إلى غيرها من المدن المصرية الكبرى ، وربما يمتد ، والله أعلم .

النتيجة هي دمار القاهرة وخرابها ، وهلاك أهلها ، دمارا وهلاكا عاما ، غاية في البشاعة ، وهذا مستفاد من قوله تعالى (بطشتنا) عند حديثه عن عذاب قوم لوط ، التي أوضحنا صفتها ، في فصل سابق ، فتلك بطشة ، وهذه بطشة كبرى .

ومن المرجح ، والله أعلم ، ألا تكون هذه البطشة ، بفعل إلهيّ خاص وظاهر ، كعذابات الأقوام السابقة ، مع بقاء الاحتمالية قائمة ، كالخسف والزلازل . ومن المحتمل أن تكون ضربة أو ضربات نووية ، تترافق وتتزامن مع أحداث الحرب القادمة ، في ظرف ثلاثة سنوات على الأكثر ، والله أعلم .

ومما يدعم احتمال ضرب القاهرة نوويا ، هو ما جاء في أسفار التوراة ، من أخبار بخراب مصر وحريقها بالنار ، وهلاك أهلها ، وجفاف النيل وروافده ، فربما تصدق إن كانت هي المقصودة فعلا ، في النصوص التالية :

ـ نص من سفر إشعياء ، وهو السفر الأقل تشويها وتحريفا ، وهو السفر الذي مازال يحتفظ بنصوص البشرى ، بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وإليك نصه :

" إشعياء : 19ـ 1-16: نبوءة بشأن مصر ، ها هو الرب قادم إلى يركب سحابة سريعة ، فترتجف أوثان مصر في حضرته ، وتذوب قلوب المصريين في داخلهم ، وأثير مصريين على مصريين فيتحاربون ، ويقوم الواحد على أخيه ، والمدينة على المدينة ، والمملكة على المملكة ، فتذوب أرواح المصريين في داخلهم ، وأبطل مشورتهم ، فيسألون الأوثان والسحرة وأصحاب التوابع والعرّافين ، وأسلّط على المصريين مولىً قاس ، فيسود ملك عنيف عليهم ، هذا ما يقوله الرب القدير .

وتنضب مياه النيل ، وتجف الأحواض وتيبس ، تُنتن القنوات ، وتتناقص تفرّعات النيل وتجف ، ويتلف القصب والأسل ، وتذبل النباتات على ضفاف نهر النيل ، والحقول والمزروعات كلها تجف ، وكأنها لم تكن مخضرّة . فيئن الصيادون وطارحو الشصوص في النيل وينوحون ، ويتحسّر الذين يلقون شباكهم في المياه ، ويتولّى اليأس قلوب الذين يصنعون الكتان الممشّط ، ويفقد حائكو الكتان الفاخر كل أمل ، ويُسحق الرجال ، أعمدة الأرض ، ويكتئب كل عامل أجير .

رؤساء صوعن حمقى ، ومشورات أحكم حكماء فرعون غبية , كيف تقولون لفرعون ، نحن من نسل حكماء ، وأبناء ملوك قدامى ؟! أين حكماؤك يا فرعون ، ليطلعوك على ما قضى به الرب القدير على مصر ؟! قد حَمق رؤساء صوعن ، وانخدع أمراء نوف ، وأضلّ مصر شرفاء قبائلها . جعل الرب فيها روح فوضى ، فأضلّوا مصر في كل تصرّفاتها ، حتى ترنّحت كترنّح السكران في قيئه ، فلم يبق لعُظمائها أو أدنيائها ما يفعلونه فيها . في ذلك اليوم ، يرتعد المصريون كالنساء ، خوفا من يد الرب القدير التي يهزّها فوقهم " .

ـ ومقتطفات من نص آخر لارميا ، يُنبّئ بخراب مصر :

" ارميا : 46:ـ 13- : النبوءة التي أوحى بها الرب إلى ارميا النبي ، عن زحف نبوخذ نصر لمهاجمة مصر : أذيعوا في مصر ، وأعلنوا في مجدل ، خبّروا في ممفيس ، وفي تحفنحيس ، قولوا : قف متأهبا لأن السيف يلتهم مِن حولك . ... فتقول بقية اليهود آنذاك : " قوموا لنرجع إلى قومنا ، وإلى أرض موطننا ، هربا من السيف الطاغي " . ويهتفون هناك : " إن فرعون ملك مصر ، ليس سوى طبل أجوف ، أضاع فرصته " . ... تأهبوا للجلاء يأهل مصر ، لأن ممفيس ستصبح أطلالا ، وخربا مهجورا . مصر عجلة فاتنة هاجمها الهلاك من الشمال ، حتى مرتزقتها في وسطها كعجول مسمّنة ، قد نكصوا على أعقابهم هاربين معا ، ولم يصمدوا لأن يوم بلائهم ، قد حل بهم في وقت عقابهم ... " .

ـ ومقتطفات من نص آخر لحزقيال ، يُنبّئ بخراب مصر :

" حزقيال : 30:ـ 1-13: وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن آدم ، تنبّأ ، وقل : ... ، إنّ يوم الربّ بات وشيكا ، ... ، إنّه يوم مُكفهرّ بالغيوم ، ساعة دينونة (نهاية) للأمم ، إذ يُجرّد سيف على مصر ، فيعُمّ الذعر الشديد إثيوبيا ، عندما يتهاوى قتلى مصر ، ويستولي على ثروتها ، وتُنقض أسسها . ثم تسقط معهم بالسيف ، إثيوبيا وفوط ولود ، وشبه الجزيرة العربية وليبيا ، وشعوب الأرض المُتحالفة معهم ... فيتهاوى سُكّانها من مجدل إلى أسوان ... فتُصبح أكثر الأراضي المُقفرة وحشة ، وتُضحي مُدنها أكثر المُدن خرابا ... في يوم هلاك مصر ، الذي لا بد أن يتحقّق .

لأني سأفني جماهير مصر بيد نبوخذ نصّر ملك بابل ،إذ يُقبل بجيشه ، أعتى جيوش الأمم لخراب ديار مصر ، فيُجرّدون عليها سيوفهم ، ويملئون أرضها بالقتلى ، وأجفّف مجاري نهر النيل ، وأبيع الأرض لقوم أشرار ، وأخرّب البلاد فيها بيد الغرباء ، أنا الربّ قد قضيت . ثمّ أحطّم الأصنام ، وأزيل الأوثان من ممفيس ، ولا يبقى بعد ، رئيس في ديار مصر ، وألقي فيها الرعب " .

(وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ)

قال تعالى في سورة القمر (**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ** (33) **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** (34) **نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ** (35) **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ** (36) **وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** (37) **وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ** (38) **فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** (39) **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** (40 القمر) .

فتماروا بالنُذر : جماع معنى كلمة مراء ، هو الإكثار في الجدال بلا طائل ، بغية إلباس الحق بالباطل ، والصورة التي تشكّلت لدينا ، مما جاء من معاني في لسان العرب ، هو أن قوم لوط ، عندما أنذرهم وحذّرهم عليه السلام من العذاب ، استهزءوا به وبتحذيره ، بل وطفقوا في مجالسهم ، يتبارون فيما بينهم أيهم أقوى حجة ، بكل ما أتوا من ملكات وبيان ، لاستخراج واستنباط البراهين ، لتفنيد ما يدّعيه لوط ، من قدرة ربه على إهلاكهم ، دون أن يألوا جهدا في التشكيك بذلك ، مظهرين أكبر قدر من الصلابة والثبات ، في مواقفهم المخالف للوط ، وأكبر قدر من الخصومة ، كل من بما يدعيه من الحق ، فيما يقول . وهذا ما يقوم به عادة ، المدافعين عن الباطل ، لإضلال الناس ، وهذه الصورة كثيرا ، ما نراها هذه الأيام ، في حوارات أهل الباطل ومناقشاتهم ، حتى من بعض رجال الدين ، عندما يجتمعون فيما بينهم ، على منابر الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة . قال تعالى(**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** (56 الكهف)

والسؤال الآن : هل سيتمارى أهل مصر بهذا الكتاب ، فيما لو وقع تحت أيديهم ، كما تمارى الذين من قبلهم ؟ نقول : نعم بلا أدنى ! ألم يقل سبحانه (أنّى لهم الذكرى) ، وقد كذّبوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، فالأحرى بهم أن يُكذبوا من هو دونه من البشر ، أيا كانت درجتهم أو صفتهم ، وألم يقل سبحانه (يوم نبطش ...) وعقب على هذا اليوم ، بقوله ، (فارتقب إنهم مرتقبون) ، فالمسألة باتت مسألة وقت ، لا أكثر ... فلنرتقب ... ونرى ... !

ولكن هل يفيد هذا الإنذار ، السابق للعذاب ؟ نقول : نعم ، لو لم يكن فيه فائدة ، لما أنزله الله في كتابه :

أولا : إذ لو عاد أهل مصر عامة ، عمّا هم عليه ، لرُفع عنهم العذاب ، كما رُفع عن قوم يونس عليه الصلاة والسلام ، وأما التأكيد على أنهم سينزل بهم ، كان لسبق علم الله ، بما سيكون من إصرارهم على ما هم عليه ، بعد كشف الدخان .

ثانيا : وربما سيكون هناك عودة ، لبعض أهل مصر على المستوى الفردي ، فيما لو انتبه أحدهم ، لهذا الأمر ، من خلال قراءته لسورة الدخان ، أو تم تنبيهه لهذا النذير الإلهي . وكون الناس منشغلون بدنياهم عن قراءة القرآن ، فذلك حجة إضافية عليهم ، يوم القيامة فيما لو تذرّعوا بأن لم يأتهم نذير ، في أنهم كانوا حقا معرضين عن كتابه

، كما أخبر سبحانه بحالهم ، من سابق علمه ، في كتابه العزيز ، ليكون النذير في متناول أيديهم وهم لا يشعرون . وربما يكون أحدهم قد انتبه . ولما لم يُكلّف نفسه بالبحث ، إذ لا يرى نفسه ملزما ، بفهم كتاب الله ، فتساءل ... ؟! فضلّله عامّي أو عالم أو فقيه ، بغير علم ... !

ثالثا : ليكون في كل هذا عبرة ، لمن يعتبر من المصريين ، وغيرهم من الأمم . قال تعالى (**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ** (56 الزخرف)

مسألة إهلاك العامة والخاصة :

قد يستنكر البعض إهلاك الله للعامة ، كونهم مسلمين ... ! نقول أن ربهم أعلم بهم ، وهو الأقدر على كيفية التعامل معهم ، وحكمه في خلقه عدل ، وقضاؤه فيهم حقّ .

ـ ومما قاله رب العزة في سنن إهلاك القرى ، موضحا أسباب استحقاق أهلها للعقاب بفعل ساداتها :

قال تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ، أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ، وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (123 الأنعام) ، وقال (**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** (16 الإسراء)

- وأما أسباب استحقاق العامة للعقاب ، كما يُبيّنوها هم بأنفسهم :

قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا** (64)ـ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** (65)ـ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** (66)ـ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** (67)ـ **رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا** (68)ـ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا** (69)ـ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** (70 الأحزاب)

وقال تعالى (**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ** (94)ـ **وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** (95) **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ** (96)ـ **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (97)ـ **إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (98)ـ **وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ** (99)ـ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ** (100) **وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** (101 الشعراء) .

وقال تعالى (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى ، إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ ، يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ، لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ، لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** (31 سبأ)

وذلك بسبب طاعتهم وتأليههم لسادتهم وكبرائهم من المجرمين ، ورضاهم واتباعهم لمنهج كبرائهم ، سواء كان ذلك كرها أم طوعا ، وممارستهم للفساد والإفساد كل حسب طاقته . وفساد الحكام عادة ما يكون مسبوقا ، بفساد الشعوب وانحرافها ، وليس العكس كما يتصور الكثير من المنظّرين ، الطامعين في السلطة ، صابين جام غضبهم على الحكام ، والأجدى بهؤلاء والأجدر . بأن يشعروا بالرثاء لحال الملوك ، والإشفاق عليهم من حسابهم العسير ، بين يدي ملك الملوك ، إن كانوا من الظالمين ، وليصلحوا أنفسهم أولا ، ورب العزة كفيل ، بأن يولّي عليهم من هو خير منهم ، ولا

أذكر بالضبط من القائل : " لو يعلم الملوك ، ما نشعر به من حلاوة الإيمان ، لقاتلونا عليها بالسيوف " . وهل يضمن هؤلاء ألا يُفتنوا ببريق المال والسلطة ، كما افتُتن الملوك والحكام ، على مرّ العصور ، فيما لو تحصّلوا عليهما . قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** (11 الرعد) .

وتدبّر دعاء نوح عليه السلام على قومه ، حيث شملت دعوته من هم في ظهور آبائهم : (**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** (27 نوح)

وتفكّر وتدبّر في قصة أصحاب السبت ، فيما يلي من آيات :

(**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** (163)_ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** (164)_ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** (165) **فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** (166 الأعراف) .

إذن ، هناك نجاة لمن ينهون عن السوء أولا ، ومن ثم هناك عذاب للذين ظلموا ثانيا ، بما كانوا يفسقون ، والفسق اصطلاحا هو الخروج من الدين ، ولاحظ هنا أن النجاة ، كُتبت لمن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فهل نجرؤ أو نقوى هذه الأيام على فعل ذلك ، وإيمان الواحد منا على حرف ، وخوفنا على فقدان متاع الحياة الدنيا ، أشد من خوفنا من أمر الله ... ؟!

قال تعالى (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، <u>فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ، انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ</u> ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** (11 الحج)

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، قال : كَانَ النَّاسُ ، يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : **نَعَمْ** ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : **نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : **قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ** ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : **نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا** ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ؟! فَقَالَ : **هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** ، قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ** ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : **فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ** " . رواه البخاري ومسلم ، وأخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن وأحمد .

وعَنْ سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ** ، قَالُوا : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : **مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ** " . رواه البخاري ومسلم ، وأخرجه وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

وقال تعالى (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ، <u>الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً</u> ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (25 الأنفال)

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا ، عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)

قال تعالى : (**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا ، عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ ، تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** (42) **مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** (43) **وَأَنْذِرِ النَّاسَ ، يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ، فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نُجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ، أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ، مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ** (44) **وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ** (45) **وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** (46) **فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ ، مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** (47 إبراهيم) ...

... **هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ، وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** (52 إبراهيم)

من هم الظالمون ومن هي القرى الظالمة ؟!

جاء في إهلاك القرى الظالمة :

(**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ** (48 الحج)

(**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** (102 هود)

(**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** (52 النمل)

(**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ** (11 الأنبياء)

(**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (129) ... **ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** (131 الأنعام) .

(**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ، بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ، هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ** (47 المائدة)

مفهوم الظلم بالمنظور الإلهي ، على المستوى الفردي والجماعي :

1. إدعاء البشر للألوهية : (**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ، إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** (29 الأنبياء)
2. الشرك بالله : (**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** (13 لقمان)
3. الشرك في الدعاء والولاء : (**وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ** (106 يونس)
4. الكذب على الله أو التكذيب بآياته : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** (21 الأنعام)

5. الإعـــراض عن آيــات الله : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَـــاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** (22 السجدة)

6. الكفر بعد الإيمـان : (**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (86 آل عمران)

7. إنكار البعث وقـدرة الله على الخلق : (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** (99 الإسراء)

8. التكذيب المسبق بدون علم ، وممن أخذتهم العزة بالإثم : (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** (39 يونس)

9. الخـــوض في آيــات الله : (**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (68 الأنعام)

10. تكـذيب الرسل : (**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** (113 النحل)

11. اتهـام الرسل بـالمس ، إنكـارا للـوحي : (**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** (47 الإسراء)

12. اللهو والتجـــني على الرسل في السر والعلن : (**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ، وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** (3 الأنبياء)

13. اتهـام الرسـول بالكـذب والتعلّم من البشر : (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا** (4 الفرقان)

14. الإعراض عن هدي الرسل واتبـاع سـبلهم : (**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** (27 الفرقان)

15. منع ذكر الله في المســاجد والســعي في خرابها : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا** (114 البقرة)

16. كتم ما أُوتي الناس من علم من عند ربهم : (**قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ** (140 البقرة)

17. شهادة الزور : (**... فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** (107 المائدة)

18. اتباع الهوى :(**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** (29 الروم)

19. إتباع أهواء أهل الكتاب :(**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** (145البقرة)

20. السعي في الفتنة : (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** (193 البقرة)

21. معصية أمر الله : (**وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ** (35 البقرة)

22. الاعتداء على حدود الله : (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** (229 البقرة)

23. القتل وسفك الدماء : (**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** (29 المائدة)

24. الحكم بغير ما أنزل الله : (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** (45 المائدة)

25. الاستنكاف عن القتال في سبيل الله : (**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** (246 البقرة)

26. خيانة العهد ونكران المعروف : (**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** (23 يوسف)

27. موالاة الذين يقاتلون المسلمين ، ويُخرجونهم من ديارهم، وموالاة الذين يُؤيدونهم ويُساندونهم في فعلهم : (**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** (9 الممتحنة)

28. موالاة اليهود والنصارى : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (51 المائدة)

29. موالاة الكافرين ولو كانوا أولي قربى : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** (23 التوبة)

30. إخراج الناس من ديارهم وتشريدهم : (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ** (13إبراهيم)

31. إضلال الناس : (**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا** (24 نوح)

32. الشعور بالفوقية ، والتكبر والاستعلاء على الناس : (**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** (35 الكهف)

33. ازدراء فقراء المؤمنين والإعراض عنهم : (**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** (52 الأنعام)

34. الاستهزاء بالآخرين والتقليل من شأنهم : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ**

عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11 الحجرات)

35. الاستعاضة عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، والجهاد في سبيله ، بخدمة الحجاج : (**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (19 التوبة)

36. حمل القرآن والعمل بنقيض ما جاء به : (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (5 الجمعة)

هذا الكتاب يؤكد على أن زمن النهاية قد اقترب ، وأن الحلقة الأولى من مسلسل أحداثها ، ستبدأ على أبعد الاحتمالات ، خلال فترة زمنية ، لا تزيد عن أشهر معدودة . وأن أحداث النهاية ، سيهلك فيها الكثير من الناس ، وتنهار فيها الكثير من الأمم ، وقد يستنكر الكثيرون هذا الأمر .

قال تعالى (**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ** (17 الإسراء) ولو رجعنا إلى الوراء قليلا ، واستذكرنا تلك الأقوام التي أهلكت لمّا (**عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ** (8 الطلاق) ، لوجدنا أن أشكال الظلم التي مارستها تلك الأقوام ، لا تُقارن مع ما تمارسه الأقوام المعاصرة . أفلا تستحق الأقوام المعاصرة الهلاك ؟ وإن كانت كذلك أليس هلاكها بقريب ؟!

ولو استذكرنا تاريخ الأمة الإسلامية ، سنجد أنها مُنيت بكثير من النكبات والمصائب ، كلما كانت تبتعد عن الآخرة وتلتصق بالحياة الدنيا . والحالة التي نعيشها الآن ، هي الأسوأ على مر التاريخ ، فنحن منغمسون في الحياة الدنيا ، من الرأس حتى أخمص القدم ، وأما الإسلام ، فهو مجرد شعار تسويقي ، نلبَسه كلما اقتضت الحاجة لذلك . أفلا نستحق الهلاك ، أو الاستبدال ، أو التأديب على الأقل :

ولو (**بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** (155 البقرة) ؟!

أو (**أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، أوَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** (65 الأنعام) ؟

وعلى ما يبدو أن إهلاك القرى ، سيبدأ بثلاثية الإفساد والظلم في الأرض ، على مستوى الديانات الثلاث ، اليهودية والنصرانية والإسلام ، متمثلة في إسرائيل وأمريكا ومصر ، ومن ثم بقية القرى المفسدة والظالمة تباعا ، على قاعدة الجزاء من جنس العمل ، بإذن الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

قال تعالى (**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** (10 الأحزاب) ، كان هذا حال صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أكثر الناس إيمانا وعزيمة وصبرا وثباتا على دينهم ، لقد بلغ منهم الخوف مبلغا عظيما ، حتى ساورتهم الشكوك والظنون ،

في غــزوة الأحــزاب ، عنــدما تــألبّ عليهم من بأقطارها ، من ملل الكفر والشــرك ، جمعتها الصهيونية اليهودية الحاقدة قديما ، لوأد دولة الإسلام الحديثة ، خوفا من ضـياع السيطرة اليهودية ، على مجريات الأمور في الجزيرة العربية ، بإثارة الفتن والحــروب بين القبائل ، حيث كان اليهـود المرجعية الاستشـارية ، لمشـركي قـريش وغـيرهم من القبائل ، فيما يتعلّق بأساطير الأولين .

وفي العالم العربي والإسلامي شرقا وغربا ، يشعر الناس بالإحباط واليأس والخــوف ، من الوضع المُتأزم الذي يعيشونه في السنوات الأخيرة إجمـالا ، وفي هـذه الأيـام على وجه الخصوص ، وهم يشـاهدون ما يجـري على أرض الإسـراء والمعـراج وغيرها ، من هجمة شرسة شنها أوغاد الصهانية في الشرق ، مـدعومين بأوغـاد الصـهانية من يهـود ومسيحيين في الغرب ، حتى بدأ اليأس والقنـوط من رحمة الله ، يتسـرّب إلى قلـوب الكثير منهم ، لدرجة أن منهم من ظنّ بالله ظنّ السوء ، بل ومنهم من كفر بالله ربّا ، وبالإســـلام دينا في لحظة من اللحظـــات ، ومنهم من دعا على أهله وولـــده ، وعلى الشعوب العربية وحكّامها بالهلكة والخراب .

لمثل أولئك في هذا الزمان ، يقـول سـبحانه وتعـالى ، قبل ما يزيد على 1400 سـنة ، في كتابه المجيد ، في نهاية سورة النحل ، قبل أن يبـدأ في الأخبـار ، عن وعد الآخـرة في السورة التي تليها :

(**وَإِنْ عَـاقَبْتُمْ فَعَـاقِبُوا بِمِثْـلِ مَا عُـوقِبْتُمْ بِـهِ وَلَئِنْ صَـبَرْتُمْ لَهُـوَ خَيْـرٌ لِلصَّابِرِينَ** (126) **وَاصْـبِرْ وَمَا صَـبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْـزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَـكُ فِي ضَـيْقٍ مِمَّا يَمْكُـرُونَ** (127) **إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَـوْا ، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** (128)

وفي معرض تعقيبه على وعد الآخرة ، الذي نعيشه الآن بكل حيثيّاته ، يقول :

(**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** (11 الإسراء)

ويقول أيضا في نفس السورة : (**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا** (83)

ويقـول في سـورة فُصّـلت : (**لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَـانُ مِنْ دُعَـاءِ الْخَيْـرِ ، وَإِنْ مَسَّـهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ** (49)

وعَنْ صُهَيْبٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : " **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُـؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْـرَهُ كُلَّهُ خَيْـرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَـدٍ إِلَّا لِلْمُـؤْمِنِ ، إِنْ أَصَـابَتْهُ سَـرَّاءُ شَـكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** " . رواه مسلم .

كثير من الناس ، ببعدهم عن القرآن والسنة ، لا يفهمون الكثير من الغايـات والمقاصد الإلهية ، من تصريف أمور الناس بالشـكل المنظـور والمحسـوس ، وخاصة فيما يتعلّق بالابتلاء ، سواء بالخير أو الشرّ ، (**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** (35 الأنبياء) مع أن الله سـبحانه وتعـالى ، وضّـح وبيّن في كتابه العزيز للمؤمـنين ، أن عاقبة الأمـــــور ، هي ما يجب أن نُركّز عليه أنظارنا وعقولنا وقلوبنا . وأن نعلّق آمالنا دائما وأبـدا على العاقبة ، أي المنتهى الـذي سـتؤول إليه الأمـور فيما بعد ، سـواءً في الدنيا أو الآخرة ، مهما طـال الـزمن أو قصر ، وألا نعلّق آمالنا على الواقع الـذي نعيش فيه ، فبعد غزوة الأحزاب ، التي زاغت فيها أبصار المؤمنين ، وبلغت قلوبهم الحنـاجر ، وظنـوا بالله الظنـون ، فُتحت مكة ، وكـانت تلك الفئة المؤمنة الصـابرة والثابتة ، هي

نفسها التي قادت جيوشا ، زلزلت عروش أكبر دول الكفر والطغيان ، في ذلك الزمان .

كـــان يوسف عليه الســـلام قد أُبعد عن أبويه طفلا ، ورُمي في البـــئر ، وأُخذ من قبل أناس غرباء إلى أرض غريبة ، وبيع عبدا بدارهم قليلة ، وعـاش غريبا حـتى بلغ أشـدّه ، واتُهم بمـــراودة زوجة سـيده ، وألقي في الســجن ســنينا طويلة ، ولكن بعد كل تلك المعاناة ، وفي نهاية المطاف ، كـان الأمر مختلفا كليا (**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُـفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَـوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَـاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَـاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِنِينَ** (56 يوسف) وأما في الآخـرة (**وَلَأَجْرُ الْآخِـرَةِ خَيْـرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُـوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (57 يوسف)

ويؤكد سـبحانه بـأن بداية التمكين ليوسف ، كـانت منذ دخوله لـبيت العزيز ، مع كونه دخله عبدا (**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِـهِ أَكْـرِمِي مَثْـوَاهُ عَسَـى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُـفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَـهُ مِنْ تَأْوِيـلِ الْأَحَـادِيثِ ...**) ، ولكنّ النـاظر إلى يوسف عبــدا ســجينا ، قابعا في زوايا النســيان والإهمــال ، ولو كــان أكــثر النــاس تفــاؤلا ، لم يكن يخطر بباله ، أن حــال هــذا العبد السجين ، المتهم بالخيانة ، سينقلب رأسا على عقب ، ليُصــبح وزير مالية مصر ، أكـبر دول العـــالم القـــديم ؟! ولكن حكمة الله اقتضت ، عكس ما قد يتصــــوّره ، أغلب الواقعيون من أناس ذلك العصر ، وعلى رأسـهم العزيز وامرأته . لـذلك أكد سـبحانه ، على أن الناس – خاصة غير المؤمنين بالله وصفاته ، جلّت قدرته – يُعانون في الغـالب ، من قصر النظر والفكر ، بأنه قادر على تنفيذ مشـيئته ، في أقسى الظـروف وأحلكها واستحالتها ، مخالفا كل معطيات الواقع ، الذي يتذرّع به الناس هذه الأيام ، لذلك قـال في تكملة الآية (... **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْـرِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُـونَ** (21) ، وفي سورة الروم ، يُوضّح سبحانه ، حقيقة ما يعلمه النـاس ويؤمنـون به ، في قوله (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (7) ، وظاهر الحياة الدنيا ، هو الواقع المشاهد .

أما بالنســبة لواقع الأمة الإســلامية الحــالي ، وما يواجهه الشــعب الفلســطيني ، من معاناة ، من قبل المفسدون الصهاينة في الغـرب والشـرق ، فـإن الله وعد المؤمـنين بالنصر من عنده ، ووعد عدوهم قبل ثلاثة آلاف سنة ، بالعذاب إن أفســدوا في الأرض ، وقد أفسدوا فيها ما يزيد على خمسين سنة ، وبلغ إفسادهم هذه الأيام عنان السـماء ، فهذان وعدان ، صـدرا ممن لا يخلف الميعـاد ، ولكن الأمر يحتـاج إلى الإيمـان بالله ، والصبر والثبات على الدين ، وعلى مواجهة عدوهم ، وحسن ظنهم بالله .

يقول سبحانه في شأن المفسدين في الأرض مخاطبا رسـوله وأمته (**وَيَسْـتَعْجِلُونَكَ بِالْعَـذَابِ ، وَلَنْ يُخْلِـفَ اللَّهُ وَعْـدَهُ ، وَإِنَّ يَوْمًا عِنْـدَ رَبِّكَ ، كَـأَلْفِ سَـنَةٍ مِمَّا تَعُـدُّونَ** (47 الحج) وقـال (**فَاصْـبِرْ كَمَا صَـبَرَ أُولُو الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَـاعَةً مِنْ نَهَـارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** (35 الأحقاف) .

هذه الأيام ، يأس الناس من الشـرّ ، فهم يسـتعجلون زواله ، ورغبـوا في الخـير ، وهم يستعجلون إطلاله ، فقد استقوى الباطل وزادت سطوته ، وغاب الحقّ وطـالت غيبته . (**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** (11 غافر) ؟ !

الفرق بين المواقيت بين التقدير السماوي والتقدير الأرضي :

عادة ما يشعر الإنسان ، في حالات الفرح ، بأن الزمن ينقضي كلمح البرق ، فالأسبوع يمرّ وكأنه يوم ، واليوم وكأنه ساعة ، والساعة وكأنها دقيقة ، أما في حالات الفراغ أو الحزن ، فيشعر بأن الزمن يسير ببطئ شديد ، ويكاد أن يتوقف ، فالدقيقة تمرّ وكأنها ساعة ، والساعة وكأنها يوم ، واليوم كأنه شهر ، فالإحساس بالزمن أمر نسبي ، يعتمد على الحالة النفسية التي تعتري الإنسان بين حين وآخر .

وحتى لا يتخبّط الإنسان ، في تقديراته للزمن تبعا لحالته النفسية ، اتُخذت الأيام والشهور والسنون ، وهي مقاييس ثابتة ومنتظمة ، لاعتمادها على الحركة المنتظمة ، والثابتة للأجرام السماوية ، التي أبدعها رب هذا الكون . وبقيت مسألة كيفية تقدير الزمن ، بالنسبة لليوم الواحد ، فاصطلح على تقسيم اليوم ، إلى 24 ساعة ، والساعة إلى 60 دقيقة ، والدقيقة 60 ثانية .

ويرى كثير من المسلمين ، أن فترة الظلم والإفساد على الأرض ، طالت جدا ، وربما ستطول أكثر عند البعض . ونقول هي في الميقات السماوي قصيرة جدا ، ولتوضيح الفكرة وتقريبها إلى الأذهان ليس إلا ، سنقوم بعملية حسابية بسيطة .

اليوم في الميقات السماوي = 1000 سنة ، واليوم في الميقات الأرضي = 24 ساعة

فإذا قمنا بقسمة 1000 سنة ، على 24 ساعة ، سنكون قادرين ، على التوصل لمعرفة نسبية لمقدار الساعة الواحدة ، في الميقات السماوي : 1000 ÷ 24 = 41,6 سنة

إذن الساعة الواحدة في الميقات السماوي تقابل 41,6 سنة أرضية

أي أن الساعة في الميقات السماوي ، تُقابل 42 سنة تقريبا ، بالمقارنة مع الميقات الأرضي

ولحساب عمر الدولة اليهودية ، على سبيل المثال ، بالميقات السماوي ، وبما أن العمر المتوقع لها ، لن يتجاوز 56 سنة ، نجد أن

(1) ساعة سماوية : 41,6 سنة أرضية

(س) ساعة سماوية : 56 سنة أرضية

ومن خلال الضرب التبادلي :

نجد أن (س) = (41,6 × 1) ÷ 41,6 = 1,344 ساعة سماوية

أي أن عمرها ، هو ساعة واحدة و 0,344 من الساعة . وبما أن الساعة لدينا ، تتكون من (60) دقيقة .

فإن 0,344 من الساعة = 0,344 × 60 = 20 دقيقة .

ليتبين لنا ، أن إحساس أهل السماء ، بانقضاء 56 سنة أرضية ، يُماثل إحساسنا بانقضاء ، ساعة واحدة وعشرين دقيقة فقط على الأرض ، وهو زمن قصير جدا بالنسبة لأهل السماء ، وطويل جدا بالنسبة لأهل الأرض .

لذلك يشعر الناس على الأرض ، بطول الزمن وامتداده ، فتجدهم يستعجلون الوعود الإلهية ، بإهلاك القرى الظالمة وبنصر المؤمنين ، ويعجبون من تأخّرها ، وأما أهل

السـماء ، فهم على العكس تماما ، يـرون أن العـذاب أو النصر ، يتـنزل على النـاس بسرعة كبيرة جدا ، وأن الأحداث تجري كلمح البصر ، وهـذا ما يؤكـده الإخبـار الإلهي ، عن السـاعة في القـرآن ، حـتى ظنّ صـحابة رسـول الله ، من كـثرة ما أكّد سـبحانه وتعالى على قربها ، أن ستقع في زمانهم ، لذلك كـان النـاس آنـذاك يكـثرون السـؤال عنها ، إشـفاقا من أمرها ، وها قد مـرّ أكـثر من 1400 سـنة ، ولم تقم بعد ، وهــذه الحقيقة هي ما يُقـرّره سـبحانه وتعـالى ، في مطلع سـورة المعـارج ، حيث قـال : (**سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** (1) **لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ** (2) **مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ** (3) **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** (4) **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** (5) **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا** (6) **وَنَرَاهُ قَرِيبًا** (7 المعارج) ، وقال تعالى :

(فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)

الطوفان الأخير وطوق النجاة

الأرض حبلى بالفساد :

قال تعالى (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (41 الروم)

لم تحمل الأرض ، حملا فاسدا ومفسدا ، في تاريخها الطويل ، كهذا الحمل ، الذي حملته في المائة سنة الأخيرة . فقد حوت في رحمها ، جميع خطايا ومعاصي الأمم السابقة ، التي كانت فيما مضى ، تُهلك لمجرد خطيئة أو معصية واحدة تُصرّ عليها ، كعبادة الأصنام ، أو إتيان الفواحش ، أو تطفيف الكيل ، وذلك بالرغم من وجود ، تعاليم موسى وعيسى ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام ، حية مسطورة بين دفات الكتب . فالأرض حبلى بالفساد ، ولا بد لهذا الحمل ، الذي عظم شأنه وكبر حجمه ، من جراحة قيصرية مؤلمة جدا ، لإنقاذ رحم الأرض ، قبل أن تتسرّب لبقيته العفونة ، فلا يُسمح له بحمل آخر .

قال تعالى (**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ، كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (24 يونس)

هذه الآية تحمل في ثناياها سنة إلهية ، جاءت على شكل شرط وجواب للشرط ، والشرط ، (**أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**) ، هو أن تأخذ الأرض أبهى صورها ، وأن يُصبح أهلها منشغلون بمظاهرها ، مفتونون بجمالها ، يبذلون قصارى جهدهم في تحصيل متاعها ، غافلين عن شكر خالقها وبارئها ، ظانين أنهم قادرين ، وبلا منازع ، على تصريف شؤونها ، وشؤون من على ظهرها من المخلوقات ، منتقصين قدر وقدرة ، خالقهم وخالقها .

أما جواب الشرط ، فهو مجيء أمر الله ، (**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا**) ، وماهية أمر الله تتبين من النتيجة ، في تعقيبه سبحانه وتعالى ، (**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ، كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**) ، وهي خراب الأرض ، بزوال زينتها وزخرفها ، التي أشغلت الناس عن عبادة الله ، وهي تشمل كل ما تراه من حولك ، من مفاتن الحياة ، التي اغتر بها الناس ، إلا من رحم ربي وهم قليل ، وذلك يعني هلاك الكثير من الناس . وإن لم تستخدم الأسلحة النووية ، في جعل الأرض صحراء قاحلة ، أينما وقع من أهلها ، ما أخبرت عنه الآيات ، فما الذي سيجعلها كذلك ، مع حتمية زوال هذه الأسلحة ، كما كنا قد أوضحنا في فصول سابقة .

وهذه السنة الإلهية ، ستمضي في عصرنا ، وقريبا جدا ، كما مضت مرارا وتكرارا في الأقوام ، كلما ابتعد الناس عن الغاية الإلهية ، من جعل الإنسان خليفة في الأرض ، ويُعقّب سبحانه ، أنه فصّل الآيات ، وأن هذا الأمر المفصّل في الآية ، مطروح للتفكّر فيه ، بمعنى أنك متى عاينت ما أخبرت عنه الآيات ، متمثّلا على أرض الواقع ، فتوقع أمر الله في أي لحظة ، هذا إن كنت ممن يتفكّرون .

الأمة الإسلامية فسقت عن أمر ربها وموعودة بالعقاب أيضا :

قال تعالى (**قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ ، وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** (24 التوبة) .

وهنا شرط آخر خاص بأمة الإسلام ، فإن تحقّق منها ما تُخبر عنه الآيات ، وقد تحقّق هذه الأيام ، بل حالنا أسوأ من ذلك بكثير ، إذ لمن نكتفي بحب الحياة الدنيا ومفرداتها ، فقد بدأنا مؤخرا ، نمارس الفساد والظلم والعصيان ، والتعدي على حدود الله في وضح النهار ، وفي الأماكن العامة ، في الشارع ، في الجامعة ، في التلفاز ، في الصحف ، في الكتب ، ولكن الرحمن الرحيم ، لم يُنزل بنا غضبه حتى هذه اللحظة ، ولا شكّ أنه على وشك ... !

أمر الله سيحيق بنا قريبا ، وأقلّه شيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وأكثره الهلاك العاجل في الدنيا ، ونار جهنم في الآخرة ، هذا لمن فسق عن أمر ربه ، من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، أما من ضرب بمظاهر الحياة الدنيا عرض الحائط ، وتاجر بما عند ربه ، فآمن وصبر وعمل صالحا ، فأولئك لهم البشرى من ربهم ، في الدنيا والآخرة .

قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ** (7) **أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (8 يونس)

صراع بين مذهبين :

مرت البشرية بعدة محطات ، بدأت بهبوط آدم عليه السلام ، بمذهب إلهيّ يدعو إلى الصلاح والإصلاح ، وهبوط إبليس بمذهب شيطاني يدعو إلى الفساد والإفساد . ومنذ ذلك اليوم بدأ الصراع الحقيقي بين مذهبين ، بين مذهب إبليس ومذهب رب العزة ، وكل له جنده ، وتُركت للبشر حرية الاختيار ، في تجنيد أنفسهم لنصرة أحد المذهبين ، وكل من الفريقين سيتحمّل تبعة اختياره .

حين بدأت الحياة البشرية على الأرض ، كان مقام آدم عليه السلام ، في أرض الجزيرة العربية ، حيث كانت جنة الله في الأرض ، فقام ببناء أول بيت وضع لعبادة الله ، في مكة المكرمة . وتناسل فيها وكثر أولاده وأحفاده . ومع مرور الزمن ، بدأ المذهب الشيطاني ينتشر في نسله ، والمذهب الإلهي يضمحل شيئا فشيئا . وبعد وفاة آدم عليه السلام ، استفحل المذهب الشيطاني ، حتى عمّ أرجاء المعمورة ، التي لم تتجاوز حدود الجزيرة العربية آنذاك .

في هذه الأجواء ، بُعث سبحانه نوح عليه السلام ، لدعوة قومه ، فلم يستجب له ، إلا قلة من المستضعفين ، ولما واجهوه بإصرارهم على الكفر ، واستمرارهم بالإفساد في الأرض ، ولما انقطع رجاءه في هدايتهم . هنالك دعا ربه ليقطع دابر الكافرين ، فأُمر بصناعة الفلك . وبدأ بإقامته وسط اليابسة ، حيث أقرب بحر يبعد آلاف الأميال ، وإقامة الفلك في ذلك المكان هو الجنون بعينه ، فما كان من قومه إلا أن سخروا منه وممن معه ، وهم لا يعلمون ، وعن عاقبتهم غافلون . وفجأة ... انقلب كل شيء رأسا

على عقب ، كـان الطوفـان الـذي رافقه انقلاب كـوني هائل ، في جغرافية الأرض ، جعلت من الجزيرة العربية صحراء قاحلة .

ورست سفينته على جبل الجودي ، في الموصل شمالي العراق ، فنزل الذين انتصـروا للمذهب الإلهي ، واستوطنوا العـراق في بـادئ الأمر ، ومع مـرور الـزمن ، ومن هنـاك بدءوا بالانتشار ، شيئا فشيئا ، في شـتى بقـاع الأرض . وعـادت الأمـور بعد الطوفـان ، كما كانت في بداية عهد آدم عليه السلام ، وبدأ الناس في التناسل والتكاثر .

وبعد نوح عليه السلام ، ومع مرور الزمن ، بدأ المـذهب الشـيطاني دورته الثانية ، أخذ سبحانه يبعث الرسل تباعا ، إلى تلك الأقوام الـتي كـانت محصـورة ، في هـذه منطقة الهلال الخصيب والجزيـرة العربية ، حيث أن المنـاطق الأبعد ، لم تكن مأهولة آنـذاك ، وأخذت معظم أقوام الرسل السابقين بالعذاب ، ومن ثم بدأ النـاس منذ تلك اللحظة ، في الانتشـار إلى البلـدان الأبعد شـيئا فشـيئا - حـتى عمـروا الأرض كلها في عصـرنا الحالي – ومع ذلك بقيت الكثافة السكانية آنذاك ، متمركزة في هذه المنطقة ، ولـذلك اختصت بالرسـالات السـماوية دون غيرها . ومن ثم بُعث إبـراهيم عليه السـلام ، إلى قومه في بلـدة أور جنـوب العـراق ، فلم يؤمنـوا له ، فـتركهم وهـاجر إلى الأرض المقدّسة ، ليُسلم الراية إلى نسله من بعده .

وبعد مرور الزمن ، وبعد ضلال بني إسـرائيل ، أثنـاء تواجـدهم في مصر ، عن شـريعة آبائهم إبراهيم واسـحق ويعقـوب عليه السـلام ، بُعث فيهم موسى عليه السـلام ، فلم يؤمنوا له ولا لمن بعده إلا قليلا . وبعد سنين طويلة ، من انتصار بني إسرائيل للمذهب الشيطاني ، بُعث فيهم عيسى عليه السلام رسولا مجدّدا ، فلم يؤمنـوا له ، بل حـاولوا قتله ، فتوفاه الله ورفعه إلى السماء ، ليعود آخر الزمان ، وينهي آخر حلقات مسلسل الطوفان الأخير ، والذي ستبدأ حلقاته بالتتابع ، بعد شهور قليلة ، والناس لاهية قلـوبهم ، وهم عنه غافلون .

ويكمل المذهب الشيطاني مشواره ، ومع مرور الزمن ، وفجأة يتعطل هـذا المـذهب ، في هذه البقعة من العالم ، لفـترة دامت ما يقـارب (1350) عـام ، بِبعث نـبي الهـدى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بخاتمة الرسالات السماوية ، ومن ثم يتوفاه الله ، ليترك لنا هذا القرآن العظيم ، حبلا متينا ممـدودا ما بين السـماء والأرض ، لمن ابتغى الهداية ، ووجد في نفسه العــزم والقــوة . فــدُحر ذلك المــذهب اللعين وولى هاربا . وفي السنوات الأخيرة ، عادت أمة الإسـلام لتحـذوا حـذو سـابقيها من الأمم ، وتحتضن ذلك المذهب ، لينبُت في هذه البقعة من العالم ، وينموا ويزدهر مشمولا بالعناية والرعاية ، بحجّة التقدم والحضارة ، فعـاد ذلك المـذهب وشـمل كافة أرجـاء الـدنيا ، بما فيها مهد الرسالات السماوية ، بلاد الشام والعراق وجزيرة العرب ، فأصبح العـالم أجمع ، أسـوأ مما كان عليه قبل طوفان نوح عليه السلام .

وفي نهاية الطوفان ، يُبعث عيسى بن مـريم عليه السـلام ، ليعيد الأمـور إلى نصـابها ، وتسـتعيد الأرض بركتها ، ويمضي المهـدي ، ويمضي عيسى عليه السـلام ، بعد أن يبلغ سن الكهولة ، وتبقى القلة المؤمنة ، فيبدأ المذهب الشيطاني من جديد ، انتشار النـار في الهشـــــيم في نسل تلك القلة ، وتخطف ريح لينة أرواح البقية المؤمنة ، وتبقى الأغلبية الكافرة ، وتجري الأزمنة مسرعة إلى حيث الساعة .

مراحل الطوفان القادم

هـذا الطوفـان الـذي نتحـدث عنه ، هو ما سـيُعيد البشـرية إلى ما كـانت عليه ، بعد الطوفان الأول زمن نـوح عليه السـلام ، ليعيد التـاريخ نفسه مـرة أخـرى . وهو يختلف بعض الشـيء عن سـابقه ، حيث سـتكون بدايته من صـنع البشر ، وسـيأتي على عـدة مراحل : -

المرحلة الأولى : أكبر وأبشع مذبحة ، في تاريخ الشـعب اليهـودي ، على يد العراقـيين في فلسطين .

المرحلة الثانية : تحالف العرب مع الروس ، في حرب عالمية نووية ثالثة ، تنتهي فنــاء الحضارة الغربية ومظاهرها .

المرحلة الثالثة : احتمالية عـودة أجـواء داحس والغـبراء ، في المنطقة العربية ، فيما بعد الحرب العالمية الثالثة .

المرحلة الرابعة : خـروج المهـدي من مكة ، وحروبه لضم الجزيـرة العربية ، وإيـران وتركيا ، والملحمة الكبرى مع الروس .

المرحلة الخامسة : سقوط عبدة المادة وظاهر الحيـاة الـدنيا بين بـراثن الـدجّال ، في حرب الجوع والعطش .

المرحلة السادسة : نـزول عيسى عليه السـلام ، والـذبح النهـائي للـدجال وأتباعه من اليهود ، على مشارف القدس .

المرحلة السابعة : فناء من بقي من الشعوب الشـرقية ، في حـرب يـأجوج ومـأجوج ، وحصر الصفوة من عباد الله ، مع عيسى عليه السلام ، في جبال فلسطين .

المرحلة الثامنة : فنــاء يــأجوج ومــأجوج ، وتغيّر في جغرافية الأرض ، وعــودة مناخها الفردوسي (جنة آخر الزمان) ، كما كانت على عهد آدم عليه السلام .

المرحلة التاسعة : عصر الأمن والسلام ، تحت حكم عيسى عليه السلام ، مكملا سنين عمره ، حتى يبلغ سن الكهولة .

* ملاحظة : المراحل تحمل ترتيبا زمنيا ، وقد يكــون هنــاك انــدماج بين المراحل ، أو تقديم أو تأخير ، والله أعلم .

إذا بقي البصر حيث مـوطئ القـدم ... فلن تـرَ النجـوم في بطن السـماء ... ولا القمر في ليل تمامه ... ولا الشمس في عزّ الظهيرة ... فمنذ هذه اللحظة ...

ابدأ هدانا وهداك الله بصناعة الفُلك

وابذل قصارى جهدك في إتقان صنعته .. فلعلك تنجو من الغرق .. كلفته ليست باهظة جدا .. أو لا تُقدّر بثمن .. أو لا تُشترى بمـال .. وحـتى لو كـانت كـذلك .. فالنجـاة أغلى وأثمن ... هذا الفلك ... خشبه صفحات من ذهب .. محصـورة بين دفـتي كتـاب .. يقبع في إحدى زوايا المنزل .. ومساميره كلمات من نـور .. إذا عـرفت ما هو .. سـتجد فيه

رسالة أُنزلت من أجلك .. واجتهد كثير من الناس .. في حملها وبيانها ... على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان .. لإيصالها إليك .. فلا تُذهب جهدهم أدراج الرياح ..

قال تعالى (**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ، أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** (16 الحديد)

وقال (**قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (53 الزمر)

وقال (**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (38)ـ **... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (155 البقرة)

أخي القارئ ... ساهم معنا في نشر هذا الكتاب ... بتوزيع نسخة على قرص مرن ... أو مطبوعة على الورق ... أو عبر البريد الإلكتروني ...

قال تعالى

(وَمَنْ أَظْلَمُ ، مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(140 البقرة)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

[نهاية الكتاب]

كتاب

نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية

متوفر على شبكة الإنترنت ضمن موقع وعد الآخرة

موقع شخصي للمؤلف يتم من خلاله تقديم فكرة عن الكتاب ، وتقديم خدمة تحميل الكتاب مجانا

هذا الكتاب لم يُعط حق نشره ، لأي من دور النشر ، حتى يتسنى لنا عرضه من خلال شبكة الإنترنت ، وليتسنى للجميع الإطلاع على ما يحويه هذا الكتاب من أفكار وطروحات

الكتاب غير متوفر مطبوعا في الأسواق ، ومن رغب بطباعته ونشره فله الحق بذلك ، ودون داع للرجوع إلى المؤلف

إذ لا نبتغ من وراءه منفعة مادية أو معنوية ، قل شأنها أو كبر

حق النشر متاح للجميع

احصل على أحدث نسخة من الكتاب مجانا من خلال أحد مواقعنا

عنوان الموقع الرئيس

http://kalwid.jeeran.com/index.htm

عناوين الموقع الأخرى

http://kalwid.0pi.com/index.htm

http://kalwid.bravepages.com/index.htm

http://kalwid.freeservers.com/index.htm

http://www.geocities.com/kalwid/index.htm

أو من خلال محرك بحث (جوجل)

http://www.google.com

بريد المؤلف الإلكتروني

kalwid@yahoo.com

kalwid@hotmail.com